اللآلئ البهية
في تقريب
شرح العقيدة الطحاوية

أ. د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

دار الصديق
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

اللآلئ البهية

في تقريب

شرح العقيدة الطحاوية

الطبعة الأولى
١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

دار الصديق
الجبيل - المملكة العربية السعودية
ص ب: ٥٧٣ - رمز بريدي ٣١٩٥١ - هاتف: ٣٦٢٣٠١٨

التوزيع داخل المملكة العربية السعودية
مكتبة بيت السلام
هاتف: ٤٣٨١١٥٥ - ٤٣٨١١٢٢ - فاكس: ٤٣٨٥٩٩١

التوزيع خارج المملكة العربية السعودية
مؤسسة الريان
بيروت - لبنان - تلفاكس: (00961 1) 651327 - 655383 ص.ب: 14/5136 الرمز البريدي 11052020
البريد الإلكتروني: Alrayan@cyberia.net.lb الموقع الإلكتروني: http:/alrayanpub.com

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فإن من الكتب التي تبين عقيدة أهل السنة والجماعة ما ألفه الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي المتوفى بمصر سنة (٣٢١ هـ).

وقد تصدى لشرحها جمع من العلماء، لكنهم لم يتبعوا في شرحهم نهج السلف الصالح، فتصدى لشرحها الإمام القاضي صدر الدين أبو الحسن علي بن علي بن محمد بن أبي العز الأذرعي الدمشقي المتوفى بدمشق سنة: (٧٩٢ هـ)، وقد شرحها شرحاً جيداً، واعتمد في شرحه على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، وابن كثير، وغيرهم من أهل العلم.

وقد تلقاه أهل العلم بالقبول سلفاً وخلفاً، ونال هذا الشرح شهرة واسعةً، ولكنَّ

شرحَه لا يخلو من التطويل والإسهابِ في بعض المواضع، لذا أحببتُ أن أخدم هذا الشرح المبارك باختصاره[١] تقريباً لطلابِ العلمِ مع التعليقِ عليه[٢]، ثم بعد ذلك أتبعه بصياغة الشرحِ على طريقةِ السؤال والجوابِ.

واللهَ أسأل أن ينفع بهذا الكتاب المسلمين، وأن يثقل لي به الموازين، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) قسمت الشرح على فقرات بحسب وحدة الموضوع مع وضع عنوان لكل فقرة وقد استفدت في اختصار كلام أبي العز من طريقة عصام بن مرعي في كتابه مختصر شرح العقيدة الطحاوية.

(٢) وقد استفدت من تعليقات محمد هارون على السنة لابن أبي زمنين، ومن تعليقات العدني على شرح العقيدة الطحاوية.

مقدمة الشارح
خطبة الحاجة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً.

[منزلة علم العقيدة:]

أما بعد: فإنه لما كان علم أصول الدين أشرفَ العلوم؛ إذْ شرفُ العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، ولهذا سمَّى الإمام أبو حنيفة رَحْمة الله عليه ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين: «الفقه الأكبر» وحاجة العباد إليه فوقَ كلِّ حاجة، وضرورتُهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنَّه لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرفَ ربَّها ومعبودها وفاطرها، بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الحكيمة، ويكون مع ذلك كلِّه أحبَّ إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه.

[حكمة إرسال الرسل:]

ومن المحال أن تستقل العقول بمعرفة ذلك، وإدراكه على التفصيل، فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين، وإليه داعين، ولمن أجابهم مُبَشرين، ولمن خالفهم منذرين، وجعل مفتاح دعوتِهم، وزبدة رسالتهم، معرفة المعبود سبحانه، بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الحكيمة، إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها.

[الهدى فيما جاء به الرسول ﷺ:]

والله تعالى أرسل رسوله ﷺ بالهدى ودين الحق، فلا هدى إلا فيما جاء به.

[الإيمان المجمل فرض عين:]

ولا ريب أنه يجب على كل أحدٍ أن يؤمن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إيماناً عامّاً مجملًا.

[الإيمان التفصيلي فرض كفاية:]

ولا ريب أنَّ معرفة ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل فرضٌ على الكفاية، فإنَّ ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله، وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه، وعلم الكتاب والحكمة، وحفظ الذكر، والدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهو واجبٌ على الكفاية منهم.

[تفاوت الناس في العلم الواجب عليهم عيناً:]

وأما ما يجب على أعيانهم فهذا يتنوع بتنوع قدرهم، وحاجتهم ومعرفتهم، وما أمر به أعيانُهم ولا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم دقيقة ما يجب على القادر على ذلك. ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي والمحدِّث والحاكمِ ما لا يجب على من ليس كذلك.

[منشأ الضلال بترك اتباع الشرع:]

وينبغي أن يعرف أن عامة من ضل في هذا الباب أو عجز فيه عن معرفة الحق فإنما هو لتفريطه في اتباع ما جاء به الرسول ﷺ، وترك النظر والاستدلال الموصل إلى معرفته، فلما أعرضوا عن كتاب الله ضلوا كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: تكفَّل الله لمنْ قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ثم قرأ هذه الآيات.

[تبليغ الرسول ﷺ وأصحابه لدعوة الحق:]

وقد بلَّغ الرسول ﷺ البلاغَ المبين، وأوضحَ الحُجَّة للمستبصرين، وسَلَكَ سبيلَهُ خيرُ القرون.

[أئمة الهدى ودفاعهم عن الدين:]

ثم خَلَفَ مِنْ بعدهم خَلْفٌ اتبعوا أهواءهم، وافترقوا، فأقام الله لهذه الأمة من يحفظ عليها أصولَ دينها، كما أخبر الصادق ﷺ بقوله: «لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على

الحقِّ، لا يضرهم من خذلهم»(١).

[الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:]

هذا، وممن قام بهذا الحق من علماء المسلمين: الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، تغمده الله برحمته، بعد المئتين، فإنَّ مولده سنة تسع وثلاثين ومائتين، ووفاته سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

[أصل العقيدة الطحاوية:]

فأخبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمَّا كان عليه السلف، ونُقل عن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وصاحبيه أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحميري الأنصاري، ومحمد بن الحسن الشيباني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ما كانوا يعتقدون من أصول الدِّين، ويدينون به رب العالمين.

[خطأ بعض شارحي الطحاوية:]

هذا، وقد شرح هذه العقيدة غيرُ واحد من العلماء، ولكن رأيت بعضَ الشارحين قد أصغى إلى الكلام المذموم، واستمد منهم وتكلم بعبارتهم.

[سبب تأليف هذا الكتاب:]

وقد أحببتُ أن أشرحها سالكاً طريق السلف في عباراتهم، ناسجاً على منوالهم، متطفِّلًا عليهم، لعلِّي أن أُنظمَ في سلكهم، وأدْخلَ في عِدادِهم، وأُحشرَ في زمرتهم، ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩]، ولمَّا رأيت النفوس مائلةً إلى الاختصار، آثرتُهُ على التطويل والإسهاب. ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الأسئلة والأجوبة على المقدمة

س١: ما هي المسائل العلمية التي تطرق إليها ابن أبي العز في مقدمة شرحه؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في مقدمته لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- منزلة علم العقيدة. ٢- حكمة إرسال الرسل.

٣- الهدى فيما جاء به الرسول ﷺ. ٤- الإيمان المجمل فرض عين.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الاعتصام، ب: ١٠، برقم: (٧٣١١)، ومسلم، ك: الإمارة، برقم: (١٧٠).

٥- الإيمان التفصيلي فرض كفاية. ٦- تفاوت الناس في العلم الواجب عليهم عيناً.
٧- منشأ الضلال بترك اتباع الشرع. ٨- تبليغ الرسول ﷺ وأصحابه لدعوة الحق.
٩- أئمة الهدى ودفاعهم عن الدين. ١٠- الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ وأصل عقيدته.
١١- خطأ بعض شارحي الطحاوية. ١٢- سبب تأليف هذا الكتاب.

س٢: عرِّف علم العقيدة؟

ج٢: العقيدة في اللغة: صرح أئمة الاشتقاق أن أصل «العقد» نقيض الحل يقال عقد عقداً وتعاقداً وعُقدة، وقد انعقد وتعقد، ثم استعمل في أنواع العقود والبيوعات وغيرها ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم[(١)].

أما معنى العقيدة اصطلاحاً: فهو حكم الذهن الجازم، فإن طابق الواقع فصحيح وإن خالفه ففاسد والواقع هو الكتاب والسنة[(٢)].

أما تعريف علم العقيدة: فهو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية مكتسب من أدلته اليقينية، يعني من الأدلة النقلية الصحيحة المفيدة للعلم ومن البراهين العقلية[(٣)].

س٣: هل يوجد لفظ «العقيدة» في الكتاب والسنة؟، ومن أول من استعمل هذا اللفظ وأطلقه على هذا العلم؟

ج٣: ورد لفظ العقيدة في السنة من حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: «**نضر الله امرءا سمع مني حديثاً...**» إلى أن قال: «**لا يعتقد قلب مسلم على ثلاث خصال إلا دخل الجنة**، قال: قلت: ما هي؟ قال: **إخلاص العمل والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**»[(٤)].

وكذا ورد عن السلف من حديث عائشة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] قالت: هم القوم يتدارؤون في الأمر، فيقول هذا: لا والله، وبلى والله، وكلا والله، يتدارؤون فيه، لا تعقد عليه قلوبهم.

---

(١) انظر: تاج العروس (٢/ ٤٢٦).
(٢) شرح الواسطية بتعليق العدني (ص/ ٨).
(٣) العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية (١/ ١٧).
(٤) أخرجه الدارمي في سننه برقم: (٢٣٥)، وصحح إسناده حسين سليم أسد.

وقال بعض أهل العلم: لفظ العقيدة لا يوجد في الكتاب والسنة ولا في شيء من أمهات معاجم اللغة، فهي إذا كلمة مولَّدة والذي كان يسبقها في الاستعمال كلمة (اعتقاد) (ومعتقد).

وقد ذكر بعض أهل العلم[1] أن أول من استعمل لفظة عقيدة هو الغزالي وهذا ليس بصحيح لكون الغزالي مسبوقاً فقد سبقه الطحاوي في العقيدة الطحاوية حيث جاء فيها: «هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة» وكذلك الصابوني حيث ألف كتاباً سماه: «عقيدة السلف أصحاب الحديث»[2].

س٤: ما أسماء هذا العلم مع بيان الفرق بين لفظ العقيدة ولفظ التوحيد؟

ج٤: يسمى هذا العلم بالعقيدة والتوحيد والسنة والإيمان؟

أما الفرق بين لفظ العقيدة ولفظ التوحيد فالتوحيد في الغالب يطلق على أنواع التوحيد الثلاثة الربوبية والأسماء والصفات ومسائل الألوهية والعبادة. أما العقيدة فيتمثل الإيمان بالكتب والرسل والملائكة واليوم الآخر والإيمان بالقدر وغير ذلك[3].

س٥: ما رأيك بتسمية هذا العلم بعلم الكلام أو الفلسفة؟

ج٥: تسمية هذا العلم بعلم الكلام أو الفلسفة باطلة لأمور:

الأول: إن علم الفلسفة والكلام يعتمدان على العقل فهو مصدرهما وأمَّا علم العقيدة فمصدره الكتاب والسنة.

الثاني: إن الفلسفة وعلم الكلام علمان مذمومان قد ذمهما السلف، وأمَّا علم العقيدة فهو أصل دعوة الرسل.

الثالث: أن علم الكلام والفلسفة هو جهل بالله، ويؤدي إلى الحيرة والشك، أما علم العقيدة فهو علم إيمان ويؤدي إلى يقين.

س٦: ما المراد بأهل الكلام والفلسفة مع بيان الفرق بين الفلاسفة وأهل الكلام؟

ج٦: أهل الكلام: هم الذين يتكلمون في الله بما يخالف الكتاب والسنة كالجهمية

(١) انظر: معجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد.
(٢) انظر: تعليق العدني على شرح الواسطية (ص ٩).
(٣) انظر: المدخل لدراسة العقيدة للبريكان (ص ١٠).

والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم. أما الفلسفة: فهي كلمة يونانية أصلها (فيلا سوفيا) بمعنى: محبة الحكمة.

والفلاسفة هم قسمان:

١. فلاسفة إلاهيون: وهم الذين يبحثون في الشؤون الإلهية.

٢. فلاسفة طبيعيون: وهم الذين يبحثون في عالم الطبيعة.

والفرق بين الفلاسفة وأهل الكلام من وجهين:

الأول: أن الفلاسفة يبحثون في الشؤون الإلهية وغيرها أما المتكلمون فيبحثون في الشؤون الإلهية فقط.

الثاني: أن أهل الكلام أقرب إلى الإسلام من الفلاسفة.

س٧: ما موضوع علم العقيدة مع بيان غايته وثمراته؟

ج٧: موضوع علم العقيدة يتناول مواضيع عدة من أهمها:

١. معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وأنه هو المستحق وحده للعبادة.

٢. معرفة الواسطة في التبليغ بين الخلق وربهم وهم الرسل والملائكة.

٣. معرفة ما أخبر به الأنبياء والرسل من أمور الغيب والآخرة وما يلحق ذلك من أحوال أهل الجنة والنار.

أما غاية علم العقيدة: فهو معرفة أمور العقيدة بصبر الإيمان والتصديق بالأحكام الشرعية متقناً محكماً لا تزلزله شبهة المبطلين ولا ضلالات المبتدعين.

أما ثمرة تعلم علم العقيدة: فهي الحصول على السعادة في الدنيا والآخرة في الدنيا بانتظام المعاش وفي الآخرة بحصول النجاة من عذاب الله.

س٨: اشرح قول الشارح ابن أبي العز: «فإنه لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم إذ شرف العلم بشرف المعلوم»؟

ج٨: علم العقيدة أفضل العلوم على الإطلاق، قال ابن القيم: «ولا ريب أن العلم به أي: الله وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها»[1]، وحاجة العباد إلى الوحي -

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩١، ٣١١).

ومن جملة ما في الوحي الاعتقاد - فوق كل حاجة.

قال شيخ الإسلام: «وحاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب»[(١)].

ويشرف هذا العلم بشرف معلومه.

قال محمد بن عمر الرازي: «إن شرف العلم بشرف المعلوم فمهما كان المعلوم أشرف كان العلم الحاصل به أشرف، ولما كان أشرف المعلوم ذات الباري وصفاته وجب أن يكون معرفته وتوحيده أشرف العلوم»[(٢)].

س٩: ما حكم تعلم علم العقيدة؟

ج٩: الواجب تعلمه من علم العقيدة تعلم أركان الإيمان وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والإيمان باليوم الآخر والقدر خيره وشره فمن لم يؤمن بأركان الإيمان الستة فلا يدخل في الإسلام ولا يستحق اسم الإيمان.

وأمَّا معرفة تفاصيل علم العقيدة فهذا فرض كفائي[(٣)].

س١٠: اذكر طريقة السلف والخلف في مصادر التلقي؟

ج١٠: طريقة السلف في مصادر التلقي في الاعتقاد أنهم يقبلون كل ما صحَّ فيه الدليل من كتاب وسنة؛ فهم علماً واعتقاداً وعملًا يسيرون مع الكتاب والسنة الصحيحة من غير أن يفرقوا بين حديث متواتر أو آحاد، فكل حديث ثابت صحيح يجب التعويل عليه والأخذ به.

أمَّا طريقة الخلف فالمرجع عندهم هو العقل، وأمَّا الشرع فلا يلقون له بالًا[(٤)]، والعقول عاجزة عن معرفة الله على التفصيل؛ لذا قال الشارح: «ومن المحال أن تستقل العقول بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين وإليه داعين... وجعل مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها» ومعرفة الرب سبحانه والعلم به ثابت في الأذهان وراسخ في العقول لدى كل إنسان[(٥)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٦). (٢) عجائب القرآن (ص/ ١٥).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣١٢، ٣٢٧)، ومفتاح دار السعادة (١/ ٤٨١).

(٤) انظر: شرح الواسطية بتعليق العدني (ص/ ٦). (٥) الفوائد (ص/ ١٧٠).

س١١: اشرح قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]؟ وذكر المؤلف معنيين لهذه الآية فأوضحهما؟ وهل بينهما تناف؟

ج١١: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل للناس هذه سبيلي، أي: طريقتي التي أدعوا إليها وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره وإخلاصه لدين الله وحده لا شريك له.

أدعو إلى الله: أني أحث الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم ومع هذا فأنا على بصيرة من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك وكذلك من اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة(١).

المعنى الأول: إن كان معطوفاً على الضمير المنفصل ﴿أَنَا۠﴾ فهو صريح في أن أتباعه هم أهل البصيرة فيما جاء به ﷺ دون غيرهم.

الثاني: المعنى: أن قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ معطوفٌ على الضمير المستتر في ﴿أَدْعُوٓا۟﴾، أي: أن أتباعه ﷺ هم الدعاة إلى الله، أي: أدعو أنا إلى الله وكذلك أتباعي يدعون إلى الله. ولا تنافي بين المعنيين بل كلاهما حق. فإن أتباعه ﷺ هم الدعاة إلى الله تعالى وهم أهل البصيرة دون غيرهم.

س١٢: ما سبب ظهور البدع والتحريف؟

ج١٢: سببه بُعْدُ العهد عن عصر النبوة، والإعراض عن الكتاب والسنة وتقديم العقل والرأي على النقل، واتباع الهوى ودعاة الباطل، والتوسع في سماع شبههم، والإصغاء إليها، وعدم الرد عليها والخوض فيها.

إضافة إلى تفريطهم في اتباع ما جاء به الرسول ﷺ؛ لأن اتباعه هو طريق الهداية كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، مع تركهم النظر في الأدلة الشرعية والاستدلال بها للوصول إلى معرفة الله. فلما أعرضوا عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ضلوا.

من هذا قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا

---

(١) انظر: تفسير السعدي (ص/٤٠٧).

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٤].

ومن السنة حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون فتن قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم» الحديث. ومعناه صحيح وإن كان الحديث غير صحيح عند علماء الحديث(١).

س١٣: بين ما هو التحريف والتأويل الكلامي المذموم مع إيضاح الفرق بينهما؟ وما شرط قبول التأويل؟

ج١٣: التحريف هو التبديل والتغيير، أي: تغيير ألفاظ الأسماء الحسنى والصفات العلى ومعانيها.

وأمَّا التأويل فهو: صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به.

والفرق بينهما أن كل تحريف تأويل وليس كل تأويل تحريفاً.

وأن أحدهما قد يكون صحيحاً وهو التأويل إذا كان بمعنى التفسير والآخر باطل من أساسه وهو التحريف.

والتأويل البدعي هو: الذي بدافع الانحراف والزيغ والضلال، والأثر الذي يتكون في نفس الزائغ والضال، وهو باطل. وشرط قبول التأويل الصحيح استناده إلى قرينة أو دليل.

س١٤: ما سبب التأويل الكلامي البدعي والنزاع في الدين؟

ج١٤: سببه ما يأتي:

١- الإصغاء إلى شبه المبطلين.

٢- الخوض في الكلام المذموم الذي عابه السلف ونهوا عنه وعن النظر فيه.

٣- الإعراض عن الكتاب والسنة.

س١٥: ذم السلف الكلام وأهله، فما الباعث لهم على ذلك؟ وهل يذم الكلام مطلقاً؟

ج١٥: ذم السلف الكلام؛ لأنه يخالف ما جاء به الرسول ﷺ عن الله عز وجل وما ثبت عنه ﷺ من الحق، ولأنه يعتمد على التصورات العقلية وهي متفاوتة أيضاً؛ لأنها قائمة على

(١) أخرجه الترمذي، أبواب فضائل القرآن، ب: ما جاء في فضل القرآن، برقم: (٢٩٠٦)، قال المعلمي في حاشيته على الفوائد المجموعة: سنده ضعيف ومتنه حسن، وقال الألباني: ضعيف جداً.
انظر: ضعيف الجامع الصغير (٢٠٨١)، و السلسلة الضعيفة (١٧٧٦).

الظن وعدم اليقين وعلى الخوض في الكلام الذي لا فائدة فيه.

وليس كل كلام يعده السلف مذموماً يكون مخالفاً للكتاب والسنة، بل في المسألة تفصيل:

فإن كان اللفظ موافقاً للكتاب والسنة والمعنى موافقاً أيضاً قُبِلَ، وإن كان كلاهما مخالفاً رُدَّ، وإن كان اللفظ موافقاً والمعنى مخالفاً رد المعنى، وإن كان المعنى، موافقاً واللفظ مخالفاً رد اللفظ وقُبل المعنى، وعبر عنه بألفاظ توافق الكتاب والسنة، فما رددناه فهو مذموم وما قبلناه لا يذم.

س١٦: ما سبب تسمية هذا العلم بعلمِ الكلامِ؟

ج١٦: سببُ تسميتِه بعلمِ الكلامِ: أنَّ أشهر المباحثِ التي وقع فيها نزاع وجدال بين المتكلمين هي مسألة الكلام، والمقصود بها: مسألة خلق القرآن.

وقيل: لأن عادةَ الباحثين في أصول الدين جرت على أن يبدؤوا أبحاثهم بعبارة: «الكلام في كذا».

س١٧: متى نشأ علم الكلام؟

ج١٧: نشأ علمُ الكلامِ في بداية القرن الثاني الهجري مع نشأةِ المعتزلةِ، وذلك في عهد الخليفةِ المأمون بن هارون الرشيد الذي عُرِّبت في عهده كتب أهل الضلال من الفلاسفة والصابئة وغيرهم.

س١٨: ما المنهج الذي يعتمده المتكلمون في إثبات العقيدة؟

ج١٨: يعتمد المتكلمون في إثبات العقيدة على العقلِ دون النقلِ، ويجعلون القرآن والإيمانَ تابعين للعقلِ، والمعقولات عندهم هي الأصول الكلية الأولية المستغنية بنفسها عن الإيمان والقرآن.

س١٩: ما المساوئ الناتجة عن هذا المنهج؟

ج ١٩: من نتائجِ هذا المنهج الذي سلكه علماء الكلامِ أنهم حكَّموا عقولهم في نصوصِ الوحي، فما وافق عقولَهم أثبتوه، وما خالفها خالفوه، وأتوا بأقوالٍ في مسائل الاعتقادِ مخالفةً لإجماعِ السلف، وحرفوا نصوصَ الوحي، وضعَّفوا بل ردُّوا الأحاديث التي لا توافق عقولهم بحجةِ أنها أخبارُ آحاد.

وبسبب اعتمادِهم على هذا الأصل صار بعضهم يتجرأ على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ، ومن هؤلاء: عمرو بن عبيد المعتزلي يذكر حديث الرسول ﷺ، ويقول: لو

سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددتُه، ولو سمعتُ الله تعالى يقول هذا لقلتُ: ليس على هذا أخذت ميثاقاً!!

س ٢٠: اذكر مثالين يوضحان طريقة المتكلمين في دراستهم لمسائل العقيدة الإسلامية؟

ج ٢٠: المثال الأول: إثبات وجود الله سبحانه.

المثال الثاني: إثبات اليوم الآخر.

س ٢١: ما دليل المتكلمين على إثباتِ وجود الله سبحانه؟

ج ٢١: استدلوا بدليلين مشهورين:

- دليل الحدوث.
- ودليل الممكن والواجب.

س ٢٢: ما معنى دليل الحدوث باختصار؟

ج ٢٢: معناه أن الأجسامَ الموجودة في العالم تتكون من أجزاء، وهذه الأجسام يمكن قسمتها إلى أجزاء، إلى أن نصل عند جزء لا يتجزأ، وهذا الجزء الذي لا يتجزأ هو الجوهر الفرد.

وكل الجواهر تتعرض لحالات مختلفةٍ كالحركةِ والسكون، وهذه الأحوال يطلقون عليها: «الأعراض»، وهي حادثة لأنها متغيرة، وما دامت الجواهر لا تنفصل عن الأعراض، والأعراض حادثة فالجواهر إذن حادثة، والأجسام حادثة، والعالم حادث، وهذا الحادث لا بدَّ له من محدِث وهو الله سبحانه.

س ٢٣: ما معنى دليل الممكن والواجب؟

ج ٢٣: معناه: أن كل ما يوجد في العالم كان من الممكن أن يوجد على نحو مخالفٍ لما هو عليه، ومن الممكن أن يخلق الله عالماً أفضل من هذا العالم الحالي، بل من الممكن في هذا العالم أن يصعد الحجر إلى الأعلى، وأن يهبط اللهب إلى أسفل، وإذا كان الأمر كذلك، فالعالم حادثٌ، ولا بدَّ له من محدث وهو الله سبحانه.

س ٢٤: ما دليل المتكلمين في إثباتِ اليومِ الآخر؟

ج ٢٤: قالوا: إن وجود اليوم الآخر ممكن، لأنه لو قدر وجوده لم يلزم من تقدير وجوده محال، فما المانع إذن أن يوجد يوم آخر عقلًا.

س٢٥: هل يعدُّ هذا الدليل حجة مقنعة للعقل؟

ج ٢٥: إن هذه الطريقة الجدلية لا تصمد أمام مجادل جلدٍ، وليست مقنعة للعقل، فإن إمكانية الوقوع لا تعني بالضرورةِ تحقق الوقوع، والممكنات كثيرة لا تدخل تحت الحصر، والموجودات لا تمثل إلا جزءًا منها، فما المانع حسب قولهم أن يكون اليوم الآخر من هذا الممكن الذي لا يتحقق.

س٢٦: ما مكانةُ العقل عند المتكلمين في مسائل الاعتقاد؟

ج ٢٦: يعتبر المتكلمون العقلَ هو السلطان والحاكم على نصوص الوحي والسنة، وذهب بعضهم إلى أنَّ الاحتجاجَ والاستدلال في أمور التوحيد إنما هو في أدلةِ العقولِ، وليس عن طريقِ النصوصِ الشرعية.

وعند المتكلمين الدلالات أربع، وهي: حجية العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع، وإن معرفة الله لا تنال إلا بالعقل.

ويرى القاضي عبد الجبار - وهو من رؤوس المعتزلة - أن الأخبار في الاعتقادات عموماً تنظر، فإن كانت موافقةً لحجج العقل قبلت واعتقد وجوبها، وإن لم تكن موافقة ففيها مسلكان: إما التأويل، أو الرد، والحكم بأن النبي ﷺ لم يقلها، وإن قالها فإنما قالها عن طريقِ الحكاية عن غيره.

وأما الرازي - وهو من كبار متكلمي الأشاعرة - فإنه يقرر أن الدلائل النقلة ظنية، وأن الدلائل العقلية قطعية، والظن لا يعارض القطع، فهو يرى أن الاحتجاج بالمعقول يقدم على الصحيح المنقول في مسائل الاعتقاد.

س٢٧: ما مكانة العقل وحجيته عند علماء السلف في مسائل الاعتقاد؟

ج ٢٧: إن علماء السلف رحمهم الله تعالى لم يعطوا العقل سلطاناً مستقلًا ليكون حاكماً على الوحي، كما هو شأن المتكلمين، ولم يهملوه كما فعل الصوفية بل احتجوا به، واشترطوا أن يكون موافقاً لصحيح المنقول، فحجة الله تعالى الشرعية العقلية لا تتنافى ولا تتعارض، بل تتوافق وتتعاضد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «بل العقل شرطٌ في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكتمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلًا بذلك، لكونه غريزة في النفس وقوة

فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن إدراكها، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أموراً حيوانية، قد يكون فيها محبةٌ ووجدٌ وذوقٌ كما قد يحصل للبهيمة.

فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن إدراكه، لم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه»[١].

س٢٨: ما المراحل التي مرَّ بها علم الكلام؟

ج ٢٨: مرَّ علم الكلام بأربع مراحل مختلفة، وقد تنوعت فيها الموضوعات التي بحثها المتكلمون خلال هذه المراحل.

س٢٩: ما المرحلة الأولى لعلم الكلام وبماذا تميزت؟

ج ٢٩: هي مرحلة متقدمي المتكلمين من أمثال: واصل بن عطاء (ت: ١٣٠هـ)، وعمرو بن عبيد (ت: ١٤٣هـ)، وخالد بن صفوان، وأبي الهذيل العلاف (ت: ٢٣٥هـ)، وإبراهيم النظام (ت: ٢٣٠هـ).

وقد تميزت هذه المرحلة بالتأثر بالمصطلحات اليونانية خصوصاً المتأخرين منهم كأبي الهذيل العلاف، فقد ترجمت كتب الفلسفة اليونانية، فترجم كتاب الطبيعة، وما بعد الطبيعة لأرسطو، ترجمه إسحاق الكندي، ولم تكن للمباحث الكلامية في تلك المرحلة قواعد صريحة، وكانت خالية من الاستعانة بعلم المنطق الأرسطي.

س٣٠: ما المرحلة الثانية لعلم الكلام وبما تميزت؟ ومن يمثلها؟

ج ٣٠: هي المرحلة التي دخلت فيها الأشاعرة معترك علم الكلام مقابل المعتزلة، وقد تميزت هذه المرحلة بوضع قواعد علم الكلام ومقدماته التي يحتاج إليها الدارس، مثل: إثبات الجوهر الفرد، وقيام العرض بالعرض... الخ.

ويمثلها من الأشاعرة: أبو الحسن الأشعري (ت: ٣٣٠هـ) مؤسس المذهب، وأبو بكر الباقلاني (ت: ٤٠٢هـ)، ومن بعده إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت: ٤٧٨هـ)، والذي صنف كتابه الشامل، ثم مختصره الإرشاد.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٣٨).

ومن المعتزلة: أبو هاشم الجبائي (ت: ٣٢٠ هـ)، ومن بعده أبو عبد الله البصري ثم القاضي عبد الجبار (ت: ٤١٥هـ).

س٣١: ما المرحلة الثالثة لعلم الكلام؟ وبما تميزت؟

ج ٣١: هذه المرحلة يمثلها أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، والفخر الرازي، وقد تميزت هذه المرحلة بمناقشةِ كلام الفلاسفة وإدخال ذلك في علم الكلام، وباستعمال المنطق الأرسطي في مقدمات علم الكلامِ ودراسةِ أدلته وبراهينه.

س٣٢: ما المرحلة الرابعة لعلم الكلام؟ ومن يمثلها؟

ج ٣٢: هذه المرحلة يمثلها البيضاوي (ت ٦٩١هـ) صاحب كتاب الطوالع، وقد تميزت بالخلط بين مذاهب الفلسفة والكلام واشتباه الأمر فيهما على القارئِ والكاتبِ، وظهر لدى كبار أئمة الكلام من الأشاعرة اتجاه يدعو إلى التحذير من إشاعةِ علمِ الكلام بين العامة، وزعموا أنه يجب ذلك على الخاصة أو من رام الاجتهاد والعلو في الدين.

ففي كتاب الغياثي لأبي المعالي الجويني صرح بأن من أراد الارتقاء عن مرتبةِ العوامِ فله أن ينظر في كتب الكلام التي وضعها، وأما العامة فعلى إمام المسلمين أن يجمعهم على عقيدة السلف وينهاهم عن الخوض في المعميات، وتكلف وارد الشبهات، وتابعه تلميذه الغزالي في هذا الرأي، وذلك في كتابه إلجام العوام عن علم الكلام.

س٣٣: ما الذي يأخذه أهل السنة والجماعة على علم الكلام ومنهجه؟

ج ٣٣: لأهل السنة والجماعة على علمِ الكلامِ ومنهجه عدة مآخذ نجملها في النقاط التالية:

١- مخالفة منهج علم الكلام للمنهج القرآني في عرض العقيدة.

٢- إغفال توحيد العبادة الذي هو الهدف من الرسالات، والتركيز على توحيد الربوبية.

٣- وضعُ أصولٍ للدين غير الأصول المبيَّنَةِ في القرآن والسنة.

٤- تعظيم دور العقل وجعله حاكماً على نصوص الوحي.

٥- اتخاذ الجدل والمراء وسيلة للبحثِ في مسائل الاعتقاد.

٦- النظر إلى الشريعة نظر النقص والافتقار.

س٣٤: كيف يختلف منهج علم الكلام عن منهجِ القرآن في عرضِ العقيدة؟

ج ٣٤: طريقةُ المتكلمين في دراسةِ مسائلِ العقيدةِ أنهم يستدلون على وجودِ الله

واليوم والآخر بدليلين هما: دليل الحدوث والقدم، ودليل الممكن والواجب.

وهذه الطريقة لا تصمد أمام مقررات العقل القوي ذي الحجة.

في حين أن منهج القرآن وطريقته في عرض العقيدة يختلف عن منهج علمِ الكلامِ، فالقرآنُ يخاطب العقل والعاطفة معاً، وقد أثبت وجود اليوم الآخر بأدلة سهلةٍ ميسرةٍ لا تنكرها الفطرة السليمة، ولا العقول الصحيحة، فالإنسانُ يعلم إمكانَ وجود الشيءِ تارة بعلمهِ بوجود نظيره، أو ما يشبهه، وتارة بعلمه بوجود ما هو أكبر وأولى من ذلك الشيء، فتأمل قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، فقد أثبت إمكان وجود اليوم الآخر بوقوع نظيره من الخلق الأول، بل إنه أهون عليه، وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

فالقرآن قرر وجود اليوم الآخر فعلًا لحكمة إلهية يتحقق منها العدل الإلهي، ويتقرر بها مبدأ الثواب والعقاب.

وفي تنزيه الله سبحانه عن الشرك قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ۝٥٧ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٧ - ٥٨]، فإذا كنتم تكرهون أن يكون لكم البنات فكيف تجعلونها لله سبحانه.

فالمنهج القرآني عكس منهج المتكلمين، لا يتحدث بطريقةٍ جافة باردة في الموضوعات التي تمس المشاعر، والتي تحتاج إلى دفعة إيمانية نفسية قوية لتثبت في القلوب ثم العقول، فمنهج المتكلمين فيه خبط وخلط ووعورة وتكلف.

س٣٥: ما الدليل على إغفال علمِ الكلامِ لتوحيدِ العبادةِ الذي هو أول دعوة الرسل الكرام؟

ج ٣٥: إن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتبِ الكلام، والنظر غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع فيقولون: هو واحد في ذاته وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو توحيد الأفعال، وهو أن خالق العالم واحد، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب، وأن هذا هو معنى لا إله إلا الله عندهم، حتى يجعلوا معنى الإلهية القدرة على الاختراع.

وسبب اشتهارِ توحيد الأفعالِ أو الربوبية عند المتكلمين لما جرى بينهم وبين أصحابِ العقائد الباطلة كالمجوس والصابئة واليهودِ والنصارى من مناقشات ومجادلات حول

ذات الله وصفاته، والقضاء والقدر، فاشتهر عندهم الاهتمام بتوحيد الربوبية الذي يقر به أكثر المشركين من قريش ويعتقدونه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وأغفلوا توحيد الإلهية وما يسمى بتوحيد الحاكمية الذي اهتمت به جميع الرسل، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [غافر: ٦٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

ولذلك فإن مفهوم التوحيد عند المتكلمين أدّى إلى ضعفِ مفهوم الطاعةِ والاتباع، ولما أقصيت الأحكام الشرعية عن الحياة الإسلامية سهل الأمر عند المتكلمين، وكان بإمكانهم أن يغضوا الطرفَ عن تعطيلِ الأحكام الشرعية المرتبطة بتوحيد الألوهية طالما أن توحيد الأفعال أو ما يسمى بتوحيد الربوبية قائمٌ في نفس الحاكم والمحكوم، وهذا يعدُّ من أخطرِ ما اقترفته أيادي المشتغلين بعلم الكلامِ، ومن أعظمِ جناياتهم على تعطيل الأحكام الشرعية.

س٣٦: ما الأصول التي وضعها علماء الكلام وهي مغايرة لما بينه الله ورسوله ﷺ؟

ج ٣٦: وضع علماء الكلام أصولا بناءاً على ما قرروه من مشكلات وحلها، ومقدماتها ولوازمها، وسموا ذلك أصول الدين واشترطوا على المسلم معرفتها ليصح إسلامه، فمن ذلك: معرفة أدلةِ حدوث العالم وأدلة التمانع، والجوهر والعرض، وقواعد الحركة والسكون، ومن المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة عند المتكلمين: إثبات الجوهر الفرد والخلاء، وعدم قيام العرض بالعرض، وعدم بقاء زمانين.

ومن المعلوم في الدين بالضرورةِ أن أول واجبات المسلم النطق بالشهادتين، وأن أول ما يجب على العباد معرفة الأمر الذي خلقهم الله له، وأخذ عليهم الميثاق به، وهو عبادة الله وحده لا شريك له.

س٣٧: وضّح كيف عظّم علماء الكلام دور العقل وجعلوه حاكماً على نصوص الوحي؟

ج ٣٧: إن علماء الكلام كانوا يطرحون المسألة العقائدية ثم يعرضونها على العقل فتستجمع لها الأدلة لإثباتها على وجه من الوجوه وحينما يصل إلى قرار يعمد إلى الأدلة السمعية فيؤول منها ما لا يوافق قراره، إن كانت نصاً قرآنياً، أو نرد الأحاديث بدعوى أنها تناقض العقل، ولذلك فإنهم ينكرون حجية خبر الآحاد في العقائد مطلقاً، وفي باب العمل فقد جعلوا من شروط قبوله أن يكون في متن الخبر ما يجوزه العقل.

فعلماء الكلام يقدمون العقل على النقل، وقالوا: إن اليقين لا يثبت إلا بالعقلِ وأن

المعتمد هو العقل عند التضارب.

جاء في أحد كتب الرازي الكلامية المطالب ثلاثة:

الأول: ما يتوقف ثبوت الشرع على ثبوته كوجود الله، وصدق الرسول، فهذا يستحيل أن يعلم بإخبار الشرع.

الثاني: ثبوت أو انتفاء ما يقطع العقل بإمكانِ ثبوتِه أو انتفائه، فهذا إذا لم يجده الإنسان من نفسه ولا أدركه بحسه استحال العلم به إلا من جهة الشرع.

الثالث: وجوب الواجبات، وإمكان الممكنات، واستحالة المستحيلات، فهذا يعلم من طريقِ العقلِ بلا إشكال، فأما العلم به بإخبار الشرع فمشكل، لأن خبر الشارع فصل!! وإن خالفه العقل وجب تقديم العقل وتأويل الخبر في قول المحققين.

وقال العضد الإيجي[1]: «لو وجد المعارض العقلي لقدم على الدليل النقلي قطعاً».

س ٣٨: اشرح الآية الآتية مع توضيح وجه الدلالة على ذمهم منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨] وبين وجه الشبه بين المتكلمين ومن نزلت فيهم الآية؟

ج ٣٨: المراد بالخوض في آيات الله: التكلم بما يخالف الحق من تحسين المقالات الباطلة والدعوة إليها، ومدح أهلها، والإعراض عن الحق، والقدح فيه، وفي أهله.

فقد أمر الله رسوله أصلًا وأمته تبعاً إذا رأوا من يخوض في آيات الله بشيء مما ذكر بالإعراض عنهم، وعدم حضور مجالس الخائضين بالباطل، والاستمرار على ذلك حتى يكون البحث والخوض في كلام غيره، فإذا كان في كلام غيره زال النهي المذكور، فإن كان مصلحة كان مأموراً به، وإن كان غير ذلك كان غير مفيد ولا مأمور به، وفي ذم الخوض بالباطل حث على البحث والنظر والمناظرة بالحق[2].

أما وجه الدلالة على ذمهم: فهو أن بحثهم واعتمادهم على عقولهم والأقيسة الفاسدة إنما هو خوض بغير علم، لذلك ذمهم بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [الأنعام: ٦٨].

ووجه الشبه: هو أنهم أعرضوا عن كتاب الله وسنة رسوله وتكلموا فيهما بغير

(١) المواقف (ص٢٠٧).

(٢) انظر: تفسير السعدي (ص٢٦٠).

علم وبغير بصيرة واتبعوا أهواءهم، وحكَّموا عقولهم وتركوا الكتاب والسنة كما فعل المذكورون في الآية، وإن حجتهم واحدة، وهو أنهم قالوا نريد التوفيق بين العقل والنقل.

س٣٩: ذكر المؤلف أن التحريف على مراتب مختلفة فاذكرها مع التوجيه؟

ج٣٩: المراتب هي:

١- أنه قد يكون كفراً، مثل: تأويل الباطنية للصلاة والحج بزيارة مشايخهم ومراقد هؤلاء الشيوخ.

٢- أنه قد يكون فسقاً، وذلك إذا صدر عن هوى وتعصب، وله وجه في اللغة العربية.

٣- أنه قد يكون معصية، كتأويل بعض الفقهاء لبعض الأحاديث التي تخالف مذهبهم.

٤- أنه قد يكون خطأ، كتأويل المجتهدين الذين يَتَحرَّوْنَ الحق فيخطئون في تفسير بعض النصوص[1]، وتوجيه ذلك هو اختلاف هذه المراتب في نتائجها.

س٤٠: اذكر مراتب الانحراف؟

ج٤٠: مراتب الانحراف أربع:

١- الكفر: وذلك إذا صرف شيئاً من العبادات لغير الله من صلاة ونذر وذبح.

٢- الفسق: كارتكاب المنهيات.

٣- المعصية كترك المأمورات.

٤- الخطأ: إذا صدر عن جهل ونسيان.

س٤١: ذكر شارح الطحاوية أن هناك شبها بين المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ٦٠] وبين المتكلمين والمتفلسفة، وضح هذا الوجه من الشبه؟

ج٤١: وجه الشبه يكون من وجوه:

١- أن كلا منهم تحاكم إلى غير الله فالمنافقون تحاكموا إلى طواغيتهم، والمتكلمون والمتفلسفة حكموا عقولهم.

٢- أن كلا منهم يريد التوفيق، فالمنافقون يريدون التوفيق بين الكافر والمسلم، وأهل الفلسفة والكلام يريدون التوفيق بين العقل والنقل.

(١) انظر: مقدمات في الاعتقاد (ص٥٦-٥٧)، والمدارج (١/ ٣٦١)، والحجة في بيان المحجة (٢/ ٥١٠).

٣- أن كلا منهم يدعي أنه محسن في عمله.

س٤٢: ما حجج من ترك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وحكم الرأي؟

ج٤٢: حججهم هي كما تقول المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم:

١. أننا نريد أن ندرك الأشياء بحقيقتها.

٢. نريد التوفيق بين الدلائل التي يسمونها: (عقليات) وبين الدلائل النقلية عن الرسول ﷺ، أو نريد التوفيق بين الشرع والفلسفة.

٣. كما تقول المتنسكة والمتصوفة، إنما نريد بالأعمال التي نعملها العمل الحسن، والتوفيق بين الشريعة وبين ما هم عليه من الباطل الذي يسمونه حقائق وهي ضلال مبين.

٤. كقول المتكلمة: إنما نريد الإحسان بالسياسة الحسنة، والتوفيق بينها وبين الشريعة ونحو ذلك.

نقول: إنكم ضللتم في ادعائكم، وإن الحق فيما جاء به الرسول ﷺ من عند الله.

س٤٣: حدث تقصير كبير من كثير من المسلمين في أمور الشريعة، فما سبب ذلك مع توضيح ما يترتب عليه من الشر؟

ج٤٣: سبب ذلك:

١. عدم العلم بما جاء به الرسول ﷺ في كثير من الأمور الاعتقادية وفي كثير من الأحوال العبادية وفي كثير من الأمور السياسية.

٢. نسبوا إلى شريعة الرسول ﷺ بظنهم وتقليدهم ما ليس منها من البدع.

٣. أخرجوا عن الشريعة كثيراً مما هو منها. ويترتب على ذلك كثرة القيل والقال في أمور الدين، حيث أصبحت السنة بدعة والبدعة سنة والمعروف منكراً والمنكر معروفاً.

س٤٤: قال الشافعي: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة» اشرح هذا الكلام وبين المراد منه؟

ج٤٤: هذا الحكم من الإمام الشافعي على أهل الكلام جاء تغليظاً لفعلهم وتعزيراً لهم لما وقع فيه من المخالفة للكتاب والسنة.

قال العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: «وهم مستحقون لما قاله الإمام

الشافعي من وجه ليتوبوا إلى الله ويرتدع غيرهم عن اتباع مذهبهم»[(١)].

كما نقل عن أبي يوسف: «من طلب العلم بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب».

والكيمياء علم يبحث في طبيعة الأجسام البسيطة وخصائصها ومما ينشأ عنها من المركبات وغير ذلك.

وعند القدماء علم يراد به تحويل بعض المعادن إلى بعض كتحويل الحجر إلى ذهب، ومن تتبع غرائب الحديث رماه الناس بالكذب.

س٤٥: قال بعض الخلف: «طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم» فهل ما يقولونه صحيح أم خطأ؟ علل لما تقول؟

ج٤٥: اشتهر عند كثير من المتكلمين تفضيل طريقة الخلف على مذهب السلف في باب الأسماء والصفات، وفي حقيقة الإيمان والتوحيد وغير ذلك.

وقد تصدى أهل العلم للرد على هذه الفرية، وتفنيدها وتجهيل وتضليل من قال بها، بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة بل في غاية الضلالة»[(٢)].

والرد على هذه المقالة من وجوه:

١. قولهم: إن مذهب الخلف أعلم وأحكم يناقض قوله طريقة السلف أسلم، فإن كون طريقة السلف أسلم من لوازمها كونها أعلم وأحكم؛ إذ لا سلامة إلا بالعلم والحكمة.

٢. إن اعتقادهم أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ النصوص بغير إثبات معناها اعتقاد باطل كذب على السلف.

٣. إن السلف هم ورثة الأنبياء والمرسلين، فقد تلقوا علومهم من ينبوع الرسالة وحقائق الإيمان، وأمَّا أولئك الخلف فقد تلقوا ما عندهم من المجوس وضلال اليهود واليونان فكيف يكون ورثة المجوس واليهود أحكم في أسماء الله وصفاته من ورثة الأنبياء والمرسلين.

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (٤/ ٧٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٥٦)، والصواعق المرسلة (١/ ١٦٢).

فهذه الدعوى غير صحيحة، بل إن طريقة السلف أعلم وأسلم، لأن الرسول ﷺ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»(١).

ولأن من كانت طريقته أسلم فهي أعلم وأحكم لكن الخلف ضلوا عن ذلك وعموا وصموا.

وأمَّا طريقة الخلف فإنهم تعمقوا في البحث وشغلوا عقولهم بما لا يمكنها أن تبلغه، وهذا باطل.

ولكن هؤلاء المتأخرين ظنوا أن طريقة السلف هي التفويض لمعاني النصوص إلى الله تعالى؛ لذلك جعلوها أسلم، وأمَّا طريقة الخلف عندهم فهي طريقة الاستفصال والتأويل؛ لذلك فهي عندهم أعلم وأحكم، وقولهم هذا يتضمن عدة محذورات:

الأول: أنه قدح في تبليغ النبي ﷺ للرسالة.

الثاني: أن السلف آمنوا بنصوص لا يفهمون معناها، وهذا انتقاص لهم.

الثالث: أن الدين كان ناقصاً حتى أتى الخلف ليكملوه ويسدوا خلله.

س٤٦: استعمل المتكلمون ألفاظاً لم يستعملها السلف كالجوهر، والعرض، والجسم وغيرها، عرِّف كلًا من «الجوهر، والعرض، والجسم»؟ وما موقف السلف من هذه الألفاظ مع التعليل؟ وهل معاني الألفاظ السابقة عند المتكلمين هي نفس معانيها في اللغة العربية؟

ج٤٦: الجوهر هو ما يقوم بذاته ولا يفتقر إلى غيره، وجوهر الشيء حقيقته وبدونه يصير الشيء مختلفاً أو معدوماً، والعرض هو القائم بغيره، والجسم هو ما تصح الإشارة إليه، ويمكن رؤيته بالأبصار، ويتصف بالصفات.

وموقف السلف من هذه الألفاظ هو أنهم لا يقبلونها على إطلاقها ولا يردونها مطلقاً، بل من تكلم بها سئل عن مراده، فإن أراد حقاً قبل وإن أراد باطلًا رد؛ والسبب أنها ألفاظ مجملة مشتملة على حق وباطل وليس معناها عند المتكلمين هو معناها في اللغة العربية؛ فإن جوهر الشيء هو أصله وطبيعته التي خلق عليها، والجسم في اللغة هو الكثيف الغليظ، والعرض: هو ما يعرض ثم يزول.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الشهادات، ب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، برقم: (٢٦٥٢)، ومسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، برقم: (٢٥٣٣).

ولكن السلف كرهوا هذه الألفاظ لاشتمالها على أشياء كثيرة مخالفة للكتاب والسنة، ولهذا فليس عند أهلها حتى العلماء منهم ما يوجد عند عوام المؤمنين من الإيمان والمعرفة واليقين.

القول في وحدانية الله

قال الطحاوي: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[منزلة التوحيد:]

اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله ﷻ قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال شعيب عليه السلام: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٨٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**»[1]، ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله.

[أنواع التوحيد:]

والتوحيد أول الأمر وآخره، أعني: توحيد الإلهية، فإن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: الكلام في الصفات.

والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء.

والثالث: توحيد الإلهية، وهو استحقاقه ﷻ أن يعبد وحده لا شريك له.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الزكاة، ب: وجوب الزكاة، برقم: (١٣٩٩)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله...، برقم: (٢٠)، عن أبي هريرة. وأخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، برقم: (٢٥)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله...، برقم: (٢٢)، من حديث ابن عمر.

[توحيد الأسماء والصفات:]

أما الأول: فهو الإيمان بالله ﷻ ذاتاً وأسماءً وصفاتٍ، وأفعالًا، على أن يكون ذلك الإيمانٌ مبنياً على نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، وذلك بدون تحريفٍ أو تعطيلٍ أو تكييفٍ أو تمثيلٍ أو تشبيهٍ، وسوف يأتي مزيد شرح ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

[توحيد الربوبية:]

وأمّا الثاني: وهو توحيد الربوبية، كالإقرار بأنه خالق كل شيء.

[توحيد الربوبية لم ينكره أحد:]

وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠][(١)].

[توحيد الألوهية وموقف المشركين منه:]

وأمّا الثالث: فهو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب، وهو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن خالق السموات والأرض واحد، كما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٥]، ومثل هذا كثير في القرآن، ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم.

وكذلك كان حال الأمم السالفة من المشركين الذين كذبوا الرسل، كما حكى الله تعالى عنهم في قصة صالح عليه السلام عن التسعة الرهط الذين تقاسموا بالله، أي تحالفوا بالله لنبيتنه وأهله، فهؤلاء المفسدون المشركون تحالفوا بالله على قتل نبيهم وأهله،

(١) توحيد الربوبية: هو توحيد الله بأفعاله سبحانه، وهو الإيمان: بأنه الخالق الرازق المدبِّر لأمور خلقه المتصرف في شؤونهم في الدنيا والآخرة، لا شريك له في ذلك، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣] الآية، وهذا النوع قد أقر به المشركون عُباد الأوثان وإن جحد أكثرهم البعث والنشور، ولم يدخلهم في الإسلام شركُهم بالله في العبادة وعبادتِهم الأصنام. قاله العلامة ابن باز في تعليقه على متن الطحاوية (فقرة رقم: ١).

وهذا بين أنهم كانوا مؤمنين بالله إيمان المشركين.

[توحيد الألوهية هو المقصود من دعوة الرسل:]

فعلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الإلهية الذي يتضمن توحيد الربوبية قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(١).

[معنى الفطرة:]

ولا يقال: إن معناه يولد ساذجاً لا يعرف توحيداً ولا شركاً، كما قال بعضهم لما ذكرنا، ولقوله ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ: «خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين» الحديث(٢).

وفي الحديث المتقدم ما يدل على ذلك حيث قال: «يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»، ولم يقل يسلمانه، وفي رواية: «يولد على الملة»، وفي أخرى: «على هذه الملة»(٣).

[توحيد الربوبية لا ينفع وحده:]

وعليه فلو أقر رجل بتوحيد الربوبية وهو مع ذلك لم يعبد الله وحده ويتبرَّأ من عبادة ما سواه كان مشركاً من جنس أمثاله من المشركين.

[تقرير القرآن لتوحيد الألوهية:]

والقرآن مملوء من تقرير هذا التوحيد وبيانه وضرب الأمثال له.

ومن ذلك أنه يقرر توحيد الربوبية، ويبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله، فيجعل الأول دليلا على الثاني، إذ كانوا يسلمون في الأول وينازعون في الثاني، فيبين لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله وحده، وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم لا شريك له في ذلك، فلِمَ تعبدون غيرَه وتجعلون معه آلهة أخرى؟!

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الجنائز، ب: ما قيل في أولاد المشركين، برقم: (١٣٨٥)، ومسلم، ك: القدر، ب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، برقم: (٢٦٥٨).

(٢) أخرجه مسلم، ك: الجنة ونعيمها وأهلها، ب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم: (٢٨٦٥).

(٣) انظر: صحيح مسلم، ك: الجنة ونعيمها وأهلها، ب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم: (٢٨٦٥).

كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٥٩ - ٦٠] الآيات، يقول الله تعالى في آخر كل آية: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾، أي: أإله مع الله فعل هذا؟ وهذا استفهام إنكار، يتضمَّن نفى ذلك، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله فاحتج عليهم بذلك.

وليس المعنى أنه استفهام هل مع الله إلهٌ، كما ظنه بعضهم؛ لأنَّ هذا المعنى لا يناسب سياق الكلام، والقوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى كما قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾ [الأنعام: ١٩]، وكانوا يقولون: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، لكنهم ما كانوا يقولون إن معه إلها: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٦]، وأمثال ذلك.

[التوحيد الذي دعت إليه الرسل:]

والمقصود: أن التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان:

١- توحيد في الإثبات والمعرفة. ٢- وتوحيد في الطلب والقصد.

[توحيد الإثبات والمعرفة:]

فالأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه؛ ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله ﷺ. وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح.

[توحيد الطلب والقصد:]

والثاني: وهو توحيد الطلب والقصد، مثل ما تضمنته سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وجملة سورة الأنعام.

[القرآن متضمن لنوعي التوحيد:]

وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن.

فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته. وإما خبر عن إكرامه لأهل

توحيده، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.

[القرآن كله يدور حول التوحيد:]

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم. ف ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ توحيد، و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ توحيد، و﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ توحيد، و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ توحيد، و﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ توحيد، متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين فارقوا التوحيد.

[التوحيد مغروز في الفطرة السليمة:]

وقد أودع في الفطرة التي لم تتنجس بالجحود والتعطيل، ولا بالتشبيه والتمثيل، أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته، وأنه الموصوف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسله، وما خفي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما يعرفونه منه، ومن كان هذا شأنه كيف يليق بالعباد أن يشركوا به، وأن يعبدوا غيره ويجعلوا معه إلهاً آخر؟!

[الرسل أكمل الخلق توحيداً لله:]

وأكمل الناس توحيداً لله الأنبياء صلوات الله عليهم، والمرسلون منهم أكمل في ذلك، وأولو العزم من الرسل أكملهم توحيداً، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين، وأكملهم توحيداً الخليلان محمد وإبراهيم صلوات الله عليهما وسلامه، فإنهما قاما من التوحيد بما لم يقم به غيرهما علماً ومعرفةً وحالًا ودعوةً للخلق وجهاداً، فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل ودعوا إليه وجاهدوا الأمم عليه.

الأسئلة والأجوبة على القول في وحدانية الله

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله أن الله واحد لا شريك له»، إلى مسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- منزلة التوحيد.

٢- أنواع التوحيد.

أ- توحيد الأسماء والصفات.

ب- توحيد الربوبية، وأنه لم ينكره أحد.

ج- توحيد الألوهية وموقف المشركين منه.

٣- توحيد الألوهية هو المقصود من دعوة الرسل.

٤- معنى الفطرة.

٥- توحيد الربوبية لا ينفع وحده.

٦- تقرير القرآن لتوحيد الألوهية.

٧- التوحيد الذي دعت إليه الرسل.

أ- توحيد الإثبات والمعرفة.

ب- توحيد الطلب والقصد.

٨ - القرآن متضمن لنوعي التوحيد.

٩- القرآن كله يدور حول التوحيد.

١٠-التوحيد مغروز في الفطرة السليمة.

١١- الرسل أكمل الخلق توحيداً لله.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له»؟

ج٢: إن الله تعالى واحد في كل شيء، واحد في ذاته، واحد في أفعاله، واحد في أسمائه وصفاته، واحد في استحقاقه للعبودية، لا شريك له في شيء من ذلك، فلا شريك له في خلقه وأمره، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣]، ولا شريك له في النفع والضر، والإماتة والإحياء، وغير ذلك من ألوان التصرف والتدبير في هذا الكون.

وكذلك لا شريك له في أسمائه وصفاته، ولا شريك له في ألوهيته واستحقاقه للعبودية، ولا يتم توحيد عبد حتى يتخلص من كل أنواع الشرك هذه، ويأتي بضدها من أنواع التوحيد الواجب عليه، فيوحده في ربوبيته وأفعاله، ويوحده في أسمائه وصفاته، فلا يصف مخلوقاً بما لا يستحقه إلا الخالق، ويوحده في ألوهيته فلا يصرف أيا من أنواع العبادة لغيره، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

س٣: ما هو التوحيد لغة واصطلاحاً؟

ج٣: التوحيد لغة: الاعتقاد في الشيء أنه واحد، والحكم بأنه واحد، والعلم بأنه

واحد، ونسبة الشيء إلى الوحدانية، وجعل الشيء واحداً.

واصطلاحاً: الإقرار بالقلب واللسانِ بأن الله رب كل شيء ومليكه وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، وأنه الخالق لكلِّ شيء، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وأنه الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه، ولا شريك له، ولا ند له، ثم إفراده بالعبادةِ، وذلك بصرفِ جميعِ أنواعِ العبادةِ له، وإخلاص الدين له، فهذا هو التوحيد الذي جاءت به الرسل بكل جوانبه ظاهراً وباطناً علماً وعملاً.

س٤: بيِّن المناسبة بين التوحيد اصطلاحا وبين معناه اللغوي؟

ج٤: المناسبة بينهما هي أن المعنى الاصطلاحي أخص من المعنى اللغوي، وهذا شأن المعاني الشرعية مع المعاني اللغوية كما في الصلاة والصوم والحج.

س٥: بيِّن حقيقة التوحيد ومفهومه عند أهل السنة مع بيان وجه الارتباط بين مفهوم التوحيد ومفهوم الإيمان؟

ج٥: حقيقة التوحيد ومفهومه عند أهل السنة هو إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، أما وجه الارتباط بين مفهوم التوحيد ومفهوم الإيمان فمفهوم التوحيد قام على أصلين:

الأول: إفراد الله تعالى بالربوبية والأسماء والصفات، وهذا النوع هو الاعتقاد القلبي.
والثاني: إفراد الله تعالى بالعبادة وهو عمل القلب، وعمل الجوارح.

أما مفهوم الإيمان: فهو قول القلب، وهو التصديق الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

وقول اللسان: وهو النطق بالشهادتين والذكر وعمل القلب كالإخلاص والمحبة وعمل الجوارح كالصلاة والصيام ويلاحظ أن بين أجزاء الإيمان السابقة تلازم قوي[1]؛ وذلك لأن أصل الإيمان هو ما في القلب، والأعمال الظاهرة لازمة؛ لذلك فلا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان سببا لنقص الإيمان الذي في القلب، فصار الإيمان متناولًا للملزوم واللازم، وإن كان أصله في القلب وحيث عطفت

(١) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين للسلمي (ص/ ٤٥٢).

عليه الأعمال فإنه أريد أنه لا يكتفى بإيمان القلب، بل لا بد معه من الأعمال الصالحة(١).

فإن قيل: إن العطف يقتضي التغاير في اللغة، فكأن الأعمال ليست من الإيمان، بل هي شيء خارج عنه.

يقال: إن العطف لا يقتضي التغاير دائماً، يقول الله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ [القدر: ٤]، فإن الروح وهو جبريل من الملائكة، فهو من باب عطف الخاص على العام، تنبيهاً على أهمية الخاص الذي هو جزء من العام.

ولهذا كان لأعمال القلب منزلة كبيرة بين أجزاء الإيمان؛ لأنها هي الطاقة المحركة لبقية أجزاء الإيمان؛ ولهذا اعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية أعمال القلب هي الأصول، وأعمال الجوارح هي الفروع، فأساس الإيمان أعمال القلب، وبقية أجزاء الإيمان تابعة لها(٢).

س٦: وضح أقسام التوحيد عند أهل السنة باعتبار تعلقه بالله ﷻ، وباعتبار ما يجب على العبد؟

ج٦: استنبط العلماء بعد استقراء تام لنصوص الكتاب والسنة أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام.

يقول الشيخ محمد الأمين: «وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده في ربوبيته.

الثاني: توحيده جل وعلا في عبادته.

الثالث: توحيده جل وعلا في أسمائه وصفاته»(٣).

أما أنواع التوحيد باعتبار ما يجب على العبد فقد تنوعت عبارات العلماء، واختلفت ألفاظهم:

فمن العلماء من عبر عنه بقوله: «التوحيد القولي، والتوحيد العملي»(٤).

ومن العلماء من عبر عنه بقوله: «توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد القصد والطلب»(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٥٥).

(٢) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص/ ٤٥٣).

(٣) أضواء البيان (٣/ ٤١١).

(٤) مجموع الفتاوى (١/ ٣٦٧).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (ص/ ٨٩).

ومن العلماء من عبر عنه بقوله «التوحيد العلمي الخبري، والتوحيد الإرادي الطلبي»(١).

ومن العلماء من عبر عنه بقوله: «توحيد المرسِل، وتوحيد المرسَل»(٢).

س٧: ما علاقة أقسام التوحيد بحقيقة الإيمان ومسماه عند أهل السنة؟

ج٧: تقدم ذكر أن التوحيد من الإيمان، والإيمان عند السلف قول وعمل.

والقول هو قول القلب وهو تصديقه بما أخبر الله تعالى به، ومنه توحيد الربوبية والأسماء والصفات،وقول اللسان، ومنه شهادة أن لا إله إلا الله وهي توحيد الألوهية.

والعمل هو عمل القلب مثل المحبة والخوف والرجاء والتوكل والخضوع والرغبة والرهبة، وعمل الجوارح، والمراد بالعمل هنا توحيد الألوهية، وعلى هذا فقول السلف في التوحيد فرع عن قولهم في الإيمان(٣).

س٨: ما حقيقة التوحيد عند أهل الكلام؟

ج٨: هو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأكوان، وأنه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد(٤)، وقال بعضهم هو: «واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وخالق لمصنوعاته»(٥).

فنجد أنهم يقسمون التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

١. توحيد الذات، ٢. توحيد الصفات، ٣. توحيد الأفعال.

قال الشهرستاني: «إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له»(٦).

المقصود أن التوحيد اعتقادي، وعملي، فالاقتصار على التوحيد الاعتقادي وإهمال التوحيد العملي خطأ بين والله أعلم.

س٩: ما الفرق بين أقسام التوحيد عند أهل السنة وعند أهل الكلام؟

ج٩: إذا قارنا بين أقسام التوحيد عند أهل السنة وعند أهل الكلام فإننا نجد أن توحيد الربوبية عند أهل السنة يقابله توحيد الأفعال عند المتكلمين؛ لأن المعنى المراد

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٤٦).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٨٧).

(٣) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص/ ١١٦).

(٤) رسالة التوحيد لمحمد عبده (ص/ ٥).

(٥) ضوء المعالي للقاري (ص/ ١٣).

(٦) الملل والنحل (١/ ٤٢).

منهما واحد، وهو إفراد الله تعالى بأفعاله المتعدية من الخلق والرزق والتدبير، ويزيد مفهوم الربوبية عند أهل السنة بأنه يتضمن الانفراد بالملك والسيادة المطلقة، وهذه الزيادة في المعنى يدخلها أهل الكلام في الصفات ولا ينكرونها، كما أننا نجد أن توحيد الأسماء والصفات عند أهل السنة يقابله توحيد الذات والصفات عند أهل الكلام، أما توحيد الألوهية فإننا لا نجد ما يقابله عند أهل الكلام وهم يفسرون الإله بمعنى الرب.

وعلى هذا فإنهم يفسرون توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية.

س١٠: ما هو خطأ المخالفين لأهل السنة في تعرفهم للتوحيد؟

ج١٠: خطؤهم أنهم لا يتعرضون لتوحيدِ الألوهيةِ ويفسرونه بتوحيد الربوبية، فظنوا أنه المطلوب من العبادةِ وأن معنى لا إله إلا الله: لا خالق إلا الله، أو لا قادر على الاختراع إلا الله.

فأفنوا أعمارهم بما لم ينازع فيه المشركون، لكن لم ينفعهم ذلك، ولم يدخلهم في الإسلام.

ومعلوم أن المقصد الأعظم الذي أرسل لأجله الرسل، وأنزلت الكتب، وخلق له الجن والإنس هو عبادة الله وحده لا شريك له، فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله.

س١١: ما هي حقيقة «لا إله إلا الله» عند أهل السنة ومخالفيهم؟

ج١١: المقرون بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» افترقوا في معناها على أربع فرق(١):

قالت الفرقة الأولى: معناها لا معبود إلا الله، وبناء على ذلك فإنهم ألَّهوا كل معبود من دون الله، قالوا: لأن الله أخبر في كتابه بأنه قضى وقدر أن لا يعبد إلا هو، فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، فمن المحالِ أن يعبد إلا الله، فكل معبود عندهم هو الله حقاً، فالعجل هو الله وفرعون هو الله حقاً، والبقر هو الله، والكواكب هي آلهة حقاً، وكذا الأصنام، وهذا هو مذهب أهل الحلول والاتحاد.

وقالت الفرقة الثانية: معناها لا موجود إلا الله، فليس لله تعالى وجود سوى هذا العالم المرئي، وهؤلاء أصحاب وحدة الوجود.

وقالت الفرقة الثالثة: إن معنى لا إله إلا الله هو القدرة على الاختراع، وإن من اعتقد أن الله هو وحده القادر على الاختراع فقد حقق معنى لا إله إلا الله، وهذا مذهب أهل الكلام.

---

(١) انظر كتاب سبيل الهدي والرشاد.

والفرقة الرابعة: هم أهل السنة والجماعة، فإنهم فسروا لا إله إلا الله بـ: لا معبود بحق إلا الله، فأثبتوا معبودات غير الله إلا أنها معبودات باطلة والمعبود الحق هو الله تعالى.

س١٢: اذكر موقف أهل الكلام من توحيد الألوهية؟

ج١٢: تقدم ذكر أقسام التوحيد عند أهل الكلام، ولم يذكروا فيها توحيد الألوهية ولهذا لا تكاد تجد لتوحيد الألوهية ذكراً في مصنفاتهم، كما لا تجد ذكراً للشرك في الألوهية ولا تحذيراً منه مع خطورته وكثرة انتشاره، كما أنهم فسروا الإله بالقادر على الاختراع(١).

س١٣: وضح كيف أن أهل الكلام «الأشاعرة والماتريدية» مرجئة في التوحيد كما أنهم مرجئة في باب الإيمان؟

ج١٣: الإرجاء هو تأخير العمل عن الإيمان، والإيمان يشمل الدين كله بما في ذلك التوحيد.

المقصود أن أهل الكلام أخروا العمل عن مسمى الإيمان واقتصروا على الاعتقاد في مسمى الإيمان، كذلك أخروا العمل عن مسمى التوحيد واقتصروا على التوحيد الاعتقادي، وأهملوا التوحيد العملي، فلا يعدون توحيد الألوهية نوعاً من أنواع التوحيد، ولا يرون أنه من حقيقة التوحيد الذي يقع فيه الشرك، بل يرون أن العبادات من كمالات التوحيد الواجبة والمستحبة(٢).

س١٤: ما تقول في كافر أتى بشيء من خصائص الإسلام هل يكون مسلماً أم لا؟

ج١٤: يكون مسلماً بكل ما هو من خصائص الإسلام مثل الصلاة والحج، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقله شارح الطحاوية مقرراً له.

وذهب البعض إلى أنه لا يحكم للمعين بالإسلام إلا إذا تلفظ بالشهادتين، واستدلوا بأن النبي ﷺ قال: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»**(٣)، فجعل الواجب التلفظ بها، وكذلك فإن أركان الإسلام تالية على النطق بالشهادتين كما في حديث: **«بُني الإسلام...»**، فالذي يظهر لي - والله أعلم - أن القول الثاني أقرب للصواب.

---

(١) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص/ ١٢٣).

(٢) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص/ ١٢٥).

(٣) أخرجه البخاري، ك: الصلاة، ب: فضل استقبال القبلة، برقم: (٣٩٢)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله...، برقم: (٢١).

قال ابن العربي المالكي: «لا يكفي فيه أن يقول: أنا مسلم، ولا أنا مؤمن، ولا أن يصلي حتى يتكلم بالكلمة العاصمة التي علق النبي ﷺ الحكم بها عليه في قوله: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»[١].

س١٥: ما هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله عند أهل الكلام؟

ج١٥: أهل الكلام جعلوا توحيد الربوبية هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله؛ لذا فسروا كلمة التوحيد بأنها دالة على الربوبية، وأن معنى الإله هو القادر على الاختراع والصنع، وهذا باطل لما يأتي:

١- أن هذا القول لا يعرف في لغة العرب، وليس من استعمالهم، والقرآن جاء بلسان عربي مبين فلا يصح أن يفسر القرآن بغير لغته.

٢- أن هذا القول مخالف لاستعمال القرآن لهذا المفهوم.

٣- أن هذا القول مخالف لأقوال الصحابة والتابعين.

٤- أنه ترتب على هذا القول: اتحاد توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ورد الأول للآخر، وهذا من أعظم الباطل لمخالفته للقرآن والسنة ودعوات الأنبياء وحال المشركين[٢].

س١٦: ما هي حقيقة الشرك عند أهل الكلام؟

ج١٦: تقدم أن أهل الكلام حصروا حقيقة التوحيد في توحيد الربوبية فقط، وأمَّا توحيد الألوهية فقد ألغي مفهومه برده إلى توحيد الربوبية؛ لذا أخرجوا الشرك العملي من حقيقة الشرك، وحصروا مفهوم الشرك على الشرك في الاعتقاد حيث إنهم لا يعتبرون الاستغاثة والاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وكذا الذبح والنذر والطواف بالقبور شركاً إلا إذا تضمن اعتقاد ربوبية من صرفت له العبادة فكل الأعمال القلبية والظاهرية إذا صرفت لغير الله لا تعتبر عندهم شركاً إلا إذا تضمنت اعتقاد الربوبية لغير الله[٣] المقصود إن الشرك يقع في العمل كما يقع في الاعتقاد، فإهمال الشرك العملي والاقتصار على الاعتقادي خطأ.

س١٧: ما هي آثار إهمال توحيد الألوهية على المتكلمين المتأخرين؟

ج١٧: لقد أثر منهج أهل الكلام عندما أهمل توحيد الألوهية إلى درجة تسويغ

---

(١) أحكام القرآن (١/ ٤٨٢).

(٢) انظر حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص٤٧٧).

(٣) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص٤٩٨).

الشرك باسم التوحيد، فمثلًا يرى أحدهم أن الاستغاثة بالأنبياء والصالحين والملائكة وكذا الذبح والنذر لهم من محبتهم وإكرامهم[١].

س١٨: ما الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية؟

ج١٨: لما كان التوحيد المتعلق بالاعتقاد مجمع على إثباته بين أهل السنة وأهل الكلام، وقد وقع الخلاف في إثبات التوحيد العملي كان لا بد من بيان التفريق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ونذكر التفريق بينهما على وجه الإجمال:

١- أن اشتقاق الألوهية من الإله، واشتقاق الربوبية من الرب، ولكل واحد منهما مفهوماً مغايراً للآخر.

٢- أن توحيد الربوبية أقر به المشركون في الجملة، أما توحيد الألوهية فقد وقعت فيه الخصومة بين الرسل وأقوامهم، ولو كانت الألوهية هي الربوبية لما حصل نزاع بين الرسل وأقوامهم.

٣- أن مدلول توحيد الربوبية ومعناه مدلول علمي اعتقادي، أما توحيد الألوهية فمدلوله عملي.

٤- أن متعلق توحيد الربوبية الأمور الكونية كالخلق والرزق والإحياء والإماتة، ومتعلق توحيد الألوهية الأوامر والنواهي.

٥- أن توحيد الربوبية هو توحيد الله بأفعاله تعالى، ومهمة العباد في هذا التوحيد هو التصديق والاعتقاد بموجبه، أما توحيد الألوهية فهو توحيد الله بأفعال العباد من الرغبة والرهبة والمحبة والرغبة والصلاة والصوم.

س١٩: اشرح قول ابن أبي العز: «ولهذا كان الصحيح أن أول واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك»؟

ج١٩:معرفة الله والإقرار بربوبيته فطرة لازمة للإنسان لا تنفك عنه عند أهل السنة؛ لذا فأول واجب على المكلف عندهم هو شهادة أن لا إله إلا الله وهي إفراد الله بالعبادة، أما أهل الكلام فأنكروا فطرية المعرفة وجعلوا أول واجب على المكلف المعرفة أو النظر الموصل إليه، ويريدون بالنظر هو النظر في الأدلة العقلية المنطقية على وجود الله،

(١) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص٥٠٠).

وهذه طريقة الأشاعرة والماتريدية وغيرهم.

وذهب بعضهم إلى أن أول واجب القصد إلى النظر، ومعناه: القدرة على التعبير على وجود الله فقط باصطلاح المتكلمين من الأدلة المنطقية.

وذهب أبو هاشم الجبائي المعتزلي إلى أن أول واجب الشك في الله وفي النبوة والرسالة[١].

س٢٠: ما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]؟

ج٢٠: الاستفهام استفهام تقرير وليس إنكار.

قال الشنقيطي: «إن كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير يراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة، نحوُ: قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقد زعم بعضهم أن هذا الاستفهام استفهام إنكار، وليس بصحيح؛ لأن استقراء القرآن دل على أن الاستفهام المتعلق بالربوبية استفهام تقرير وليس استفهام إنكار؛ لأنهم لا ينكرون الربوبية كما رأيت كثرة الآيات الدالة عليه»[٢].

س٢١: ما معنى قول ابن أبي العز في شرح الطحاوية: «فإن نفاة الصفات أدخلوا نفي الصفات في مسمى التوحيد كجهم بن صفوان ومن وافقه، فإنهم قالوا: إثبات الصفات يستلزم تعدد الواجب»؟

ج٢١: يرى أهل الكلام أن ما جاء في القرآن والسنة من الأسماء والصفات لا يصح أن ينسب جميعه إلى الله تعالى على الحقيقة، ثم اختلفوا فيما يجوز أن يثبت لله تعالى، وما لا يجوز أن يثبت له من الأسماء والصفات.

وقد اتفق أهل الكلام على وجوب نفي الصفات أو بعضها، ولعل السبب الذي دعاهم لنفي الصفات وجود بعض الشبهات التي يعتقدون أنها توجب ما صاروا إليه من نفي الصفات منها شبه تعدد القدماء[٣]، وهذه الشبهة من شبهات المعتزلة، ومعنى تعدد الواجب:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٣٢٨)، فتح الباري (١٣/ ٣٤٩).

(٢) أضواء البيان (٣/ ٤١٤).

(٣) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة و المتكلمين (ص ٢٨٢).

هو تعدد الآلهة، وأصل شبهة هؤلاء أنهم قالوا: أخص وصف للرب هو القدم، يعنى: أن من الصفات الخاصة لله التي لا يوصف بها إلا هو سبحانه صفة القدم، أي: كونه قديماً ثم قالوا: لو جعلنا لله صفات فلا بد أن تكون هذه الصفات قديمة فبهذا نكون قد جعلنا مع الله قدماء.

وهذا الكلام باطل من وجوه:

١- أن قولهم: أخص وصف للرب هو القدم ليس بصحيح بل هذا الوصف يوصف به الرب وأسماؤه وصفاته.

٢- أن أخص وصف للرب هو كونه غنيا عمن سواه، ورب العالمين، وأنه على كل شيء قدير إلى آخر الصفات التي لا يوصف بها إلا الرب سبحانه.

٣- أن الصفة ليست مستقلة حتى يقال: إنه يلزم التعدد، بل الصفة قائمة بالموصوف لا تنفك عنه ولا تنفصل.

٤- أن الله قد عدد له صفات وأفعال كقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ [الأعلى: ١ - ٤]، ففي هذه الآيات ذكر الله لنفسه صفات كثيرة مع أنه سبحانه واحد ولم يلزم من تعدد الصفات تعدد القدماء[(١)].

س٢٢: وضح كيف يفضي التعطيل عند الجهم إلى القول بالحلول والاتحاد مع بيان معنى الحلول والاتحاد؟

ج٢٢: أفضى التعطيل عند الجهم إلى القول بالحلول والاتحاد؛ وذلك بأن الصفات هي التي بها نميز بين وجود الله ووجود المخلوق، فإذا انتفى هذا المميز فلا يفرق بين وجود الخالق ووجود المخلوق فيصير الوجود واحدا، وهذا هو حقيقة مذهب أولئك، فأول أمرهم نفي الصفات وآخره أن قالوا: ما ثم موجود إلا الله.

أمَّا معنى «الاتحاد» فهو اعتقاد كون وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيء سواه البتة.

وأما معنى «الحلول» فهو اعتقاد أن الله يحل في المخلوقات.

والفرق بين الاتحادية والحلولية أن الاتحادية يزعمون أن الكون كله هو الله، ولا فرق بين وجود الكون ووجود الله، وأمَّا الحلولية فيثبتون وجودين:

---

(١) شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص٢٨ - ٢٩).

١- وجود الله.

٢- وجود المخلوق، لكن يجعلون الثاني محلًا وظرفاً للأول، يعني: أن الله يحل في عباده[1].

س٢٣: بين ما يترتب على قول جهم في التوحيد من المفاسد؟

ج٢٣: تقدم ذكر قول جهم في التوحيد، وأنه أفضى إلى القول بالحلول والاتحاد، وقد ذكر شارح الطحاوية ما يترتب على قول الجهمية في التوحيد من المفاسد فقال: «ومن فروع هذا التوحيد: أن فرعون وقومه كاملوا الإيمان عارفون بالله على الحقيقة»؛ ووجه ذلك أن فرعون قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] حيث علم أنه هو الله وقومه عبدوه؛ لأن كل ما في الكون هو الله، وكذلك من مفاسده أن عباد الأصنام على الحق والصواب وأنهم إنما عبدوا الله لا غير، ومن لوازم هذا التوحيد أن يكون الأنبياء قد ضيقوا على الناس واسعاً بحيث ألزموا الناس بعبادة الله وحده بينما عند الاتحادية من عبد غير الله من حجر أو شجر فهو عابد لله حقيقة.

س٢٤: وضح ما هو دليل التمانع، ولماذا سمي بذلك؟ وهل هو دليل صحيح في إثبات توحيد الربوبية؟

ج٢٤: سمي بالتمانع؛ لأنه مبني على فرض التمانع بحيث يتبين تمانع الإلهية عن الألوهية: أي: تمانع الصانعين عن الصنع، وهو دليل عقلي صحيح في تقرير توحيد الربوبية، لكن جعل قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] دليلًا على التمانع في الربوبية غير صحيح؛ وذلك لما يلي:

١- أن هذه الآية تدل على إثبات توحيد الألوهية حيث قال: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ ﴾ ولم يقل: لو كان فيهما رب. بينما دليل التمانع يدل على إثبات الربوبية.

٢- أن الفساد المذكور في الآية معناه التخريب والهلاك للسموات والأرض لو فرض وجود آلهة معه سبحانه، بينما الفساد المذكور في الآية في دليل التمانع معناه عدم وجود، وعدم تكوين السموات والأرض، وبهذا يتبين مخالفة دليل التمانع[2] للآية، وأما صفة دليل التمانع

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٣٧٦)، بغية المرتاد (٣٩٤)، التعريفات (٨، ٩٢)، وتعليق العدني على شرح الطحاوية (٢٩).

(٢) انظر: الماتريدية لشمس الدين الأفغاني رحمه الله (٣/ ١٦٩).

الذي استدل به المتكلمون على امتناع تعدد الرب عقلًا، أنا لو فرضنا وجود خالقين مدبرين مثلًا وأراد أحدهما تحريكاً لجسم والآخر يريد تسكينه، أو أراد أحدهما إماتته والآخر يريد إحياءه؛ فإما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد أي منهما. فالأول ممتنع؛ لأنه يستلزم الجمع بين الضدين والثاني: ممتنع؛ لأنه يستلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهذا ممتنع ويستلزم عجز كل واحد منهما - والعاجز لا يكون إلها - فلا يبقى إلا أن يحصل مراد أحدهما دون الآخر، وحينئذ صار هو الإله القادر، والآخر صار إلهاً عاجزاً لا يستحق مقام الربوبية بعجزه، وهذا الدليل في إثبات وحدانية الرب، فإثباته ذلك ثابت بالنقل والعقل، كما قال تعالى: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]. والعقل يشهد بما نراه من إحكام وإتقان واستقرار في الكون ما يدل على أن الخالق لكل هذا واحد لا أكثر.

س٢٥: هل الإقرار بالربوبية فطري أم يحتاج إلى نظر واكتساب؟

ج٢٥: الإقرار بالربوبية أمر فطري مغروز في طبيعة البشر، وفي شعور كل عاقل وضميره؛ وذلك لما وقر في نفوسهم من عجز المخلوقين عن الخلق والرزق والتدبير، والنفوس بطبعها تحسها وتشعر بها وإن غابت عنها في بعض الأحيان لسبب طارئ، فسرعان ما تجد نفسها مضطرة إلى اللجوء إليها عند الشدائد.

وخالف أهل الكلام وأنكروا فطرية المعرفة، وأن إثبات وجود الله ليس ضرورة ولا فطرة في النفس، فيجب النظر العقلي لإثبات وجود الله فأوجبوا النظر على كل مكلف ولم يذكروا وسيلة حصول المعرفة إلا بالنظر العقلي(١).

س٢٦: اشرح قول ابن أبي العز: «وهذا التوحيد يعني: توحيد الربوبية حق لا ريب فيه، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية»؟

ج٢٦: وقع خلاف بين أهل السنة وبين مخالفيهم في تحديد الغاية من خلق الخلق وإرسال الرسل، فأهل السنة يقولون: إن الغاية من خلق وإرسال الرسل: هي عبادة الله وحده كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وكما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

أما أهل الكلام فجعلوا الغاية العظمى من خلق الخلق وإرسال الرسل هي توحيد

(١) انظر: درء التعارض (٨/ ٣٥٤، ٤٦٨)، وحقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص ١٦٣).

الربوبية، وأنهم إذا أثبتوه بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد، وهذا خطأ، ووجه ذلك ما يلي:

١- أن توحيد الربوبية نوعٌ من التوحيد، فهو بعضه لا جميعه.

٢- أن مجرد الإقرار بهذا التوحيد فقط لا يوجب الدخول في الإسلام، فمشركوا العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، ومع هذا سماهم الله مشركين[1]. فكيف يكون هو الغاية من بعثة الرسل.

س٢٧: ما هي ثمرات التوحيد وفضله في الدنيا والآخرة؟

ج٢٧: من ثمرات التوحيد:

١- قبول العمل الصالح:

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فقبول الأعمال والأقوال الصالحة متوقف على التوحيد.

٢- الأمن في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

٣- النصر والعز في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

٤- تحرير العبد من عبودية غير الله.

فإن التوحيد الصافي يحرر الإنسان من التعلق بغير الله من المخلوقين، والآلهة الباطلة ويشعر الإنسان بعزته وكرامته، إذ هو غير عابد لله تعالى وحده، فلا سلطان لأحد عليه، وقد تحرر عقله من الخرافات والخزعبلات والترهات، فهو لا يخاف إلا من الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يتعلق بغير الله، وهذه من أعظم ثمرات التوحيد وفضائله.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٩٨).

٥- دخول الجنة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١].

س٢٨: اذكر بعض الصور التي فيها حماية الشرع لجناب التوحيد؟

ج٢٨: من صور حماية الشرع لجناب التوحيد:

١- النهي عن الغلو فيه ﷺ وتحريم ذلك.

ومما يدل عليه ما جاء عن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**» أخرجاه[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «**إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**»[(٢)].

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**هلك المتنطعون - قالها ثلاثا -**»[(٣)].

ومن ذلك: النهي عن اتخاذ قبره ﷺ عيداً، وقد ورد ذلك في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**».

رواه أبو داود[(٤)].

٢- التحذير من الغلو في الصالحين، واتخاذ قبورهم مساجد.

وقد ورد التغليظ في هذا الشأن كما جاء عند الإمام مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا. ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون**

---

(١) أخرجه البخاري، ك:أحاديث الأنبياء، ب: قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، برقم: ٣٤٤٥.

(٢) رواه النسائي، ك: المناسك، ب: التقاط الحصى، برقم: ٣٠٥٧، وابن ماجه، ك: المناسك، ب: قدر حصى الرمي، برقم: ٣٠٢٩. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (١٢٨٣).

(٣) صحيح مسلم، ك: العلم، ب: هلك المتنطعون، برقم: (٢٦٧٠).

(٤) أخرجه أبو داود، ك: المناسك، ب: زيارة القبور، برقم: (٢٠٤٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٧) بإسناد حسن، وهو على شرط مسلم، وهو صحيح بشواهده، كما قال الشيخ الألباني في أحكام الجنائز (ص ٢١٩)، وانظر: صحيح الجامع الصغير برقم: (٧٢٢٦).

قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[(١)].

٣- التحذير من كل قول ينافي أصل التوحيد أو كماله الواجب.

ومن ذلك النهي عن الحلف بغير الله تعالى، كما قال النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[(٢)].

٤- التحذير من الغلو في أماكن مخصوصة.

وذلك لأنه ذريعة للإشراك بالله تعالى، لذا نهى النبي ﷺ عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة، وقصد عمر رضي الله عنه إلى شجرة بيعة الرضوانِ فقطعها خوفاً من تعظيمِ الناسِ لها.

س٢٩: ما هي خصائص أهل التوحيد؟

ج٢٩: لأهل التوحيد خصائص وصفات يتميزون بها عن غيرهم، وهذا بفضل الله تعالى بسبب توحيدهم وبركته، فمن ذلك:

١- أهل التوحيد يبتغون إلى الله الوسيلة.

قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦ - ٥٧].

فبين الله فيها أن الملائكة الذين كان بعض المشركين يعبدونهم، وكذلك صالحي الجن، وعيسى وعزيرا وغيرهم، كل هؤلاء الذين عبدوا من دون الله هم أنفسهم يدعون الله تعالى ويرجون رحمته ويبتغون إليه الوسيلة ويخافون عذابه.

٢- أهل التوحيد يحققون التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

ويتحقق بأمرين: نفي الألوهية عما سوى الله ﷻ.

إثباتها له سبحانه وحده لا شريك له.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: النهي عن بناء المساجد على القبور، برقم: (٥٣٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٤، ٦٧، ٦٩، ٨٧، ٩٨، ١٢٥)، وأبو داود ك: الأيمان والنذور، ب: في كراهية الحلف بالآباء، برقم: (٣٢٥١)، والترمذي، في النذور، ب: ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، برقم: (١٥٣٥)، وحسنه، والحاكم في المستدرك (١/ ١٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٩)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه أيضاً الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٦٢٠٤).

٣- أهل التوحيد يتبرؤون من الشركِ وأهله.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧].

٤- أهل التوحيد يوجبون إخلاص العبادة لله تعالى وحده.

٥- أهل التوحيد يعلمون أن الله هو النافع الضار وحده.

٦- أهل التوحيد يرون وجوب الاعتماد على الله وحده ولا يتعلقون بغيره.

٧- أهل التوحيد يقدمون قول الرسول ﷺ على كل قول.

س: بين طرق أهل السنة والجماعة في بيان أقسام التوحيد؟

ج: لأهل السنة والجماعة طريقان في بيان أقسام التوحيد، وذلك على النحو التالي:

١- ذهب جماعة من علماء أهل السنة إلى أن التوحيد قسمان:

أ - توحيد المعرفة والإثبات، أو التوحيد العلمي الاعتقادي الخبري: ويقصد به ما يجب اعتقاده في حق الله تعالى ذاتاً وأفعالًا وصفاتٍ.

ب - توحيد الطلب والقصد والإرادة: وهو توحيد الله بأفعال العباد بمعنى أن يقصد بالأعمال كلها وجه الله تعالى وحده لا شريك له.

٢- وذهب فريق آخر من علماء أهل السنة إلى أن التوحيد ثلاثة أقسام:

أ - توحيد الربوبية: أي إثبات انفراد الله تعالى بأفعال الربوبية من خلق وملك ورزق وتدبير.

ب - توحيد الأسماء والصفات: أي إثبات أسماء الله وصفاته على معانيها الحقيقية مع نفي مشابهة الغير له فيها.

ج - توحيد الألوهية: أي العبودية، وذلك بصرف العبادة بجميع أنواعِها لله تعالى وحده.

س٣٠: هل هناك منافاة بين تقسيم التوحيد إلى الثنائي أو الثلاثي؟

ج٣٠: لا منافاة بين القولين السابقين، لأن من جعلها قسمين فقد أجمل، وجعل الربوبية والأسماء والصفات توحيداً علمياً، وتوحيد الألوهية توحيداً عملياً.

ومن جعلها ثلاثة أقسام فقد فصل في التقسيم.

فتقسيم التوحيد إلى قسمين باعتبار ما يجب على الموحد من العلم والعمل، وتقسيمه إلى ثلاثة أقسامِ باعتبار متعلقه وموضوعه ولا تعارض ولله الحمد.

س٣١: هل دل القرآن على هذا التقسيم؟

ج٣١: نعم، قد دل القرآن على هذا التقسيم؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال جل وعلا: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

فالآية الأولى في توحيد الربوبية، والثانية في توحيد الألوهية، والثالثة في توحيد الأسماء والصفات.

وقد جمعت هذه الأقسام في سورة الفاتحة وفي قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

س٣٢: هل المشركون الذين بعث فيهم النبي ﷺ كانوا معترفين بتوحيد الربوبية؟

ج٣٢: نعم، كانوا معترفين بتوحيد الربوبية، ولم يجعلوا أحداً من آلهتهم شريكاً لله تعالى في ربوبيته من الخلق والرزق والملك والتدبير والتصريف، وأخبر الله عنهم ذلك، قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

س٣٣: ما هي أقسام التوحيد عند الماتريدية؟

ج٣٣: التوحيد عندهم ثلاثة أقسام:

١- توحيد في الذات، فالله لا قسيم له، أي لا يتبعض ولا يتجزأ.

٢- توحيد في الصفات، فالله لا شبيه له.

٣- توحيد في الأفعال والصنع، فالله لا شريك له(١).

وفي ذلك يقول الملا علي القاري: «واحد في ذاته، واحد في صفاته، وخالق لمصنوعاته»(٢).

ويقول البابرتي: «وعبَّر بعض أصحابنا عن التوحيد فقال: هو نفي الشريك والقسيم والشبيه، فالله تعالى: واحد في أفعاله لا يشاركه أحد في إيجاد المصنوعات، وواحد في

---

(١) انظر: العقائد النسفية مع شرحها للتفتازاني (ص٣٩). (٢) ضوء المعاني (ص١٣).

ذاته لا قسيم له، ولا تركيب فيه، وواحد في صفاته لا يشبه الخلق فيها»[(١)].

س٣٤: ما هي أقسام التوحيد عند الاشاعرة؟

ج٣٤: الأشاعرة قد سلكوا مسلك الماتريدية نفسه في تقسيم التوحيد.

قال الشهرستاني: «إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له»[(٢)].

س٣٥: بين خطأ الماتريدية والأشاعرة في تقسيمهم للتوحيد؟

ج٣٥: خطؤهم يتبين في النقاط التالية:

١- أنه لا يوجد عندهم توحيد الألوهية ولا اهتموا به مع أن توحيد الألوهية هو المقصد الأعلى والهدف الأسمى من خلق الكون وما فيه، ومن إنزال الكتب وإرسال الرسل.

٢- اهتمامهم الكبير بتوحيد الربوبية، فقد جعلوه هو المقصد الأعلى والغاية العظمى مع أنه أمر نظري، لم يختلف فيه أهل الملل والنحل.

٣- قصدهم بتوحيد الذات أن الله لا يتجزأ، ولا يتبعض، بل هو سبحانه أحد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد[(٣)].

وهذا حق، لكنهم أدخلوا فيه نفي كثير من الصفات كالوجه واليدين، وأدخلوا فيه نفي علو الله على خلقه واستوائه على عرشه، فهم يظنون أنه لو ثبتت لله هذه الصفات لكان الله مركبا مبعضا، فكلامهم هذا من قبيل كلمة حق أريد بها باطل.

س٣٦: ما هي أقسام التوحيد عند الصوفية؟

ج٣٦: التوحيد عندهم ثلاثة أقسام:

١- توحيد العامة: وهو توحيد الألوهية.

٢- توحيد الخاصة: وهو الذي يثبت بالحقائق، أي: يثبت بالمكاشفات.

٣- توحيد خاصة الخاصة: وهو التوحيد القائم في ذات الله بزعمهم حتى تسقط التكاليف عن الموحد.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للبابرتي (ص٢٩).
(٢) الملل والنحل (١/ ١٤٠).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٠٠).

س٣٧: بين خطأ الصوفية في تقسيمهم للتوحيد؟

ج٣٧: من الواضح أن الصوفية قد انحرفوا جدا عن مذهب أهل السنة ومنهجهم في تقسيم التوحيد، فقد جعلوا توحيد الألوهية - الذي بعثت الرسل بتقريره والدعوةِ إليه - توحيد العامة، وأدنى أنواع التوحيد.

وأما النوعان الثاني والثالث: فهما مفضيان إلى القول بالحلول والاتحاد. وهذان النوعان لم يعرفهما الأنبياء والرسل فهم أعلى منزلة من الأنبياء والرسل كما زعموا، مع أن الله تعالى جعل كل من أعرض عن ملة إبراهيم عليه السلام مسفهاً لنفسه، فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٣٠].

س٣٨: وضح دلالة: «لا إله إلا الله» على التوحيد بكل أنواعه؟

ج٣٨: ١- أما دلالتها على توحيد الألوهية فواضح، حيث إنها نفت الإلهية عما سوى الله ﷻ، وأثبتت الإلهية لله وحده لا شريك له.

٢- دلالتها على توحيد الربوبية.

قد دلت كلمة التوحيد على توحيد الربوبية على سبيل التضمن، فتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية بالدلالة، وذلك لأنه لا يستحق أن يفرد بالعبادة إلا من كان منفرداً بالربوبية.

٣- دلالتها على توحيد الأسماء والصفات.

وذلك لأن إثبات وجود الله أصلًا يعد إثباتاً لأسمائه وصفاته، وذلك لأنه لا يتصور وجود ذات دون أسماء وصفات؛ لأن هذا لا يصح إلا في حق الممتنعات والمعدومات.

س٣٩: أورد أهل البدع شبهاً حول تقسيم أهل السنة للتوحيد اذكرها مع الرد عليها؟

ج٣٩: شبه أهل البدع حول تقسيم أهل السنة للتوحيد كما يأتي:

١- أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام ليس له حقيقة شرعية، بل هو تقسيم اصطلاحي.

٢- أن أقسام التوحيد ليست من الثوابت، وأنها محدثة في القرن السابع.

٣- أن أقسام التوحيد لا تستلزم الولاء والبراء.

٤- دعوى البعض أن هذا التقسيم ناقص وزادوا عليه توحيد الحاكمية.

ويرد على الشبهة الأولى بأن هذا التقسيم حاصلٌ بالاستقراءِ التام لنصوص الشرع، فالأدلة متظافرة على إثبات هذه الأقسام الثلاثة، وقد ورد عن بعض السلف هذا التقسيم.

قال العلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف

أشار إليه ابن منده، وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في تاج العروس، وشيخنا الشينقيطي في أضواءِ البيان، وآخرين رحمهم الله الجميع، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء»(١).

ويرد على الشبهة الثانية بما يلي:

١- أن أقسام التوحيد حقيقة شرعية، فالتوحيد محصورٌ في هذه الأنواع كما قرره السلف، فكيف نستدرك عليهم، ونجهلهم حين ندعي أن ذلك ليس من الثوابت، وأنه قابل للزيادة والنقصان. وفي ذلك من الأضرار والعواقب الوخيمة ما لا يخفى.

٢- إن دعواهم أن هذا التقسيم أحدث في القرن السابع دعوى باطلة بلا علم وبلا دليل، فقد وجد هذا التقسيم قبل ذلك، وإلى أصحاب هذه الدعوى نقدم نماذج من كلام الأئمة الدال على أن هذا التقسيم كان معروفاً قبل شيخ الإسلام ابن تيمية، فمن هذه النصوص ما يلي:

أ- قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله تعالى يدعى من أعلى لا من أسفل، لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء»(٢).

ب- قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره»(٣).

ج- قال الإمام ابن بطة العكبري (ت ٣٨٧ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

الأول: أن يعتقد العبد ربانيته...

والثاني: أن يعتقد وحدانيته ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك...

والثالث: أن يعتقد موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها... لأنا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاده كل واحدة من هذه الثلاث

---

(١) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير (ص٣٠)، وينظر في ذلك أيضاً: المواهب الربانية من الآيات القرآنية للسعدي (ص٤٤ - ٤٥)، مدارج السالكين (٣/ ٤٤٩، ٤٥٠)، أضواء البيان (٣/ ٤١٠ - ٤١٤).

(٢) الفقه الأبسط (ص٥١).

(٣) شرح الطحاوية (ص٣١).

والإيمان بها...»[1].

د - قال الإمام ابن حبان البستي (ت ٣٥٤ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة كتابه «روضة العقلاء»: «الحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية، والمتعزز بعظمة الربوبية.. والعالم بتقلبها وأحوالها... وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير».

ويرد على الشبهة الثالثة: بأنه إن كان المقصود أن التقسيم الذي ذهب إليه أهل السنة لا يعقد عليه الولاء والبراء، وأنه يمكن استبداله بتقسيمات أخرى، فهذا باطل ومردود، لأن فيه اتباع غير سبيل المؤمنين، وابتداع في الدين ما لم يأذن به الله، ومخالفة هدي المسلمين في اهتمامهم بتوحيد الألوهية، وغير ذلك مما يترتب على مخالفةِ هذا التقسيم، فليس الولاء والبراء لأجل الألفاظ فقط، وإنما لما يترتب عليه من مخالفةِ الحق وتجهيل السلف، مع أنَّنا لا نرى استبدالَ هذه الألفاظِ بغيرِها؛ وذلك لأنَّها من اختيارِ السلفِ وهي أدل على المقصودِ، واستبدالها بغيرها فيه نوع استدراك على السلف في أمر قد استقر عندهم.

ويرد على الشبهة الرابعة بما يلي:

أ - أن هذا التوحيد - توحيد الحاكمية - لم يعتبره السلف نوعاً مستقلًا.

ب - أن ما قصدوه من أمر الحاكمية متضمن في أقسام التوحيد فأمور الحاكمية إن كان يقصد بها إثبات أن الحكمَ في الخلقِ حق لله تعالى فهذا من معاني توحيد الربوبية.

وإن كان المقصود بالحاكمية وجوب تحاكم الناس إلى الله تعالى ورسوله ﷺ، فهذا من توحيد الألوهية، فلا داعي لتخصيص الحاكمية بإفرادها بالذكر واعتبارها نوعاً مستقلًا من أنواع التوحيد.

ج - أن هذه الإضافة لأقسام التوحيد تحمل نوعاً من الاستدراك على السلف في أمر قد استقر عندهم بحيث يتضمن ذلك تجهيلًا لهم، أو زعماً بأنهم بأجمعهم لم يتفطنوا إلى هذا النوع ولم يعرفوه ولم يفردوه بالذكر رغم كونه مستحقاً لذلك.

س٤٠: بين معنى توحيد الربوبية؟

ج٤٠: تقدم معنى التوحيد، أما الربوبية فهي مأخوذة من: «الرب»، وكلمة: «الرب» في اللغة تطلق على المعاني الآتية:

---

(١) الإبانة لابن بطة (٦٩٣ - ٦٩٤).

١- مالك الشيء وصاحبه:

قال الأزهري: «كل من ملك شيئاً هو ربه. يقال: هو رب الدابة ورب الدار»[(١)].

٢- المَلِك:

قال الأزهري في قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]: «أي عند مَلِكِك».

وقال ابن الأثير: «فإنه خاطبه على المتعارف عندهم وعلى ما كانوا يسمونه به»[(٢)].

٣- السيد المطاع.

قال الجوهري: «ربيت القوم أي كنت فوقهم»[(٣)].

٤- التربية:

قال الراغب الأصفهاني: «الرب في الأصل التربية...»[(٤)].

٥- المصلح للشيء.

قال ابن فارس: «الرب: المصلح للشيء...».

س٤١: عرف توحيد الربوبية اصطلاحاً؟

ج٤١: توحيد الربوبية: هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه، وخالقه ورازقه، وأنه هو المحيي والمميت، والنافع، والضار، والمتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار الذي له الأمر كله وبيده الخير كله، القادر على كل شيء ليس له في ذلك شريك[(٥)].

س٤٢: ما المناسبة بين المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي لتوحيد الربوبية؟

ج٤٢: المناسبة بينهما أن كل معاني لفظ «الرب» في اللغة صادقة على الله ﷻ، فالله هو المربي للأشياء وهو المالك لها والسيد عليها، والمدبر لمصالحها والقائم بحفظها[(٦)].

س٤٣: ما هي خصائص توحيد الربوبية؟

ج٤٣: ١- توحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية.

٢- إقرار الناس بالربوبية أسبق من إقرارهم بتوحيد الألوهية.

٣- أن توحيد الربوبية قد أقر به المشركون.

---

(١) تهذيب اللغة (١٥/ ١٧٦ - ١٨٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٧٩).

(٣) الصحاح (١/ ١٣٠).

(٤) مفردات غريب القرآن (ص١٨٤).

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٣٣).

(٦) انظر: دعوة التوحيد للهراس (ص ٣١، ٣٢).

س٤٤: ما هو منهج السلف في تقرير توحيد الربوبية؟

ج٤٤: منهج السلف في تقرير توحيد الربوبية رضي الله عنهم أنهم أعرضوا عن مبحث الوجود والاستدلال عليه؛ لأنه أمر مسلَّم به مركوزٌ في فطر البشر لا يكاد أحد ينازع فيه إلا شرذمة قليلة من البشر.

قال الملا علي القاري في بيانه لمنهج أبي حنيفة في تقرير الربوبية: «أعرض الإمام عن بحث الوجود اكتفاء بما هو ظاهر في مقام الشهود. ففي التنزيل: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

فوجود الحق ثابت في فطر الخلق... ولذا أطبقت كلمتهم، وأجمعت حجتهم على كلمة: لا إله إلا الله، ولم يأمروا أهل ملتهم بأن يقولوا: الله موجود، بل قصدوا إظهار أن غيره ليس بمعبود»[١].

س٤٥: ما هي نواقض توحيد الربوبية؟

ج٤٥: ١- الإلحاد: وهو إنكار وجود الخالق سبحانه، وتكذيب الرسل، وتكريس فكرة أنه ليس هناك إلا الحياة الدنيا، وهذا ما شهد في زماننا عند الملحدين الشيوعيين، وعند الوجوديين والإباحيين وغيرهم.

ولم يعرف الإلحاد قديماً مذهباً ظاهراً موجوداً بين أجناسِ البشر، اللهم إلا شرذمة قليلة من الدهرية[٢] الذين يجحدون الخالق المدبر العالم القادر، ويزعمون أن العالم يسير بنفسه ويقولون ببقاء الدهر.

٢- الشرك في الربوبية: ويقصد به إثبات خالق مشارك لله تعالى في الخلق والإيجاد، وإن لم يكن مساوياً له من كل وجه؛ لأنه ليس هناك طائفة أثبتت خالقين متساويين من كل وجه.

س٤٦: عرِّف توحيد الألوهية لغة؟

ج٤٦: توحيد الألوهية: مركب من كلمتين: التوحيد، وقد تقدم، أما الألوهية فهي لفظ منسوب إلى الإله، والإله كفِعال، بمعنى مألوه، وكلُّ ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه، وإله

---

(١) شرح الفقه الأكبر للقاري (ص١٧).

(٢) انظر: نهاية الإقدام (١٢٣)، مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٨).

جعلوه اسماً لكلِّ معبود له... وأَلِه فلان يأله عَبَد. وقيل: تأله، فالإله على هذا هو المعبود[(١)].

وأَلِهَ بالفتحِ إلهَة، أي: عبد عبادة.

وإِله على فِعال بمعنى مفعول،لأنه مألوه، أي: معبود كقولنا: إمام فعال بمعنى مفعول، لأنه مؤتم به[(٢)].

ومنه قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] بكسر الهمزة، قال: «وعبادتك»[(٣)].

والتأله التنسك والتعبد قال رُؤْبَة:

لله درُّ الغانياتِ المُدَّهِ سبَّحْنَ واسترجعن من تألُّهي[(٤)]

س٤٧: ما هو تعريف توحيد الألوهية اصطلاحا؟

ج٤٧: هو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية على خلقة أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها، وإخلاص الدين لله وحده.

فحقيقة إخلاص التأله لله تعالى من المحبة والخوفِ والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة وسائر أنواع العبادة لله تعالى[(٥)].

س٤٨: بم فسر أهل الكلام لفظ: «الإله»؟

ج٤٨: «الإله» عند أهل الكلام هو: القادر على الاختراع والإيجاد، وفي ذلك يقول أحمد بن موسى الخيالي في شرح كلام التفتازاني:

«قوله: لو أمكن إلهان أي: صانعان قادران على الكمال بالفعل أو بالقوة»[(٦)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن أهل الكلام: «يجعلون معنى الإلهية القدرة على الاختراع، ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث إليهم محمد ﷺ لم يكونوا يخالفونه في هذا، بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء، حتى إنهم كانوا مقرين بالقدر، وهم مع

---

(١) انظر: المفردات للراغب (ص ٢١)، القاموس المحيط (١/ ١٧٣).
(٢) الصحاح (٦/ ٢٢٢٣). (٣) انظر: الصحاح (٦/ ٢٢٢٣).
(٤) ديوان رؤبة (١٦٥٢)، ط: دار الآفاق الجديدة. وانظر: الصحاح (٦/ ٢٢٢٤).
(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٣٦)، الكواشف الجلية (ص٤١٨).
(٦) حاشية الخيالي على شرح العقائد (ص٥١).

هذا مشركون»[١].

س٤٩: ما هي خصائص توحيد الألوهية؟

ج٤٩: ١- أنه الغاية من خلق الثقلين قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٢- أنه المقصود الأعظم من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وهو مفتاح دعوتهم، وزبدة رسالتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

٣- أنه أول واجب على المكلف، فإن توحيد الألوهية هو معنى لا إله إلا الله، وهي أول دعوة الرسل.

٤- أن الشارع احتاط لهذا التوحيد أعظم الحيطة عن كل قول وفعل وقصد يكون شركاً أو وسيلة إلى الشرك كالرياءِ، والحلف بغير الله، والطيرة، وبناء المساجد على القبور، والعكوف عندها.

وكذلك الألفاظ التي توهم الندية بين الله وبين بعض خلقه كقول: ما شاء الله وشاء فلان.

روى حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**»[٢].

س٥٠: عرِّف العبادة لغة واصطلاحا؟

ج٥٠: العبادة في اللغة: التذلل والخضوع.

قال الراغب الأصفهاني: «العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل»[٣].

وقال الجوهري: «العبادة الطاعة، والتعبد التنسك... وأصل العبودية الخضوع والذل»[٤].

---

(١) التدمرية (ص١٨٠)، مجموع الفتاوى (٣/ ٩٨)، وانظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٧٨-٤٧٩)، اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٨٤٥، ٨٤٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٨٤)، وأبو داود، ك: الأدب، ب: ما يقال: خبثت نفسي، رقم: (٤٩٠٠)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص٥٤٤)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٩٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢١٦)، جميعهم من طريق عبد الله بن يسار عن حذيفة. وأورده النووي في كتابه الأذكار (ص ٣٠٨)، وقال: صحيح الإسناد. وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (١٣٧).

(٣) المفردات في غريب القرآن ص (٣١٩).

(٤) الصحاح (٢/ ٥٠٣).

والعبادة اصطلاحاً هي: توحيد الله بالذل والخضوع مع كمال المحبة والطاعة.

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: «أي: لك اللهم نخشع ونذل لك ونستكين، إقراراً لك يا ربنا بالربوبية لا لغيرك. وروى ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «إياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك»[1]...»[2].

ويطلق اسم العبادة على الأعمال الشرعية التي تفعل تقربا إلى الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العبادة:اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[3].

س٥١: ما هي شروط العبادة؟

ج٥١: للعبادة ثلاثة شروط:

١- أن تكون خالصة لله تعالى.

قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

٢- موافقتها لما جاء به النبي ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

٣- أن تكون مبنية على أساس العقيدة الصحيحة.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

فقيد ذلك بالإيمان، ومفهوم مخالفته أنه لو كان غير مؤمن لما قبل منه ذلك العمل الصالح[4].

س٥٢: ما هي أنواع العبادة؟

ج٥٢: العبادة ثلاثة أنواع:

١- العبادة الاعتقادية: كاعتقاد أن الله رب كل شيء وخالقه، وكحب الله ورجائه، والخوف والخشوع، والإنابة والتوكل ونحوها.

٢- العبادة القولية: كالنطقِ بالشهادتين، وتلاوة القرآن، والتلفظ بالأذكار، والأمر

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٤) إلى ابن جرير.

(٢) انظر: جامع البيان (١/ ١٦٠)، ط: دار المعارف. (٣) العبودية (ص٣٨).

(٤) انظر: أضواء البيان (٣/ ٣٥٢- ٣٥٣) بتصرف.

بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونحو ذلك.

٣- العبادة العملية، كالصلوات الخمس، والزكاة، والصيام، والحج، وجهاد الأعداءِ، ونحو ذلك(١).

س٥٣: ما هو ناقض توحيد الألوهية؟

ج٥٣: ينقض توحيد الألوهية بالشرك بالله فيه قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

قال صاحب تيسير العزيز الحميد: «وإنما كان كذلك؛ لأنه أقبح القبح، وأظلم الظلم، إذ مضمونه تنقص رب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره، وعدل غير به، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١].

ولأنه مناقض للمقصود بالخلق والأمر، ومناف له من كل وجه.

وذلك غاية المعاندة لرب العالمين، والاستكبار عن طاعته، والذل له والانقياد لأمره الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك. فمتى خلا منه خرب العالم وقامت القيامة كما قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله**»(٢).

ولأن الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق تعالى، وتقدس في خصائص الألوهية من ملك الضر والنفع والعطاء، والمنع الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأنواع العبادة كلها لله وحده، فمن علق شيئاً من ذلك لمخلوق فقد شبهه بالخالق»(٣).

س٥٤: كم أقسام الشرك؟

ج٥٤: الشرك نوعان:

١- شرك أكبر: وهو مناف للتوحيد بالكلية، قال ابن القيم: «وهو أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي يتضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٨]، مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء، وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت،

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ١٠٩ - ١٢٢) بتصرف.
(٢) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: ذهاب الإيمان في آخر الزمان، برقم: (٣٣٤)، من حديث أنس رضي الله عنه.
(٣) تيسير العزيز الحميد (ص١١٥).

وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة..»[١].

٢- شرك أصغر: وهو الذي لا يخرج من الملة، قال ابن القيم: «وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء، والتصنع والحلف بغير الله، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[٢]، وقول الرجل للرجل: «**ما شاء الله وشئت**»، و «**هذا من الله ومنك**»...»[٣].

س٥٥: كم أنواع الشرك الأكبر؟

ج٥٥: الشرك الأكبر أنواع:

١- شرك الدعوة: أي: الدعاء، قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

٢- شرك النية والإرادة والقصد. قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [هود: ١٥].

٣- شرك الطاعة. قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

٤- شرك المحبة. قال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥][٤].

س٥٦: ما هو منهج أهل السنة في تقرير توحيد الألوهية؟

ج٥٦: منهج أهل السنة في تقرير توحيد الألوهية هو منهج القرآن الكريم، وهو على النحو التالي:

١- الأمر بالتوحيد العملي الإرادي، وإفراد الله تعالى بالعبادة.

٢- النهي عن الشرك في عبادة الله تعالى.

٣- إبطال عبادة غير الله مما يعبده المشركون، والآيات حول هذه الأمور الثلاثة كثيرة جداً.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣). (٢) تقدم تخريجه قريباً.

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٤٤).

(٤) انظر ما قاله الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مجموعة التوحيد: (ص٣٤٧، ٣٤٨).

س٥٧: ما الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؟

ج٥٧: ذهب بعض الناس إلى أن توحيد الربوبية والألوهية شيء واحد لا فرق بينهما، ومن هؤلاء أكثر المتفلسفة، وجماعة من المتكلمين، وأكثر الصوفية، ونحوهم.

ولكن الصحيح أنهما يجتمعان ويفترقان:

يجتمعان عند الإفراد، ويفترقان عند الاجتماع.

فإذا اجتمعا كان توحيد الربوبية فعل الرب كالخلق والرزق والإحياء والإماتة، وتوحيد الألوهية فعل العبد كالدعاء والرجاء والخوف، والتوكل والنذر والاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادة(١).

وإذا افترقا كان كل واحد منهما مستلزماً للآخر.

س٥٨: عرف الفطرة؟

ج٥٨: الفطرة قوة في النفس تُميل العبد إلى حب الخير، ومعرفة الله رباً، منفرداً بالخلق والملك، والعباد مفطورون على معرفة ربهم.

والدليل من الكتاب قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

ودليل السنة قوله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»(٢)، فدلت الآية والحديث على أن الإقرار بالربوبية أمر مودع في النفوس مفطورة عليه ما لم تتدخل عوامل ومؤثرات أخرى لتغييره والتأثير على الإنسان تماماً، كما هو مجبول مفطور بطبيعته على محبة ما يصلحه وينفعه، والخوف والحذر مما يضره ويفسد أمره، والتطلع إليه ما لم تتدخل عوامل خارجية لتغيير هذه الفطرة.

س٥٩: اشرح قول المصنف: «وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون، وقد كان مستيقنا به في الباطن»؟

ج٥٩: الصانع ليس من أسماء الله، وقد عدَّه بعض أهل العلم اسماً لله، وهذا غير صحيح؛ لأن أسماء الله توقيفية فلا بد عليه من دليل، ثم اسم الصانع ينقسم مسماه إلى مدح

---

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١/ ١٧، ٣٧١)، بتصرف.

(٢) تقدم تخريجه.

وذم بينما أسماء الله حسنى من جميع الوجوه، وإذا أطلقه بعض أهل العلم على الله فهو من باب الإخبار، إذ هو أوسع من باب الأسماء[(١)].

والمقصود أن أشهر من ادعى الألوهية وأنكر الصانع فرعون، ومع هذا الادعاء والافتراء كان مستيقنا بأن الله ﷻ هو الذي أرسل موسى، وأنه هو الذي خلق الخلق، وأنه هو الذي خلق السموات والأرض، وإلا لما كان يخشى على ملكه أن يضيع على يد غلام من بني إسرائيل، ولو كان معتقداً أنه الرب ما خاف على ملكه لذلك قال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

قال الشنقيطي: «أما تجاهل فرعون - لعنه الله - لربوبيته جل وعلا في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] فإنه تجاهل عارف لأنه عبد مربوب»[(٢)].

والحاصل أن الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ استفهام إنكاري وتجاهل بالشيء الذي يتظاهر بجهله وإنكاره، وقد زعم طائفة من أهل الكلام أن فرعون سأل موسى عليه السلام عن الماهية - أي: ما هو - وهذا غلط؛ فإن فرعون لم يكن مقراً بالصانع في الظاهر حتى يسأل عن الماهية بل كان جاحداً له بالكلية[(٣)] حمله الكبر والحسد والخوف من ضياع الملك والجاه على مخالفة الحق.

وقد آمن فرعون ولم ينفعه إيمانه لما رأى العذاب فقد حكى الله عنه أنه قال حينما عاين الهلاك وأيقن الغرق ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، فرد الله عليه قوله: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس: ٩١ - ٩٢].

س٦٠: اشرح قول المصنف: «فإن الثنوية من المجوس والمانوية القائلين بالأصلين النور والظلمة وأن العالم صدر عنهما متفقون على أن النور خير من الظلمة...»؟

ج٦٠: الثنوية هم القائلون بالاثنين الأزليين: النور والظلمة.

والمراد بالنور «الله» وبالظلمة «الشيطان».

والمانوية: أتباع ماني بن فاتك الذي أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، والذي

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٢)، شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص ٣١).

(٢) أضواء البيان ٢/ ٤٨٢.

(٣) انظر: الفتاوى ١٦/ ٣٣٤.

قال بأن العالم مصنوع من أصلين قديمين: النور والظلمة[(١)].

س٦١: اشرح قول المصنف: «وأما النصارى القائلون بالتثليث... وقولهم في التثليث متناقض في نفسه، وقولهم في الحلول أفسد منه...»؟

ج٦١: تزعم النصارى أن ربهم مركب من ثلاث ذوات: الإله الأب، الإله الابن، الإله روح القدس، ويجعلونه واحداً بالذات ثلاثة بالأقانيم ثم يختلفون ويضطربون في تفسير الأقانيم: فتارة يفسرونها بالخواص: اللاهوتية «الإلهية»، والناسوتية «الإنسانية»، والازدواجية «بين الإلهية والإنسانية»، وتارة يفسرونها بالصفات: العلم والوجود والحياة، وتارة يفسرونها بالأشخاص: الأب والابن وروح القدس، وهذا الأخير معروف عند عامة النصارى.

والمقصود أنهم يقولون بحلول اللاهوت «الله» في الناسوت «عيسى» فصار شيئا واحداً وهذا اعتقاد باطل من وجوه:

١- أن صريح العقل لا يقبل كهذا الاعتقاد، بل ويبطله، فكيف يكون الله الخالق الأزلي نزل في بطن امرأة «مريم» ثم استحال إلى لحم ودم؟

٢- يلزم من هذا الاعتقاد أن يكون الله متحيزاً محدوداً.

٣- أن الأخبار الإلهية تخبر أن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله، وأنه مخلوق، بينما تزعم النصارى عكس هذا.

٤- أن النصارى تزعم أن عيسى عليه السلام قد قتل وصلب ودفن فإذا حصل ذلك فعلًا، فأين لاهوته من ناسوته؟ ولماذا غاب اللاهوت عن الناسوت في هذه الشدائد؟ بينما الناسوت في أشد الحاجة إلى اللاهوت[(٢)].

س٦٢: اشرح معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾.. إلى قوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠ - ٦٣]؟ ثم بين ما المقصود بالاستفهام في الآية عند السلف. وكيف ترد على من خالفهم؟

ج٦٢: يذكر الله تعالى في هذه الآيات بعضاً من مشاهد ربوبيته لهذا الكون، فيبين أنه تعالى هو الذي خلق السموات والأرض، بعد أن لم تكونا، وأنزل الماء من السماء فأنبت

(١) انظر: الملل والنحل ١/ ٢٣٣.
(٢) انظر: الجواب الصحيح (٢/ ٢٤٥)، وتعليق العدني على شرح الطحاوية (ص ٣٤).

به الحدائق والزروع ذات المنظر البهيج الحسن التي ما كان غيره تعالى ليقدر على إنباتها. ويعدد مشاهد الخلق الأخرى ثم يختم كل آية بقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي: هل هناك معبود مستحق للعبادة غير الله تعالى؟ والاستفهام عند السلف استفهام إنكاري يتضمن النفي، وعند من خالفهم من المتكلمين بمعنى: هل مع الله إله؟ أي: أنه استفهام محض، ويرد عليهم: بأن المعنى لا يناسب سياق الكلام؛ لأن القوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى كما قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾ [الأنعام: ١٩].

ولكنهم ما كانوا يقولون معه إله جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا، بل هم مقرون بأن الله وحده فعل هذا.

فهذه الآيات أثبتت لهم توحيد الربوبية الذي يقرون به، وردتهم إلى تلك المظاهر الكونية في الخلق التي يرونها ويقرون بها، ثم أنكرت عليهم اتخاذهم آلهة من دونه بعد أن أقروا له بالربوبية، فالآيات تجعل من توحيد الربوبية مستلزماً لتوحيد الألوهية، وأنه كما أن الله تعالى منفرد بالخلق والرزق والتدبير، فإنه تعالى هو المستحق أن يعبد وحده لا أن يعبد غيره.

س٦٣: ما موقف أهل الكلام من الأدلة العقلية الواردة في القرآن في إثبات التوحيد؟

ج٦٣: أهل السنة يقولون: إن طريقة القرآن طريقة برهانية في إثبات التوحيد، أي: طريقة تستعمل البرهان والأدلة، وهي المقاييس العقلية التي هي الأمثلة التي يضربها الله في كتابه لإثبات التوحيد، فهي أكبر برهان على ما بُين للناس من أمور التوحيد وبطلان الشرك.

ومثاله قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وفي الآية أكبر دليل وبرهان على إثبات توحيد الربوبية والألوهية وبطلان الشرك.

وخالفهم أهل الكلام فهم يقولون: إن الدليل القرآني على التوحيد غير برهاني، أو أنه غير برهاني خالص، فلم يستأصل شجرة الشرك، ومن الشواهد على توهين أهل الكلام لأدلة القرآن العقلية ما ذكره التفتازاني من أن الحجة في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] إقناعية، والملازمة عادية على ما هو اللائق بالخطابيات[١].

ومن الشواهد في هذا الباب قول ابن عاشور بعد أن قرر أن دليل القرآن على

(١) شرح العقائد النسفية ٢٩.

الوحدانية إقناعي خطابي: «أما الدليل البرهاني الخالص على استحالة تعدد الآلهة بالذات فله مقدمات أخرى وقد وفى أئمة الكلام بسطها بما لا رواج بعده لعقيدة الشرك»[١].

وأهل الكلام لم يفهموا أدلة القرآن على وجهها، وظنوا أن حجاجهم أكمل من حجاج القرآن، وأنهم حققوا أصول الدين أعظم من تحقيق الصحابة[٢].

س٦٤: اذكر دليلا عقليا في القرآن جاء مبطلًا للشرك ومثبتاً للتوحيد؟ واشرح قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ مع بيان البرهان على بطلان الشرك بإيجاز؟

ج٦٤: الآية هي من الأدلة النقلية العقلية الدالة على إثبات التوحيد وإبطال الشرك، وفيها يخبر تعالى أنه لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، ولو فرض أنه كان مع الله إله خالق لنتج عن هذا تنازعهما، فإما أن يذهب كل منهما بما خلق، وإما أن يعلو أحدهما على الآخر ويقهره، ولما لم يحصل هذا النزاع، ورأينا أمر الكون مستقراً محكماً فقد تقرر أنه ليس هناك إله آخر يعبد بحق، فهو الرب المنفرد الذي يوصل إلى عباده النفع ويدفع عنهم الضرر، فلو كان معه غيره يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل وحينئذ فلا يرضى الشركة بل إن قدر على قهر ذلك الشريك فعل، وإن لم يقدر عليه ذهب بخلقه ذلك كما انفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض كل بممالكه، وإذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه فلا بد من ثلاثة أمور:

الأول: أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

الثاني: أن يعلو بعضهم على بعض.

الثالث: أن يكونوا تحت قهر ملك آخر يتصرف فيهم كيف يشاء ولا يتصرفون فيه.

فالآية موافقة لما استقر في النفوس من توحيد الربوبية مقتضية مستلزمة لتوحيد الألوهية.

س٦٥: ما معنى قول المصنف: «وتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس..»؟

ج٦٥: معنى دلالة الاستلزام: هو دلالة اللفظ على ما يلازمه في الذهن، ومعنى دلالة التضمن: هو دلالة اللفظ على جزئه، ووجه ما ذهب إليه ابن أبي العز من التضمن واللزوم هو: أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الألوهية، والقيام به، فمن

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ١١٦).
(٢) انظر: درء التعارض (٧/ ٣٦١)، والأدلة النقلية والعقلية لسعود العريفي (ص ١٥٥ - ١٥٦).

عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره، وأن الأمور كلها بيديه، وأن غيره لا يملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وجب أن يعبد الله وحده لا شريك له، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية؛ فمن عبد الله وحده لا شريك له، فلا بد أن يكون قد اعتقد أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره لا إله غيره ولا رب سواه[(١)].

س٦٧: ما معنى قول المصنف: «إنه ليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين»؟

ج٦٧: يقرر المصنف ما سبقت الإشارة إليه من أن اتخاذ اليهود والنصارى للأحبار والرهبان أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ليس معناه جعلهم شركاء لله تعالى في ربوبيته، فلا أحد يزعم أن المسيح ابن مريم، أو الأنبياء، أو الملائكة شاركوا الله تعالى في خلق السموات والأرض، ولا أحد يزعم أن للعالم صانعين متكافئين في الصفات والأفعال، بل حتى المشركون الذين يعبدون غير الله عامتهم مقرون بأن معبودهم مع الله ليس مثل الله تعالى، بل يعتقدون أنه مملوك لله تعالى سواء كان هذا المعبود نبياً، أو ملكاً، أو كوكباً، أو صنماً[(٢)]، لكن قد يعتقدون أن لهذا الشريك شيئاً من التدبير أحياناً، ورغم وجود الشرك في الربوبية إلا أنه لا يصل إلى إثبات خالقين متكافئين للعالم، وإنما غاية ما وصل إليه الشرك في الربوبية اعتقاد أن بعض الموجودات خلق لغير الله كأفعال العباد عند القدرية، وبعض المخلوقات التي يزعم عباد الكواكب أنها من صنع معبوداتهم، لكن الوجود كله راجع إلى خالق واحد[(٣)].

س٦٨: اذكر أنواع الشرك في الربوبية؟

ج٦٨: الشرك في الربوبية هو إثبات فاعل مستقل غير الله، وجعل قدرة لغير الله على الخلق، أو التصرف والتدبير في الكون مع الله وهو نوعان:

١- شرك التعطيل: مثل شرك القائلين بقدم العالم.

٢- شرك من جعل مع الله إلهاً آخر، ولم يعطل أسماءه وصفاته وربوبيته، مثل شرك النصارى القائلين بالتثليث وشرك المجوس الثنوية.

---

(١) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان (ص ٢٣).

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٥١.

(٣) شرح التدمرية لشيخنا عبد الرحمن البراك (٤٣٦ - ٤٣٧).

س٦٩: من أدلة القرآن العقلية الدالة على توحيد الربوبية قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢]، اشرح الآية مبيناً أقوال العلماء في تفسيرها؟ ثم بيِّن ما الذي تختاره منها؟

ج٦٩: جاءت هذه الآية الكريمة في سياق الرد على المشركين الذين زعموا كذباً وبهتاناً أن الملائكة المكرمين بنات الله حيث يقول ﷻ: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٠ - ٤٢]، فالآية جاءت رداً على زعم المشركين هذا الذي جعلوه مسوغاً لاتخاذ الملائكة آلهة يعبدونها مع الله تعالى، وقد رتبت الآية الكريمة بطلان كون الآلهة مع الله تعالى كما هو زعم المشركين على أن ذلك يستلزم أن تبتغي هذه الآلهة المزعومة سبيلًا إلى الله ذي العرش، واختلف العلماء في المراد من ابتغاء السبيل إلى ذي العرش على قولين:

١. المغالبة والمنازعة في الملك، أي: لو كان معه آلهة كما تزعمون إذا لابتغوا سبيلًا إلى مغالبته وقهره رغبة في الانفراد بالملك من دونه كما يفعل ملوك الدنيا بعضهم مع بعض، وعلى هذا القول تكون دلالة الآية كدلالة قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١ - ٩٢].

٢. أنهم يبتغون إلى ذي العرش سبيلًا للتقرب إليه وابتغاء الزلفى لديه، وهذا الذي رجحه ابن تيمية وقال: إنه الصحيح، وتبعه شارح الطحاوية، وأدلة الترجيح ما يلي:

أ- أن المشركين لم يكونوا ينكرون الصانع أو يقولون: إن آلهتهم تمانع الله وتغالبه مع أن الله تعالى يقول في الآية: ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ فدل ذلك على أن المراد بالآية توحيد العبادة لا الربوبية.

ب- أن اتخاذ السبيل مأمور به مرغوب فيه كما في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] فدل على أن المراد في الآية التقرب والتزلف لا الممانعة.

ت- أن هذا القول مروي عن السلف.

ث- أن تعدية الفعل «ابتغوا» بـ: «إلى» يوحي ذلك ولو كان المراد الممانعة والمغالبة

لكان الأنسب تعديته بعلى[١].

س٧٠: بين مكانة توحيد الألوهية بين سائر أنواع التوحيد مع الاستدلال له؟

ج٧٠: توحيد الألوهية هو أعظم الأصول على الإطلاق وأكملها وأفضلها، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، ولذا كان هذا التوحيد زبدة دعوة الرسل وغاية رسالتهم، وقد تضافرت النصوص وتظاهرت الأدلة على وجوب إفراد الله بالألوهية وتنوعت في دلالتها على ذلك، منها:

أ- تارة بالأمر به، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦].

ب- وتارة ببيان أنه الأساس لوجود الثقلين كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ت- وتارة ببيان أنه المقصود من بعثة الرسل: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ث- وتارة ببيان أنه المقصود من إنزال الكتب الإلهية كما قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

س٧١: هناك نوعان للتوحيد جاء بهما الرسل. بيِّن هذين النوعين ثم دلِّل لكل واحد من القرآن وبيِّن أيَّ النوعين متضمن لتوحيد الربوبية؟

ج٧١: التوحيد الذي جاء به الرسل نوعان:

الأول: توحيد في المعرفة والإثبات.

والثاني: توحيد في الطلب والقصد.

فدليل الأول قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، وكما في أول سورة الحديد، وآخر الحشر، والم السجدة؛ لاشتمال كل هذه المواضع على الكلام عن الرب ﷻ وذكر مظاهر ربوبيته والإشارة إلى أسمائه وصفاته.

وسمي توحيد المعرفة والإثبات؛ لأنه يتضمن إثبات ذات الرب وأسمائه وصفاته

---

(١) انظر: درء التعارض (٩/ ٣٥)، الأدلة النقلية والعقلية للعريفي (ص٣٢١-٣٢٤).

وأفعاله معرفة واعتقاداً ثابتاً.

والثاني قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وسمي توحيد القصد والطلب؛ لأنه يتعلق بعمل المرء ونيته ومراده من ذلك وما يقصده بعمله.

ومعنى القصد: أن تلك المأمورات لا بد أن يقصد بها العبد ربه وحده.

ومعنى الطلب: الأمر وذلك أن نصوصه وأدلته كلها أوامر ويسمى هذا النوع أيضاً:

أ- توحيد العبادة.

ب- والتوحيد الإرادي، لكونه تعالى هو المراد بتلك المأمورات.

ت- التوحيد الفعلي العملي؛ لتعلقه بأفعال الجوارح وأعمالها[1].

س٧٢: يقول المصنف نقلًا عن الإمام ابن القيم[2]: «إن غالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن». اشرح وجه تضمن القرآن كله للتوحيد، مع ذكر وجه تضمن الفاتحة لأنواع التوحيد الثلاثة مشيراً لكل نوع؟

ج٧٢: وجه التضمن أن القرآن إما خبر عن الله وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وإما أمر ونهي وإلزام بطاعة، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج على حكم التوحيد، ووجه تضمن الفاتحة لأنواع التوحيد كالآتي:

١. قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] يدل على توحيد الربوبية.

٢. قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣] يدل على توحيد الأسماء والصفات.

٣. قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ

---

(١) انظر: الماتريدية لشمس الأفغاني (٢/٣٩٤).
(٢) انظر: مدارج السالكين (٣/٤٥٠).

عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٥ - ٧] يدل على توحيد الألوهية.

س٧٣: شهد الله تعالى لنفسه بالتوحيد كما في قوله ﷻ ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨]. اشرح الآية بإيجاز، وبيّن وجه الرد منها على طوائف الغلاة، مع ذكر معنى الشهادة عند العلماء وما تدل عليه المساواة؟

ج٧٣: معنى الآية أنه ﷻ حكم وأعلم عباده وأخبرهم وبين لهم أنه لا إله مستحقاً للعبادة في هذا الكون غيره ﷻ، وكذلك علم هذا وأخبر به الملائكة الأخيار الأطهار وكذلك أهل العلم الربانيين بما علموه من وحي الله تعالى وشرعه وحقه على خلقه وعظمته في هذا الكون.

وفي الآية رد على طوائف الغلاة الذين رفعوا بعضا من الخلق إلى منزلة الربوبية والألوهية فعبدوهم من دون الله وهم لا يستحقون ذلك؛ لأنهم ليس لهم من الربوبية شيء، وليسوا متصفين بصفات الكمال كاتصاف الرب ﷻ بها، وليسوا مستحقين للعبادة مثله.

وأما معنى (شهد) عند العلماء فإن أقوالهم كلها حق لا تنافيَ بينها، فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وهو هنا كلامه بانفراده بالألوهية، وتتضمن كذلك خبره عن هذه الألوهية، وتتضمن إعلامه وإخباره بما يشهد به، كما تتضمن بيانه لما شهد به من أمر استحقاقه تعالى للألوهية.

س٧٤: اذكر المراتب الأربع للشهادة من خلال اللغة، ومن خلال النصوص الشرعية؟ ودلّل لكل مرتبة بما تعرف.

ج٧٤: المراتب الأربع للشهادة على النحو التالي:

الأولى: العلم والمعرفة والاعتقاد لصحة المشهود به وثبوته، والدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦]، وقال ﷺ: «على مثلها فاشهد. وأشار إلى الشمس»(١)، وفي إسناد الحديث ضعف، وهذا هو التوافق بين المعنى الشرعي للشهادة والمرتبة الأولى حيث جعلت الآية والحديث الشهادة هنا بمعنى العلم والمعرفة والاعتقاد لصحة المشهود به.

الثانية: أن يُعلم غيره بما يشهد به ويخبره به ويبينه له، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟

(١) رواه الحاكم (٤/ ٩٨ - ٩٩)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (١٠٩٧٤)، ولفظه عن ابن عباس قال: سئل النبي ﷺ عن الشهادة قال: «هل ترى الشمس قال: نعم. على مثلها فاشهد أو دع»، وإسناده ضعيف، ضعفه الذهبي في تلخيصه، وابن حجر في بلوغ المرام برقم: (١٤٠٥)، والألباني في الإرواء (٨/ ٢٨٢).

ﱡﭐﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐ ﱑﱒﱓ ﱔ ﱠ [الزخرف: ١٩]، فجعل تكلمهم بذلك الإفك - وهو جعل الملائكة إناثاً - شهادة منهم وإن لم يتلفظوا بها بلفظ الشهادة، ولم يؤدوها عند غيرهم.

الثالثة: أن يُعْلِم غيره بما شهد به ويخبره به ويبينه له وهذا الإعلام نوعان:

أ. إعلامه بالقول بأن يتكلم الشاهد بما يشهد به فيخبر به غيره. إعلام بالفعل كما قال ابن كيسان: «شهد الله بتدبيره العجيب، وأموره المحكمة عند خلقه: أن لا إله إلا هو». والشاهد قوله «شهد الله بتدبيره» فدلت هذه المخلوقات على انفراده تعالى بالألوهية.

الرابعة: أن يلزم الشاهد من تم إخباره بالشهادة بمضمونها، ويأمره به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، فالشاهد قوله: (وقضى)، أي: حكم وأمر ووصَّى، وكل هذا من معاني الشهادة.

س٧٥: هل تقتضي الشهادة في أصل معناها الإلزام بمدلولها؟ وضِّح ذلك؟

ج٧٥: الشهادة من جهة الإلزام نوعان: شهادة لله مقتضية لهذا الشيء ومستلزمة للشهودية كشهادته تعالى لنفسه بالألوهية كما في الآية السابقة، وشهادة غير الله لا تقتضي الإلزام بمدلولها لكن الشهادة في هذا الموضع في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] تدل عليه وتتضمنه.

س٧٦: ذُكِرَتْ في القرآن طرقٌ بيَّن الله بها استحقاقه للوحدانية في الربوبية والألوهية، بيِّن ما هذه الطرق[1]؟

ج٧٦: هذه الطرقُ هي السمعُ والبصرُ والعقلُ:

أما السمعُ فبسمع آياته المتلوة الدالة على وحدانيته وكماله وغير ذلك المبينة لذلك غاية البيان، لا كما يزعم المبتدعة بأنها محتملة توقع في الحيرة وأكثرهم مبتدعون في باب الأسماء والصفات.

وأما البصر فبمشاهدة آياته الكونية الخلقية العيانية، فإن النظر فيها دال على صحة ما دلت عليه الآيات السمعية من الوحدانية وغيرها.

وأما العقل فإنه يجمع فيجزم بصحة ما جاءت به الرسل، وهكذا تتفق شهادة كلٍّ من

(١) انظر: مدارج الساكين (٣/ ٤٦٣).

السمع، والبصر، والعقل، والفطرة التي جبل عليها الناس من معرفة الخالق والإقرار به كما في الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة»[١] وقد سبق الكلام عنها وأنها فطرة الإسلام.

س٧٧: يَزْعُمُ المبتدعةُ أنَّ دَلالةَ القرآنِ على ما قُصِدَ به مُحْتَمِلَةٌ. فبم ترد عليهم مدلِّلًا على ما تقولُ من القرآنِ؟

ج٧٧: هذه الدعوى إنما قال بها من حكموا العقل في النَّص واعتبروا العقلَ أصلًا والنقلَ تابعاً له. والرد عليهم: أنَّ دعواهم غير صحيحة؛ لأنَّها تُنافِي صفةَ البيان الذي وصف اللهُ به كتابه كما قال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الزخرف: ١ - ٢]، وقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ١ - ٢]، وقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] الآية، فلا يُحتاج في تكملته إلى شيء خارجٍ عن الكتاب والسنة. وقولهم هذا فيه انتقاص لشأن كلام الله تعالى؛ لكونه مبيناً لكل شيءٍ.

س٧٨: لقد أعطى الله أنبياءه بيّنات ومعجزات وبراهين تدل على صدق دعواهم أوضح ما هي بيِّنة هود عليه السلام؟

ج٧٨: بيِّنة هود عليه السلام على صدق نبوته وبطلان ما عليه قومه من الشرك هي: أنه صمد لأمة بأكملها وهو رجل واحد وتبرأ من معبوداتهم ودعا إلى عبادة الله وحده دون سواه، وأشهد الله على براءته من دينهم وما هم عليه إشهاد واثقٍ به معتمدٍ عليه، وآية هود هي: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦].

فانظر إليه عليه السلام كيف هو واثق بربه وبما هو عليه، مطمئن بتوحيده، ليس مثل قومه الذين يخافون غير الله كخوفهم من الله تعالى رغم أنها آلهة باطلة لا تملك لهم ضراً ولا نفعاً.

س٧٩: من دلائل صدق نبوة محمد ﷺ قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]. بيِّن وجهَ الاستدلالِ من هذه الآية على صدق دعوى النبوة عند الرسول عليه السلام؟

ج٧٩: وجهُ الدلالةِ أنَّ الله سبحانه شهد لرسوله بصدق دعوى النبوة؛ لأنه تعالى علم من رسوله هذه الدعوى فأقره عليها وشهد بها شهوداً فعليا بنصره وتأييده وتمكينه، ولا

---

(١) تقدم تخريجه.

يمكن أن الله ﷻ يقر ويشهد على من يكذب عليه وينصره على ذلك ويؤيده ويجيب دعوته ويهلك عدوه، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧].

س٨٠: هناك طريقتان صحيحتان على الاستدلال للوحدانية فما هما؟

ج٨٠: الطريقةُ الأولى في الاستدلال على الوحدانية، طريقة جمهور أهل العلم، وهي الاستدلال على وجود الله تعالى ووحدانيته بالآيات الكونية وبأفعاله تعالى ومصنوعاته، فكل ذلك شاهدٌ ناطقٌ على ربوبيته ووحدانيته.

والطريقةُ الثانيةُ طريقة خواص أهل العلم، وهي الاستدلال بالله على أفعاله وما يليقُ به، والاستدلال بأسمائه وصفاته على وحدانيته وأفعاله، فمثلًا يستدل باسم الشهيد على أنه تعالى يرى كل شيء ويراقب كل شيء ولا يعزب عنه شيء، وباسم المنتقم على أنه تعالى لا بد أن يعاقب كل من أساء وتطاول على مقامه ﷻ وتجاوز حدوده، وكما ترى فإن أفعال الله تعالى استدللنا عليها من أسمائه ﷻ.

س٨١: ما معنى قول المصنف: «كيف يستدل بأسمائه وصفاته»، فإن الاستدلال بذلك لا يعهد في الاصطلاح؟

ج٨١: يعني الاستدلال بالأسماء والصفات لتحقيق بعض المطالب الشرعية كما يستدل باسمه تعالى «الشهيد» لمعرفة صدق نبوة محمد ﷺ، ومن أسمائه تعالى الأحد، وهذا يدل على تفرده تعالى في كل شيء في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن أسمائه الاسم الأعظم «الله» الذي هو علم على ذاته المقدسة فإنه بمعنى المألوه، أي: المعبود المستحق للعبادة دون سواه، فهذا استدلال على وحدانيته، والمثال القرآني الذي يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]. فرتب التنبيهَ على وجوب التوحيد، وبطلان الشرك رتبه على ذكر أسمائه الحسنى المقتضية لاتصافه بصفات الكمال.

س٨٢: ما معنى قول المصنف: «فالقرآنُ العظيمُ قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره، فإنه الدليل والمدلول عليه والشاهد والمشهود له»؟

ج٨٢: يمتاز القرآن عن غيره من الكتب بأن القرآن قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره، فإنه الدليل والمدلول عليه والشاهد والمشهود له كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا

أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٥١].

ومعنى كون القرآن دليلًا: أننا لو أردنا معرفة صدق رسالة محمد ﷺ ونبوته ننظر إلى هذه الآية العظيمة التي أعجزت وأعيت فصحاء العرب - ألا وهو القرآن - فسوف يدلنا على هذا الأمر، فهو من حيث هذا يعتبر دليلًا، ومعنى كونه مدلولًا عليه: أنَّ الذين طلبوا آية تدل على صدق النبوة والرسالة قد دلهم الله تعالى على القرآن فهو الآية الكبرى، لذلك الأمر، فمن حيث دلالة الله لهم يعتبر القرآن مدلولًا عليه.

فالقرآن دليل على وحدانية الله تعالى، ووحدانية الله دليل على أن القرآن من عنده، والقرآن دليل على صدق نبوة النبي ﷺ، وهذه النبوة دليل على أن القرآن من عند الله، والقرآن يشهد للنبي ﷺ بالرسالة، والنبي يشهد للقرآن بأنه كلام الله. والقرآن يمتاز عن غيره من الكتب كذلك بأنه لم يدخله تحريف؛ لأنَّ الله تعالى تكفل بحفظه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

والقرآن منهاج حياة خلاف غيره، فإن غيره إما أن يشتمل على تشريعات وأحكام أو على تهذيب ومواعظ، أما القرآن فاشتمل على كل شيء وفيه الإخبار بالمغيبات مما كان وما يكون، كما قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وهو أمين على ما قبله من الكتب ومهيمن عليها كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

س٨٣: ما معنى قول المصنف: «فلا يلتفت إلى قول من قسم التوحيد إلى ثلاثة أنواع، وجعل هذا النوع توحيد العامة، والنوع الثاني توحيد الخاصة، وهو الذي يثبت بالحقائق، والنوع الثالث توحيداً قائماً بالقدم، وهو توحيد خاصة الخاصة»؟

ج٨٣: يعني أصحاب هذا التقسيم جعلوا توحيد الألوهية هو توحيد العامة، والمقصود بالعامة هاهنا أهل الشريعة، ويسمونهم: أهل الظاهر وأهل الأوراق[1].

وهذا النوع من التوحيد يصح بالشواهد: أي: بالأدلة والبراهين. والشواهد نوعان:

١- شواهد متلوة: وهي الرسالة. ٢- شواهد مرئية: وهي الصنائع.

فإذا كان هذا التوحيد يثبت بالآيات والبراهين فإنما يدل على شرفه وكماله، وما عداه

(١) انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية لمحمود قاسم (ص١٧)، وتعليق العدني على شرح الطحاوية (ص٦٠).

فدعاوى مجردة لا يقوم عليها دليل(١).

والخاصة: هم أهل الحقيقة.

ويسمونهم: أهل الباطن وأهل الأذواق(٢).

وهذا النوع من التوحيد عندهم يثبت بالحقائق، والحقائق عند الصوفية تعني المكاشفة.

والكشف في الاصطلاح الصوفي: هو الاطلاع على ما وراء الغيب من المعاني الحسية، وأمور الحقيقة وجوداً أو شهوداً(٣).

ومعنى قوله: «قائم بالقدم» أي القائم بذات الحق تعالى.

ومعنى قوله: «خاصة الخاصة» أي: كبار أهل الحقيقة والباطن(٤).

وأقسام التوحيد عند أرباب الصوفية ثلاثة:

- الأول: توحيد العامة: وهو توحيد الألوهية.

وقالوا: إنه توحيد العامة، مع أنه الغاية من بعثة الرسل وإنزال الكتب كما سبق غير مرة.

- الثاني: توحيد الخاصة: وهو الذي يثبت بالحقائق والمكاشفات؛ لأن أهل الحقيقة عندهم هم من روَّضوا أنفسهم وهذبوها، حتى تكشفت لهم الحجب، وانكشفت لهم الأسرار فاطلعوا على ما لم يطلع عليه غيرهم، من أمور الغيب ونحوها. وهو توحيد قائم بالقدم.

- الثالث: توحيد خاصة الخاصة: وهو الفناء عما عدا الله مما يؤدي بهم في نهاية الأمر إلى القول بالحلول والاتحاد.

وللرد عليهم نقول: لا شك في بطلان هذا التقسيم، فإنه من المعلوم أن توحيد الرسل الذي أمروا أن يدعوا إليه ويعتقدوه هو توحيد الألوهية، ولو لم يكن توحيد خاصة الخاصة لما اختاره لهم.

وأيضاً فإن هذا التقسيم من الصوفية لم يرد عن الله ولا عن رسوله ﷺ نص بذكره أو بيانه، ولم يرد عن أحد من السلف الصالحين، بل هو تقسيم مبتدع؛ والسبب فيه هو الغلو في التوحيد إلى درجة الفناءِ كما يزعمون.

وكذلك فإنهم لا يصلون إلى توحيد الخاصة إلا بسلوك طرق مبتدعة في العبادة

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤٨٥)، وتعليق العدني على شرح الطحاوية (٦٠).

(٢) انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية (ص ١٨).

(٣) انظر: التعريفات للجرجاني (ص١٨٤).

(٤) انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية (ص ١٨).

والأذكار والأوراد ونحوها، فغلوهم كغلو النصارى الذين قال الله فيهم: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧] حيث شرعوا لأنفسهم ما لم يشرع لهم الله سبحانه.

س٨٤: ما معنى قول المصنف: «ولا شك أن النوع الثاني والثالث من التوحيد الذي ادعوا أنه توحيد الخاصة وخاصة الخاصة ينتهي إلى الفناء الذي يشمر إليه غالب الصوفية، وهو درب خطر يفضي إلى الاتحاد»؟

ج٨٤: معنى الفناء لغة: ضد البقاء، وهو مصدر: فنى يفنى فناء إذا اضمحل وتلاشى، وعدم.

وأما في الاصطلاح فهو: عدم الإحساس بعالم الملكوت بالاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحق.

والفناء الصوفي على أنواع:

١- الفناء عن رؤية ما سوى الله وشهود غير الله، فيفنى المرء بمعبوده عن عبادته إلى حد يترك عبادته، ويترك التكاليف الشرعية بحيث يغيب عن الكون، حتى يغيب عن نفسه إلى أن لا يشاهد إلا الله.

وهذا النوع قد يقع لبعض الصوفية، وهو إلحاد، لأنه يخالف الكتاب والسنة، ولم يعرف ذلك عن الأنبياء والمرسلين، ولا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

٢- الفناء عن وجود سوى الله بحيث يعتقد أن الوجود واحد، وأن الموجود واحد، وأن الكون هو الله بعينه، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق، فلا فرق بين العبد والرب، وهذا إلحاد وزندقة، وقد قال به جماعة من غلاة الصوفية كالحلاج، وابن عربي، وابن الفارض، وعبد الكريم الجيلي، وغيرهم من الزنادقة.

والمقصود أن الفناء الصوفي مذموم؛ لأنه يفضي إلى الاتحاد، وذلك أن صاحب هذا المقام قد يستغرق في مقامه وغيبوبته حتى يسقط عنه التميز، فلا يميز بين خالق ومخلوق، كما يحكى عن أبي يزيد أنه قال: «سبحاني»، وقال الحلاج: «ما في الجبة إلا الله»، ويحكى عن آخر أنه قال: «أنا الحق».

س٨٥: ما حقيقة توحيد الربوبية عند الصوفية؟

ج٨٥: معنى توحيد الربوبية عند بعضهم: لا موجود إلا الله، وهو الذي عليه الخواص منهم، وهو توحيد سري لا يطلع عليه إلا خواص خواصهم، وملخصه: أن توحيد الربوبية تتعلق مباحثه بذات الله وصفاته من الخلق والرزق والتدبير، وهذه الذات الشريفة

تنقسم إلى قسمين: قسم جبروتي باقٍ على أصلِهِ القديم، ولم يخالطه شيء من خلقه، وقسم ملكوتي انفصل عن الذات الجبروتية، وهو المراد بهذا العالم.

س٨٦: ما موقف الصوفية من توحيد الألوهية؟

ج٨٦: توحيد الألوهية عند الصوفية هو توحيد العوام، أما توحيد الربوبية فهو توحيد الخواص الذي هو وحدة الوجود عند بعضهم، فهم يعتبرون علم الشريعة علم الظاهر، ويعتبرون علماء الظاهر وعلومهم من الحجب التي تمنع الوصول إلى التوحيد الخالص.

ومن تخبطهم أنهم يفسرون كلمة التوحيد بتوحيد الربوبية.

والحاصل أن توحيد الألوهية ليس داخلًا ضمن أقسام التوحيد عندهم، لذا فإنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتنون به.

س٨٧: ما موقف الصوفية من الشرك في توحيد الألوهية؟

ج٨٧: تقدم أن الصوفية لا يعدون توحيد الألوهية ضمن أنواع التوحيد، فلذا لا يعدون الشرك في الألوهية هو من الشرك الأكبر، ولهذا وقعوا في باب الشرك في الألوهية وصرفوا أنواع العبادة لغير الله باسم الوسيلة، بل إنهم عادوا من يدعوا الناس إلى التوحيد الخالص من الشرك، وألفوا في الرد عليهم؛ وذمّوهم، ووصفوهم بالوهابية على مساق الذم واللمز.

س٨٨: من أكمل الناس توحيدا عند أهل السنة؟ أوضح ذلك بدليل.

ج٨٨: أكمل الناس توحيدا عند أهل السنة هم الأنبياء صلوات الله عليهم، والمرسلون منهم أكمل في ذلك، وأولو العزم من الرسل أكمل توحيداً من غيرهم.

وأكملهم توحيداً الخليلان محمد وإبراهيم، فإنهما قاما بالدعوة إلى التوحيد والعمل به كما لم يقم به غيرهما معرفة وحالًا ودعوة للخلقِ وجهاداً، فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل ودعت إليه، وجاهدوا الأمم عليه، ولهذا أمر الله نبيه أن يقتدي بهم فيه كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والخليلان هما أكمل خاصة الخاصة توحيداً، ولا يجوز أن يكون في الأمة من هو أكمل توحيداً من نبي من الأنبياء فضلًا عن الرسل فضلًا عن أولي العزم، فضلًا عن الخليلين»(١).

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٥٠٦).

س٨٩: هل يحتاج المسلم إلى قواعد أهل الكلام والتصوف واصطلاحاتهم في الاستدلال؟ بيِّن ذلك موضحا ما يترتب على الاستدلال بها من الشر؟

ج٨٩: إن المسلم لا يحتاج في الاستدلال إلى أوضاع أهل الكلام والتصوف، ولا جدلهم واصطلاحاتهم، وطرقهم البتة؛ لأنه يقع بسببها في شكوك وشبه يحصل له بها الحيرة والضلال والريبة، ولهذا نجد عند أرباب الكلام من الشكوك وقلة اليقين ما لا يوجد عند عوام المؤمنين، وكذلك فإن هذه الاصطلاحات والقواعد في الاستدلال لم ترد عن النبي ﷺ ولا عن خير القرون من بعده.

س٩٠: اشرح أبيات الهروي التي أوردها شارح الطحاوية؟

ما وحد الواحد من واحد ... إذ كل من وحده جاحد

ج٩٠: معنى هذا أنه ما وحد الله ﷻ أحد سواه وكل من وحده فهو جاحد بحقيقة توحيده، فمن وحده من الخلق فلا بد أن يصفه، وذلك يتضمن جحد حقه الذي هو عدم انحصاره تحت الأوصافِ، فمن وصفه فقد جحد إطلاقه عن قيود الصفات.

وقول الهروي:

توحيد من ينطق عن نعته ... عارية أبطلها الواحد

يعني توحيد الناطقين عنه عارية مردودة كما تستر العوارى، إشارة إلى أن توحيدهم له ليس ملكا لهم، بل الحق أعارهم إياه كما يصير المعير متاعه لغيره ينتفع به.

قوله: «أبطلها الواحد»، أي: المطلق من كل الوجوه.

قوله:

توحيده إياه توحيده ... ونعت من ينعته لا حد

يعني: توحيده الحقيقي هو توحيد نفسه بنفسه، ونعت الناعت له إلحاد، أي: عدول عما يستحقه من كمال التوحيد(١).

وأبيات الشيخ تحتمل وجهين: حق وباطل(٢)، والشيخ لم يقصد بها إلا الحق، ولكن لم كان اللفظ محتملًا لمعنى الحلول والاتحاد حاول أهل الاتحاد أن ينسبوا الشيخ إليهم، ولو كان الشيخ قد استعمل الألفاظ الشرعية غير المحتملة لكان أحسن وأولى.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٥١٥)، شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص٦٥).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٠٩).

س٩١: كيف ترد على من وصف توحيد الألوهية بأنه توحيد العوام؟

ج٩١: قصد شيوخ الطرق الصوفية من وصف توحيد الألوهية بأنه توحيد العوام أن ينزلوا من قدره ومنزلته من أقسام التوحيد الأخرى، وهذا باطلٌ ومخالفٌ لنصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان مكانة توحيد الألوهية وأنه أكمل أنواع التوحيد: «هو التوحيد الذي جاءت به الرسل من أولهم إلى آخرهم، ونزلت به الكتب كلها، وبه أمر الله الأولين والآخرين... وقد أخبر الله عن كل رسول أنه قال لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وهذا أول دعوة الرسل وآخرها، قال النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**»، وقال: «**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة**»، والقرآن مملوء من هذا التوحيد والدعوة إليه، وتعليق النجاة والسعادة في الآخرين»[١].

وقال ابن القيم عن توحيد الألوهية: «إن هذا توحيد الخاصة الذي لا شيء فوقه ولا أخص منه»[٢].

الله عز وجل ليس كمثله شيء

قال الطحاوي: «ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الله تعالى لا يشبهه شيء:]

اتفق أهل السنة[٣] على أنَّ الله ليس كمثلِه شيءٌ، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

ولكن لفظ التشبيه[٤] قد صار في كلام الناس لفظاً مجملاً يراد به المعنى

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٥٠٥). (٢) مدارج السالكين (٣/ ٥٠٦).

(٣) انظر: منهاج السنة (٢/ ١١٠ - ١١٨).

(٤) إن نفي التشبيه قد صار لفظاً مجملاً يراد به الحق، ويراد به الباطل لكن نفي التمثيل ليس كذلك.
انظر: الجواب الصحيح (٢/ ٢٣٣)، مطابع المجد التجارية، وشرح الواسطية لابن عثيمين (١/ ٨١-٨٢)، تحقيق: أشرف عبد المقصود.
وإذا قال قائل: «أنا لا أشبه الله بخلقه»، فإن هذه العبارة فيها حق إذا صُرفت إليه، وفيها باطل إذا صُرفت =

الصحيح، وهو ما نفاه القرآن، ودل عليه العقل من خصائص الرب تعالى أنه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقات، ولا يماثله شيءٌ من المخلوقات في شيء من صفاتِه، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ردٌّ على الممثلة المشبهة، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ردٌّ على النفاة المعطلة، فمَنْ جعلَ صفاتِ الخالقِ مثل(١) صفات المخلوق، فهو المشبِّه المُبطل المذموم، ومن جعلَ صفاتِ المخلوقِ مثلَ صفات الخالقِ فهو نظير النصارى في كفرهم.

= إليه، فهي لفظة مجملة.
فإن عني به القائل إثبات الأسماء والصفات مع نفي المماثلة فحق، وهذا ما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].
وإن عنى بها نفي الصفات بحجة أن الاتفاق في الأسماء يستلزم الاتفاق في المسميات، فيكون بإثباته للصفات مشبهاً كان هذا النفي باطلًا.
تنبيه: إذا علم ما سبق فهل يقال: أنا أثبت الصفات من غير تمثيل أو يقال: أنا أثبت الصفات من غير تشبيه؟
قبل الجواب: اعلم أن الناس اختلفوا في هذين اللفظين على قولين:
١- أن التشبيه هو التمثيل لا فرق بينهما مطلقاً، وهذا وقول طائفة من النظار.
٢- أنهما يختلفان وإن كان مع القرينة قد يراد بأحدهما ما يراد به الآخر،وهذا قول أكثر الناس.
والإجابة عن السؤال السابق: إن نفي التمثيل هو الصحيح، وذلك لأمور:
١- أن التمثيل هو الوارد نفيه لا التشبيه، قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].
٢- أن التمثيل يقتضي المساواة من كل وجه بينما التشبيه يقتضي المساواة من وجه دون آخر، فإذا كان الأمر كذلك فنفي المساواة من كل وجه هو الواجب نفيه، وأما المساواة من بعض الوجوه دون بعض فهذا ثابت.
فصفة السمع مثلا يشترك فيها الخالق والمخلوق من حيث الاسم والمعنى اللغوي، أي: المعنى العام، لكن من حيث المعنى اللائق بالله فلا يشترك معه أحد، إذ سمعه تعالى كامل وسمع المخلوق ناقص.
انظرشرح الطحاوية بتعليق العدني (ص ٦١ - ٦٢).

(١) إذاً التمثيل نوعان:
١- تمثيل الخالق بالمخلوق: و هو إثبات شيء لله تعالى في ذاته أو صفاته مما هو من خصائص المخلوق كتمثيل اليهود بأن وصفوا ربهم بالعجز والفقر والندم والحزن.
وهذا موجود مسطر في كتبهم كما نقله عبد الله الجميلي في كتابه بذل المجهود (١/ ٣١٧ - ٣٢١)، تعالى الله عما يقوله هؤلاء علوا كبيرا.
٢- تمثيل المخلوق بالخالق: وهو إثبات شيء للمخلوق مما اختص به الخالق كفعل النصارى الذين ألهوا عيسى ابن مريم.
انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٥)، تجريد التوحيد (ص٤٣ - ٤٤) للمقريزي، وشرح الطحاوية بتعليق العدني (ص ٦٢).

[مهما اتفقت الأسماء فالمسمَّى غير المسمَّى:]

وقد سمى الله نفسَه بأسماء، وسمَّى بعضَ عباده بها، وكذلك سمى صفاتِه بأسماء، وسمى ببعضها صفاتِ خلقه، وليس المُسمَّى كالمسمِّي، فسمى نفسه: حياً، عليماً، قديراً، رؤوفاً، رحيماً، عزيزاً، حكيماً، سميعاً، بصيراً، ملكاً، مؤمناً، جباراً، متكبراً، وقد سمى بعض عباده بهذه الأسماء فقال: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥، الروم: ١٩]، وقال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]، وقال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، وقال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، وقال: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، وقال: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]، وقال: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]، وقال: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ [السجدة: ١٨]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

ومعلوم أنه لا يماثل الحيُّ الحيَّ ولا العليمُ العليمَ ولا العزيزُ العزيزَ، وكذلك سائر الأسماء، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الروم: ٥٤]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ [يوسف: ٦٨].

ومعلوم أنه ليس العلمُ كالعلم، ولا القوةُ كالقوة، ونظائرُ هذه كثيرةٌ، وهذا لازم لجميع العقلاء، فإن من نفى صفة من صفاته التي وصف الله بها نفسه، كالرضى والغضب والحب والبغض ونحو ذلك، وزعم أن ذلك يستلزم التشبيه والتجسيم، قيل له: فأنت تثبت له الإرادة والكلام والسمع والبصر، مع أن ما تثبته له ليس مثل صفات المخلوقين، فقل فيما نفيتَه وأثبتَه اللهُ ورسولُه مثلَ قولِك فيما أثبتَّه إذ لا فرق بينهما.

[القول في الصفات كالقول في الذات:]

فإن قال: أنا لا أثبت شيئاً من الصفات، قيل له: فأنت تثبت له الأسماء الحسنى مثل: عليم، وحي، وقادر، والعبد يُسمى بهذه الأسماء، وليس ما يثبت للرب من هذه الأسماء مماثلًا لما يثبت للعبد، فقل في صفاته نظير قولك في مسمى أسمائه.

[خطأ النفاة والمشبهة:]

والحق أن النفاة قد أحسنوا في تنزيه الخالق سبحانه عن التشبيه بشيء من خلقِه،

ولكن أساءوا في نفي المعاني الثابتةِ لله تعالى في نفس الأمر.

والمشبهة أحسنوا في إثبات الصفات، ولكن أساءوا بزيادة التشبيه.

[الصفات السلبية لثبوت كمال ضدها:]

لكمال قدرته قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]، و﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، و﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، و﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

«لا يؤوده»أي: لا يَكرِثه ولا يثقله ولا يُعجزه.

فهذا النفي لثبوتِ كمالِ ضدِّه، وكذلك كلُّ نفيٍ يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنما هو لثبوتِ كمالِ ضدِّه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]؛ لكمال عدله، وقوله تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]؛ لكمالِ علمه، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]؛ لكمال قدرته، وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ لكمال حياته وقيوميته، وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، لكمال جلاله وعظمته وكبريائه، وإلا فالنفيُ الصِّرفُ(١) لا مدحَ فيه؛ ألا ترى أن قول الشاعر:

لكنَّ قَومي وإن كانوا ذوي عدد ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

لما اقترن بنفي الشر عنهم ما يدل على ذمهم علم أن المراد عجزهم وضعفهم.

---

(١) النفي يأتي على قسمين:

١- نفي صرف خالص: وهو ما لا يتضمن ثبوتاً بأن خلص في دلالته على العدم، مثاله قولك لشخص: أنت لست بحجام فإنه ليس من ورائه إثبات.

وهذا النوع ليس بوارد في الصفات المنفية عن الله.

٢- نفي غير صرف: وهو ما تضمن ثبوتاً بأن دل بمعناه على ثبوت أضداد ذلك المنفي، مثاله: قولك لشخص: أنت لستَ ببخيل، ومعناه، أنك كريم. فهذا النفي جاء من ورائه إثبات.

وكذا قول الطحاوي: «ولا شيء يعجزه»، أي: لكمال قدرته، فنفى عنه العجز لثبوت ضده، وهو القدرة، فهذا النوع هو الوارد في الصفات المنفية عنه سبحانه.

انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٣٥ - ٤٠، ٨٥)، (١٧/ ١٠٩)، القواعد الكية (ص١٥٩ - ١٦٤)، منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في التوحيد(٢/ ٤٣١)،و شرح الطحاوية بتحقيق العدني ص(٧٣).

[إثبات الصفات مفصل ونفيها مجمل:]

ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلًا، والنفي مجملا. وهذا النفي المجرَّد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال، ولا كساح، ولا حجام، ولا حائك لأدَّبك على هذا الوصف وإن كنت صادقاً، وإنما تكون مادحا إذا أجملت النفي، فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك، أنت أعلى منهم وأشرف وأجل، فإذا أجملت في النفي أجملت في الأدب.

[وجوب استعمال الألفاظ الشرعية:]

والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية والإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة.

[نفي العجز لبيان كمال القدرة:]

وليس قول الشيخ رحمه الله تعالى: «ولا شيء يعجزه» من النفي المذموم، فإن الله تعالى قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

فنبه ﷻ في آخر الآية على دليل انتفاء العجز، وهو كمال العلم والقدرة، فإن العجز إنما ينشأ إما من الضعف عن القيام بما يريده الفاعل، وإما من عدم علمه به، والله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة وهو على كل شيء قدير، فانتفى العجزُ لما بينه وبين القدرة من التضاد؛ لأن العاجز لا يصلح أن يكون إلهاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الأسئلة والأجوبة على أن الله ليس كمثله شيء

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ولا شيء مثله»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ولا شيء مثله» إلى مسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- الله تعالى لا يشبهه شيء. ٢- مهما اتفقت الأسماء فالمسمَّى غير المسمَّى.
٣- القول في الصفات كالقول في الذات. ٤- خطأ النفاة والمشبهة.
٥- الصفات السلبية لثبوت كمال ضدها. ٦- إثبات الصفات مفصل ونفيها مجمل.
٧- وجوب استعمال الألفاظ الشرعية. ٨- نفي العجز لبيان كمال القدرة.

س٢: قال الطحاوي: «ولا شيء مثله» وضِّح ما هي المماثلة المنفية، وهل معناها نفي الصفات، ومن الذين يرد عليهم بهذه الآية؟

ج٢: من أصول التوحيد أن تعتقد أن الله تعالى ليس كمثله شيء، فلا يشبه أحداً من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلقه لا في ذاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في حقوقه(١).

س٣: اشرح قول ابن أبي العز: «ولكن لفظ التشبيه قد صار في كلام الناس لفظاً مجملا»؟

ج٣: لفظ: «التشبيه» لفظ مجمل فإذا قال القائل: «أنا لا أشبه الله بخلقه»، فإن هذه العبارة فيها حق إذا صُرفت إليه وفيها باطل إذا صرفت إليه، فهي لفظة مجملة، فإن عنى به القائل إثبات الأسماء والصفات مع نفي المماثلة فحق، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وإن عنى بها نفي الصفات بحجة أن الاتفاق في الأسماء يستلزم الاتفاق في المسميات فيكون بإثباته للصفات مشبها كان هذا النفي باطلا(٢).

س٤: ما الصواب في هذه العبارة أن يقال: أنا أثبت الصفات من غير تمثيل، أو يقال: أنا أثبت الصفات من غير تشبيه؟

ج٤: اختلف الناس في ذلك على قولين:

١- إن التمثيل هو التشبيه لا فرق بينهما مطلقاً، وهذا قول طائفة من أهل الكلام.

٢- إنهما يختلفان وإن كان مع القرينة قد يراد بأحدهما ما يراد به الآخر، والصواب أن يقال: إن نفي التمثيل هو الصحيح وذلك لأمور:

أ- إن لفظ التمثيل لفظ شرعي ورد في القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

ب - أن التمثيل يقتضي المساواة من كل وجه بينما التشبيه يقتضي المساواة من وجه دون آخر(٣).

س٥: اذكر أنواع التمثيل؟

ج٥: التمثيل نوعان:

---

(١) انظر: منهاج السنة (٢/ ١١٠). (٢) انظر: شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص٦٨).

(٣) انظر: الجواب الصحيح (٢/ ٢٣٣)، وشرح الطحاوية بتعليق العدني (ص٦٨).

١- تمثيل الخالق بالمخلوق: وهو إثبات شيء لله تعالى في ذاته أو صفاته مما هو خصائص المخلوق.

٢- تمثيل المخلوق بالخالق: وهو إثبات شيء للمخلوق مما اختص به الخالق.

وقد استخدم الطحاوي لفظ القرآن الذي ينفي عن الله المثلية مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، لكن لا ينفي المعني الكلي الذي نعرف من خلاله أسماء الله وصفاته، فإنه لو لم تكن المعاني في أسماء الله وصفاته مفهومة من خلال أسماء المخلوق، وصفاته ما استطعنا أن نعرف معاني أسماء الله وصفاته، وأيضاً لا ننفي وجود الاشتراك في المعنى، لكن مع التخصيص والإضافة يتميز المعنى الخاص بالله ﷻ من المعنى الخاص بالمخلوق، كقولنا: علم الله وعلم المخلوق[(١)].

والحاصل أن المماثلة المنفية هي مماثلة شيء من المخلوقات لله تعالى سواء في ذاته، أو في صفاته، أو في أفعاله، وليس معناها نفي الصفات عن الله تعالى؛ لأن هذه الصفات واردة في الكتاب و السنة لا سبيل لنفيها أو ردِّها، بل معناها نفي المشابهة في الصفات.

فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١] ردٌّ على الممثلة المشبهة للخلق بالله تعالى، والمشبهة لله تعالى بخلقه، بل هي تثبت تفرده تعالى في ذلك، وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فيه رد على النفاة المعطلة الذين عطلوا صفات الله تعالى عن معانيها، ونفوا حقيقة ما دلت عليه من المعاني الكريمة.

س٦: بيِّن مذاهب نفاة الصفات، ثم اذكر ما يلزم مذهبهم من التناقض.

ج٦: نفاة الصفات لهم مذاهب عدة:

الأول: مذهب الفلاسفة، ومن تبعهم وهو إثبات ذات مجردة عن جميع الصفات والأسماء.

الثاني: إثبات الأسماء الحسنى ونفي جميع الصفات، وهو مذهب الجهمية النفاة.

الثالث: مذهب الأشعرية والماتريدية وغيرهم، وهو نفي الصفات ما عدا الصفات السبع[(٢)] التي يسمونها العقلية على خلاف بينهم.

---

(١) انظر: التعليقات الجلية على العقيدة الطحاوية للغامدي (ص١٦).

(٢) الماتريدية والأشعرية لا يثبتون لله صفة الكلام الحقيقي، بل يثبتون الكلام النفسي، فلا يقال إنهم يثبتون لله سبع صفات على الحقيقة.

وأما لازم مذهبهم من التناقض، فإن من نفى بعض الصفات وأثبت البعض يقال له: يلزمك فيما أثبته من التشبيه نظير ما ظننته لازما لك فيما نفيته، فإما أن تثبت جميع الصفات مع نفي المشابهة أو تنفيها كلها.

وأما من أثبت الأسماء ونفى جميع الصفات، فيقال له: أثبت الصفات مع التنزيه كما فعلت في الأسماء، أو انفِ الأسماءِ كما نفيت الصفات.

وأما من أثبت ذاتاً مجردة من جميع الأسماء والصفات، فهذا يقال له ما فرضته ليس له وجود إلا في الذهن فقط، ولا يتصور خارج الأذهان، ثم إنه يلزم منه رد كل هذه النصوص المتكاثرة من الكتاب والسنة الدالة على إثبات الأسماء والصفات.

س٧: عرف توحيد الأسماء والصفات؟

ج٧: هو اعتقاد انفراد الله ﷻ بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال، وذلك بإثباتِ ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة مع اعتقاد أنه ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله(١).

س٨: ما الذي يقدح في توحيد الأسماء والصفات؟

ج٨: يقدح في هذا التوحيد خمسة أمور، وهي كلها من ضروب الإلحاد في أسمائه، قال ابن القيم: «الإلحاد في أسماء الله تعالى أنواع:

أحدها: أن تُسمّى الأصنام بها.

والثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله.

وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص.

رابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها، وجحد حقائقها.

خامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً»(٢).

س٩: اذكر مذاهب الناس في الأسماء والصفات؟

ج٩: الناس في باب الأسماء والصفات ثلاثة أصناف:

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٣٤ - ٣٥)، الكواشف الجلية (ص٤١٧ - ٤١٨).
(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٦٩، ١٧٠).

١- المعطلة: وهم الذين عطلوا الرب عما يجب أن يثبت له من الأسماء والصفات.

٢- المشبهة: وهم الذين يشبهون صفات الله بصفات المخلوقين.

٣- المؤمنون الموحدون: وهم الذين يصفون الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تمثيل ولا تشبيه، ومن غير تحريف ولا تعطيل(١).

س١٠: بيِّن مراتب التعطيل؟

ج١٠: التعطيل على ثلاث مراتب:

١- وصف الله بسلب النقيضين، وهو مذهب غلاة المعطلة، فإنهم يقولون: لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، لأننا لو وصفناه بالإثبات لشبهناه بالمخلوقات، ولو وصفناه بالنفي لشبهناه بالمعدومات.

٢- وصف الله بالسلب والإضافة دون صفات الإثبات، وهو مذهب المعطلة من الفلاسفة والجهمية، وهؤلاء كلهم ينفون الأسماء والصفات.

٣- إثبات الأسماء دون الصفات، وهو مذهب المعتزلة ومن تبعهم(٢).

س١١: اذكر أقسام المعطلة؟

ج١١: المعطلة قسمان: أهل تأويل، وأهل تجهيل:

١- أما أهل التأويل: فهم الذين يصرفون معاني نصوص الكتاب والسنة عن معانيها الظاهرة بغير حجة، وهذا هو التحريف بعينِه(٣).

٢- وأما أهل التجهيل: فهم الذين ينكرون معاني الأسماء والصفات، ويثبتون ألفاظاً لا معاني لها(٤).

س١٢: ما هي طريقة السلف في الإثبات في باب الأسماء والصفات؟

ج١٢: الإثبات عندهم هو إثبات بلا تشبيه، وبيان ذلك في الآتي:

١- الإيمان والتسليم بما ورد من الأسماء والصفات.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه، لا يسع أحداً من خلق الله تعالى قامت عليه الحجة ردها؛ لأن القرآن نزل بها، وصح عن

---

(١) انظر: الحق الواضح المبين (ص١٢)، ط: السلفية، (ص٢٠)، ط: دار ابن القيم.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٧-٨).

(٣) انظر: درء التعارض (١/ ٨-٩).

(٤) انظر: مختصر الصواعق (ص٥٤).

رسول الله ﷺ القول بها»[١].

٢- أسماء الله وصفاته كلها عندهم توقيفية:

قال عبد الرحمن بن قاسم العتقي: «لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن»[٢].

٣- إثباتهم للصفات إثبات وجود معلوم المعنى مجهول الكيفية:

«سئل الإمام مالك عن قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

وقال الخطابي: «فإذا كان معلوماً أن إثبات الباري ﷻ هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود، لا إثبات تحديد وتكييف»[٣].

٤- الإثبات عندهم يكون على وجه التفصيل.

٥- صفات الله تعالى كلها كاملة عندهم.

٦- أسماء الله كلها حسنى عندهم.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

س١٣: اتفق المعتزلة مع أهل السنة في إثبات بعض الأسماء. وضِّح ذلك مع التمثيل بآيات من القرآن الكريم مبينا وجه الاستدلال بها على الردِّ عليهم؟

ج١٣: اتفق المعتزلة مع أهل السنة في أن الله تعالى موجود حي عليم قدير، وهذه الأسماء ورد في القرآن تسمية مخلوقات بها كما قال تعالى: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥]، و﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]، وغير ذلك.

وهؤلاء يقال لهم: أثبتم تلك الأسماء لله مع نفي المشابهة للخلق فيها، فلمَ لم تثبتوا باقي الأسماء والصفات مع نفي المشابهة، وإلا فيلزمكم فيما أثبتموه نظير ما ظننتم أنه لازم لكم من التشبيه فيما نفيتموه.

س١٤: هل يمكن الاستدلال بمجرد العقل على بعض صفات الباري ﷻ؟

ج١٤: نعم يمكن الاستدلال على بعض صفات الباري بمجرد العقل، فمثلًا: يدل

---

(١) انظر: ذم التأويل (ص١٤٣).
(٢) أصول السنة لابن أبي زمنين (١/ ٢١٢).
(٣) الأربعين في صفات رب العالمين (ص١٧)، العلو (ص١٧٣)، كلاهما للذهبي.

العقل على أن الله موجود وإلا فكيف وجد هذا الخلق، ثم العقل يدل على أن الله خالق هذا الكون، وإلا فكيف خلق هذا الخلق، ثم العقل يدل على أنه قادر، فلو كان عاجزاً ما أوجد هذا الخلق، ولا استطاع أن يصرفه، وهكذا...

غير أن معرفة الصفات على وجه التفصيل أو معرفة باقي الصفات مرتبطة بالسمع لا بالعقل.

س١٥: وصف الله نفسه بصفات ووصف بعض عباده بالصفات نفسها، فهل يقتضي ذلك تشبيها؟ أوضح هذا القول؟

ج١٥: وردت في القرآن أوصاف لله، ووردت أوصاف للخلق، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال في حق الإنسان: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، ولا يقتضي ذلك تشبيها.

فالاتفاق في الاسم لا يقتضي المماثلة لأن الله يعلم لا كعلمنا، ويرى لا كرؤيتنا، ومن توهموا التشبيه ظنوا أن هذه الأسماء الكلية العامة لها مسمى مطلق كلي ثابت في كل مسمى بها، وليس الأمر كذلك، فإن ما يوجد خارج الأذهان لا يكون إلا معينا مختصاً، فإذا أطلق الاسم على الله كان مسماه مختصاً به، وإذا أطلق على الإنسان كان مسماه مختصاً به.

س١٦: تكلم بإيجاز عن مذهب الأشاعرة؟ ثم بين كيف يلزمهم إثبات ما نفوه؟

ج١٦: مذهب الأشاعرة إثبات الأسماء لله تعالى مع بعض الصفات الست، التي يسمونها عقلية، وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع والبصر.

وأما صفة الكلام فلا يثبتونها البتة، بل عطلوها تعطيلًا واضحاً فاضحاً، ونفوا صفة الكلام، ونسبوا لله الكلام النفسي مع أن الكلام النفسي ليس من صفات الله تعالى، فما كان من صفات الله فقد عطلوه، وما لم يكن من صفات الله فقد تقولوه على الله سبحان الله عما يصفون.

ويلزمهم فيما أثبتوه نظير ما فروا منه إذ لا فرق بين ما نفوه وبين ما أثبتوه من لزوم المحذور وعدمه، فيقال لهم: الله حي، والعبد حي، ولا مشابهة بينهما، وأثبتم لله الكلام وللعبد الكلام مع عدم المشابهة، فلماذا لا تثبتون باقي الصفات وتنفون المشابهة كما فعلتم في هذه الصفات الست.

س١٧: يثبت بعض المعتزلة الأسماء دون الصفات بِمَ ترد عليهم؟

ج١٧: الرد عليهم: أنهم يسمون الله تعالى بأسماء يسمى بها العبد كقولهم: هو حي

موجود عليم قدير، فنقول لهم: يلزمكم فيها التشبيه كما ظننتموه لازماً لكم في الصفات، فإما أن تثبتوا الأسماء والصفات مع نفي المشابهة، وإما أن تنفوا كلًا منها؛ إذ إن القول في الصفات كالقول في الأسماء.

س١٨: ذهب بعض النفاة إلى حد نفي أسماء الله تعالى، وأنها في الحقيقة ما هي إلا مجاز، وهي في الحقيقة أسماء لبعض مخترعاته، من هم هؤلاء؟ وكيف ترد عليهم؟

ج١٨: من ذهب إلى ذلك هم الفلسفة وغلاة الباطنية وغلاة الجهمية.

ويرد عليهم: بأن الله تعالى لا بد أن تعتقدوا بأنه موجود حي قادر بنفسِه، وعلى الرغم من أن الجسم موجود قائم بنفسه، لكن ليست هناك مماثلة بينهما.

س١٩: كيف تناقش من جحد وجود الرب سبحانه وتعالى؟

ج١٩: من أنكر وجود الرب تعالى يقال له:

معلوم بصريح العقل أن الموجود إما واجب بنفسه، وإما غير واجب بنفسه، وإما قديم أزلي، وإما حادث كائن بعد أن لم يكن، وإما مخلوق مفتقر إلى خالق، وإما غير مخلوق ولا مفتقر إلى خالق، وإما فقير إلى ما سواه، وإما غني عما سواه، وغير الواجب بنفسه لا يكون إلا بالواجب بنفسه، والمخلوق لا يكون إلا بالخالق، والمحدث لا يكون إلا بالقديم، والفقير لا يكون إلا بغني عنه، فقد لزم على تقدير النقيضين وجود موجب واجب بنفسه قديم أزلي خالق غني عما سواه.

س٢٠: هناك صفات وردت في القرآن وصف بها الرب كما وصف بها العبد، وضح ما بينهما من الاتفاق والاختلاف؟

ج٢٠: وردت في القرآن صفات وصف بها الرب والعبد كالعلم والحياة والسمع والبصر والقوة والحلم وغير ذلك.

وهذه الصفات عند الله تختلف عنها عند العبد في كون المسمى مختصاً بالرب كما أن المسمى في الأخرى مختص بالعبد، وكيفية الصفة عند الله تختلف عنها عند العبد كاختلاف الموصوف وهو الله، عن الموصوف وهو العبد، لكنها تتفقان في الاسم وفي المعنى العام الكلي.

س٢١: ما الشبهة التي استند إليها النفاة في نفيهم للصفات الإلهية؟ وضح كيف ترد عليهم؟

ج٢١: شبهة النفاة التي استندوا إليها في نفي الصفات الإلهية هي أن إثبات الصفات

مع كون هذه الصفات يوصف بها العبد يستلزم المشابهة، فالتنزيه يقتضي نفي الصفات.

ويرد عليها بأن الإثبات للصفات لا يلزم منه التشبيه، كما أثبتنا ذاتاً ليست كالذوات فإننا نثبت صفات ليست كالصفات، فصفة الرب على ما يناسبه، وصفة العبد على ما يناسبه.

س٢٢: ما معنى كلام المصنف: «وإذا اتفقا في مسمى الوجود فهذا المشترك مطلق كلي يوجد في الأذهان لا في الأعيان، والموجود في الأعيان مختص لا اشتراك فيه»؟

ج٢٢: معنى كلام المصنف أن كلمة: «موجود» مثلًا تطلق على الخالق القديم الأزلي، وتطلق على المحدَث المخلوق، ومع هذا فليس لأحدهما أن يشارك الآخر في وجوده بل لكل واحد منهما وجود يخصه، ولا يلزم من اتفاق الأسماء اتفاق المسميات، فلفظ: «الوجود»، و «العلم»، و «القدرة»، إنما هي مجرد معاني كلية ذهنية غير حسية ولا خارجية.

أما في الواقع الخارجي فلا يكون إلا قيدا مختصاً بما يضاف إليه كل منهما[1].

س٢٣: ما المراد بالمصطلحات الآتية: المشترك والتواطؤ؟

ج٢٣: الاشتراك اللفظي: هو اللفظ الواحد الذي يطلق على موجودات مختلفة إطلاقاً متساويا، كالعين، تطلق على ينبوع الماء، والعين الباصرة وغيرهما.

وأما الألفاظ المتواطئة: فهي التي تدل على أعيان متعددة بمعنى واحد بينها كدلالة اسم الإنسان على زيد وعبيد[2].

س٢٤: ما معنى قول المصنف: «وطائفة ظنت أن لفظ الوجود يقال بالاشتراك اللفظي وكابروا عقولهم...»؟

ج٢٤: اختلف الناس في الألفاظ المشتركة، فقال قوم: هي من قبيل المشترك اللفظي، فمثلا: لفظ الوجود الذي يشترك فيه الخالق والمخلوق لا يحمل معنىً عاماً بينهما.

والحق الذي لا مرية فيه أن ذلك هو من باب المتواطئ، والقول بالاشتراك اللفظي في هذه الأسماء مكابرة للمعقول[3].

س٢٥: تقول المعطلة: إن الاشتراك في الوجود ونحوه لفظي فقط، فكيف ترد عليهم؟

ج٢٥: الرد عليهم: بأن العقلاء اتفقوا على أن الوجود من باب التواطؤ، لا من باب

---

(١) انظر: التدمرية (٢٠)، وشرح الطحاوية بتعليق العدني (ص٧٣).

(٢) انظر: التعريفات (ص٢١٥).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٣٣١).

الاشتراك بدليل انقسام الموجود إلى قديم ومحدَث.

وأما المشترك فإنه لا ينقسم، مثل سهيل يطلق على الكوكب المعروف، ويطلق اسماً لرجل، والاشتراك في الاسم، لا في المماثلة؛ إذ ليس الرجل كالكوكب، فكلامهم غير صحيح.

س٢٦: ما رأيك فيما يوجد في خارج الأذهان هل يكون موجودا أم يجوز الاشتراك فيه؟

ج٢٦: ما كان موجودا في خارج الأذهان فلا اشتراك فيه، بل يكون موجوداً مختصاً فيمن هو فيه، كقولنا: إن وجود الله تعالى يدل على مسمى مختص بالله تعالى، ووجود العبد يدل على مسمى مختص به، فلا اشتراك فيما هو خارج الأذهان، وإنما الاشتراك في المعاني التي لا وجود لها إلا في الذهن فقط.

س٢٧: لقد أحسنت النفاة والممثلة من وجه ولكنهم أساءوا من وجه آخر بيِّن ما أحسن كل منها وما أساء؟

ج٢٧: أما النفاة فإنهم أحسنوا حين أرادوا التنزيه، لكنهم أساءوا حين غلوا بتنزيههم إلى نفي ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ.

وأما الممثلة فإنهم أحسنوا حين أثبتوا الصفات، ولكنهم أساءوا حين غلوا بإثباتهم إلى درجة تمثيل صفات الله بصفات خلقه فشبهوه بخلقه، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣].

س٢٨: وضح كيف يتعلم الإنسان معاني الكلام؟

ج٢٨: يتم ذلك عن طريق النطق بلفظ المفرد كما يقال: لبن، خبر، سماء، أرض، ويشار إليه عند النطق باللفظ إلى المعنى إن كان مشاهداً، فيشار له إلى المسمى، حينئذ يربط في ذهنه بين اللفظ وبين المعنى الدال عليه اللفظ، وبغير ذلك لا يمكن للمرءِ معرفة معنى اللفظِ أو مراد الناطق به.

س٢٩: مثل للحقيقة الشرعية مع توضيح صلتها بالمعنى اللغوي؟

ج٢٩: الحقيقة الشرعية مثلًا الصلاة، فإن الصلاة في المعنى الشرعي هي أفعال وأقوال مخصوصة تفتتح بالتكبير تختتم بالتسليم، وتشترك مع الدعاء في المسمى إذ إن الدعاء يسمى صلاة.

س٣٠: أوضح درجات الخطاب؟ وتكلم عن المراتب الثلاث التي لا بد منها في كل خطاب؟

ج٣٠: هذه المراتب كما يلي:

١- إدراك الإنسان المعاني المحسوسة المشاهدة بالعين.

٢- عقله لمعانيها الكلية العامة.

٣- تعريف الألفاظ الدالة على تلك المعاني الحسية والعقلية.

س٣١: ما معنى قول المصنف: «وأصل الخطأ والغلط توهم أن هذه الأسماء العامة الكلية يكون مسماها المطلق الكلي وهو بعينه ثابتاً في هذا المعين وهذا المعين»؟

ج٣١: أي: أن هؤلاء إنما كان سبب خطئهم وغلطهم أنهم لو أثبتوا القول بالتواطؤ يلزمهم إثبات المعنى الكلي، فيلزم من هذا في الخارج، بل ما هو إلا معنى ذهنياً، فالإنسانية مثلًا التي يشترك فيها: زيد وعمرو ليس لها وجود في الخارج، بل أفرادها والمشتركون فيها هم الموجودون في الخارج.

س٣٢: ما معنى قول المصنف: «واعلم أن المخاطب لا يفهم المعاني المعبر عنها باللفظِ إلا أن يعرف عينها أو ما يناسب عينها»؟

ج٣٢: يعني الذي يخبر بلفظ لا يستطيع أن يعرف معناه إلا بأمرين:

١- أن يعرف عينه: كأن يقال للطفل: هذا قلم، حيث يسمع معنى ذلك اللفظ.

٢- أو ما يناسب عينه: أي ما يماثله ويناظره، ومثاله: أن الله ذكر لنا مآكل الجنة ومشاربها ومناكحها، ومساكنها وملابسها، ولا شك أن ما في الجنة ليس هو مثل ما في الدنيا، ولكن بينهما مشابهة ومناسبة، ولولا ذلك ما علمنا هذه الألفاظ، فإذا باب الأسماء والصفات مخفية الكيفية لنا، حيث لم نرها بعينها، ولا رأينا ما يناسبها.

س٣٣:ما معنى قول المصنف: «فإذا أخبرنا عن الأمور الغائبة فلا بد من تعريفنا المعاني المشتركة بينها وبين الحقائق المشهورة، فإن كانت مثلها لم يحتج إلى ذكر الفارق وإن لم يكن مثلها بيّن بذكر الفارق»؟

ج٣٣: يتضح كلام المصنف بذكر المثال على ذلك ألا وهو ما ثبت في الجنة من المآكل والملابس والمناكح والمشارب والمساكن، فإنها تتفق مع أمور الدنيا، لكن ليس هذا الاتفاق من كل وجهٍ، ومن الأدلة الدالة على عدم المماثلةِ قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

وفي الصحيحين في الحديث القدسي: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما

لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[١].

قال ابن عباس: «ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء».

فإذا علم هذا فإننا نعلم بأن الله وصف نفسه ورسوله ﷺ كذلك وصف ربه، وصفاته سبحانه ليس مماثلة لصفات خلقه.

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤][٢].

س٣٤: ما معنى قول المصنف: «وانتفاء التساوي لا يمنع منه وجود القدر المشترك»؟

ج٣٤: يعني انتفاء التساوي من كل وجه لا يمنع وجود التشابه من بعض الأوجه الذي هو: القدر المشترك، وهو المعنى العام الذي تشترك فيه الأشياء، وهذا المعنى الكلي إنما هو في الذهن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكل ما تثبته من الأسماء والصفات فلا بد أن يدل على قدر مشترك تتواطأ فيه المسميات، ولولا ذلك لما فهم الخطاب، ولكن نعلم أن ما اختص به وامتاز على خلقه أعظم مما يخطر بالبال أو يدور بالخيال»[٣].

س٣٥: ما معنى قول الطحاوي: «ولا شيء يعجزه»؟

ج٣٥: الله تعالى له القدرة التامة المطلقة فهو على كل شيء قدير، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]، والله تعالى لا يعجزه من شيء في الأرض ولا في السماء، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

ونفي العجز في الآية جاء معللًا بكمالِ علمِه وقدرتِه؛ وذلك لأن العجز إما أن يرجع إلى عدم العلم، أو عدم القدرة.

والمقصود أن قول الطحاوي: «ولا شيء يعجزه» يعني أنه ﷻ لا شيء مما يصح أن يطلق عليه أنه شيء يعجزه جل وعلا، ويثقله، وفي الجملة تقرير لتوحيد الربوبية؛ لأن نفي العجز لأجل كمال القوةِ والقدرة والغنى، وهذا راجع إلى أفراد توحيد الربوبية[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، ك: بدء الخلق، ب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم: (٣٢٤٤)، ومسلم، ك: الجنة وصفة نعيمها، وأهلها، ب: ١، برقم: (٢٨٢٤).

(٢) انظر: شرح التدمرية (ص١٧٦، ١٨١).

(٣) الرسالة التدمرية (ص٤٢ - ٤٣).

(٤) انظر: المسار إعداد مهدي الشمري (ص١١).

س٣٦: ما معنى قول المصنف: «فالنفي الصرف لا مدح فيه»؟

ج٣٦: النفي يأتي على قسمين:

١- نفي صرف «خالص»: وهو ما لا يتضمن ثبوتاً، بأن خلص في دلالته على العدم، مثاله: قولك لشخص: أنت لست بحجام، فإنه ليس من ورائِه إثبات، وهذا النوع ليس بوارد في الصفات المنفية عن الله.

٢- نفي غير صرف: وهو ما تضمن ثبوتاً بأن دل بمعناه على ثبوتِ أضداد ذلك المنفي، مثاله: قولك لآخر:أنت لست ببخيل، ومعناه أنك كريم(١).

س٣٧: ما معنى قول المصنف: «والذي قاله هؤلاء إما أن يعرضوا عنه إعراضاً جملياً أو يبينوا حاله تفصيلا»؟

ج٣٧: يعني: أن لأهل السنة في الألفاظ الكلامية المحدثة طريقتين:

١- الإعراض عنها إجمالًا، وعدم التعرض لها.

٢- طلب البيان والتفصيل لمعانيها للتمكن من الحكم عليها من الكتاب والسنة(٢).

س٣٨: النفي إذا ورد في الكتاب والسنة فماذا يراد به؟

ج٣٨: النفي إذا ورد في الكتاب والسنة فإنه لا يراد به حقيقة النفي، وإنما يراد به كمال ضده؛ وذلك لأن النفي المحض ليس بكمال، فقد يُنفى عن الشيء لاتصاف بالصفة؛ لأنه ليس بأهل، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]؛ لكمال عدله.

س٣٩: تكاثرت الأدلة من نصوص الكتاب والسنة على إثبات قدرة الرب ﷻ»؛ ولهذا قال الطحاوي في عقيدته: «ولا شيء يعجزه»، مثِّل لذلك بثلاثة أمثلة مع بيان وجه الدلالة منها.

ج٣٩: المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥]، ووجه الدلالة في الآية هو شمول قدرة الله لكل شيء، وأنها لا يخرج عنها شيء على الإطلاق.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]، ووجه الدلالة فيها إثبات عموم القدرة الإلهية لكل شيء حيث ورد الإثبات عاماً.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥)، وشرح الطحاوية بتعليق العدني (ص٨١).

(٢) انظر: شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص٨٥).

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، ووجه الدلالة فيها أنها دالة على علمِ الله السابق وكتابته الأشياء قبل تكوينها فكانت كما أراد.

س٤٠: ورد في القرآن والسنة بعض صفات لله تعالى بصيغة النفي، أكثرها منفية إجمالًا، وقليل منها على وجه التفصيل، فما رأي أهل السنة في هذا النفي؟

ج٤٠: يرى أهل السنة أنَّ كل نفي في الكتاب والسنة لصفة من صفات النقص عن الرب تعالى إنما هو لثبوتِ كمالِ ضدها كقولِه تعالى: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩]، فإنه دال على كمال عدله سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ [ق: ٣٨]، فإنه دال على كمال قدرتِه ﷻ بلا تناهٍ، وهكذا كل نفي لصفة عن الرب فيه إثبات لكمال ضدها.

وخالف في ذلك المتكلمون ففصلوا في النفي جداً فقالوا: ليس بجسم، وليس بجوهر، وليس بعرض، وليس بكذا، وليس بكذا...الخ.

فغالب عقائدهم السلب ففصلوا في النفي، وأجملوا في الإثبات على عكس السلف، وأسلوب المتكلمين هنا فيه إساءة أدب مع الله ﷻ؛ لأن الأدب يقتضي نفي النقص مجملًا وليس التفصيل فيه.

س٤١: أوضح طريقة أهل السنة والجماعة في الصفات وطريقة النفاة فيها؟ ثم وضح أيهما هو المنهج الحق؟

ج٤١: طريقة أهل السنة في إثبات الصفات أنهم يثبتون لله تعالى كل ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسول الله ﷺ من غير تشبيه ولا تكييف، ويبنون ذلك على قواعد هي:

١- أن الإثبات متلقى عن السمع.

٢- أن الإثبات يكون مفصلا غالباً، وقلما يكون مجملًا.

ومعنى إثبات مفصل: هو الإثبات على سبيل التعيين لكل اسم أو صفة، أي: يعين الاسم والصفة وينص على كل اسم وصفه بذاتها، وقد يأتي - وهو خلاف الأصل - الإثبات مجملًا كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٠٨]، حيث لم يخص اسماً بعينِه ولا صفة بعينها.

٣- أنهم يثبتون كمال معاني الصفات.

٤- أنهم لا يثبتون كيفية معينة للصفة، بل يفوضون علم الكيفية لله وإن كانوا يعرفون المعاني.

٥- إثبات الأسماء الحسنى لله تعالى التي بلغت في الحسن غايته ومن الجمال نهايته.

وهم ينفون عن الله تعالى كل ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من خلالِ القواعد الآتية:

١- أن هذا النفي متلقى عن السمع.

٢- أنه نفي مجمل عموماً.

والمراد بالنفي المجمل: أي، نفي على سبيل العموم والشمول دون التعرض لصفتها بعينها، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقد يأتي النفي مفصلًا كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

٣- أن فيه ثبوتاً لكمالِ الضد.

وهم يستخدمون قياس الأولى المستنبط من قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧]، ومضمونه: «أن كل كمال اتصف به المخلوق وجاز أن يتصف به الخالق فالخالق أولى به، وكل نقس تنزه عنه المخلوق، فالخالق أولى أن يتنزه عنه».

وأما طريقة النفاة فإنهم ينفون صفات الله تعالى، وجعلوه ذاتاً بلا صفات حتى شبهوه بالممتنعات، بل بالمعدومات.

والمنهج الحق فيهما - أي: في الإثبات والنفي - هو طريق أهل السنة والجماعة لاستقامته واتباعه لنصوص الكتاب والسنة، فهو أسلم وأعلم وأحكم، وهو طريق الصالحين.

س٤٢: فسر قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]؟

ج٤٢: يقول الله ﷻ بعد أن تكلم داعيا المشركين إلى النظر في حال من قبلهم من الأمم التي كانت أشد منه قوة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، أي: لن تقدروا أيها المشركون على إعجاز الله تعالى فتهربوا منه ولن تنفذوا من أقطار السموات والأرض، بل إنه لا يعجزه شيء في خلقه، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾، أي: عليماً بكل شيء علماً كاملًا فلا يغيب عنه شيء، وقديراً على كل شيء فلا يعجزه شيء، فهو قادر على إهلاككم إن أراد.

س: من أين ينشأ العجز الذي نفته الآية السابقة؟ ثم دلل لنفيه عن الله تعالى مع بيان وجه الاستدلال؟

ج: العجز المنفي عن الله تعالى في الآية إنما ينشأ من الضعفِ عن القيام بما يريده الفاعل أو من عدم علمه به، والله تعالى له كمال القدرة والعلم لا يعزب عنه مثقال ذرة، وهو على كل شيء قدير كما قال في آخر الآية: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾، وقد علم ببداهة العقولِ والفطرِ كمال قدرته وعلمه، فانتفى العجزُ لما بينه وبين القدرة من التناقض؛ لأن العاجز لا يصلح أن يكون إلها، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

استحقاق الله للعبادة دون غيره

قال الطحاوي: «ولا إله غيره، قديم(١) بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[لا إله إلا الله تثبت التوحيد:]

هذه كلمة التوحيدِ التي دعتْ إليها الرسل كلُّهم، وإثباتُ التوحيد بهذه الكلمة باعتبار

(١) لفظ القديم ليس من أسماء الله لأمرين:
١- أنه لا دليل عليه، وأسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها.
٢- أن لفظ القديم يحمل معنيين:
أ- المسبوق ببعض المخلوقات، وهذا ليس كمالًا.
ب- الذي لم يسبق بعدم، وهذا كمال مطلق.
ومعلوم أن أسماء الله الحسنى لا تحتمل النقص بوجه من الوجوه، ولهذا فإن القديم ليس من أسماء الله، وهذا المعنى الثاني إنما هو مراد المتكلمين إذا أطلقوه على الله.
فإذا قيل: قد عرفنا أن لفظ القديم ليس من أسماء الله سبحانه، فلماذا يستعمله بعض أهل السنة؟
الجواب: ١- إن القديم عند أهل الكلام عبارة عما لم يزل أو عما لم يسبقه وجود غيره، وأهل الاصطلاح تجوز مخاطبتهم باصطلاحاتهم.
٢- إن إطلاق القديم على الله قد يكون من باب الإخبار، وهذا الباب أوسع من باب الأسماء، فالله تعالى يخبر عنه بألفاظٍ ليست داخلة في أسمائه، كالشيء والموجود، والقائم بنفسه، وغير ذلك.
انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٢٤٥، ٩/ ٣٠٠)، البدائع (١/ ١٦١ - ١٦٢)، التعريفات (ص٤)، معجم المناهي اللفظية (مادة قديم)، التحفة المهدية (ص ٥١)، وشرح الطحاوية بتعليق العدني (ص ٨٠).

النفي والإثباتِ المقتضي للحصر، فإن الإثبات المجرَّد قدح يتطرَّق إليه الاحتمال[١].

ولهذا - والله أعلم - لمَّا قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، قال بعده: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾، فإنه قد يخطر ببالِ أحدٍ خاطرٌ شيطاني: هب أن إلهنا واحد، فلغيرنا إله غيره، فقال تعالى: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾.

[الله تعالى هو الأول والآخر:]

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

وقال ﷺ: «اللهم أنتَ الأولُ فليس قبلك شيء، وأنت الآخرُ فليس بعدك شيء»[٢].

فقول الشيخ: «قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء»، هو معنى اسمه: «الأول والآخر»، والعلمُ بثبوت هذين الوصفين مستقر في الفطرة.

[القديم ليس من الأسماء الحسنى:]

وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى القديم، وليس من الأسماء الحسنى، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن هو المتقدم على غيره، فيقال: هذا قديم للعتيق، وهذا حديث للجديد، ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، والعرجون القديم الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد قيل للأول: قديم.

وإدخال القديم في أسماء الله تعالى مشهور عند أكثر أهل الكلام، وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف، منهم ابن حزم.

وأسماء الله تعالى هي الأسماء الحسنى التي تدل على خصوص ما يمدح به، والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها، فلا يكون من الأسماء الحسنى، وجاء الشرع باسمه «الأول»وهو أحسن من القديم؛ لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له بخلاف القديم. والله تعالى له الأسماء الحسنى لا الحسنة.

---

(١) يعني قولك: «الله إله» لا يفيد الحصر، يعني: حصر العبادة له تعالى، كقولك: زيد شجاع، فلا يلزم حصر الشجاعة في زيد على عكس النفي والإثباتِ، فهو أبلغ كقولك: لا شجاع إلا زيد، حيث حصرت الشجاعة فيه، انظر شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص ٧٧).

(٢) أخرجه مسلم، ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب: ما يقول عند النوم، وأخذ المضجع، برقم: (٢٧١٣).

[دوام البقاء لله تعالى:]

إقرارٌ بدوام بقائِه سبحانه وتعالى، قال عز مِن قائل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]، والفناءُ والبيدُ متقاربان في المعنى، والجمع بينهما في الذكر للتأكيد، وهو أيضاً مقرِّرٌ ومؤكِّدٌ لقوله: «دائم بلا انتهاء».

الأسئلة والأجوبة على استحقاق الله للعبادة دون غيره

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ولا إله غيره...»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ولا إله غيره...» إلى المسائل التالية:

١- إن كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» فيها إثبات لحقيقة التوحيد.

٢- الله تعالى هو الأول والآخر.

٣- القديم ليس من الأسماء الحسنى.

٤- دوام البقاء لله تعالى.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ولا إله غيره»؟

ج٢: هذه كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، وهي التي دعت إليها كل الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

والألوهية المنفية يراد بها العبادة، أي نفي استحقاقِ العبادةِ من غير الله ﷻ، والمقصود أن قول الطحاوي: «ولا إله غيره»، كلمة مطابقة لكلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، والمنفي جنس الآلهة التي تستحق العبادة، والله جل وعلا ليس داخلًا في هذا النفي؛ لأن النفي راجع إلى الآلهة الباطلة[١].

س٣: ما معنى كلمة التوحيد عند أهل السنة وعند المخالفين؟

ج٣: المقرون بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» افترقوا في معناها على الأقوال التالية:

١- القول الأول: معناها: لا موجود إلا الله، فليس لله تعالى وجود سوى هذا العالم المرئي، وهؤلاء هم أصحاب وحدة الوجود.

---

(١) انظر: المسار للشمري (ص١٢).

٢- القول الثاني: أن معنى لا إله إلا الله هو: القدرة على الاختراع والخلق، وأن من اعتقد أن الله هو وحده القادر على الاختراع فقد حقق معنى لا إله إلا الله.

وهذا هو مذهب أهل الكلام.

٣- القول الثالث: معنى لا إله إلا الله هو: لا معبود بحق إلا الله جل وعلا، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢].

س٤: كيف تدل كلمة الإخلاص على أنواع التوحيد؟

ج٤: كلمة «لا إله إلا الله» هي العروة الوثقى، وكلمة التقوى، وأساس التوحيد، وقد دلت هذه الكلمة على جميع أقسام التوحيد؛

فدلت على توحيد الألوهية؛ لأن معناها الحقيقي: لا مستحق للعبادة إلا الله تعالى.

ودلت على توحيد الربوبية على سبيل التضمن؛ وذلك أنه لا يستحق أن يفرد بالعبادة إلا من كان منفرداً بالربوبية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وشهادة أن لا إله إلا الله هي الأصول الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأصول الثلاثة تدور عليها أديان الرسل»[1].

س٥: قال الطحاوي في عقيدته: «ولا إله غيره» فكيف تقدر خبر لا إله إلا الله؟

ج٥: تقدير الخبر: لا إله معبوداً بحق إلا الله، وهذا مستنبط من حقيقةِ معنى الكلمة، وكذلك لكونِ الآلهةِ الكثيرة قد عبدت من دون الله، لكنها عبدت بالباطل، ولا تستحق تلك العبادة.

س٦: ما معنى الماهية عند أهل السنة والمتكلمين؟ وهل هناك فرق بين نفي الوجود والماهية عند أهل السنة؟

ج٦: الماهية من الأسماء المولدة، وهي المقول في جواب ما هو، وهي ما يصور الشيء في نفس السائل، وهي كنه الشيء وحقيقته.

أما معنى الماهية عند أهل السنة فلم ترد في الكتاب والسنة، ولم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين فيها شيء، وهي كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المقول في جواب «ما هو» بما يصور الشيء في نفس السائل، وهو الثبوت الذهني».

---

(١) انظر: التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية (ص٩).

وقد يراد بالماهية ما هو موجود في الخارج.

أما معنى الماهية عند أهل الكلام فهي: ما يجاب عن السؤال بـ: «ما هو» ويفسره بما به الشيء هو هو[١].

ولا يرى أهل السنة فرقاً بين نفي الماهية ونفي الوجود، فنفي الماهية إنما هو نفي للوجود.

س٧: يخالف المعتزلةُ أهلَ السنة فإنهم يثبتون ماهية حقيقية بلا وجود، فما موقفك من هذا الكلام؟

ج٧: إن لكل موجود حقيقة تخصه يتميز بها عما سواه ويباين بها غيره، وهذه الحقيقة هي حقيقة الربوبية، وبنفيها ضل الجهمية والمعتزلة والفلاسفة وغيرهم.

وأما بالنسبة لكلامهم، فموقفي هو الحكم على قولهم بالفساد والبطلان؛ لأنه لا يتصور ماهية إلا مع الوجود، ولا فرق بين الماهية وبين الوجود كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩].

س٨: كلمة التوحيد والتقوى لها ركنان اذكرهما؟

ج٨: كلمة التوحيد لها ركنان:

١- الركن الأول هو: «لا إله»، نفي الألوهية الحقة عن كل ما سوى الله من المخلوقات.

٢- الركن الثاني هو: «إلا الله»، إثبات الألوهية لله وحده لا شريك له، فهي تنفي أن يكون معبود بحقٍ غير الله ﷻ، وتُثبت العبادةَ له وحده.

س٩: ما إعراب كلمة التوحيد؟

ج٩: إعراب كلمة التوحيد:

لا: نافية للجنس.

إله: اسمها مبني على الفتح، ولا النافية مع اسمِها المبتدأ في محل رفع.

وبحقّ: هو الخبر المحذوف في محل رفع.

إلا: أداة استثناء مبني على السكون.

---

(١) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ١٣١٣، المعجم الوسيط (٢/ ٨٩٢)، وراجع: الرد على المنطقيين (ص٦٥)، التدمرية (ص١٢٩)، الدرء (١/ ٢٨٨)، شرح المقاصد (١/ ٤٠٠).

الله: لفظ الجلالة بدل من الخبر مرفوع.

س١٠: ما معنى قول المصنف: «فإن قولكم: نفي الوجود ليس تقييدا؛ لأن العدم ليس بشيء»؟

ج١٠: لعل الشارح يقصد أننا لو جعلنا: «لا إله إلا الله» معناها: «لا إله في الوجود إلا الله» صار المعنى: أن ما سوى الله من الآلهة معدومة، وليس هذا بصحيح، لأن الله قال: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ [هود: ١٠١]، فأثبت وجود آلهة تعبد من دونه[١].

س١١: ما معنى قول الطحاوي: «قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء»؟

ج١١: القديم ليس من أسماء الله تعالى، بل هو من الألفاظ المحدثة التي أطلقها المتكلمون على الله ﷻ لإثبات أولية الله على خلقه.

فإطلاق أهل الكلام اسم القديم على الله هذا غلط، وهو غير جائز لأمور:

الأول: اسم القديم والوصف بالقدم لم يأت في القرآن والسنة.

الثاني: اسم القديم منقسم إلى ما يمدح به، وإلى ما لا يمدح به، وأسماء الله جل وعلا كلها أسماء مدح، وهي أسماء حسنى.

الثالث: اسم القديم لا يدعى الله جل وعلا به، وأما الأسماء الحسنى فهي التي يدعى الله بها.

والمقصود أنه ﷻ لم يسبقه شيء كما أنه دائمٌ وباقٍ بلا نهاية، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ [الحديد:٣].

فالأول ليس قبله شيء، والآخر ليس بعده شيء، وقد فسره النبي ﷺ.

س١٢: ما معنى لفظ: «القديم» في اللغة وعند أهل السنة، وفي اصطلاح المتكلمين؟

ج١٢: القديم في اللغة: مصدر قدم، وهو يعني السبق والتقدم على الغير، كما يأتي في مقابل الحدوث.

أما معنى القديم عند أهل السنة فالذي في الكتاب والسنة يدل على السبق والتقدم في الزمان، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما لفظ القديم فهو في اللغة المشهورة التي خاطبنا

---

(١) انظر: تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز على الطحاوية.

بها الأنبياء، ويراد به ما كان متقدما على غيره، تقدماً زمانياً سواء سبقه عدم أو لم يسبقه»[(١)].

والأول الذي لم يزل موجوداً هو أحق بلفظ القدم من المسبوق بالعدم[(٢)].

والحاصل أن لفظ القديم لفظ مجمل قد يراد به الذي ما زال موجوداً ليس لوجوده أول المتقدم على غيره مطلقاً دون أن يسبقه عدم، وقد يراد به المتقدم على غيره، وإن غيراً آخر متقدم عليه، وهذا يكون مسبوقاً بالعدم.

وهو بالمعنى الأول يخبر به عن الله ﷻ، ولكن لا يعتبر من أسمائه وصفاته التي يدعى بها، لأن الله لم يسم نفسه به، ولم يصفه به رسوله ﷺ[(٣)].

أما معنى القديم في اصطلاح المتكلمين: فهو الذي لا أول لوجوده، أو الشيء الذي لم يسبق بعدم.

ويرى المعتزلة أن لفظ القديم أخص صفات الإله، وبنوا على ذلك شبهاتهم في نفي الصفات[(٤)].

س١٣: يرى المعتزلة أن لفظ القديم أخص صفات الإله، وبنوا على ذلك شبهتهم في نفي الصفات، وضِّح ذلك مع الرد عليهم؟

ج١٣: المعتزلة يرون أن لفظ القديم أخص صفات الإله، وبنوا على ذلك شبهتهم في نفي الصفات، حيث قالوا: إن إثبات الصفات يستلزم تعدد القدماء، وهذا باطلٌ من وجوه منها:

١- لقد أخطأ بعض المتكلمين عندما حصروا معنى القدم في الذي لم يسبق بعدم، أو الشيء الذي لا أول له، إذ لفظ القديم في اللغة يراد به المتقدم على غيره، وإن كان مسبوقاً بالعدمِ، فإطلاق القديمِ على الأولِ الذي لم يسبق بعدم إطلاق صحيح، لكن لا يحصر لفظ القديم على هذا المعنى وحده.

٢- قولهم: إن القديم أخص وصف الإله خطأ، والصواب كما يقول أهل السنة: إن أخصَّ وصف الله تعالى ما لا يتصف به غيره، مثل كونه رب العالمين، وأنه على كل شيء قدير[(٥)].

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ٤٨٣). (٢) انظر: الصفدية (٢/ ٨٤).

(٣) انظر: الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية (ص٢٠٣).

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص١٨١).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٧٠)، الصواعق المرسلة (٣/ ٩٣٨).

س١٤: قال الطحاوي في عقيدته: «قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء» فهل القديم من أسماء الله تعالى؟ بيّن ما يوافق القديم والدائم من أسماء الله تعالى مع ذكر الدليل وبيان موقف العقل من ذلك؟

ج١٤: القديم ليس من أسماء الله تعالى كما تقدم، والذي يوافق القديم والدائم من أسمائه تعالى هو الأول والآخر، وقد وردا مجتمعين في الكتاب والسنة:

أما في الكتاب فقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد:٣].

وأما في السنة فقد قال ﷺ: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء»(١).

وأما موقف العقل من ثبوت هذين الوصفين لله تعالى فإن العلم بثبوت هذين الوصفين مستقر في الفطرة فإن الموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته قطعاً للتسلسل المحال عقلا.

س١٥: هل المسلم بحاجة إلى الاستدلال بالمصطلحات الكلامية في مسائل العقيدة مع الدليل لما تقول؟

ج١٥: المسلم ليس في حاجة إلى تلك المصطلحات الكلامية، فإن ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية منها ما يعود إلى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية بأوضحِ عبارة، وأوجزها، وفي طرق القرآن من تمام البينات والتحقيق ما لا يوجد عندهم مثله، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣]، فأحسنُ طرق الاستدلال هي الاستدلال بما في الكتاب والسنة.

س١٦: اشرح معنى كلمة القديم في اللغة؟ ثم بين ما هو موقف السلف في إطلاقه على الله مع التوجيه؟

ج١٦: معنى القديم لغة: هو المتقدم على غيره، ولا تستعمل فيما لم يسبقه عدم،وهو ليس من أسماء الله تعالى الحسنى.

وموقف السلف في إطلاقه على الله أنهم أنكروا ذلك؛ لأنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة، فكان الأولى التعبير بكلمة الأول التي وردت في الكتاب والسنة، والتي تشعر بأن ما بعده

(١) أخرجه مسلم، ك: الذكر، ب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، برقم: (٢٧١٣).

آيلٌ إليه وتابعٌ له، وتفيد تقدمه على الحوادثِ كلها بخلاف كلمة القديم التي لا تفيد ذلك.

س١٧: ما ضابط كون الاسم من الأسماء الحسنى؟ وهل يجوز اختراع أسماء وصفات لله تعالى؟ أوضح هذا المقام؟

ج١٧: ضابط كون الاسم من الأسماء الحسنى اجتماع ثلاثة أمور فيه:

١- أن ينص عليه في الكتاب والسنة بالاسم لا بالفعل، ولا بالمصدر.

٢- أن يكون مما يدعى الله جل وعلا به.

٣- أن يكون متضمناً لمدحٍ كامل مطلق غير مخصوص.

ولا يجوز أن نخترع أسماء وصفات لله تعالى؛ لأن الأسماء والصفات توقيفية، فلا يجوز لأحد أن يبتدع اسماً لله من عند نفسه، وإنما يقتصر فيها على ما ورد في النصوص فقط، وهذا من قواعد أهل السنة كما سبق بيانه.

س١٨: ما المراد من قول الطحاوي: «لا يفنى ولا يبيد»؟

ج١٨: أراد المصنف بهذا القول شيئين:

١- أن فيه مزيداً لوصفِ الله جل وعلا بكمال الحياة، وكمال القيومية، وتفسيراً لقوله: «دائم بلا انتهاء».

٢- أن بعض أهل البدع زعموا أن بعض صفات الله تعالى تفنى، أو أن بعض أسماء الله تعالى تبيد، وأهل السنة يقولون: إن الله تعالى لا يفنى ولا يبيد، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته[1].

ويستدل على بقاء الله ﷻ، وأنه لا يطرأ عليه فناء ولا عدم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

ويستدل بالآية كذلك على إثبات الوجه له تعالى على الكيفية اللائقة بجلالِه ﷻ.

وأما من قال: إن وجه الله مجاز للزيادة، وإن الأصل: يبقى ربك، وكلمة «وجه» زائدة، فإن هذا غلط وتحريف لكلام الله عن موضعه، وجحد لصفات الله الثابتة في الكتاب والسنة، فإن من هذه الصفات صفة الوجه كما قال ﷺ: «**وأسألك لذة النظر إلى**

---

(١) انظر: المسار (ص١٦).

وجهك الكريم»(١).

إرادة الله نافذة

قال الطحاوي: «ولا يكون إلا ما يريد»(٢).

الشرح: قال ابن أبي العز:

[فساد قول المعتزلة في القدر:]

هذا رد لقول القدرية والمعتزلة، فإنهم زعموا أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم، والكافر أراد الكفر(٣).

وقولهم فاسد مردود لمخالفته للكتاب والسنة الصحيحة، والمعقول الصريح.

وسموا: «قدرية» لإنكارهم القدر.

وكذلك تسمى: «الجبرية»(٤) المحتجون بالقدر: «قدرية» أيضاً، والتسمية على الطائفة الأولى أغلب.

[الله تعالى لا يحب المعاصي ولا يرضاها:]

أما أهل السنة فيقولون: إن الله وإن كان يري المعاصي قَدَرا فهو لا يحبها، ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها، ويسخطها، ويكرهها، وينهى عنها.

---

(١) أخرجه النسائي، ك: السهو، ب: نوع آخر من الدعاء، برقم: (١٣٠٤)، وابن حبان في صحيحه برقم: (١٩٧١)، وغيرهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (١٣٠١).

(٢) أي لا يتم ولا يحصل شيء إلا إذا أراده، لكن هل هذه الإرادة هي الكونية أو الشرعية؟ لا شك أن الشيخ يريد بها الإرادة الكونية، لأن الإرادة الشرعية قد يعصى الله تعالى فيها حيث يحصل من العباد ما لا يريده الله شرعاً، انظر شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص ٨٣).

(٣) خالفت المعتزلة في هذا الأصل حيث زعموا أن الله شاء من الكافر الإيمان، ولكن الكافر شاء لنفسه الكفر، فلهذا غلبت مشيئة العبد مشيئة الرب، فلم يكن ما شاء الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، انظر شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص ٨٣).

(٤) الجبرية: أثبتوا القدر لله، ثم غلوا في ذلك حتى نفوا قدرة العبد وإرادته، فقالوا: العبد مجبور على أفعالِه. والمعتزلة نفوها عن الله مطلقاً، وأثبتوها للعبد، فلذا تسمى الجبرية قدرية، والمعتزلة قدرية، لكن للمعتزلة أغلب، انظر شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص ٨٤).

وهذا قول السلف قاطبةً، فيقولون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولهذا اتفق الفقهاء على أن الحالف لو قال: والله لأفعلن كذا إن شاء الله لم يحنث إذا لم يفعله وإن كان واجباً أو مستحباً، ولو قال: إن أحب الله حنث إذا كان واجباً أو مستحباً.

[أنواع الإرادة الإلهية:]

والمحققون(١) من أهل السنة يقولون: الإرادةُ في كتاب الله نوعان: إرادةٌ قدريَّةٌ كونيَّةٌ خَلْقِيَّةٌ، وإرادة دينية أمريةٌ شرعيةٌ(٢).

فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضى، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات.

[الإرادة الكونية القدرية:]

وهذا كقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

[الإرادة الشرعية الدينية:]

وأمّا الإرادة الدينية الشرعية الأمرية، فكقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٧، ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ

---

(١) انظر: منهاج السنة (٥/ ٣٦٠).

(٢) هذا التقسيم هو طريقة الأئمة الفقهاء وأهل الحديث وكثير من أهل النظر، وحكى أبو المعالي أن أبا الحسن الأشعري هو أول من سوى بين الإرادتين، وهكذا قال ابن عقيل.

لكن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «لكني رأيته - يعني أبا الحسن - في الموجز قد حكى قوله عن سليمان بن حرب، وعن ابن كُلَّاب، وعن الكرابيسي، وعن داود بن علي».

منهاج السنة (٥/ ٣٦٠)، الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية (ص٨١) للشيخ زيد بن فياض، وشرح الطحاوية بتعليق العدني (ص ٨٤).

اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فهذه الإرادة هي المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده الله، أي: لا يحبه ولا يرضاه، ولا يأمر به.

وأما الإرادة الكونية فهي الإرادة المذكورة في قول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

[معنى الإرادتين:]

والفرق ثابت بين إرادة المريد أن يفعل، وبين إرادته من غيره أن يفعل، فإذا أراد الفاعل أن يفعل فعلا فهذه الإرادة مُعَلَّقة بِفِعْلِه، وإذا أراد من غيره أن يفعل فعلًا فهذه الإرادة لفعل الغير، وكلا النوعين معقول للناس، والأمر يستلزم الإرادة الثانية دون الأولى، فالله تعالى إذا أمر العباد بأمر فقد يريد إعانة المأمور على ما أمر به، وقد لا يريد ذلك، وإن كان مريداً منه فعله.

[إرادة الفعل لا تستلزم إعانة المأمور:]

وتحقيق هذا مما يبين فصل النزاع في أمر الله تعالى هل هو مستلزم لإرادته أم لا؟ فهو سبحانه أمر الخلق على ألسن رسله عليهم السلام بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم، ولكن منهم من أراد أن يخلق فعله، فأراد سبحانه أن يخلق ذلك الفعل ويجعله فاعلا له، ومنهم من لم يرد أن يخلق فعله فجهة خلقه سبحانه لأفعال العباد وغيرها من المخلوقات غيرُ جهة أمره للعبد على وجه البيان، لما هو مصلحة للعبد أو مفسدة، وهو سبحانه إذ أمر فرعون وأبا لهب وغيرهما بالإيمان كان قد بين لهم ما ينفعهم ويصلحهم إذا فعلوه، ولا يلزم إذا أمرهم أن يعينهم، بل قد يكون في خلقه لهم ذلك الفعل وإعانتهم عليه أوجد مفسدة من حيث هو فعل له فانه يخلق ما يخلق لحكمة.

وإذا قيل: إن الله أمر العباد بما يصلحهم، لم يلزم من ذلك أن يعينهم على ما أمرهم به، وإذا عُللت أفعالُه بالحكمة فهي ثابتة في نفس الأمر وإن كنا نحن لا نعلمها فلا يلزم إذا كان نفس الآمر له حكمة في الآمر أن يكون في الإعانة على فعل المأمور به حكمة، بل قد تكون الحكمة تقتضي أن لا يعينه على ذلك.

[إعانة المأمور أو عدم إعانته يرجع للحكمة الإلهية:]

والمقصود أنه يمكن في حق المخلوق الحكيم أن يأمر غيره بأمره ولا يعينه عليه،

فالخالق أولى بإمكان ذلك في حقه مع حكمته، فمن أمره وأعانه على فعل المأمور كان ذلك المأمور به قد تعلق به خلقه وأمره إنشاء وخلقا ومحبةً، فكان مراداً بجهة الخلق ومراداً بجهة الأمر. ومن لم يعنه على فعل المأمور كان ذلك المأمور قد تعلق به أمره ولم يتعلق به خلقه لعدم الحكمة المقتضية لتعلق الخلق به ولحصول الحكمة المقتضية لخلق ضده. وخلق أحد الضدين ينافي خلق الضد الآخر.

هذا وتفصيل حكمة الله ﷻ في خلقه وأمره يعجز عن معرفته عقول البشر، والقدرية دخلوا في التعليل على طريقة فاسدة مثلوا الله فيها بخلقه ولم يثبتوا حكمة تعود إليه.

الأسئلة والأجوبة على: إرادة الله نافذة

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ولا يكون إلا ما يريد»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ولا يكون إلا ما يريد» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- فساد قول المعتزلة في القدر.
٢- الله تعالى لا يحب المعاصي ولا يرضاها.
٣- أنواع الإرادة الإلهية.
٤- الإرادة الكونية القدرية.
٥- الإرادة الشرعية الدينية.
٦- معنى الإرادتين.
٧- إرادة الفعل لا تستلزم إعانة المأمور.
٨- إعانة المأمور أو عدم إعانته ترجع للحكمة الإلهية.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ولا يكون إلا ما يريد»؟

ج٢: الله سبحانه على كل شيء قدير، ويفعل ما يريد موافقا لمقتضى الحكمةِ المطلقةِ فإذا أراد الله أمراً أوجده رغماً عن جميع خلقه، وإذا لم يرد أمراً فلا يستطيع الخلق جميعا أن يوجدوه، وهذه هي الإرادة الكونية القدرية التي لا تتخلف، فكل خير أو شر يحدث في هذا الكون إنما يحدث بمشيئته وإرادته.

والمقصود أن المراد بالإرادة هنا المشيئة، لأن الإرادة في القرآن والسنة تأتي على معنيين:

١- قدري: وهو يتعلق بالجانب القدري الذي لا بد من وقوعه.

٢- شرعي: وهو متعلق بأفعال العباد.

س٣: هل المشيئة تنقسم إلى كونية وشرعية وضِّح ذلك؟

ج٣: المشيئة لا تنقسم إلى كونية وشرعية، بل هي نوع واحد، مشيئة في كونه، وهذا يعني أن المشيئة مرادفة للإرادة الكونية.

س٤: ما الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية؟

ج٤: الفرق بين الإرادتين بما يلي:

١- الإرادة الكونية: هي المشيئة، وهي متعلقة بالربوبية.

وأما الإرادة الشرعية فهي المحبة والرضى، وهي متعلقة بالألوهية.

٢- الإرادة الكونية: هي الواقعة فيما أراده الله كونا.

وأما الإرادة الشرعية فقد تقع وقد لا تقع.

٣- ليس كل ما أراده الله كوناً فقد أحبه، وكل ما أراده شرعاً فقد أحبه.

٤- الإرادة الكونية: قد تكون مقصودة لغيرها، كخلق إبليس مثلا، وسائر الشرور لتحصل بسببها محاب كثيرة، كالتوبة والاستغفار.

وأما الإرادة الشرعية فمقصودها لذاتها، فالله أراد الطاعة وأحبها وشرعها، ورضيها لذاتها.

٥- الإرادة الكونية أعم من جهة تعلقها بما لا يحبه الله، ولا يرضاه من الكفر والمعاصي، وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر، وطاعة الفاسق.

والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به واقعاً كان أم غير واقع، وأخص من جهةِ أن الواقعَ بالإرادةِ الكونية قد يكون مأمورا به[1].

س٥: عرف الإرادة والمشيئة والأمر الكوني والأمر الديني؟

ج٥: الإرادة: تنقسم إلى قسمين:

١- إرادة كونية: وهي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد.

٢- الإرادة الدينية: وهي محبة المراد، ورضاه ومحبة أهله، والرضا عنهم وجزاؤهم بالحسنى.

أما الأمر فهو ينقسم إلى قسمين:

---

(١) انظر: شفاء العليل (٢/ ٦٤٩).

١- الأمر الكوني: فهو الموافق لمشيئة الله الكونية.

٢- الأمر الديني: وهو الموافق لمحبة الله ورضاه.

وأما المشيئة: فهي صفة من صفات الله الموجبة لكل موجود كما أن عدم المشيئة موجب لعدم وجود الشيء.

س٦: متى تجتمع الإرادة الكونية والشرعية؟ ومتى تفترقان؟

ج٦: تجتمع الإرادتان في حق المطيع، فالذي أدى الصلاة - مثلا - جمع بينهما، وذلك لأن الصلاة محبوبة لله، وقد أمر بها ورضيها وأحبها، فهي شرعية من هذا الوجه، وكونها وقعت دل على أن الله أرادها كوناً فهي كونية من هذا الوجه، فاجتمعت الإرادتان في حق المطيع، وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي، فكونها وقعت فهذا يدل على أن الله شاءها؛ لأنه لا يقع شيء إلا بمشيئته وكونها غير محبوبة، ولا مرضية لله دليل على أنها كونية قدرية لا شرعية.

وتنفرد الإرادة الشرعية في مثل إيمان الكافر، وطاعة العاصي، فكونها محبوبة لله فهي شرعية، وكونها لم تقع مع أمر الله بها ومحبته لها، فهذا دليل على أنها شرعية فحسب[١].

س٧: هل الأمر الشرعي يستلزم الإرادة؟

ج٧: هذه المسألة من المسائل الكلامية التي وقع فيها خلاف بين أهل السنة وأهل الكلام:

فقالت المعتزلة: الأمر يستلزم الإرادة.

وقالت الأشاعرة: الأمر لا يستلزم الإرادة.

وهدى الله أهل السنة للحق والصواب، فقالوا: الإرادة إرادتان: شرعية وكونية:

فالإرادة الشرعية ملازمة للأمر، فكل ما شرعه الله فقد أمر به.

وأما الإرادة الكونية فلا يستلزم منها الأمر، فليس كل ما أراده الله كوناً فقد أمر به، فالله قد أراد كوناً كفر أبي لهب، والكفر غير مأمور به[٢].

والمقصود أن قول الأشاعرة بعدم تلازم الأمر - أعني الأمر الشرعي - والإرادة أداهم ذلك إلى إنكار الحكمة والتعليل في أفعال الله، فهم يعتقدون أن الله ﷻ خلق المخلوقات

---

(١) انظر: شفاء العليل (٢/ ٦٤٩)، الفروق العقدية في النبوات والقدر (ص٣٥).

(٢) انظر: شفاء العليل (٢/ ٦٤٩)، وشرح الطحاوية بتعليق العدني (ص٩٧).

وأمر ونهى لا لعلة، بل لمحض المشيئة، وقالوا: إن أفعال العباد وإن كانت كفراً فالله يرضاها ويحبها كفراً وضلالًا معاقباً عليه، وهم بهذا يشبهون الجهمية في قولهم بالجبر[(١)].

وأما قول المعتزلة بملازمة الأمر الشرعي للإرادة الكونية القدرية التي هي بمعنى المشيئة، فإنهم قالوا: إن ما يقع مخالفاً لأمر الله وإرادته فهو خارج عن مشيئة الله، وتقديره، وأن الله لم يخلقه[(٢)].

وأما قول الجهمية؛ فإنهم يرون أن الأمر غير مستلزم لشيء من الإرادة لا لحبه ولا لرضاه به، إلا إذا وقع فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ لأنهم جبرية، كما أنهم نفاة للحكمة، وبناء على أصلهم الفاسد فإن الإرادة تعني المحبة.

والصواب أن الإرادة الكونية لا تقتضي المحبة والرضى، ولذا فهي تستلزم الأمر الكوني ولا تستلزم الأمر الشرعي.

س٨: بين مذهب أهل الكلام في الإرادة والمشيئة؟

ج٨: ضل طوائف من المتكلمين في الإرادة والمشيئة، فمنهم من أطلق ولم يفرق بين الإرادة والمشيئة، ومنهم من فرق بينهما بفروق تخالف ما عليه أهل السنة والجماعة، وإليك تفصيل ذلك:

١- الأشاعرة: فهم يرون أن الإرادة بمعنى المشيئة، ولم يفصلوا في ذلك فيعتقدون أن المحبة والرضا تبع لهذه المشيئة، بمعنى أنه سبحانه وتعالى إذا شاء شيئاً أراده، فهو محب له من هذا الوجه.

٢- المعتزلة: وقد فسروا الإرادة بمعنى المحبة، ولم يفسروها بمعنى المشيئة، لذا جعلوا كل ما أحبه الله ورضيه فقد شاءه، وما لم يحبه فهو لم يشأه، لذلك نفوا تقدير الله وخلقه لأفعال العباد، وهم بهذا جعلوا المشيئة تبعا لما أحبه الله.

والأشاعرة على العكس من ذلك، جعلوا المحبة تبع لما شاءه الله.

٣- الكرامية: وهم يرون أن بين الإرادة والمشيئة فرقاً من نوع آخر، فيعتقدون أن المشيئة صفة أزلية لله ﷻ، والإرادة صفة حادثة في ذاته القديم[(٣)].

---

(١) انظر: الإرشاد للجويني (ص٢٣٩). (٢) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص٤٦٧).

(٣) انظر: الإرشاد (ص٢٣٧)، شرح الأصول الخمسة (ص٤٦٦)، الفروق العقدية في مسائل التوحيد (ص١٠٥).

س٩: ما معنى قول المصنف: «وهو سبحانه إذا أمر فرعون وأبا لهب وغيرهما بالإيمان كان قد بين لهم ما ينفعهم ويصلحهم إذا فعلوه ولا يلزم إذا أمرهم أن يعينهم»؟

ج٩: إن شارح الطحاوية يجيب عن إشكال وهو أنه إذا قال قائل: لماذا أمر الله أبا بكر بالإيمان وأعانه عليه، ولماذا أمر أبا لهب بالإيمان ولم يعنه عليه؟

والجواب: أن الله حكيم، والحكمة: وضع الشيء في موضعه المناسب، فوضع الإيمان في أبي لهب علم الله أنه لا يكون مناسباً، فلم يعنه. هذا وجه.

وأمر آخر: أن الله خلق الهدى وجعل له طريقاً، وخلق الضلال وجعل له طريقاً، فمن سار في طريق وصل إلى منتهاه، والله بين وأرشد وحذر، فمن أطاعه نجا، ومن عصاه فلا يلومن إلا نفسه[١].

س١٠: ما معنى قول شارح الطحاوية: «وإذا قيل: إن الله أمر العباد بما يصلحهم لم يلزم من ذلك أن يعينهم على ما أمرهم به، ولا سيما القدرية لا يقدر أن يعين أحداً ما به يصير فاعلا»؟

ج١٠: القدرية معتقدهم أن الله لا يهدي ضالًا، ولا يضل مهتدياً، وهم مع ذلك يقولون: لا بد أن يعين العبد على فعل المأمور.

س١١: وضِّح ما هو مذهب القدرية في القدر مع بيان ما يقتضيه من المعنى الفاسد ولماذا سموا: القدرية؟

ج١١: مذهب القدرية أنهم يزعمون أن الله تعالى أراد الإيمان من الناس كلهم وأن الكافر أراد الكفر فكان ما أراده الكافر، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، فإن مقتضى كلامهم من الفساد أن إرادة الإنسان غلبت إرادة الله تعالى، وهذا لا يليق بمقام الربوبية والألوهية.

وسموا قدرية لإنكارهم قدر الله القديم الشامل لكل شيء من أفعال العباد وغير ذلك.

س١٢: من هم الجبرية؟ وما وجه الغلط في مذهبهم؟

ج١٢: الجبرية هم المحتجون بالقدر على المعاصي، فيقولون: إن العبد مجبور على

---

(١) انظر: شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص٩٨).

أفعالِه مقهور عليها، لا تأثير له في وجودها البتة ولا هي واقعة باختياره وإرادته.

ومذهبهم خطأ؛ لأنه يعني نسبة الظلم إليه تعالى، حيث أجبر الإنسان على شيء ثم عذبه عليه، بينما للإنسان إرادة ومشيئة لكنها تحت مشيئة الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

س١٣: أوضح مذهب أهل السنة في القدر؟

ج١٣: يثبت أهل السنة والجماعة قدر الله تعالى الشامل لكل شيء، وهم يؤمنون بأربع مراتب للقدر مستفادة من النصوص الشرعية، وهذه المراتب الأربع هي:

١- مرتبة العلم: فيثبتون العلم القديم الشامل لكل شيء.

٢- مرتبة الكتابة: فيثبتون الكتابة السابقة الشاملة لكل شيء قبل الخلق.

٣- مرتبة الإرادة: فيثبتون الإرادة الإلهية بنوعيها «الكونية والشرعية».

٤- مرتبة الخلق: فيثبتون أن كل شيء كائن بمشيئة الله تعالى، لا يخرج عن ذلك شيء.

وأما فيما يتعلق بالمعاصي التي يفعلها العباد فإنهم يقولون: إن الله وإن كان يريد المعاصي قدرا، فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها ويبغضها شرعاً ويسخطها ويكرهها وينهى عنها.

والإرادة عندهم نوعان:

١- إرادة كونية قدرية، وتعريفها: المشيئة الشاملة لجميع الحوادث.

٢- إرادة شرعية ودينية، وتعريفها: المتضمنة للمحبة والرضا.

س١٤: مثل لكل قسم من قسمي الإرادة وبين وجه الاستدلال؟

ج١٤: مثال للإرادة الكونية القدرية، قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ووجه الاستدلال فيها أنه سبحانه وتعالى صاحب الإرادة النافذة، فإنه إذا أراد شيئاً خلقه وأوجده، فكان كما أراد ﷻ.

وقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ووجه الاستدلال من الآية كالتي سبقتها.

ومثال الإرادة الشرعية: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ

ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣].

ووجه الاستدلال أن هذه الأمور المذكورة في الآيات هي أمور محبوبة إلى الله تعالى مرضية عنده.

س١٥: وضِّح هل كل ما يقع بالإرادة الشرعية أو بالإرادة الكونية يكون محبوباً لله تعالى أم لا؟

ج١٥: إذا أراد الله شيئاً بالإرادة الكونية فإن ذلك يقع ولا بد، ولا يلزم أن يكون ذلك محبوباً لله، وإذا أراد الله شيئا بالإرادة الشرعية، فإن ذلك قد يقع، وقد لا يقع.

س١٦: هل يلزم من الأمر بالشيء لغة وشرعاً وعقلًا أن تُعينَ المأمور عل فعله؟ وما موقفك من قول القدرية: «يلزم من الأمر أن تعين المأمور على الفعل»؟

ج١٦: لا يلزم من الأمر بالشيء لغة وشرعاً وعقلًا أن تعين المأمور، بل قد تكون المصلحة في إعانته، وقد لا تكون في إعانته.

والموقف من قول القدرية: «يلزم من الأمر بالشيء أن تعين المأمور» على الفور أنه يقال لهم: إن هذا اللزوم إنما يكون على قسمين:

١- أن تكون مصلحة الأمر تعود للآمر كأمر الملك جنوده بما يؤيد ملكه ونحو ذلك، فهذا يعينهم على الفعل لما يعود عليه من المصلحة من ذلك الفعل.

٢- أن تكون مصلحة الأمر تعود على المأمور كالأمر بالمعروف مثلا، فإن الآمر يرى أنه مثاب إن أعان المأمور على فعلِ المعروفِ المأمور به لكونه نفع أخاه بذلك.

س١٧: هل يلزم أن تكون أفعال الله تعالى وأوامره لحكمة أم لا؟

ج١٧: أفعال الله وأوامره إنما تكون لحكمة، وهذا من مقتضى أنه سبحانه وتعالى قد تسمى باسم الحكيم، لكن قد تتبين هذه الحكمة لبعض الناس، وقد لا تتبين لبعضهم،وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقد خالفت الأشاعرة في ذلك فأنكروا الحكمة والتعليل في أفعال الله فهم يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى خلق المخلوقات وأمر ونهى لا لعلةٍ بل لمحض المشيئة[1].

(١) انظر: الإرشاد (ص٢٣٩).

الله لا يحيط به خلقه

قال الطحاوي: «لا تبلُغُه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام[١]، حيٌّ لا يموت، قيُّومٌ لا ينام».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[لا يحيط أحد بالله علماً:]

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، قال في «الصحاح»: توهَّمْت الشيء: ظننته، وفهمت الشيء: علمته، فمراد الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه لا ينتهي إليه وهمٌ، ولا يحيط به علمٌ.

قيل: الوهمُ ما يُرجى كونُه؛ أي: يظنُّ أنَّه على صفةٍ كذا. والفهمُ: هو ما يحصِّله العقلُ ويحيطُ به.

واللهُ تعالى لا يعلم كيف هو إلا هو سبحانه وتعالى، وإنما نعرفه سبحانه بصفاتِه، وهو أنَّه أحد صمدٌ، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

[امتناع التشبيه وتحريمه:]

هذا ردٌّ لقول المشبهة الذي يُشبِّهون الخالق بالمخلوق، سبحانه وتعالى، قال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وليس المراد نفي الصفات كما يقوله أهل البدع[٢].

---

(١) في المطبوعة: «ولا يشبهه الأنام»، والصواب: ولا يشبه الأنام لقولِ الشارح: «هذا ردٌّ لقول المشبهة الذي يُشبِّهون الخالق بالمخلوق».
وأما: ولا يشبهه الأنام فهذا صحيح، لكن لو أرادها الطحاوي لقال الشارح هذا رد لقول النصارى وغيرهم الذين يشبهون المخلوق بالخالق، إذ فيها نفي ما يزعمه النصارى، وغيرهم، القائلون: إن من المخلوقات - كعيسى مثلًا - من يشابه الله في الألوهية، وغير ذلك.
والعبارة الأولى: ولا يشبه الأنام فيها رد على من يزعم أن الله يشابه خلقه في شيء من خصائصهم، فبين العبارتين فرق والله أعلم، انظر شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص ٩٣).

(٢) استدل أهل البدع بقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ على نفي الصفات حيث لو أثبتنا على حد زعمهم لله سمعاً وبصرا ووجهاً... لخالفنا قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؛ لأن للمخلوقِ هذه الصفات

من كلام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفقه الأكبر»[(١)]: «لا يُشبِه شيئاً من خلقه، ولا يُشْبِهه شيءٌ من خلقِه».

ثم قال بعد ذلك: وصفاتُه كلُّها خلاف صفاتِ المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتِنا، ويرى لا كرؤيتِنا.

[حكم مَنْ شبَّه الله بخلقه:]

قال نعيم بن حماد: «من شبَّه الله بشيء من خلقِه فقد كفر، ومن أنكرَ ما وصفَ الله به نفسَه فقد كفر، وليس فيما وصفَ اللهُ به نفسَه ولا رسولُه تشبيه»[(٢)].

ونفي مشابهة شيء من مخلوقاته له مستلزم لنفي مشابهته لشيء من مخلوقاته، فلذلك اكتفى الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «ولا يشبهه الأنام».

والأنام: الناس، وقيل: كل ذي روح، وقيل: الثقلان، وظاهر قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠]، يشهد للأول أكثر من الباقي والله أعلم.

[كمال الحياة والقيومية لله:]

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فنفيُ السِّنةِ والنومِ عنه سبحانه دليلٌ على كمالِ حياتِه وقيوميتِه.

وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ١- ٣].

وقال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥].

والله ليس كمثله شيء، وهذا الباب الذي فتحه هؤلاء إنما هو مدخل للملاحدة، فإنهم سيقولون: ليس لله ذات تحقيقاً لهذا النفي، لأن المخلوق له ذات، بل لاستطاع الزنادقة والغلاة أن يقولوا: لا وجود لله تحقيقاً لهذا النفي، ليس كمثلِه شيء لكونِ المخلوق متصفاً بالوجود، فبهذا يعلم فساد قول من يقول بهذا، بل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ بعد: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ كاف في إبطالِ قولهم الرديء.

انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١١٢)، الصواعق المرسلة (٣/ ١٠١٩)،و شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص ٩٣).

(١) الفقه الأكبر (ص٢٤، ٢٩ - ٥٠).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٢/ ٥٣٢).

وقال ﷺ: «إن الله ﷻ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام» الحديث(١).

لما نفى الشيخ رحمه الله التشبيه أشار إلى ما تقع به التفرقة بينه وبين خلقه بما يتصف به تعالى دون خلقه، فمن ذلك: أنه حي لا يموت لأن صفة الحياة الباقية مختصة به تعالى دون خلقه فإنهم يموتون، ومنه أنه قيوم لا ينام، إذ هو مختص بعدم النوم والسنة دون خلقه فإنهم ينامون، وفي ذلك إشارة إلى أن نفي التشبيه ليس المراد منه الصفات، بل هو سبحانه موصوف بصفات الكمال؛ لكمال ذاته فالحي بحياة باقية لا يشبه الحي بحياة زائلة.

[منزلة اسمي: الحي والقيوم:]

واعلم أن هذين الاسمين أعني: الحي القيوم مذكوران في القرآن معا في ثلاث سور كما تقدم، وهما من أعظم أسماء الله الحسنى، ويدل القيوم على معنى الأزلية والأبدية(٢) ما لا يدل عليه لفظ القديم، والقيوم أبلغ من القيام، لأن الواو أقوى من الألف ويفيد قيامه بنفسه باتفاق المفسرين وأهل اللغة وهو معلوم بالضرورة.

هذا واقترانه بالحي يستلزم سائر صفات الكمال ويدل على دوامها وبقائها وانتفاء النقص والعدم عنها أزلا وأبدا، فعلى هذين الاسمين مدار الأسماء الحسنى كلها وإليهما ترجع معانيها.

فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، فلا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها، استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة.

وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته؛ فإنه القائم بنفسه فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتمَّ انتظام.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: في قوله عليه السلام: «إن الله لا ينام»...، برقم: ١٧٩.

(٢) الأزل: القدم الذي ليس له ابتداء. والأزلي: نسبة إلى الأزل.

والأبد: استمرار الوجود في جانب المستقبل، أو هو الشيء الذي لا نهاية له، والأبديّ نسبة إلى الأبد، وجميع الموجودات ثلاثة أقسام لا رابع لها:

١- أزلي أبدي هذا خاص بالله تعالى، وتتبعه أسماؤه وصفاته.

٢- أبدي لا أزلي، وهذا خاص بالآخرة والجنة والنار، وما فيهما، فهي أبدية باعتبار عدم زوالها وهلاكها في جانب المستقبل، وليست أزلية باعتبار أنها سبقت بعدم، أي لم تكن مخلوقة ثم خلقت.

٣- لا أزلي ولا أبدي، وهي الدنيا، فهي مسبوقة بعدم ويلحقها زوال.

انظر: التعريفات للجرجاني (ص٧ - ١٧)، تاج العروس مادة (أزل).

الأسئلة والأجوبة على أن الله تعالى لا يُحيطُ به خَلْقُه

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام...»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام...»، إلى مسائل عدة أجملها فيما يأتي:

١- عدم إحاطة أحد من الخلق بالله علماً. ٢- امتناع التشبيه وتحريمه.

٣- حكم مَنْ شبَّه الله بخلقه. ٤- كمال الحياة والقيومية لله.

٥- منزلة اسمي: الحي والقيوم.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام»؟

ج٢: إن الله تعالى لا يحيط به أحد من خلقه علماً كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فلا تبلغه الظنون والأفكار والتخيلات والتصورات، ولا يعرف أحد من خلقه كنهَ ذاتِه، كما أنه لا يشبه أحداً من خلقِه لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاتِه ولا في أفعاله، والمقصود أن العقل البشري لا يحيط بالله علماً.

س٣: على من يرد الطحاوي بقوله: «لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام»؟

ج٣: ١- فيه الرد على المجسمة الذين أثبتوا لله جسماً.

٢- وفيه ردٌّ على المعطلة الذين عطلوا الله عن صفات الكمال ونعوت الجلال.

٣-وفيه ردٌّ على غلاة المتصوفة الذين زعموا أن العبد بالرياضة يبلغ إلى مرتبة يرى فيها الرب.

س٤: ما معنى الوهم والفهم مع الفرق بينهما؟

ج٤: الوهم: هو الخيال، والخيال لا يستطيع أن يبلغ ذات الله ولا صفاته.

والفهم: تصور الحقيقة والإدراك العقلي.

والمقصود أن الوهم غير الفهم فالوهم راجع للخيال والفهم راجع للأقيسة والمقارنات، ولهذا فإن الرب جل وعلا لا يمكن تخيله، ولا التفكر فيه لكي يدرك، فالفهم والوهم منقطعان.

فإثبات الصفات لله بأنواعها مع قطعِ الطمع في بلوغ الوهم من جهةِ كنهِ وكيفية الصفة ومن جهة إدراك الأفهام لتمام معناها هو الذي يجب أن يصار إليه.

س٥: ما الذي ينبغي أن يوصف به الرب ﷻ؟ وعلى أي طريقة؟ اذكر خلاصة قول أبي حنيفة في نفي التشبيه وقوله في الصفات؟

ج٥: يوصف الرب بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ولا تكييف بل على حد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ففي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة والجماعة من إثبات الصفات ونفي مماثلةِ المخلوقات، فالله لا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ لأن أسماء الله كلها حسنى وصفاته صفات كمال وعظمة وفي هذه الآية جمع بين النفي والإثبات.

وليس المراد من الآية نفي الصفات كما يقول أهل البدع بل المراد إثباتها مع نفي المشابهة والمثلية.

وهذه هي طريقة السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم.

وخلاصة قول أبي حنيفة في الصفات أن الله تعالى يوصف بصفاته التي تليق بجلاله، وقد قال رحمه الله تعالى: «وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا».

وخلاصة كلامه في نفي التشبيه أن الله لا يشبهه شيء من خلقه مع إثبات الصفات كالعلم والقدرة وغيرها.

س٦: قال الطحاوي رحمه الله تعالى: «ولا يشبه الأنام» بين المقصود بهذه العبارة مع ذكر بعض من أقوال السلف في حق المشبهة.

ج٦: معنى قول الشيخ رحمه الله: «ولا يشبه الأنام»: أن الله ﷻ لا يشبه شيئاً من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه لا في ذاتِه ولا في صفاتِه ولا أسمائِه ولا أفعالِه، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وأما أقوال السلف في ذم المشبهة فهي كثيرة نذكر منها قول نعيم بن حماد: «من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر».

وقال إسحاق بن راهويه: «من وصف الله بشيء فشبه صفاته أحداً من خلقه فهو كافر بالله العظيم».

وقال أيضاً: «إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد، أو مثل يد، أو سمع كسمع أو مثل

سمع فهذا هو التشبيه»[١].

وقال ابن تيمية: «علم كعلمي أو قوة كقوتي أو حب كحبي أو رضاء كرضائي، أو يدان كيديَّ، أو استواء كاستوائي كان مشبهاً ممثلًا لله بالحيوانات»[٢].

ومن التشبيه التعرض لكيفية صفات الرب وحقيقتها التي لا يعلمها إلا الله[٣].

وقال ابن القيم عن إلحاد المشبهة: «فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفات الكمال، وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد، وتفرقت بهم طرقه»[٤].

س٧: ما الفرق بين لفظ التشبيه ولفظ التمثيل مع بيان مفهوم التنزيه عند أهل السنة؟

ج٧: الفرق بين لفظ التشبيه ولفظ التمثيل: أن التشبيه هو المساواة من بعض الأوجه دون بعض.

وأما التمثيل: فهو المساواة من كل وجه.

وأما معنى التنزيه: فهو تبعيد الله عما لا يجوز عليه من النقائص والعيوب.

س٨: استدل أهل البدع بقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] على نفي الصفات وضِّح ذلك مع الرد عليهم إجمالًا؟

ج٨: يقول المعطلة: لو أثبتنا الصفات لخالفنا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، حيث إن للمخلوق هذه الصفات، والله ليس كمثله شيء.

والتشبيه المنفي عنه في الآية هو وصف الله بشيء من خصائص المخلوقين، وذلك بأن يثبت لله تعالى مثيل أو شبيه في صفاته أو أفعاله، ويثبت له من الخصائص ما يثبت للمخلوقين، قال شيخ الإسلام: «إذ التشبيه المنفي عن الله هو ما كان بشيء من صفات المخلوقين بحيث يجوز عليه ما يجوز عليهم، أو يجب له ما يجب لهم، أو يمتنع عليه ما يمتنع عليهم مطلقاً، فإن هذا هو التمثيل الممتنع المنفي عنه بالعقل مع الشرع»[٥].

س٩: ما علامة الجهمية عند أهل السنة والجماعة؟

ج٩: علامتهم دعواهم الباطلة ضدَّ أهل السنة والجماعة، وهي ما أولعوا به من

---

(١) انظر: جامع الترمذي (٣/ ٥٠ - ٥١).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٦).

(٣) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٤).

(٤) بدائع الفوائد (١/ ١٧٠).

(٥) منهاج السنة (٨/ ٢٩).

الكذب في قولهم: إن أهل السنة مشبهة مجسمة.

وقال كثير من السلف: علامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة.

وكذلك يسمون أهل السنة حشوية ومجسمة وغير ذلك.

س١٠: اذكر بعض ما يرمي به المبتدعة أهل السنة من الألفاظ وما السبب الباعث لهم على ذلك؟

ج١٠: رمى المبتدعةُ أهلَ السنةِ والجماعةِ بعدةِ أوصافٍ مذمومةٍ منها: أنهم يقولون لأهل السنة: إنهم مشبهة[1]، ومجسمة، وحشوية[2]، ومجبرة[3]، والعامة[4]، ونابتة، وخوارج، وظاهرية، ووهابية، ونحو ذلك.

يقول عبد الرحمن بن أبي حاتم: «علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة»[5].

والسبب في ذلك أنه ما من أحدٍ من نفاة شيء من الأسماء أو الصفات إلا وسمي المثبت لها مشبها، فمن أنكر أسماء الله بالكلية من غالبية الزنادقة والفلاسفة، وقال: إن الله لا يقال له: عالم، ولا قادر، يزعم أن من سماه بذلك فهو مشبه، لأن الاشتراك في الاسم يوجب عنده الاشتراك في المعنى.

ومن أثبت الاسم وقال إنه مجاز كغلاة الجهمية يزعم أن من قال: إن الله عالم حقيقة قادرٌ حقيقة، فهو مشبه.

ومن أنكر الصفات كعموم المعتزلة ونحوهم قال لمن أثبت الصفات: إنه مشبِّه مجسم حشوي.

س١١: استعمل المتكلمون وأهل البدع بعض أنواع الأقيسة في حق الله تعالى، فما حكم استعمال هذه الأنواع؟ ثم اذكر ما هو القياس الذي يستعمل في حق الله تعالى؟

ج١١: المعطلة يقيسون الخالق بما يُقاس به المخلوق، فلم يفهموا من نصوص الصفات إلا ما يليق بالمخلوقين، وهذا خلاف ما فطر الله عليه العباد من أنه ليس كمثله شيء، فلا يجوز

(١) انظر: متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار (ص٧٤)، والشامل للجويني (ص٥١١).

(٢) انظر: متشابه القرآن (ص٦٨٣)، الإرشاد (ص٣٩)، التوحيد للماتريدي (ص٣٨١).

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص٧٧٥ - ٧٧٦).

(٤) انظر: كشف الأسرار للخميني (ص١٧١ - ١٧٢). (٥) انظر: ذم الكلام للهروي.

أن يشترك هو والمخلوق في القياس سواء كان قياساً تمثيليا، ففيه تسوية بين المقيس والمقيس عليه، فهو يستلزم التمثيل بين الله وبين خلقه، وهذا ما يسمى بالقياس بين الغائب والشاهد.

وكذلك لا يجوز أن يشترك هو والمخلوق في قياس شمولي، وهذا قياس منطقي بحيث تستوي الأفراد في كل ما يشملها، وهو ممتنع على الله، لأن فيه تمثيلَ الله بمخلوقاته.

ولكن يستعمل في حقه قياس الأولى أو القياس الأولوي، وهو المثل الأعلى، وهو ما جاءت به الأدلة الشرعية، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

ومضمونه: أن كل ما اتصف به المخلوق من صفات الكمال وصح أن يتصف به الخالق فالخالق أولى به، وكل ما تنزه عنه المخلوق من نقص، فالخالق أولى بالتنزيه عنه.

س١٢: ما معنى قول الطحاوي: «حي لا يموت قيوم لا ينام»؟

ج١٢: أخذ المصنف كلامه من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فالله ﷻ له الحياة الكاملة التي لا يسبقها ولا يلحقها عدم كما يلحق المخلوقين.

ومعنى قوله: «قيوم لا ينام» القيوم له معنيان: إما أن يراد أن الله ﷻ قائم برعاية الخلق وحفظهم ورزقهم ورعايتهم.

وإما أن يراد أنه قائم بذاته ﷻ.

فالأول يتعلق بفعله ﷻ، والثاني: يتعلق بذاتِه سبحانه(١).

والمقصود أن هذين الاسمين الكريمين يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقةٍ وتضمنٍ ولزومٍ، كالسمع والبصر والعلم والقدرة ونحو ذلك.

والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الاستواء والنزول والكلام والقول والخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير كل ذلك داخل في قيومية الباري(٢).

س١٣: ما هو الاسم الأعظم عند العلماء المحققين؟

ج١٣: الاسم الأعظم عند بعض المحققين هما: الحي القيوم، فإنهما الاسم الأعظم إذا دعي الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وهذا من تمام حياته وقيوميته أنه لا تأخذه سنة - وهي النعاس - ولا نوم.

---

(١) انظر: التعليقات الجلية (ص٢٢).

(٢) انظر: تفسير السعدي (ص١١٠).

س: ما معنى قول ابن أبي العز: «ويدل القيوم على معنى الأزلية والأبدية»؟

ج: معنى الأزل: القدم الذي ليس له ابتداء، والأزلي: نسبة إلى الأزل، والموجودات ثلاثة أقسام:

١- أزلي أبدي: وهذا خاص بالله تعالى.

٢- أبدي لا أزلي: وهذا خاص بالآخرة والجنة والنار، فهي أبدية باعتبار عدم زوالها، وهلاكها في جانب المستقبل، وليست أزلية باعتبار أنها سبقت بعدم.

٣- لا أزلي ولا أبدي: وهي الدنيا فهي مسبوقة بعدمٍ ويلحقها زوال.

وأما معنى الأبدي فهو: استمرار الوجود في جانب المستقبل[1].

الله هو الخالق الرزاق

قال الطحاوي: «[وهو سبحانه] خالقٌ بلا حاجةٍ، ورازقٌ بلا مؤونةٍ، مميت بلا مخافةٍ، باعثٌ بلا مشقة».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الله هو الخالق الرزاق:]

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

وقال رسول الله ﷺ من حديث أبي ذر رضي الله عنه: **«قال الله عز وجل: يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى رجل واحدٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحدٍ،**

---

(١) انظر: التعريفات (ص١٧ - ١٨)، شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص١١٢).

فسألوني فأعطيتُ كل إنسانٍ مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيطُ إذا أدخل البحر...»الحديث، رواه مسلم[(١)].

وقوله: «بلا مؤونة»، أي: بلا ثقلٍ ولا كلفةٍ.

[الموتُ صفةٌ وجوديةٌ:]

الموتُ صفةٌ وجوديةٌ[(٢)]، خلافاً للفلاسفة ومن وافقهم. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، والعدمُ لا يوصفُ بكونِه مخلوقا.

هذا وسيأتي الكلام على البعث والنشور إن شاء الله تعالى.

الأسئلة والأجوبة على: أن الله هو الخالق الرزاق

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤونة...»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤونة...» لمسائل عدة يمكن إجمالها فيما يلي:

١- تقرير أن الله تعالى هو الخالق الرزاق.

٢- بيان أن الموت صفة وجودية خلافاً للفلاسفة ومن وافقهم.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤونة»؟

ج٢: إن الله تعالى لم يخلق الخلق لحاجته إليهم، ولا لرغبة الاستعانة بهم، وإنما خلقهم لعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهو سبحانه يرزق جميع خلقه من إنس وجن، وطير ووحش، والمؤمن والكافر، ويعطي كل واحد منهم مسألته من غير أن ينقص ذلك من ملكِه شيئاً.

---

(١) صحيح مسلم، ك: البر والصلة، والآداب، ب: تحريم الظلم، برقم: (٢٥٧٧).

(٢) الموتُ أمر وجودي لا عدمي؛ لأنه لو كان عدمياً لما تعلق به الخلق، والله يقول: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك:٢].

وأما الفلاسفة فإنهم يرون أن الموت أمر عدمي، فهو عندهم عدم الحياة.

ومعنى خلق الموت في الآية: تقديره، وإزالة الحياة.

انظر: تفسير أبي السعود (٥/ ٣٥٦)، أضواء البيان (٨/ ٣٨٨)، المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للغامدي (٢/ ١٠٢١ - ١٠٢٣)،و شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص ١٠٢).

والحاصل أن الله خلق الخلق لا لحاجته إليهم، ولكن لبيان عظمته سبحانه وتعالى، وإظهار كرمه، وعطائه لمن أطاعه، فالله هو الغني قبل أن يخلق الخلق وبعد أن خلقهم.

س٣: ما معنى قول الطحاوي: «مميت بلا مخافة»؟

ج٣: إن الله تعالى بيده مقاليد السموات والأرض، فهو يتصرف في خلقه بحسب مشيئته وحكمته، وأنه عز وجل يحيي من يشاء ويميت من يشاء، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٣]، والله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وهو يبعث الموتى يوم القيامة، ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، فالله تعالى يبعث الناس يوم القيامة بعد موتهم، ولا يشق عليه ذلك، فالذي يحيي الأرض بعد موتها بالماء الذي ينبت به الزرع قادر على أن يعيدهم مرة أخرى، وذلك أهون عليه سبحانه وتعالى عما يصفون.

س٤: اذكر موقف أهل السنة من الموت؟ وهل هو صفة وجودية أم لا؟ مع التعليل لما تقول.

ج٤: الموت أمر وجودي لا عدمي لأنه لو كان عدمياً لما تعلق به الخلق، والله تعالى يقول: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢].

أما الفلاسفة فيرون أن الموت أمر عدمي، فهو عندهم عدم الحياة.

ومعنى خلق الموت في الآية: تقديره، أو إزالة الحياة.

والحاصل أن موقف أهل السنة والجماعة أنهم يقولون: إن الموت صفة وجودية خلافاً للفلاسفة ومن وافقهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، والعدمُ لا يوصف بكونِه مخلوقاً وفي الحديث: «أنه يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار»(١)، وهو وإن كان عرضاً فالله تعالى يقلبه عيناً يوم القيامةِ فيصبح شيئاً حسياً.

س٥: وردت نصوص نبوية تفيد أن أعمال العباد تجسم يوم القيامة وتوزن، فهل تحمل هذه النصوص على حقيقتها أم أنها على سبيل المجاز؟

ج٥: لقد وردت في العمل الصالح نصوص كثيرة، وأنه: «يأتي صاحبه في صورة

---

(١) أخرجه البخاري، ك: التفسير، ب: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩]، برقم: (٤٧٣٠)، ومسلم، ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، برقم: (٢٨٤٩).
ومعنى كبش أملح: ذكر الضأن الذي في لونه بياض وسواد، وبياضه أكثر من سواده.

الشاب الحسن في قبره فيكلمه، وأن العمل القبيح يأتي صاحبه في قبره على أقبح صورة ويكلمه»[(١)]، وأن هذه الأعمال كلها توضع في الميزان، والأعيان هي التي تقبل الوزن حقيقة دون الأعراض، لأن الأعراض ليس لها جرم، وهذه الأعمال وهي وإن كانت أعراضاً فإن الله تعالى بقدرته يصيرها أعياناً حقيقة لها جرم، وذلك في يوم القيامة فتوضع في الميزان: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣].

أزلية صفات الله تعالى

قال الطحاوي: «ما زال بصفاتِه قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاتِه أزلياً كذلك لا يزال عليها أبديّاً».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الله تعالى لم يزل ولا يزال متصفاً بكل كمال:]

أي: أن الله ﷻ لم يزل متصفاً بصفات الكمال؛ صفات الذات[(٢)]، وصفات الفعل.

ولا يجوز أن يعتقد أن اللهَ وُصِفَ بصفةٍ بعد أن لم يكن متصفاً بها، لأنَّ صفاتِه سبحانَه صفاتُ كمالٍ، وفقدُها صفةُ نقصٍ، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضِدِّه.

ولا يرد على هذه صفات الفعل والصفات الاختياريّة ونحوها، كالخلق والتصوير، والإماتة والإحياء، والقبض والبسط، والطيِّ والاستواء والإتيان، والمجيء والنزول، والغضب والرضى، ونحو ذلك ممَّا وصف به نفسَه ووصفه به رسولُه ﷺ، وإن كانت هذه

---

(١) حديث صحيح أخرجه بتمامه أحمد في المسند (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦)، من حديث البراء بن عازب، وأخرجه غيره مختصرا. راجع أحكام الجنائز للألباني (ص١٩٨).

(٢) الصفات الذاتية هي: التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها فهي لا تنفك عنه أبداً كالعلمِ والحياةِ والسمعِ والبصرِ، والقدرةِ، والوجه واليدين.

وأما الصفات الفعلية فهي: الأمور التي يتصف بها الرب ﷻ فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته، بمعنى آخر: هي التي يفعلها الله متى شاء، حسب ما تقتضيه حكمته، كصفة الكلام، والمحبة، والرضا والغضب.

الأحوال تحدث في وقت دُون وقت.

وذلك لأنَّ هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يُطلق عليه أنَّه حدث بعد أن لم يكن، ألا ترى أنَّ من تكلم اليوم، وكان متكلماً بالأمس لا يقال: إنه حدثَ له الكلام، ولو كان غير متكلِّم لآفةٍ كالصغر والخرس، ثم تكلَّم يقال: حدث له الكلام، فالساكتُ لغيرِ آفة يسمى متكلِّماً بالقوةِ، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء، وفي حال تكلمه يُسمى متكلِّماً بالفعلِ.

وكذلك الكاتبُ في حال الكتابة هو كاتبٌ بالفعلِ، ولا يخرج عن كونِه كاتباً في حال عدم مباشرتِه الكتابة.

الأسئلة والأجوبة على إثباتِ أزلية صفات الله تعالى

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ما زال بصفاتِه قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاتِه أزلياً؛ كذلك لا يزال عليها أبديّاً»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ما زال بصفاتِه قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاتِه أزلياً كذلك لا يزال عليها أبديّاً» التوضيح: أن الله تعالى لم يزل، ولا يزال متصفاً بكل كمال.

س٢: ما معنى قول الطحاوي:«ما زال بصفاتِه قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاتِه أزلياً؛ كذلك لا يزال عليها أبديّا»؟

ج٢: إن الله ﷻ هو الأول الذي ليس قبله شيء، ومعنى ذلك: أنه متصف بصفات الكمال، فصفاته تكون أزلًا وأبداً، فكما أنه أول بلا بداية، فكذلك صفاته، فإنها تكون تابعة له ﷻ فكل صفة من صفات الله ثابتة له أزلًا من قبل أن يخلق خلقه وهي كلها صفات كمال، وعدمها نقص ومحال أن يتصف الله تعالى بالكمال بعد النقص، وكما أنه ﷻ أزلي بصفاته فليس لها مبتدأ، فكذلك هو أبدي عليها فلا تنقص بل هي باقية ببقاء الموصوف ﷻ، وهو تعالى خالق قبل أن يخلق الخلق مُتسم بهذا الاسم حتى قبل خلقهم، وكذلك لم يستفد اسم الباري ولم يكتسبه بعد أن أحدث البرية، بل هو سبحانه الباري حتى قبل إحداثهم وخلقهم.

س٣: من هم المخالفون لأهل السنة في مسألة أزلية صفات الله؟

ج٣: صفات الله ﷯ ملازمة لله ليس لها بداية، هذا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة.

وقد خالف في ذلك المتكلمون فالمعتزلة تنفي عن الله ﷻ صفاته.

وأما الأشاعرة فإنهم يثبتون الأسماء وبعض الصفات، وتزعم أن صفات الأفعال حادثة، فيزعمون أن الله أحدث له صفات لم تكن من قبل، فصفات الأفعال عندهم متعلقة بما يحدثه ﷻ من حوادث، فالرزق مثلًا لم يكن عندهم من الله في الأزل؛ لأنه لا مرزوق آن ذاك، وهكذا كل صفة من صفات الأفعال، إنما حدثت لله ﷻ بعد فعله(١).

والمقصود أن الناس اختلفوا في اتصافِ الله جل وعلا بصفاتِه هل هو متصف بها بعد ظهور آثارها؟ أم قبل ذلك؟ على مذاهب ثلاثة:

١- الأول: مذهب المعتزلة والجهمية ومن نحا نحوهم: أنه جل وعلا لم يصر له أسماء ولا صفات إلا بعد أن ظهرت آثارها، وذلك على أصلٍ عندهم وهو أن أسماء الله جل وعلا مخلوقة.

٢- الثاني: مذهب الأشاعرة والماتريدية: أن الرب جل وعلا كان متصفاً بالصفات، وله الأسماء ولكن لم تظهر آثار صفاته وأسمائه، بل كان زمناً طويلًا معطلًا عن الأفعال جل وعلا له صفة الخلق، وليس ثم ما يخلقه حتى أنشأ جل وعلا هذا الخلق المنظور الذي نراه، ثم بعد ذلك ظهرت آثار أسمائه وصفاته وقالوا: هذا فراراً من قول الفلاسفة الذين وزعموا أن هذا العالم قديم.

٣- الثالث: مذهب أهل الحديث والأثر: حيث قالوا: إن الرب جل وعلا أولٌ بصفاته، وأن صفات الرب لا بد أن تظهر آثارها، لأنه فعال لما يريد، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ويجوز أن يكون سبحانه خلق أنواعاً من المخلوقات وأنواعاً من العوالم غير هذا العالم الذي نراه، ولا بد من وجود مخلوقات ظهرت فيها آثار أسماء الله جل وعلا، وقولهم هذا مبني على إثبات الكمال المطلق لله تعالى(٢).

س٤: ما معنى الأسماء والصفات؟ وإلى كم تنقسم الصفات؟

ج٤: الاسم: هو اللفظ الموضوع للدلالة على المسمى.

والصفة: هي التي تقوم بالموصوف.

فالصفة معنى قائم بذات تسمى الذات، وهي موصوفة بتلك الصفة، وتلك الصفة

(١) انظر: التعليقات الجلية (ص٢٤).

(٢) انظر: المسار للشمري (ص٢٥).

تعتبر معنى قائماً بتلك الذات.

وتنقسم الصفات الإلهية إلى نوعين: صفات ثبوتية وصفات سلبية.

أما الصفات الثبوتية فهي التي وردت بإثباتِها النصوص، وأما الصفات السلبية فهي التي وردت بنفيها نصوص الكتاب والسنة.

الصفات الثبوتية ثلاثة أقسام:

١- صفات ذاتية: وهي اللازمة لذاته أزلًا وأبداً: كالعلم والسمع والبصر.

٢- صفات فعلية: وهي التي يفعلها إذا شاء سبحانه، مثل النزول والمجيء. وهي نوعان:

أ - فعلية متعدية: كالرحمة. ب - فعلية غير متعدية كالإتيان والمجيء.

٣- ذاتية فعلية: وهي التي يكون أصلها ونوعها ذاتياً قديماً، لكن أفرادها يفعلها الله تعالى إذا شاء وذلك مثل صفة الكلام.

وأما الصفات السلبية فهي نوعان:

١- سلبية منفصلة: وذلك مثل نفي الولد ونحوه.

٢- سلبية متصلة: وذلك مثل: نفي السنة والنوم والموت ونحوه.

استحقاق الرب جل وعلا للأسماء والصفات قبل وجود متعلقها

قال الطحاوي: «ليس بعد خلقِ الخلق استفادَ اسمَ الخالق، ولا بإحداثِه البريّة استفادَ اسمَ الباري، له معنى الربوبية(١) ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وكما أنه مُحيي

---

(١) الربوبية: مصدر ربَّ يربُّ ربوبية، ورَبَّ لفظ «رب» يرد:

١- معرفاً: الرب. ٢- غير معرف: رب. ٣- غير مضاف.

وهذه الحالات كلها لا تكون إلا لله وحده دون خلقه.

انظر: مفردات القرآن للراغب (ص ١٨٤)، منهج الأشاعرة (١/ ٢١٧).

وهناك ثلاثة أصول ترجع إليها معاني كلمة الرب:

الأصل الأول: بمعنى المالك والصاحب، قال النبي ﷺ في ضالة الإبل: «فذرها حتى يلقاها ربها». متفق عليه.

الأصل الثاني: بمعنى السيد المطاع، قال القرطبي في تفسيره: فإن الرب في كلام العرب متصرف إلى معانٍ، فالسيد المطاع فيها يدعى رباً، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة: =

الموتى بعد ما أحيا استحقَّ اسمَ الخالقِ قبل إنشائهم».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[عدمُ امتناع تسلسل الحوادث في الماضي والمستقبل:]

ظاهر كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنه يمنع تسلسل الحوادث في الماضي، ويأتي في كلامه ما يدل على أنه لا يمنعه في المستقبل، وهو قوله: «والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان»، وهذا مذهب الجمهور.

ولا شك في فساد قول من منع ذلك في الماضي والمستقبل كما ذهب إليه الجهم وأتباعه، وقال بفناء الجنة والنار، لما يأتي من الأدلة إن شاء الله تعالى.

وأما قول من قال بِجواز حوادث لا أول لها من القائلين بحوادث لا آخر لها فأظهر في الصحة من قول من فرَّق بينهما، فإنه سبحانه لم يزل حياً، والفعل من لوازم الحياة، فلم يزل فاعلًا لما يريد، كما وصف بذلك نفسه حيث يقول: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٥- ١٦].

[كل ما سوى الله فهو حادث:]

والقول بأن الحوادث لها أول يلزم منه التعطيل قبل ذلك، وأن الله ﷻ، لم يزل غير فاعل ثم صار فاعلًا، ولا يلزم من ذلك قِدَم العالم، لأن كل ما سوى الله تعالى محدَث ممكن الوجود، موجود بإيجاد الله تعالى له، ليس له من نفسه إلا العدم، والفقر والاحتياج وصف ذاتي لازم لكل ما سوى الله تعالى، والله تعالى واجب الوجود لذاته، غنيٌّ بذاته، والغنى وصف ذاتي لازم له ﷻ.

= وأهلكن يوماً رب كندةَ وابنه ورب معد بين خبت وعرعر

يعني: سيد كندة، انظر جامع البيان (١/ ٦٢).

الأصل الثالث: بمعنى المصلح للشيء المدبر له، ولذلك قال بعض أهل العلم باشتقاقِ كلمة رب من التربية، قال الراغب في مفرداته: الرب في الأصل من التربية وهو إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حدِّ التمام.

ومن هذا قوله: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١-١٢٢]، فقوله: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ أي: التربية الخاصة.

انظر تهذيب اللغة (١٥/ ١٧٦)،و الصحاح (١/ ١٣٠)، ولسان العرب(١/ ٣٩٩)، و معجم مقاييس اللغة (٢/ ٣٨١)، ومفردات غريب القرآن (ص ١٨٤).

[الله هو الرب الخالق من غير وجود الخلق:]

يعني: أن الله تعالى موصوفٌ بأنه الربُّ قبل أن يوجدَ مربوبٌ، وموصوفٌ بأنه خالقٌ قبل أن يوجدَ مخلوقٌ.

[ثبوت الاسم لله قبل وجود متعلقه:]

يعني: أنه ﷻ موصوفٌ بأنه مُحيي الموت قبلَ إحيائهم، فكذلك يُوصف بأنه خالقٌ قبل خلقهم.

الأسئلة والأجوبة على إثبات استحقاق الله للأسماء والصفات قبل وجود متعلقها، وأن جميع معاني الربوبية لله، وأنه سبحانه المحيي والخالق

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ليس بعد خلقِ الخلق استفادَ اسمَ الخالق، ولا بإحداثِه البريّة استفادَ اسمَ الباري...»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ليس بعد خلقِ الخلق استفادَ اسمَ الخالق، ولا بإحداثِه البريّة استفادَ اسمَ الباري...» لمسائل عديدة أجملها فيما يأتي:

١- عدمُ امتناع تسلسل الحوادث في الماضي والمستقبل.

٢- كل ما سوى الله فهو حادث.

٣- أن الله هو الرب الخالق من غير وجود الخلق.

٤- ثبوت الاسم لله قبل وجود متعلقه.

س٢: على من يرد الطحاوي في قوله: «له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا، استحق هذا الاسم قبل إحيائه، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم»؟

ج٢: يرد على المتكلمين الذين يزعمون أن صفات الأفعال حادثة، فإنها عندهم متعلقة بما يحدثه الله ﷻ من حوادث فكل صفة من صفات الأفعال إنما حدثت لله ﷻ بعد فعله، وهذا معارض للقرآن الكريم في كثير من الآيات مفادها أنه ﷻ كان متصفاً بصفاته في الأزل.

وقولهم هذا تشبيه مذموم للخالقِ بالمخلوقِ الذي يكتسب صفاته بعد وجوده أو

من أفعاله[(١)].

والحاصل أن الله تعالى هو الرب بكل معاني الربوبية حتي قبل أن يخلق أحداً من خلقِه، وكذلك هو الخالق قبل أن يخلقهم، فهذه الأسماء وما دلت عليه من المعاني ثابتة لله تعالى من قبل، ومن بعد، فإنه ﷻ كما أنه محيي الموتى بعد أن يحييهم فإنه محيي الموتى قبل أن يحييهم.

س٣: لم يستعمل السلف الألفاظ التي استعملها المتكلمون مثل: نفي حلول الحوادث في ذات الرب أو أن الصفة زائدة عن الموصوف، أو أن الصفة غير الموصوف، ولا هي عينه، وذلك لأن فيها إجمالًا وهي تحتمل حقا وباطلا، أوضح هذا الكلام.

ج٣: نفي المتكلمين لحلول الحوادث في ذات الرب تعالى فيه إجمال يجب تفصيله فإن أريد بالنفي أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدَّس شيء من مخلوقاته المحدثة ولا يحدث له وصف متجدد فهذا نفي صحيح، وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية والفعلية فهذا باطل كاسد عاطل فاسد.

وكذلك قولهم: «الصفة زائدة عن الموصوف» لفظها مجمل فإن أريد به أن هناك ذاتاً مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها فهذا غير صحيح، وإن أريد به أن الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة فهذا حق.

وقولهم: الصفة لا عين الموصوف ولا غيره، وهذا له معنى صحيح، وهو أن الصفة ليست عين الذات الموصوف التي يفرضها الذهن مجردة،بل هي غيرها لأن هذه الذات المجردة ليس لها وجود خارج الذهن، وليست غير الموصوف بل الموصوف بصفات واحد غير متعدد، فإذا قلت: أعوذ بالله فقد عذت بالذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال.

وأما سبب ترك السلف لهذه الألفاظ فهو أنها محتملة فلا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه غيره، ولا أنه ليس غيره؛ لأن إطلاق الإثبات قد يشعر بأن ذلك مباين له، وإطلاق النفي قد يشعر بأنه هو وإذا كان لفظ الغير فيه إجمال فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل.

س٤: أوضح معنى الذات في اللغة وهل توجد في خارج الذهن ذات مجردة عن الصفات؟ وهل تنفصل الصفة عن الموصوف؟ مع التدليل لما تقول؟

ج٤: لفظ: «ذات» هي تأنيث لـ: «ذو»، ولا تستخدم إلا مضافة يتوصل بها إلى

---

(١) انظر: التعليقات الجلية (ص٢٤).

الوصف بأسماءِ الأجناس، ويضاف إلى الظاهر دون الضمير.

ولا يتصور ذات مجردة عن الصفات كما لا يمكن وجود صفات بدون ذات... فالذات لا يتصور انفصال الصفات عنها بوجه من الوجوه، وإن كان الذهن قد يفرض ذاتاً مجردة من الصفات كما يفرض المحال لكن خارج الذهن لا يمكن تصور ذات منفصلة عن الصفات، على الأقل صفة الوجود، فلا يمكن فصل هذه الصفة عن الذات.

س٥: ما معنى قول الإمام مالك: «الاستواء معلوم والكيف مجهول»؟

ج٥: معنى ذلك أن الاستواءَ معلومٌ أي معناه في لغة العرب، إما بمعنى الاستقرار أو الارتفاع أو بمعنى علا.

وأما كيفية استوائه على عرشه فهي مجهولة عند المخلوقين ولا يمكن الاطلاع عليها ولا يعرفها إلا هو ﷻ.

س٦: هل يمكن أن يعلم الخلق حقيقة صفات الله؟ أوضح الإجمال في قولهم: «الاسم عين المسمى» والتمثيل لما تقول؟

ج٦: لا يمكن للخلقِ معرفةُ حقيقة صفات الله على وجه الإلمام والإحاطةِ بها، وتمام الإدراك لها، وأما كلمة الاسم فيراد بها المسمى تارة، ويراد بها اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: أراد الله كذا فالمقصود المسمى، وإذا قلت: الله اسم عربي، فالاسم هنا هو اللفظ لا المسمى، ولا يقال: غيره.

أما ما في لفظ: «الغير» من إجمال فإن أريد المغايرة، أي: أن اللفظَ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله كان الاسم له حتى خلق لنفسه أسماء أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم فهذا من أعظمِ الإلحادِ في أسماء الله تعالى.

س٧: أوضح مذهب الجهمية وأتباعها في أفعال الرب. وبيِّن شبهتهم وبم ترد عليهم؟

ج٧: مذهب الجهمية في أفعال الرب أن الرب صار قادراً عليها بعد أن لم يكن، وأن هذه الأفعال صارت ممكنة بعد أن كانت ممتنعة، وذلك بناءً على قولهم : إن دوام الحوادث ممتنع، وإنه يجب أن يكون للحوادث مبدأ لامتناع حوادث لا أول لها، فلهذا منعوا أن يكون الخالق لم يزل متكلماً فاعلًا بمشيئته، وكلامهم هذا فاسد؛ لأنه يدل على امتناع حدوث العالم وهو حادث حقيقة.

س٨: اذكر مذهب أهل السنة والجماعة في أفعال الله مع بيان مذهب الكلابية والأشاعرة ومن وافقهما في أفعال الرب وكلامه والرد عليهم؟

ج٨: مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى لم يزل فاعلًا متكلماً إذا شاء، ولا حدوث، بل إن ذلك ممكن غير ممتنع، والله قادر عليه وقت ما شاء.

وأما مذهب الكلابية والأشاعرة ومن وافقهم في أفعال الله وكلامه فإنهم يقولون: إن الفعلَ صار ممكناً له بعد أن كان ممتنعا عليه، وأما الكلام الإلهي عندهم فلا يدخل تحت المشيئة والقدرة، بل هو شيء واحد لازم لذاته وهو الكلام النفسي كما يزعمون.

س٩: اذكر الأقوال في دوام أنواع الحوادث في الماضي والمستقبل مع توضيح رأي أهل الحديث والتدليل له عقلا وشرعاً من الكتاب والسنة؟

ج٩: في دوام الحوادث في الماضي والمستقبل ثلاثة أقوال معروفة لأهل النظر من المسلمين وغيرهم:

١- قول من يقول: لا يمكن دوامها لا في الماضي، ولا في المستقبل، وهو قول جهم بن صفوان، وأبي الهذيل العلاف، وهو أضعف هذه الأقوال.

٢- قول من يقول: بدوامها في المستقبل دون الماضي، وهو قول كثير من أهل الكلام ومن وافقهم من الفقهاء وغيرهم.

٣- قول من يقول: يمكن دوامها في الماضي والمستقبل، وهذا قول أئمة الحديث.

وهذه المسألة من المسائل الكبار، ولم يقل أحد إنه يمكن دوامها في الماضي دون المستقبل.

س١٠: ما معنى التسلسل؟ واذكر أقسامه وبيِّن حكم كل قسم مع التمثيل؟

ج١٠: التسلسل معناه في اللغة: الاستمرار، وهو ترتيب أمور غير متناهية[1].

ومعناه: أن لا يكون شيء إلا وقبله شيء ترتب عليه، وأن لا يكون شيء إلا وبعده شيء ترتب عليه.

والتسلسل على اعتبارين:

١- الجهة الأولى: المعتبرة في التسلسل هي صفات الرب جل وعلا، وللناس في

---

(١) انظر: التعريفات (ص٨١).

التسلسل المتعلق بصفات الرب جل وعلا مذاهب:

الأول: يمتنع تسلسل صفات الرب جل وعلا في الماضي، ويمتنع تسلسل صفاته في المستقبل، فلا بد من أن يكون قد ابتدأت صفاته، ولا بد أيضاً من زمن تنهي إليه صفاته، وهذا قول الجهمية.

الثاني: التسلسل في الماضي ممتنع والتسلسل في المستقبل لا يمتنع، يعنى أن الاتصاف بالصفات لا بد أن يكون له زمن ابتدأ فيه، وهذا الزمن قريب من خلق العالم، وفي المستقبل هناك تسلسل في الصفات، يعني عدم انقطاع للصفات، وهذا هو قول أهل الكلام من الأشاعرة والماتريدية.

ج - الثالث: مذهب أهل السنة والحديث: وهو أن التسلسل ثابت تظهر فيه آثار الصفات، بل تنوع التعلقات باختلاف العوالم وفي المستقبل، يعني في الآخرة، وهو جل وعلا آخر بصفاته سبحانه وتعالى.

٢- الجهة الثانية: هي تسلسل المخلوقات: وللناس فيه مذهبان:

أ - التسلسل في الماضي، وهذا ممتنع عند عامة الناس إلا الفلاسفة الذين قالوا: إنه لا عالم إلا هذا العالم، وهم خارجون عن ملة الإسلام، لأنهم يرون قدم هذا العالم مطلقاً.

ب - التسلسل في المستقبل: وهذا التسلسل في المخلوقات غير ممتنع عند الجمهور، وخالف في ذلك بعض المعتزلة في أن تسلسل الحركات والمخلوقات في المستقبل ممتنع أيضاً، وأنهم لا بد أن يصيروا إلى عدم.

٣- الجهة الثالثة: في الاعتبار: تسلسل الأثر والمؤثر والسبب والمسبب، والعلة والمعلول، وأشهر المذاهب فيه اثنان:

أ - مذهب نفاة التعليل والعلل والأسباب، الذين يقولون: يفعل الله تعالى عند وجود العلة لا لكونها علة.

وهذا قول الأشاعرة والقدرية وغيرهم.

ب - أن الأسباب تنتج مسبباتها، ويتسلسل ذلك وأن العلة تنتج معلولًا، ويتسلسل ذلك - يعني جوازاً -، ولكن ذلك كله بخلق الله تعالى له، وأن التسلسل في الآثار الناتج عن المؤثرات ليس لذاتها بل لسنة الله تعالى التي أجراها في خلقه، وهذا هو الصواب.

س١١: قال الله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٧]، استنبط المؤلف من هذه الآية ستة أمور فاذكرها مع بيان وجه أخذها من الآية، ثم بيِّن هل هناك وصف حدث للرب بعد خلق الخلق أم لا؟

ج١١: الأمور التي استنبطها المؤلف من الآية المذكورة هي:

١- أنه تعالى يفعل بإرادته ومشيئته.

٢- أنه لم يزل كذلك؛ لأنه ساق ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه، وأن ذلك من كماله سبحانه، ولا يجوز أن يكون عادماً لهذا الكمال في وقت من الأوقات.

٣- أنه إذا أراد شيئاً فعله، فإن «ما» موصولة عامة أن يفعل كل ما يريد أن يفعله، وهذا في إرادته المتعلقة بفعله، وأما إرادته المتعلقة بفعل العبد فهذه لها شأن آخر.

٤- أن فعله وإرادته متلازمان، فما أراد أن يفعل فعل، وما فعله أراده، بخلافِ المخلوق فإنه قد يفعل ما لا يريده، ويريد ما لا يفعل.

٥- إثبات إرادات متعددة بحسب الأفعال، وأن كل فعل له إرادة تخصه.

٦- أن كل ما صح أن تتعلق به إرادته جاز فعله، فإذا أراد أن ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا لم يمتنع عليه فعله.

ولم يحدث للرب وصف بعد خلق الخلق، فقد قال الإمام الطحاوي: «وليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق».

س١٢: قال أهل اليمن للنبي ﷺ: «جئنا لنتفقه في الدين، ونسألك عن أول هذا الأمر فقال لهم رسول الله ﷺ: **كان الله ولم يكن شيء قبله..**» الحديث[(١)]، اذكر القولين اللذين قيلا في معنى الحديث، وأوضح مأخذ كل قول، ثم اذكر المرجحات لما تختار؟

ج١٢: للناس في هذا الحديث قولان:

١- القول الأول: إن الله كان موجوداً وحده ولم يزل كذلك أبداً، ثم ابتدأ إحداث جميع الحوادث، فجنسها وأعيانها مسبوقة بالعدم، وأن جنس الزمان حادثٌ لا في زمان، وأن الله صار فاعلًا بعد أن لم يكن يفعل شيئا من الأزل إلى حين ابتداءِ الفعل ولا كان ذلك ممكناً.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: «**وكان عرشه على الماء**»، و«**وهو رب العرش العظيم**»، برقم: (٧٤١٨).

٢- القول الثاني: بأن المراد إخباره عن مبدأ خلق هذا العالم المشهود الذي خلقه الله في ستة أيام ثم استوى على العرش.

والفرق بينهما أنه على تقدير صحة القول الأول فإنهم سألوه عن مفعولات الرب عموماً المشاهدة وغيرها، ما علموه وما جهلوه، وعلى تقدير صحة الثاني فإنهم إنما سألوه عن أمر هذا العالم المشاهد المحسوس فقط لا عن غيره، والصحيح القول الثاني؛ وذلك لوجوه:

١- سؤال أهل اليمن عن أول هذا الأمر المشاهد المحسوس.

٢- ذكره وجود العرش على الماء قبل ذلك فيه ما يدل على بدء هذا العالم المشهود.

٣- كون الحديث ورد على ثلاث روايات مما يمنع الجزم بواحد منها؛ لأن فيه جزماً بأن الرسول ﷺ أراد المعنى الفلاني.

س١٣: قال الطحاوي: «له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق»، ما معنى الخالق في اللغة؟ واذكر معنى الرب، وما تدور عليه هذه المادة؟

ج١٣: الربوبية: مصدر ربَّ يرَّبُّ ربوبية، ولفظ الرب[1] يردُ:

أ- معرفاً، «الرب».

ب - غير معرف «رب».

ج - غير مضاف.

وهذه الحالات لا تكون إلا لله وحده دون خلقه، فإذا أضيفت فحسب المضاف إليه مثل: رب البيت، رب الكعبة.

وهناك ثلاثة أصول ترجع إليها معاني كلمة: «الرب»:

الأصل الأول: بمعنى المالك والصاحب.

الأصل الثاني: بمعنى السيد المطاع.

الأصل الثالث: بمعنى المصلح للشيء المدبر له.

والخالق: هو المخرج للشيء من العدم إلى الوجود.

---

(١) انظر:المفردات (ص١٨٤)، تهذيب اللغة (١٥/ ١٧٦)،و الصحاح (١/ ١٣٠)، ومعجم مقاييس اللغة (٢/ ٣٨١).

عموم قدرة الله وشمولها

قال الطحاوي: «ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيءٍ إليه فقير، وكلُّ أمرٍ عليه يسير، لا يحتاج إلى شيءٍ، وليس كمثلِه شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[ثبوت صفات الله أزلًا:]

ذلك إشارة إلى ثبوتِ صفاتِه في الأزلِ قبل خلقِه.

الأسئلة والأجوبة على: عموم قدرة الله وشمولها

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيءٍ إليه فقير، وكلُّ أمرٍ عليه يسير، لا يحتاج إلى شيءٍ، وليس كمثلِه شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيءٍ إليه فقير، وكلُّ أمرٍ عليه يسير، لا يحتاج إلى شيءٍ، وليس كمثلِه شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ» لبيان ثبوت صفات الله أزلًا.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيءٍ إليه فقير، وكلُّ أمرٍ عليه يسير، لا يحتاج إلى شيءٍ، وليس كمثلِه شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ»؟

ج٢: الله تعالى هو الذي وصف نفسه بأنه على كل شيء قدير، فإذا أراد شيئاً فعله، وإذا لم يرد شيئاً لم يكن هذا الشيء، وهذه الإرادة الكونية القدرية التي لا يخرج عنها شيء، ولا تتخلف أبداً، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، فالآية تدل على كمال قدرة الله تعالى، وأنه قادر أزلًا وأبداً، كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

وقوله: «وكل شيء إليه فقير»، أي: كل شيء في هذا الكونِ مفتقر إلى الله محتاج إليه في إيجاده وبقائه، وفقر المخلوقات لازم لها بخلاف قدرة الله وغناه، فكمال القدرة من صفاتِ الله، والحاجة والعجز من صفات المخلوقات قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]،

وكل أمر على الله تعالى يسير كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢]، وهو لا يحتاج إلى شيء سبحانه وتعالى، بل كل شيء محتاج إليه ضرورة، وحاجة المخلوق إلى الله تعالى ثابتة لا تتغير ولا تكون في وقت دون وقت أو مكان دون مكان.

س٣: ما معنى قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؟

ج٣: إن الله سبحانه وتعالى جمع بين النفي والإثبات في هذه الآية، لأنه لا يتم كمال الموصوف إلا بإثبات صفات الكمال، ونفي صفات النقص، فهذه الآية ونحوها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات، فالله لا يماثله شيء من مخلوقاته لا في ذاته ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسماء الله كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله سبحانه أوجد بها مخلوقاته العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه.

س٤: اذكر مذهب أهل السنة والجماعة في قدرة الرب سبحانه وتعالى؟

ج٤: أهل السنة والجماعة يجعلون قدرة الرب جل وعلا متعلقة بكل شيء فهو سبحانه قادر على ما شاء، وعلى ما لم يشأ جل وعلا، فالله على كل شيء قدير.

وأما أهل البدع فيُعلِّقون القدرة بما يشاؤه الله جل وعلا فيقولون: تعلق قدرة الرب جل وعلا بما يشاء، وهذا القول باطل لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وهذا لم يشأ الله ﷻ أن يحصل، ومع ذلك تعلقت به القدرة.

س٥: قال الطحاوي: «ذلك بأن الله على كل شيء قدير...» أوضح رأي المعتزلة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] مع الرد عليهم؟ ثم بيِّن موقفهم من أفعال العباد مع إيضاح رأي أهل السنة في الآية المذكورة؟ وهل المحال يسمى شيئا وكذلك العدم الممكن؟ أو ضح ذلك مع التمثيل لما تختار؟

ج٥: رأي المعتزلة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] قالوا: إنه قادر على كل ما هو مقدور له، وأما نفس أفعال العباد فلا يقدر عليها عندهم.

وتنازعوا: هل يقدر على فعل مثلها أو خلق مثلها من غير العباد أم لا؟

قال ابن القيم: «وقابلهم - أي جهم بن صفوان - طائفة أخرى فقالوا: العباد موجدون لأفعالهم مخترعون لها بقدرهم وإرادتهم، والرب لا يوصف بالقدرة على مقدور العبد، ولا

تدخل أفعالهم تحت قدرته، كما لا يوصف العباد بمقدور الرب، ولا تدخل أفعاله تحت قدرهم، وهذا قول جمهور القدرية.

وكلهم متفقون على أن الله سبحانه غير فاعل لأفعال العباد، واختلفوا هل يوصف بأنه مخترعها ومحدثها وأنه قادر عليها وخالق لها؟

فجمهورهم نفوا ذلك ومن يقرب منهم إلى السنة أثبت كونها مقدورة لله وأن الله سبحانه قادر على أعيانها، وأن العباد أحدثوها بإقدار الله لهم على إحداثها، وليس معنى قدرة الله عليها عندهم أنه قادر على فعلها. هذا عندهم عين المحال بل قدرته عليها: إقدارهم على إحداثها...»(١).

والرد عليهم إجمالًا:

أنه لو كان المعنى على ما قالوا لكان بمنزلة أن يقال: هو عالم كل ما يعلمه، وخالق لكل ما يخلقه ونحو ذلك من العبارات التي لا فائدة فيها فسلبوا كمال صفة قدرته على كل شيء.

وأما رأي أهل السنة والجماعة فعندهم أن الله على كل شيء قدير، وكل ممكن فهو مندرج تحت هذا.

وأما المحال لذاته مثل كون الشيء موجوداً ومعدوماً في آن واحدٍ فهذا لا حقيقة له.

وأما المعدوم فالتحقيق أن المعدوم ليس بشيء في خارج الذهن، ولكن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون ويكتبه، وقد يذكره ويخبر به كقوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، فيكون شيئاً في العلم والذكر والكتاب لا في خارج الذهن.

س٦: أوضح ما هو المثل الأعلى، واذكر كلام السلف في ذلك؟

ج٦: المثل الأعلى هو: أن كل ما يتصف به المخلوق، وصح أن يتصف به الخالق فالخالق أولى به، وكل ما ينزه عنه المخلوق من نقص فالخالق أولى بالتنزيه عنه.

واختلفت عبارات المفسرين في المثل الأعلى، والتوفيق بين الأقوال أن يقال: إن المثل الأعلى يتضمن الصفة العليا، وعلم العالمين بها، ووجودها العلمي، والخبر عنها وذكرها، وعبادة الرب تعالى بواسطة العلم والمعرفة القائمة في قلوب العباد فها هنا أربعة أمور، وهي:

---

(١) شفاء العليل (١/ ١٤٩ - ١٥٠) - بتحقيق: الشلبي -. وانظر: درء التعارض (١/ ٨١)، المعتزلة وأصولهم (ص١٦٩).

١- ثبوت الصفات العليا لله سبحانه سواء علمها العباد أو لا، وهذا معنى قول من فسرها بالصفة.

٢- وجود الصفات في العلم والشعور، أي: ما في قلوب العابدين من معرفته وذكره ومحبته وخوفه ورجائه.

٣- ذكر صفاته والخبر عنها، وتنزّهها من العيوب والنقائص والتمثيل.

٤- محبة الموصوف بها وتوحيده والإخلاص له والتوكل عليه، وكل ما كان الإيمان بالصفات أكمل كانت محبته وخوفه ورجاؤه أكمل.

س٧: هل يوجد تعارض بين قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؟

ج٧: لا تعارض بين الآيتين فليس أضل ممن يعارض بينها ويستدل بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، على نفي الصفات، ويعمى عن تمام الآية وهو قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، والحق إثبات كمال الصفة مع التنزيه.

س٨: ما موقف أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي وجهم بن صفوان من إثبات الصفات؟ بين ذلك مع ذكر الأقوال في إعراب الكاف من قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وترجيح ما تختار؟

ج٨: موقف أحمد بن أبي دؤاد القاضي المعتزلي والجهم بن صفوان هو نفي الصفات، فأحمد بن أبي دؤاد قد أشار على الخليفة المأمون أن يكتب على ستر الكعبة: ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم.

فحرَّفَ كلام الله تعالى لينفي وصفه تعالى بأنه السميع البصير.

وقال الضال الآخر الجهم: وددت أني أحك من المصحف قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وهذه طريقة أهل البدع، فإنهم يحرفون النصوص والكلم عن مواضعها، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، فلهذا هم يشبهون اليهود، وأما الأقوال في إعراب الكاف في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فعلى وجوه:

الوجه الأول: أن الكاف زيدت للتأكيد، وهو الذي يعطي معنى الكلام التوكيد والتقوية.

والزائد: هو الذي يؤتى به لمجرد التقوية والتوكيد، وهنا استشكال: هل في القرآن حرف زائد؟

والجواب هو في قول ابن هشام: «وينبغي أن يجتنب المعرب أن يقول في حرف من كتاب الله تعالى أنه زائد؛ لأنه لا يسبق إلى الأذهان أن الزائد هو الذي لا معنى له، وكلامه سبحانه منزه عن ذلك»(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «وهنا إشكال:كيف تقول زائد وليس في القرآن زائد؟

والجواب: أنه زائد من حيث الإعراب، أما من حيث المعنى فهو مفيد، وليس في القرآن شيء زائد لا فائدة منه، ولهذا فقولك هو زائد بمعنى أن لا يخل بالإعراب إذا حذف»(٢).

يقول الشاعر:

وليس كمثل الفتى زهير خلق يوازيه في الفضائل

فيكون مثله خبر ليس، أي: لا يشبهه شيء، وهذا وجه قوي حسن كما قال شارح الطحاوية.

الوجه الثاني: أن الزائد كلمة: «مثل»، والمعنى: ليس كهو شيء.

وهذا القول بعيد(٣)؛ لأن: «مثل» اسم، والقول بزيادة الحرف للتأكيد أولى من القول بزيادة الاسم(٤).

الوجه الثالث: أنه ليس ثم زيادة أصلًا وأن هذا من بابِ قولك: مثلك لا يفعل كذا، أي: لا تفعله، وأتى للمبالغة في النفي بطريق الكناية.

وقالوا: في معنى المبالغة، أي: ليس كمثله مثل لو فرض وجود المثل، فكيف ولا مثل له سبحانه أصلًا.

وقد رجح هذا القول الشوكاني وغيره.

وقيل غير ذلك.

والقول الأول أقوى وأظهر كما أشار إليه شارح الطحاوية.

---

(١) قواعد الإعراب (ص١٦٩).
(٢) شرح العقيدة الواسطية (١/ ١٩٩).
(٣) انظر: إملاء ما منَّ به الرحمن للعكبري (ص٢٢٤).
(٤) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٥١٠).

العلم الإلهي السابق

قال الطحاوي: «خلق الخلقَ بعِلْمِه، وقدر[1] لهم أقدارا، وضرب لهم آجالاً[2]».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[معنى الخلق:]

خَلَقَ: أي: أوجد، وأنشأ، وأبدعَ، ويأتي خَلَقَ أيضاً بمعنى: قدَّر.

والخلق: مصدر، وهو هنا بمعنى المخلوق.

وقوله: بعلمِه: في محل نصب على الحال، أي: خلقهم عالماً بهم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٥٩-٦٠]، وفي ذلك رد على المعتزلة.

[حقيقة العلم الإلهي:]

قال الإمام عبد العزيز المكي صاحب الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجليسه في كتاب الحيدة الذي حكى فيه مناظرته بشر المريسي عند المأمون حين سأله عن علمه تعالى، فقال بشر: أقول لا يجهل، فجعل يكرر السؤال عن صفة العلم، تقريراً له، وبشر يقول: لا يجهل، ولا يعترف له أنه عالم بعلم، فقال الإمام عبد العزيز: نفيُ الجهل لا يكون صفة مدح، فإن هذه الأسطوانة لا تجهل، وقد مدح الله تعالى الأنبياء والملائكة والمؤمنين بالعلم لا بنفي الجهل، فمن أثبت العلم فقد نفى الجهل، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم، وعلى الخلق أن

---

(١) المراد بالقدر شرعاً: أن الله علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكلُّ محدث صادر عن علمه، وقدرته، وإرادته، هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية، وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين. قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١/ ١١٨).

(٢) الآجال: جمع أجل وهو الوقت المضروب المحدد في المستقبل.
وأما في الشرع: فالأجل هو الوقت الذي قدر موت الميت فيه، أو هو نهاية العمر وانقضائه.
انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٢٦)، إكمال المعلم للقاضي عياض (٨/ ١٥٣)، مجموع الفتاوى (٨/ ٥١٦).

يثبتوا ما أثبته الله تعالى لنفسه، وينفوا ما نفاه، ويمسكوا عما أمسك عنه.

[الدليل العقلي للعلم الإلهي:]

والدليل العقلي على علمه تعالى: أنه يستحيل إيجاده الأشياء مع الجهل، ولأن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها؛ لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير علم، ولأن من المخلوقات ما هو عالم والعلم صفة كمال، ويمتنع أن لا يكون الخالق عالما، والله تعالى له المثل الأعلى، ولا يستوي هو والمخلوقات، بل كل ما ثبت للمخلوق من كمال فالخالق به أحق، وكل نقص تنزه عنه مخلوق ما فتنزيه الخالق عنه أولى.

[الله مقدر الأقدار:]

قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢، ٣].

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**كتب الله مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أن يخلقَ السمواتِ والأرضَ بخمسين ألف سنة، وكان عرشُه على الماء**»[(١)].

[تقدير آجال الخلائق:]

يعني أن الله ﷻ قدَّر آجالَ الخلائق، بحيث إذا جاء أجلُهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[آل عمران: ١٤٥].

وفي صحيح مسلم[(٢)]: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ ورضي عنها: «اللهم أمتعني بزوجي رسولِ الله، وبأبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال رسول الله ﷺ: **قد سألتِ اللهَ لآجالٍ مضروبةٍ، وأيامٍ معدودة، وأرزاقٍ مقسومة، لن يعجِّل شيئاً قبل أجله، ولن يؤَخِّر شيئاً عن أجلِه، ولو كنتِ سألتِ الله أن يعيذَكِ من عذابٍ في النار وعذابٍ في القبر كان**

(١) صحيح مسلم، ك: القدر، ب: حجاج آدم وموسى، برقم: (٢٦٥٢).
(٢) صحيح مسلم، ك: القدر، ب: بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر، برقم: ٢٦٦٣.

خيراً وأفضل»[١].

[حقيقة أجل المقتول:]

المقتول ميِّتٌ بأجله، وقد عَلِم اللهُ تعالى ذلك، وقدَّر وقضى أن هذا يموتُ بسبب المرض، وهذا بسبب القتلِ، وهذا بسبب الهدم، وهذا بسبب الحرق، إلى غير ذلك من الأسباب، والله سبحانه خلَقَ الموت والحياة، وخلق سبب الموت والحياة.

وعند المعتزلة: المقتول مقطوع عليه أجله، ولو لم يقتل لعاش إلى أجله، فكأن له أجلين، وهذا باطل، لأنه لا يليق أن ينسب إلى الله تعالى أنه جعل له أجلًا يعلم أنه لا يعيش إليه البتة، أو يجعل أجله أحد الأمرين كفعل الجاهل بالعواقب!!

الأسئلة والأجوبة على تقرير العلم الإلهي السابق

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «خلق الخلق بعلمه وقدر لهم أقدارا، وضرب لهم آجالا ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقدارا، وضرب لهم آجالا، ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

---

(١) قال النووي: «فإن قيل ما الحكمة في نهيها عن الدعاء بالزيادة في الأجل؛ لأنه مفروغ منه، وندبها إلى الدعاء بالاستعاذة من العذاب مع أنه مفروغ منه أيضاً كالأجل؟
فالجواب: أن الجميع مفروغ منه لكن الدعاء بالنجاة من عذاب النار، ومن عذاب القبر ونحوهما عبادة، وقد أمر الشرع بالعبادة، فقيل: أفلا نتكل على كتابنا وما سبق لنا من القدر فقد قيل: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له».
وأما الدعاء بطول الأجل فليس عبادة، وكما لا يحسن ترك الصلاة والصوم والذكر اتكالا على القدر، فكذا الدعاء بالنجاة من النار ونحوه والله أعلم». شرح صحيح مسلم (١٦/ ٤٥٤).
ولهذا فإن كثيراً من أهل العلم كره الدعاء بإطالةِ العمر، ورخص فيه بعضهم، ونقل بعض أهل العلم أن أول من أحدث أطال الله بقاءك الزنادقة، وبعضهم خص هذا الدعاء لأهل العلم والدين، وولاة العدل فقط.
انظر: الأذكار للنووي (ص٣٢٩)، شرح الأذكار - المسمى بالفتوحات الربانية على الأذكار للنووي - لابن علان (٧/ ١٢٢ - ١٢٣)، زاد المعاد (٢/ ٤٧٣)، الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٤٣٥)، غذاء الألباب للسفاريني (١/ ٢٩٢)، وشرح الطحاوية بتعليق العدني (ص١٣٨).

١- معنى الخلق. ٢- حقيقة العلم الإلهي.
٣- الدليل العقلي للعلم الإلهي. ٤- بيان أن الله تعالى هو مقدر الأقدار.
٥- تقدير آجال الخلائق. ٦- حقيقة أجل المقتول.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقدارا، وضرب لهم آجالا، ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم»؟

ج٢: إن الله تعالى خلق الخلق عالماً بهم كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، فعلمه تعالى محيط بكل شيء، لا يخفى عليه منها شيء، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣]، لا يغيب عنه شيء، وعلمه محيط بالكليات والجزئيات ﷻ، وكل شيء خلقه الله تعالى بقدر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وكما قال جل وعلا: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

فالخيرُ والشر مقدران، وكل شيء مخلوق بقدر، وهو سبحانه وتعالى قد كتب لخلقه آجالًا لا يتخطونها، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

هذا، وإن الله ﷻ كان ولم يزل يعلم كل شيء قبل أن يخلق خلقه، وعلم أهل السعادة، وأهل الشقاوة، والصالحين، والطالحين، كل ذلك قبل خلقهم، وعلم ما يكون منهم في يوم كذا على هيئة كذا سبحانه، لا تخفى عليه من خلقه خافية.

س٣: قال الطحاوي: «خلق الخلق بعلمه» ما معنى الخلق؟ أورد بعض الأدلة لإثبات علم الله مع ذكر الدليل العقلي على إثباته؟

ج٣: معنى خلق: أوجد وأنشأ وأبدع. ويأتي خلق بمعنى قَدَّر.

والخلق: مصدر وهي هنا بمعنى المخلوق، أي: بمعنى المفعول به.

ومن الأدلة على إثبات علم الله قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وقال: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآية.

وأما الدليل العقلي على علمه تعالى فهو أنه يستحيل إيجاده أشياءَ مع الجهل؛ لأن إيجاد الأشياء إنما يكون بإرادته، والإرادة تستلزم تصور المراد وهو الخلق، وتصور المراد هو العلم بالمراد، فكان الإيجاد والخلق مستلزما للإرادة، وهذه مستلزمة للعلم، فالإيجاد مستلزم للعلم.

ولأن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل بها؛ لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره من غير علم، فمن أثبت العلم فقد نفى الجهل، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم، والله أعلم.

وكذلك فإنه تعالى قد وهب بعض مخلوقاته العلم، فلو نفى عنه العلم لكان بعض خلقه أكمل منه - حاشا لله - وذلك لأن من يعلم أكمل ممن لا يعلم، وهذا بهتان عظيم وإفك مبين.

س٤: قال الطحاوي: «وقدر لهم أقدارا»، ما معنى القدر؟ وما حكم الخوض فيه، واذكر بعض الأدلة على وجود جميع المخلوقات بقدر الله تعالى الشامل لكل شيء؟

ج٤: القدر: معناه في اللغة: تهيئة الشيء لما يصلح له.

أما معناه في الشرع: فهو علم الله السابق بالأشياء قبل وقوعها، وكتابته لذلك في اللوح المحفوظ قبل خلقها وإيجادها، ومشيئته النافذة الشاملة، وخلقه جل وعلا لكل شيء.

أما الخوض في القدر: فيجب ألا يتعدى ما دلت عليه النصوص الشرعية، ولقد وردت نصوص شرعية فيها الأمر بالإمساك عن الكلام في القدر، والنهي عن الخوض فيه بغير علم من الكتاب والسنة، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**إذا ذكر القدر فأمسكوا**»(١)، وقوله ﷺ للصحابة لما تنازعوا في القدر: «**عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه**»(٢).

ومما يجب أن يعلم أن الإمساك عن القدر وترك الخوض فيه، ليس بترك البحث فيه، بإحقاقِ الحق، وإبطالِ الباطل، فهذا من مهام الدين، ومن العلم النافع، بل المراد من الإمساك الذي أمرنا به والخوض الذي نهينا عنه التعمق في القدر ومحاولة معرفته عن طريق العقل.

وأما الأدلة على وجود المخلوقات بقدر الله تعالى الشامل لكل شيء فهي:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

٢- وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

٣- وقال النبي ﷺ: «**قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين**

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٤٣)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: (٣٤).

(٢) أخرجه الترمذي، ك: القدر، ب: ما جاء من التشديد في الخوض في القدر، برقم: (٢١٣٣)، وأحمد (٢/ ١٩٦)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم: (٢١٣٣).

ألف سنة، وكان عرشه على الماء»[١].

س٥: قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وضرب لهم آجالا». ما موقف أهل السنة والجماعة من الأجل؟ وهل المقتول مات بأجله أم لا؟ وما رأي المعتزلة في ذلك مع الرد عليهم؟

ج٥: قول الطحاوي: «وضرب لهم آجالا».

الآجال: جمع أجل، وضرب الآجال معناه: أنه جل وعلا جعل لكل شيء أجلا ينتهي إليه، والآجال غير الأعمار، فالعمر أخص من الأجل، والآجال لا تقبل التغير، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

وأما الأعمار فهي قابلة لذلك لأسبابٍ أناط الله تعالى بها التغيير في قدره السابق.

والحاصل أن أهل السنة يثبتون أن الله تعالى قدر آجال الخلائق، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وعند أهل السنة أن المقتول مات بأجله.

وعند المعتزلة أن المقتول مقطوع أجله، ولو لم يقتل لعاش إلى أجله فكأن له أجلين: أحدهما مقدر، والآخر معجل.

والرد عليهم: أن هذا باطل؛ لأنه لا يليق أن ينسب إلى الله تعالى أنه جعل له أجلا يعلم أنه لا يعيش إليه البتة.

أو يحتمل أجله أحد أمرين: كفعل الجاهل بالعواقب وأوجب القصاص والضمان على القاتل لارتكابه المنهي عنه ومباشرته السبب المحظور.

س٦: ما الحكمة في النهي عن الدعاء بالزيادة في الأجل؟ وهل يشرع الدعاء بطول العمر؟ دلل لما تقول مع بيان معنى الحديث: «صلة الرحم تزيد في العمر»؟

ج٦: جعل ﷻ وتعالى لكل شيء آجالا، والآجال غير الأعمار، فالعمر أخص من الأجل، فالآجال لا تقبل التغير فتظهر لنا الحكمة من نهي النبي ﷺ عن الدعاء بالزيادة في الأجل، لأنه مفروغ منه، ولهذا فإن كثيرا من أهل العلم كرهوا الدعاء بإطالة العمر، ورخص فيهم بعضهم[٢].

والحاصل أن بعض أهل العلم قالوا: لا يشرع الدعاء بطول العمر، واستدلوا على

---

(١) أخرجه مسلم، ك: القدر، ب: حجاج آدم وموسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، برقم: (٢٦٥٣).

(٢) انظر: زاد المعاد (٢/ ٤٧٣)، غذاء الألباب (١/ ٢٩٦).

ذلك بقصة أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين دعت أن يمتعها بزوجها رسول الله ﷺ، فقال لها: «**سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة...**» الحديث[(١)].

وقد ذكر عن الإمام أحمد أنه كان يكره الدعاء له بطول العمر.

وأما معنى الحديث: «**صلة الرحم تزيد في العمر**»[(٢)]، أي أنها سببٌ في طول العمر، وقد قدر الله أن هذا يصل رحمه فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية، ولولا ذلك السبب لم يصل إليه قدر أن يقطع رحمه فيعيش إلى كذا، وقال بعض أهل العلم أيضاً: إن المراد بالزيادة البركة فإنه يبارك في العمر، ولا يقال: إن له أجلين أحدهما مقدر والآخر معجل كما تقول المعتزلة وقد سبق بيان فساده.

س٧: أوضح مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١]؟

ج٧: اختلف العلماء في بيان مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١]، على أقوال:

١- قول الفراء ومن وافقه: بأن الضمير عائد على معمر غير المذكور الأول، فيكون المعنى: ولا ينقص من عمر معمر آخر، كما يقال: عندي درهم ونصفه.

وليس المقصود نقصان عمر معمر بعد زيادته، وإنما يجعل عمره ناقصاً من الابتداءِ، وسمي معمراً باعتبار بلوغه هذا العمر.

٢- قول سعيد بن جبير ومن وافقه: بأنه يكتب عمر المعمر كم هو، ثم يكتب في كتاب آخر نقص من عمره ساعة، ويوم، وأسبوع، حتى ينقضي أجله فهو النقصان.

٣- قول قتادة: بأن المعمر من بلغ ستين سنة، والمنقوص من عمره من مات قبل الستين.

٤- وقيل: إن الله كتب عمر الإنسان إن أطاع عاش كذا، وإن عصى عاش إلى كذا، أي: دونه، وكل ذلك بأجل.

٥- وقيل: الزيادة والنقص في الصحف التي بأيدي الملائكة يغير فيها، وأما اللوح المحفوظ فلا يغير، قال تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩].

---

(١) أخرجه مسلم، ك: القدر، ب: بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر، برقم: ٢٦٦٣.

(٢) أخرجه البخاري، ك: الأدب، ب: من بسط له في الرزق، برقم: ٥٩٨٥، ومسلم برقم: ٢٥٥٧.

ومثال ذلك: أن الله أمر الملك أن يكتب لفلان أجلًا، وقال: إن وصل رحمه زدته كذا وكذا، والملك لا يعلم أيصل رحمه فيزداد في عمره أم لا يصل رحمه فلا يزداد في عمره، لكن ما عند الله مستقر ليس فيه إلا ما يكون(١).

س٨: لو لم يقتل المقتول هل يعيش أو يموت؟

ج٨: للناس في ذلك ثلاثة أقوال:

١- قول المعتزلة: بأن المقتول مقطوع أجله فلو لم يقتل لعاش إلى الأجل الثاني، وهو أجل الموت. بمعنى آخر: أن القاتل قطع على المقتول أجله، فالمقتول كان سوف يعيش لكن القاتل قطع أجله عليه.

٢- قول نفاة الأسباب: بأنه إذا لم يقتل فسوف يموت.

٣- قول أهل السنة: إن المقتول إذا لم يُقتل احتمل أنه يعيش، ويحتمل أنه يموت في ذلك الوقت، إذ لا علم لنا بالغيب، والجزم بأحد الأمرين تحكم من غير دليل(٢).

س٩: اشرح قول ابن أبي العز: لو لم يقتل لعاش إلى أجله، فكان له أجلان، وهذا باطل، لأنه لا يليق أن ينسب إلى الله تعالى أنه جعل له أجلا يعلم أنه لا يعيش إليه البتة، أو يجعل أجله أحد الأمرين، كفعل الجاهل بالعواقب. ووجوب القصاص والضمان على القاتل لارتكابه المنهي عنه، ومباشرته السبب المحظور؟

ج٩: مقصود المصنف من هذه العبارة الرد على المعتزلة، فلو قالوا لنا: إذا كان المقتول قد مات بأجله المعلوم، فلماذا شرع القصاص والضمان على القاتل؟

والجواب: نعم المقتول مات بأجله المعلوم المكتوب له، أما إيجاب القصاص والضمان على القاتل فهذا لارتكابه المنهي عنه، ومباشرته السبب المحظور، لا لأنه قطع أجل المقتول، وعن المعتزلة أن إيجاب القصاص والضمان إنما هو لسبب قطع أجل المقتول(٣).

س١٠: اشرح قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩] مع بيان ما تختاره من الآراء في الآية؟

ج١٠: يُحمل قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٥١٧، ٥٤٠). (٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٥١٧ - ٥٢٨).
(٣) انظر: شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص١٥٦).

٣٨ - ٣٩]، على أن المحو والإثبات من الصحف التي بأيدي الملائكة، وأن قوله: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اللوح المحفوظ.

ويدل على هذا الوجه سياق الآية، وهو قوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، ثم قال: ﴿مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾، أي: من ذلك الكتاب، ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: أصله، وهو اللوح المحفوظ.

وقيل: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾، أي: من الشرائع، وينسخه بالشرائع الأخرى، ويثبت ما يشاء فلا ينسخه، والسياق أدل على هذا الوجه من الوجه الأول، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾ [الرعد: ٣٨]، أي من عند نفسه بل من عند الله، ثم قال: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾، أي: إن الشرائع لها أجل وغاية تنتهي إليها، ثم تنسخ بالشريعة الأخرى بمشيئة الله.

علم الله بالخلق أزلي سابق، وبيان عموم مشيئته ونفاذها

قال الطحاوي: «ولم يخفَ عليه شيءٌ قبلَ أن يخلقهم، وعلمَ ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمرهم بطاعتِه ونهاهم عن معصيتِه، وكلُّ شيءٍ يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئتُه تنفُذ، لا مشيئةَ للعباد إلا ما شاءَ لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن، يهدي من يشاء، ويعصمُ ويعافي فضلًا، ويُضلُّ من يشاءُ، ويخذلُ ويبتلي عدلًا، وكلُّهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدْلِه، وهو متعالٍ عن الأضداد والأندادِ سبحانه وتعالى، لا رادَّ لقضائِه، ولا مُعقِّبَ لحُكْمِه، ولا غالبَ لأمرِه، آمنَّا بذلك كلِّه، وأيقنَّا أن كلًّا من عندِه».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[العلم الإلهي أزلي:]

فإنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وإن كان يعلم أنهم لا يُردُّون، ولكن أخبر أنهم لو رُدُّوا لعادوا، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣].

وفي ذلك رد على الرافضة والقدرية الذين قالوا: إنه لا يعلم الشيء قبل أن يخلقه

ويوجده، وهي من فروع مسألة القدر، وسيأتي لها زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

[الله يأمر وينهى لأنه الخالق:]

ذكر الشيخ الأمرَ والنهيَ بعد ذكرِهِ الخلقَ والقدرَ، إشارةً إلى أن الله تعالى خَلَقَ الخَلقَ لعبادتِه كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢].

[مشيئة الله نافذة:]

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٩٩].

وقال سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٣٩]، إلى غير ذلك من الأدلة على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وكيف يكون في ملكه ما لا يشاء؟!

ومن أضل سبيلًا وأكفر ممن يزعم أن الله شاء الإيمان من الكافر، والكافر شاء الكفر، فغلبت مشيئة الكافر مشيئة الله!! تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

[احتجاج المشركين بالقدر والرد عليهم:]

فإن قيل: يُشكل على هذا قولُه تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأنعام: ١٤٨] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾ [النحل: ٣٥]، فقد ذمهم الله حيث جعلوا الشرك كائناً منهم بمشيئة الله، وكذلك ذمَّ إبليسَ إذ قال: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٣٩].

قيل: قد أجيب عن هذا بأجوبة، من أحسنها: أنه سبحانه أنكر عليهم ذلك؛ لأنهم احتجوا بمشيئته على رضاه، ومحبته، وقالوا: لو كرهَ ذلك وسخِطه لما شاءه، فجعلوا مشيئته دليلَ رضاه، فردَّ الله عليهم ذلك.

أو أنه أنكر عليهم اعتقادَهم أن مشيئة الله دليلٌ على أمره به.

أو أنه أنكر عليهم معارضتهم شرعَه وأمرَه الذي أرسَل به رسله، وأنزل به كتبَه بقضائه وقدره، فجعلوا المشيئة العامة دافعةً للأمر، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره، دافعين بها لشرعه، كفعل الزنادقة والجُهال؛ إذا أُمِروا أو نُهُوا احتجوا بالقدر.

وقد احتج سارقٌ على عمر رضي الله عنه بالقدَرِ، فقال: وأنا أقطع يَدَكَ بقضاءِ الله وقدرِه.

ويشهد لذلك قوله تعالى في الآية: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فعُلم أنَّ مرادهم التكذيب، وإلا من أين لهم أن يطلعوا على الغيب؟!.

[احتجاج آدم بالقدر على المصيبة:]

فإن قيل: فما تقولون في احتجاج آدم على موسى عليه السلام بالقدر إذ قال له: «أتلومني على أمر قد كتبه الله علي قبل أن أخلق بأربعين عاماً؟ وشهد النبي ﷺ أن آدم حج موسى»[(١)]، أي: غلب عليه بالحجة.

قيل: نتلقاه بالقبول والسمع والطاعة لصحته عن رسول الله ﷺ، ولا نتلقاه بالرد والتكذيب للرواية، كما فعلت القدرية ولا بالتأويلات الباردة، والصحيح أن آدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، وهو كان أعلم بربه وذنبه، بل آحاد بنيه من المؤمنين لا يحتج بالقدر، فإنه باطل وموسى عليه السلام كان أعلم بأبيه وبذنبه من أن يلوم آدم على ذنب قد تاب منه وتاب الله عليه واجتباه وهداه، وإنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، فاحتج آدم بالقدر على المصيبة لا على الخطيئة فإن القدر يحتج به عند المصائب لا عند المعائب، وهذا المعنى أحسن ما قيل في المسألة[(٢)].

[وجوب التسليم للقدر:]

فما قدر من المصائب يجب الاستسلام له؛ فإنه من تمام الرضى بالله ربا، وأما الذنوب فليس للعبد أن يذنب، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب، فيتوب من المعائب ويصبر على المصائب، قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

---

(١) أخرجه البخاري، ك: التفسير، ب: قوله: ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧]، برقم: (٤٧٣٨)، ومسلم، ك: القدر، ب: حجاج آدم وموسى عليه السلام، برقم: (٢٦٥٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٠٣-٣٢٥)، شفاء العليل (ص٢٨-٤١).

[احتجاج إبليس بالقدر على المعصية:]

وأما قول إبليس: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩] فإنه ذم على احتجاجه بالقدر لا على اعترافه بالمقدر وإثباته له، ألم تسمع قول نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤].

ولقد أحسن القائل:

فما شئتَ كان وإن لم أشأ

وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن

وعن وهب بن منبه أنه قال: «نظرت في القدر فتحيرت، ثم نظرت فيه فتحيرت، ووجدت أعلم الناس بالقدر أكفهم عنه، وأجهل الناس بالقدر أنطقهم به».

[الهداية والإضلال من الله تعالى:]

هذا رد على المعتزلة في قولهم بوجوب فعل الأصلح للعبد على الله(١)، وهي مسألة

---

(١) تعتقد المعتزلة بوجوب فعل الأصلح على الله تعالى فيما يتعلق بشؤون العباد، فإذا كلف أحداً من عباده بتكليف فامتثله فلا بد أن يثيبه على ذلك، وإذا أصاب عبداً من عبيده بأذى لا بد أن يجعل ذلك محققاً لصلاحِه ومنفعته، وإن كان مخلًّا بواجبِه.
وهذا قبح في التكليف، فإذا فعل سبحانه ما يضره اعتبر ذلك ظلمهم.
هذا هو مذهب المعتزلة، وهذا باطل بالنقل كما أنه مخالفٌ لما عليه جمهور أهل العلم من الأصوليين، والفقهاءِ الذين يقولون: لا يجب على الله فعل الأصلح لعبادِه، وكيف يجب عليه سبحانه فعل الأصلح للعباد والأنفع لهم وهو القائل: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩].
فهو سبحانه وتعالى قد صرف قلوب بعض عباده عن الهداية والإيمان، وخلق الكفر، ولو كان يجب عليه فعل الأصلح لهم لما صرف قلوبهم عن الهداية، والإيمان، ولما خلق الكفر فيهم. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: حدثني الصادق المصدوق، وفيه: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل».
قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٤٩٠): «واستدل له - أي: الحديث السابق - على أنه لا يجب على الله رعاية الأصلح خلافا لمن قال به من المعتزلة، لأن فيه أن بعض الناس يذهب جميع عمره في طاعة الله، ثم يختم له بالكفر والعياذ بالله، فيموت على ذلك فيدخل النار، فلو كان يجب عليه رعاية الأصلح لم يحبط جميع عمله الصالح بكلمة الكفر التي مات عليها، ولا سيما إن طال عمره وقرب موته من كفره».
و الحاصل أن أهل السنة عندما يردون على المعتزلة ويبطلون معتقدهم لا يعني أنهم ينفون وجود

الهدى والإضلال.

قالت المعتزلة: الهدى من الله بيان طريق الصواب، والإضلال: تسمية العبد ضالًّا[(١)].

وحكمه تعالى على العبد بالضلال عند خلق العبد الضلال في نفسه.

وهذا مبنيٌّ على أصلِهم الفاسد: أن أفعال العباد مخلوقة لهم، والدليل على ما قلناه قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦].

ولو كان الهدى بيان الطريق لما صح هذا النفي عن نبيه، لأنه ﷺ بين الطريق لمن أحب وأبغض، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [السجدة: ١٣]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [المدثر: ٣١]، فلو كان الهدى من الله البيان - وهو عام في كل نفس - لما صح التقييد بالمشيئة، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [الصافات: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ١٣٩].

وقوله: «وكلهم يتقلبون في مشيئته، بين فضله وعدله»، فإنهم كما قال تعالى: ﴿هُوَ

= المصلحة في أوامر الله ونواهيه، بل إن مقتضى مذهبهم أن أوامر الله تعالى ونواهيه لا تخلو من المصلحة إلا أنهم لا يقولون بوجوب هذه المصلحة على الله تعالى كما زعمت المعتزلة بل رعاية الأصلح فضل منه سبحانه وإحسان على عباده.
انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة (ص١٩٧)، آراء المعتزلة الأصولية (ص ١١٣ - ١١٤)، المعتزلة بين القديم والحديث (ص٦٨). وراجع: اقتضاء الصراط المستقيم (ص٤٠٩) - الفقي -، لوامع الأنوار (١/ ٣٢٩)، وشرح الطحاوية بتعليق العدني (ص١٤٧).

(١) هذا معتقد المعتزلة وهو باطل مردود لغةً ونقلاً.
أما من حيث اللغة فقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «... وليس في لغة أمة من الأمم فضلًا عن أفصح اللغات وأكملها (هداه) بمعنى سماه مهتديا، و(أضله): سماه ضالًا، وهل يصح أن يقال علمه إذا سماه عالماً، وفهمه إذا سماه فاهماً». شفاء العليل (١/ ٢١٧) - الشلبي -.
أما من حيث النقل فيقال لهم: نعم قد يكون الهدى من الله بيان طريق الصواب لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ [فصلت: ١٧]، لكن حصرها بهذا النوع لا يوافقون عليه فإنه سبحانه قد وصف نفسه بالهداية التي هي التوفيق والإلهام ودليله: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾[الأنعام: ١٢٥]، ولهذا نفاها أي هداية التوفيق عن نبيه ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن ﴾ [القصص: ٥٦].
انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٧٨ - ٧٩)، شفاء العليل (١/ ٢١٧ - ٢٢٣)، ابن حزم وموقفه من الإلهيات (ص٤٢٥ - ٤٣٣)، وشرح الطحاوية بتعليق العدني (ص١٤٨).

﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، فمَنْ هداه إلى الإيمان فبفضلِه، وله الحمدُ، ومن أضلَّه فبعَدْلِه وله الحمد، وسيأتي لهذا المعنى زيادة إيضاح إن شاء الله تعالى.

والضِّدُّ: المُخالفُ، والنِّدُّ: المِثْلُ، فهو سبحانه لا مُعارض له، بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا مِثْلَ له، كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

ويشير الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بنفي الضد والند إلى الرد على المعتزلة في زعمهم أن العبد يخلق فعله.

وقوله: «لا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره».

أي: لا يردُّ قضاء الله رادٌّ، ولا يُعقِّبُ، أي: لا يؤخِّر حُكمَه مؤخِّر، ولا يغلبُ أمرَه غالبٌ، بل هو اللهُ الواحدُ القهار.

[الإيمان واليقين بقدر الله:]

أما الإيمان فسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى.

والإيقان: الاستقرار، مِن قرَّ الماء في الحوض إذا استقرَّ. والتنوين في: «كلا» بدل الإضافة، أي: كلُّ كائنٍ محدَثٍ من عند الله، أي: بقضائِه وقدره وإرادتِه، ومشيئتِه وتكوينِه، وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

الأسئلة والأجوبة على: أن علم الله بالخلق أزلي سابق، وبيان عموم مشيئته ونفاذها

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ولم يخفَ عليه شيءٌ قبلَ أن يخلقهم، وعلمَ ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمرهم بطاعتِه ونهاهم عن معصيتِه، وكلُّ شيءٍ يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئتُه تنفُذ، لا مشيئةَ للعباد إلا ما شاءَ لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن...».

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ولم يخفَ عليه شيءٌ قبلَ أن يخلقهم، وعلمَ ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمرهم بطاعتِه ونهاهم عن معصيتِه، وكلُّ شيءٍ يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئتُه تنفُذ، لا مشيئةَ للعباد إلا ما شاءَ لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن...» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- العلم الإلهي أزلي. ٢- الله يأمر وينهى لأنه الخالق.

٣- مشيئة الله نافذة. ٤- احتجاج المشركين بالقدر والرد عليهم.
٥- احتجاج آدم بالقدر على المصيبة. ٦- وجوب التسليم للقدر.
٧- احتجاج إبليس بالقدر على المعصية.
٨- الهداية والإضلال من الله تعالى. ٩- الإيمان واليقين بقدر الله.

س٢: قال الطحاوي: «وكل شيء يجري بتقديره، ومشيئته تنفذ....» اذكر بعض الأدلة لمشيئة الله؟ وهل هي عامة للخير والشر؟ وبم تجيب عن التعارض المتوهم بين إثبات المشيئة وبين قوله تعالى حكاية عن المشركين: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وما أشبهها حيث ذمهم الله على نسبة وقوع الشرك بمشيئته؟

ج٢: قال تعالى في إثبات عموم مشيئته: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقد أجيب عن التعارض المتوهم بين إثبات عموم المشيئة وبين قوله تعالى: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] بأجوبة من أحسنها:

١- أنه تعالى أنكر عليهم ذلك لأنهم احتجوا بمشيئته على رضاه ومحبته، وقالوا: لو كره ذلك، وسخطه لما شاءه فجعلوا مشيئته دليل رضاه فرد الله عليهم وأنكر عليهم ذلك.

٢- أو أنه تعالى أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليل على أمره به.

٣- أو أنه تعالى أنكر عليهم معارضتهم شرعَه وأمرَه الذي أرسل به رسوله وأنزل به كتبه بقضائه وقدره، فجعلوا المشيئة العامة رافعة للأمر، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره، دافعين بها لشرعه كفعل الزنادقة الجهال إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر.

س٣: بم ترد على من احتج بالقدر على المعاصي، واحتج بقصة حجاج آدم عليه السلام لموسى؟ وهل يذم من احتج بالقدر على المعصية؟ ومن أسلم الناس في القدر؟

ج٣: لا يجوز الاحتجاج بالقدر على المعاصي كما هو مذهب أهل السنة، ولذا ذُمَّ إبليس في قوله: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩]؛ لاحتجاجه بالقدر على المعصية.

وأما قصة موسى عليه السلام مع آدم: «وهي احتجاج آدم بالقدر على المصيبة»، فنتلقاها بالقبول والسمع والطاعة لصحتها عن رسول الله ﷺ، ولا نتلقاها بالرد والتكذيب، كما فعلت القدرية، لأن الصحيح أن آدم عليه السلام لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، وإنما وقع

اللوم من موسى عليه السلام لآدم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، فاحتج آدم بالقدر على المصيبة لا على الخطيئة، أي: إن هذه المصيبة وهي الخروج من الجنة مقدرة، فإن القدر يحتج به عند المصائب لا عند المعائب، فما قدر من المصائب يجب الاستسلام له؛ فإنه من تمام الإيمان بالله.

وأما الذنب فليس للعبد أن يذنب محتجا بالقدر، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب، هذا مع أن آدم عليه السلام قد اعترف بذنبه وتاب منه.

س٤: ما معنى قول الطحاوي: «يهدي من يشاء، ويعافي فضلا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا»؟

ج٤: إن الله تعالى هو الذي يهدي من يشاء من عباده للإيمان، ويعصمهم من الوقوع في الضلال والمعاصي، ويعافيهم من ذلك ومن آثاره الضارة في الدنيا والآخرة، فمن فعل الله به ذلك فهو فضل من الله تعالى، ومنة تستوجب الشكر عليها.

كما أنه سبحانه يضل من يشاء من خلقه ويخذلهم فيكلهم إلى أنفسهم، ويخلي بينهم وبين الشيطان، فلا يعصمهم ويبتليهم بذلك، فيقعون في الضلال والمعصية، وذلك عدل منه ﷻ له الحكمة البالغة، وله العدل المطلق، والدليل على أن الله تعالى هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء قوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام: ٣٩].

والحاصل أن الله سبحانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهذا بقضاء الله وقدره، ولكنه يهدي من يعلم أنه يصلح للهداية، ويهدي من يحرص على طلب الهداية، ويقبل عليها، فإن الله ييسره لليسرى، ويضل من يشاء بسبب إعراضه عن طلب الهداية والخير، فيضله الله عقوبة له على إعراضه وعدم رغبته في الخير.

س٥: ما معنى قول الطحاوي: «وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله»؟

ج٥: إن الناس كلهم لا يخرجون عن التقلب في مشيئة الله بين فضله على أهل الطاعة وأهل الخير، وعدله مع أهل الكفر والشرك، فإن الناس إما مؤمن مهتد راشد، وذلك لفضل الله تعالى وكرمه ونعمته، وعلمه وحكمته، وإما ضال زائغ بالكفر، أو الفسق وذلك بعدل الله تعالى وعلمه وحكمته، فلا خروج لأحد عن مشيئة الله تعالى، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٤].

س٦: قال الطحاوي: «يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلا، ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي عدلا». وضِّح ما معنى الهدى والضلال عند المعتزلة؟ وعلى أي شيء بنوا تفسيرهم لهدى العبد وضلاله؟ ثم بين إلى كم قسم تنقسم الهداية عند أهل السنة؟ وما المقصود بالهداية في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]؟ وضِّح معنى الضلال؟ وما هي الهداية التي يختص بها الرب؟ وما هي الهداية التي يقدر عليها الخلق؟

ج٦: الهداية عند المعتزلة بيان طريق الصواب، أي: هداية الإرشاد والدلالة فقط، والإضلال تسمية العبد ضالا.

وحكمه تعالى بالضلال عند خلق العبدِ الضلالَ في نفسه، وهذا مبني على أصلهم الفاسد أن أفعال العباد مخلوقة لهم، وأن العباد هم خالقو الشر، وزعموا أن مرادهم بذلك التنزيه لله عن أن يخلق الضلال والشر.

والهداية عند أهل السنة قسمان:

١- هداية البيان والإرشاد، وهي عامة يقدر عليها الخلق.

٢- وهداية التوفيق والإلهام وهي خاصة بالرب تعالى.

والهداية في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هي هداية التوفيق والإلهام؟ إذ لو كان الهدى بيان الطريق لما صح النبي عن النبي ﷺ؛ لأنه بين الطريق لما أحب الله، وأبغض.

ومعنى قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هداية بيان الطريق المستقيم، والدعوة والإرشاد إليه، وهي التي يقدر عليها الخلق.

وأما معنى الضلال: فهو الانحراف عن الطريق المستقيم.

والهداية التي يختص بها الرب هداية التوفيق والإلهام.

والهداية التي يقدر عليها المخلوق هداية البيان والإرشاد.

س٧: ما معنى قول الطحاوي: «وهو متعال عن الأضداد والأنداد»؟

ج٧: إن الله تعالى متعال ومتنزه عن أن يكون له ضدٌّ مخالفٌ في أمره وحكمه وخلقه وملكه، أو ندٌّ مماثل مكافئ في شيء من ذلك، والله تعالى متفرد بالأمر والنهي والخلق والملك والتدبير، والله تعالى ليس له نظير، وليس له مثيل، ولا شبيه له، بل هو ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

س٨: ما معنى قول الطحاوي: «لا رادَّ لقضائِه، ولا مُعقِّبَ لحُكْمِه، ولا غالبَ لأمرِه، آمنا بذلك كله وأيقنا أن كلًّا من عنده»؟

ج٨: هذا تقرير لمشيئة الله ﷻ، وهو تعالى إذا قضى أمراً أوجده وأنفذه، ولو اجتمع الخلق جميعا على جلب نفع هو ممسكه أو على منع ضر هو مريده ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وإذا حكم الله تعالى بأمر فإن حكمه نافذ ماض لا يؤخره شيء، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد: ٤١].

وإذا أراد أمراً فإن أمره نافذ لا يغلب، بل أمره تعالى ينفذ على جميع الخلق، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣١].

وكل ما سبق ذكره من أول العقيدة إلى آخرها آمنا به وصدقناه، وقر في نفوسنا يقينا، وليس مجرد كلام بألسنتنا، بل هو من قلوبنا يقينا جازماً، وذلك بفضل الله ورحمته.

إثبات نبوة محمد ﷺ

قال الطحاوي: «إنَّ محمداً عبدُه المصطفى، ونبيُه المُجتبى، ورسولُه المُرتَضى ﷺ، وإنه خاتمُ الأنبياء، وإمامُ الأتقياء، وسيد المرسلين، وحبيب ربِّ العالمين، وكلُّ دعوى النبوة بعده فغيٌّ وهوى، وهو ﷺ المبعوثُ إلى عامةِ الجنِّ، وكافَّة الورَى، بالحقِّ والهدى، وبالنور والضياء».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[مكانة النبي محمد ﷺ:]

الاصطفاء والاجتباء والارتضاء: متقارب المعنى.

واعلم أن كمال المخلوق في تحقيقِ عبوديتِه لله تعالى، وكلما ازداد العبدُ تحقيقاً للعبوديةِ ازدادَ كمالُه وعَلَتْ درجته.

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

وذكر الله نبيه ﷺ باسم العبد في أشرف المقامات[1] فقال في ذكر الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣].

وبذلك استحق التقديم على الناس في الدنيا والآخرة.

وقوله: «وإن محمدا» بكسر الهمزة عطفا على قوله: «إن الله واحد لا شريك له»، لأن الكل معمول القول، أعني قوله: «نقول في توحيد الله».

[إثبات النبوة عند المتكلمين:]

هذا، والطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات.

[دلائل إثبات النبوة:]

ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما وتعرف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة فكيف بدعوة النبوة؟ وما أحسن ما قال حسان رضي الله عنه:

لو لم يكن فيه آياتٌ مبينة ... كانت بديهته تأتيك بالخبر

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشيطان عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز، فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور، ولا بد أن يفعل أمورا يبين بها صدقه، والكاذب يظهر في نفس ما يأمر به ويخبر عنه، وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة، والصادق ضده، بل كل شخصين ادعيا أمرا أحدهما صادق والآخر كاذب لا بد أن يظهر صدق هذا وكذب هذا، ولو بعد مدة، إذ الصدق مستلزم للبر، والكذب مستلزم للفجور كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى

---

(١) انظر: العبودية لابن تيمية (ص٣١).

الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»[1].

ولهذا قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٦]، فالكهان ونحوهم وإن كانوا أحيانا يخبرون بشيء من المغيبات ويكون صدقاً فمعهم من الكذب والفجور ما يبين أن الذي يخبرون به ليس عن ملك، وليسوا بأنبياء.

[صدق الرسول ﷺ:]

فمن عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله علم علماً يقيناً أنه ليس بشاعر ولا كاهن.

[تمييز الصادق من الكاذب:]

والناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة حتى في المدعى للصناعات والمقالات، كمن يدعي الفلاحة والنساجة والكتابة وعلم النحو والطب والفقه وغير ذلك، والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها، وهي أشرف العلوم وأشرف الأعمال فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب؟!

[ثبوت صدق الرسل:]

ونحن اليوم إذا علمنا بالتواتر من أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم علمنا يقينا أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة منها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك، وبقاء العاقبة لهم.

ومنها: ما أحدثه الله لهم من نصرهم وإهلاك عدوهم إذا عرف الوجه الذي حصل عليه كغرق فرعون وغرق قوم نوح وبقية أحوالهم عرف صدق الرسل.

ومنها: أن من عرف ما جاءت به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها تبين له أنهم أعلم الخلق وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل، وأن فيما جاؤوا به من المصلحة

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الأدب، ب: قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، برقم: (٦٠٩٤)، ومسلم، ك: البر والصلة والآداب، ب: قبح الكذب، وحسن الصدق، برقم: (٢٦٠٧)، واللفظ له، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

والرحمة والهدى والخير ودلالة الخلق على ما ينفعهم ومنع ما يضرهم ما يبين أنه لا يصدر إلا عن راحم بر يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق.

[دلائل نبوة محمد ﷺ:]

ولذكر دلائل نبوة محمد ﷺ من المعجزات وبسطها موضع آخر، وقد أفردها الناس بمصنفات كالبيهقي وغيره.

[الفرق بين النبي والرسول:]

هذا، وقد ذكروا فروقا بين النبي والرسول، وأحسنها: أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول، فالرسول أخص من النبي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا.

وقوله: «**وإنه خاتمُ الأنبياء، وإمامُ الأتقياء، وسيد المرسلين، وحبيب ربِّ العالمين**».

[محمد ﷺ خاتم الرسل:]

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ولمسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرتُ بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون**»(١).

[محمد ﷺ إمام المتقين:]

وهو ﷺ الإمام الذي يُؤتمُّ به، أي: يقتدون به، والنبي ﷺ إنما بُعث للاقتداء به، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وكل من اتبعه واقتدى به فهو من الأتقياء.

[محمد ﷺ سيد المرسلين:]

وهو ﷺ سيِّدُ المرسلين، وفي حديث الشفاعة: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»(٢).

وإنما أخبر أنه سيد ولد آدم؛ لأنا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء، صلى الله عليهم أجمعين.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: المساجد، مواضع الصلاة، ب: ١، برقم: (٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري، ك: التفسير، ب: قوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣]، برقم: (٤٧١٢)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٤).

[محمد ﷺ حبيب الله وخليله:]

ثبت له ﷺ أعلى مراتب المحبة، وهي الخلَّة، كما صح عنه ﷺ أنه قال: «إن الله قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا»(١).

وقال ﷺ:«ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكنَّ صاحبَكم خليلُ الرحمن»(٢).

والحديثان في الصحيح، وهما: يبطلان قول من قال: الخلةُ لإبراهيم، والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليل الله، ومحمد حبيب الله، والمحبة قد ثبتت لغيره، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فبطل قول من خصَّ الخُلة بإبراهيم، والمحبة بمحمد عليهما الصلاة والسلام، بل الخلة خاصة بهما، والمحبة عامة، والخلة هي المحبة التي تخلَّلت روح المُحب وقلبَه.

[محبة الله كما يليق بعظمته:]

واعلم أن وصف الله بالمحبة والخلة هو كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته، كسائر صفاته تعالى.

وقوله: «وكلُّ دعوى النبوة بعده فغيٌّ وهوى».

[ادعاء النبوة بعد محمد ﷺ كفر وضلال:]

لما ثبت أنه ﷺ خاتمُ النبيين؛ فعُلِمَ أنَّ من ادعى بعده النبوةَ فهو كاذبٌ.

والغي: ضد الرشاد، والهوى: عبارة عن شهوة النفس، أي: أن تلك الدعوى بسبب هوى النفس، لا عن دليل، فتكون باطلة.

وقوله: «وهو ﷺ المبعوثُ إلى عامةِ الجنِّ، وكافَّة الورَى، بالحقِّ والهدى، وبالنور والضياء».

[عموم رسالة محمد ﷺ:]

أما كونه ﷺ مبعوثاً إلى عامة الجنِّ، فقال تعالى حكايةً عن قول الجن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟

---

(١) أخرجه مسلم، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: النهي عن بناء المساجد على القبور، برقم: (٥٣٢).

(٢) أخرجه مسلم - بنحوه -، ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم: (٢٣٨٣)، وهو بهذا اللفظ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١١/ ٤٧٣).

دَاعِىَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحقاف: ٣١] الآية، وكذا سورةُ الجنِّ تدلُّ على أنه ﷺ أُرسل إليهم أيضاً.

وظاهر قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠] يدل على أن موسى مرسلٌ إليهم أيضاً.

وأما كونه ﷺ مبعوثا إلى كافَّة الورى فقد قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال ﷺ: «**وكان النبيُّ يبعث إلى قومه خاصَّة، وبُعثتُ إلى الناس عامة**» متفق عليه[1].

وأما كونه ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة فمعلوم من دين الإسلام بالضرورة.

[دين الإسلام حق ونور:]

وقوله: «بالحقِّ والهدى، وبالنورِ والضياء»، هذه أوصافُ ما جاءَ به رسول الله ﷺ من الدين، والشرع المؤيَّد بالبراهين الباهرة من القرآن وسائر الأدلة.

والضياء: أكمل النور، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ [يونس: ٥].

الأسئلة والأجوبة على إثبات نبوة محمد ﷺ

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «وأن محمداً عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى... بالحق والهدى، وبالنور والضياء»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «وأن محمداً عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى... بالحق والهدى، وبالنور والضياء» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- مكانة محمد ﷺ.
٢- إثبات النبوة عند المتكلمين.
٣- دلائل إثبات النبوة.
٤- صدق الرسول ﷺ.
٥- تمييز الصادق من الكاذب.
٦- ثبوت صدق الرسل.

(١) أخرجه البخاري، ك: التيمم، ب: ١، برقم: (٣٣٥)، ومسلم، ك: المساجد، ومواضع الصلاة، ب:١، برقم: (٥٢١).

٧- دلائل نبوة محمد ﷺ.
٨- الفرق بين النبي والرسول.
٩- محمد ﷺ خاتم الرسل.
١٠- محمد ﷺ إمام المتقين.
١١- محمد ﷺ سيد المرسلين.
١٢- محمد ﷺ حبيب الله وخليله.
١٣- محبة الله كما يليق بعظمته.
١٤- عموم رسالة محمد ﷺ.
١٥ - دين الإسلام حق ونور.

س٢: ما معنى كلام الطحاوي: «وأن محمداً عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى»؟

ج٢: لما بين المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول كلامه ما يجب من معرفة الله واعتقاد أنه الربُّ المستحقُّ للعبادةِ دون ما سواه، وأنه متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال التي هو متصف بها أزلًا وأبداً، لما بين هذا ووضحه انتقل إلى ما يجب اعتقاده في الرسول عليه الصلاة والسلام، وقوله: «وأن محمداً عبده المصطفى...»، هذا عطف على أول الكلام: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له..».

وقول الطحاوي: «وأن محمداً عبده المصطفى...»، أي: لا بد من اعتقاد أن الله اصطفى محمداً نبياً رسولًا، فكما نشهد لله بالألوهية، كذلك نشهد للرسول ﷺ بالرسالة، ولذلك كانت الشهادتان دائماً متلازمتين[1].

والحاصل أن محمداً ﷺ هو من أشهر أسمائه الشريفة، وهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم من قريش، من أوسط العرب نسباً، ومن أنفسها حسباً.

والعبودية من أشرف المقامات للإنسان كما قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣]، وقد اصطفاه الله تعالى من خيرة خلقه، وفضَّله واختاره على جميع بريتِه، وهو النبي المجتبى المقرب المختار، وهو الرسول الذي ارتضاه الله لخاتمةِ الرسالات، وأنزل عليه أشرف الكتب، وأعظمها.

والمقصود أن مكانة النبي ﷺ عند الله تعالى عظيمة، وجاهه كبير، ولكن لا يخرجه ذلك عن عبوديته لله تعالى ﷻ.

(١) انظر: التعليقات المختصرة على العقيدة الطحاوية (ص٥٦).

س٣: قال الطحاوي: «وأن محمداً عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى»، بأي شيء يحصل كمال العبد؟ وما حكم من توهم أن أحدا قد يرتقي من العبودية إلى غيرها؟ وبيِّن بأي شيء استحق النبي ﷺ التقدم والرفع على الأنبياء مع التدليل لما تقول؟

ج٣: كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كمالا وعلت درجته، وأما من توهم أن مخلوقاً قد يرتقي ويخرج عن العبودية بوجه من الوجوه فهو من أجهل الخلق وأضلهم. قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

وذكر الله نبيه باسم العبد في أشرف المقامات قال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩].

وبذلك استحق التقدم على الناس في الدنيا والآخرة، ولذلك يقول المسيح عليه السلام يوم القيامة: «**اذهبوا إلى محمد، عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**»(١)، فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى.

فليس له من الألوهية شيء ولا من الربوبية شيء، وهذا فيه رد على الغالين فيه عليه الصلاة والسلام، لأن هناك من الناس من يغلو في النبي ﷺ، ويجعلون له شيئاً من الربوبية أو الألوهية، ويدعونه مع الله، وهذا غلو وانحراف، فقول المصنف: «عبده المصطفى» رد للغلو.

وكل من في السموات والأرض عبيد الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣]، ومقام العبودية هو أعلى المقامات، ولا شيء أشرف من العبودية لله ﷻ.

س٤: هل النبوة اكتساب أم اختيار واصطفاء؟ وضِّح ذلك مع بيان وسائل إثبات النبوة عند أهل السنة، وعند المعتزلة والمتكلمين؟

ج٤: النبوة عند أهل السنة والجماعة اصطفاء واختيار، وليست اكتساباً، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الأنبياء، ب: قول الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ [هود: ٢٥]، برقم: (٣٣٤٠)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٤).

عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١١]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٧].

فالنبوة اصطفاء وفضلٌ واجتباءٌ، يمنُّ الله تعالى بها على من يشاء من عباده، ولا يمكن أن تنال بالاكتساب ولا بالمران.

وعند الفلاسفة هي اكتساب، وليست اصطفاءً، وعندهم الفيلسوف خير من النبي، وعليه يجوز أن يكون هناك رسول بعد محمد ﷺ.

وهذا مناقض للنصوص الشرعية، ثم النبوة تثبت عند المتكلمين بالمعجزات، وقد روي ذلك بطرق مضطربة، والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر، ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن الأحوال تعرب عنهما.

أما عند أهل السنة فالنبوة تثبت بالمعجزة، وتثبت باستقراء حال المدعي للنبوة، وما هو عليه من الاستقامة ونحوها، وكذلك يخبر رسول سابق عمن بعده، وغير ذلك.

س٥: ما المراد بالرسول مع بيان موضوع رسالة الرسل؟

ج٥: الرسول: هو إنسان ذكر اصطفاه الله، وأوحي إليه بشرع، وأمر بتبليغه، وجهاد من خالفه.

أما موضوع رسالة الرسل، فهو:

١- الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك.

٢- تبشير المطيعين وإنذار العاصين.

٣- تفصيل الشرائع.

س٦: ما معنى الإيمان بالرسل وما الواجب علينا نحوهم؟

ج٦: معنى الإيمان بالرسل: هو التصديق الجازم بأن الله تعالى يبعث في كل أمة رسولًا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون أتقياء أمناء، وأنهم بلغوا البلاغ المبين، وأقاموا حجة الله على العالمين.

أما الواجب علينا نحو الرسل عليهم الصلاة والسلام فهو على النحو التالي:

١- التصديق بهم.

٢- الاعتقاد الجازم بأنهم أدوا الأمانة وبلغوا الرسالة على الوجه الأكمل.

٣- أنهم رجال من البشر ليس لهم شيء من خصائص الربوبية والألوهية.

٤- أن الله تعالى أيدهم بالمعجزات والآيات الدالة على صدقهم.

س٧: ما طريقة إثبات نبوة الأنبياء عند أهل الكلام وعند أهل السنة؟

ج٧: ١- مذهب الفلاسفة: أن الرسل والأنبياء لديهم استعدادات نفسية راجعة إلى القوى الثلاثة، وهي: السمع والبصر والقلب، فإنه يكون عند الرسول قوة في سمعه فيسمع كلام الملأ الأعلى، وعنده قوة في قلبه فيكون عنده تخيلات، وعنده بصر يبصر به ما لا يبصره غيره.

٢- مذهب أهل الكلام: طريق إثبات النبوة عندهم هو بالمعجزات فقط.

٣- مذهب أهل السنة والجماعة: إن إثبات النبوة والرسالة له طرق متنوعة، فمن الأدلة والبراهين لإثبات النبوة:

أ - الآيات والبراهين.

ب - ما يجري من أحوال النبي في خبره وأمره ونهيه وقوله وفعله مما يكون دالًّا على صدقه.

ج - أن الله تعالى ينصر أنبياءه ورسله ويمكن لهم، ويخذل مدعي النبوة الكاذبين ويهلكهم[(١)].

س٨: هل تكفي المعجزات في تقرير النبوة؟ علِّل لما تقول؟

ج٨: لا شك أن المعجزات دليل صحيح على النبوة، لكن الدليل غير محصور فيها، إذ قد تثبت النبوة بإخبار رسول سابق، أو بقرائن حالية في مدعي النبوة تؤيد صدقة للنبوة التي يدعيها الصادق أو الكاذب، ولا يلتبس هذا إلا على أجهل الجاهلين بالقرائن، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة فكيف بدعوى النبوة؟

س٩: ما الأدلة النقلية والعقلية على صدق الأنبياء؟ وضِّح ذلك؟ وما حكم من أنكر رسالة الرسول ﷺ؟

ج٩: من الأدلة النقلية:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣]،

---

(١) انظر: المسار (ص٣٣).

فالشاهد من الآية قوله: ﴿جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾، فأكد صدق الرسل في دعواهم وشهد لهم بالصدق، وقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]، الآية.

ومن الأدلة العقلية:

١- أنهم أخبروا الأممَ بما سيكون من انتصارهم وخذلان أعدائهم.

٢- ما أحدثه الله من نصرهم وخذلان عدوهم.

٣- إن من عرف ما جاءت به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالهم يتبين له صدقهم، وأن ما جاءوا به هو من عند الله قطعياً.

٤- ما أيدهم الله به من المعجزات الدالة على صدقهم.

٥- أنه يستحيل أن يكذبوا على الله، ثم يسكت عليهم وينصرهم على أعدائهم ويؤيدهم بالمعجزات وغيرها.

ومن أنكر رسالة الرسول محمد ﷺ فقد طعن في الله ونسب إليه السفه والظلم، بل ذلك جحد للرب بالكلية، وإنكار له تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً؛ وذلك لأنه كيف يكذب الرسول عليه - وحاشاه من ذلك - ثم يؤيده وينصره على أعدائه!!

س١٠: اذكر معنى النبي والرسول لغة؟

ج١٠: النبي:مشتق من النبأ، فهو منبئ عن الله أي مخبر.

وقيل: مشتق من النبوة، وهو ما ارتفع من الأرض(١).

والرسول لغة: مشتق من رَسَلَ.

وأصلُ الرسل الانبعاث على التؤدة، يقال: ناقة رَسْلة سهلة السير، وإبل مراسيل منبعثة انبعاثاً سهلًا، ومنه الرسول المنبعث(٢).

س١١: اذكر معنى النبي والرسول في الاصطلاح؟

ج١١: اختلف أهل العلم في بيان معنى النبي والرسول:

١- فقيل: إن النبي والرسول مترادفان، فكل نبي رسول وكل رسول نبي. وهذا

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٣٨٥)، الصحاح (١/ ٧٤)، لسان العرب (١/ ١٦٢).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٣٩٢)، المفردات (١٩٥)، الصحاح (٤/ ١٢٠٨).

ظاهر كلام الإمام أبي حنيفة كما قاله القاري[١]، واختاره من الحنفية ابن الهمام[٢]، والأوشي[٣].

وهذا أيضاً ظاهر كلام الجويني[٤]، والآمدي[٥]، والإيجي[٦] من الأشاعرة، والقاضي عبد الجبار[٧] من المعتزلة، والطبرسي[٨] من الشيعة.

فالرسول والنبي واحد فلا فرق بينهما، وإنما جمع بينهما؛ لأن الأنبياء تخص البشر والرسل تعم الملائكة والبشر[٩].

٢- وقيل: الرسول صاحب الوحي بواسطة الملك، والنبي هو الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً.

قاله الفراء[١٠] والحسن النيسابوري الأعرج[١١].

٣- وقيل: النبي إنسان حر ذكر من بني آدم أوحي إليه بشرع، وإن لم يؤمر بتبليغه، والرسول إنسان حر ذكر من بني آدم أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، فالنبي أعم من الرسول.

وهذا ما عليه ابن حجر[١٢]، وابن أبي العز[١٣]، واللقاني[١٤]، والسفاريني[١٥]، والقاري[١٦].

وقد ذكر القاري أن هذا هو ما عليه جمهور العلماء[١٧].

٤- وقيل: النبي من أتاه الوحي من الله ﷻ، ونزل عليه الملك بالوحي، والرسول من يأتي بشرع على الابتداء أو ينسخ بعض أحكام شريعة قبله. فالنبي أعم من الرسول.

---

(١) شرح الفقه الأكبر (ص٢٠).
(٢) انظر: شرح الفقه الأكبر (ص٢٠).
(٣) انظر: شرح الأمالي (ص ٥٠).
(٤) انظر: الإرشاد (ص٣٥٥).
(٥) انظر: غاية المرام (ص٣١٧).
(٦) انظر: المواقف (ص٣٣٧).
(٧) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص٥٦٧).
(٨) انظر: مجمع البيان (٤/ ١١٩-١٢٠).
(٩) انظر: تفسير الماوردي (٢/ ٨٦)، مجمع البيان (٤/ ١١٩-١٢٠).
(١٠) انظر: جامع لأحكام القرآن (١٢/ ٨٠).
(١١) انظر: غرائب القرآن (١٧/ ١٠٩).
(١٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية للغنيمي (ص٦٥).
(١٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص١٢١).
(١٤) انظر:شرح الجوهرة (١٢٧).
(١٥) انظر: لوامع الأنوار (١/ ٤٩).
(١٦) انظر: شرح الأمالي (ص ٥٠).
(١٧) انظر: شرح الأمالي (ص٥٠).

وهذا ما عليه البغدادي(١) والسمرقندي(٢)، وابن عاشور(٣)، والجاحظ(٤).

٥- وقيل: الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة كتاباً منزلًا عليه، والنبي من لا كتاب له، كيوشع عليه السلام، قاله الزمخشري الحنفي المعتزلي(٥).

٦- وقيل: الرسول هو المبعوث إلى أمة، والنبي هو المحدث الذي لا يبعث إلى أمة. قاله قطرب(٦).

٧- وقيل: الرسول أعم، فهو من البشر أو من الملائكة، والنبي من البشر خاصة. ذكره صاحب كتاب مرام الكلام، ولم ينسبه إلى أحد(٧).

٨- وقيل: إن الرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بالتبليغ، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بالتبليغ ذكره الألوسي، ولم ينسبه إلى أحد(٨).

س١٢: ما الفرق بين النبي والرسول؟ وكيف توفق بين قوله ﷺ: «**لا تفضلوني على موسى**»(٩)، وبين قوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر...**»(١٠)؟

ج١٢: الفرق بين النبي والرسول:

أن الرسول: هو من أرسل بشيء وأمر بتبليغه، وجهاد من خالفه.

والنبي: هو من أوحي إليه بشرع، ولم يؤمر بجهاد من خالفه، وإن كان مأموراً بالبلاغ والدعوة.

---

(١) انظر: أصول الدين (ص١٥٤).
(٢) انظر: الصحائف الإلهية (ص٤١٧).
(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٩٧).
(٤) انظر: تفسير الماوردي (٢/ ٨٧)، مجمع البيان (٤/ ١١٩).
(٥) انظر: الكشاف (٣/ ١٨ - ١٩).
(٦) انظر: تفسير الماوردي (٣/ ٨٧)، ومجمع البيان (٤/ ١١٩).
(٧) انظر: مرام الكلام (ص٣١).
(٨) انظر: روح المعاني (١٧/ ١٧٣).
(٩) أخرجه البخاري، ك: الخصومات، ب: ما يذكر من الأشخاص، برقم: (٢٤١١)، ومسلم، ك: الفضائل، ب: من فضائل موسى عليه السلام، برقم: (٢٣٧٣).
(١٠) أخرجه الترمذي، في أبواب التفسير، ب: ومن سورة بني إسرائيل، برقم: (٣١٤٨)، وحسنه، وابن ماجه، ك: الزهد، ب: ذكر الشفاعة، برقم: (٤٣٠٨)، وغيرهما، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: (٣٥٤٣).
وأصل الحديث بدون ذكر لفظ: «ولا فخر»، في صحيح البخاري برقم: (٣٣٤٠)، وفي صحيح مسلم برقم: (٢٢٧٨).

وأما التوفيق بين الحديثين:

فحديث: «**لا تفضلوني على موسى**»، قيل في وقت له سبب، فإن يهودياً قال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فلطمه مسلم، وقال: أتقول هذا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، فنهى النبي ﷺ عن هذا التفضيل إذ كان على وجه المفاخرة؛ لأن الإسلام نهى عن المفاخرة في الأحساب، وقد يكون على سبيل النهي عن الحمية، وإلا فإن الرسول في مقام يقتضي ذلك.

وأما الحديث الثاني، فليس على إطلاقه، بل هو من الإعلام لا الفخر، بدليل قوله: «**أنا ابن امرأة تأكل...**» الحديث.

وقيل: المراد النهي عن التفضيل الخاص، أي: لا يفضل بعض الرسل على بعض بعينه بينما قوله: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»، تفضيل عام فلا يمنع منه.

س١٣: قال ﷺ: «**لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس**» اشرح الحديث؟ وما يفهم من رواية: «**من قال إني خير من يونس**»؟

ج١٣: معنى الحديث أن هذا نهي عام لكل أحد أن يفضل نفسه ويفتخر على يونس عليه السلام، وليس فيه نهي للمسلمين أن يفضلوا محمداً ﷺ على يونس، لأن الله قد أخبر عن يونس بأنه التقمه الحوت، وهو مليم، أي: فاعل ما يلام عليه، مع كون النبي ﷺ أُسْري به وارتقى حتى جاوز السبع الطباق، وناجى ربه.

وأما الرواية الثانية فمعناها أن فيها تقديراً مطلقاً أي من قال هذا فهو كاذب، وإن كان لا يقوله نبي، لأنه لو قدر أنه كان أفضل يصير ناقصاً بهذا الكلام فيصبح كاذباً، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وذلك لأن فيه نوعاً من التفاخر بالنفس والمباهاة.

س١٤: ما الحكمة من إرسال الرسل مع بيان حاجة الناس إليهم؟

ج١٤: الحكمة من إرسال الرسل أن يدعوا الناس إلى عبادة الله كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فيبشرون من عبد الله ووحّده، وينذرون من عصى الله وأشرك به.

وحاجة العباد إلى إرسال الرسل أشد من حاجتهم إلى الغذاء والهواء، وأمس من حاجة المريض إلى الطبيب، فإن آخر ما يحصل بعدم الطبيب، أو بعدم الأكل والشرب، والهواء، موت الأبدان.

وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتاً لا ترجى الحياة معه،

وشقي شقاء لا سعادة معها، فلا فلاح إلا باتباع الرسول، فإن الله خص بالفلاح أتباعه المؤمنين به وأنصاره، كما قال الله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

س١٥: هل النبوة اكتساب أم اختيار واصطفاء، وضِّح ذلك؟

ج١٥: اعلم أن النبوة لا تنال بمباشرة الأسباب المخصوصة كملازمة الخلوة والعبادة، وتناول الحلال وتنقية البدن، وتصفية الأخلاق من الرذائل والاتصاف بالأوصاف الجميلة، والنعوت الجليلة، كما زعمت الفلاسفة بل هي من فضل الله، يخص بها من يشاء، قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقد زعمت الفلاسفة أن النبوة تنال بالاكتساب، وصفاء النفس، وزعموا أن من شرط الرسول اطلاعه على المغيبات بالأزمنة الثلاثة لصفاء جوهر نفسه، وشدة اتصاله بالروحانيات العالية من غير سابقة كسب ولا تعلم ولا تعليم.

وهذا مناقض للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة، ومخالف لما جاءت به الشرائع الإسلامية.

س١٦: بين طريقة إثبات النبوة ووسائلها عند أهل السنة وأهل الكلام؟

ج١٦: طريقة إثبات النبوة عند المتكلمين أنهم يثبتون النبوات عن طريق المعجزات، وهذا هو الطريق الوحيد لإثبات النبوة عندهم، لذا التزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء.

حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر، ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة يدعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا إلا على أجهل الجاهلين، وقرائن الأحوال تعرب عنهما.

أما عند أهل السنة فالنبوة تثبت بالمعجزة، وتثبت بالاستقراء حال المدعى للنبوة، وما هو عليه من الاستقامة ونحوها، وكذلك يخبر به رسول سابق عما بعده، وغير ذلك.

س١٧: ما معنى الإيمان بالأنبياء والرسل؟ وما حكم من أنكر واحداً منهم؟

ج١٧: الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله وأنبيائه، والإيمان بأن الله ﷻ أرسل رسلًا سواهم، وأنبياء لا يعلم عددهم وأسماؤهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، والدليل على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال أيضاً: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ [يونس: ٤٧].

أما حكم الإيمان به فهو واجب، فمن أنكر نبوة واحد منهم فقد كفر.

س١٨: ما معنى الإيمان بنبوة محمد ﷺ ورسالته؟

ج١٨: أن نعتقد اعتقاداً جازماً بأنه نبي الله ورسوله وعبده وصفيه ولم يشرك بالله طرفة عين قط، ونؤمن أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ونعتقد اعتقاداً جازماً أنه لا نبوة بعده، وأنه من ادعاها بعده فهو كذاب.

وكذلك يجب أن نؤمن بأنه إمام المتقين الذي يقتدى ويتأسى به في الخير كله دون غيره، وكما نؤمن أنه خليل الرحمن، وأن له أعلى مراتب المحبة، وكما يجب أن نعتقد أنه مبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى، وأنه صلوات الله وسلامه عليه مبعوث للناس جميعاً، ويجب علينا أن نقدم محبته على الوالد والولد والنفس لقول النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»(١).

وكذلك يجب علينا أن نؤمن بأن الله جل وعلا قد أيده بالمعجزات الدالة يقيناً على صدقه في كل ما جاء به، وأن القرآن الكريم معجزته الباهرة، تحدى به العالمين فعجزوا عن الإتيان بمثله، أو بمثل بعض منه، ونؤمن أن الله ﷻ أيده بالمعجزات الحسية كانشقاق القمر، وغير ذلك.

س١٩: عرف الرسول؟ وما حكم الإيمان به؟

ج١٩: الرسول: هو إنسان ذكر اصطفاه الله، وأوحى إليه بشرع، وأرسله إلى قوم كفار ليبلغهم رسالة الله.

ويجب الإيمان بالرسل جملة وتفصيلًا، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

س٢٠: كم عدد الرسل؟ ومن أولو العزم منهم؟

ج٢٠: الرسل والأنبياء عددهم كثير، وقد قص الله علينا قصص بعضهم دون بعض، فيجب الإيمان بهم إجمالًا لمن لم نعرف اسمه وقصته، وتفصيلًا لمن عرفنا اسمه وقصته.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: حب الرسول ﷺ من الإيمان، برقم: (١٥)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: وجوب محمد رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والناس أجمعين، برقم: (٤٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأولو العزم من الرسل هم: محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام.

س٢١: ما موضوع رسالة الرسل عليهم السلام؟

ج٢١: يمكن تلخيص موضوع رسالتهم في ثلاثة أمور:

١- الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك.

٢- تبشير المطيعين وإنذار العاصين.

٣- تفصيل الشرائع.

س٢٢: ما الواجب علينا نحو الرسل عليهم الصلاة والسلام؟

ج٢٢: ١- التصديق بهم، والإيمان بأن رسالتهم حق من الله، فمن كفر برسالة واحد منهم أو كذبه أو انتقصه فقد كفر.

٢- أنهم أدوا الأمانة وبلغوا الرسالة على الوجه الأكمل الذي تقوم به الحجة.

٣- أنهم أكمل الخلق علماً وعملًا منزَّهون عن الكذب والخيانة والكتمان والتقصير في البلاغ.

٤- أنهم كانوا رجالًا، وكانوا من البشر لا يملكون شيئاً من خصائص الإلهية.

٥- أن الله تعالى أيدهم بالمعجزات الباهرات، والآيات الظاهرات الدالة على صدقهم فيما جاءوا به.

٦- أنهم دعوا إلى التوحيد الخالص، وبينوا للناس الشرائع وأن على كل أمة أن تعمل بشريعة رسولها.

س٢٣: ما معنى قول الطحاوي: «وأنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين»؟

ج٢٣: يقرر المصنف ثلاث مسائل:

١- **المسألة الأولى**: ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ: وهذا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وكذا الإجماع، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

كما أن الأحاديث الدالة على انقطاع النبوة بعد النبي عليه الصلاة والسلام كثيرة، منها

قوله ﷺ: «**أوتيتُ خمساً لم يؤتهن أحد قبلي..**»، وفيه: «**وختم بي النبيون**»(١).

وكل من ادعى النبوة بعد النبي ﷺ فهو كاذب، وقد أخبر النبي ﷺ عن قوم يدعون النبوة من بعده حيث قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله**»(٢).

٢- المسألة الثانية: قوله: «وسيد المرسلين».

فهو عليه الصلاة والسلام سيد ولد آدم كما قال عليه الصلاة والسلام: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»(٣).

أخبر بذلك من باب الشكر لله ﷻ، ولتشكر الأمة ربها ﷻ على هذه النعمة أن جعل رسولها لها سيد الرسل.

والسيّد معناه: المقدم والإمام، فهو أفضل الرسل عليه الصلاة والسلام وإمامهم ومقدمهم(٤).

٣- المسألة الثالثة: قوله: «وحبيب رب العالمين».

هذه العبارة فيها قصور، وكان الأولى أن يقول: وخليل رب العالمين.

والخلة أفضل من مطلق المحبة، فالمحبة درجات: أعلاها الخلة، وهي خالص المحبة، ولم تحصل هذه المرتبة إلا لاثنين من الخلق، فقد أخبر بذلك حيث قال: «**إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلا**»(٥).

س٢٤: قال ﷺ: «**إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا**»، اشرح هذا الحديث؟ وهل المحبة والخلة خاصتان بإبراهيم ومحمد عليهما السلام أم ماذا؟ مع ذكر الدليل؟

ج٢٤: يخبر النبي ﷺ بخصيصة اختصه الله بها مع إبراهيم عليه السلام، وهي

---

(١) أخرجه البخاري، ك: التيمم، ب: ١، برقم: (٣٣٥)، ومسلم، ك: المساجد، ومواضع الصلاة، ب:١، برقم: (٥٢٣).

(٢) أخرجه البخاري، ك: المناقب، ب: علامات النبوة في الإسلام، برقم: (٣٦٠٩)، ومسلم، ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل...، برقم: (١٥٧).

(٣) أخرجه البخاري، ك: التفسير، ب: قوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[الإسراء: ٣]، برقم: (٤٧١٢)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٤).

(٤) انظر: التعليقات المختصرة (ص٦٢).

(٥) أخرجه مسلم، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: النهي عن بناء المساجد على القبور، برقم: (٥٣٢).

اتخاذ الله ﷺ خليلًا كما فعل بإبراهيم، والخلة هي أعلى درجات المحبة على الإطلاق.

وفي الحديث إثبات لصفة المحبة التي دلت عليها نصوص كثيرة، وإثبات أن الله تعالى اتخذ هذين الرسولين الكريمين خليلين.

ويرد بهذا الحديث على من زعم أن الخلة لإبراهيم، والمحبة لمحمد ﷺ، والخلة خاصة بالخليلين محمد وإبراهيم عليهما السلام، وأما المحبة فهي عامة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، والنصوص في هذا الباب كثيرة.

س٢٥: قال الطحاوي: «وحبيب رب العالمين»، قسم ابن القيم رحمه الله المحبة إلى درجات ومراتب نقلها شارح الطحاوية، اذكرها، ثم بيِّن ما يجوز منها في حق الله تعالى، كما نقلها شارح الطحاوية؟

ج٢٥: غلت طائفة فوصفت الله جل وعلا بكل مراتب المحبة، وقولهم هذا باطل.

وطائفة أخرى كالجمهية ومن نحا نحوهم نفوا المحبة وما يكون من مراتبها، فنفوا حقيقة محبة الله لعبده، وهذا جفاء.

وأهل السنة والجماعة وسط بين هاتين الطائفتين، فأثبتوا ما ورد في النص من المحبة، والمودة، والخلة.

والحاصل أن مراتب المحبة عشر مراتب، وهي:

١- العلاقة: وهي تعليق القلب بالمحبوب.

٢- الإرادة: وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له.

٣- الصبابة: وهي انصباب القلب إليه بحيث لا يملكه صاحبه.

٤- الغرام: وهي الحب الملازم للقلب ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

٥- المودة: وهي صفو المحبة، وخالصها، ولبها، قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

٦- الشغف: وهو وصول المحبة إلى شغاف القلب.

٧- العشق: وقد استعمله طائفة من أرباب السلوك، وهذا اللفظ يمنع إطلاقه من العبد على ربه، ومن الرب على العبد لأمور:

أ - أنه لم يرد في النصوص الشرعية.

ب - أن لفظ العشق تستعمله العرب فيمن لصاحبه شهوة في المعشوق، وهذا ممتنع في حق الله تعالى.

٨- التيم: وهو بمعنى التعبد.

٩- التعبد.

١٠- الخلة: وهي المحبة التي تخللت روحَ المحب وقلبَه، وهي أعلى درجاتها، وهي التي ورد فيه حديث: «**إن الله اتخذني خليلًا...**»[(١)].

ولا يصح إطلاق أي من هذه المراتب في حق الله تعالى إلا ثلاث مراتب هي: الإرادة، والمودة، والخلة لثبوت النص بها، وكذلك إطلاق صفة المحبة عموماً لورود النصوص المتكاثرة بوصف الله تعالى بها.

س٢٦: قال الطحاوي: «وخاتم النبيين». ما الذي يؤخذ من كون الرسول خاتم الأنبياء؟ وإذا جاء المدعي للنبوة بالعادات الخارقة فكيف يقال بتكذيبه؟

ج٢٦: يؤخذ من كون الرسول خاتم الأنبياء أنه من ادعى النبوة بعده فهو كاذب.

وإذا ادعى إنسان النبوة وجاء بالبراهين، فيقال بتكذيبه، لأنه لا يتصور أن يوجد. وهو من باب فرض المحال؛ لأن الله أخبرنا بأن محمداً آخر الأنبياء، حيث قال تعالى في حقه: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

س٢٧: ما معنى الغي والهوى في كلام الشيخ حيث قال: «وكل دعوى النبوة بعده فغيٌّ وهوى»؟

ج٢٧: أما الغي: فهو ضد الرشاد، وهو بمعنى الزيغ والانحراف، والهوى عبارة عن شهوة النفس، أي: تلك الدعوى بالنبوة بعده ﷺ، فإنما تكون بسبب هوى النفس لا عن دليل فتكون باطلة.

س٢٨: ما معنى قول الطحاوي: «وهو المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الورى، بالحق والهدى، وبالنور والضياء»؟

ج٢٨: يقرر المصنف أن النبي ﷺ أرسل إلى الناس كافة، قال تعالى: ﴿وَمَآ

(١) تقدم تخريجه.

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، فرسالته عامة للخلق كافة من الجن والإنس إلى قيام الساعة، وقد كان الأنبياء يبعثون إلى أقوامهم خاصة، وأما نبينا ﷺ فإنه أرسل إلى جميع الثقلين، كما في الحديث: «**وأعطيت خمساً**»، وذكر منها: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**»(١).

س٢٩: قال الطحاوي: «وهو المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الورى، بالحق والهدى وبالنور والضياء». ما الدليل على إرسال الرسول ﷺ للإنس والجن؟ وهل بعث الله غيره للجن؟

ج٢٩: الدليل على رسالته للجن قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقد بعث الله قبله رسلًا إلى الجن، قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

س٣٠: هل يكون الرسل من الإنس فقط أم من الإنس والجن؟ وضِّح آراء العلماء في ذلك ثم رجِّح ما تختاره وأيده بالدليل؟

ج٣٠: اختلف العلماء في الرسل، هل يجوز أن يكونوا من الجن أم هم من الإنس فقط على قولين:

الأول: أن الرسل من الإنس فقط.

وبه قال جماعة من السلف.

قال ابن عباس: «الرسل من بني آدم، ومن الجن نذر»، وهو الذي ذهب إليه ابن جرير، والقرطبي، وابن كثير، وغيرهم.

ومن الأدلة عليه قوله في حق الجن: ﴿وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، وقوله تعالى عن إبراهيم: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

الثاني: أن في الجن رسلًا.

حكاه ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم مستدلًا بقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، الآية.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: التيمم، ب: ١، برقم: (٣٣٥)، ومسلم، ك: المساجد، ومواضع الصلاة، ب:١، برقم: (٥٢١).

والراجح القول الأول، وأما الآية التي استدل بها أهل القول الثاني، ففيها احتمال، وليست صريحة، وهي مثل قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما يخرجان من أحدهما وهو المالح.

س٣١: هل يؤمن النصارى ببعثة محمد ﷺ أم لا؟ وكيف ترد عليهم؟

ج٣١: بعضهم يقولون: إنه رسول العرب خاصة، وهذا باطلٌ؛ فإنهم إن صدقوه في الرسالة لزمهم تصديقه فيما أخبر حيث قال ﷺ: «**وكان كل رسول يرسل إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**».

والرسول لا يكذب فلزم تصديقه، فقد بعث كتبا إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي يدعوهم إلى الإسلام، والكثير منهم لا يصدقون بنبوته أصلًا بل ينكرونها.

س٣٢: قال الطحاوي: «وكافة الورى» اذكر استعمال: «كافة» في كلام العرب؟ وما إعرابها في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]؟

ج٣٢: تستعمل كافة في كلام العرب حالًا فقط، واختلفوا في إعرابها في الآية المذكورة على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها حالٌ من الكاف في: ﴿ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾، وهي اسم فاعل. والتاء للمبالغة، أي: إلا كافاً للناس عن الباطل، وقيل: هي مصدر كف.

الثاني: قيل: هي حال من الناس.

الثالث: قيل: هي صفة لمصدر محذوف. أي: رسالة كافة، واعترض عليه بأنها لم تأت إلا حالا.

س٣٣: تحدث عن وجوب محبة الرسول ﷺ مدعماً إجابتك بالدليل؟

ج٣٣: يجب على العبد محبة الرسول ﷺ إذ هو الرحمة المهداة والنعمة المسداة الذي تفضل الله تبارك وتعالى بإرساله للناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور، فإنه لا يدخل أحد الجنة إلا بطاعته واتباع هديه، والسير على نهجه، وتقديم محبته على من سواه من الخلق.

وفي الحديث الصحيح، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره**

أن يقذف في النار»[١].

وقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[٢].

س٣٤: ما معنى محبة الرسول ﷺ؟ وكيف تكون مع ذكر الدليل؟

ج٣٤: معنى محبة الرسول ﷺ: اتباعه والاهتداء بهديه، والاستنان بسنته، وتقديم أمره على من سواه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

س٣٥: هل الإطراء والغلو موافق لمحبته ﷺ؟

ج٣٥: يجب أن تكون محبة الرسول ﷺ على المنهج الصحيح الذي حدده رسول الله ﷺ بتجنب الإفراط والتفريط، فقد ثبت في الحديث الصحيح عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[٣].

س٣٦: الرسول ﷺ بشر اختاره الله لرسالته، وضِّح ذلك بالدليل؟

ج٣٦: الرسول ﷺ غني عن الإطراء، وحسبه فخراً أن الله اختاره ليكون رحمة للعالمين، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وهذه المنزلة وإن كانت أشرف منزلة ينالها مخلوق إلا أن ذلك لا يخرجه عن كونه بشراً، تجري عليه السنن الكونية التي تجري على البشر من الولادة والحياة، والموت وغير ذلك من سنن الله تعالى في البشر، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠].

س٣٧: لقد أثنى الله على نبيه بما هو له أهل، تحدث عن مكانته والثناء عليه في الكتاب والسنة؟

ج٣٧: قال تعالى مثنيا على نبيه ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، وقال

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: حلاوة الإيمان، برقم: (١٦)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم: (٤٣).

(٢) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: حب الرسول ﷺ من الإيمان، برقم: (١٥)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: وجوب محمد رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والناس أجمعين، برقم: (٤٤).

(٣) أخرجه البخاري، ك: أحاديث الأنبياء، ب: قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾[مريم: ١٦]، برقم: (٣٤٤٥).

تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقد نوه الله تعالى باسمه ورسالته خمس مرات كل يوم كلما رفع الأذان، وقال جل ذكره: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

القول في القرآن

قال الطحاوي: «وإنَّ القرآنَ كلامُ الله، منه بدا بلا كيفيةٍ قولًا، وأنزله على رسوله وحياً، وصدَّقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلامُ الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوقٍ ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلامُ البشر فقد كفر، وقد ذمه الله، وعابَه، وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦]، فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾، [المدثر: ٢٥] علمنا وأيقنا أنه قولُ خالق البشر، ولا يشبه قولَ البشر، ومن وصف اللهَ بمعنىً من معاني البشر فقد كفر. ومن أبصرَ هذا اعتبر، وعن مثلِ قولِ الكفارِ انزجر، وعلم أنَّ الله بصفاته ليس كالبشر».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[القرآن كلام الله:]

هذه قاعدة شريفة، وأصلٌ كبيرٌ من أصولِ الدِّين، ضلَّ فيه طوائفُ كثيرةٌ من الناس، وهذا الذي حكاه الطحاويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الحقُّ الذي دلَّت عليه الأدلة مِنَ الكتاب والسنَّة لمن تدبَّرهما، وشهدتْ به الفطرةُ السليمةُ التي لم تُغَيَّر بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة.

[افتراق الناس في شأن القرآن:]

وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال، منها:

- أنه مخلوق خلقه الله منفصلًا عنه، وهذا قول المعتزلة.

- أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عُبِّر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عُبِّر عنه بالعبرانية كان توراةً، وهذا قول ابن كلاب، ومن وافقه كالأشعري وغيره.

- أنه حروف وأصوات أزليةٌ مجتمعةٌ في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث.

- أن كلامه يتضمن معنىً قائماً بذاته هو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

- أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوعَ الكلام قديمٌ، وإن لم تكن أفراد الكلام قديمة، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

[القرآن من الله بدا:]

وقوله: «كلام الله منه بدا»، رد على المعتزلة وغيرهم، فإن المعتزلة تزعم أن القرآن لم يبدُ منه، كما تقدَّم حكاية قولهم.

[الرد على المعتزلة:]

قالوا: وإضافته إليه إضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله.

فيحرفون الكلام عن مواضعه. وقولهم باطل، فإن المضاف إلى الله تعالى معان وأعيان، فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف، وهي مخلوقة له، كبيت الله وناقة الله، بخلاف إضافة المعاني، كعلم الله، وقدرته، وعزته، وجلاله، وكبريائه، وكلامه، وحياته، وعلوه، وقهره، فإن هذا كله من صفات لا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقاً.

[الوصف بالكلام صفة كمال:]

والوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

[عباد العجل أعقل من المعتزلة:]

فكان عباد العجل مع كفرهم أعرف بالله من المعتزلة، فإنهم لم يقولوا لموسى: وربك لا يتكلم أيضا.

وقال تعالى عن العجل أيضا: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه: ٨٩]، فعلم أن نفي رجوع القول ونفي التكلم نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل.

[الأدلة على كلام الله تعالى:]

وكم في الكتاب والسنة من دليل على تكليم الله تعالى لأهل الجنة وغيرهم، قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ [آل عمران: ٧٧]، فأهانهم بترك تكليمهم والمراد أنه لا يكلمهم تكليم تكريم، وهو الصحيح؛ إذ قد أخبر في الآية الأخرى أنه يقول لهم في النار: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلا، وقال البخاري في صحيحه: باب كلام الرب ﷻ مع أهل الجنة، وساق فيه عدة أحاديث، فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه ﷻ، وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلا به.

[مذهب بعض متأخري الحنفية:]

هذا، وكثير من متأخري الحنفية على أنه معنى واحد، فإن عبر بالعربية فهو قرآن، وإن عبر بالعبرانية فهو توراة، فاختلفت العبارات لا الكلام، قالوا: وتسمى هذه العبارات كلام الله مجازا، وهذا الكلام فاسد.

[كتب الله من كلامه:]

والحق أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة، وكلام الله تعالى لا يتناهى، فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء ولا يزال كذلك، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧].

والطحاوي رَحِمَهُ اللهُ يقول: «كلام الله منه بدا»، وكذلك قال غيره من السلف[١]، ويقولون: منه بدا وإليه يعود.

فمنه بدا لا من بعض المخلوقات كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ

---

(١) جاء هذا عن جماعة من السلف، منهم: عمرو بن دينار، وسفيان، ووكيع بن الجراح، وأبو نعيم الفضل بن دكين، وعبد الله بن المبارك، وأحمد بن حنبل. انظر: اختصاص القرآن بعوده إلى الرحمن للضياء المقدسي (ص٢٠ - ٢١).

ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الزمر: ١]، و﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾ [السجدة: ١٣]، و﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢].

[لا نعرف كيفية تكلم الله بالقرآن:]

وقوله: «بلا كيفية»، أي: لا تعرف كيفية تكلمه به قولا ليس بالمجاز.

وقوله: «وأنزله على رسوله وحياً»، أي: أنزله إليه على لسان الملك فسمعه الملك جبرائيل من الله، وسمعه الرسول محمد ﷺ من الملك، وقرأ على الناس(١)، قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥].

[المؤمنون يصدقون أن القرآن كلام الله:]

وقوله: «وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً» إشارة إلى ما ذكره من التكلم على الوجه المذكور وإنزاله، أي: هذا قول الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهم السلف الصالح، وأن هذا حق وصدق.

[القرآن كلام الله تعالى حقيقة:]

وقوله: «وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية» رد على المعتزلة ظاهر.

وفي قوله: « بالحقيقة» رد على من قال: إنه معنى واحد قام بذات الله، لم يسمع منه وإنما هو الكلام النفساني؛ لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به: إن هذا كلام حقيقة، وإلا للزم أن يكون الأخرس متكلما، ولزم أن لا يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن، ولا كلام الله، ولكن عبارة عنه ليست هي كلامَ الله. كما لو أشار أخرس إلى شخص بإشارة فهم بها مقصوده، فكتب ذلك الشخص عبارته عن المعنى الذي

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن قال: إن جبريل أخذه - يعني القرآن - عن الكتاب لم يسمعه من الله فهو باطل من وجوه منها: أنه سبحانه كتب التوراة لموسى بيده، فبنو إسرائيل أخذوا كلامه من الكتاب الذي كتبه، ومحمد عن جبريل عن الكتاب، فهم أعلى بدرجة. ومن قال: إنه ألقى إلى جبريل معاني، وعبر بالعربي، فمعناه: أنه ألهمه إلهاماً، وهذا يكون لآحاد المؤمنين كقوله: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾ [المائدة: ١١١]، ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ [القصص: ٧]، فيكون هذا أعلى من أخذ محمد ﷺ». مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٢٤).

أوحاه إليه ذلك الأخرس، فالمكتوب هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى، وهذا المثل مطابق غاية المطابقة لما يقولونه، وإن كان الله تعالى لا يسميه أحد أخرس، لكن عندهم أن الملك فهم منه معنى قائماً بنفسه، لم يسمع منه حرفا ولا صوتا، بل فهم معنى مجردا، ثم عبر عنه، فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي!!

[كفر القائل: إن القرآن حكاية عن كلام الله:]

ولا شك أن من قال إن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى، وأن المتلو المحفوظ المكتوب المسموع من القارىء حكاية كلام الله، وهو مخلوق، فقد قال بخلق القرآن، وهو لا يشعر.

[كفر من أنكر أن القرآن كلام الله:]

وأما قوله: «ومن سمعه وقال: إنه كلام البشر فقد كفر» فلا شك في تكفير من أنكر أن القرآن كلام الله، بل قال إنه كلام محمد أو غيره من الخلق ملكاً كان أو بشراً.

[عجز البشر عن مقارعة القرآن:]

وقوله: «ولا يشبه قول البشر»، يعني: أنه أشرف وأفصح وأصدق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨] الآية، وقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨]، فلما عجزوا وهم فصحاء العرب مع شدة العداوة عن الإتيان بسورة مثله تبين صدق الرسول ﷺ أنه من عند الله، وإعجازه من جهة نظمه ومعناه لا من جهة أحدهما فقط.

وقوله: «**ومن وصف اللهَ بمعنىً من معاني البشر فقد كفر. ومن أبصرَ هذا اعتبر، وعن مثلِ قولِ الكفارِ انزجر، وعلم أنَّ الله بصفاته ليس كالبشر**».

[كفر من وصف الله بصفات البشر:]

لما ذكر فيما تقدم أن القرآن «كلام الله حقيقة ومنه بدأ» نبَّه بعد ذلك على أنه تعالى بصفاته ليس كالبشر، نفياً للتشبيه عَقِيبَ الإثبات، يعني أن الله تعالى وإنْ وُصِف بأنه متكلِّم، لكن لا يُوصف بمعنىً من معاني البشر التي يكون الإنسانُ بها مُتَكَلِّماً، فإن اللهَ ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

قوله: «فمن أبصر هذا اعتبر»، أي: من نظر بعين بصيرته فيما قاله من إثبات الوصف، ونفي التشبيه، ووعيدِ المشبِّه اعتبر وانزجرَ عن مثل قول الكفار.

توضيح كلام الطحاوي وابن أبي العز وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المسائل العقدية التي ذكرها ابن أبي العز في شرحه.

تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «وإن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولًا، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- القرآن كلام الله.
٢- افتراق الناس في شأن القرآن.
٣- القرآن من الله بدا.
٤- الرد على المعتزلة.
٥- الوصف بالكلام صفة كمال.
٦- عباد العجل أعقل من المعتزلة.
٧- الأدلة على كلام الله تعالى.
٨- مذهب بعض متأخري الحنفية.
٩- كتب الله من كلامه.
١٠- لا نعرف كيفية تكلم الله بالقرآن.
١١- المؤمنون يصدقون أن القرآن كلام الله.
١٢- القرآن كلام الله تعالى حقيقة.
١٣- كفر القائل: إن القرآن حكاية عن كلام الله.
١٤- كفر من أنكر أن القرآن كلام الله.
١٥- عجز البشر عن مقارعة القرآن.
١٦- كفر من وصف الله بصفات البشر.

المطلب الثاني: شرح كلام الطحاوي.

معنى قول الطحاوي: «وإن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولًا، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً»؟

بعد أن أنتهى المصنف من ذكر الإيمان بنبينا محمد ﷺ والإشارة إلى عموم رسالته عليه الصلاة والسلام، انتقل إلى الحديث عن دليل الرسالة، وكتابها، وهو القرآن العظيم الذي أنزله الله لبيان الدين، ودليلًا على صحته، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

والقرآن كلام الله ﷻ على الحقيقة منه بدأ فهو المتكلم به سبحانه، ولاندري كيف تكلم به ﷻ، لكنه كلامه حقاً، والكلام صفة كمال ثابتة لله تعالى وضدُّه صفة نقص تنزه الله عنها، وقد قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

فالكلام صفة ثابتة له ﷻ على الكيفية اللائقة بكماله،و جلاله، والقرآن كلامه كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦].

والمقصود به القرآن فهو كلام الله حقاً وأنزله على رسوله ﷺ وحياً، وصدقه المؤمنون في ذلك وعلموا وأيقنوا أنه كلام الله تعالى حقيقة، لبس بمخلوق ككلام البشر.

المطلب الثالث: مسألة خلق القرآن.

أما مسألة القول بخلق القرآن فإنها كانت من أعظم الفتن التي وقعت في هذه الأمة، وتسببت في تفرقها وتشتتها، وتعددت أقوال الناس فيها، وتضاربت، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، وأول من أظهر القول بخلق القرآن هو الجعد بن درهم، وذلك في أوائل المائة الثانية، وضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق بواسط يوم الأضحى، حيث خطب فقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيراً، ثم نزل فذبحه[1].

ثم حمل لواء هذه الفتنة بعد الجعد جهم بن صفوان الذي قتله سلمة بن أحوز بخراسان[2].

ثم تولى كبر هذه الدعوة الباطلة الآثمة بشر المريسي في أوائل المئة الثالثة، فبلغت ذورتها، وكانت المحنة المشهورة لأهل العلم، وعلى رأسهم أحمد بن حنبل فيما يخص مسألة كلام الله تعالى.

ثم إن اختلاف الناس في مسألة القرآن يرجع إلى اختلافهم في صفة الكلام، ويجدر بنا في هذا المقام أن نسود بعض هذه المقالات التي قيلت في هذه الصفة، ونشأت منها هذه الفتنة، أعني فتنة خلق القرآن.

١- مذهب السلف:

فأما مذهب السلف فإنهم ذهبوا إلى أن الكلام صفة ثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وكماله، فهي صفة أزلية لله تعالى، لم يزل متكلماً كما يشاء، بما يشاء، وقت ما يشاء، بصوت

---

(١) انظر: خلق أفعال العباد (ص ١١٨)، الرد على الجهمية للدارمي (ص ١١٣)، الرد على بشر المريسي (ص٤٧٦)، الإبانة لابن بطة (٢/ ١٢، برقم: ٤٥٦)، السنة للالكائي (١/ ٥٥، برقم: ٢)، الرد على من يقول القرآن مخلوق (ق٨٦)، الأسماء والصفات (ص ٢٥٤)، والسنة لابن أبي زمنين (ص٢٣٥) بتحقيق محمد هارون.

(٢) انظر: خلق أفعال العباد (ص ١٣١)، تاريخ ابن الأثير (٥/ ١٦٣)، الرسائل والمسائل لابن تيمية (٣/ ١٣٢).

وحرف، وبصوت مسموع، ليس كلاماً نفسانياً ولا معاني فاضت على نفس النبي ﷺ، وأن الذي كلم موسى عند الشجرة هو الله على الحقيقة، وكلامه صفة له غير مخلوقة[(١)].

فالقرآن عند السلف كلام الله تعالى، ووحيه وتنزيله فيها معاني توحيده ومعرفة آياته وأنه غير مخلوق بحروفه ومعانيه، فهو كلام الله تعالى حقيقة، ويضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلغاً ومؤدياً، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه، كما قالت الكلابية والأشاعرة.

وفي عهد المأمون قويت شوكة المعتزلة وأشباههم، فاستطالوا على أهل السنة وآذوهم، وأرادوا حملهم على القول بخلق القرآن، فثبت أهل العلم على القول الحق: إن القرآن كلام الله على الحقيقة غير مخلوق.

قال الإمام البخاري: «القرآن كلام الله غير مخلوق»، وذكر الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة، ثم ذكر قول يحيى بن سعيد أنه قال: «ما زلت أسمع من أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة».

قال البخاري: «حركاتهم وأصواتهم، واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة، وأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب فهو كلام الله ليس بمخلوق، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]»[(٢)].

ويقول ابن خزيمة: «باب من الأدلة التي تدل على أن القرآن كلام الله الخالق، وقوله غير مخلوق، لا كما زعمت الكفرة من الجهمية المعطلة». ثم ذكر الأدلة على ذلك[(٣)].

وذكر اللالكائي مذهب السلف في القرآن فقال: «ما دل من الآيات من كتاب الله تعالى، وما روي عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين على أن القرآن تكلم به على الحقيقة، وأنه أنزله على محمد ﷺ، وأمره بالتحدّي، وأنه يدعو الناس إليه، وأن القرآن على الحقيقة، متلو في المحاريب، مكتوب في المصاحف، محفوظ في صدور الرجال ليس بحكاية، ولا عبارة عن قرآن، وهو قرآن واحد غير مخلوق، وغير مجعول ومربوب، بل صفة من صفات ذاته لم يزل به متكلما، ومن قال غير هذا فهو كافر ضال مضل مبتدع

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٩- ٤٠)، مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٩٦ - ٢٩٨)، شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٨١)، لوامع الأنوار (١/ ٤٠).

(٢) خلق أفعال العباد (ص ١٣٨).

(٣) التوحيد (ص ١٦٦).

مخالف لمذاهب أهل السنة والجماعة». ثم أورد الأدلة على ذلك[(١)].

وقال ابن بطة في الإبانة بعد كلام سبق: «ثم من بعد ذلك يعلم بغير شك ولا مرية ولا وقوف أن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله، فيه معاني توحيده، ومعرفة آياته، وصفاته وأسمائه، وهو علم من علمه غير مخلوق، كيف قرئ، وكيف كتب، وحيث تلي، وفي أي موضع كان في السماء وجد أو في الأرض حفظ، في اللوح المحفوظ وفي المصاحف وفي ألواح الصبيان مرسوماً أو في حجر منقوشاً، وعلى كل الحالات وفي كل الجهات كلام الله غير مخلوق»[(٢)].

هذا مذهب السلف في صفة الكلام ومن جملة ذلك القرآن، فالقرآن عندهم كلام الله لفظه ومعانيه، فلا يقال اللفظ دون المعنى كما قالت الجهمية، والمعتزلة، ولا المعنى دون اللفظ كما قالت الكلابية، والأشاعرة، والماتريدية، وهو منزل غير مخلوق سمعه جبريل من الله، والنبي ﷺ سمعه من جبريل، فهو المكتوب بالمصاحف، المحفوظ بالصدور المتلو بالألسنة، فالسلف أثبتوا لله سبحانه صفة الكلام، منزهين الله تعالى عما لا يليق بجلاله من سمات النقص، كما أثبتوا له سائر الصفات إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، وأدلتهم على مذهبهم أكثر من أن تحصى، وهي موجودة في كتبهم[(٣)].

٢- مذهب الفلاسفة ومن تبعهم من المتكلمين:

وأما مذهب الفلاسفة ومن تبعهم من المتكلمين فإنهم قالوا: إن الكلام عبارة عما يفيض من العقل الفعال أو من غيره على النفوس الفاضلة الذكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه، ولهذه النفوس عندهم ثلاث قوى: قوة التصور، وقوة التخيل، وقوة التعبير، فتدرك بقوة تصورها من المعاني

---

(١) السنة للالكائي (١/ ٨٠/ ٢). (٢) الإبانة الصغرى (ص ٥٠).

(٣) الرد على الزنادقة للإمام أحمد (ص ٢٢)، الجامع الصحيح للبخاري (٩/ ١٧٣-١٩١)، خلق أفعال العباد (ص ١٥٧ - ٢١٨)، السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (ص ٩- ٣٧)، الرد على الجهمية للدارمي (ص ٩٨ - ٩٩)، الرد على بشر المريسي (ص٤٦٤ - ٤٨٤)، التوحيد لابن خزيمة (ص ١٣٦)، السنة للالكائي (١/ ٨٠/ ٢)، الإبانة لابن بطة (٢/ ١٢/ ٤٥٥ - ٥٨٩)، الشريعة للآجري (٧٦ - ٨٧) الرد على من يقول القرآن مخلوق (ق ٨٦)، مجموع الفتاوي لابن تيمية (١٢/ ١١٧ - ١١٨)، مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٩٣ - ٢٩٨)، شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٨٠- ٢٠٣)، لوامع الأنوار البهية (١/ ١٣٧- ١٤٣)، والسنة لابن أبي زمنين (ص٢٣٨) بتحقيق محمد هارون..

ما يعجز عنه غيرها، وتدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس، فتصور المعقول صوراً نورانية تخاطبها، وتكلمها بكلام تسمعه الآذان، وهو عندهم كلام الله، ولا حقيقة له في الخارج، وإنما ذلك كله من القوة الخيالية الوهمية(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فيقولون هذا القرآن كلام الله، وهذا الذي جاءت به الرسل كلام الله، ولكن المعنى أنه فاض على نفس النبي ﷺ من العقل الفعال، وربما قالوا: إن العقل هو جبريل الذي ليس على الغيب بضنين، أي: بخيل لأنه فياض، ويقولون: إن الله كلم موسى من سماء عقله، وأن أهل الرياضة والصفا يصلون إلى أن يسمعوا ما سمعه موسى كما سمعه موسى»(٢).

وهذا مذهب أكثر الفلاسفة والمتكلمين كابن سينا، والفارابي، والطوسي، وغيرهم(٣).

فأصل كلام الله عند الفلاسفة من الوهم والخيال، ليس له وجود في الخارج، ولذلك يقولون: إن موسى سمع كلام الله من سماء عقله، أي: بكلام لم يسمعه من خارج.

٣- مذهب الجهمية:

وأما مذهب الجهمية فإنهم قالوا: إن كلام الله من مخلوقاته، غير قائم بذات الله سبحانه، وإنه لا يقوم بذاته كلام ولا إرادة، وإن ما سمعه جبريل كلام الله مخلوق في الهواء، وما سمعه موسى كلام مخلوق في الشجرة(٤).

قال الأشعري: «وزعمت الجهمية كما زعمت النصارى؛ لأن النصارى زعمت أن كلمة الله حواها بطن مريم، وزادت الجهمية عليهم فزعمت أن كلام الله مخلوق حل في شجرة، وكانت الشجرة حاوية له، فلزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمة، ووجب عليهم أن مخلوقاً من المخلوقين كلم موسى، وأن الشجرة قالت: إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني»(٥).

---

(١) انظر: رسائل إخوان الصفا (٤/ ٢٠٩)، نقض المنطق (ص ٣٢)، الرسائل والمسائل لابن تيمية (٣/ ٣٩-٤٠)، منهاج السنة النبوية (١/ ٢٢١)، إغاثة اللهفان (٢/ ٢٦٢)، مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٨٨)، وأصول السنة لابن أبي زمنين (ص٢٣٩) بتحقيق محمد هارون.

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٣).

(٣) انظر: الملل والنحل (٢/ ٢٢١)، مجموع الفتاوى (١٢/ ١٦٣)، الرسائل والمسائل لابن تيمية (٣/ ٣٩-٤٠)، مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٨٨).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣١٢)، أصول الدين للبزدوي (ص ٥٣)، الملل والنحل (١/ ٨٩).

(٥) الإبانة للأشعري (ص ٥٥).

وذكر البغدادي بعض الأمور التي اتفقت عليها الجهمية فقال: وقال بحدوث كلام الله تعالى كما قالت القدرية، ولم يسم الله تعالى متكلماً به(١).

فالقرآن عندهم كلام الله تعالى مجازاً وهو مخلوق.

ونقل البخاري في خلق أفعال العباد عن بعض أهل العلم أنهم قالوا: إن الجهمية هم المشبهة، لأنهم شبهوا ربهم بالصنم، والأصم والأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر، ولا يتكلم، ولا يخلق.

وقالت الجهمية: وكذلك لا يتكلم ولا يبصر نفسه(٢).

وذكر ابن قتيبة مذهب الجهمية في الكلام فقال: «وقالوا: في كلام الله: إنه مخلوق»(٣).

وقال عثمان بن سعيد الدارمي: «باب الاحتجاج للقرآن أنه غير مخلوق...».

ثم سرد بعض الأدلة على عدم خلق القرآن، وقال: «ففي هذا بيان بين أن القرآن خرج من الخالق، لا من المخلوقين، وأنه كلام الخالق لا كلام المخلوقين»(٤).

فهذا هو مذهب الجهمية في صفة الكلام وأن القرآن عندهم كلام الله مجاز، وهو مخلوق(٥).

٤- مذهب المعتزلة:

وأما مذهب المعتزلة فإنهم قالوا: إن كلام الله تعالى مخلوق، خلقه الله منفصلًا عنه، وهو حرف وصوت، وأن موسى سمع كلاماً أحدثه الله في الشجرة، ولم يسمع كلام الله حقيقة(٦).

وذكر القاضي عبد الجبار مذهب المعتزلة في الكلام فقال: «وأما مذهبنا في ذلك فهو أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه، وهو مخلوق محدث، أنزله الله على نبيه؛ ليكون علماً ودالا على نبوته، وجعله دلالة لنا على الأحكام، لنرجع إليه في الحلال والحرام»(٧).

---

(١) الفرق (ص ١١٩).
(٢) انظر: خلق أفعال العباد (ص ١٣٤).
(٣) الاختلاف في اللفظ (ص ٢٣٣).
(٤) الرد على الجهمية (ص٩٨-٩٩).
(٥) انظر: الرسائل والمسائل لابن تيمية (٣/ ٤٣)، منهاج السنة النبوية (١/ ٢٢١)، مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٨٨)، شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٨٠)، و أصول السنة لابن أبي زمنين (ص ٢٤٢).
(٦) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٤٥)، أصول الدين للبزدوي (ص ٥٣)، الفصل في الملل والنحل (٣/ ٥)، الإنصاف (ص ٧١)، الملل والنحل (١/ ٤٥).
(٧) شرح الأصول الخمسة (ص ٥٢٨).

وقال في المغني: «اختلف الناس في ذلك - أي الكلام - :

والذي يذهب إليه شيوخنا أن كلام الله ﷻ من جنس الكلام المعقول في الشاهد، وهو حروف منظومة، وأصوات مقطعة، وهو عرض يخلقه الله سبحانه في الأجسام على وجه يسمع ويفهم معناه، ويؤدي الملك ذلك إلى الأنبياء عليهم السلام بحسب ما يأمر به ﷻ، ويعلمه صلاحاً، ويشتمل على الأمر والنهي وسائر الأقسام ككلام العباد»(١).

ونقل البغدادي اتفاقهم على القول بحدوث كلام الله ﷻ، وكلهم يزعمون أن كلام الله ﷻ حادث ومخلوق(٢).

وفي المغني: «ولا خلاف بين أهل العدل في أن القرآن مخلوق محدث مفعول، لم يكن ثم كان، وأنه غير الله ﷻ، وأنه أحدثه بحسب مصالح العباد، وهو قادر على أمثاله، وأنه يوصف بأنه مخبر به وقائل، وآمر، وناه من حيث فعله»(٣).

فمذهبهم ومذهب الجهمية في المعنى سواء، إلا هؤلاء يقولون: هو متكلم حقيقة، وأولئك ينفون أن يكون متكلماً حقيقة، وحقيقة قول الطائفتين أنه غير متكلم، فإنه لا يعقل متكلم إلا من قام به الكلام، ولا مريد إلا من قامت به الإرادة، ولكن معنى كونه سبحانه متكلماً عندهم أنه خلق الكلام في غيره(٤).

وبه قال بعض الخوارج، وقوم من الشيعة(٥).

٥- مذهب الكلابية:

وأما مذهب الكلابية فإنهم قالوا: إن القرآن حكاية عن معنى قائم بنفس الله، لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لازم لذات الرب، كلزوم الحياة والقدرة والعلم، وأنه يسمع على الحقيقة، وليس له حرف، ولا صوت، وهو أربع معاني في نفسه: الأمر، والنهي، والخبر، والاستخبار، فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يسمع، وذلك المعنى هو المتلو المقروء، وهو غير مخلوق، والأصوات والحروف هي تلاوة العباد وهي مخلوقة.

وأن الله ﷻ لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وأنه ليس فيما يقول به شيء يكون بمشيئته

(١) المغني (٧/ ٣).
(٢) انظر: الفرق (ص ٩٤).
(٣) المغني للقاضي عبد الجبار (٧/ ٣).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٣١١).
(٥) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١١٠، ١٨٩، ٢٢٤)، أصول الدين للبزدوي (ص٥٣)، الرسائل والمسائل لابن تيمية (٣/ ١١٤)، منهاج السنة النبوية (١/ ٢٢١).

وقدرته؛ لامتناع قيام الأمور الاختيارية به عندهم؛ لأنها حادثة، والله لا يقوم به حادث عندهم.

وقالوا: إذ لو قلنا بقدرته ومشيئته لزم أن يكون حادثاً، فيلزم أن يكون مخلوقاً أو قائماً بذات الرب، فيلزم قيام الحوادث به، وذلك يستلزم تسلسل الحوادث، لأن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده، وتسلسل الحوادث ممتنع، إذ التفريع على هذا الأصل(١).

قال القاضي عبد الجبار: «ذهبت الكلابية إلى أن كلام الله تعالى هو معنى أزلي قائم بذاته تعالى مع أنه شيء واحد، توراة، وإنجيل، وزبور، وفرقان، وأن هذا الذي نسمعه ونتلوه حكاية كلام الله تعالى»(٢).

فالقرآن عند الكلابية ليس كلام الله، وإنما كلامه المعنى القائم بذاته، والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى، ثم إما أن يكون خلق في بعض الأجسام الهواء أو غيره، أو ألهمه جبريل، فعبر عنه بالقرآن العربي، أو ألهمه محمد فعبر عنه بالقرآن العربي.

٦- مذهب الأشاعرة:

وأما مذهب الأشاعرة فإنهم قالوا: إن القرآن عبارة عن معنى واحد قائم بنفس الله تعالى، وهو صفة قديمة أزلية، وليس فيه صوت ولا حروف، وهو عين الأمر، وعين النهي، وعين الخبر، وعين الاستخبار، الكل من أمر واحد ليس له أنواع، ولا أجزاء، فإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلًا، وإن عبر عنه بالعربية فهو القرآن.

ثم إن التعدد والتكثر والتجزؤ والتبعض حاصل في الدلالات لا في المدلول، وأن هذه العبارات مخلوقة، وسميت كلام الله لدلالتها عليه، وتأديه بها، فإن عبر بالعربية فهو القرآن، وإن عبر بالعبرانية فهو توراة، فاختلفت العبارات لا الكلام.

وقالوا: تسمى هذه العبارات كلام الله مجازاً، وأن موسى عليه السلام لم يسمع كلام الله حقيقة، بل سمع ما يدل عليه(٣).

قال البغدادي: «كلام الله عندنا أمر، ونهي، وخبر، ووعد، ومن فوائد وجوه العموم،

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ٢٣٢)، مجموع الفتاوى (١٢/ ٩٤، ١٢٩)، الرسائل والمسائل لابن تيمية (٢/ ٢٩٠ - ٢٩١)، لوامع الأنوار البهية (١/ ١٦٤)، وأصول السنةلابن أبي زمنين (ص٢٤٤).

(٢) شرح الأصول الخمسة (ص ٥٢٧).

(٣) انظر: الإنصاف (ص ٧٩)، تحفة المريد على الجوهرة (ص ٤٩)، شرح العقائد النسفية (ص٩٤)، شرح الفقه الأكبر (ص٢٣).

والخصوص، والمجمل، والمفسر، وفي أحكامه ناسخ، ومنسوخ، ولا ينسخ كلامه؛ لأنه لا يجوز عدمه ورفعه، وقراءة كلامه بالعربية قرآن، وقراءته بالعبرانية توراة، وبالسريانية إنجيل، والقراءة غير المقروء؛ لأن المقروء كلام الله، وليست القراءة كلامه»(١).

فالقرآن عندهم كلام نفسي؛ لأن الكلام ينقسم إلى قسمين: كلام نفسي، وهو كلام الله فذلك قديم، وكلام لفظي وهو حادث مخلوق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالكلام القديم النفساني الذي أثبتموه لم تثبتوا ما هو؟ بل ولا تصورتموه، وإثبات الشيء فرع عن تصوره فمن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز أن يثبته؟ ولهذا كان أبو سعيد بن كلاب رأس هذه الطائفة وإمامها في هذه المسألة لا يذكر في بيانه شيئاً يعقل، بل يقول: هو معنى يناقض السكوت والخرس»(٢).

وأما قول الأشاعرة: إن الكلام عبارة عن معنى واحد، فهو باطل؛ لأنه يقال لهم: هل سمع موسى عليه السلام جميع المعنى، أو بعضه، فإن قالوا: سمعه كله، فقد زعم أنه سمع جميع كلام الله، وفساد هذا ظاهر.

وإن قال: بعضه، فقد قال: يتبعض، وكذلك كل من كلمه الله أو أنزل إليه شيئاً من كلامه، ولما قال الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة: ٣]، أو قال لهم: ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾، وأمثال ذلك، فهل هذا جميع كلامه أو بعضه؟ فإن قال: إنه جميعه، فهذا مكابرة، وإن قال: بعضه فقد اعترف بتعدده.

وكذلك إن معنى آية الكرسي ليس معنى قل هو الله أحد، ولا معنى: لا تقربوا الزنى معنى تبت يدا أبي لهب(٣).

وهذا هو مذهب الماتريدية، فإنهم قالوا في صفة الكلام مثل ما قالت به الأشاعرة(٤).

فمذهب الأشاعرة والماتريدية أقرب إلى الجهمية والمعتزلة منه إلى مذهب السلف، ويدل عليه ما قاله الإيجي: «قالت المعتزلة: أصوات، وحروف يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ، أو جبريل، أو النبي، وهو حادث، وهذا لا ننكره، لكنا نثبت أمراً وراء ذلك وهو

---

(١) أصول الدين (ص ١٠٧-١٠٨).
(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٩٥ - ٢٩٦).
(٣) انظر: الرسائل والمسائل (٣/ ١٥٤)، و أصول السنةلابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص٢٤٦).
(٤) انظر: التوحيد للماتريدي (ص ٥٨ - ٥٩)، أصول الدين للبزدوي (ص ٥٥)، كتاب البداية من الكفاية (ص ٦٠)، شرح العقائد النسفية (ص ٨٩)، شرح الفقه الأكبر (ص ٢٣).

المعنى العام القائم بالنفس»(١).

٧- مذهب الكرامية:

وأما مذهب الكرامية فقد قالوا: إن كلام الله حروف وأصوات، وإنه متعلق بالمشيئة والقدرة، قائم بذات الرب تعالى، تكلم به بعد أن لم يكن متكلماً، وأنه لا مانع أن توجد الحوادث للصانع جل وعلا بعد أن تكلم، فوجود الكلام عندهم في الأزل ممتنع كوجود الأفعال.

وكذلك فإن الكلام ممتنع أن يكون مخلوقاً في غيره، والله تعالى متكلم بمشيئته وقدرته، فيكون كلامه حادثاً كان بعد أن لم يكن(٢).

وذكر البزدوي مذهب الكرامية في الكلام فقال: «وعند الكرامية الله تعالى متكلم على الحقيقة بكلام حادث قائم به، وأنهم يجوزون حدوث الأشياء بالله تعالى»(٣).

كما أنهم فرقوا بين المتكلم والقائل وبين الكلام والقول، وذلك أنهم قالوا: إن الله تعالى لم يزل متكلماً قائلًا، ثم فرقوا بين الاسمين في المعنى، فقالوا: إنه لم يزل متكلماً بكلام هو قدرته على القول، ولم يزل قائلًا بقائليته لا بقول، والقائلية قدرته على القول، وقوله حروف حادثة فيه(٤).

فإثباتهم كلاماً وفعلًا حقيقة قائمين بذات المتكلم الفاعل هو حق، وأما قولهم: إنه سبحانه تكلم بعد أن لم يكن متكلماً فهو باطل؛ لأن الكلام صفة كمال، وهو سبحانه وتعالى متصف بصفات الكمال أزلًا وأبداً.

٨- مذهب السالمية.

وأما مذهب السالمية فإنهم قالوا: إن الكلام صفة قديمة قائمة بذات الله لم يزل ولا يزال، لا يتعلق بقدرته ومشيئته، ومع ذلك هو حروف وأصوات، وسور وآيات، سمعه جبريل منه، وسمعه موسى بلا واسطة، ويسمعه سبحانه من يشاء، وإسماعه نوعان:

---

(١) المواقف (ص ٢٩٤).

(٢) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص ١٠٦)، منهاج السنة (١/ ٢٢١)، الرسائل والمسائل (٣/ ٤٤)، لوامع الأنوار البهية (١/ ١٣٧)، و أصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص٢٤٨).

(٣) أصول الدين للبزدوي (ص ٥٦).

(٤) انظر: أصول الدين للبزدوي (ص ٥٣)، الفرق (ص ٢٠٦- ٢٠٧).

بواسطة، وبغير واسطة، مع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضاً، بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد، لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ولا تعدم، بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسمع والبصر[1].

ثم إن الناس اختلفوا في الأصوات المسموعة بقراءة الناس للقرآن، هل هنا الصوت من القارئين أم لا؟ وهل هي مخلوقة أم لا؟

فذهب الجمهور إلى أن تلك الأصوات المسموعة من القارئين.

وقال قوم: إن الصوت يسمع من القارئ، ثم قد يقولون: إن القديم نفس الصوت المسموع من القارئ.

وبعضهم يقولون: إنه يسمع من القارئ صوت قديماً ومحدثاً[2].

٩- مذهب الاتحادية والحلولية:

وأما مذهب الاتحادية والحلولية فقد قالوا: إن كل كلام في الوجود كلام الله، نظمه ونثره، حقه وباطله، سحره وكفره، خيره وشره، فكل ذلك عين كلام الله تعالى القائم به.

كل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

وهذا المذهب مبني على أصلهم الذي أصلوه، وهو اتحاد الخالق بالخلق، وأن الله سبحانه هو عين هذا الوجود، فصفاته هي صفات الله، وكلامه هو كلام الله، وأصل هذا المذهب إنكار المباينة والعلو والاستواء على العرش، وإنهم لما أصلوا أن الله تعالى في كل مكان، وأنه سبحانه غير مباين لهذا العالم، بل هو عين هذا العالم، فله حينئذ كل اسم حسن وقبيح، وكل صفة كمال ونقص، وكل كلام حق وباطل.

وهذا قول ابن عربي، وابن الفارض، وابن سبعين، والتلمساني، وأمثالهم[3].

فهذه أقوال الناس ومذاهبهم في صفة الكلام، ومن جملة ذلك القرآن، ولا شك أن نصوص القرآن والسنة تشهد لصحة مذهب أهل السنة والجماعة وبطلان ما سواه.

---

(١) انظر: الرسائل والمسائل لابن تيمية (٣/ ٣٣)، مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٩٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٦٧)، و أصول السنةلابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص٢٤٩).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٧٤)، منهاج السنة النبوية (١/ ٢٢١)، مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٨٧)، و أصول السنةلابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص٢٥٠).

الأسئلة والأجوبة على: القول في القرآن

س١: ما معنى قول الطحاوي: «وأيقنوا أنه كلام تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر»؟

ج١: القرآن كلام الله على الحقيقة، أنزله الله على محمد ﷺ وحياً ليس بالمجاز، كما يقوله الجهمية، والمعتزلة، فهم يقولون: هو كلام الله، ولكن نسبته إلى الله مجاز؛ لأن الله خالقه، فإضافته إلى الله إضافة مخلوق إلى خالقه.

وهذا خطأ؛ لأن الإضافة على نوعين:

١- إضافة أعيان، مثل بيت الله وناقة الله، وهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، وفائدة الإضافة هنا للتشريف والتكريم.

٢- إضافة المعاني إلى الله، مثل الكلام والسمع والبصر، فإضافة المعاني إلى الله إضافة صفة إلى موصوف؛ لأن هذه المعاني لا تقوم بنفسها، وإنما تقوم بالموصوف بها، وكلام الله ليس بمخلوق، إذ إن الصفات فرع عن الذات، وصفات الله تعالى قديمة غير مخلوقة، أما كلام البشر فهو حادث مخلوق مثلهم، وكل من زعم أن القرآن كلام البشر فهو كافر.

س٢: قال الطحاوي: «وإن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولا..»؟ اذكر الأقوال في كلام الله تعالى مع ذكر شيء من المفاسد المترتبة على نفي صفة الكلام عن الله؟

ج٢: افترق الناس في مسألة الكلام لله على تسعة أقوال:

الأول: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس المستعدة من المعاني، وهو مذهب الصابئة والمتفلسفة.

الثاني: أن كلام الله مخلوق خلقه الله منفصلا، وهو مذهب المعتزلة.

الثالث: أن كلام الله معنى واحد، قائم بذات الله، وهو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عُبر عنه بالعبرانية كان توراة، وهو قول ابن كلاب ومن وافقه.

الرابع: أن كلام الله حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهو قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث.

الخامس: أن كلام الله حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً، وهو قول الكرامية وغيرهم.

السادس: أن كلام الله يرجع إلى ما يحدث من علمه وإرادته القائمة بذاته، وذهب إليه الرازي وغيره.

السابع: أن كلام الله يتضمن معنى قائماً بذاته هو ما خلقه في غيره، وهو قول أبي منصور الماتريدي.

الثامن: أن كلام الله مشترك بين المعنى القديم القائم بذاته، وبين ما يخلقه في غيره، وهو قول أبي المعالي الجويني ومن تبعه.

التاسع: قول أهل السنة وأئمة الحديث، وأنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء، وكيف شاء، وهو يتكلم بكلامه، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصَوْت المعين قديماً.

وأما المفاسد المترتبة على نفي صفة الكلام عن الله فمنها:

١- كون المخلوق أكمل من الخالق؛ لأنه إذا كان الكلام صفة كمال فالمخلوق يتكلم، فلو نفى الكلام عن الله لنفيت صفة كمال عنه رغم اتصاف العبد بها.

٢- تعطيل صفة الباري سبحانه وتشبيهه بالحادث.

٣- نفي النبوة والأنبياء والرسل، بل نفي ذات الله بالكلية.

س٣: ذكر المصنف مذهب الفلاسفة في كلام الله فقال: «أحدها: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من المعاني»، وضِّح ذلك؟

ج٣: إن العقل الفعال[1] هو المحدِث لكل ما تحته، وأن هذا العقل دائم الفيض على ما تحته من المحال المستعدة بحسب قابليتها، فيفسرون كلام الله على هذا الأصل الباطل، فيقولون: لما كان محمد قد اجتمعت فيه القوى الكاملة من الزكاء والذكاء، والقوة العملية، فاض عليه من هذا العقل ما يناسب حاله، وهو الكلام الراقي، فتلقاه، وأتى به للعباد ألفاظاً وخطابةً، ومواعظ خالية من البراهين لم تصرح بالحق، بل رمزت إليه، وأشارت إليه من بعيد، وأن الأنبياء - على زعمهم الفاسد - لا يمكنهم مخاطبة الجمهور إلا بهذه الطريقة:

---

(١) قيل: هو فلك القمر، وقيل: هو جبريل، وقيل غير ذلك.

طريقة التخييل والمثال؛ لأنها أصلح للناس[(١)].

س٤: ما معنى قول المصنف: «ورابعها: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل»؟

ج٤: هذا الكلام هو ما يعرف بالاقتران، ولهذا يُسمى القائلون بهذا: الاقترانية، ومعنى قولهم: إن كلام الله أحرف وأصوات، وهذه الأحرف مجتمعة ليست بمتعاقبة، ولا مترتبة، قال ابن القيم: «يكفي في بطلان هذا القول تصوره؛ لأن هذا القول غير ممكن؛ لأنه لا بد من وجودها على سبيل التعاقب، والتسلسل حرفاً بعد حرف، كما أنه يستحيل أن يوجد وقتان في وقت واحد فكذلك الحروف»[(٢)].

س٥: ما معنى قول المصنف: «وسادسها: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته»؟

ج٥: هذا القول فاسد؛ لأنه لا مماثلة بين صفة الكلام، وصفتي العلم والإرادة، فهذه الثلاث كلها صفات ثابتة له سبحانه، وليست بمعنى واحد، بل صفات متغايرة، فالكلام: هو القول، والعلم: هو زوال الخفاء من المعلوم، والإرادة: صفة تخصيص الممكن المخلوق ببعض ما يجوز عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فالكلام متأخر عن حصول الإرادة، فالإرادة تقع أولًا ثم يعقبها الكلام[(٣)].

س٦: ما معنى قول الطحاوي: «وسابعها: أن كلامه يتضمن معنى قائماً بذاته، وهو ما خلقه في غيره»؟

ج٦: معنى هذا أن القرآن قرآنان: قرآن بمعنى الكلام النفسي، أي: القائم بذات الله، وهذا غير مخلوق، وقرآن موجود بين الناس: وهو الحرف، فهذا حادث مخلوق.

س٧: ما معنى قول الطحاوي: «وثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات، وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات»؟

ج٧: معنى هذا أن الكلام لفظ مشترك يطلق على شيئين:

١- الكلام النفسي: وهو المعبر عنه بقوله: «المعنى القديم، القائم بالذات»، أي: بذات الله تعالى.

---

(١) انظر: توضيح الكافية الشافية للسعدي (ص٤٥ - ٤٦).
(٢) انظر: مختصر الصواعق (٢/ ٢٩٣)، وشرح الطحاوية بتعليق العدني (ص١٩٧).
(٣) انظر: شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص١٩٩).

٢- الكلام اللفظي المسموع: وهو المعبر عنه بقوله: «وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات»(١).

س٨: قال الطحاوي: «منه بدا بلا كيفية قولًا». اشرح هذا الكلام وبيِّن أي الطوائف يرد به عليه؟ ثم اذكر قول المعتزلة في كلام الله؟ وبيِّن شبهتهم في نفي صفة الكلام عن الله تعالى؟ مع الرد عليهم مدلِّلًا لما تقول؟

ج٨: قول الشيخ: «منه بدا بلا كيفية قولا»، أي: أنه سبحانه تكلم به على الحقيقة، ولا ندري كيف تكلم به، وذكر كلمة: «قولا» تأكيدا لهذا، وردّاً به على المعتزلة وغيرهم.

فإن المعتزلة يزعمون أن كلام الله مخلوق خلقه الله منفصلا عنه، وقالوا: إضافته إليه إضافة تشريف وتكريم، كقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ [الشمس: ١٣]، وبيتُ الله.

ويرد بأن قولهم باطلٌ وتحريفٌ للكلام عن مواضعه؛ وذلك لأن المضاف إلى الله تعالى نوعان: معانٍ، وأعيان.

١- فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف، والتكريم لها، وهي مخلوقة له كناقة الله، ورسول الله وغيره.

٢- أما إضافة المعاني إليه سبحانه كعلم الله، وقدرته، وعلوه فإنها من صفاته، ولا يمكن أن تكون شيئاً مخلوقاً.

وغاية شبهتهم لنفي الكلام عن الله أنهم يقولون: يلزم من إثبات الكلام لله التشبيه والتجسيم، كقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: ٦٥]، نحن نؤمن ونصدق أنها تتكلم، ولكن لا نعلم كيف تتكلم تلك الأيدي، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١]، وكذلك تسبيح الحصى(٢)،

(١) انظر: شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص٢٠٠).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم: (١١٤٦)، والبزار في مسنده برقم: (٤٠٤٠، ٤٠٤٤)، والطبراني في المعجم الأوسط برقم: (٤٠٩٧)، وفي مسند الشاميين برقم: (١٨٣٧)، من طرق عن أبي ذر.
ولفظه عند ابن أبي عاصم: (إني انطلقت ألتمس رسول الله ﷺ في بعض حوائط المدينة فإذا رسول الله ﷺ قاعد، فأقبل إليه أبو ذر حتى سلم على النبي قال أبو ذر: وحصيات موضوعة بين يديه فأخذهن في يده، فسبحن في يده ثم وضعهن في الأرض فسكتن، ثم أخذهن فوضعهن في يد أبي بكر، فسبحن في يده، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن، ثم أخذهن فوضعهن في يد عمر، فسبحن في =

والطعام في يد النبي ﷺ(١)، وحنين الجذع إليه عليه السلام(٢).

س٩: اذكر مذهب السلف في صفة الكلام؟

ج٩: اتفق السلف على إثبات صفة الكلام لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته، وأنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وأن الكلام صفة له قائمة بذاته، وهو يتكلم بصوت يُسمع، ولو لم يكن الكلام المعين قديماً، على هذا مضى سلف الأمة من أهل الحديث وسائر الأئمة المهتدين(٣).

س١٠: هل أثبت السلف التكلم والتكليم لله ﷻ؟

ج١٠: نعم أثبتوا ذلك واعتقدوا أن الله متكلم بكلام حقيقي لا مجازي، قال الإمام أبو حنيفة: «قد كان متكلماً ولم يكن كلَّم موسى عليه السلام»(٤).

وقال الإمام أحمد: «لم يزل الله ﷻ متكلماً»(٥).

س١١: هل كلام الله يُسمع؟

ج١١: إن الله ﷻ يُسمع كلامه من شاء من ملائكته ورسله، ويسمعه عباده في الدار الآخرة، كما أنه كلم موسى وناداه حين أتى الشجرة، فسمعه موسى، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [طه: ١١، ١٢].

س١٢: هل القرآن كلام الله حقيقة؟

ج١٢: القرآن سوره وكلماته كلام الله تعالى تكلم به بحروفه ومعانيه، ولم ينزله على أحد قبل محمد ﷺ، أسمعه جبريل عليه السلام وأسمعه جبريلُ محمداً ﷺ، وأسمعه محمد ﷺ

= يده ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن، ثم أخذهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن).
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٥٢٨): رواه البزار بإسنادين ورجال أحدهما ثقات وفي بعضهم ضعف.
وضعفه ابن حجر في فتح الباري (٦/٥٩٢).
وقد صححه الألباني بمجموع طرقه في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم برقم: (١١٤٦).

(١) أخرجه البخاري، ك: المناقب، ب: دلائل النبوة، برقم: (٣٥٧٩).
(٢) أخرجه البخاري، ك: الجمعة، ب: الخطبة على المنبر، برقم: (٩١٨).
(٣) انظر: العقائد السلفية (ص١٥٧)، بتصرف. (٤) الفقه الأكبر (ص٣٠٢).
(٥) انظر: الفقه الأكبر (ص٣٠٢).

أمته، وليس لجبريل ولا لمحمد ﷺ إلا التبليغ والأداء، وهو المكتوب في اللوح المحفوظ، وهو الذي في المصاحف يتلوه التالون بألسنتهم، ويقرؤه القارئون بأصواتهم،ويسمعه السامعون بآذانهم، وهو الذي في صدور الحفاظ بحروفه ومعانيه، تكلم الله به على الحقيقة، فهو كلامه على الحقيقة لا كلام غيره، منه بدأ وإليه يعود[(١)].

س١٣: دلِّل من الكتاب والسنة على تكليم الله لأهل الجنة؟ وما حكم إنكار ذلك؟ وهل كلم الله أهل النار أيضاً؟ دلِّل لما تقول؟ وما المراد بالكلام في قوله في حق أهل النار: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]؟ وما الذي تأخذه من هذه الآية من الصفات ومن حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا أبصارهم فإذا الرب** ﷻ»[(٢)]؟

ج١٣: الأدلة متوافرة وكثيرة من الكتاب والسنة على تكليم الله لأهل الجنة، من ذلك: قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس: ٥٨].

ومن السنة حديث جابر: «**بينما أهل الجنة..**» الحديث السابق.

وحكم إنكار كلامه تعالى مع أهل الجنة أنه إنكار لروح الجنة، وإنكار لفضل النعيم ينعمون به، وهو النظر إلى وجه الله تعالى.

وليس كلامه تعالى مقصوراً على أهل الجنة فقط، بل يكلم أهل النار بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فهو كلام إهانة وغضب لا كلام تكريم وتشريف ومثوبة.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]، فهو إهانة لهم.

والذي يؤخذ من الآية ومن حديث جابر وغيرهما من النصوص مسائل، منها:

١- إثبات صفة الكلام لله تعالى. ٢- إثبات الرؤية.

٣- إثبات العلو. ٤- إثبات الجنة والنار وأنهما حق.

---

(١) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٧٧، ٧٨) (ضمن الرسائل الكمالية)، العقيدة السلفية لكلام رب البرية (ص٦٤)، مجموعة الرسائل والمسائل (٣/٣٤٩-٣٥٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه، المقدمة، ب: فيما أنكرت الجهمية، برقم: (١٨٤)، وإسناده ضعيف. انظر: ضعيف الجامع الصغير برقم: (٢٣٦٣)، تخريج الطحاوية للألباني (ص١٧١).

س١٤: ما مذهب أهل السنة والجماعة في صفة الكلام؟ استدل بدليلين من الكتاب والسنة؟

ج١٤: يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله تعالى متكلم بكلام قديم النوع، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وأنه لم يزل يتكلم ولا يزال يتكلم إذا شاء، ما شاء، متى شاء، وكيف شاء، وأنه يتكلم بحروف وأصوات، وكلامه يسمعه من يشاء من خلقه، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان**»(١).

س١٥: استدل المعتزلة ببعض الأدلة على زعمهم الباطل بأن القرآن مخلوق، اذكر بعضها مع بيان وجه استدلالهم والرد عليهم؟

ج١٥: من الأدلة التي استدل بها المعتزلة على خلق القرآن - أي كون كلام الله مخلوقاً - ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦]، ووجه الاستدلال أن القرآن شيء فيكون داخلًا في عموم الآية، فيكون مخلوقاً.

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [الزخرف:٣]، ووجه الاستدلال أنَّ جعل بمعنى خلق، أي خلقناه، كما زعموا.

٣- قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، ووجه الاستدلال أن الكلام خلقه الله في الشجرة، فسمعه موسى منها.

٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ [النساء: ١٧١]، ووجه الاستدلال أن عيسى كلمة الله، وعيسى مخلوق، فيكون القرآن مخلوقاً.

والردُّ عليهم بعون الله كما يلي:

١- الاستدلال بها باطل؛ لأنكم تناقضتم في الاستدلال، فأخرجتم أفعال العباد وأدخلتم

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: من نوقش الحساب عذب، برقم: (٦٥٣٩)، ومسلم، ك: الزكاة، ب: الحث على الصدقة، برقم: (١٠١٦).

كلام الله، وهذا فاسد؛ لأنكم قلتم أفعال العباد مخلوقة للعباد، وكلام الله مخلوق لله تعالى.

٢- أنه يلزم من إدخالهم الكلام تحت عموم «كل» أن تكون صفات الله مخلوقة كالعلم، وهو صريح الكفر إذ إن علمه شيء، وحياته شيء، فيدخل في عموم «كل»، فيكون مخلوقاً، وهذا باطل.

٣- إن عموم «كل» في كل موضع بحسبه ويعرف ذلك بالقرائن.

ولا يدخل في ذلك القرآن؛ لأنه كلام الله وهو صفة من صفاته تعالى، وصفاته غير مخلوقة.

٤- أن نفس دليلكم دليل عليكم؛ لأن الآية بزعمكم مخلوقة فلا تصح أن تكون دليلًا.

وأما الآية الثانية فاستدلالهم بها باطل أيضاً، لأنَّ «جعل» التي بمعنى «خلق» لا تتعدى إلا إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام:١]، والآيات في هذا كثيرة، فإذا تعدَّت إلى مفعولين لم تكن بمعنى خلق كالآية التي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةً لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، وقوله: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وأما الآية الثالثة فاستدلالهم بها باطل من وجوه:

١- أن الآية جاءت بصيغة النداء، وهو الكلام من بعيد، فسمع موسى النداء من حافة الوادي، قال: في البقعة المباركة من الشجر، أي: النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة لابتداء الغاية، كما في قولك، سمعت نداء زيد من البيت، وليس البيت هو المتكلم.

٢- أن الكلام لو كان مخلوقاً في الشجرة لكانت هي القائلة: «يا موسى إني أنا الله رب العالمين».

٣- قوله ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامة»[1]، فهذا يدل على أنه غير مخلوق، لأنه ﷺ استعاذ بكلمات الله،والاستعاذة بالمخلوق شرك، والرسول ﷺ منزه عن الشرك، فدل على أن كلام الله غير مخلوق.

وأما استدلالهم بالآية الرابعة فباطلٌ أيضا؛ لأنه إنما سمي عيسى كلمته، لكونه وجد بكلمة «كن»، وليس هو نفس الكلمة، وخُص عيسى بالذكر من بين المخلوقات مع كون

(١) أخرجه البخاري، ك: الأنبياء، ب: ١٠، برقم: (٣٣٧١).

المخلوقات موجودة بكلمة «كن»؛ لأن عيسى وجد بلا أب، وآدم وجد بلا أب ولا أم، وحواء وجدت من ضلع آدم، بخلاف سائر المخلوقات، فهي وجدت بأب وأم.

س١٦: ما الذي يلزم من الباطل على قول الصوفية الاتحادية؟ وضِّح ذلك؟

ج١٦: الذي يلزم عليه أمور، منها:

١- أن يكون كل ما أحدثه الله من الكلام في الجمادات كلامه، وكذلك في الحيوانات، ولا فرق حينئذ بين: نطق، وأنطق، وإنما قالت الجوارح: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾ [فصلت: ٢١]، ولم تقل نطق الله.

٢- أن يكون الله متكلماً لكل كلام خلقه في غيره زوراً كان، أو كذباً، أو كفراً تعالى الله عن ذلك.

٣- أنه يلزم عليه أن يوصف الإنسان بصفة غيره فيقال للبصير: أعمى والعكس.

٤- كذلك يلزم عليه وصف الله بالصفات التي خلقها في غيره من الألوان، والروائح، والطول، والقصر.

٥- إن هذا الكلام لو كان بدأ من غير الله لكان قول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] صدقاً، وقد فرقوا بين فرعون وكلام الشجر بزعمهم، فقالوا: هذا كلام خلقه الله في الشجرة، وهذا كلام خلقه فرعون، وبدلوا، واعتقدوا خالقاً غير الله.

س١٧: اذكر مناقشة عبد العزيز المكي مع بشر المريسي؟

ج١٧: بعد أن تكلم معه، والتزم ألا يخرج عن نص التنزيل، وألزمه الحجة، قال بشر: يا أمير المؤمنين ليدع مطالبتي بنص التنزيل، ويناظرني بغيره، فإن لم يدع قوله، ويرجع عنه، ويقر بخلق القرآن الساعة، وإلا فدمي حلال.

قال عبد العزيز: تسألني أم أسألك؟ فقال بشر: اسأل أنت، فقلت له: يلزمك واحدة من ثلاث: إما أن تقول إن الله خلق القرآن - وهو عندي أنا كلامه - في نفسه، أو خلقه قائماً بذاته ونفسه، أو خلقه في غيره، قال: أقول: خلقه كما خلق الأشياء كلها، وحاد عن الجواب.

فقال المأمون: اشرح أنت هذه المسألة، ودع بشراً، فقد انقطع.

فقال عبد العزيز: إن قال:خلق كلاماً في نفسه يخالفه، فهذا محال؛ لأن الله لا يكون محلًا للحوادث المخلوقة، ولا يكون فيه شيء مخلوق.

وإن قال: خلقه في غيره فهو محال أيضاً؛ لأنه يلزم قائله أن يجعل كل كلام خلقه الله في غيره هو كلام الله.

وإن قال خلقه قائماً بنفسه وذاته فهذا محال؛ إذ لا يكون الكلام إلا من تكلم، كما لا تكون الإرادة إلا من يريد، ولا العلم إلا من عالم، ولا يعقل كلام قائم بنفسه متكلم بذاته، فلما استحال من هذه الجهات أن يكونِ مخلوقاً علم أنه صفة لله.

س١٨: ما حكم من قال: «لفظي بالقرآن مخلوق»؟ ومن هو أول من قال به؟ وما موقف علماء السلف منه؟

ج١٨: أول من قال بالبدعة اللفظية: «لفظي بالقرآن مخلوق»، هو: حسين الكرابيسي، فبدَّعه الإمام أحمد بن حنبل، ووافقه على تبديعه جماعة من أهل العلم، وكل هذا لما في الجملة من إجمال من حيث إنّ قوله: «لفظي» يحتمل أمرين:

١- اسم المفعول، فتكون العبارة: «الملفوظ والمقروء مخلوق»، وهذا باطلٌ قطعاً؛ لكونِ المقروء والملفوظِ والمسموعِ إنما هو القرآن فأطلق المحدد: اللفظ، وأراد به اسم المفعول، وهذا أمر معروف مشهور.

٢- وعلى الاحتمال الثاني: أن يراد باللفظ المصدر، أي حركات القارئ وفعله، فهذا الاحتمال صحيح لا غبار عليه.

والجهمية إذا أطلقت هذه العبارة: «لفظي بالقرآن مخلوق» إنما تريد باللفظ:الملفوظ، أي: القرآن، لذا قال الإمام أحمد: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي(١).

س١٩: كيف ترد على من قال: إن القرآن أحدثه إما جبريل أو محمد مستدلا بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [الحاقة: ٤٠]؟

ج١٩: أرد عليه بأن القول قولان:

١- قول ابتدأ.

٢- وقول مبلغ ومرسل به، وهذا هو المقصود في الآية؛ وذلك لما يأتي:

أ- أنَّ ذكر الرسول معروف أنه مبلغ عمن أرسله إذ لم يقل: إنه قول ملك أو نبي، فعلم أنه بلغه عمن أرسله به، لا أنه أنشأه من جهة نفسه.

---

(١) انظر: درء التعارض (١/ ٢٦٢ - ٢٦٧)، شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص٢١٣).

ب - أن الرسول في إحدى الآيتين جبرائيل، وفي الأخرى محمد فإضافته إلى كل منهما أن الإخبار للتبليغ، إذ لو أحدثه أحدهما امتنع أن يحدثه الآخر.

ج - أن وصفَ اللهِ رسولَه بالأمين دليل على أنه لا يزيد في الكلام ولا ينقص منه.

د - أن الله قد كفر من جعله قول بشر، ومحمد ﷺ بشر فمن جعله قول محمد فقد كفر، ولا فرق بين أن يقول: إنه قول بشر، أو ملك، أو جني.

هـ - أن الكلام لمن قال مبتدئاً لا لمن قاله مبلغاً، فمن سمع شعراً مثل:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ....

قال: إنه كلام وشعر امرئ القيس، ومن سمع قول: «**إنما الأعمال بالنيات**»(١)، قال: هذا قول محمد ﷺ، ومن سمع قول رب العالمين، قال: هذا كلام الله إن كان عنده خبر بذلك، وإلا قال لا أدري.

س٢٠: ما قول الكرامية في الكلام، وفيماذا يوافقون أهل السنة؟

ج٢٠: يقول الكرامية: إن كلام الله حروف وأصوات، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما، وهم يوافقون أهل السنة في إثباته إلا أنهم قالوا: حادث بعد أن لم يكن، بينما أهل السنة يقولون: كلام قديم النوع حادث الآحاد.

س٢١: ما مذهب الكلابية والأشاعرة في صفة الكلام؟ وكيف ترد عليهم؟

ج٢١: مذهبهم أن كلام الله معنى واحد قائم بذات الله، وهو الأمر والنهي، والخبر، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة.

ويرد عليهم بأن يقال: هل سمع موسى جميع المعنى أو بعضاً؟ فإن قالوا: إنه سمع جميعاً فقد زعموا أنه جميع كلام الله، وهذا فاسد.

وإن قالوا: إنه سمع البعض فقد اعترفوا أنه بعض، ومثل هذا قوله تعالى للملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ومثله قوله: ﴿ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤].

---

(١) أخرجه البخاري، ك: بدء الوحي، ب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، برقم: (١)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»، برقم: (١٩٠٧).

والحاصل أن الكلابية والأشاعرة وإن اتفقتا على هذا المعتقد الباطل إلا أنهما افترقتا في أمرين:

١- الأمر الأول: قالت الكلابية: كلام الله عبارة عن أربع معانٍ في نفسه: الأمر، والنهي، والخبر، والاستخبار.

وقالت الأشاعرة: بل كلام الله لا يتبعض ولا يتجزأ، ولا ينقسم.

٢- الأمر الثاني: قالت الكلابية: القرآن حكاية عن كلام الله.

وقال الأشاعرة: بل هو عبارة عن كلام الله(١).

س٢٢: ما الفرق بين الأشاعرة والماتريدية في صفة الكلام؟

ج٢٢: مذهب الأشاعرة والماتريدية في صفة الكلام متقارب غير أن الماتريدية انفردت بأمرين:

١- أن كلام الله النفساني لا يمكن سماعه، وإنما أفهم الله موسى كلامه سبحانه بحروف خلقها، بينما الأشاعرة قالوا بجواز سماع كلام الله النفساني.

٢- أن الماتريدية أصرح وأجهر بالقول بخلق القرآن من الأشاعرة(٢).

س٢٣: ما موقف الأشاعرة والماتريدية من القول بخلق القرآن؟

ج٢٣: القرآن عندهم قرآنان: قرآن بمعنى الكلام النفسي، أي: القائم بذات الله، وهذا غير مخلوق، وقرآن موجود بين الناس، وهو الحروف فهذا حادث مخلوق، واتفقوا على أنه ليس كلام الله، واختلفوا بعد ذلك في الذي أنشأه ووصفة على ثلاثة أقوال:

١- أن محمداً ﷺ هو الذي أنشأه وألفه حيث إن الوحي كان ينزل عليه بالمعاني للكلام النفسي القديم القائم بذات الله، وهو يعبر عنه بألفاظ من عنده.

٢- أن جبريل عليه السلام هو الذي أنشأه، ونزل به إلى محمد ﷺ بأمر منه تعالى.

٣- أنه لم ينشأ من قبل محمد ﷺ، ولا من قبل جبريل، بل الواجب أن يقال: إن الله عز وجل قد أنشأ القرآن، وخلق كتابته في اللوح المحفوظ، ثم إن جبريل عليه السلام أخذه من اللوح، ونزل به إلى النبي ﷺ، فاللوح المحفوظ هو مبدأ إنزاله، وليس منزلا من عند الله

---

(١) انظر: شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص٢٠٩). (٢) انظر: مختصر الصواعق (٢/ ٢٩٠).

جل شأنه، وهذه الأقوال باطلة، وأقوال الصحابة وسلف الأمة ترد ذلك[(١)].

س٢٤: قالت الأشاعرة: القرآن عبارة عن كلام الله، وقالت الماتريدية: القرآن حكاية من كلام الله فما الفرق بين الحكاية والعبارة؟

ج٢٤: إن الحكاية يراد بها ما يماثل الشيء، كما تقول: حكيت الحديث بعينه، أي: أنك حكيته مطابقاً للأصل، وأما العبارة فلا تستلزم مطابقة المحكي.

س٢٥: بم استدل من يقول: إنه كلام نفساني، وإنه معنى واحد؟ بين فساده؟ وكيف ترد عليهم؟

ج٢٥: استدل بقول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما يجعل اللسان على الفؤاد دليلا

وهو فاسد من وجوه:

١- أنه موضوع منسوب إلى الأخطل، وليس في ديوانه.

٢- أنه محرف، وأصله: إن البيان لفي الفؤاد....، وهو أقرب إلى الصحة.

٣- على فرض صحته لا يجوز الاستدلال به؛ فإن قائله نصراني، والنصارى قد ضلوا في معنى الكلام، فإنهم يقولون: كلام الله هو المعنى القائم بذات الله الذي لا يمكن سماعه.

٤- معناه غير صحيح، إذ يلزم أن الأخرس يسمى متكلما.

ويرد قول من قال بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس، قوله ﷺ: «**إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس**»[(٢)].

وقوله ﷺ: «**إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإنما أحدث لا تكلموا في الصلاة**»[(٣)].

كما يرد عليه أيضا بحديث أن معاذا رضي الله عنه قال: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، فقال ﷺ: «**وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**» ويرد عليه أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣] الآية.

---

(١) انظر: الماتريدية لشمس الأفغاني (٣/ ٧٦-٨١).

(٢) أخرجه مسلم، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: تحريم الكلام في الصلاة، برقم: (٥٣٧).

(٣) أخرجه أبو داود، ك: الصلاة، ب: رد السلام في الصلاة، برقم: (٩٢٤)، والنسائي، ك: السهو، ب: الكلام في الصلاة، برقم: (١٢١٩، ١٢٢٠)، وابن حبان برقم: (٢٢٤٣)، والإمام أحمد (١/ ٤٣٥)، وأبو يعلى في مسنده برقم: (٤٩٧١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم: (٨٥٧).

س٢٦: كيف ترد على من زعم أن الكلام عبارة عن كلام الله؟

ج٢٦: يرد عليه بما يأتي:

١- أنه لو كان كذلك لما حرم على الجنب والمحدث مس المصحف.

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله، وحصل على الحقيقة.

س٢٧: ما هو القول الحق في القرآن إذا كتب في الورق أو قرأ القارئ؟ وضِّح ذلك؟

ج٢٧: القرآن كلام الله حيث تعرفه، سواء كان محفوظاً في الصدور، أو متلوا به، أو مكتوباً بالمصاحفِ، فهو لا يخرج عن أن يكون كلام الله.

فإذا قيل: المكتوب في المصحف كلام الله، فهم منه معنى صحيح حقيقي.

س٢٨: ما معنى القرآن في اللغة؟ واذكر أنواع وجود الحقائق؟

ج٢٨: القرآن في الأصل مصدر، ويراد به تارة القراءة، كما قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وقوله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»[١].

وتارة يراد به المقروء، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وقوله ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف»[٢].

وأنواع وجود الحقائق أربعة:

١- وجود عيني: وهو وجود الموجودات في أنفسها وذواتها.

٢- وجود ذهني:وهو العلم بالحقائق في القلوب.

٣- وجود لفظي: وهو التعبير عن الحقائق باللسان.

٤- وجود رسمي: وهو كتابته بالبنان.

فالأعيان تعلم ثم تكتب، فكتابتها في المصاحف هي المرتبة الرابعة.

---

(١) أخرجه أبو داود، ك: الصلاة، ب: استحباب الترتيل في القراءة، برقم: (١٤٦٨)، والنسائي، ك: الافتتاح، ب: تزيين القرآن بالصوت، برقم: (١٠١٤، ١٠١٥)، وابن ماجه، ك: إقامة الصلاة والسنة فيها، ب: في حسن الصوت بالقرآن، برقم: (١٣٤٢)، والإمام أحمد (٤/ ٢٨٣)، وابن خزيمة برقم: (١٥٥١)، وابن حبان برقم: (٧٤٩)، وأبو يعلى برقم: (١٦٨٦)، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٣٥٨٠).

(٢) أخرجه البخاري، ك: فضائل القرآن، ب: إنزال القرآن على سبعة أحرف، برقم: (٤٩٩٢، ٦٩٣٦)، ومسلم، ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف، برقم: (٨١٨، ٨١٩، ٨٢١).

وأما الكلام فإنه ليس بينه وبين المصحف واسطة، بل هو الذي يكتب بلا واسطة ولسان.

س٢٩: ما الفرق بين كون القرآن في زبر الأولين، وكونه في رق منشور، أو لوح محفوظ، أو في كتاب مكنون؟

ج٢٩: الفرق واضح، فقوله عن القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، أي: ذكره ووصفه، والإخبار عنه، والزبر هو الكتابة، والجمع، فالمعنى بين من اللفظ نفسه، وبين من كمال القرآن وخلوصه من اللبس، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، أي: ذكره، بخلاف: ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور:٣]، واللوح المحفوظ، وكتاب مكنون، لأن العامل في الظرف: إما أن يكون من الأفعال العامية، مثل الكون، والاستقرار، والحصول، أو يقدر بأنه مكتوب في كتاب، أو في رقة، والكتاب تارة يذكر، ويراد به محل الكتاب، وتارة يراد به الكلام المكتوب، ويجب التفريق بين كتابة الكلام في الكتاب، وكتابة الأعيان الموجودة في الخارج فيه، فإن تلك إنما يكتب ذكرها.

س٣٠: ما حقيقة كلام الله الخارجية؟ وما حكم من قال: إن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله، أو حكاية كلام الله، وليس فيها كلام الله؟ وما معنى قول السلف: «منه بدا وإليه يعود»؟

ج٣٠: حقيقة كلام الله الخارجية هي ما يسمع منه، أو المبلغ عنه، فإذا سمعه السامع علمه وحفظه،فكلام الله مسموع له محفوظ، فإن قاله فهو مقر له، فإن كتبه فهو مكتوب له مرسوم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، كلام الله من الله، وإنما يسمعه من مبلغ عنه.

ومعنى قول السلف: «منه بدا»، يقصدون به الرد على الجهمية والمعتزلة وغيرهم من القائلين: الله خلق الكلام في محل فبدأ الكلام عن ذلك المحل، فقالوا: «منه بدأ»، أي: هو المتكلم، به بدأ لا من بعض المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]، ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة: ١٣].

ومعنى: «إليه يعود»، أنه يرفع من المصاحف، وينزع من صدور الرجال في آخر الزمان، فلا يبقى منه آية.

وقوله: «بلا كيفية»، أي: لا يعرف كيفية تكلمه به قولًا حقيقياً لا مجازاً.

وقوله: «أنزله على رسوله وحيا»، أي: أنزله إليه على لسان الملك فسمعه جبريل

من الله، وسمعه رسوله من الملك، وقرأه على الناس، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥].

س٣١: ما الفرق بين إنزال القرآن وهو الكتاب، وإنزال المطر، وإنزال ثمانية أزواج من الأنعام؟

ج٣١: الفرق بين ذلك أن إنزال القرآن مضاف إلى الله تعالى، حيث قال: ﴿حم (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:١]، وإنزال المطر مقيد بأنه إنزال من السماء، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [إبراهيم: ٣٢]، والسماء العلو.

وجاء في موضع آخر أنه أنزله من المزن، وهي السحاب.

وأمّا إنزال الأنعام والحديد، فالحديد من المعادن التي في الجبال عالية عن الأرض، ولأنها تخلق بالتوالد المستلزم، وعلى هذا فيحتمل قوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ﴾ [الزمر: ٦]، وجهين:

١- أن تكون ﴿مِّنَ﴾ لبيان الجنس.

٢- أن تكون ﴿مِّنَ﴾ لابتداء الغاية.

وهذا الوجهان في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ [الشورى: ١١].

والحاصل: أن الإنزال[1] ليس كله في أفراده يحمل على معنى واحد، فلا يمكن التسوية بين أفراده كلها، لكن يفسر بحسب التقيد والإطلاق.

س٣٢: ما معنى قول الشيخ: «صدقه المؤمنون على ذلك حقا»؟ وإلى أي شيء ترجع الإشارة؟

ج٣٢: المؤمنون بالله ورسوله يصدقون بأن القرآن كلام الله ﷻ، وأن محمداً إنما هو مبلغ عن الله.

---

(١) اختلف أهل البدع في معنى الإنزال: فمنهم من يقول: أنزل بمعنى خلق، أو خلقه في مكان عال، ثم أنزله على ذلك المكان، وهذا قول الجهمية، ومن الكلابية من يقول: نزوله بمعنى: الإعلام به، وإفهامه للملك، أو نزول الملك بما فهمه.
انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٤٦)، مختصر الصواعق (٢/ ٢١٨ - ٢٢٠)، شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص٢٢٧).

وترجع الإشارة إلى ما ذكره الشيخ من التكلم على الوجه المذكور، أي: قول الصحابة والتابعين في صفة الكلام حق وصدق.

س٣٣: إلى أي شيء يشير الشيخ بقوله: «وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق»؟

ج٣٣: يشير بهذا الرد إلى المعتزلة وغيرهم.

وفي قوله: «بالحقيقة» رد على من قال: إنه معنى واحد قام بذات الله لم يسمع منه، وإنما هو الكلام النفساني.

س٣٥: اختلف الناس في معنى الكلام عند الإطلاق، هل هو اللفظ أم المعنى على أقوال اذكرها؟

ج٣٥: اختلف الناس في مسمى الكلام على أربعة أقوال:

١- أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً، كما يتناول لفظ الإنسان الروح والبدن، وهذا قول السلف.

٢- أنه يتناول اللفظ فقط، والمعنى مدلول مسماه، وهو قول جماعة من المعتزلة.

٣- أنه يتناول المعنى فقط، واللفظ مجاز؛ لأنه دل عليه، وهو قول ابن كلاب.

٤- أنه مشترك بين اللفظ والمعنى، وهو قول بعض المتأخرين من الكلابية.

٥- وهناك قول خامس يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله، حقيقة في الآدميين.

س٣٦: وضِّح مذهب السلف في صفة الكلام إجمالًا؟

ج٣٦: مذهب السلف في صفة الكلام أن كلام الله غير مخلوق، وأنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، وكيف شاء، وأن الكلام صفة له قائمة بذاته، وهو يتكلم بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وعلى هذا مضى السلف، وأهل الحديث، وسائر الأئمة المهتدين.

س٣٧: اذكر الأدلة النقلية والبرهان العقلي على صفة الكلام؟

ج٣٧: ١- الأدلة النقلية:

من ذلك: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وقال أيضاً مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وقال سبحانه: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥].

وقال جل وعلا: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧].

وفي الحديث الشريف: «**ما من عبد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان**»(١).

وأما الأدلة على أن الله يتكلم بصوت، فمنها ما قدمنا في الآيات، ومنها قوله ﷺ: «**يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم فيقول: لبيك ربنا وسعديك فينادي بصوت، إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعين**»(٢).

ومنها: ما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان**»(٣).

٢- البرهان العقلي.

يقال: إن التكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص، وكل كمال فالله أولى أن يوصف به، فإذا ثبت أن الكلام صفة كمال في المخلوق، فالخالق أولى به، وهو معطي الكمال، فلو نفينا عنه الكلام لكان غيره أكمل منه، وكفى بذلك قبحاً.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: القصاص يوم القيامة، برقم: (٦٥٣٩)، ومسلم، ك: الزكاة، ب: الحق على الصدقة ولو بشق تمرة، برقم: (١٠١٦).

(٢) أخرجه البخاري، ك: أحاديث الأنبياء، ب: قصة يأجوج ومأجوج، برقم: (٣٣٤٨)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: قوله : (يقول الله لآدم: أخرج بعث النار...)، برقم: (٢٢٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٩٥)، والطبراني في مسند الشاميين برقم: (١٥٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٧ - ٤٣٨)، وغيرهم، وحسنه المنذري والألباني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب برقم: (٣٦٠٨).

س٣٨: ضل في مسألة كلام الله طوائف عديدة، وحبس الإمام أحمد بن حنبل من أجل أنه امتنع أن يقول هو مخلوق، كما أوذي غيره بسببها من الخليفة المأمون الذي تمذهب بمذهب المعتزلة، وأيد مذهبهم بالقوة، ثم تابعه المعتصم من بعده.

اذكر أقوال الطوائف في كلام الله تعالى مع ذكر شيء من المفاسد المترتبة على نفي صفة الكلام عن الله تعالى؟

ج٣٨: مسألة كلام الله تعالى هي من أهم المسائل التي اضطربت فيها آراء الناس واختلفت أقوالهم، وتفرقوا شيعاً وأحزاباً، ومنها حدثت فتنة خلق القرآن الكريم، وإنكار صفة الكلام لله تعالى.

وأول من أظهر هذه الفتنة في الإسلام - أعني: فتنة خلق القرآن - الجعد بن درهم في أوائل المئة الثانية وضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق بواسط يوم الأضحى حيث خطب فقال: «أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه».

وبعد ذلك قوّى عظامها بشر المريسي في أوائل القرن الثالث حتى بلغت ذروتها، وتعرض علماء السلف كإمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل وغيره على أيديهم فيها إلى أنواع من البلاء والأذى.

ثم إن اختلاف الناس في مسألة القرآن يرجع إلى اختلافهم في صفة الكلام، ويجدر بنا في هذا المقام سرد أقوال الناس في صفة الكلام.

افترق الناس في مسألة إثبات الكلام لله على تسعة أقوال:

الأول: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس المستعدة من المعاني، وهو مذهب الصابئة والمتفلسفة.

الثاني: أن كلام الله مخلوق خلقه الله منفصلا، وهو مذهب المعتزلة.

الثالث: أن كلام الله معنى واحد قائم بذات الله، وهو الأمر، والنهي، والخبر، والاستخبار، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وهو قول ابن كلاب ومن وافقه.

الرابع: أن كلام الله حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهو قول طائفة من

أهل الكلام، ومن أهل الحديث.

الخامس: أن كلام الله حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً، وهو قول الكرامية، وغيرهم.

السادس: أن كلام الله يرجع إلى ما يحدث من علمه وإرادته القائمة بذاته، وذهب إليه الرازي وغيره.

السابع: أن كلام الله يتضمن معنى قائماً بذاته، هو ما خلقه في غيره وهو قول أبي المنصور الماتريدي.

الثامن: أن كلام الله مشترك بين المعنى القديم القائم بذاته، وبين ما يخلقه الله في غيره، وهو قول أبي المعالي الجويني ومن تبعه.

التاسع: قول أهل السنة وأئمة الحديث: إنّه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وهو يتكلم بكلامه، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً.

وأما المفاسد المترتبة على نفي صفة الكلام عن الله فمنها:

١- كون المخلوق أكمل من الخالق؛ لأنه إذا كان الكلام صفة كمال فالمخلوق يتكلم، فلو نفى الكلام عن الله لنفيت صفة كمال عنه مع اتصاف العبد بها.

٢- تعطيل صفة الباري سبحانه وتشبيهه بالحادث.

٣- نفي النبوة، والأنبياء، والرسل، بل نفي ذات الله بالكلية.

س٣٩: صفة الكلام من المسائل التي خالف فيها الأشاعرة مذهب أهل السنة والجماعة، حيث سلكوا طريقاً لم يسلكه أحد قبلهم، وضِّح ذلك؟

ج٣٩: الأشاعرة في هذا المسلك سلكوا طريقاً لم يسلك قبلهم حيث أثبتوا لله كلاماً، وأنه سبحانه متكلم حقيقة، غير أنهم جعلوا كلامه معنى قائماً بذاته غير متعلق بالمشيئة والإرادة، واتفقوا على أن كلامه سبحانه وتعالى ليس بحرف ولا صوت، وأن القرآن الذي نتلوه ونقرؤه مخلوق، وأنه عبارة عن كلام الله، أو حكاية عن كلام الله، والسبب الذي استدعى الأشاعرة أن يسلكوا هذا المسلك هو تقصيرهم في لم السنة، واعتبارها أحاديث آحاد لا تفيد علماً، ومن الأسباب أيضاً تسليمهم للمعتزلة بعض أصولهم الفاسدة، وقد صرحوا بأن الكلام اللفظي مخلوق وحادث، ولكن لا يقال إلا في مقام التعليم.

قال في الجوهرة:

ونزه القرآن أي كلامه عن الحدوث واحذر انتقامه
وكل نص للحدوث دلا احمل على اللفظ الذي قد دلا

قال الباجوري في تحفة المريد تحت البيت الأول ما نصه: «مذهب أهل السنة - يعني: الأشاعرة - أن القرآن بمعنى الكلام النفسي، ليس بمخلوق، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو مخلوق، لكن يمتنع أن يقال: القرآن مخلوق، ويراد به اللفظ الذي نقرؤه إلا في مقام التعليم؛ لأنه ربما أوهم أن القرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق»(١).

ومن الأشاعرة من قال: إن الألفاظ التي نقرؤها تدل على الكلام القديم.

ومنهم من زعم أن المنزل المعنى، وعبر عنه جبريل بألفاظ من عنده.

وقيل: عبر عنه النبي ﷺ بألفاظ من عنده.

لذا قال الإمام أبو نصر السجزي: «اعلموا - أرشدنا الله وإياكم - أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب والقلانسي والأشعري وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة، وهو معهم، بل أخص منهم في الباطن من أن الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً، ذا تأليف واتساق، وإن اختلفت به اللغات، وعبر عن هذا المعنى الأوائل الذين تكلموا في العقليات، وقالوا: الكلام حروف منسقة، وأصوات متقطعة، فالإجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفاً وصوتاً»(٢).

س ٤٠: كيف ترد على الأشاعرة في قولهم: إن الكلام معنى واحد، هو الأمر، والنهي، والخبر، والاستخبار، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة؟

ج ٤٠: هذا الكلام مخالف للأدلة من الكتاب والسنة؛ إذ من المعلوم بالضرورة بالعقل والدين أن التوراة إذا عربناها لم يكن معناها معنى القرآن، والقرآن إذا ترجمناه إلى العبرانية لم يكن توراة، ومعنى آية الكرسي ليس معنى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ومعنى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ليس معنى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، ومعنى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ليس معنى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، وأن الكل يسمى كلام الله، كما نسمي زيداً إنساناً، وعمراً إنساناً، وليس عين زيد عين عمرو.

---

(١) تحفة المريد.

(٢) الحرف و الصوت للسجزي.

س٤١: اذكر شبهات الأشاعرة في دعواهم أن كلام الله ليس بحرف، ولا صوت؟ وكيف ترد عليهم؟

ج٤١: شبهات الأشاعرة في دعواهم أن كلام الله ليس بحرف ولا صوت هي ما يلي:

الأول: أن المؤمن لتأخذه الدهشة والاستغراب من هؤلاء الذين أفنوا أعمارهم في دراسة العلوم، ولا سيما في علم الكلام الذي سموه: علم التوحيد، وهو خال عنه، ومع ذلك فاتهم الفرق بين الخالق والمخلوق، وذلك لاستيلاء الأقيسة الكلامية على أدمغتهم حتى أذهلتهم عن المغايرة بين الخالق وبين المخلوق، إذ ما زعموه من المخارج والأدوات، وتعاقب الحروف وما إلى ذلك مما نقموه من الشبه الواهية التي هي أوهى من بيت العنكبوت، إنما تصح في المخلوق الذي يتكلم بفم ولسان، ولا يكون كلامه إلا بتعاقب الحروف لا الخالق جل وعلا القائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، هذا هو الوجه الأول من رد الشبه.

الثاني: أن يقال لهم: أما تعلمون أن الله قال في كتابه: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]، فهل الأيدي والأرجل التي ستتكلم يوم القيامة، وتشهد على الإنسان بما عمل، لها فم ولسان ومخرج، أم أنها تنطق بقدرة الله من غير أن يلزم أن يكون لها ذلك!؟

الثالث: الحجر الذي سلم على النبي ﷺ والذراع الذي سمته اليهودية للنبي ﷺ، ونطق بأنه مسموم، هل كان لهما لسان ومخرج؟!

الرابع: قد شاهد الناس في هذا العصر «الفوتوغراف الحاكي والمسجّل» يتكلمان، وليس فيهما مخارج وأدوات، فإن قيل: إن الكلام مسجل فيهما، وينطقان بحسب ما سجل، قلنا: نعم، وكيف ينطقان كلاماً فصيحاً بغير أن يكون لهما لسان وحلق وفم؟!

الخامس: قولهم: «إن الصوت يستحيل بقاءه» لم يقيموا على هذا دليلًا لا نقلياً ولا عقلياً يصح عليه الاعتماد، وكل ما هنالك فلسفة من تفلسف المعتزلة والجهمية.

وقد ثبت في هذا العصر أن الأصوات باقية في الجو، وأنهم يحاولون جذبها، وها هو المذياع يذيع في أوروبا وأمريكا، ويسمعه العالم في أرجاء المعمورة، فلو كان بمجرد خروجه من الفم يفنى، لما أمكن جذبه وسماعه بالنسبة للنائين بمئات الألوف من الأميال[1].

---

(١) انظر: العقائد السلفية (ص٢٤٥ - ٢٤٦).

س٤٢: بين مذهب السلف في صفة الكلام على وجه التفصيل؟

ج٤٢: يثبت السلف صفة الكلام لله تعالى وهي كسائر الصفات الأخرى إثبات معلوم المعنى، ومجهول الكيفية، وهي صفة ذات وفعل، يتكلم متى شاء، وكيف شاء، وهو حروف وأصوات يُسمعها من يشاء من مخلوقاته، وإن الكلام بصوت ليس كصوت المخلوقين، وكلامه قديم النوع، كما أن سائر صفات الله تعالى قديمة، كما أنهم أجمعوا على أن موسى عليه السلام سمع كلام الله من الله تعالى، لا من الشجر أو الحجر أو من غيره، كما قالت الجهمية والمعتزلة؛ لأنه لو سمع من غير الله تعالى، لكان بنو إسرائيل أفضل منه في ذلك، فإنهم سمعوا من أفضل ممن سمع منه موسى؛ لكونهم سمعوا من موسى عليه السلام، وهو على زعمهم إنما سمع من الشجرة وهو غير معقول.

وكذلك لم يجز أن يكون الكلام الذي سمعه إلا صوتاً وحرفا، وليس معنى في النفس، فإنه لو كان معنى في النفس كما زعمت الكلابية، والأشاعرة، والماتريدية، لم يكن ذلك تكليماً لموسى عليه السلام، ولا هو شيء يسمع.

فالقرآن عند السلف كلام الله تعالى، ووحيه وتنزيله في معاني توحيده، ومعرفة آياته، وأنه غير مخلوق بحروفه ومعانيه، فهو كلام الله تعالى حقيقة إلى من قاله مبتدئاً وإلى من قاله مبلغاً ومؤدياً، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية كلام الله أو عبارة عنه، كما قالت الكلابية والأشاعرة والماتريدية.

ولما شاعت المحنة في عهد المأمون، وكثر اختلاف الناس وتنازعهم في ذلك، التزم السلف بوصف القرآن أنه غير مخلوق بياناً للحق ورداً على ما شاع من بدعة الجهمية والمعتزلة من أن القرآن مخلوق.

قال الإمام البخاري رحمه الله في خلق أفعال العباد[1]: «القرآن كلام الله غير مخلوق».

وقال كذلك: «حركاتهم، وأصواتهم، واكتسابهم، وكتابتهم مخلوقة، وأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعي في القلوب، فهو كلام الله ليس بمخلوق، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]».

ويقول ابن خزيمة في التوحيد: «باب الأدلة التي تدل على أن القرآن كلام الله الخالق،

(١) خلق أفعال العباد.

وقوله غير مخلوق، لا كما زعمت الكفرة من الجهمية المعطلة»، ثم ذكر الأدلة على ذلك[١].

رؤية الله حق لأهل الجنة

قال الطحاوي: «والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطةٍ ولا كيفيةٍ، كما نطقَ به كتابُ ربِّنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وتفسيرُه على ما أرادَ اللهُ تعالى وعَلِمَه، وكلُّ ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأوّلين بآرائِنا، ولا متوهِّمين بأهوائِنا، فإنه ما سَلِم في دينِه إلا من سلَّم لله ﷻ، ولرسوله ﷺ، وردَّ عِلْمَ ما اشتبه عليه إلى عالمِه، ولا تثبت قدمُ الإسلامِ إلا على ظهرِ التسليم والاستسلام».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[المخالفون في مسألة رؤية الله:]

المخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب السنة. وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين وأهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة.

[شرف مسألة الرؤية:]

وهذه المسألة من أشرفِ مسائلِ أصولِ الدِّين، وأجلِّها، وهي الغايةُ التي شمَّر إليها المشمِّرون، وتنافس فيها المتنافِسُون، وحُرِمها الذين هم عن ربِّهم يومئذ محجوبون، وعن بابِه مردودون.

[من أدلة رؤية الله تعالى:]

وقد ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ من الأدلة قولَه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢ - ٢٣]، وهي من أظهر الأدلة.

فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه:

---

(١) التوحيد (ص١٦٦).

فإن عدي بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار، قال تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].

وإن عدي بـ «في» فمعناه: التفكر والاعتبار كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٤].

وإن عدي بـ «إلى» فمعناه: المعاينة بالأبصار كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩]، فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر!

وقال عكرمة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، قال: من النعيم، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى ربها نظراً، ثم حكى عن ابن عباس مثله.

وهذا قول المفسرين من أهل السنة والحديث.

وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، قال الطبري: قال علي بن أبي طالب وقال أنسُ بن مالك: هو النظر إلى وجه الله ﷻ.

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظرُ إلى وجهه الكريم.

فسَّرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة من بعده، كما روى مسلم في صحيحه عن صهيب، قال: «قرأ رسول الله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: **إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، نادى منادٍ: يا أهلَ الجنة إنَّ لكم عند الله موعداً يُريدُ أن ينجزَكُموه، فيقولون: ما هو؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحبّ إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة**»[1].

[احتجاج الشافعي للرؤية:]

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، احتج الشافعي رحمه الله وغيرُه من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة.

قال الشافعي: «لـمَّا أن حُجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليلٌ على أن أولياءه يرونه في الرضى».

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ، برقم: (١٨١).

[الأبصار لا تدرك الله لعظمته:]

هذا، وأما قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فيدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٢]، فلم ينف موسى الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به علما، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.

[تواتر الأحاديث المثبتة للرؤية:]

والأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية متواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن.

فمنها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: **هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟** قالوا: لا يا رسول الله، قال: **هل تضارُّون الشمس ليس دونها سحاب؟** قالوا: لا، قال: **فإنكم ترونه كذلك**»، متفق عليه(١).

وحديث أبي سعيد الخدري أيضاً في الصحيحين(٢) نظيره، ومن حديث عدي بن حاتم: «وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه حجاب، ولا ترجمان يترجم له »(٣).

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً.

[تشبيه الرؤية بالرؤية لا يقتضي تشبيه المرئي بالمرئي:]

وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهاً لله، بل هو تشبيهُ الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمَرئي.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الأذان، ب: فضل السجود، برقم: (٨٠٦)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: معرفة طريق الرؤية، برقم: (١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري، ك: فضائل المدينة، ب: آطام المدينة، برقم: (١٨٧٨)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: معرفة طرق الرؤية، برقم: (١٨٣).

(٣) أخرجه البخاري، ك: الزكاة، ب: الصدقة قبل الرد، برقم: (١٤١٣)، ومسلم، ك: الزكاة، ب: الحق على الصدقة ولو بشق تمرة، برقم: (١٠١٦).

[الخلق لا يحيطون بالله علماً:]

وقوله: «بغير إحاطة ولا كيفية»، هذا لكمالِ عظمتِه وبهائِه سبحانه وتعالى، فلا تُدركه الأبصارُ، ولا تُحيط به، قال تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠].

[قبول نصوص الصفات دون تأويل محرف لها:]

وقوله: «وتفسيره على ما أراد الله وعَلِمه...»، إلى أن قال: «...لا ندخل في ذلك متأولين بآرائِنا ولا متوهِّمين بأهوائِنا» هو ردٌّ على بعض الفرق التي أَوَّلت نصوصَ الكتاب والسنة في الرؤية، وحرفت كلام الله وكلام رسوله ﷺ عن مواضعه.

فالتأويل الصحيح هو الذي يوافق ما جاءت به السنة، والفاسد المخالف له، فكل تأويل لم يدل عليه دليل من السياق، ولا معه قرينة تقتضيه فإن هذا لا يقصده المبين العادي بكلامه؛ إذ لو قصده لحف بالكلام قرائن تدل على المعنى المخالف لظاهره، حتى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ، فإن الله أنزل كلامه ببيان وهدى، فإذا أراد به خلاف ظاهره، ولم يحف به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كل أحد لم يكن بيانا، ولا هدى، فالتأويل إخبار بمراد المتكلم لا إنشاء.

[منشأ التأويل في الصفات عند أهله:]

وحقيقة الأمر أن قول القائل: نحمله على كذا، أو نتأوله بكذا، إنما هو من باب دفع دلالة اللفظ عما وضع له، فإن منازعه لما احتج عليه به ولم يمكنه دفع وروده، دفع معناه، وقال: أحمله على خلاف ظاهره.

[السلامة في التسليم لله ورسوله ﷺ:]

وقوله: «فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله ﷻ ولرسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه»، أي: سلم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة، أو بقوله: العقل يشهد بضد ما دل عليه النقل، أو العقل أصل النقل فإذا عارضه قدمنا العقل، وهذا لا يكون قط، لكن إذا جاء ما يوهم مثل ذلك، فإن كان النقل صحيحا فذلك الذي يدعى أنه معقول إنما هو مجهول، ولو حقق النظر لظهر ذلك، وإن كان النقل غير صحيح فلا يصلح للمعارضة، فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبدا.

[الواجب كمال التسليم للشرع:]

فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولا، أو نحمله شبهة أو شكا، أو نقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فنوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما نوحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.

[شدة تحريم القول على الله بغير علم:]

ولا شك أن الله قد حرم القول عليه بغير علم، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦]، فعلى العبد أن يجعل ما بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يعرضه عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل، وإن لم يعلم هل خالفه أو وافقه يكون ذلك الكلام مجملا لا يعرف مراد صاحبه، أو قد عرف مراده لكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه أو بتكذيبه، فإنه يمسك عنه ولا يتكلم إلا بعلم، والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول، وقد يكون علم من غير الرسول لكن في الأمور الدنيوية مثل الطب والحساب والفلاحة، وأما الأمور الإلهية والمعارف الدينية فهذه العلم فيها ما أخذ عن الرسول لا من غيره.

وقوله: «**ولا تثبت قدمُ الإسلامِ إلا على ظهرِ التسليم والاستسلام**».

[ثبات الإسلام بالتسليم للنصوص:]

هذا من باب الاستعارة، إذ القَدَم الحِسِّيُّ لا تثبتُ إلا على ظهر شيء، أي: لا يثبت إسلامُ مَن لم يسلِّم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها، ولا يُعارضها برأيِه ومعقوله وقياسه.

روى البخاري(١) عن الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله أنه قال: «مِن الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم». وهذا كلامٌ جامعٌ نافعٌ.

توضيح كلام الطحاوي وابن أبي العز، وتحته مطلبان:

---

(١) انظر: صحيح البخاري (ص١٥٨٢).

المطلب الأول: المسائل العقدية التي ذكرها ابن أبي العز في شرحه.

تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا....ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- المخالفون في مسألة رؤية الله. ٢- شرف مسألة الرؤية.

٣- من أدلة رؤية الله تعالى. ٤- احتجاج الشافعي للرؤية.

٥ - الأبصار لا تدرك الله لعظمته. ٦- تواتر الأحاديث المثبتة للرؤية.

٧- تشبيه الرؤية بالرؤية لا يقتضي تشبيه المرئي بالمرئي.

٨- الخلق لا يحيطون بالله علماً.

٩- قبول نصوص الصفات دون تأويل محرف لها.

١٠- منشأ التأويل في الصفات عند أهله.

١١- السلامة في التسليم لله ورسوله ﷺ. ١٢- الواجب كمال التسليم للشرع.

١٣- شدة تحريم القول على الله بغير علم. ١٤- ثبات الإسلام بالتسليم للنصوص.

المطلب الثاني: شرح كلام الطحاوي.

أن أهل السنة والجماعة اتفقوا على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم، رؤية حقيقية من غير شك، يرونه جميعاً من فوقهم في وقت واحد، كما يرون الشمس ظهراً والقمر بدراً.

وقد اتفق أهل العلم على أن الله لا يرى في الدنيا بالأبصار.

واختلفوا في ثبوت الرؤية للنبي ﷺ ليلة المعراج.

قال ابن خزيمة: «إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم الميعاد، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين»(١).

قال الآجري: «وأما أهل السعادة: فهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، فآمنوا بالله وحده، ولم يشركوا به شيئا، وصدقوا القول بالفعل، فأماتهم على ذلك، فهم في قبورهم ينعمون، وعند المحشر يبشرون، وفي الموقف إلى الله تعالى بأعينهم ينظرون، وإلى الجنة

---

(١) انظر: حادي الأرواح (ص ٢٤٥).

بعد ذلك وافدون، وفي نعيمها يتفكهون، وللحور العين معانقون، والولدان لهم يخدمون، وفي جوار مولاهم الكريم أبدا خالدون؛ ولربهم تعالى في داره زائرون، وبالنظر إلى وجهه الكريم يتلذذون، وله مكلمون، وبالتحية لهم من الله تعالى والسلام منه عليهم يكرمون»(١).

قال الصابوني: «ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم، وينظرون إليه على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ في قوله: «**إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**»، والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية لا للمرئي»(٢).

وذكر الأشعري مذهب أهل السنة والحديث في الرؤية فقال: «ويقولون: إن الله سبحانه يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون، لأنهم عن الله محجوبون قال الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وأن موسى عليه السلام سأل الله سبحانه الرؤية في الدنيا، وأن الله سبحانه تجلى للجبل فجعله دكا، فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة»(٣).

وقال عبد الغني المقدسي في عقيدته: «وأجمع أهل الحق، واتفق أهل التوحيد والصدق، أن الله يرى في الآخرة، كما جاء في كتابه، وصح به النقل عن رسوله...»، ثم ذكر بعض الأدلة على ذلك، وقال: «قال أحمد بن حنبل: من قال إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر»(٤).

وذكر ابن قدامة مذهب السلف في الرؤية فقال: «والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم، ويزورونه، ويكلمهم ويكلمونه، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فلما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضا، وإلا لم يكن بينهما فرق...»، ثم ذكر حديث جرير في الرؤية، وقال: «وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي، فإن الله تعالى لا شبيه له، ولا نظير»(٥).

وهذه الرؤية هي أكبر سعادة للمؤمنين، وأجلها وأعلاها على الإطلاق.

قال عثمان بن سعيد الدارمي: «فأما في الآخرة فما أكبر نعيم أهل الجنة إلا النظر إلى

---

(١) التصديق بالنظر إلى وجه الله ﷻ (ص ٢٥١).
(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (١/ ١٢٢).
(٣) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٢٢).
(٤) عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (ص ٣٠ - ٣١) (ضمن المجموعة العلمية السعودية).
(٥) لمعة الاعتقاد (ص ٣٣).

وجهه، والخيبة لمن حرمه، وما تعجبون من أن كان الله ولا شيء من خلقه، ثم خلق الخلق ثم استوى على عرشه فوق سماواته، واحتجب من خلقه بحجب النار والظلمة كما جاءت به الآثار، ثم أرسل إليهم رسله يعرفهم نفسه بصفاته المقدسة ليبلو بذلك إيمانهم، أيهم يؤمن به، ويعرفه بالغيب ولم يره، وإنما يجزى العباد على إيمانهم بالله بالغيب...» إلى أن قال: «... فإذا كان يوم القيامة تجلى لمن آمن به، وصدق رسله، وكتبه، وآمن برؤيته، وأقر بصفاته التي وصف بها نفسه، حتى يروه عيانا مثوبة منهم لهم وإكراما، ليزدادوا بالنظر إلى من عبدوه بالغيب نعيما، وبرؤيته فرحا واغتباطا، ولم يحرموا رؤيته في الدنيا والآخرة جميعا، وحجب عنه الكفار يومئذ إذ حرموا رؤيته كما حرموها في الدنيا؛ ليزدادوا حسرة وثبورا»[(١)].

وقد تعددت أدلة السلف وتنوعت، وذلك فيما يتعلق بإثبات الرؤية:

فمنها قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، ووجه الاستدلال من الآية هو أن النظر في اللغة يردُ لمعانٍ مختلفة، فإذا تجرد عن الصلات، وتعدى بنفسه كان بمعنى التوقف والانتظار، ومنه قوله تعالى: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].

وإذا عدّي بـ «في» كان معناه التفكر والاعتبار، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وإذا عدّي بـ «إلى» كان معناه المعاينة بالأبصار، خاصة إذا أضيف إلى الوجه هو محل البصر، فلا يحتمل إلا الرؤية[(٢)].

قال الأشعري: لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه فمعناه نظر العين؛ ولذلك إذا ذكر النظر مع الوجه لم يكن معناه نظر الانتظار الذي يكون للقلب[(٣)].

وقال ابن قتيبة: «ما ننكر أن «نظرت» قد يكون بمعنى انتظرت، وأن الناظر قد يكون بمعنى المنتظر، غير أنه يقال: أنا لك ناظر، أي: أنا لك منتظر، ولا يقال: أنا إليك ناظر، أي: إليك منتظر، إلا أن يريد نظراً بعين، والله يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، ولم يقل: لربها ناظرة»[(٤)].

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي (ص ٦٤).
(٢) انظر: حادي الأرواح (ص ٢١٠)، ضوء الساري (ق ٣).
(٣) الإبانة للأشعري (٢/ ٣٦). - طبعة دار الأنصار بمصر -.
(٤) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية (ص ٢٣٨).

فهذه الآية صريحة الدلالة على الرؤية حقيقة، لا على غيرها، ولم ينكرها إلا المعطلة من الجهمية والمعتزلة.

ومن هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

وقد ذكر المفسرون في المراد بالزيادة في الآية الأولى أنه رؤية الله ﷻ، وهو تفسير مأثور رواه جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ مرفوعاً وموقوفاً.

فجاء عن صهيب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، نودي: يا أهل الجنة! إن لكم موعداً، قالوا: وما هو؟ ألم يبيض وجوهنا؟ ويدخلنا الجنة؟ وينجينا من النار؟** قال: **فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم منه، ثم تلا** هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾»(١).

وعن أنس بن مالك أنه: «سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: **للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنة، وهي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله**»(٢).

كما ورد ذلك أيضاً عن أبي موسى الأشعري، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وغيرهم من الصحابة(٣).

وأيضاً ورد أن أبا بكر قرأ هذه الآية أو قرئت عليه، فقال: هل تدرون ما الزيادة؟ الزيادة: النظر إلى وجه ربنا.

قال البيهقي: «وروينا في إثبات الرؤية عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبي موسى، وغيرهم رضي الله عنهم، ولم يرو عن أحد منهم نفيها، ولو كانوا فيه مختلفين لنقل اختلافهم إلينا، وكما أنهم لما اختلفوا في رؤيته بالأبصار في الدنيا نقل اختلافهم في ذلك إلينا، فلما نقلت رؤية الله بالأبصار عنهم في الآخرة ولم ينقل عنهم في ذلك اختلاف يعني في الآخرة كما نقل عنهم فيها اختلاف في

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، برقم: (١٨١).

(٢) تفسير الطبري (١١/ ١٠٦).

(٣) انظر: التوحيد لابن خزيمة (ص ١٨٤)، الرد على الجهمية للدارمي (ص ٥٦، ٥٧)، الشريعة (ص ٢٦٠ - ٢٧٠)، الاعتقاد (ص ٤٨)، الرؤية للدارقطني (٢/ ٩٩/ ٢).

الدنيا علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار في الآخرة متفقين مجتمعين»[١].

وكذلك فُسِّر المزيد في الآية الأخرى بما فسرت به الزيادة.

قال ابن كثير: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] كقوله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وقد سبق أن معنى الزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، ثم سرد بعض الأحاديث والآثار الدالة على ذلك[٢].

ومن هذه الأدلة: قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، وقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ١١٠].

قال الآجري في الشريعة: «واعلم - رحمك الله - أن عند أهل العلم باللغة أن اللقي هاهنا لا يكون إلا معاينة، يراهم الله ﷻ ويرونه، ويسلم عليهم، ويكلمهم، ويعلمونه»[٣].

وقال ابن بطة: «سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد صاحب اللغة يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً يقول: أجمع أهل اللغة على أن اللقاء هاهنا لا يكون إلا معاينة ونظراً بالأبصار»[٤].

وقال ابن القيم: «وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية»[٥].

ومن هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

قال الرازي: «فإن إحدى القراءات في هذه الآية مَلِكا - بفتح الميم وكسر اللام -، وأجمع المسلمون على أن ذلك الملك ليس إلا الله، وعندي التمسك بهذه الآية أقوى من التمسك بغيرها»[٦].

وقال الألوسي: قيل هو النظر إلى الله ﷻ[٧].

فعلى القراءة المذكورة تكون دلالة الآية على الرؤية ظاهرة.

ومن هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ووجه الاستدلال من هذه الآية هو أن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدح،

---

(١) الاعتقاد (ص ٥٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٩).
(٣) الشريعة (ص ٢٥٢).
(٤) انظر: حادي الأرواح (ص ٢٤٥).
(٥) حادي الأرواح (ص ٢٠٤).
(٦) التفسير الكبير (١٣/ ١٣١).
(٧) روح المعاني (٢٩/ ١٦١).

ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به، وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجودياً كتمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ولهذا لم يمتدح بعدم المحض الذي لا يتضمن أمراً ثبوتيا، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فلو كان المراد بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ أنه لا يرى بحال، لم يكن في ذلك مدح ولا كمال؛ لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم الصرف لا يرى، ولا تدركه الأبصار، والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض، فإذاً المعنى أنه يرى ولا يدرك، ولا يحاط به؛ لأن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية(١).

قال ابن خزيمة: «ولو كان معنى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ على ما تتوهمه الجهمية المعطلة الذين يجهلون لغة العرب، فلا يفرقون بين النظر وبين الإدراك، لكان معنى قوله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ أي: أبصار أهل الدنيا قبل الممات»(٢).

ومن هذه الأدلة: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والاستدلال بالآية من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن موسى عليه السلام سأل الرؤية، ولو امتنع كونه تعالى مرئياً لما سأل؛ لأنه حينئذ إما أن يعلم امتناعه أو يجهله، فإن علمه فالعاقل لا يطلب المحال الممتنع؛ لأنه عبث، والأنبياء منزهون عنه، وإن جهله فالجاهل بما لا يجوز على الله، ويمتنع ليكون نبيا كليماً، وقد قال تعالى: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤](٣).

قال ابن قتيبة: «وفي قول موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ أبين الدلالة على أنه يرى في القيامة، ولو كان الله لا يرى في حالٍ من الأحوال، ولا يجوز عليه النظر، لكان موسى قد خفي عليه من صفة الله ما علموه»(٤).

---

(١) حادي الأرواح (ص ٢٠٨).
(٢) التوحيد (ص ١٨٥).
(٣) انظر: ضوء الساري (ق٣٨).
(٤) الاختلاف في اللفظ (ص ٢٣٨).

الوجه الثاني: أن الله تعالى لم ينكر عليه لما طلب الرؤية، ولو كانت محالة لأنكر عليه كما أنكر على نوح لما سأله نجاة ابنه من الغرق حيث قال: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]، ففي إنكاره تعالى على نوح دليل على عدم جواز ما طلب، وعدم الإنكار على موسى دليل الجواز وعدم الامتناع[١].

الوجه الثالث: أنه تعالى علق الرؤية على أمر جائز، وهو استقرار الجبل، والمعلق على الجائز جائز، فيلزم كون الرؤية في نفسها جائزة[٢].

قال عثمان بن سعيد الدارمي: «ألا ترى أنه يقول: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولو شاء لاستقر الجبل، ورآه موسى، ولكن سبقت منه الكلمة أن لا يراه أحد في الدنيا، فلذلك قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، فأما في الآخرة فإن الله تعالى ينشيء خلقه، فيركب أسماعهم وأبصارهم للبقاء، فيراه أولياؤه جهرا كما قال رسول الله ﷺ»[٣].

ومن هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

والاستدلال بهذه الآية على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة استدلال بالمفهوم، حيث قال سبحانه عن الكفار: ﴿إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾، فجعل عقوبتهم كونهم محجوبين عن رؤيته سبحانه، وهذا يدل على أن المؤمنين لا يحجبون، وإلا لا يكون فضل للمؤمنين على الكفار[٤].

قال الإمام الشافعي: «لما حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا»[٥].

قال عثمان بن سعيد الدارمي: «ففي هذا دليل على أن الكفار ككلهم محجوبون عن النظر إلى الرحمن ﷻ، وأن أهل الجنة غير محجوبين عنه»[٦].

قال البيهقي: «فلما عاقب الكفار بحجبهم عن رؤيته دل على أنه يثيب المؤمنين برفع الحجاب لهم عن أعينهم حتى يروه»[٧].

---

(١) انظر: حادي الأرواح (ص ٢٠٣).

(٢) انظر: الإنصاف (ص ١٧٩)، المحصل (ص ١٩١)، حادي الأرواح (ص ٢٠٣).

(٣) الرد على الجهمية (ص ٦٥).

(٤) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٣٢).

(٥) انظر: حادي الأرواح (ص ٢٤٣).

(٦) الرد على الجهمية (ص ٥٣).

(٧) الاعتقاد (ص ٤٦-٤٧).

ولذا قال الإمام أحمد: «إنا لنرجو أن يكون الجهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم، ويحجبون عن الله؛ لأن الله قال للكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فإذا كان الكافر يحجب عن الله، والمؤمن يحجب عن الله، فما فضل المؤمن على الكافر»(١).

وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في إثبات الرؤية فجاءت عن أكثر من خمسة وعشرين صحابياً.

قال ابن تيمية: «إنه قد ثبت بالسنة المتواترة، وباتفاق سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من أئمة أهل الإسلام الذين ائتموا بهم في دينهم، أن الله ﷻ يرى في الدار الآخرة بالأبصار عياناً، وقد دل على ذلك القرآن في مواضع، كما هو مذكور في مواضعه، والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة متواترة في الصحاح والسنن والمسانيد، وقد اعتنى بجمعها أئمة»(٢).

وقال ابن كثير: «وأحاديث الرؤية لله يوم القيامة متواترة، رواها جماعة من الصحابة»(٣).

منها: حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: «كنا عند رسول الله ﷺ ليلة البدر، فقال: **هل ترون هذا القمر؟** قلنا: نعم، قال: **هكذا ترون ربكم يوم القيامة، لا تضارون في رؤيته**»(٤).

ومنها: حديث أبي سعيد الخدري قال: «قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: **هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا**، قلنا: لا، قال: **فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ، إلا كما تضارون في رؤيتهما**»(٥).

ومن هذه الأدلة: حديث أبي هريرة قال: «إِنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: **فَهَل تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: **فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**»(٦).

---

(١) الرد على الزنادقة (ص ٣٤).
(٢) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٤٨).
(٣) النهاية لابن كثير (٢/ ٢٨٥).
(٤) أخرجه البخاري، ك: مواقيت الصلاة، ب: فضل صلاة العصر، برقم: (٥٥٤)، ومسلم، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، برقم: (٦٣٣).
(٥) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، برقم: (٧٤٣٩)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: معرفة طريق الرؤية، برقم: (١٨٣).
(٦) أخرجه البخاري، ك: الأذان، ب: فضل السجود، برقم: (٨٠٦)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: معرفة طريق الرؤية، برقم: (١٨٢).

ومن هذه الأدلة: حديث عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان**»(١).

فجميع ما سبق من الأحاديث وغيرها تدل على صحة ما ذهب إليه أهل السنة، وهو أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم، وأن الكفار والمشركين يحجبون عنه سبحانه، وقد رواها جماعة من الصحابة عن الرسول ﷺ حتى بلغت حد التواتر.

قال ابن قتيبة: «والخبر في الرؤية ليس من الأخبار التي يدفعها إلا جاهل أو معاند ظالم لتتابع الروايات به من الجهات الكثيرة من الثقات»(٢).

قال عثمان بن سعيد الدارمي بعد ما ذكر الأحاديث الدالة على الرؤية: «فهذه الأحاديث كلها أوأكثر منها قد رويت في الرؤية على تصديقها والإيمان بها، أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، ولم يزل المسلمون قديما وحديثا يروونها ويؤمنون بها، لا يستنكرونها ولا ينكرونها، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه إلى الضلال، بل كان من أكبر رجائهم وأجزل ثواب الله في أنفسهم النظر إلى وجه خالقهم حتى ما يعدلون به شيئا من نعيم الجنة»(٣).

الجهمية والمعتزلة:

وقد نفى الجهمية والمعتزلة رؤية الله تعالى في الآخرة بالأبصار وقالوا: إنها مستحيلة؛ لأن البصر لا يدرك إلا ما هو مادي كالأجسام والأشكال، والله تعالى ذات غير مادية، فلا يمكن أن يقع عليه البصر، فالقول برؤية الله مناف للتنزيه - كما يزعمون -، فإنه لو أثبتنا الرؤية فقد أثبتنا له الجسم، وهو شبيه له بالمخلوقات، والله تعالى ليس بجسم، ولا تحده جهة من الجهات، ولو أمكن أن يرى في الآخرة لأمكن رؤيته في الدنيا، وهذا أمر معقول.

فهذه شبهتهم التي أدلت إلى القول بنفي رؤيته سبحانه(٤).

وبه قال طائفة من الخوارج، وجماعة من الشيعة، وبعض المرجئة(٥).

---

(١) تقدم تخريجه (٢) الاختلاف في اللفظ (ص ٢٣٨).

(٣) الرد على الجهمية (ص ٦٣).

(٤) انظر: الرد على بشر المريسي (ص ٤١٣ - ٤١٦)، شرح الأصول الخمسة (ص ٢٣٢)، المغني للقاضي عبد الجبار (٤/ ١٤٤)، التوحيد للمعتزلي النيسابوري (ص ٦١٨)، مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨)، الفصل (٣/ ٢)، الملل والنحل (١/ ٨٨)، مجموع الفتاوى (٦/ ٦٩، ٥٠٠).

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٨٩)، الملل والنحل (١/ ١٦٢)، الإنصاف (ص ١١٧)، الوصية الكبرى (ص ٢٨)، مختصر التحفة الاثنى عشرية (ص ٤٦)، شرح الطحاوية (ص ٢٠٤).

وروى الآجري بسنده إلى حنبل بن إسحاق أنه قال: «سمعت أبا عبد الله يقول: قالت الجهمية: إن الله ﷻ لا يرى في الآخرة، قال الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فلا يكون هذا إلا أن الله ﷻ يرى، وقال ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، فهذا النظر إلى الله ﷻ، والأحاديث التي رويت عن النبي ﷺ: «إنكم ترون ربكم» بروايات صحيحة، وأسانيد غير مدفوعة، والقرآن شاهد على أن الله ﷻ يرى في الآخرة»(١).

وهؤلاء المعطلة استدلوا على نفي الرؤية بأدلة سمعية، وأدلة عقلية، فمن الأدلة السمعية قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فقد ذهبوا إلى أن إدراك البصر في الآية لا يفيد إلا النظر والرؤية، وقالوا بأن نفي إدراك البصر له في الآية تمدحاً راجع لذاته سبحانه، فكان نفيه نقصاً غير جائز في حقه، ونفي إدراك الأبصار له عام في الدنيا والآخرة.

وقالوا أيضاً: ومما يؤيد العموم أن عائشة ﵂ لما أنكرت قول ابن عباس في أن محمداً ﷺ رأى ربه ليلة المعراج تمسكت في نصرة ما ذهبت إليه بهذه الآية، ولو لم تكن هذه الآية مفيدة للعموم بالنسبة إلى كل الأشخاص وكل الأحوال لما تم ذلك الاستدلال، ولا شك أنها من أكثر الناس علماً بلغة العرب فثبت أن هذه الآية دالة على النفي بالنسبة إلى كل الأشخاص وذلك يفيد المطلوب(٢).

وقد أجاب ابن حزم فقال: «هذا لا حجة لهم فيه؛ لأن الله تعالى إنما نفى الإدراك، والإدراك عندنا في اللغة معنى زائد على النظر والرؤية، وهو معنى الإحاطة، وليس هذا المعنى في النظر والرؤية، فالإدراك منفي عن الله تعالى على كل حال في الدنيا والآخرة، برهان ذلك قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٢]، ففرق الله ﷻ بين الإدراك والرؤية فرقا جليا؛ لأنه تعالى أثبت الرؤية بقوله: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾، وأخبر تعالى أنه رأى بعضهم بعضا، فصحت منهم الرؤيا لبني إسرائيل، ونفى الله الإدراك بقول ﵇ لهم: ﴿كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، فأخبر الله تعالى أنه رأى أصحاب فرعون بني إسرائيل، ولم يدركوهم، ولا شك في أن ما نفاه الله

(١) الشريعة (ص٢٥٥).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص ٢٣٢)، المغني للقاضي عبد الجبار (٤/ ١٤٤-١٥٦)، التوحيد للنيسابوري المعتزلي (ص ٦٠١)، التنبيه والرد (ص ١١١)، الغنية (١/ ٩٠).

تعالى ﷻ فهو غير الذي أثبته، فالإدراك غير الرؤية»[1].

وأما استدلال عائشة بهذه الآية فهو استدلال على نفي الرؤية في الدنيا، وليس في الآخرة كما زعم النفاة.

قال ابن معين: سمعت إسماعيل بن علية يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، قال: هذا في الدنيا[2].

قال الإمام أحمد: «أما قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، يعني: الدنيا دون الآخرة، وذلك أن اليهود قالوا لموسى: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [النساء: ١٥٣]، فماتوا وعوقبوا لقولهم أرنا الله جهرة، وقد سأل مشركو قريش النبي ﷺ فقالوا: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٢]، فلما سألوا النبي ﷺ هذه المسألة قال الله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨] حين قالوا: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ الآية، فأنزل الله سبحانه يخبر أنه لا تدركه الأبصار، أي: أنه لا يراه أحد في الدنيا دون الآخرة، حيث قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يعني في الدنيا، أما في الآخرة فإنهم يرونه»[3].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فإنهم استدلوا بالآية على إنكارهم للرؤية، وقالوا: قال الله تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾، و«لن»: موضوعة للتأبيد، وإذا لم يره موسى أبداً، لم يره غيره إجماعاً.

قال الزمخشري: « «لن» إنها لتأكيد النفي الذي تعطيه «لا»، وذلك أن «لا» تنفي المستقبل. تقول: لا أفعل غداً، فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غداً. والمعنى: أنّ فعله ينافي حالي، كقوله: ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣]، فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] نفي للرؤية فيما يستقبل، و ﴿لَن تَرَانِي﴾ تأكيد وبيان؛ لأنّ المنفي مناف لصفاته»[4].

هذا ما قالوا في وجه الدلالة بالنسبة للنفي بـ«لن»، وفي تأبيدها للنفي.

---

(١) الفصل (٢/ ٣).
(٢) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (ص٥٧).
(٣) الرد على الزنادقة (ص ١٣ - ١٤)
(٤) الكشاف (٢/ ١١٣ - ١١٤).

وأجيب عنه بأن «لن» حرف يفيد النفي بغير دوام ولا تأبيد إلا بقرينة خارجة عنه، فإذا دخل على المضارع نفى معناه في الزمن المستقبل المحض غالباً نفياً مؤقتاً يقصر ويطول من غير أن يدوم ويستمر، ومما يدل على عدم كونها للتأبيد المطلق قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥]، مع قوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧][(١)].

فالحاصل أن «لن» لتأكيد نفي ما وقع السؤال عنه، والسؤال إنما وقع لطلب حصول الرؤية في الحال، أي: في الدنيا، فكان قوله: ﴿لَن تَرَانِي﴾ نفياً لذلك المطلوب، وليس نفياً مؤبداً.

كما أنهم استدلوا على نفي الرؤية بأدلة عقلية في زعمهم[(٢)].

وأدلتهم العقلية مردودة لمخالفتها للأدلة السمعية، ومعلوم أن أهل الحق يقدمون السمع على العقل.

وقد أجاب بعض العلماء عن أدلة النفاة[(٣)].

قال ابن تيمية: «فإن من ينكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها، وأنه مضطر فيها إلى التأويل، ثم قال: يا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة، فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه حيث قال: أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء، وكل هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر[(٤)]».

الأشاعرة:

ذهب أكثر الأشاعرة إلى أن الله يرى في الآخرة بالأبصار لثبوت النصوص القطعية بذلك، ولكنهم مع هذا وافقوا المعتزلة في قولهم بنفي الجهة والفوقية والعلو لله تعالى، فأثبتوا الرؤية ونفوا لازمها، وهي الجهة، فشنع المعتزلة عليهم لهذا التناقض المخالف للعقول.

فلما وقع ذلك قال قوم منهم كأبي حامد الإسفراييني وابن الخطيب وأبي المعالي الجويني: إنما هي زيادة انكشاف الرب تعالى لهم، وتمام معرفتهم به، حتى كأنهم يرونه بأعينهم[(٥)].

---

(١) انظر: ضوء الساري (ق٣٢)، حادي الأرواح (ص ٢٠٤).

(٢) انظر: المغني للقاضي عبد الجبار (٤/ ٢١٢)، شرح الأصول الخمسة (ص ٢٤٨)، التوحيد للنيسابوري المعتزلي (ص ٦٠١).

(٣) انظر: الإرشاد للجويني (ص ١٧٧)، الأربعين للرازي (ص ١٩٠، ٢١٧)، الاقتصاد للغزالي (ص ٣٨)، شرح المواقف للجرجاني (٨/ ١٣٩)، بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٤٩).

(٤) الفتوى الحموية الكبرى (ص ١٨).

(٥) انظر: الأربعين (ص ١٩٠، ٢١٧)، المحصل (ص ١٨٩)، غاية المرام (ص ١٥٩)، شرح المواقف =

قال البيجوري في شرحه على الجوهرة رداً على المعتزلة في قولهم: إنه تعالى لو كان مرئياً لكان مقابلًا للرائي بالضرورة، فيكون في جهة وحيز، فقال: إن قولكم لكان مقابلًا للرائي بالضرورة ممنوع، فلزوم الجهة والحيز ممنوع؛ إذ الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه، لا يشترط فيها مقابلة المرئي ولا كونه في جهة وحيز ولا غير ذلك[١].

وهذا هو عين مذهب الماتريدية.

قال النسفي: فيرى سبحانه لا في مكان، ولا على جهة، ومقابلة، واتصال شعاع، وثبوت مسافة بين الرائي وبين الله[٢].

وشرح التفتازاني مذهب الماتريدية في الرؤية فقال: «رؤية الله تعالى بمعنى الانكشاف التام بالبصر، وهو معنى إثبات الشيء كما هو بحاسة البصر، وذلك أنا إذا نظرنا إلى البدر ثم غمضنا العين فلا خفاء في أنه وإن كان منكشفاً لدينا في الحالين لكن انكشافه حال النظر إليه أتم وأكمل، ولنا بالنسبة إليه حينئذ حالة مخصوصة هي المسماة بالرؤية»[٣].

وعلى هذا لا يكون الخلاف بين هؤلاء وبين المعطلة من الجهمية والمعتزلة إلا خلافاً لفظياً لا أكثر.

فالأشاعرة والماتريدية أثبتوا الرؤية وأنكروا الجهة، وقالوا: إنه سبحانه يرى في الآخرة لا بجهة، وحاولوا الجمع بين مذهب السلف والمعطلة، واستدلوا على ذلك بأدلة عقلية واهية.

قال ابن رشد: «وأما الأشعرية فراموا الجمع بين الاعتقادين، أعني: بين انتفاء الجسمية وبين جواز الرؤية لما لبس بجسم بالحسن، فعسر ذلك عليهم، ولجؤوا في ذلك إلى حجج سوفسطائية مموهة، أعني الحجج التي توهم أنها حجج وهي كاذبة»[٤].

والحق أن إثبات رؤية حقيقة بالأبصار من غير مقابلة أو جهة غير معقولة؛ لأن الجهة من لوازم الرؤية، وإثبات الملزوم ونفي اللازم مغالطة صريحة، وقد ثبت بالأحاديث الصحيحة إثبات الرؤية لله تعالى كرؤية الشمس والقمر وهما في جهة، وشبهت الرؤية

= (٨/ ١٣٩)، أصول الدين للبغدادي (ص ٩٨)، الفرق بين الفرق (ص ٣٢٠)، الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٣٨ - ٣٩)، ضوء الساري (ق ٣٤).

(١) تحفة المريد على الجوهرة (ص ١٨).

(٢) شرح العقائد النسفية (ص ١٠٧).

(٣) المصدر السابق (ص ١٠٣).

(٤) مناهج الأدلة (ص ١٧٢).

بالرؤية وليس المرئي بالمرئي، فالرؤية البصرية لا تتم إلا على ما كان في جهة، وتؤيده بما وردت في الكتاب والسنة من الآثار التي تدل على إثبات العلو لله سبحانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا ثبتت رؤيته فمعلوم في بداية العقول أن المرئي القائم بنفسه لا يكون إلا بجهة من الرائي، وهذه الرؤية أخبر بها النبي ﷺ حيث قال: «**ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر**»، فأخبر أن رؤيته كرؤية الشمس والقمر، وهما أعظم المرئيات ظهورا في الدنيا، وإنما يراهم الناس فوقهم بجهة منهم، بل من المعلوم أن رؤية ما لا يكون داخل العالم ولا خارجه ممتنع في بداية العقول، وهذا مما اتفق عليه عامة عقلاء بني آدم من السلف والأئمة وأهل الحديث والفقه والتصوف وجماهير أهل الكلام المثبتة والنافية والفلاسفة، وإنما خالف فيه فريق من أصحاب الأشعري ومن وافقهم من الفقهاء، كما قد يوافقهم القاضي أبو يعلى في المعتمد هو وغيره ويقولون ما قاله أولئك في الرؤية: إنه يرى لا في جهة».

إلى أن قال: «... حتى إن أئمة أصحاب الأشعري المتأخرين كأبي حامد وابن الخطيب وغيرهما لما تأملوا ذلك عادوا في الرؤية إلى قول المعتزلة أو قريب منه، وفسروها بزيادة العلم كما يفسرها بذلك الجهمية والمعتزلة وغيرهم، وهذا في الحقيقة تعطيل للرؤية الثابتة بالنصوص والإجماع المعلوم جوازها بدلائل المعقول»(١).

وقد رد ابن القيم على هؤلاء الأشاعرة في قولهم هذا فقال: «وإذا جاز أن يرى سبحانه فالرؤية المعقولة له عند جميع بني آدم عربهم وعجمهم وتركهم وسائر طوائفهم أن يكون المرئي مقابلا للرائي مواجها له بائنا عنه، لا تعقل الأمم رؤية غير ذلك، وإذا كانت الرؤية مستلزمة لمواجهة الرائي ومباينة المرئي، لزم ضرورة أن يكون مرئيا له من فوقه أو من تحته أو عن يمينه أو عن شماله أو خلفه أو أمامه، وقد دل النقل الصريح على أنهم إنما يرونه سبحانه من فوقهم لا من تحتهم، كما قال ﷺ: «**بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: يا أهل الجنة سلام عليكم ثم قرأ قوله:** ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨]، **ثم يتوارى عنهم وتبقى رحمته وبركته عليهم في ديارهم**».

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٥٩- ٣٦٠).

فلا يجتمع الإقرار بالرؤية وإنكار الفوقية والمباينة لهذا، ولهذا فإن الجهمية المغول تنكر علوه على خلقه، ورؤية المؤمنين له في الآخرة، ومخانيثهم يقرون بالرؤية وينكرون العلو، وقد ضحك جمهور العقلاء من القائلين بأن الرؤية، تحصل من غير مواجهة المرئي ومباينة له، وهذا رد لما هو مركوز في الفطر والعقول»(١).

الحلولية والاتحادية:

أما أهل الحلول والاتحاد وغلاة الشيعة فقد ذهبوا إلى إثبات رؤية الله ﷻ في الدنيا والآخرة، وزعموا أن الله تعالى حال في الحيوانات، وأنه يرى في الدنيا والآخرة، وزعموا أن الله تعالى حال في الحيوانات، وأنه يرى، وحاضر، ويسامر، وهو في كل مكان، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض(٢).

وحكى الكعبي عن بعضهم أنه كان يجوز الرؤية في دار الدنيا، وأن يزوره ويزورهم(٣).

وقد ذكر الأشعري بعض أقوالهم في ذلك، ونحن نذكرها باختصار:

١- قال قائلون: يجوز أن نرى الله بالأبصار في الدنيا، ولسنا ننكر أن يكون بعض من نلقاه في الطرقات.

٢- وأجاز عليه بعضهم الحلول في الأجسام، وأصحاب الحلول إذا رأوا إنساناً يستحسنون لعل إلههم فيه.

٣- وأجاز كثير ممن أجاز رؤيته في الدنيا مصافحته، وملامسته، ومزاورته إياهم، وقالوا: إن المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا أرادوا ذلك، حكى ذلك عن بعض أصحاب مضر وكهمس(٤).

وهذا هو مذهب ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين والتلمساني(٥).

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٢٨٠ - ٢٨١).

(٢) انظر: الفصل (٣/ ٢)، اعتقادات (ص ١١٦)، الفرق بين الفرق (ص ٢٤٤)، الملل والنحل (١/ ١٧٦)، حادي الأرواح (ص ٢٠٢)، شرح الفقه الأكبر (ص ١٠٢، ١٠٣).

(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ١٠٥).

(٤) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٨٨).

(٥) الوصية الكبرى (ص ٤١ - ٤٢).

قال ابن القيم في قصيدته النونية:

فالقوم ما صانوه عن إنس ولا ... جن ولا شجر ولا حيوان
لكنه المطعوم والملبوس والـ ... مشموم والمسموع بالآذان
وكذلك قالوا إنه المنكوح والـ ... مذبوح بل عين الغوي الزان

إلى أن قال:

فالكل عين الله عند محقق ... والكل معبود لذي العرفان
هذا هو المعبود عندهمو فقل ... سبحانك اللهم ذا السبحان

وشرح الشيخ حمد بن عتيق هذه الأبيات فقال: «فلينظر اللبيب إلى ما قاله هؤلاء من الكفر العظيم من كونهم يقولون: إن ربهم هو المطعوم والمشموم والمنكوح والمذبوح ونحو ذلك تعالى الله وتقدس.

وإن الكفر هو الهدى، والمجوس إنما عبدوا الله وإنما ضل من ضل بتخصيصه عبادته ببعض المخلوقات ولا يكون موحداً عندهم إلا من عبد جميع الموجودات»(١).

فهؤلاء المبطلون أثبتوا الرؤية في الدنيا كثبوتها في الآخرة، وهو خلاف ما ورد في الكتاب والسنة.

قال ابن خزيمة: «حدثنا جل ثناؤه أنها الرؤية بعد الموت، وأنهم لا يرون قبل الممات»(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكذلك كل من ادعى أنه رأى ربه بعينه قبل الموت فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة؛ لأنهم اتفقوا جميعهم على أن أحداً من المؤمنين لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت»(٣).

وقد ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أيضاً سبب بطلان هذا القول، وقال حينما سئل عن أقوام يدعون أنهم يرون الله بأبصارهم في الدنيا، وأنهم يحصل لهم بغير سؤال ما حصل لموسى بالسؤال، فأجاب: «أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة، وأجمعوا على أنهم لا يرونه في الدنيا بأبصارهم، ولم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ. وثبت عنه

---

(١) الفرق المبين (ص٧-٨).
(٢) التوحيد (ص ١٨٥).
(٣) الوصية الكبرى (ص ٣٧).

في الصحيح أنه قال: «**واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت**».

ومن قال من الناس: إن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، لا سيما إذا ادعوا أنهم أفضل من موسى، فإن هؤلاء يستتابون، فإن تابوا وإلا قتلوا»[١].

الأسئلة والأجوبة على رؤية أهل الجنة لله

س١: ما معنى قول الطحاوي: «والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢ - ٢٣]، وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله ﷻ ولرسوله ﷺ، ورَدَّ عِلْمَ ما اشتبه عليه إلى عالمه»؟

ج١: رؤية المؤمنين ربهم ﷻ يوم القيامة بأبصارهم عياناً ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف، فقد نقل عن الصحابة ﷺ إثباتها، وهو مذهب التابعين، ولم يظهر فيها الخلاف إلا بعد القرن الأول، والمخالفون فيها أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، وغيرهم.

فأما المعتزلة: فقد نفوا رؤية المؤمنين ربهم ﷻ، ويقصدون بالجهة العلو، وهم نفاة للعلو.

والحاصل أن المؤمنين يرون ربهم في الجنة عياناً بأبصارهم كما قال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد فسر النبي ﷺ الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله ﷻ، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته**».

وليس معنى ذلك الإحاطة بالله تعالى، حاشا لله لكنها رؤية بصر حقيقة، وليست رؤية قلبية معنوية، بل إنها أعظم نعيم يتنعم به أهل الجنة، والأحاديث عن النبي ﷺ في هذا الباب متواترة كما جزم بها كثير من الأئمة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٢)، وانظر: أصول السنة لابن أبي زمنين - بتعليق محمد هارون - (ص ٣٦٦- ٣٩٠).

والمقصود من نصوص الكتاب والسنة هو إثبات ظاهرها، وأن المؤمنين يرون ربهم عياناً يوم القيامة، ونحن نصدق الأخبار الواردة في ذلك، ولا نتكلف تأويلها بآرائنا القاصرة، ولا نتوهم ما يخالف حقيقتها، فإن الإنسان إذا أراد السلامة في دينه سلم لله تعالى، وردَّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه.

س٢: اذكر بعض الآيات الدالة على إثبات الرؤية مع التوجيه؟

ج٢: قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، فهذه الآية تدل على إثباتها من وجوه:

١- أنه تعالى أضاف النظر إلى الوجه الذي هو محله.

٢- إن النظر إذا تعدى بنفسه فمعناه المهلة والانتظار، وإذا تعدى بـ «في»، فمعناه التفكير والاعتبار، وإذا تعدى بـ «إلى» فمعناه الإدراك بالإبصار، وقد تعدى هنا بـ «إلى».

٣- وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وجه الدلالة ما قاله الشافعي: إن حجب عن هؤلاء في السخط دليل على أن عباده يرونه في الرضا.

٤- وقال تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، قال الطبري: هو النظر إلى وجه الله ﷻ.

٥- وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال ﷺ: «**إن الزيادة هي النظر إلى وجه الله**»(١).

س٣: اذكر بعض الأحاديث الواردة في إثبات الرؤية؟ وماذا تفيد أيضاً زيادة على الرؤية؟

ج٣: لقد روى أكثر من ثلاثين صحابيا حديث الرؤية، وهو قوله ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**»(٢) الحديث.

وأيضاً حديث جابر، وتفيد هذه الأحاديث إثبات صفات منها:

١- إثبات صفة الكلام لله تعالى، وأنه يتكلم بما شاء متى شاء.

٢- إثبات صفة العلو لله تعالى.

٣- إثبات صفة التجلي لعباده.

٤- إثبات صفة الضحك.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، برقم: (١٨١).

(٢) انظر: صحيح البخاري، ك: المواقيت، ب: فضل صلاة الفجر، برقم: (٥٧٣)، ك: الأذان، ب: فضل السجود، برقم: (٨٠٦)، صحيح مسلم، ك: الإيمان، ب: معرفة طريق الرؤية، برقم: (١٨٢).

٥- إثبات صفة المجيء لفصل القضاء يوم القيامة.

٦- إثبات أنه سبحانه يتكلم بصوت يسمعه السامع من بعد، كما يسمعه من قرب.

س٤: هل الرؤية تقع للمؤمنين وحدهم؟ أم للمؤمنين والمنافقين؟ أم للناس جميعا؟

ج٤: اختلف أهل العلم في ذلك إلى ثلاثة أقوال:

١- القول الأول: قول جمهور أهل السنة والحديث، على أن الرؤية للمؤمنين في عرصات القيامة.

٢- القول الثاني: إن الرؤية تقع للمؤمنين والمنافقين، ذهب إلى هذا القول ابن خزيمة وغيره من أهل العلم.

٣- قول من قال: إن الرؤية تقع للجميع للمؤمنين والمنافقين، والكفار.

والراجح في هذه المسألة والله أعلم أن رؤية الرب جل وعلا نوعان:

النوع الأول: رؤية إكرام، ولذة ونعيم، وحبور، وسرور، فهذه للمؤمنين في الجنة، وفي عرصات القيامة.

النوع الثاني: رؤية حساب وتقرير وتعريف، فهذه يدخل فيها المنافقون.

س٥: هل رؤية الله في الآخرة بصرية أم قلبية؟

ج٥: إن رؤية الله تعالى في الآخرة رؤية بصرية، وذلك لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، قال ابن عباس: وأكثر الناس تنظر إلى ربها عياناً بلا حجاب[(١)].

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار، قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم** ﷻ، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]»[(٢)].

وعن جرير بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «**إنكم سترون ربكم عياناً**»[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٢٨٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، برقم: (٧٤٣٥)، ومسلم، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، برقم: (٦٣٣).

وعن أبي هريرة: «أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: **هل تضرون في القمر ليلة البدر؟** قالوا: لا يا رسول الله، قال: **فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟** قالوا: لا يا رسول الله، قال: **فإنكم ترونه كذلك**»(١)، إلى غير ذلك من الأحاديث.

وقوله ﷺ: «**إنكم ترونه كذلك**»، أي: كما ترون القمر والشمس فهذه رؤية بصرية؛ لأن رؤيتنا للقمر والشمس بصرية، والتشبيه هنا للرؤية بالرؤية في الوضوح، وزوال الشك والمشقة والاختلاف، وليس المراد تشبيه المرئي بالمرئي، لأن الله سبحانه ليس كمثله شيء.

س٦: هل الرؤية البصرية لله في الدار الدنيا ممكنة كما هي ثابتة في الآخرة؟

ج٦: الرؤية البصرية لله تعالى في الدنيا منفية، لقوله تعالى عندما سأله موسى عليه السلام رؤيته: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أي: لن تقدر الآن على رؤيتي، فإن الله تبارك وتعالى أنشأ الخلق في هذه الدار على نشأة لا يقدرون بها، ولا يثبتون لرؤية الله(٢).

ومن السنة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر، قال: «سألت رسول الله ﷺ: **هل رأيت ربك قال: نور أنى أراه**»(٣).

وقوله ﷺ: «**نور أنى أراه**»، معناه: حجابه نور كيف أراه.

قال الإمام أبو عبد الله المازري رحمه الله: «الضمير من: أراه، عائد على الله عز وجل، ومعناه: أن النور منعني من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار، ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه...» اهـ.

وعن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئا فجلست فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني، ولا تعجلي ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الأذان، ب: فضل السجود، برقم: (٨٠٦)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: معرفة طريق الرؤية، برقم: (١٨٢).

(٢) انظر: تفسير السعدي (٢/ ١٥٧).

(٣) أخرجه مسلم، الإيمان، ب: في قوله عليه السلام: «نور أنى أراه»، برقم: (١٧٨).

[النجم: ١٣]، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: **إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض**، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

قالت: ومن زعم أن يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

فمن هذه الأدلة ثبت أن الرؤية البصرية لله ﷻ منفية في الدنيا،ولكن ثبتت رؤية النبي ﷺ لله في الدنيا بالقلب لا بالبصر؛ لقول ابن عباس: «رآه بقلبه»[1]، وقوله: «رآه بفؤاده مرتين»[2].

س٧: اذكر حجج نفاة الرؤية في الآخرة، والرد عليها؟

ج٧: نفاة الرؤية كالجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية لهم حجج ليست في موضعها.

فمنها قوله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فالآيتان دليل للرد عليهم:

أما الآية الأولى: فالاستدلال بها على ثبوت رؤيته من وجوه:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أنه تعالى قال: ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولم يقل إني لا أُرى، أو لا تجوز رؤيتي أو لست بمرئي، والفرق بين الجوابين ظاهر.

الثالث: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله، وقال:

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، برقم: (١٧٦).
(٢) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، برقم: (١٧٦).

﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

الرابع: قولهم: قال الله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، و«لن»: تكون للتأبيد، ولا حجة لهم فيها:

١- إذ معنى الآية: لن تراني في الدنيا أو في الحال؛ لأنه كان يسأل الرؤية في الحال.

٢- و«لن»: لا تكون للتأبيد كقوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، إخباراً عن اليهود.

ثم أخبر عنهم بأنهم يتمنون الموت في الآخرة، يقولون: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، و﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٧].

س٨: اذكر مذهب السلف في رؤية الله في الآخرة؟

ج٨: أجمع السلف على إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة، كما أنهم اتفقوا على عدم حصول رؤيته ﷻ في الدنيا بأبصارهم، مع اختلافهم في رؤية النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء والمعراج، وقالوا: إن الله ﷻ يرى يوم القيامة بالأبصار عياناً كما يرى القمر ليلة البدر صحوا، وكما ترى الشمس في الظهيرة رؤية حقيقية، من غير شك ولا ارتياب.

وتكون هذه الرؤية من فوقهم لاستحالة أن يروه من أسفل منهم، أو خلفهم أو أمامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم، وعليه يدل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين.

- قال ابن خزيمة: «إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم الميعاد، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين»(١).

- وقال الآجري: «وأما أهل السعادة فهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، فآمنوا بالله وحده، ولم يشركوا به شيئاً، وصدقوا القول بالفعل، فأماتهم على ذلك، فهم في قبورهم ينعمون، وعند المحشر يبشرون، وفي الموقف إلى الله ﷻ بأعينهم ينظرون، وإلى الجنة بعد ذلك وافدون، وفي نعيمها يتفكرون، وللحور العين يعانقون، والولدان لهم يخدمون، وفي جوار مولاهم الكريم أبداً خالدون، ولربهم ﷻ في داره زائرون، وبالنظر إلى وجهه الكريم يتلذذون، وله مكلمون، وبالتحية لهم من الله ﷻ والسلام منه

---

(١) انظر: حادي الأرواح (ص٢٤٥).

عليهم يكرمون»(١).

- وقال الصابوني: «ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم، وينظرون إليه على ما ورد من الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ في قوله: «**إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**»، والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية لا للمرئي(٢).

- وذكر الأشعري مذهب أهل السنة والحديث في الرؤية فقال: «ويقولون: الله سبحانه يرى بالأبصار يوم القيامة، كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون؛ لأنهم عن الله محجوبون، قال الله عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وأن موسى عليه السلام سأل الله سبحانه الرؤيا في الدنيا، وأن الله سبحانه تجلى للجبل فجعله دكا، فأعلمه بذلك أن لا يراه في الدنيا، بل يراه في الآخرة(٣)».

- وقال الحافظ عبد الغني المقدسي في عقيدته: «وأجمع أهل الحق، واتفق أهل التوحيد والصدق أن الله يرى في الآخرة كما جاء في كتابه، وصح به النقل عن رسوله ﷺ... »، ثم ذكر بعض الأدلة على ذلك، ثم قال: «... وقال أحمد بن حنبل: من قال إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر»(٤).

- وذكر ابن قدامة مذهب السلف في الرؤية، فقال: والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم، ويزورونه، ويكلمهم ويكلمونه، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فلما حجب أولئك في حالة السخط دلَّ على أن المؤمنين يرونه في حالة الرضا، وإلا لم يكن بينهما فرق، ثم ذكر حديث جرير في الرؤية، وقال: هذا تشبيه للرؤية لا للمرئي بالمرئي، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير(٥).

وهذه الرؤية هي أكبر سعادة للمؤمنين وأجلها وأعلاها على الإطلاق، قال عثمان بن سعيد الدارمي: فأما في الآخرة فما أكبر نعيم أهل الجنة إلا النظر إلى وجهه، والخيبة لمن حرمه، وما تعجبون من أن كان الله ولا شيء من خلقه ثم خلق الخلق، ثم استوى على عرشه فوق سبع سمواته، واحتجب من خلقه بحجب النار والظلمة كما جاءت به الآثار،

---

(١) الشريعة، التصديق بالنظر إلى وجه الله (ص٢٥١). (٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص١٢٢).
(٣) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٢٢).
(٤) عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (ص ٣٠-٣١). (٥) لمعة الاعتقاد (ص٣٣).

ثم أرسل رسله، يعرفهم نفسه بصفاته المقدسة، ليبلو بذلك إيمانهم أيهم يؤمن به، ويعرفه بالغيب ولم يره، وإنما يجزى العباد على إيمانهم بالله بالغيب...».

ثم قال: «...فإذا كان يوم القيامة تجلى لمن آمن به، وصدق رسله، وكتبه، وآمن برؤيته، وأقر بصفاته، التي وصف بها نفسه حتى يروه عياناً، مثوبة منه لهم، وإكراماً ليزدادوا بالنظر إلى من عبدوه بالغيب نعيماً، وبرؤيته فرحاً واغتباطاً».

س٩: اذكر أدلة مذهب أهل السنة والجماعة على إثبات رؤية الله في الآخرة من القرآن؟

ج٩: من الأدلة على الرؤية:

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

ووجه الاستدلال من الآية هو أن النظر في اللغة يرد لمعان مختلفة فإذا تجرد عن الصلات وتعدى بنفسه كان بمعنى التوقف والانتظار، ومنه قوله تعالى: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]، وإذا عدي بـ «في» كان معناه التفكر والاعتبار، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وإذا عدي بـ «إلى» كان معناه المعاينة بالأبصار، خاصة إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر، وألا يحتمل إلا الرؤية[١].

قال الأشعري: لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه، فمعناه نظر العين، ولذلك إذا ذكر النظر مع الوجه لم يكن معناه نظر الانتظار الذي يكون للقلب[٢].

وقال ابن قتيبة: ما ننكر أن «نظرت» قد يكون لمعنى انتظرت، وأن الناظر قد يكون بمعنى المنتظر، غير أنه يقال: أنا لك ناظر، أي: أنا لك منتظر، ولا يقال: أنا إليك ناظر، أي: إليك منتظر، إلا أن يريد نظر العين، والله يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، ولم يقل: لربها ناظرة[٣].

فدلالة هذه الآية على رؤية الله تعالى بالأبصار صريحة، ولم ينكرها إلا المعطلة من الجهمية والمعتزلة.

ومنها قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

---

(١) انظر: حادي الأرواح (ص٢١٠). (٢) الإبانة للأشعري (ص٣٦).

(٣) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية (ص٢٣٨).

وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

وذكر المفسرون أن المراد بالزيادة في الآية الأولى هي رؤية الله تبارك وتعالى، وهو تفسير مأثور رواه جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ، مرفوعاً وموقوفاً.

فروى ابن صهيب عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، نودي بأهل الجنة: إن لكم موعداً قالوا: وما هو ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة، وينجنا من النار، قال: فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فو الله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم منه، ثم تلا** هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] »(١).

وعن أنس بن مالك: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال:« **للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله**(٢)».

كما ورد ذلك أيضاً عن أبي موسى الأشعري، وأبي بن كعب، وكعب بن عميرة، وغيرهم من الصحابة(٣).

وقد ورد أيضاً عن أبي بكر أنه قرأ هذه الآية، أو قرئت عليه فقال له: تدرون: والزيادة، الزيادة: النظر إلى وجه ربنا.

وقال البيهقي: وروينا في إثبات الرؤية عن أبي بكر الصديق، وحذيفة ابن اليمان،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الحسن بن عرفة في جزئه برقم: (٢٣)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٣٢٦)، والدارقطني في الرؤية برقم: (٥٧)، وابن منده في الرد على الجهمية برقم: (٨٥)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٩/ ١٤٠)، من طريق سلم بن سالم البلخي، عن نوح بن أبي مريم، عن ثابت عن أنس به.
ولفظه: «قال سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: **للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى، وهي الجنة، قال: والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم**».
وقد صرح الدارقطني في العلل (١٢/ ٣٤)، والخطيب البغدادي في تاريخه أن نوح بن أبي مريم أخطأ فيه، والصواب فيه: عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب عن النبي ﷺ.
وقد وهى الحديث ابن عدي، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١١٣)؛ فإن في إسناده: نوح بن أبي مريم كذبوه في الحديث، وقال ابن المبارك: كان يضع الحديث. انظر: تقريب التهذيب (٧٢٥٩).
وسلم بن سالم البلخي ضعفه ابن معين، وأحمد بن حنبل، وأبو زرعة، والنسائي، وغيرهم. انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ١٨٥).

(٣) انظر: التوحيد لابن خزيمة (ص١٨٤).

وعبد الله بن مسعود، وابن عباس، وأبي موسى، وغيرهم، ولم يرو أحد منهم نفياً، ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم في ذلك إلينا، فلما نقلت رؤية الله بالأبصار عنهم في الآخرة، ولم ينقل عنهم في ذلك اختلاف - يعني: في الآخرة - كما نقل عنهم فيها اختلاف في الدنيا علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار في الآخرة متفقين مجتمعين(١).

وكذلك فسر المزيد في الآية بما فسرت به الزيادة، قال ابن كثير: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، كقوله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد سبق أن معنى الزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، ثم سرد بعض الأحاديث والآثار الدالة على ذلك(٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، وقوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ١١٠].

قال الآجري: واعلم رحمك الله أن عند أهل العلم باللغة أن اللقي ها هنا لا يكون إلا معاينة، يراهم الله ﷻ، ويرونه، ويسلم عليهم ويكلمهم ويكلمونه(٣).

وقال ابن بطة: «سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد صاحب اللغة يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلب يقول: أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ها هنا لا يكون إلا معاينة ونظراً بالأبصار»(٤).

وقال ابن القيم: «وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية»(٥).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

قال الرازي: «فإن إحدى القراءات في هذه الآية: مَلِكاً - بفتح الميم وكسر اللام -، وأجمع المسلمون على أن ذلك الملك ليس إلا الله، وعندي التمسك بهذه الآية أقوى من التمسك بغيرها»(٦).

وقال الآلوسي: «قيل: هو النظر إلى الله ﷻ»(٧).

---

(١) الاعتقاد (ص٥٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٩).
(٣) الشريعة (ص ١٥٢).
(٤) انظر: حادي الأرواح (ص٢٤٥).
(٥) انظر: حادي الأرواح (ص٢٠٤).
(٦) التفسير الكبير للرازي (١٣/ ١٣١).
(٧) روح المعاني (٢٩/ ١٦١).

فعلى القراءة المذكورة تكون دلالة الآية على الرؤية ظاهرة.

ومنها قوله تعالى: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

ووجه الاستدلال من هذه الآية هو أن الله سبحانه وتعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال، ولا يمدح به، وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجودياً كتمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن لكمال القيومية، ونفي الموت المتضمن لكمال الحياة، ولهذا لم يتمدح بعدم محض الذي لا يتضمن أمراً ثبوتياً، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فلو كان المراد بقوله: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾، أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح، ولا كمال لمشاركة المعدوم له في تلك، فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار، والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض، فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك، ولا يحاط به؛ لأن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية(١).

قال ابن خزيمة: «ولو كان معنى قوله: لا تدركه الأبصار مما تتوهمه الجهمية المعطلة الذين يجهلون لغة العرب، فلا يفرقون بين النظر وبين الإدراك، لكان معنى قوله: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أي: أبصار أهل الدنيا قبل الممات»(٢).

منها قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والاستدلال بالآية من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن موسى عليه السلام سأل الرؤية، ولو امتنع كونه تعالى مرئيا لما سأل؛ لأنه حينئذ إما أن يعلم امتناعها أو يجهله، فإن علمه فالعاقل لا يطلب المحال الممتنع؛ لأنه عبث، والأنبياء منزهون عنه، وإن جهله فالجاهل بما لا يجوز على الله، ويمتنع أن يكون نبيا كليما، قد قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

قال ابن قتيبة: «وفي قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أبين الدلالة على أنه يرى في القيامة، ولو كان الله لا يرى في حال من الأحوال، ولا يجوز عليه

---

(١) حادي الأرواح (ص٢٠٨).

(٢) التوحيد لابن خزيمة (ص١٨٥).

النظر، لكان موسى قد خفي عليه من صفة الله ما علموه»[١].

الوجه الثاني: أن الله لم ينكر عليه لما طلب الرؤية، ولو كانت محالة لأنكر عليه كما أنكر على نوح لما سأل نجاة ابنه من الغرق، حيث قال: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

ففي إنكاره تعالى على نوح عليه السلام دليل عدم جواز ما طلب، وعدم الإنكار على موسى عليه السلام دليل الجواز وعدم الامتناع[٢].

الوجه الثالث: أنه تعالى علق الرؤية على أمر جائز، وهو استقرار الجبل، والمعلق على الجائز جائز، فيلزم كون الرؤية في نفسها جائزة[٣].

قال عثمان بن سعيد الدارمي: ألا ترى أنه يقول فإن استقر مكانه فسوف تراني، ولو شاء لاستقر الجبل ورآه موسى، ولكن سبقت منه الكلمة أنه لا يراه أحد في الدنيا، فلذلك قال: لن تراني، فأما في الآخرة فإن الله تعالى ينشر خلقه، فيركب أسماعهم وأبصارهم للبقاء، فيراه أولياؤه جهراً، كما قال رسول الله ﷺ[٤].

ومنها قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

والاستدلال بهذه الآية على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة استدلال بالمفهوم، حيث قال سبحانه عن اللقاء: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، فجعل عقوبتهم كونهم محجوبين عن رؤيته سبحانه، وهذا يدل على أن المؤمنين لا يحجبون، وإلا لا يكون فضل للمؤمنين على الكفار[٥].

قال الإمام الشافعي: «لما حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا»[٦].

وقال عثمان بن سعيد الدارمي: «ففي هذا دليل على أن الكفار كلهم محجوبون عن النظر إلى الرحمن عز وجل، وأن أهل الجنة غير محجوبين عنه»[٧].

وقال البيهقي: «فلما عاقب الكفار بحجبهم عن رؤيته دل على أنه يثيب المؤمنين

---

(١) الاختلاف في اللفظ (ص٢٣٨).
(٢) انظر: حادي الأرواح (ص٢٠٣).
(٣) انظر: الإنصاف (ص١٧٩)، المحصل (ص ١٩١)، حادي الأرواح (ص٢٠٣).
(٤) الرد على الجهمية (ص٦٥).
(٥) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٣٢).
(٦) انظر: حادي الأرواح (١/ ٣٢).
(٧) الرد على الجهمية (ص٥٣).

برفع الحجاب لهم عن أعينهم حتى يروه»[١].

ولذا قال الإمام أحمد: «إنا لنرجو أن يكون الجهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم، ويحجبون عن الله؛ لأن الله تعالى قال للكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فإذا كان الكافر يحجب عن الله، والمؤمن يحجب عن الله فما فضل المؤمن على الكافر»[٢].

س١٠: اذكر أدلة مذهب أهل السنة والجماعة على إثبات رؤية الله في الآخرة من السنة النبوية؟

ج١٠: وأما الأحاديث عن النبي ﷺ الدالة على الرؤية فمتواترة، رواها عنه ﷺ أكثر من خمسة وعشرين صحابياً.

قال ابن تيمية: «إنه قد ثبت بالسنة المتواترة وباتفاق سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من أئمة أهل الإسلام الذين ائتموا بهم من دينهم أن الله ﷻ يرى في الدار الآخرة بالأبصار عياناً، وقد دل على ذلك القرآن في مواضع، كما هو مذكور في مواضعه، والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة متواترة في الصحاح، والسنن، والمسانيد، وقد اعتنى بجمعها أئمة[٣]».

وقال ابن كثير: وأحاديث الرؤية لله يوم القيامة متواترة، رواها جماعة من الصحابة[٤].

ومن ذلك:

١- حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: «كنا عند رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال: **هل ترون هذا القمر؟** قلنا: نعم، قال: **هكذا ترون ربكم يوم القيامة لا تضارون في رؤيته**»[٥].

٢- وعن أبي سعيد الخدري قال: «قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: **هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟** قلنا: لا، قال: **فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما**»[٦].

٣- وعن أبي هريرة قال: «قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: **هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر وليس دونه سحاب؟** قالوا: لا، قال: **فلا تضارون في رؤيته**

(١) الاعتقاد (ص٤٦ - ٤٧).

(٢) الرد على الزنادقة (ص٣٤).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٤٨).

(٤) النهاية لابن كثير (٢/ ٢٨٥).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.

إلا كما تضارون في رؤية أحدهما»[١].

٤- وعن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان**»[٢].

فهذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث الكثيرة تدل على ما ذهب إليه أهل السنة، وهو أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم، وأن الكفار والمشركين يحجبون عنه سبحانه، رواها جماعة من الصحابة عن الرسول ﷺ حتى بلغت حد التواتر.

قال ابن قتيبة: «والخبر في الرؤية ليس من الأخبار التي يدفعها إلا جاهل أو معاند ظالم، لتتابع الروايات به من الجهات الكثيرة عن الثقات»[٣].

قال عثمان بن سعيد الدارمي بعد ذكر الأحاديث الدالة على الرؤية: «فهذه الأحاديث كلها أو أكثر منها قد رويت في الرؤية علة تصديقها والإيمان بها، أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، ولم يزل المسلمون قديماً وحديثاً يرونها، ويؤمنون بها، لا يستنكروها، ولا ينكرونها، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه إلى الضلال، بل كان من أكبر رجائهم وأجزل ثواب الله تبارك وتعالى في أنفسهم النظر إلى وجه خالقهم الكريم يوم القيامة، حتى ما يعدلون به شيئاً من نعيم الجنة»[٤].

س١١: من هم المخالفون لأهل السنة في رؤية الله في الآخرة؟

ج١١: خالف أهل السنة والجماعة ثلاث[٥] طوائف:

١- الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج كالإباضية والرافضة، والإمامية، والزيدية، وبعض الأشاعرة:

قالوا: إن الله لا يرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يجوز ذلك عليه، بل هي رؤية علمية لا بصرية.

٢- عامة الأشاعرة والماتريدية:

قالوا بإثبات رؤية الله في الآخرة ولكن لا إلى جهة، أي: أن الله يراه الرائي لا أمامه ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره، ولا فوقه ولا تحته، لنفيهم علو الله، وهم بهذا جمعوا

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) الاختلاف في اللفظ (ص٢٣٨).
(٤) الرد على الجهمية (ص٦٣).
(٥) انظر: الانتصار (ص٢١٦-٢١٧).

بين النقيضين، ولذلك قال أذكياؤهم: لا خلاف بيننا وبين المعتزلة في الرؤية.

٣- الصوفية ومن شابههم من الممثلة:

قالوا بجواز رؤية الله بالأبصار في الدنيا، وفي الآخرة مع أن الله منع منها كليمه موسى عليه السلام، وقد سبق شيء من الحديث في ذلك.

س١٢: ما معنى قول الطحاوي: «ولا تثبت قدمُ الإسلامِ إلا على ظهرِ التسليم والاستسلام».

ج١٢: هذه قاعدة في مسائل الاعتقاد، فلا يثبت الإسلام الصحيح إلا بالتسليم لله عز وجل، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

والاستسلام هو: الانقياد والطاعة لما جاء عن الله ورسوله ﷺ.

والحاصل أنه لا يثبت على حقيقة الإسلام إلا من سلم لنصوص القرآن والسنة، واستسلم لهما تصديقاً وانقياداً، فلم يعارضهما بهوى ولا شبهة ولا برأي، ولا معقول، ولا قياس، وإذا طلب الإنسان العلم الذي لا يمكن تحصيله مما غيبه الله تعالى عن خلقه، ولم يقتنع عقله وفهمه بالتسليم لمراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ، ولانقياد لمرادهما، فإنه بهذا القصد سوف يحرم من إدراك التوحيد الخالص على حقيقته، والمعرفة الصافية لله تعالى، والإيمان الصحيح الذي يبنى على التصديق والإذعان، والقبول، والانقياد، والتسليم، والاستسلام، فيصبح متذبذباً بين الكفر بها والإقرار بها، وإنكارها، تملكه الوساوس، والشكوك والخيالات الفاسدة تائها متحيراً، لا يستقر على قرار فلا هو بالمؤمن المصدق كامل الإيمان، ولا هو بالجاحد تمام الجحود والنكران، إذ إن حقيقة الإيمان التي قد لا يدرك العقل حقيقتها اكتفاء بخبر الله تعالى وخبر رسوله ﷺ.

علم الكلام وذم السلف له

قال الطحاوي: «فمَنْ رامَ علمَ ما حُظرَ عنه علمُه، ولم يقنع بالتسليمِ فهمُه، حجبَه مرامُه عن خالصِ التوحيدِ، وصافي المعرفةِ، وصحيحِ الإيمانِ، فيتذبذب بين الكفر والإيمانِ، والتصديقِ والتكذيبِ، والإقرارِ والإنكارِ، مُوَسْوَساً تائهاً، شاكاً زائغاً، لا مؤمناً مصدقاً، ولا جاحداً مُكذِّباً، ولا يصحُّ الإيمانُ بالرؤيةِ لأهل دارِ السلامِ لمن اعتبرَها منهم

بوهم، أو تأوَّلها بفهم، إذ كان تأويلُ الرؤيةِ وتأويلُ كل معنى يُضاف إلى الرؤية تركَ التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين، ومَن لم يتوقَّ النفيَ والتشبيهَ زلَّ ولم يُصِب التنزيه، فإنَّ ربَّنا جل وعلا موصوفٌ بصفات الوحدانية، منعوتٌ بنعوتِ الفردانية، ليس في معناه أحدٌ من البريّة، وتعالى عن الحدودِ والغايات[1]، والأركانِ والأعضاءِ والأدواتِ، لا تحويه الجهاتُ الستُّ كسائر المبتدعات».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الخوض في الغيبيات دون علم ولا تسليم ضلال مبين:]

هذا تقرير للكلام الأول، وزيادة تحذير أن يتكلّم في أصول الدِّين بغير علم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٣]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِم» خرجاه في الصحيحين[2].

[نقصان التوحيد بترك التسليم للرسول:]

ولا شك أن من لم يسلم للرسول نقص توحيده، فإنه يقول برأيه وهواه، ويقلد ذا رأي وهوى بغير هدى من الله، فينقص من توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول، فإنه قد اتخذه في ذلك إلها غير الله، قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الفرقان: ٤٣]، أي: عبد ما تهواه نفسه، وإنما دخل الفساد في العالم من ثلاث فرق كما قال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

---

(١) لفظ الحدود والغايات وغيرها من الالفاظ المحدثة التي احدثها أهل البدع ومرادهم من أطلاقها على الله هو بيان أن الله ليس هو فوق السماوات ولا على العرش، أي: أنهم ينفون عنه العلو. انظر: الصواعق المرسلة (٣/ ٩٣٥).

(٢) أخرجه البخاري، ك: المظالم، ب: قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، برقم: (٢٧٥٤)، ومسلم، ك: العلم، ب: في الألد الخصم، برقم: (٢٦٦٨).

وتـــركُ الـــذنـــوبِ حـيـــاةُ الـقـلـوب وخـــيـــرٌ لـنـفـسِـك عـصـيـانُـهـا
وهـــل أفـسـد الـديـنَ إلا الـمـلـوكُ وأحـــبـــارُ ســـوءٍ ورهـبـانـهـا

[أصناف المعترضين على الشريعة:]

فالملوك الجائرة يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة، ويعارضونها بها، ويقدمونها على حكم الله ورسوله، وأحبار السوء وهم العلماء الخارجون عن الشريعة، يفسدون في الدين بآرائهم وأقيستهم الفاسدة المتضمنة تحليل ما حرم الله ورسوله، وتحريم ما أباحه، واعتبار ما ألغاه، وإلغاء ما اعتبره، وإطلاق ما قيده، وتقييد ما أطلقه، ونحو ذلك، والرهبان وهم جهال المتصوفة يعترضون على حقائق الإيمان والشرع بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه ﷺ، والتعوض عن حقائق الإيمان بخدع الشيطان، وحظوظ النفس، فقال الأولون: إذا تعارضت السياسة والشرع قدمنا السياسة.

وقال الآخرون: إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل.

وقال أصحاب الذوق: إذا تعارض الذوق والكشف، وظاهر الشرع قدمنا الذوق والكشف.

[شدة تحريم القول بالرأي مع وجود النص:]

وكل مَنْ قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول فقد ضاهى إبليس، حيث لم يسلم لأمر ربه بل قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، وقال تعالى ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

أقسم سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا نبيه ويرضوا بحكمه ويسلموا تسليما.

وقوله: «فيتذبذب بين الكفر والإيمانِ، والتصديق والتكذيبِ، والإقرارِ والإنكارِ، مُوَسْوَساً تائهاً، شاكاً زائغاً، لا مؤمناً مصدقاً، ولا جاحداً مُكذِّباً».

[حال المتكلمين المذبذبين:]

يتذبذب: يضطرب ويتردد، وهذه الحالة حالُ كلِّ من عَدَلَ عن الكتاب والسنة إلى علمِ الكلامِ المذمومِ، أو أرادَ أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة، وعند التعارض يتأوَّل

النصَّ ويرده إلى الرأي والآراء المختلفة، فيؤولُ أمرُه إلى الحَيْرَةِ والضلالِ والشكِّ، كما قال ابنُ رشد الحفيد - وهو من أعلمِ الناسِ بمذاهبِ الفلاسفةِ ومقالاتِهم - في كتابه «تهافت التهافت»: «ومَنِ الذي قال في الإلهيات شيئاً يُعْتَدُّ به»؟!

وكذلك الآمدي أفضل أهل زمانه، واقف في المسائل الكبار حائر.

وكذلك الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ انتهى آخرُ أمرِه إلى الوقوفِ والحيرةِ في المسائل الكلاميّة، ثم أعرض عن تلك الطرق، وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ، فمات وصحيح البخاري على صدره.

وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، قال في كتابه الذي صنفه في «أقسام اللذات»:

نهاية إقدام العقول عقال ... وغاية سعي العالَمين ضلال
وأرواحنا في وَحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه: قيل وقالوا
فكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجالٌ فزالوا والجبال جبال

«لقد تأملتُ الطرقَ الكلاميّة، والمناهج الفلسفية فما رأيتُها تشفي عليلًا ولا تُروي غليلًا، ورأيتُ أقربَ الطرق طريقةَ القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، و: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، واقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠]، ثم قال: ومَنْ جرَّب مثلَ تجربتي عَرَفَ مثلَ معرفتي».

وكذلك قال أبو المعالي الجويني: «يا أصحابَنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفتُ أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلتُ به».

وقال عند موته: «لقد خضتُ البحرَ الخِضَمَّ، وخَلَّيْتُ أهلَ الإسلام وعلومَهم، ودخلتُ في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموتُ على عقيدة أمي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور».

[موقف السلف من المتكلمين:]

ومن يصل إلى مثل هذه الحال إن لم يتداركه الله برحمته تزندق كما قال أبو يوسف: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب.

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريدة والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام.

وقال: لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت مسلما يقوله، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما خلا الشرك بالله خير له من أن يبتلى بالكلام. انتهى.

[نهاية أمر المتكلمين:]

وتجد أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز، فيُقرُّ بما أقرُّوا به، ويُعرِضُ عن تلك الدقائق المخالفة لذلك التي كان يقطع بها، ثم تبين له فسادها، أو لم يتبين له صحتُها، فيكونون في نهايتهم إذا سلموا من العذاب بمنزلةِ أتباعِ أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب.

وقوله: «**ولا يصحُّ الإيمانُ بالرؤيةِ لأهل دارِ السلامِ لمن اعتبرَها منهم بوهم، أو تأوَّلها بفهم، إذ كان تأويلُ الرؤيةِ وتأويلُ كل معنى يُضاف إلى الرؤية تركَ التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين**».

[حقيقة الرؤية:]

يشير الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الردِّ على مَن يقول بنفي الرؤية، وعلى مَنْ يُشبِّه اللهَ بشيءٍ من مخلوقاته، فإن النبي ﷺ قال: «**إنكم ترون ربكم كما ترون القمرَ ليلةَ البدر**» الحديث[١].

أدخل: «كاف التشبيه» على «ما» المصدرية، أو الموصولة الداخلة على «ترون» التي تتأوَّل مع صلتها إلى المصدر الذي هو الرؤية، فيكون التشبيه في الرؤية لا في المرئي. وهذا بيِّنٌ واضحٌ في أنَّ المرادَ إثبات الرؤية وتحقيقها، ودفع الاحتمال عنها. وماذا بعد هذا البيان وهذا الإيضاح؟! فإذا سُلِّط التأويل على مثل هذا النص، كيف يُستدل بنصٍّ من النصوص؟!

[لا يجوز نفي الرؤية وتشبيهها:]

وقوله: «لمن اعتبرها منهم بوهم»، أي: توهم أن الله تعالى يُرى على صفة كذا، فيتوهم تشبيهاً، ثم بعد هذا التوهم إن أثبتَ ما توهمه من الوصف فهو مشبِّه، وإن نفى الرؤية من أصلها لأجلِ ذلك التوهم فهو جاحد معطِّل.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: التفسير، ب: قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، برقم: ٤٨٥١، ومسلم، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، برقم: (٦٣٣).

بل الواجب دفع ذلك الوهم وحده، ولا يعم بنفيه الحق والباطل، فينفيهما رداً على من أثبت الباطل، بل الواجبُ ردُّ الباطل وإثباتُ الحقِّ.

وهذا المعنى أشار إليه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «ومن لم يتوق النفي والتشبيه زلّ ولم يصب التنزيه»، فإن هؤلاء المعتزلة يزعمون أنهم ينزهون الله بهذا النفي! وهل يكون التنزيه بنفي صفة الكمال؟ فإن نفي الرؤية ليس بصفة كمال إذ المعدوم لا يرى، وإنما الكمال في إثبات الرؤية، ونفي إدراك الرائي له إدراك إحاطة كما في العلم، فإن نفي العلم به ليس بكمال، وإنما الكمال في إثبات العلم، ونفي الإحاطة به علما، فهو سبحانه لا يحاط به رؤية كما لا يحاط به علما.

[تلبيس المتأولين لنصوص الرؤية:]

وقوله: «أو تأولها بفهم»، أي: ادعى أنه فهم لها تأويلا يخالف ظاهرها، وما يفهمه كل عربي من معناها، فإنه قد صار اصطلاح المتأخرين في معنى التأويل أنه صرف اللفظ عن ظاهره، وبهذا تسلط المحرفون على النصوص وقالوا: نحن نتأول ما يخالف قولنا، فسموا التحريف تأويلا تزيينا له، وزخرفة ليقبل، وقد ذم الله الذين زخرفوا الباطل، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، والعبرة للمعاني لا للألفاظ، فكم من باطل قد أقيم عليه دليل مزخرف عورض به دليل الحق. وكلامه هنا نظير قوله فيما تقدم: «لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا».

[حقيقة التأويل الجائز للنصوص:]

ثم أكد هذا المعنى بقوله: «إذا كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الرؤية ترك التأويل، ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين».

ومراده: ترك التأويل الذي يسمونه تأويلا وهو تحريف، ولكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تأدب وجادل بالتي هي أحسن، كما أمر الله تعالى بقوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وليس مراده ترك كل ما يسمى تأويلا، ولا ترك شيء من الظواهر لبعض الناس لدليل راجح من الكتاب والسنة، وإنما مراده ترك التأويلات الفاسدة المبتدعة المخالفة لمذهب السلف التي يدل الكتاب والسنة على فسادها، وترك القول على الله بلا علم.

[بعض التأويلات الفاسدة:]

هذا، ومن التأويلات الفاسدة تأويل أدلة الرؤية، وأدلة العلو، وأنه لم يكلم موسى

تكليما، ولم يتخذ إبراهيم خليلا!!

[معنى التأويل في نصوص الشرع:]

والتأويل في كتاب الله وسنة رسوله هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]، ومنه تأويل الرؤيا، وتأويل العمل، كقوله: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٨]، إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢]، فمن ينكر وقوع مثل هذا التأويل!!؟

[معنى التأويل عند المفسرين:]

والتأويل في كلام كثير من المفسرين كابن جرير ونحوه يريدون به تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالف، وهذا اصطلاح معروف، وهذا التأويل كالتفسير يحمد حقه ويرد باطله.

[التأويل عند المتكلمين ومن وافقهم:]

والتأويل في كلام المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدلالة توجب ذلك.

فالتأويل الصحيح منه الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد، وهذا مبسوط في موضعه.

وقوله: «ومَن لم يتوقَّ النفيَ والتشبيهَ زلَّ ولم يُصِب التنزيه».

[وجوب اجتناب النفي والتشبيه:]

النفيُ والتشبيهُ مرضان من أمراض القلوب، فإنَّ أمراض القلوب نوعان: مرض شُبهةٍ ومرضُ شهوةٍ، وكلاهما مذكور في القرآن، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، فهذا مرض الشهوة، وقال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥]، فهذا مرض الشبهة، وهو أَرْدَأُ من مرض الشهوة؛ إذ مرضُ الشهوةِ يُرجى له الشفاءُ بقضاءِ الشهوةِ، ومرض الشُّبهةِ لا شفاءَ له إن لم يتداركه اللهُ برحمته.

[الشبهات في مسألة الصفات:]

والشبهةُ التي في مسألة الصفات نفيها وتشبيهها، وشُبَهُ النفي أردأُ من شُبَهِ التشبيه، فإن شُبَهَ النفيِ ردٌّ وتكذيبٌ لما جاء به الرسول ﷺ. وشُبَهُ التشبيهِ غلوٌّ ومجاوزةٌ للحدِّ فيما جاء به الرسول ﷺ.

[النفي والتشبيه كفر:]

وتشبيهُ الله بخلقِه كفرٌ، فإن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ونفيُ الصفات كفرٌ، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وقوله: «**فإنَّ ربَّنا جل وعلا موصوفٌ بصفات الوحدانية، منعوتٌ بنعوتِ الفردانية، ليس في معناه أحدٌ من البريّة**».

[الله منفرد بصفات الوحدانية:]

يشير الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى تنزيهِ الربِّ تعالى بالذي هو وصْفُهُ كما وَصَفَ نفسَه نفياً وإثباتاً، وكلامُ الشيخ مأخوذٌ من معنى سورة الإخلاص، فقوله: «موصوف بصفات الوحدانية» مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١، ٢]، وقوله: «منعوت بنعوتِ الفردانيّة» مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٢، ٣].

وقوله: «ليس في معناه أحدٌ من البريّة» مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وهو أيضاً مؤكِّدٌ لما تقدَّم من إثبات الصفات ونفيِ التشبيه، والوصفِ والنعت مترادفان، وقيل: متقاربان، فالوصف للذات، والنعت للفعل، وكذلك الوحدانية والفردانية، وقيل في الفرق بينهما: إن الوحدانية للذات، والفردانية للصفات، فهو تعالى موحد في ذاته، منفرد بصفاته، وهذا المعنى حق، ولم ينازع فيه أحد، ولكن في اللفظ نوع تكرير، وللشيخ نظير هذا التكرير في مواضع من العقيدة، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، أكملُ في التنزيه من قوله: «**ليس في معناه أحدٌ من البريّة**».

وقوله: «**وتعالى عن الحدودِ والغايات، والأركانِ والأعضاءِ والأدواتِ، لا تحويه الجهاتُ الستُّ كسائر المبتدعات**».

[موقف الناس من إطلاق هذه الألفاظ:]

أذكر بين يدي الكلام على عبارة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقدمة، وهي أن للناس في إطلاق مثل

هذه الألفاظ ثلاثة أقوال:

فطائفة تنفيها، وطائفة تثبتها.

وطائفة تفصل: وهم المتبعون للسلف، فلا يطلقون نفيها ولا إثباتها إلا إذا بين ما أثبت بها فهو ثابت، وما نفي بها فهو منفي؛ لأن المتأخرين قد صارت هذه الألفاظ في اصطلاحهم فيها إجمال وإبهام كغيرها من الألفاظ الاصطلاحية، فليس كلهم يستعملها في نفس معناها اللغوي، ولهذا كان النفاة ينفون بها حقا وباطلا، ويذكرون عن مثبتها ما لا يقولون به، وبعض المثبتين لها يدخل لها معنى باطلا مخالفا لقول السلف، ولِمَا دل عليه الكتاب والميزان ولم يرد نص من الكتاب ولا من السنة بنفيها ولا إثباتها، وليس لنا أن نصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه، ولا وصفه به رسوله نفيا ولا إثباتا، وإنما نحن متبعون لا مبتدعون.

[الواجب في باب الأسماء والصفات:]

فالواجب أن ينظر في هذا الباب - أعني باب الصفات - فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته نصوصهما من الألفاظ والمعاني.

[الواجب تجاه الألفاظ المحدثة:]

وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها، فإن كان معنى صحيحا قبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة إلا عند الحاجة مع قرائن تبين المراد والحاجة، مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها ونحو ذلك.

[مقصود الشيخ من كلامه وألفاظه:]

والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أراد الرد بهذا الكلام على المشبهة، كداود الجواربي وأمثاله القائلين: إن الله جسم، وإنه جثة وأعضاء، وغير ذلك تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً!!

[موقف السلف من نصوص الصفات:]

فالمعنى الذي أراده الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من النفي الذي ذكره هنا حق، لكن حدث بعده من أدخل في عموم نفيه حقا وباطلا فيحتاج إلى بيان ذلك، وهو: أن السلف متفقون على أن البشر لا يعلمون لله حدا، وأنهم لا يحدون شيئا من صفاته.

قال أبو داود الطيالسي: «كان سفيانُ وشعبةُ وحمادُ بن زيد وحمادُ بن سلمة وشريكٌ وأبو عوانة لا يحدُّون، ولا يُشبِّهون، ولا يُمثِّلون، يروون الحديثَ ولا يقولون: كيف، وإذا سُئلوا، قالوا بالأثر»[(١)].

وسيأتي في كلام الشيخِ: «وقد أعجز خلقه عن الإحاطةِ به».

فعلم أن مراده أن الله يتعالى عن أن يحيط أحد بحده؛ لأن المعنى أنه متميز عن خلقه منفصل عنهم مباين لهم.

سئل عبد الله بن المبارك: بِمَ نعرفُ ربنا؟ قال: بأنه على العرش، بائن من خلقه، قيل: بحدٍّ، قال: بحد. انتهى.

ومن المعلوم أن الحد يقال على ما ينفصل به الشيء ويتميز به عن غيره، والله تعالى غير حال في خلقه ولا قائم بهم، بل هو القيوم القائم بنفسه المقيم لما سواه، فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلا، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب ونفي حقيقته.

وأما الحد بمعنى العلم والقول وهو أن يحده العباد فهذا منتف بلا منازعة بين أهل السنة، قال أبو القاسم القشيري في رسالته: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي، سمعت أبا منصور بن عبد الله، سمعت أبا الحسن العنبري، سمعت سهل بن عبد الله التستري[(٢)] يقول: وقد سئل عن ذات الله فقال: ذات الله موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان، من غير حد، ولا إحاطة، ولا حلول، وتراه العيون في العقبى ظاهرا في ملكه وقدرته، وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته، ودلهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه، والعيون لا تدركه ينظر إليه المؤمن بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية.

[بعض الألفاظ المحدثة:]

وأما لفظ «الأركان» و«الأعضاء» و«الأدوات» فيستدل بها النفاة على نفي بعض الصفات الثابتة بالأدلة القطعية كاليد والوجه، قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات برقم: (٩٠١).
(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/ ١٥٩).

بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

[بطلان تأويل اليد بالقدرة:]

هذا، ولا يصح تأويل من قال: إن المراد باليد بالقدرة، فإن قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. لا يصح أن يكون معناه بقدرتي مع تثنية اليد، ولو صح ذلك لقال إبليس: وأنا أيضا خلقتني بقدرتك، فلا فضل له عليَّ بذلك، فإبليس مع كفره كان أعرف بربه من الجهمية.

[الواجب لزوم الألفاظ الشرعية:]

ولكن لا يقال لهذه الصفات: إنها أعضاء، أو جوارح، أو أدوات، أو أركان، فالألفاظ الشرعية صحيحة المعاني سالمة من الاحتمالات الفاسدة، فلذلك يجب أن لا يعدل عن الألفاظ الشرعية نفيا ولا إثباتا، لئلا يُثبت معنى فاسد أو يُنفي معنى صحيح، وكل هذه الألفاظ المجملة عرضة للمُحق والمُبطل.

[حقيقة معنى الجهة:]

وأما لفظ الجهة فقد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق، فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقاً، والله تعالى لا يحصره شيء، ولا يحيط به شيء من المخلوقات تعالى الله عن ذلك، وإن أريد بالجهة أمر عدمي وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده، فإذا قيل: إنه في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح، ومعناه: أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات، فهو فوق الجميع عال عليه.

[الله تعالى لا تحيط به الجهات:]

وقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات» هو حق، باعتبار أنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته بل هو محيط بكل شيء، وفوقه. وهذا المعنى هو الذي أراده الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما يأتي في كلامه: أنه تعالى محيط بكل شيء وفوقه، فإذا جمع بين كلاميه وهو قوله: «لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات»، وقوله: «محيط بكل شيء وفوقه» علم أن مراده أن الله تعالى لا يحويه شيء ولا يحيط به شيء.

[الأولى ترك الألفاظ الموهمة:]

لكن بقي في كلامه شيئان: أحدهما: أن إطلاق مثل هذا اللفظ مع ما فيه من الإجمال والاحتمال كان تركه أولى، وإلا تسلط عليه، وألزم بالتناقض في إثبات الإحاطة والفوقية، ونفي جهة العلو، وإن أجيب عنه بما تقدم من أنه إنما نفى أن يحويه شيء من مخلوقاته فالاعتصام بالألفاظ الشرعية أولى.

الثاني: أن قوله: «كسائر المبتدعات» يفهم منه أنه ما من مبتدع إلا وهو محوي وفي هذا نظر. فإنه إن أراد أنه محوي بأمر وجودي فممنوع، فإن العالم ليس في عالم آخر، وإلا لزم التسلسل، وإن أراد أمراً عدمياً، فليس كل مبتدع في العدم، بل منها ما هو داخل في غيره كالسموات والأرض في الكرسي ونحو ذلك، ومنها ما هو منتهى المخلوقات كالعرش، فسطح العالم ليس في غيره من المخلوقات قطعا للتسلسل، كما تقدم.

ويمكن أن يجاب عن هذا الإشكال بأن «سائر» بمعنى البقية، لا بمعنى الجميع، هذا أصل معناها، ومنه: السؤر وهو ما يبقيه الشارب في الإناء، فيكون مراده غالب المخلوقات لا جميعها، إذ السائر على الغالب أدل منه على الجميع، فيكون المعنى: أن الله تعالى غير محوي كما يكون أكثر المخلوقات محوياً، بل هو غير محويٍّ بشيء، تعالى الله عن ذلك.

الأسئلة والأجوبة على علم الكلام وذم السلف له

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «فَمَنْ رامَ علمَ ما حُظرَ عنه علمُه، ولم يقنع بالتسليمِ فهمُه؛ حجبَه مرامُه عن خالصِ التوحيدِ، وصافي المعرفةِ، وصحيحِ الإيمانِ»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «فَمَنْ رامَ علمَ ما حُظرَ عنه علمُه، ولم يقنع بالتسليمِ فهمُه؛ حجبَه مرامُه عن خالصِ التوحيدِ، وصافي المعرفةِ، وصحيحِ الإيمانِ» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- الخوض في الغيبيات دون علم ولا تسليم ضلال مبين.

٢- نقصان التوحيد بترك التسليم للرسول.

٣- أصناف المعترضين على الشريعة.

٤- شدة تحريم القول بالرأي مع وجود النص.

٥- حال المتكلمين المذبذبين.

٦- موقف السلف من المتكلمين.

٧- نهاية أمر المتكلمين.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ولا يصحُّ الإيمانُ بالرؤيةِ لأهل دارِ السلامِ لمن اعتبرَها منهم بوهم، أو تأوَّلها بفهم، إذ كان تأويل الرؤيةِ وتأويل كل معنى يُضاف إلى الرؤية تركَ التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين»؟

ج٢: لا يصح الإيمان برؤية الله تعالى لمن تأولها من المسلمين بفهمه، أو توهم حقيقيّاً، أو ظن بنفسه إمكان معرفة كيفيتها، فهو مخطئ، ولم يؤمن بالرؤية إيماناً حقيقياً؛لأن الرؤية لا يعلم كيفيتها إلا الله تعالى، وأمر الرؤية وغيرها مما يتعلق بالخالق جل وعلا كل ذلك تأويله وتفسيره الصحيح، وهو عدم تفسيره، وتكييفه بشيء مما يعهده الناس في دنياهم، بل نصدق المعنى الصحيح الذي دلت عليه، ولا نكيف، ونستسلم، ونسلم، وننقاد لخبر الله تعالى ورسوله ﷺ، وهذا هو دين المسلمين الصحيح الذي بعث الله به نبيه ﷺ، وعلى المسلم أن يحذر من أمرين:

الأول: نفي ما وصف الله به نفسه، والإلحاد فيه، وتحريفه عن معناه الحقيقي المراد منه.

الثاني: التشبيه، بأن يشبه الخالق بالمخلوق في شيء مما يتعلق به في ذاته، وأفعاله، وأسمائه، وصفاته.

وهما مجموعان في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فنصف الآيةِ الأول نفي للتشبيه والمماثلة، والنصف الثاني إثبات للصفات، فالآية

جمعت بين التنزيه والإثبات، ومن لم يتجنب هذين الأمرين، وهما النفي والتشبيه، زل في عقيدته وأخطأ، وجانب الصواب ولم يصب التنزيه الواجب لله، وهو تنزيهه عن الشريك والمثيل، والند والنظير؛ وذلك لأن الله تعالى متصف بكل صفات الوحدانية في ذاته، وأفعاله، وأسمائه، وصفاته، في خلقه وأمره، منعوت كذلك بنعوت الفردانية في كل ذلك، فإنه أحد فرد صمد ليس له شريك ولا مثيل، وليس في معناه أحد من البرية، ولا يشبهه أحد من الخلق لا في ذاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه، وصفاته.

س٣: ما معنى قول الطحاوي: «وتعالى عن الحدودِ والغايات، والأركانِ والأعضاءِ والأدواتِ، لا تحويه الجهاتُ الستُّ كسائر المبتدعات»؟

ج٣: الله ﷻ متعال متنزه عن الحدود والغايات، فليس لله حد يحده، ولا غاية ينتهي إليها، وليس معنى ذلك اتصاله سبحانه بمخلوقاته، وتداخله معها، بل هو ﷻ بائن من خلقه، وكذلك فإنه سبحانه متنزه عن الأركان والأعضاء والأدوات، وهي الجوارح، وأدوات الاكتساب عند العبد، والآلات التي يستجلب بها النفع، ويستدفع بها الضر، متعالٍ عن ذلك سبحانه وتعالى هذا في نفس الوقت الذي نثبت له الأسماء والصفات الواردة في القرآن، لكن نقول: إن لها معانٍ حقيقية تدل عليها، ونحن نفهم هذه المعاني، ونثبتها لله تعالى على الوجه اللائق به، ولكن لا نقول بالكيفية؛ فإنها مما اختص الله تعالى بعلمه، كما أنه سبحانه وتعالى لا تحويه الجهات الست كسائر المحدثات،بل متنزه عن ذلك، ولا يفهم من هذا نفي الجهة مطلقاً، بل إنه سبحانه في جهة العلو، لكن المقصود أنه سبحانه لا تحويه الجهات وتحيط به كما في سائر المخلوقات، وليت المصنف رحمه الله تعالى لم يذكر هذه المصطلحات الكلامية، وإن كنا نعلم يقيناً أنه لم يقصد ما قصده أهل الكلام؛ لأنه صرح بإثبات الصفات كالعلو والوجه وغيرهما، فكان الأولى أنه يبتعد عن هذه المصطلحات الكلامية بالمرة؛ لأنها تحتمل حقاً وباطلًا، ومذهب أهل السنة في مثلها الحكم عليها بعد التفصيل، فقول القائل: تعالى عن الحدود والغايات، إن أراد به أن الله تعالى ليس بمحصور ولا محدود في شيء موجود فهذا حق.

وإن أراد أن الله تعالى ليس في حد العلو، ولا في جهة العلو، فهذا باطل؛ لأنه نفي لعلوم الله تعالى على خلقه.

وقول القائل: والأركان والأعضاء، إن أراد أن صفات الله كالوجه، واليدين،

والعينين، لا تشبه وجوه الخلق، ولا صفاتهم فهذا حق، وإن أراد أن الله تعالى لا وجه له، ولا يدين فهذا باطل وكذا قول القائل: «ولا تحويه الجهات الست»، إن أراد أن الله تعالى ليس في جهة من الجهات، ولا فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا شمال، ولا خلف، ولا أمام، فهذا باطل؛ لأن هذا صفة معدوم، بل صفة ممتنع، وهذا كفر صريح؛ لأنه نفي لوجوده سبحانه، وإن أراد أنه ليس بمحصور في شيء موجود فهذا حق، والله أعلم.

الإسراء والمعراج

قال الطحاوي: «والمعراج حقٌّ، وقد أسري بالنبي ﷺ، وعُرج بشخصِه في اليقظةِ إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العُلا، وأكرمه الله بما شاءَ، وأوحى إليه ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، فصلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة والأولى».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[معنى المعراج:]

المعراج: مفعال من العُروج، أي: الآلة التي يعرج فيها، أي: يُصعد، وهو بمنزلةِ السُّلَّم، لكن لا يعلم كيف هو، وحكمه كحكمِ غيرِه من المغيَّبَات، نُؤمن به، ولا نشتغل بكيفيته.

[اختلاف الناس في الإسراء:]

قوله: «وقد أُسري[1] بالنبي ﷺ، وعُرج بشخصه في اليقظة».

اختلف الناس في الإسراء:

فقيل: كان الإسراء بروحه، ولم يُفْقدَ جسده.

وقيل: كان الإسراء مرتين: مرة يقظة، ومرة مناماً، ومنهم من قال: بل كان مرتين: مرة

---

(١) الإسراء مأخوذ من السري، وهو سير الليل، تقول: سرى وأسرى، إذا سار الليل، وقيل: أسرى: سار ليلاً، وسرى: سار نهاراً، وقيل: أسرى: سار أول الليل، وسرى: سار من آخره، قال الحافظ في الفتح (/)؟؟؟: وهذا أقرب.
أما شرعاً: فهو سير جبريل بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، وكان قبل الهجرة بلا خلاف،انظر زاد المعاد (٣/ ٤٠) ولوامع الانوار (٢/ ٢٨٩).

قبل الوحي، ومرة بعده.

ومنهم من قال: بل ثلاث مرات: مرة قبل الوحي، ومرتين بعده.

[الراجح في مسألة الإسراء:]

والذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة قبل الهجرة بسنة، وقيل: بسنة وشهرين ذكره ابن عبد البر.

قال شمس الدين ابن القيم: «يا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه كان مرارا! كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة يفرض عليهم الصلوات خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمساً، فيقول: «أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي»، ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين، ثم يحطها إلى خمس؟!...»[(١)] انتهى كلام ابن القيم.

[حديث الإسراء والمعراج:]

وكان من حديث الإسراء أنه ﷺ أُسري بجسدِه في اليقظة على الصحيح، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، راكباً على البراق[(٢)]، بصحبة جبرائيل عليه السلام، فنزل، هناك وصلَّى بالأنبياء إماماً، وربط البراق بحلقة باب المسجد.

ثم عُرِج به مِن بيتِ المقدس تلك الليلة إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبرائيل، ففتح لهما فرأى هناك آدم أبا البشر، فسلم عليه فرحب به ورد عليه السلام وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الثانية فاستفتح له فرأى فيها يحيى بن زكريا، وعيسى ابن مريم، فلقيهما فسلم عليهما فردا عليه السلام ورحبا به وأقرا بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الثالثة فرأى فيها يوسف فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الرابعة فرأى فيها إدريس فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الخامسة فرأى فيها هارون بن عمران فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء السادسة فلقي فيها موسى فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته فلما جاوزه بكى موسى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي؛ لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي، ثم عرج

---

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٤٢).

(٢) جاء في تفسيره في البخاري، ك: بدء الخلق، ب: ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، برقم: (٣٢٠٧)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، برقم: (١٦٢): «وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه». وهذا لفظ مسلم.

به إلى السماء السابعة فلقي فيها إبراهيم فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم رفع إلى سدرة المنتهى، ثم رفع له البيت المعمور، ثم عرج به إلى الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاةً، فرجع حتى مر على موسى، فقال: بم أمرت؟ قال: بخمسين صلاةً، فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربِّك فاسأله التخفيف لأمتِك، فالتفت إلى جبرائيل كأنه يستشيره في ذلك فأشار أن: نعم، إن شئت، فعلا به جبرائيل حتى أتى به إلى الجبار تبارك وتعالى وهو في مكانه - هذا لفظ البخاري في صحيحه -، وفي بعض الطرق فوضع عنه عشرا، ثم نزل حتى مر بموسى فأخبره، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله تبارك وتعالى، حتى جعلها خمسا فأمره موسى بالرجوع، وسؤال التخفيف، فقال: قد استحييت من ربي، ولكن أرضى وأسلم، فلما نفذ نادى مناد: قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي.

[اختلاف الصحابة في رؤية النبي ﷺ لربه:]

هذا، وقد علم واشتهر اختلاف الصحابة في رؤيته ﷺ ربَّه عز وجل بعين رأسه.

والصحيح أنه ﷺ قد رآه بقلبه، ولم يره بعين رأسه.

[الإسراء والمعراج كان بالجسد والروح معاً:]

هذا، ومما يدل على أن الإسراءَ والمعراجَ بجسده ﷺ في اليقظة قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [الإسراء: ١]، والعبد عبارةٌ عن مجموع الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح. فيكون الإسراء والمعراج بهذا المجموع، ولا يمتنع عقلاً(١).

[حكمة الإسراء إلى بيت المقدس:]

فإن قيل: فما الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس أولا؟

فالجواب - والله أعلم -: أن ذلك كان إظهارا لصدق دعوى الرسول ﷺ المعراج حين سألته قريش عن نعت بيت المقدس فنعته لهم، وأخبرهم عن عيرهم التي مر عليها في

---

(١) وكذلك مما يؤكد ما قاله الشارح أن لفظ: «سبحان» الذي في الآية يدل على أن الإسراء لم يكن مناماً. قال السيوطي: «لأن التسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، ولو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء». انظر: الآية الكبرى شرح قصة الإسراء (ص١٠٥)، وشرح الطحاوية بتعليق العدني (ص٢٧٩).

طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة لما حصل ذلك؛ إذ لا يمكن إطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس فأخبرهم بنعته.

[المعراج برهان العلو لله:]

وفي حديث المعراج دليل على ثبوتِ صفة العلوِّ لله تعالى من وجوه لمن تدبره[1]، وبالله التوفيق.

الأسئلة والأجوبة على: الإسراء والمعراج

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والمعراجُ حقٌّ، وقد أسري بالنبي ﷺ... وأوحى إليه ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، فصلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة والأولى»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والمعراج حقٌّ، وقد أسري بالنبي ﷺ... وأوحى إليه ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، فصلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة والأولى» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- معنى المعراج.
٢- اختلاف الناس في الإسراء.
٣- الراجح في مسألة الإسراء.
٤- حديث الإسراء والمعراج.
٥- اختلاف الصحابة في رؤية النبي ﷺ لربه.
٦- الإسراء كان بالجسد والروح معاً.
٧- حكمة الإسراء إلى بيت المقدس.
٨- المعراج برهان العلو لله.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «والمعراج حقٌّ، وقد أسري بالنبي ﷺ، وعُرج بشخصِه في اليقظةِ إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العُلا، وأكرمه الله بما شاءَ، وأوحى إليه ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، فصلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة والأولى».

ج٢: الإسراء والمعراج ثابتان بالكتاب والسنة والإجماع، فأهل السنة يثبتون للنبي ﷺ عروجاً إلى السماء بشخصه، بجسده وروحه، وذلك ليلة الإسراء، والإسراء ثابت

(١) لكن الجهمية أولته فزعمت أنه ﷺ عرج إلى كرامة الله لا إلى الله!!
انظر: توضيح الكافية الشافية (ص٨٨).

بالكتاب والسنة والإجماع، وكان من مكة إلى بيت المقدس، حيث قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، حيث صلى إماماً بالأنبياء عليهم السلام، وثبت المعراج كذلك إلى السماء بشخصه الشريف، حيث صعد حتى السماء السابعة، حتى كان عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، وأكرمه الله بما شاء من تكليمه إياه بغير واسطة، وصعوده إلى مكان لم يصله غيره، ومناجاة الله له، وما أطلعه عليه من أحوال الجنة والنار، وأوحى إليه ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، بل كان كل ما رآه بعيني رأسه حقاً، تعظيماً له وتشريفاً على سائر الأنبياء، وإظهاراً لعلو مقامه ﷺ فوق الجميع، وكل ما كان في هذه الليلة المباركة على وجه ثابت عن النبي ﷺ في الصحيحين وغيرهما.

س٣: قال الطحاوي: «والمعراج حقٌّ، وقد أسري بالنبي ﷺ، وعُرج بشخصِه في اليقظةِ إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العُلا...».

ما مناسبة ذكر الإسراء والمعراج في كتب العقيدة؟ وما هو الإسراء والمعراج؟ وهل يعلم كيف هو وما حكمه؟

ج٣: الإسراء لغة: هو السير ليلًا، وشرعاً: هو الإسراء بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ليلًا على البراق[1] بصحبة جبريل عليه السلام.

والمعراج مفعال من العروج، وهو اسم للآلة التي يصعد عليها، وهي بمنزلة السلم، وهي التي صعد عليها الرسول ﷺ من بيت المقدس إلى السماء، ولا يعلم كيف هو إلا سبحانه وتعالى.

فالإسراء مصدر أسرى، والمعراج اسم للآلة.

والإسراء والمعراج من الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل فيه، وإنما الواجب الإيمان به، وحكمه حكم غيره من المغيبات، نؤمن به، ولا نشتغل بكيفيته.

ومناسبة ذكر الإسراء والمعراج في الاعتقاد أنه مما يجب الإيمان به، وقد كذب به الكفار، وارتد عن الإسلام بضعة أناس، وازداد آخرون إيماناً.

س٤: بين حكم منكر الإسراء والمعراج مع ذكر السبب؟

ج٤: حكم من أنكر الإسراء والمعراج أنه كافر؛ لأنه مما توافر خبره، ولأنه جاحد

---

(١) سميت: الدابة بالبراق؛ لأنها في سرعتها كالبرق، وأن لها بريقاً لأنها بيضاء.

لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

س٥: متى وقع الإسراء والمعراج؟

ج٥: اختلف أهل العلم، فقيل: إن الإسراء والمعراج قبل الهجرة بسنة إلا شهر، وقيل: قبل الهجرة بسنة إلا شهرين، وقيل: قبل الهجرة بثمانية أشهر، وقيل: غير ذلك.

س٦: الإسراء والمعراج: هل وقعا بجسد النبي ﷺ وروحه؟ أم روحه فقط؟ أم كان مناماً؟

ج٦: اختلف السلف إلى أربعة أقوال، وهي:

الأول : أنّ الإسراء كان بروحه وجسده من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، ثم إلى السماء بعد البعثة، وقبل الهجرة بسنة مرة واحدة، وهو المختار.

الثاني: قول عائشة ومعاوية رضي الله عنهما أن الإسراء بروحه، ولم يفقد جسده.

الثالث: أن الإسراء كان مناماً، وأنه رأى أنه عرج به إلى السماء.

الرابع: أنه كان مرتين: مرة يقظة، ومرة مناماً، وأصحاب هذا القول كأنهم أرادوا الجمع بين حديث شريك وقوله: «ثم استيقظت»(١)، وبين سائر الروايات(٢).

وقيل: كان الإسراء ثلاث مرات: مرة قبل الوحي، ومرتين بعده، وشبهة هؤلاء أنه كل ما اشتبه عليهم لفظ أرادوا مرة للتوفيق، وهذا ما يفعله ضعفاء أهل الحديث.

س٧: وضِّح الفرق بين القول بأن الإسراء والمعراج كان مناماً وبين القول بأنه بالروح دون الجسد؟

ج٧: الفرق بينهما أن ما يراه النائم قد يكون أمثالًا مضروبة للمعلوم في الصورة المضروبة، فيرى كأنه عرج به إلى السماء، وذهب إلى مكة، وروحه لم تصعد ولم تذهب، وإنما ملك الرؤيا ضرب له الأمثال.

وأما من قال بروحه دون جسده لم يرد أن الإسراء كان مناماً، وإنما أراد أن الروح ذاتها أسري بها، ففارقت الجسد، ثم عادت إليه، ويجعلان هذا من خصائصه، فإن غيره لا تنال ذات روحه الصعود الكامل إلى السماء إلا بعد الممات.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: ما جاء في قوله ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، برقم: (٧٥١٧).

(٢) راجع الروايات التي ذكرها ابن كثير في تفسيره أول سورة الإسراء.

س٨: هل تكرر وقوع الإسراء والمعراج؟

ج٨: اختلف أهل العلم في تكرار وقوع الإسراء والمعراج: هل كانا مرة واحدة؟ أم أكثر؟
وأهم الأقوال في المسألة:

١- القول الأول: أن الإسراء والمعراج لم يكونا إلا مرة واحدة، وهذا هو الصحيح، والأقرب لظاهر الأدلة.

٢- القول الثاني: أن الإسراء وقع مرتين، والمعراج مرة واحدة، وهو اختيار الحافظ ابن حجر، وقيل غير ذلك، وسبب الاختلاف هو اختلاف الروايات التي وصفت الإسراء والمعراج(١).

س٩: ما الذي دفع بعض العلماء إلى القول بتعدد حادثة الإسراء؟ وما موقفك من هذا؟

ج٩: الحامل لهم بالقول بتعدد الإسراء أنه كلما اشتبه عليهم لفظ، زادوا مرة للتوفيق، وهذا يفعله ضعفاء أهل الحديث، وهو مردود من وجوه:

١- أنه خلاف ما جاء به أئمة النقل من أهل السير أن الإسراء كان مرة واحدة قبل الهجرة بسنة، وقيل: بسنة وشهرين.

٢- لا يستساغ أنه في كل مرة يفرض عليهم الصلوات خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسى، حتى تصير خمساً، فيقول: فرضت فريضتي، وخففت عن عبادي، ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين ثم يحطها إلى خمس.

٣- إن الحفاظ غلَّطوا شريكاً في ألفاظ من حديث الإسراء، ومسلم أورد المسند منه، ثم قال: «وقدم فيه شيئا وأخر، وزاد ونقص»(٢).

س١٠: ما حقيقة الإسراء مع الاستدلال لما تقول؟

ج١٠: القول الصحيح في حقيقة الإسراء هو أنه ﷺ أسري بشخصه -أي: بروحه وجسده-، وذلك من وجوه:

١- قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، فالتسبيح إنما يكون عند

---

(١) انظر: المسار (ص٦٨).

(٢) قاله مسلم، في ك: الإيمان، ب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، بعد حديث رقمه: (١٦٢)، وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٥٧٥).

الأمور العظام، فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء، ولم يكن مستعظماً.

٢- أنه لو كان مناماً لما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه، ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم.

٣- إن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، وقد قال تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾.

٤- وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]، والبصر من آلات الذات لا الروح.

٥- وإنه ﷺ قد حمل على البراق، وإنما يكون هذا للبدن لا للروح؛ لأنها لا تحتاج حركاتها إلى حمل ومركب تركب عليه، والله أعلم.

٦- إنه لا يستبعد عقلًا.

٧- إنه لو جاز استبعاد صعود النبي ﷺ لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة، ومن ينكرها فهو كافر.

٨- إن العلم الحديث دل على صدق الرسول ﷺ حين أخبر أنه ذهب إلى بيت المقدس، ورجع من ليلته، حيث إن الإنسان في هذا العصر يستطيع أن يجوب الأرض في ساعات قليلة، فكيف بقدرة الله تعالى.

س١١: اذكر الأقوال في مسألة رؤية النبي ﷺ ربه مع بيان الأرجح والاستدلال له؟

ج١١: للناس في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: أنه رأى ربه بعينه، ومن قال ذلك استدل بآيتي النجم، ولكن النزاع فيها موثوق، والاحتمال ممكن.

الثاني: أنه رآه بقلبه، وهذا مروي عن ابن عباس.

الثالث: إنه لم يره بعينه، وهذا هو الراجح لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر قال: قلت لرسول الله ﷺ: «هل رأيت ربك؟ فقال: نور أنى أراه»(١).

أي: كيف أراه، والنور حجاب بيني وبينه، بمعنى: أنه يمنعني عن رؤيته، فهذا أصرح في نفي الرؤية، وحكي اتفاق الصحابة على ذلك.

س١٢: من هو المرئي المقصود في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]،

---

(١) تقدم تخريجه.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم:١٣]؟

ج١٢: المراد بالمرئي جبريل عليه السلام، رآه الرسول ﷺ في صورته الحقيقية مرتين: مرة في الأرض، ومرة عند سدرة المنتهى.

س١٣: علام يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ [النجم:٨]؟ وهل هما نفس الدنو والتدلي المذكورين في حديث الإسراء أم لا؟ مع التوجيه؟

ج١٣: فاعل الدنو والتدلي المذكورين في سورة النجم: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ هو جبريل، وفاعل المذكورين في قصة الإسراء والمعراج هو الله ﷻ، وتوجيه ذلك قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ [النجم: ٥ - ٨]. والضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوي.

س١٤: لماذا كان الإسراء إلى بيت المقدس ثم العروج من هناك؟ وما الحكمة في ذلك؟

ج١٤: الحكمة في ذلك - والله أعلم - من أربعة وجوه:

الأول: أنه كان إظهاراً لصدق دعوى النبي ﷺ، فحين سألته قريش عن نعت بيت المقدس نعته لهم، وأخبرهم عن عيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة لما حصل ذلك؛ إذ لا يمكن اطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس فأخبرهم بنعته.

الثاني: الصعود بالنبي ﷺ بالمعراج تسهيلًا له وتأميناً.

الثالث: أنه جمع له الأنبياء عليهم السلام، وصلى بهم إماماً، فبان فضلُه عليهم بالصلاة.

الرابع: ليمر وهو في طريقه بمكان كلم الله فيه موسى، ثم يصعد الرسول ﷺ لما هو أعلى من ذلك حيث كلمه الله وهو في السماء؛ لبيان فضلِه ﷺ على موسى عليه السلام.

س١٥: ما شبهة القائلين بأن الإسراء والمعراج كانا مناماً، أو كانا بروحه دون جسده؟ مع الجواب عليها؟

ج١٥: ١- قالوا: روي عن عائشة أم المؤمنين: ما فقدت جسد رسول الله ﷺ، ولكن عرج بروحه.

٢- روي عن معاوية بن أبي سفيان أنه كان بالروح مناماً، ومعاوية رضي الله عنه من الصحابة الأجلاء، وأصبح من بعد خليفة المسلمين، ويبعد أن يقول ما ليس له مستند، فإما أن يكون سمعه عن النبي ﷺ، أو عن بعض أصحابه.

والجواب على هذا:

١- حديث عائشة غير ثابت، وعلى فرض الثبوت فإنها لم تكن في وقت الإسراء زوجاً للنبي ﷺ، بل لعلها لم تكن ولدت إذ ذاك على خلاف في زمن الإسراء، فإذا لم تشاهد ذلك دلت الرواية على أنها حدثت به عن غيرها، فلم يرجح خبرها على قول أم هانئ بخلافه.

٢- وأما ما يروى عن معاوية رضي الله عنه فغير ثابت أيضاً، وعلى فرض صحته فلعله فهم من قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، هي لرؤيته ﷺ ليلة الإسراء، وفهم أن الرؤيا بالألف لا تطلق إلا على الرؤيا المنامية، وهذا الفهم في غير محله؛ لأنها كما تطلق على المنامية تطلق على رؤية البصر كما ذكر في لسان العرب وغيره من كتب اللغة.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: «قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حديث سفيان، عن عمرو، عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ شجر الزقوم».

وكذا رواه أحمد وعبد الرزاق وغيرهما عن سفيان بن عيينة به، أي: بهذا السند، وهكذا فسر ذلك بليلة الإسراء مجاهد، وسعيد بن جبير، والحسن، ومسروق، وإبراهيم، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد، وغير واحد»[١].

س١٦: الإسراء والمعراج من معجزات النبي ﷺ وضِّح ذلك؟

ج١٦: من أكبر معجزات النبي ﷺ الإسراء والمعراج، وقد ورد ذكره في القرآن على سبيل الإجمال، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

والمسجد الأقصى هو مسجد البيت المقدس، ووجه تسميته بالأقصى من أجل بعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام.

الذي باركنا حوله: ببركات الدين والدنيا؛ لأنه مهبط الوحي، ومتعبد الأنبياء من زمن موسى إلى زمن عيسى عليه السلام، وقد وقع الإجماع على أن المراد بالعبد في هذه الآية هو محمد ﷺ، وقد وردت أحاديث كثيرة في الإسراء والمعراج عن أكثر من ثلاثين راوياً من الصحابة.

---

(١) تفسير ابن كثير. وانظر: العقائد السلفية (ص٦٤ - ١٦٥).

س١٧: متى أسري بالنبي ﷺ، وعُرج به إلى السماء؟

ج١٧: لم يأت تعيين الليلة التي أُسري بها النبي ﷺ، وعُرج به في السماوات في الأحاديث الصحيحة، وكل ما ورد فهو غير ثابت عن النبي ﷺ، فقد قيل: إنه قبل الهجرة بسنة، وقيل: في رمضان، وقيل: في شهر رجب، وقيل غير ذلك.

س١٨: اذكر الأمور المستفادة من قصة الإسراء؟ مع ذكر ما دلت عليه من صفات الله ﷻ؟

ج١٨: الفوائد هي:

أولا: الابتلاء والامتحان؛ ليتبين المؤمن الذي يصدق بما جاء به الرسول ﷺ من الكافر الذي لا يصدق بذلك.

ثانياً: تضعيف الصلاة، حيث أنقصها سبحانه إلى خمس، وإضعاف أجرها إلى خمسين صلاة رحمة منه لعباده.

ثالثاً: ما للصلاة من مكانة في الإسلام، حيث تولى الله ﷻ فريضتها في السماء من بين سائر العبادات.

رابعاً: جواز النسخ قبل التمكن من الفعل، فقد نسخت الصلاة من خمسين إلى خمس قبل أن يتمكن المسلمون من أدائها.

خامساً: مشاورة أهل الفضل حيث استشار الرسول ﷺ جبريل في الرجوع إلى الله؛ ليخفف عنه من الصلاة عندما أشار عليه موسى عليه السلام بذلك، فأشار جبريل أي نعم، إن شئت.

سادساً: دلالة هذه القصة على صفة العلو لله ﷻ.

سابعاً: أنها معجزة الرسالة المحمدية.

حوض النبي ﷺ حق

قال الطحاوي: «والحوضُ الذي أكرمه الله تعالى به غِياثاً لأمتِه حقٌّ».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الأحاديث الواردة في الحوض:]

الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حدَّ التواتر، رواها من الصحابة بضع

وثلاثون صحابياً[١].

فمنها: ما رواه البخاري رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن قَدْر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن، وإنَّ فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء**»[٢].

وروى الإمام أحمد[٣] عن أنس بن مالك قال: «أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه مبتسما، إما قال لهم، وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: **إنه أنزلت علي آنفا سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] حتى ختمها، ثم قال لهم: **هل تدرون ما الكوثر؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **هو نهر أعطانيه ربي** عز وجل **في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يُخْتَلَج العبد منهم، فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**».

ورواه مسلم[٤]، ولفظه: «**هو نهر وعدنيه ربي، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة**» والباقي مثله.

ومعنى ذلك: أنه يشخب فيه ميزابان من ذلك الكوثر إلى الحوض.

والحوض في العرصات قبل الصراط لأنه يختلج عنه ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط.

وروى البخاري ومسلم عن جندب بن عبد الله البجلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنا فرطكم على الحوض**»[٥].

إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم.

قال أبو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل، فقلت: نعم، فقال: نعم أشهد على أبي سعيد الخدري سمعته، وهو يزيد، فأقول: **إنهم من أمتي، فقال:**

---

(١) انظر: النهاية لابن كثير (١/ ١٨٨ - ٢٠٨).

(٢) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: في الحوض، برقم: (٦٥٨٠)، ومسلم، ك: الفضائل، ب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم: (٢٣٠٣).

(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٠٢).

(٤) صحيح مسلم، ك: الصلاة، ب: حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة، سوى براءة، برقم: (٤٠٠).

(٥) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: في الحوض، برقم: (٦٥٨٩)، ومسلم، ك: الفضائل، ب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم: (٢٢٨٩).

إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فقال: **سحقا سحقا لمن غير بعدي**»[١]. سحقا، أي: بعدا.

[ما يستفاد من أحاديث الحوض:]

والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفةِ الحوض: أنه حوضٌ عظيمٌ، وموردٌ كريمٌ، يُمدُّ من شرابِ الجنَّةِ، مِن نهر الكوثر، وهو في غاية الاتساع، عرضُه وطولُه سواء، كلُّ زاوية من زواياه مسيرة شهر، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء.

[الخلاف في أسبقية الحوض والميزان:]

قال العلامة أبو عبد الله القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في التذكرة: «واختلف في الميزان والحوض: أيهما يكون قبل الآخر؟ فقيل: الميزان، وقيل: الحوض، قال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل.

قال القرطبي: والمعنى يقتضيه؛ فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم كما تقدم، فيقدم قبل الميزان والصراط.

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ في كتاب كشف علم الآخرة: حكى بعض السلف من أهل التصنيف أن الحوض يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله. قال القرطبي: هو كما قال».

فقاتل الله المنكرين لوجود الحوض، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده يوم العطش الأكبر.

توضيح كلام الطحاوي وابن أبي العز، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: المسائل العقدية التي ذكرها ابن أبي العز في شرحه.

تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والحوضُ الذي أكرمه الله تعالى به غِياثاً لأمتِه، حقٌّ» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- الأحاديث الواردة في الحوض. ٢- ما يستفاد من أحاديث الحوض.

٣- الخلاف في أسبقية الحوض والميزان.

المطلب الثاني: شرح كلام الطحاوي.

يقرر الامام الطحاوي عقيدة الامام أبي حنيفة وصاحبيه في الحوض فيقول: «

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: في الحوض، برقم: (٦٥٨٣)، ومسلم، ك: الفضائل، ب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم: (٢٢٩٠).

والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثاً لأمته حق» وهذا ما عليه أئمة السنة بل أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات الحوض الذي يكون للنبي ﷺ يوم القيامة ترده أمته، وماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وعدد آنيته عدد نجوم السماء، من شرب منه مرة لم يظمأ بعدها أبداً.

قال الإمام أحمد: والإيمان بالحوض وأن لرسول الله ﷺ حوضاً يوم القيامة ترد عليه أمته، عرضه مثل طوله مسيرة شهر، آنيته كعدد نجوم السماء على ما صحت به الأخبار من غير وجه[١].

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي في عقيدته: «ثم الإيمان بأن لرسول الله ﷺ حوضاً ترده أمته، كما صح عنه، وأنه كما بين عدن إلى عمان البلقاء، وروي من مكة إلى بيت المقدس، وبألفاظ أخر، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء، رواه عبد الله بن عمر، وعبدالله بن عمرو، وأبي بن كعب، وأبو ذر، وثوبان مولى رسول الله ﷺ، وأبو أمامة الباهلي، ويزيد الأسلمي رضي الله عنهم»[٢].

وقال القرطبي: «مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله ﷻ قد خص نبيه محمداً ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشاربه في الأحاديث الصحيحة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي؛ إذ روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة ما ينيف على الثلاثين، منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين، وفي غيرهما بقية ذلك مما صح نقله واشتهرت رواته، ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم، ومن بعدهم أضعاف أضعافهم، وهلم جرا.

وقد خرج على إجماع السلف في ذلك طائفة من أهل البدع، فغلوا في نفي الحوض، وأولوا نصوصه على غير ظاهرها دون مسوغ، ففارقوا بذلك الحق، وقول أهل السنة والجماعة[٣]».

وعقد ابن كثير في النهاية باباً خاصاً في إثبات الحوض وقال: «ذكر ما ورد في الحوض النبوي المحمدي من الأحاديث المتواترة المتعددة من الطرق الكثيرة المتضافرة، وإن رغمت أنوف كثيرة من المبتدعة المعاندة المكابرة القائلين بجحوده، المنكرين

---

(١) السنة للالكائي (١/ ٤١/ ٢)، انظر: أصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص٥١٩ - ٥٣١).
(٢) عقيدة عبد الغني المقدسي (ص ٣٧).
(٣) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٦٧).

لوجوده، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده، كما قال بعض السلف: من كذب بكرامة لم ينلها، ولو اطلع المنكر للحوض على ما سنورده من الأحاديث قبل مقالته لم يقلها[١]».

والأحاديث في إثبات الحوض كثيرة بلغت حد التواتر، وسيأتي ذكر بعضها، وهي أحاديث صحيحة تضمنت الإخبار عن حوض النبي ﷺ، ووصف شرابه، وتعيين طوله وعرضه، فيجب التصديق والإيمان به.

قال ابن أبي عاصم في السنة بعد أن سرد أحاديث الحوض: «والأخبار التي ذكرناها في حوض النبي ﷺ توجب العلم، أن يعلم كنه حقيقته أنها كذلك، وعلى ما وصف به نبينا عليه السلام حوضه فنحن به مصدقون غير مرتابين ولا جاحدين، ونرغب إلى الذي وفقنا للتصديق به - وخذل المنكرين له والمكذبين به عن الإقرار به والتصديق به؛ ليحرمهم لذة شربه - أن يوردنا فيسقينا منه شربة نعدم لها ظمأ الأبد بطوله، ونسأله ذلك بتفضله»[٢].

وقال القاضي عياض: «أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول ولا يختلف فيه.

وقال أيضاً: وحديثه متواتر النقل، رواه خلائق من الصحابة»[٣].

وقد سبق أن ذكرنا قول القرطبي أن أحاديث الحوض متواترة، رواها عن النبي ﷺ من الصحابة ما ينيف على ثلاثين صحابياً.

وجمع ذلك كله الحافظ البيهقي في كتاب البعث والنشور بأسانيده الصحيحة وطرقه المتكاثرة[٤].

وقد استقصى طرقها الحافظ ابن كثير في النهاية[٥].

كما أورد الحافظ ابن حجر طرق حديث الحوض في الفتح وعزاها لمن خرجها[٦].

فقد ثبت أن حوض النبي ﷺ مسيرة شهر كما جاء في الأحاديث الصحيحة[٧].

ثم اختلفت ألفاظ الرواة في تعيين المكانين اللذان حدو حجمه و مسافته بالمسافة بينهما:

---

(١) النهاية (٢/ ٣).
(٢) السنة (٢/ ٣٦٠).
(٣) شرح مسلم للنووي (١٥/ ٥٣).
(٤) البعث والنشور (١/ ١٠٤ - ١١١).
(٥) النهاية (٢/ ٣)
(٦) فتح الباري (١١/ ٤٦٨ - ٤٦٩).
(٧) انظر: صحيح البخاري، ك: الرقاق، ب: في الحوض، برقم (٦٥٧٩)، صحيح مسلم، ك: الفضائل، ب: إثبات حوض نبينا ﷺ برقم: (٢٢٩٢)، الإيمان لابن منده (٣/ ٩٥٤).

فقد ورد في حديث ابن عمر: «**هو كما بين جرباء وأذرح**»[(١)].

وفي حديث أبي سعيد الخدري: «**ما بين الكعبة إلى بيت المقدس**»[(٢)].

وفي حديث أنس: «**ما بين صنعاء والمدينة**»[(٣)].

وفي حديث عقبة بن عامر: «**ما بين أيلة إلى الجحفة**»[(٤)].

وفي حديث أنس: «**ما بين أيلة وصنعاء**»[(٥)].

وعنه أيضا: «**ما بين المدينة وعمان**»[(٦)].

وفي حديث ثوبان: «**من مقامي هذا إلى عمان**»[(٧)].

وعنه أيضاً: «**من عدن إلى عمان البلقاء**»[(٨)].

وعنه أيضاً: «**من عدن إلى عمان**»[(٩)].

وفي حديث عبد الله بن عمرو: «**ما بين مكة وأيلة**»[(١٠)].

فهذه الروايات وغيرها من الروايات الأخرى التي وردت في تعيين مسافة الحوض.

قال ابن حجر: «وهذه الروايات متقاربة، وكلها ترجع إلى نحو نصف شهر أو تزيد على ذلك قليلا أو تنقص.

ثم نقل قول القاضي عياض: هذا من اختلاف التقدير؛ لأن ذلك لم يقع في حديث واحد فيعد اضطرابا من الرواة، وإنما جاء في أحاديث مختلفة عن غير واحد من الصحابة،

---

(١) انظر: صحيح البخاري، ك: الرقاق، ب: في الحوض، برقم: (٦٥٧٧)، صحيح مسلم، ك: الفضائل، ب: إثبات حوض نبينا ﷺ برقم: (٢٢٩٩).

(٢) انظر: مسند أحمد (٣/ ١٨، ٦٢، ٩١، ٥/ ٣٣٩)، السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٣٣٥).

(٣) صحيح مسلم، ك: الفضائل، ب: إثبات حوض نبينا ﷺ برقم: (٢٣٠٣)، الإيمان لابن منده (٣/ ٩٥٣).

(٤) صحيح مسلم، ك: الفضائل، ب: إثبات حوض نبينا ﷺ برقم: (٢٢٩٦).

(٥) صحيح البخاري، ك: الرقاق، ب: في الحوض برقم: (٦٥٨٠)، صحيح مسلم، ك: الفضائل، ب: إثبات حوض نبينا ﷺ برقم: (٢٣٠٢).

(٦) صحيح مسلم، ك: الفضائل، ب: إثبات حوض نبينا ﷺ برقم: (٢٣٠٣).

(٧) صحيح مسلم، ك: الفضائل، ب: إثبات حوض نبينا ﷺ برقم: (٢٣٠١)

(٨) مسند أحمد (٥/ ٢٧٦).

(٩) سنن الترمذي، ك: صفة القيامة، ب: ما جاء في صفة أواني الحوض، (٤/ ٦٢٩)، برقم: (٢٤٤٤)، السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٣٤٧).

(١٠) مسند أحمد (٢/ ١٦٢)، السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٣٣٣)، الشريعة (ص ٣٥٣).

سمعوه في مواطن مختلفة، وكان النبي ﷺ يضرب في كل منها مثلا لبعد أقطار الحوض وسعته بما يسنح له من العبارة، ويقرب ذلك للعلم ببعد ما بين البلاد النائية بعضها من بعض لا على إرادة المسافة المحققة.

قال: فبهذا يجمع بين الألفاظ المختلفة من جهة المعنى. انتهى»[١].

كما وفق القرطبي بينها فقال: «ظن بعض الناس أن هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراب واختلاف، وليس كذلك، وإنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، فيقول لأهل الشام: ما بين أذرح وجرباء، ولأهل اليمن: من صنعاء إلى عدن، وهكذا، وتارة أخرى يقدر بقدر الزمان فيقول: مسيرة شهر، والمعنى المقصود أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا، فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات، فخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها»[٢].

وقال النووي: «وليس في القليل من هذه منع الكثير، والكثير ثابت على ظاهر الحديث ولا معارضة»[٣].

وذكر السفاريني في لوامع الأنوار هذا الاختلاف الوارد في ألفاظ الحديث، ثم أجاب عنها فقال: وهذا الاختلاف والاضطراب لا يوجب الضعف؛ لأنه من اختلاف التقدير والتحديد، لا من الاختلاف في الرواية؛ لأن ذلك لم يقع في حديث واحد فيعد اضطراباً، وإنما جاء في أحاديث مختلفة من غير واحد من الصحابة، وقد سمعوه في مواطن متعددة، وكان النبي ﷺ يمثل لكل قوم الحوض بحسب ما يعلم المتكلم ويفهم السائل، وبحسب ما يسنح له ﷺ من العبارة، وحدد الحوض بحسب ما يفهم الحاضرون من الإشارة.

وقيل أيضاً: بل سبب الاختلاف ملاحظة سرعة السير وعدمها، فقد عهد في الناس من يقطع مسافة عشرة أيام في ثلاثة أيام وعكسه، وأكثر من ذلك وأقل»[٤].

وبهذا يتضح الحق في الباب، ويتبين أنه لا تنافي ولا تناقض بين الأحاديث التي جاءت في تعيين مسافة حوض النبي ﷺ وحده، ولا يذاد عن هذا الحوض إلا طوائف من

---

(١) فتح الباري (١١/ ٤٧١).
(٢) التذكرة (ص ٣٠٤).
(٣) شرح صحيح مسلم (١٥/ ٥٨).
(٤) لوامع الأنوار (٢/ ٢٠١-٢٠٢).

المكذبين بحقيقة النصوص الشرعية، أو المبتدعة الخارجين عن الكتاب والسنة، ومن أحدثوا بعقولهم في دين الله ما ليس منه، والمكذبون بالقدر، وغيرهم.

يقول القرطبي بهذا الصدد: «فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به، فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم، وتطميس الحق، وقتل أهله، وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع.

ثم البعد قد يكون في حال، ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد، وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به ثم يقال لهم سحقا»[١].

وقد اختلف العلماء في الحوض، هل يكون قبل الصراط والميزان أو بعدهما، فمذهب أكثر أهل العلم أنه قبلهما.

ووجه بعضهم بأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشاً فيردون الحوض للشرب منه قبل الصراط والميزان، وأنه لو كان بعد الصراط لما صح أن يذاد عنه أحد، فإن من جاوز الصراط لا رجوع له إلى النار.

قال الغزالي: وحكى بعض السلف من أهل التصنيف أن الحوض يورد بعد الصراط، وهو غلط من قائله.

ووافقه القرطبي وقال: هو كما قال. ثم أورد حديث منع المرتدين على أعقابهم القهقرى عنه.

وقال: وهذا الحديث مع صحته أول دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط؛ لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم ممدود يجاوز عليه، فمن جازه سلم[٢].

وأقره ابن كثير في النهاية فقال: «وأن ظاهر ما تقدم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط؛ لأنه يذاد عنه أقوام، يقال عنهم: إنهم لم يزالوا يرتدون على أعقابهم منذ فارقتهم، فإن كان هؤلاء كفاراً فالكافر لا يجاوز الصراط، بل يكب على وجهه في النار

---

(١) التذكرة (ص ٣٠٧).

(٢) التذكرة (ص ٣٠٢).

قبل أن يجاوزه، وإن كانوا عصاة وهم من المسلمين، فبعيد حجبهم عن الحوض، ولا سيما وعليهم سيما الوضوء، وقال النبي ﷺ: «أعرفكم غرا محجلين من آثار الوضوء»، ثم من جاوز الصراط لا يكون إلا ناجياً مسلماً، فمثل هذا لا يحجب عن الحوض، فالأشبه - والله أعلم - أن الحوض قبل الصراط»(١).

وقال قوم: يكون بعد الميزان والصراط.

وهو رأي القاضي عياض، والحافظ ابن حجر، وابن حمدان(٢).

قال الحافظ ابن حجر: «إيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة وبعد نصب الصراط إشارة منه إلى أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه. ثم ذكر الحافظ بأن الحوض يصب فيه من الكوثر الذي في داخل الجنة، فيكون الحوض بعد الصراط بجانب الجنة، ولو كان قبله لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب فيه من الكوثر(٣)».

وقال ابن حمدان في عقيدته: يشرب منه المؤمنون قبل دخولهم الجنة وبعد جواز الصراط(٤).

وقد أجيب عن ابن حجر في قوله: «لو كان الحوض قبل الصراط لحالت النار بينه وبين ماء الكوثر» قيل: بأن هذا لا يثبت بقياس؛ إذ أمور الآخرة لا تتقيد بالعوائد، فلا استحالة في أن يصل ماء الكوثر إلى الحوض مع كون جهنم بينهما(٥).

وقد ورد في حديث النضر بن أنس عن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال: أنا فاعل، قال: قلت: يا رسول الله فأين أطلبك يوم القيامة يا نبي الله، قال: «اطلبني أول ما تطلبني على الصراط، قال: قلت: فإن لم ألقك على الصراط، قال: فأنا عند الميزان، قال: قلت: فإن لم ألقك عند الميزان، قال: فأنا عند الحوض لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن يوم القيامة»(٦).

---

(١) النهاية لابن كثير (٢/ ٣٦).

(٢) انظر: التذكرة (ص ٣٠٢)، فتح الباري (١١/ ٤٦٧)، لوامع الأنوار (٢/ ١٠٥).

(٣) فتح الباري (١١/ ٤٦٦).

(٤) انظر: لوامع الأنوار (٢/ ١٦٥).

(٥) النشر الطيب (٢/ ٣٩٣).

(٦) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٧٨)، والترمذي في سننه، ك: صفة القيامة، ب: ما جاء في شأن الصراط برقم: (٢٤٣٢)، وابن ماجه في تفسيره - كما قال ابن كثير في النهاية (٢/ ٦٩) - والبيهقي في البعث والنشور (٣٧/ ١-٢)، من طريق حرب بن ميمون الأنصاري البصري عن النضر به مرفوعا، وصححه الشيخ

وقد أجاب عنه أهل العلم:

فقال ابن كثير: والمقصود أن ظاهر هذا الحديث يقتضي أن الحوض بعد الصراط، وكذلك الميزان أيضاً، وهذا لا أعلم به قائلا اللهم إلا أن يكون المراد بهذا الحوض حوضاً آخر يكون بعد الجواز على الصراط، كما جاء في بعض الأحاديث، ويكون ذلك حوضاً ثانياً، لا يذاد عنه أحد والله سبحانه أعلم[(١)].

وقال السيوطي: ويحتمل الجمع بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم وتأخيره بعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب والأوزار حتى يهذبوا منها على الصراط.

وأيده الشيخ مرعي لقوله: وهذا في غاية التحقيق، جامع للقولين، وهو دقيق.

وأقره السفاريني في لوامع الأنوار[(٢)].

أما إنكار الحوض أو تأويل نصوصه فإن أكثر أصحاب الأصول والمقالات لم يذكروا عنه شيئاً.

بل بعضهم يؤكدون أن الأمة اتفقت على إثباته[(٣)].

قال ابن حزم في الفصل: «أما الحوض فقد صحت الآثار فيه، وهو كرامة للنبي ﷺ ولمن ورد عليه من أمته، ولا ندري من أنكره متعلقاً، ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبي ﷺ في هذا»[(٤)].

وذكر بعض العلماء الخلاف في ذلك إلا أنهم ذكروه مبهماً دون أن ينسب إلى فرقة خاصة أو طائفة معينة[(٥)].

قال الأشعري: «قال أهل السنة والاستقامة: إن للنبي ﷺ حوضاً يسقي منه المؤمنين ولا يسقي منه الكافرين، وأنكر قوم الحوض ودفعوه»[(٦)].

وقال البغدادي: «نقول لمنكر الحوض لا سقاهم الله منه»[(٧)].

الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٢٦٣٠)، وفي صحيح سنن الترمذي برقم: (٢٤٣٣).

(١) النهاية (٢/ ٦٩). (٢) (٢/ ١٩٥).

(٣) انظر: الفصل (٤/ ٦٦)، الملل والنحل (١/ ٤٤)، التذكرة (ص ٣٠٢).

(٤) الفصل (٤/ ٦٦).

(٥) انظر: السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٣٩٠)، الشريعة (ص ٣٥٧)، مقالات الإسلاميين (٢/ ١٤٧)، أصول الدين للبغدادي (ص ٢٤٦)، الفرق (ص ٣٣٩).

(٦) مقالات الإسلاميين (٢/ ١٤٧). (٧) أصول الدين (ص ٢٤٦، ٣٣٩).

ونقل بعضهم أن نفاة الحوض هم الخوارج والمعتزلة(١).

لكن لم يثبت عندنا نص صريح عن الخوارج والمعتزلة في نفي الحوض، لذا فإنه يصعب علينا نسبتهم إلى نفي الحوض على الإطلاق.

الأسئلة والأجوبة على أن حوض النبي ﷺ حق

س١: ما معنى قول الطحاوي: «والحوضُ الذي أكرمه الله تعالى به غِياثاً لأمتِه حقٌّ»؟

ج١: يقرر المصنف عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة الحوض، وثبت عن النبي ﷺ وجود الحوض المورود، بل إن أحاديث الحوض متواترة كما بين ذلك أهل العلم، ومجملها أنه حوض عظيم، يمد من شراب الجنة، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، طوله وعرضه سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، كيزانه كنجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وهو أعظم حوضٍ يوم القيامة وأحلاها، وأكثرها وارداً، وهو غياث لأمته من عطش يوم القيامة وظمئه، فهو فضل الله على نبيه ﷺ، أكرمه به، وفضله على سائر الأنبياء، جعلنا الله من أهل حوضه المورود في اليوم المشهود.

س٢: ما سبب ذكر المصنف لمسألة الحوض في العقيدة؟

ج٢: ذكر الإمام الطحاوي مسألة الحوض في العقيدة الطحاوية لأمرين:

١- أن الحوض أمر غيبي، والإيمان به واجب، وقد تواترت الأدلة من السنة على إثباته.

٢- لأن أهل البدع خالفوا اعتقاد أهل السنة فيه، فأنكرته المعتزلة، وخالف في فهمه الروافض والخوارج.

س٣: هل الحوض دل عليه القرآن الكريم؟

ج٣: الحوض دل عليه القرآن بدليل محتمل، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر:١]، وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ فسر الكوثر بأنه حوض أعطاه الله إياه(٢).

س٤: قال الطحاوي رحمه الله: «والحوضُ الذي أكرمه الله تعالى به غِياثاً لأمتِه حقٌّ»، عرِّف ما هو الحوض لغة وشرعاً؟ ثم اذكر حكم الإيمان به؟

ج٤: الحوض لغة: مجمع الماء، وهو مادة مشتقة من السيلان، ومنه الحيض، ومنه

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٦٧)، النشر الطيب (٢/ ٣٨٩)، لوامع الأنوار (٢/ ٢٠٢).
(٢) انظر: المسار (ص٧١).

حاض الوادي إذا سال.

والحوض شرعاً: هو حوض الرسول ﷺ المورود في عرصات القيامة والعرصات: المكان الواسع، والمراد بها مواقف العرض والحساب.

وحكمه: اتفاق أهل السنة أنه حق ثابت.

ومن الأدلة الثابتة على صحته ما يلي:

الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة أكثر من خمسين صحابياً، فمن الأحاديث:

١- ما رواه البخاري رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: «إن قَدْر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء باليمن، وإنَّ فيه من الأباريق عدد نجوم السماء»(١).

٢- وعنه عن النبي ﷺ قال: «ليردنَّ عليَّ أناس من أصحابي حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك» متفق عليه(٢).

٣- حديث: «حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء»(٣).

٤- حديث:«حوضي ما بين المدينة وعمان»(٤).

س٥: ما صفة الحوض؟

ج٥ : صفة الحوض التي دل عليها الدليل من صحيح السنة النبوية:

١- شكله: فهو مربع الشكل، زواياه وأضلاعه متساوية، طوله شهر، وعرضه شهر.

٢- مكانه في الأرض المبدلة: قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

٣- آنيته: وصفت كنجوم السماء، ويفهم من هذا بأنها كثيرة، وأن آنيته كالنجوم في الإشراق والبهاء والنور.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: في الحوض، برقم: (٦٥٨٠)، ومسلم، ك: الفضائل، ب: إثبات حوض نبينا ﷺ، برقم: (٢٣٠٣).

(٢) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: في الحوض، برقم: (٦٥٨٢)، ومسلم، ك: الفضائل، ب: إثبات حوض نبينا ﷺ، برقم: (٢٣٠٤).

(٣) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ب: ما جاء في أواني الحوض، برقم: (٢٤٤٤)، وأحمد (٥/ ٢٧٥).

(٤) أخرجه مسلم، ك: الفضائل، ب: إثبات حوض نبينا ﷺ، برقم: (٢٣٠٣).

٤- ماؤه: أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، ورائحة مائه كالمسك، ومصدر مائه من الكوثر الذي في الجنة.

س٦: ذكرت مسافات مختلفة في أحاديث الحوض، فكيف يجمع بين هذه الأحاديث؟

ج٦: الجمع بين هذه الأحاديث من وجوه، وأرجحها:

أولا: قيل: إن الاختلاف إنما أتى بحسب ما يعرفه السائل من حجازي ويماني وشامي، فلا ينظر إلى الطول والعرض، وإنما ينظر إلى السائل.

ثانياً: قيل: إن الاختلاف بالنسبة للمجتهد في السير والبطيء فيه.

س٧: أيهما يأتيه الناس أولا: الميزان أم الحوض؟ اذكر الخلاف في ذلك مع التوجيه لما تختار؟

ج٧: للناس في ذلك قولان:

أولا: الميزان قبل الحوض.

ثانياً: أن الحوض قبل الميزان، وهذا هو المختار.

والتوجيه: أن الذين يخرجون من قبورهم، يكونون عطاشاً، فهذا يدل على أنه متقدم على الميزان.

س٨: أين يكون الحوض؟ هل هو قبل الصراط أم بعده؟

ج٨: للناس في ذلك قولان كما في الخلاف في تقديمه على الميزان، والصحيح أنه مقدم عليه، أي: أن الحوض مقدم على الصراط.

التوجيه: وذلك من جهتين:

الأولى: أن الناس يخرجون من قبورهم عطاشاً.

الثانية: أنه يختلج عنه، ويمنع عنه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم(١)، ومثل هؤلاء لا يجوزون الصراط.

س٩: ما حكم من أنكر الحوض والكوثر؟ ومن هم الذين يذادون عن الحوض؟

ج٩: هو كافر إذا تبينت له الأدلة على ثبوتهما.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، ك: الرقاق، ب: في الحوض، برقم: (٦٥٧٦، ٦٥٨٢، ٦٥٨٤ - ٦٥٨٦)، صحيح مسلم، ك: الفضائل، ب: إثبات حوض نبينا ﷺ، برقم: (٢٢٩٠، ٢٢٩٣، ٢٢٩٤، ٢٢٩٥).

والذود عن الحوض الذي وردت به الأحاديث نوعان:

١- الأول: ذودٌ عام: وهو ذودُ النبي ﷺ غير أمته عن الحوض، فلكل نبي حوضٌ، والنبي ﷺ يريد من أتباع كل نبيٍّ أن يلحقوا بحوض نبيهم.

٢- الثاني: ذودٌ خاص، يذاد عن الحوض طائفة قليلة بالنسبة إلى كثرة من يرده، وقد اختلف أهل العلم في هؤلاء الذين يذادون عن الحوض على أقوال:

١- قيل: إنهم الذين ارتدوا بعد النبي ﷺ، واتبعوا مسيلمة الكذاب أو سجاح أو غيرهما، وهم قليل.

٢- وقيل: إنهم المنافقون.

٣- وقيل: إنهم كل من أحدث بعد النبي ﷺ حدثاً فغيَّر الدين، إما بالارتداد أو بما هو دونه، وهذا هو الأظهر لشموله القولين السابقين(١).

س١٠: ما المراد بالحوض؟ واذكر بعضاً من صفاته؟

ج١٠: هو حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر، ويكون في أرض المحشر، وهو أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتساع، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً.

س١١: من هم المخالفون في مسألة الحوض؟

ج١١: خالف في الحوض طوائف من أهل البدع:

١- فالمعتزلة أنكروه أصلًا، وقالوا: إنه لا يعقل وجود حوض، فأولوا النصوص الدالة على الحوض، وهذا باطل؛ لأن الحوض ثابت بالتواتر اللفظي والمعنوي، وتسليط العقل على الأمور الغيبية الثابتة غير جائز.

٢- وأما الخوارج والرافضة فيؤمنون بالحوض، ولكن جعلوا من يذاد عنه هم الصحابة(٢).

س١٢: كيف ترد على الرافضة في أن الذين يذادون عن الحوض هم أصحاب النبي ﷺ؟

ج١٢: الرافضة يقولون: إن الذين يذادون عن الحوض هم أصحاب محمد ﷺ

---

(١) انظر: المسار (ص٧٢).

(٢) انظر: المسار (ص٧٢).

جميعهم ما عدا نفر قليل، قيل: إنهم خمسة.

والجواب على هذه الفرية من وجوه:

١- أن الأحاديث الواردة تدل على تقليل عدد من يذاد عنه فقد قال النبي ﷺ: «يذاد قوم... »[(١)]، «يا رب أصحابي»[(٢)].

٢- أن الذين نقلوا أحاديث الحوض هم أصحاب النبي ﷺ الذين زعمتم أنهم كفروا، فكيف تقبلون رواية من كفرتموهم، وإن قلتم: للتكاثر، فكيف ينقل هؤلاء الجلة من الصحابة أحاديث فيها تكفيرهم!!

٣- أن فهم عامة السلف لأحاديث الحوض، وتناقلهم للأحاديث الواردة في الحوض، ونقل التابعين عن الصحابة أحاديث الحوض، ثم تابعوهم من بعدهم مع ترضيهم جميعاً عن الصحابة يدل دلالة قاطعة على أن مفهوم الرافضة من الأحاديث لم يكن معروفاً عن الصحابة، ولا تابعيهم، ولا أتباع التابعين، وهذا يدل على أن هذا الفهم غير صحيح، والواقع يشهد بأن الذين ارتدوا من أصحاب النبي ﷺ ممن لم يدخل الإيمان في قلوبهم نفر قليل ممن قاتلوا مع مسيلمة الكذاب، أو كفروا بعد إسلامهم من شذاذ العرب[(٣)].

س١٣: أوضح الاختلاف بين الحوض والكوثر مع بيان موضعهما؟

ج١٣: الفرق في ذلك أن الكوثر هو النهر الذي في الجنة فهو أصل، أما الحوض فهو يكون في الموقف في الأرض المبدلة، وهي أرض بيضاء كالفضة، فهو فرع من الكوثر.

س١٤: بين كيف يمكن الجمع بين حديث: «**هل تدرون ما الكوثر؟** قالوا الله ورسوله أعلم، قال: **هو نهر أعطانيه ربي في الجنة**»[(٤)]، وبين حديث: «**يرد عليَّ أناس من أصحابي حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني..**»؟ مع ذكر أول من يرد على الحوض مع الدليل؟

ج١٤: الجمع بينهما أن المراد بالكوثر النهر الذي في الجنة، كما في الحديث.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الطهارة، ب: استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، برقم: (٢٤٩)، ولفظه: «ألا ليذادن رجال عن حوضي...».

(٢) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: في الحوض، برقم: (٦٥٧٦)، صحيح مسلم، ك: الفضائل، ب: إثبات حوض نبينا ﷺ، برقم: (٢٢٩٧).

(٣) انظر: المسار (ص٧٢).

(٤) أخرجه مسلم، ك: الصلاة، ب: حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة، سوى براءة، برقم: (٤٠٠).

وأول من يرد على الحوض هو النبي ﷺ، والدليل قوله ﷺ: «**أنا فرطكم على الحوض**»[(١)]، والفرط الذي يسبق على الحوض.

س١٥: ما أسباب الورود على الحوض؟

ج١٥: الشرب من حوض نبينا ﷺ ووروده له أسباب ينبغي على المسلم أن يحرص عليها، وهي:

١- أن يكون غير محدث في الدين حدثاً لم يكن على عهد النبي ﷺ.

٢- أن يخلص قلبه من الغش، والحقد، والغل على أصحاب النبي ﷺ، بل يحبهم، ويترضى عليهم، ويمسك عما شجر بينهم.

٣- البعد عن الافتراء في دين الله، والكذب على رسول الله ﷺ.

٤- الابتعاد عن الكبائر والذنوب، والحرص على الاستغفار إذا أذنب ذنباً[(٢)].

الشفاعة حق

قال الطحاوي: «والشفاعةُ التي ادَّخرها لهم حقٌّ، كما رُويَ في الأخبار».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الشفاعة أنواع:]

الشفاعة أنواع:

منها ما هو متفق عليه بين الأمة.

ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع.

[الشفاعة العظمى:]

فمن أنواعها: الشفاعة الأولى وهي العُظْمى الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين - صلوات الله عليهم أجمعين - في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: في الحوض، برقم: (٦٥٨٢)، ومسلم، ك: الفضائل، ب: إثبات حوض نبينا ﷺ، برقم: (٢٣٠٤).

(٢) انظر: المسار (ص٧٣).

[حديث الشفاعة العظمى:]

منها: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتي رسول الله ﷺ بلحم فدفع إليه منها الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة، ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون لم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون إلى ما أنتم فيه؟ ألا ترون إلى ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا إلى ربك! ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض؟ وسماك الله عبدا شكورا فاشفع لنا إلى ربك! ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى أنت رسول الله اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك! ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، قال: هكذا هو، وكلمت الناس في المهد فاشفع لنا ربك؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنبا، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء غفر الله لك ذنبك ما تقدم منه وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك! ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي،

ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، يا رب أمتي أمتي، يا رب أمتي أمتي، فيقول: أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده لما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى».

أخرجاه في الصحيحين بمعناه واللفظ للإمام أحمد(١).

[الشفاعة للمؤمنين في دخول الجنة:]

ومنها: شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أول شفيع في الجنة»(٢).

[الشفاعة لأهل الكبائر:]

ومنها: شفاعته في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديثُ، وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة، فخالفوا في ذلك جهلا منهم بصحة الأحاديث وعنادا ممن علم ذلك واستمر على بدعته، وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضا.

ومن أحاديث هذا النوع ما رواه البخاري رحمه الله عن معبد بن هلال العنزي قال: اجتمعنا ناس من أهل البصرة، فذهبنا إلى أنس بن مالك، وذهبنا معنا بثابت البناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة، فإذا هو في قصره، فوافقناه يصلي الضحى فاستأذنا، فأذن لنا وهو قاعد على فراشه، فقلنا لثابت: لا تسأله عن شيء أَوَّلَ من حديث الشفاعة، فقال: يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة فقال: حدثنا محمد ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض، فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست بها، ولكن عليكم بإبراهيم؛ فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى؛ فإنه كليم الله، فيأتون موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى؛ فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى، فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤٣٥)، والبخاري، ك: التفسير، ب: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣]، برقم: (٤٧١٢)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٤).

(٢) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: في قول النبي ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة»، برقم: (١٩٦).

فيأتوني، فأقول: أنا لها، فأستأذن علي ربي، فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجدا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، واشفع تشفع، وسل تعط، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود، فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، واشفع تشفع وسل تعط، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان، فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل، قال: فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعض أصحابنا: لو مررنا بالحسن، وهو متوار في منزل أبي خليفة، فحدثناه بما حدثنا به أنس بن مالك، فأتيناه فسلمنا عليه، فأذن لنا فقلنا له: يا أبا سعيد جئناك من عند أخيك أنس بن مالك، فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هيه! وحدثناه بالحديث فانتهى إلى هذا الموضع، فقال: هيه! فقلنا: لم يزد لنا على هذا، فقال: لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة، فما أدري أنسي أم كره أن تتكلوا، فقلنا: يا أبا سعيد فحدثنا فضحك، وقال: خلق الإنسان عجولا، ما ذكرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم، حدثني كما حدثكم به، قال: ثم أعود الرابعة، فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله». وهكذا رواه مسلم(١).

[شفاعة الله تعالى:]

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد ﷺ مرفوعا قال: «فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضةً من النار، فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط» الحديث(٢).

---

(١) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم: (٧٥١٠)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، برقم: (٧٤٣٩)، ومسلم، ك: الإيمان، بك معرف طريق الرؤية، برقم: (١٨٣)، وهذا لفظ مسلم.

[أقسام الناس في الشفاعة:]

ثم إن الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال:

١- فالمشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا.

٢- والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا ﷺ وغيره في أهل الكبائر.

٣- وأما أهل السنة والجماعة فيقرون بشفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر وشفاعة غيره، ولكن:

لا يشفع أحد حتى يأذن الله له ويحد له حدّاً، كما في الحديث الصحيح: «إنهم يأتون آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى فيقول لهم عيسى عليه السلام: اذهبوا إلى محمد؛ فإنه عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني فأذهب، فإذا رأيت ربي خررت له ساجداً فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن، فيقول: أي محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تشفع، فأقول: ربي أمتي فيحدُّ لي حدّاً، فأدخلهم الجنة، ثم انطلق فأسجد فيحد لي حدا» ذكرها ثلاث مرات(١).

[الشفاعة عند الله ليست كما هي عند غيره:]

فالحاصل أن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر، فالله تعالى وتر لا يشفعه أحد، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فالأمر كله إليه، فلا شريك له بوجه، فالأمر كله لله كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

توضيح كلام الطحاوي وابن أبي العز، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: المسائل العقدية التي ذكرها ابن أبي العز في شرحه.

تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما روي في الأخبار» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- الشفاعة أنواع. ٢- الشفاعة العظمي.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم: (٧٥١٢)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٤).

٣- حديث الشفاعة العظمى. ٤- الشفاعة للمؤمنين في دخول الجنة.
٥- الشفاعة لأهل الكبائر. ٦- شفاعة الله تعالى.
٧- أقسام الناس في الشفاعة. ٨- الشفاعة عند الله ليست كما هي عند غيره.

المطلب الثاني: شرح كلام الطحاوي.

أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات الشفاعة للرسول ﷺ وقالوا: إن للرسول ﷺ عدة شفاعات يوم القيامة، فأثبتوا له ﷺ الشفاعة العظمى في الخلائق للإراحة من أهوال الموقف ليعجل الله حسابهم.

كما أنهم أثبتوا له ﷺ الشفاعات الأخرى التي يشفع بها ﷺ لأقوام من المؤمنين في رفع درجاتهم في الجنة، ولأناس من المؤمنين بدخول الجنة بغير حساب، وللعصاة وأهل الكبائر من المؤمنين في عدم دخول بعضهم النار، وفي إخراج بعضهم منها بعد أن عذبوا، وإدخالهم الجنة[١].

قال الإمام أحمد: «والشفاعة يوم القيامة حق، يشفع قوم في قوم فلا يصيرون إلى النار، ويخرج قوم من النار بشفاعة الشافعين، ويخرج قوم من بعد ما دخلوها ولبثوا فيها ما شاء الله، ثم يخرجهم من النار»[٢].

وقال ابن أبي عاصم في السنة بعد سرد الأحاديث الدالة على إثبات الشفاعة: «الأخبار التي روينا عن نبينا ﷺ فيما فضله الله به عن الشفاعة، وتشفيعه إياه فيما يشفع فيه أخبار ثابتة موجبة بعلم حقيقة ما حوت على ما اقتصصنا، والصاد عن الأخبار الموجبة للعلم المتواترة كافر»[٣].

وقال الحافظ عبد الغني: «ويعتقد أهل السنة ويؤمنون أن النبي ﷺ يشفع يوم القيامة لأهل الجمع كلهم شفاعة عامة، ويشفع في المذنبين من أمته، فيخرجهم من النار بعدما احترقوا، ثم ذكر بعض الأحاديث الدالة على إثبات الشفاعة»[٤].

والشفاعة عند أهل السنة جائزة، وهي تفضل من الله سبحانه لعباده المؤمنين، ولكنها واقعة لا محالة.

---

(١) انظر: أصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص ٥٧٤-٥٩٤).
(٢) السنة (ص ٧٣). (٣) السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٣٩٩).
(٤) عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (ص٣٧) - المجموعة العلمية السعودية -.

قال القاضي عياض: «مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلًا، ووجوبها سمعاً، ثم ساق بعض الآيات الدالة على إثبات الشفاعة، وقال: وقد جاءت الآثار التي بلغت مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف، ومن بعدهم من أهل السنة عليها»(١).

ثم إن أهل السنة اختلفوا في أقسام الشفاعة:

قال القرطبي: «اعلم أن العلماء اختلفوا في شفاعاته ﷺ وكم هي؟ فقال النقاش: لرسول الله ﷺ ثلاث شفاعات: العامة، وشفاعة في السبق إلى الجنة، وشفاعة في أهل الكبائر.

قال ابن عطية في تفسيره: والمشهور أنهما شفاعتان فقط: العامة، وشفاعة في إخراج المذنبين من النار، وهذه الشفاعة الثانية لا يتدافعها الأنبياء، بل يشفعون ويشفع العلماء»(٢).

وذكر ابن خزيمة في التوحيد الشفاعات المختصة للنبي ﷺ فذكر شفاعتين فقط، الشفاعة العظمى، وشفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته(٣).

وقال القاضي عياض: «شفاعات نبينا ﷺ يوم القيامة خمس:

١- مختصة بنبينا ﷺ، وهي الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب.

٢- في إدخال قومٍ الجنةَ بغير حساب، وهذه وردت أيضاً لنبينا.

٣- الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن شاء الله.

٤- الشفاعة فيمن دخل النار من المذنبين.

٥- الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها»(٤).

ووافقه السفاريني، وأقره صاحب النشر الطيب(٥).

واستدرك عليه القرطبي في التذكرة، فذكر القسم السادس من الشفاعة، وهو شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه(٦).

وأما ابن كثير فقد ذكر ثمان شفاعات:

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٣/ ٣٥). (٢) التذكرة (ص ٢٤٩).
(٣) التوحيد لابن خزيمة (ص ٢١٤، ٣٥٩)، وبه قال ابن حزم في الفصل (٤/ ٦٤).
(٤) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٣/ ٦).
(٥) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢١١)، النشر الطيب (٢/ ٤٢١).
(٦) التذكرة (ص٢٤٩).

- النوع الأول منها: شفاعته الأولى، وهي العظمى.

- النوع الثاني والثالث من الشفاعة: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

- النوع الرابع: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

- النوع الخامس: وهي في أقوام ليدخلوا الجنة بغير حساب.

- النوع السادس: شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عذابه.

- النوع السابع: شفاعته ﷺ لجميع المؤمنين قاطبة في أن يؤذن لهم في دخول الجنة.

- النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار فيخرجون منها[(١)].

فالنوع الأول من الشفاعة: شفاعته ﷺ في الخلائق كلهم؛ ليخلصوا من هول الموقف يوم القيامة، وليعجل الله حسابهم، ويقضي بينهم في اليوم الذي تقف فيه الخلائق أمام خالقهم لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً.

فهذه الشفاعة العظمى التي يشفع الرسول ﷺ فيها عند الله ﷻ ليأتي لفصل القضاء ويريح الخلائق من شدة أهواله، وهي التي يرغب إليه فيها الناس كلهم بعد أن يعتذر عنها آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام.

وهو في عموم الخلق، ولا تخص أمة دون أمة.

١- قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

والمقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون هو شفاعته ﷺ في جميع الخلق، وهي الشفاعة العظمى كما جاء في تفسير هذه الآية.

فقد أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ»**.

وزاد بعضهم: **«فيشفع ليقضي بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم»**[(٢)].

---

(١) النهاية لابن كثير (٢/ ١٧٩ - ٢٢٠).

(٢) أخرجه البخاري، ك: الزكاة، ب: من سأل الناس تكثراً، برقم: (١٤٧٥).

وقال الطبري: «قال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام المحمود الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس؛ ليريحهم ربهم من عظيم ما فيه من شدة ذلك اليوم»(١).

وقال الحافظ بعد أن ذكر الأقوال الواردة في المقام المحمود، قال: «الراجح أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة»(٢).

وحديث الشفاعة: رواه جماعة من الصحابة منهم: أنس، وأبو هريرة، وأبو بكر، وابن عباس، وابن عمر، وحذيفة، وعقبة بن عامر، وأبو سعيد الخدري، وسلمان الفارسي، وأبي بن كعب، وعبادة بن الصامت، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن سلام، رضوان الله عليهم وغيرهم(٣).

واستدل العلماء على هذا القسم من الشفاعة ما جاء عن أنس مرفوعاً: «**يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا، فيأتون آدم، فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا عند ربنا، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ويقول: ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا، فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ائتوا موسى الذي كلمه الله فيأتونه، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته، ائتوا عيسى، فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ائتوا محمداً ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني فأستأذن على ربي، فإذا رأيته، وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله، ثم يقال لي: ارفع رأسك سل تعطه، وقل يسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمني، ثم أشفع فيحد لي حدا ثم أخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة**»(٤).

وقال القاضي عياض: «جاء في حديث أنس وحديث أبي هريرة ابتداء النبي ﷺ بعد سجوده وحمده والإذن له في الشفاعة بقوله: «أمتي أمتي»، وقد جاء في حديث حذيفة بعد هذا في هذا الحديث نفسه، قال: «**فيأتون محمدا ﷺ فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولهم كالبرق**» وساق الحديث.

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ١٤٤).

(٢) فتح الباري (١١/ ٤٢٧).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦).

(٤) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: صفة الجنة والنار، برقم: (٦٥٦٥)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٣).

قال: وبهذا يتصل الحديث؛ لأن هذه هي الشفاعة التي لجأ الناس إليه فيها، وهي الإراحة من الموقف والفصل بين العباد، ثم بعد ذلك حلت الشفاعة في أمته ﷺ، وفي المذنبين، وحلت الشفاعة للأنبياء والملائكة وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم كما جاء في الأحاديث الأخيرة»(١).

وقال القرطبي بعد ذكر الآية: «هذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما هي لتعجيل حسابهم، ويراحوا من هول الموقف، وهي الخاصة به ﷺ وقوله: «أقول: يا رب أمتي أمتي» اهتمام بأمر أمته وإظهار محبته فيهم، وشفقته عليهم، وقوله: «فيقال: يا محمد ادخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه» يدل على أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف، فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته، فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته و غيرهم. و كان طلبه هذه الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالى لهم حتى يظهر في ذلك اليوم مقام نبيه ﷺ المحمود الذي وعده»(٢).

وبهذا تجتمع متون الحديث وتنتظم معانيها.

فهذه الشفاعة وهي الشفاعة العظمى أجمعت عليها الأمة ولم ينكرها أحد من أهل القبلة(٣).

قال الإيجي: أجمعت الأمة على أصل الشفاعة، وهي عندنا لأهل الكبائر من الأمة، وقالت المعتزلة: إنما هي لزيادة الثواب لا لدرء العقاب(٤).

وقال السفاريني: «شفاعة النبي ﷺ من السمعيات، وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي، واتفق عليه إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة، لكن هذه الشفاعة العظمى مجمع عليها، لم ينكرها أحد ممن يقول بالحشر»(٥).

النوع الثاني من الشفاعة: شفاعته ﷺ لعامة المؤمنين في دخول الجنة.

وقد ثبت أن الرسول ﷺ هو أول الناس دخولا في الجنة، وأن أهل الجنة يأتون إلى آدم، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ويستشفعون بهم فيعتذرون، فيأتون إلى محمد ﷺ فيشفع لهم عند الله فيؤذن لهم في دخول الجنة.

ويدل عليه ما روى مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة: «يجمع الله ﷻ الناس

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٣/ ٥٧-٥٨). (٢) التذكرة (ص٢٤٥).
(٣) انظر: الفصل (٤/ ٦٣)، شرح الأصول (ص ٦٨٩)، المواقف (ص ٣٨٠)، لوامع الأنوار (٢/ ٢٠٨).
(٤) المواقف (ص ٣٨٠). (٥) لوامع الأنوار (٢/ ٢٠٨).

فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم، لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، قال: فيقول إبراهيم عليه السلام: لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلًا من وراء، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليماً، فيأتون موسى عليه السلام فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى عليه السلام: لست بصاحب ذلك، فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له»(١).

كما يدل عليه ما أخرجه أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه من حديث أنس مرفوعاً: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت؟ قال: فأقول: محمد، قال: يقول: بك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك»(٢).

وذكر الحافظ ابن كثير هذا النوع من أنواع الشفاعة، ثم استدل على إثباته بأحاديث، منها: حديث أنس بن مالك، ولفظه: «أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد»(٣).

النوع الثالث من الشفاعة: شفاعته ﷺ لطائفة من المؤمنين بدخول الجنة بغير حساب.

والدليل عليه حديث أبي هريرة مرفوعاً: «يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، فقال رجل: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: اللهم اجعله منهم، ثم قام آخر فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: سبقك بها عكاشة»(٤).

وأخرجه الترمذي عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربي»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٤، ١٩٥).

(٢) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: في قوله النبي ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة»، برقم: (١٩٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٣٦).

(٣) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: أنا أول الناس يشفع في الجنة، برقم: (١٩٦)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٤٠).

(٤) أخرجه البخاري، ك: الطب، ب: من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو، برقم: (٥٧٠٤)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، برقم: (٢١٦).

(٥) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ب: ما جاء في الشفاعة، برقم: (٢٤٣٧)، وابن ماجه، ك: الزهد، ب: صفة أمة محمد ﷺ، برقم: (٤٢٨٦)، والإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٥٠)، =

وقد ذكر بعض العلماء أن هذا النوع من أنواع الشفاعة خاص بالرسول ﷺ، منهم القاضي عياض والنووي[١].

وذكر ابن حجر أن الاختصاص إنما يثبت بدليل، ولا دليل هنا[٢].

النوع الرابع من الشفاعة: شفاعته ﷺ للمؤمنين في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

والدليل على هذه الشفاعة هو ما ثبت من دعائه ﷺ لبعض المؤمنين لرفع درجاتهم في الجنة.

فقد أخرج مسلم من حديث أبي موسى الأشعري أنه لما أصيب عمه أبو عامر في غزوة أوطاس دعا له الرسول ﷺ وفيه: **«اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك أو من الناس»**[٣].

وحديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ دعا لأبي سلمة بعد ما توفي فقال: **«اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، اللهم افسح له في قبره، ونوِّر له فيه»**[٤].

وأثبتت المعتزلة والخوارج هذه الشفاعة، وأقروا بها، وقالوا: إن الشفاعة لزيادة الثواب لا لدرء العقاب[٥].

وأما اختصاصها بالرسول ﷺ فقد صرح به القاضي عياض وابن دحية[٦].

وقال ابن حجر: أشار النووي في الروضة إلى أن هذه الشفاعة من خصائصه ﷺ مع

= والطبراني في معجمه الكبير برقم: (٧٥٢٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٢١٧٩)، وفي صحيح الجامع الصغير برقم: (٧١١١).

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٣/ ٣٥). (٢) انظر: لوامع الأنوار (٢/ ٢١١).

(٣) أخرجه البخاري، ك: المغازي، ب: غزوة أوطاس، برقم: (٤٣٢٣)، ومسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين رضي الله عنهما، برقم: (٢٤٩٧).

(٤) أخرجه مسلم، ك: الجنائز، ب: في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر، برقم: (٩٢٠)، والإمام أحمد في مسنده (٦/ ٢٩٧).

(٥) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص ٦٨٩)، وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٣/ ٣٦)، والنهاية لابن كثير (٢/ ١٨٣).

(٦) انظر: لوامع الأنوار (٢/ ٢١١).

أنه لم يذكر مستندها[١].

النوع الخامس من الشفاعة: شفاعته ﷺ فيمن استحق النار أن لا يدخلها.

إن هذا النوع من الشفاعة ذكره جماعة من العلماء كما أشرنا إليه في أول الباب عند ذكر أقسام الشفاعة.

ونقل النووي قول القاضي عياض أن الشفاعات خمس، فذكر منها شفاعته ﷺ لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ[٢].

وذكر ابن حجر[٣] هذا النوع من الشفاعة، ثم ذكر ما يستدل عليه من حديث أبي حذيفة، مرفوعاً وفيه: «ونبيكم قائم على الصراط، يقول: رب سلم سلم حتى تنجز أعمال العباد»[٤].

وأما ابن كثير فإنه ذكر هذا من الشفاعة، واستدل عليه بما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال، وفيه: «ينصب للأنبياء يوم القيامة منابر من ذهب...وما أزال أشفع حتى أعطى فكاكاً برجال قد بعث بهم إلى النار، حتى إن مالكاً خازن جهنم ليقول: يا محمد ما تركت لغضب ربك لأمتك من نقمة»[٥].

وأما غيرهم من العلماء الذي عدوا هذا القسم نوعاً من الشفاعة فلم يذكروا دليلًا ينص على إثباتها[٦].

وقال ابن القيم: «أكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار، وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول فلا يدخلون فلا أظفر فيه بنص»[٧].

وما أشار إليه الحافظ ابن حجر يعد دليلا على ما أومأ إليه.

النوع السادس من الشفاعة: شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عذابه.

يشهد له ما رواه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار، يبلغ

---

(١) فتح الباري (١١/ ٤٢٨)، وانظر: تحفة الأحوذي (٣/ ٢٩٨) - الطبعة الهندية -.
(٢) شرح النووي على مسلم (٣/ ٣٥).
(٣) فتح الباري (١١/ ٤٢٨).
(٤) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٥).
(٥) انظر: البداية والنهاية (٢/ ١٨١).
(٦) انظر: التذكرة (ص٢٤٤)، لوامع الأنوار (٢/ ٢١١).
(٧) انظر: عون المعبود (١٣/ ٧٨).

كعبيه يغلي منه أم دماغه»(١).

قال القاضي عياض: «أما قوله في أبي طالب: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة» على سبيل التجوز؛ لأن الله قد نهى عن الاستغفار لمثله، وأعلمه أنه لا تنفعهم شفاعة الشافعين، لا يشفع فيهم ولا لهم شفعاء، وأنها شفاعة بالحال، أي: بركتي وكونه من سببي، فيخفف عنه ويكون في ضحضاح من نار كما جاء في الحديث، وهو الشيء القليل منه»(٢).

وشفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه مخصص لعموم قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر: ٣٦]، ولقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

النوع السابع من الشفاعة: شفاعته ﷺ في إخراج قوم من النار من أهل الكبائر من المسلمين.

فإن أهل السنة يؤمنون بشفاعة النبي ﷺ لأقوام من المؤمنين ممن دخلوا النار بذنوبهم، من أصحاب الكبائر، فيخرجون من النار، ويدخلون الجنة برحمته سبحانه وتعالى.

واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»(٣).

وقد ذكر ذلك ابن خزيمة والآجري(٤).

ومن ذلك حديث عمران بن الحصين مرفوعاً: «**يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ، فيدخلون الجنة، يسمون الجهنميين**»(٥).

ومنها حديث جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ: «**إن الله يخرج قوما من النار بالشفاعة**»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري، ك: مناقب الأنصار، ب: قصة أبي طالب برقم: (٣٨٨٥)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، برقم: (٢٠٩).

(٢) مشارق الأنوار (٢/ ٢٥٦).

(٣) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ب: ما جاء في الشفاعة، برقم: (٢٤٣٥)، وأحمد (٣/ ٢١٣)، وابن خزيمة في التوحيد (ص ٢٧٠)، وابن حبان برقم: (٦٤٦٨)، وأبو يعلى برقم: (٣٢٨٤)، والطبراني في معجمه الكبير برقم: (٧٤٩)، وقد صححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣٧١٤).

(٤) انظر: التوحيد لابن خزيمة (ص ٢٧٢)، الشريعة (ص ٣٣١).

(٥) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: صفة الجنة والنار برقم: (٦٥٥٩).

(٦) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: صفة الجنة والنار برقم: (٦٥٥٨)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩١).

وقال النووي: «فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً، ففيه دلالة لمذهب أهل الحق أن كل من مات غير مشرك بالله تعالى لم يخلد في النار، وإن كان مصراً على الكبائر»[١].

فهذه الأحاديث وما في معناها تدل دلالة واضحة على أن المذنبين من أهل التوحيد ممن دخل النار يخرجون منها، ويدخلون الجنة بعد أن يعذبوا بذنوبهم.

النوع الثامن من الشفاعة: شفاعته ﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة.

وذكر ابن حجر هذا النوع من الشفاعة، واستدل عليها بما أخرجه الطبراني عن ابن عباس قال: «السابق يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد برحمة الله، والظالم لنفسه، وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي ﷺ».

ثم ذكر ابن حجر أن أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم[٢].

وأنكرت الجهمية جميع أقسام الشفاعات غير الشفاعة العامة، فإنه لم يرو عنهم في ذلك شيء لا نفيا ولا إثباتا كما ذكرنا.

وقالوا: ليس هناك شفاعة في قوم لإخراجهم من النار، فإن الله تعالى إن شاء عذب المطيعين على سبيل التخليد، وإن شاء أدخل العصاة والكفار الجنة، فهو يحكم ولا معقب لحكمه[٣].

وذهبت المعتزلة وجمهور الخوارج إلى إثبات الشفاعة العامة وهي الشفاعة العظمى، لإراحة الخلائق من أهوال الموقف يوم القيامة.

وكذلك شفاعته ﷺ في زيادة الثواب في الجنة ورفع الدرجات فيه.

وأنكروا جميع الشفاعات الأخرى، وقالوا: إن الشفاعة لزيادة الثواب لا لدرء العقاب.

ولهذا أنكروا الشفاعة لأهل الكبائر الذين ماتوا عليها دون التوبة منها، فخالفوا في ذلك ما ذهب إليه أهل السنة بأن الشفاعة لسيد ولد آدم تكون لأهل الكبائر وغيرهم من أمته ﷺ[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم (٣/ ٧٥). (٢) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٢٨).

(٣) انظر: أصول الدين للبزدوي (ص ١٣٢)، التنبيه والرد للملطي (ص ١٢٨).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ١٤٧ - ١٤٨)، التمهيد للباقلاني (ص ١٦٩)، الفرق (ص ٩٤- ٩٥)، الفصل (٤/ ٦٣)، شرح المواقف (٨/ ٣١٧)، التذكرة (ص ٢٤٩)، لباب العقول (ص ٣٨٥)، النهاية (٢/ ١٩٥)، شرح مسلم للنووي (٣/ ٣٥، ٥٩)، لوامع الأنوار (٢/ ٢١٢).

وذكر الباقلاني إنكار الجهمية أكثر الشفاعة ثم قال: فلم يبق إلا أنهم عاندوا الحق، وضلوا السبيل، واستحوذ عليهم وسوسة المردة والشياطين حتى ردوا القرآن والسنة وإجماع الأمة(١).

الأسئلة والأجوبة على: أن الشفاعة حق

س١: ما معنى قول الطحاوي: «والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما روى في الأخبار»؟

ج١: الشفاعة من المسائل العقدية التي دل عليها الكتاب والسنة وإجماع السلف.

واعلم أن شفاعة النبي ﷺ إحدى الخصائص التي أكرم الله بها نبينا محمد ﷺ، وهي أنواع كثيرة:

١- أعظمها: شفاعته لأهل الموقف جميعاً حتى يفصل الله بينهم، فيقول الله له: «..**اشفع تشفع**..»(٢)، وهي ثابتة بلا ريب، وحق بلا مين، وكذلك شفاعته ﷺ فيمن تساوت حسناته وسيئاته.

ومنها: شفاعته في أقوام أمر بهم إلى النار، فلا يدخلونها.

ومنها: شفاعته في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما يستحق.

ومنها: شفاعته ﷺ في قوم يدخلون الجنة بغير حساب.

ومنها: شفاعته في تخفيف العذاب عمن يستحقه.

ومنها: شفاعته لجميع المؤمنين في دخول الجنة.

ومنها: شفاعته لأهل الكبائر من أمته يخرجون من النار، كل هذه الأنواع ثابتة له ﷺ، بمقتضى الأخبار الصحيحة، غير أنها لا تكون إلا بإذن الله تعالى كما قال ﷻ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، فهي حق لا ريب فيه، غير أنها لا تكون إلا بإذن الله تعالى.

---

(١) الإنصاف (ص ١٦٩).

(٢) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: كلام الرب ﷻ، برقم: (٧٥١٠)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٣).

س٢: ما هي أقسام الشفاعة؟

ج٢: الشفاعة قسمان:

١- شفاعة في الدنيا.

٢- وشفاعة في الآخرة.

والذي أراده الطحاوي هنا الشفاعة في الآخرة.

أما الشفاعة في الدنيا فهي عند الخلق، وأما الشفاعة في الآخرة فهي عند الله.

والشفاعة عند الخلق في الدنيا على قسمين:

أ - شفاعة حسنة: وهي في الأمور الحسنة النافعة المباحة، دل على ذلك قوله ﷺ: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء**»[(١)].

ب - شفاعة سيئة: وهي التوسط في أمور محرمة.

س٣: ما وجه إدخال الشفاعة في مسائل العقيدة؟

ج٣: وجه إدخال الشفاعة في مسائل العقيدة من جهتين:

١- أولا: الشفاعة داخلة في الإيمان باليوم الآخر.

٢- ثانياً: الشفاعة داخلة أيضاً في توحيد الألوهية؛ لأنه طلب وسؤال ودعاء، فالشفاعة عند الخالق: أن يكرم الله جل وعلا بعض عباده في أن يدعو لأحد المسلمين المستحقين للعذاب بسبب كبيرة ارتكبها، فيشفع الشافع أن يعفو الله عنه، ولا يعذبه.

س٤: قال الطحاوي في عقيدته: «والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما روي في الأخبار»؟ اذكر ما هي الشفاعة لغة وشرعاً؟ مع بيان أنواعها، وإيراد دليل لكل نوع منها.

ج٤: الشفاعة لغة: طلب الوسيلة، وهي سؤال الشافع للمشفوع له في حاجة.

وشرعاً: طلب الخير للغير.

وهي اسم عام لكل دعاء للنبي ﷺ يوم القيامة لأمته.

وأنواعها ثمانية، وهي:

أولا: الشفاعة العظمى الخاصة بالنبي ﷺ في أهل الموقف لفصل القضاء، ودليلها ما

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الزكاة، ب: التخريض على الصدقة والشفاعة فيها، برقم: (١٤٣٢)، ومسلم، ك: البر والصلة والآداب، ب: استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام، برقم: (٢٦٢٧).

روي من حديث أبي هريرة: «إن الناس يذهبون إلى آدم وإلى أولي العزم من الرسل، وكل واحد منهم يقول: اذهبوا إلى فلان حتى يصلوا إلى محمد ﷺ، فيقول: أنا لها، فيسجد تحت العرش، ويحمد الله ﷻ، ثم يقال له: ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فيشفع للناس»(١).

ثانيا: شفاعته ﷺ بالإذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة كما قال ﷺ: «أنا أول شفيع في الجنة»(٢).

ثالثاً: شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب.

رابعاً: شفاعته ﷺ في أقوام قد أمر بهم إلى النار، وهؤلاء هم عصاة الموحدين، وهذا غير خاص بالنبي ﷺ، فيشترك معه فيها غيره من الرسل.

خامساً: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم، ويشترك في هذه شفاعة النبي ﵇، وغيره من الأنبياء والصالحين، والوالدين بأولادهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١].

سادساً: شفاعته ﷺ في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم إلى أن يدخلوا الجنة، وهم أهل الأعراف ومن شابههم.

سابعاً: شفاعته ﷺ في أناس أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ودليله حديث عكاشة بن محصن حيث دعا الرسول ﷺ له أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب(٣).

ثامناً: شفاعته ﷺ في أهل الكبائر ممن دخلوا النار أن يخرجوا منها، وخالف في هذه المعتزلة جهلًا منهم في صحة الأحاديث، وعناداً ممن علم ذلك، واتبعهم في ذلك الخوارج، وهذه يشاركه فيها غيره من الملائكة والنبيين والمؤمنين أيضاً.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: التفسير، ب: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣]، برقم: (٤٧١٢)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٤).

(٢) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: في قول النبي ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة...»، برقم: (١٩٦).

(٣) أخرجه البخاري، ك: الطب، ب: من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو، برقم: (٥٧٠٤)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، برقم: (٢١٦).

س٥: بيِّن ما هي الشفاعة التي تتكرر من النبي ﷺ؟ ثم وضِّح أيا من أنواع الشفاعة يختص بالنبي ﷺ؟ وأيها يشترك معه فيه غيره؟

ج٥: الذي تكرر من الشفاعة شفاعته ﷺ في أهل الكبائر فيمن دخل النار أن يخرج منها، وهي تتكرر أربع مرات:

الأولى: بقوله تعالى في الحديث القدسي: «**أخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان**»(١).

الثانية: بقوله: «**انطلق فأخرج من كان في قلبه ذرة وخردلة من إيمان**»(٢).

الثالثة: لقوله: «**انطلق، فأخرج من كان في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان**»(٣).

الرابعة: بقوله: «**انطلق فأخرج من قال لا إله إلا الله**»(٤).

والذي يختص به ﷺ دون غيره أربع:

أولًا: الشفاعة العظمى، وهي شفاعته في أهل الموقف.

ثانيًا: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

ثالثًا: شفاعته في عمه أبي طالب في تخفيف العذاب.

رابعًا: شفاعته في أناس أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

س٦: ما هي أقوال الناس في الشفاعة؟ واذكر شروط ثبوتها مع الدليل لكل شرط؟

ج٦: أقوال الناس في الشفاعة:

١- الأول: المشركون والنصارى والمبتدعة: جعلوا شفاعة ما يعظمونه من الأصنام والأوثان عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا، بحيث إن المشفوع عنده شفع للشفيع، إما رغبة في نيل الجزاء منه، أو رهبة منه، ولا يشترطون في الشفاعة عند الله أن يأذن ولا يرضى.

الثاني: المعتزلة والخوارج: أنكروا بعض أنواع الشفاعة، وأقروا ببعضها، فأنكروا

---

(١) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم: (٧٥١٠)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم: (٧٥١٠)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٣).

(٣) انظر: الحديث السابق.

(٤) انظر: الحديث السابق.

شفاعته في خروج العصاة من النار، فمن استحقها - أي الشفاعة - لا يدخلها - أي النار -، وقالوا بذلك ليؤيدوا قولهم في تخليد صاحب الكبائر في النار.

ودليلهم أن عموم الآيات تنفي الشفاعة، كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

ويرد عليهم بأن الآية تنفي الشفاعة عن الكفار والمشركين، وليس في أصل الشفاعة، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الثالث: أهل السنة والجماعة: يثبتون الأنواع الثابتة بالنصوص، ويشترطون لها شرطين:

أ- الإذن للشافع أن يشفع، ودليله قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة: ٢٥٥].

ب - الرضا عن الشخص المشفوع له، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

س٧: احتج المعتزلة والخوارج على أن الشفاعة لا تنفع أهل الكبائر بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، فما الرد عليهم؟

ج٧: ١- أن استدلالهم بالآية في غير محله؛ لأن الآية نزلت في الكفار، وأهل الكبائر مسلمون، فاستدلالهم فاسد خارج عن وجه الاستدلال الصحيح.

٢- ويرد عليهم أيضاً قول النبي ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»(١)، ودلالة الحديث صريحة لا تحتمل التأويل.

س٨: لماذا منع المعتزلة والخوارج الشفاعة لأهل الكبائر؟

ج٨: المعتزلة والخوارج منعوا الشفاعة لأهل الكبائر لأجل مذهبهم الفاسد، وهو أن فعل الكبيرة كفر، وأنه يوم القيامة يكون من أهل النار.

س٩: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، وبين ما ورد من شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب؟

ج٩: الجمع من وجهين:

الوجه الأول: المراد بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، أي

---

(١) تقدم تخريجه.

الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون من النار، ويدخلون الجنة، وأبو طالب لم يخرج من النار، وإنما خفف عنه العذاب، فخروجه من غمرات الجحيم إلى ضحضاح يغلي منه دماغه، فأثبت الخروج، فيكون الجمع بالعموم والخصوص أولى.

الوجه الثاني: - قيل: وهو الراجح - أن الآية عامة والحديث خاص، فيحمل العام على الخاص، فيقال: خص شخصاً واحداً من هؤلاء الكفار، أما بقية الكفار فلا تنفعهم شفاعة الشافعين.

س١٠: لماذا أورد كثير من الأئمة حديث الشفاعة ولم يذكروا الشفاعة العظمى؟

ج١٠: السبب في إيراد كثير من الأئمة حديث الشفاعة وعدم ذكر الشفاعة العظمى، أن هذه الشفاعة محل اتفاق، وكذلك هم لا يذكرون إلا ما كان فيه شاهد لهم كي يردوا فيه على المعتزلة والخوارج، الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها.

س١١: ظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢] أن من يدخل النار فإنه لا تنفعه الشفاعة، فكيف تجمع بينها وبين ما ثبت من الشفاعة لأهل النار؟

ج١١: الجمع يكون بأن المراد في الآية أن من يدخل النار، وهو مخلد فيها فإنه لا تنفعه الشفاعة بالاتفاق، أما غير المخلد فله الشفاعة كما تقدم.

س١٢: ما هي الأسباب والأعمال التي يحصل بها المرء المسلم على شفاعة نبينا محمد ﷺ في الآخرة؟

ج١٢: الأعمال هي:

١- الإخلاص بالتوحيد لحديث: «من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو من نفسه»(١).

٢- الدعاء بما ورد عند الأذان لما جاء في الحديث أن من داوم عليه حلت له شفاعته ﷺ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري، ك: العلم، ب: الحرص على الحديث، برقم: (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري، ك: الأذان، ب: الدعاء عند النداء، برقم: (٦١٤)، ومسلم، ك: الصلاة، ب: استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه...، برقم: (٣٨٤)، ولفظه: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة».

٣- الصبر على شدة المدينة وجدبها[١].

٤- الموت بالمدينة، لقوله ﷺ: «**من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها**»[٢]، وهذا ليس على إطلاقه، وإنما ذلك إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع.

٥- الصلاة على النبي ﷺ عشراً في الصباح وعشراً في المساء لحديث: «**من صلى عليَّ حين يصبح، وصلى عليَّ حين يمسي عشراً كنت له شفيعاً يوم القيامة**»[٣].

مبحث الاستشفاع

س١٣: عرف التوسل لغة وشرعاً؟

ج١٣: التوسل إلى الشيء في عرف أهل اللسان هو التقرب إليه واستعمال السبب الموصل إليه وهو الوسيلة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: «الوسيلة: هي الفعيلة، من قول القائل توسلت إلى فلان بكذا بمعنى: تقربت إليه... وقوله: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ يقول: واطلبوا القرب إليه بالعمل بما يرضيه»[٤].

وقال الجوهري: «الوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوسيل، والوسائل، والتوسيل والتوسل واحد، يقال: وسل فلان إلى ربه وسيلة، وتوسل إليه بوسيلة أي: تقرب إليه بالعمل...»[٥].

وأما التوسل في الشرع: فهو خاص بالتقرب إلى الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الحج، ب: الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها، برقم: (١٣٧٧)، ولفظه: «**من صبر على لأوائها وشدتها كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة - يعني المدينة-**».

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب المناقب، ب: في فضل المدينة، برقم: (٣٩١٧)، وابن ماجه، ك: المناسك، ب: فضل المدينة، برقم: (٣١١٢)، والإمام أحمد (٢/ ٧٤)، وابن حبان برقم: (٣٧٤١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: (١١٩٣).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي الدرداء، - كما في مجمع الزوائد (١٠/ ١٢٠)- وقال عنه الهيثمي: «رواه الطبراني بإسنادين، وإسناد أحدهما جيد، ورجاله وثقوا».

وكان الشيخ الألباني قد حسنه في صحيح الجامع الصغير برقم: (٦٣٥٧)، ثم تراجع عن ذلك فضعفه في ضعيف الترغيب والترهيب برقم: (٣٩٦)، والسلسلة الضعيفة برقم: (٥٧٨٨).

(٤) انظر: جامع البيان (٦/ ٢٢٦)، طبعة الحلبي.

(٥) الصحاح (٥/ ١٨٤١)، مادة (وسل).

س١٤: اذكر أقسام التوسل؟

ج١٤: قسم العلماء التوسل إلى الله إلى قسمين:

١- توسل مشروع، وهو ما قام عليه دليل من الشرع.

٢- توسل ممنوع، وهو: ما لا دليل عليه من الشرع.

س١٥: اذكر أقسام التوسل المشروع؟

ج١٥: ينقسم التوسل المشروع إلى ثلاثة أقسام:

١- التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

وصفته أن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم اللطيف الخبير أن تعافيني.

ودليل مشروعيته: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٢- التوسل بالعمل الصالح:

وصفته: كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم بإيماني بك اغفر لي.

ودليل مشروعيته قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

٣- التوسل بدعاء الصالحين:

ودليل مشروعيته ما ورد في صحيح مسلم عن صفوان بن عبد الله بن صفوان، قال: قدمت الشام، فأتيت أبا الدرداء في منزله فلم أجده، ووجدت أم الدرداء فقالت: أتريد الحج العام؟ فقلت: نعم، فقالت: فادع الله لنا بخير، فإن النبي ﷺ كان يقول: «**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل**»(١).

س١٦: اذكر أقسام التوسل الممنوع؟

ج١٦: التوسل الممنوع ثلاثة أنواع:

١- التوسل إلى الله بذات المتوسل به وشخصه، سواء كان النبي ﷺ أو غيره.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، برقم: (٢٧٣٣).

٢- التوسل إلى الله تعالى بحق فلان أوجاهه أو نحو هذا.
٣- الإقسام على الله تعالى بالمتوسل به.

س١٧: هل يجوز التوسل بالنبي ﷺ؟

ج١٧: التوسل في هذه العبارة أمر مجمل يحتمل ثلاثة أمور:

الأول: التوسل بمحبته وطاعته والاقتداء به، والإيمان به، وهذا أمر جائز، وهذا من أحسن ما يكون من الدعاء والتوسل والاستشفاع.

الثانية: التوسل بدعائه، فهذا جائز إذا كان في حياته ﷺ وحضوره يوم القيامة، أما بعد وفاته في الدنيا فلا يجوز.

الثالث: التوسل بذاته والإقسام به على الله، وهذا لا يجوز كأن تقول: أسألك بحق نبيك.

س١٨: ما معنى التوسل والوسيلة؟

ج١٨: التوسل: التقرب.

والوسيلة: هي السبب الذي يوصل إلى المراد.

ومعناه في الشرع: التقرب إلى الله تعالى بالعمل بما يرضيه.

س١٩: كم مرة ورد لفظ الوسيلة في القرآن؟ اذكر الآيات الواردة في ذلك مع بيان معنى الوسيلة؟

ج١٩: ورد ذكر الوسيلة في القرآن في آيتين من سورتي المائدة والإسراء، وهما قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٣٥]، وقوله سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء: ٥٧].

أما الوسيلة في الآية الأولى فهي بمعنى القربة، نُقل ذلك عن ابن عباس وعامة المفسرين.

والآية الثانية يوضح معناها سبب نزولها، فقد ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن، فأسلم الجن، وتمسك هؤلاء بدينهم»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري، ك: التفسير، ب: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [سبأ: ٢٢]، برقم: (٤٧١٤)، ومسلم، ك: التفسير، ب: في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء: ٥٧]، برقم: (٣٠٣٠).

س٢٠: ما الفرق بين التوسل المشروع والتوسل المبتدع؟

ج٢٠: التوسل المشروع هو التوسل الذي أجازه الشرع، والتوسل المبتدع هو التوسل الذي لم يرد في الشرع جوازه.

س٢١: إلى كم قسم ينقسم التوسل المشروع؟ مع ذكر دليلين لكل قسم؟

ج٢١: التوسل المشروع ثلاثة أقسام:

١- التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقوله ﷺ: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم**»(١).

٢- التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، وحديث ابن عمر في قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار فانحدرت صخرة فسدت عليهم الغار، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم: الأول ببره لوالديه، والثاني بعفته عن المعاصي مع توافر أسبابها، والثالث بأمانته، وإعطاء الناس حقوقهم(٢).

٣- التوسل إلى الله بدعاء المسلم الصالح.

ويدل عليه ما رواه أنس في قصة الرجل الأعرابي الذي دخل المسجد والنبي ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة فسأل النبي ﷺ أن يدعو الله لهم أن يغيثهم بالمطر بعد الجدب، فرفع النبي ﷺ يديه يدعو لهم، فنزل المطر(٣).

وما ورد أن عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس(٤) بعد وفاة الرسول ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: التهجد، ب: ما جاء في التطوع مثنى مثنى، برقم: (١١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري، ك: البيوع، ب: إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضي، برقم: (٢٢١٥)، ومسلم، ك: الذكر والدعاء والتوبة، ب: قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالح الأعمال، برقم: (٢٧٤٣).

(٣) أخرجه البخاري، ك: الاستسقاء، ب: الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة، برقم: (١٠١٤)، ومسلم، ك: صلاة الاستسقاء، ب: الدعاء في الاستسقاء، برقم: (٨٩٧).

(٤) أخرجه البخاري، ك: الاستسقاء، ب: سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، برقم: (١٠١٠).
ومعنى استسقى: طلب منه الاستسقاء فقال: ادع يا عباس.

س٢٢: ما حكم التوسل بجاه الصالحين أو حقهم؟

ج٢٢: التوسل بجاه فلان أو حقه لم يرد في كتاب الله ولا في سنة نبيه ﷺ، ولم يعرف عن أحد من الصحابة ولا التابعين، فهو توسل بدعي ووسيلة من وسائل الشرك.

س٢٣: يستدل القائلون بالتوسل البدعي باستسقاء عمر رضي الله عنه بالعباس، ما مدى صحة هذا الاستدلال؟

ج٢٣: هذا الاستدلال مردود من خمسة أوجه:

١- أنه لو كان التوسل بالذات أو الجاه مشروعاً لما عدل عمر رضي الله عنه عن التوسل برسول الله ﷺ - الذي هو أفضل الخلق، وجاهه باق بعد موته - إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه، الذي هو دونه في الفضل والجاه أضعافاً مضاعفة، لكن عمر رضي الله عنه لم يفعل ذلك؛ لعلمه بأن التوسل بدعاء النبي ﷺ إنما كان في حياته، وأن التوسل بجاهه لا يجوز لا في حياته ولا بعد موته.

٢- أن الإنسان بطبعه حينما تكون له حاجة ملحة فإنه يبحث عن أعظم وسيلة توصله إلى المقصود، فكيف يترك رضي الله عنه التوسل بالرسول ﷺ بعد موته لو كان مشروعاً، وهم في حال جدب وقحط حتى لقد سمي ذلك العام عام الرمادة.

٣- أن لفظ الحديث يدل على أن استسقاء عمر رضي الله عنه بالعباس وقع أكثر من مرة بدليل قول أنس رضي الله عنه: «كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب».

٤- إن المجيزين للتوسل البدعي يتفقون مع المانعين على أن هناك مضافاً محذوفاً في قول عمر رضي الله عنه: «كنا نتوسل إليك بنبينا»، وكذلك قوله: «نتوسل إليك بعم نبينا»، والمخالفون يقولون: بجاه نبينا وبجاه عم نبينا، والمانعون يقولون: بدعاء عم نبينا، والمرجع في تحديد المضاف المقدر هو السنة، وسياق القصة، وكلاهما يدلان على أن المقدر الدعاء.

٥- أنه قد تكرر مثل هذا العمل من بعض الصحابة كاستسقاء معاوية رضي الله عنه عنه بدعاء زيد بن الأسود رحمه الله التابعي المشهور بالصلاح.

س٢٤: يستدل بعض الناس بحديث الرجل الضرير الذي جاء إلى النبي ﷺ وطلب منه الدعاء أن يعافيه الله عز وجل، هل يصح هذا الاستدلال؟ وكيف توجه الحديث المذكور؟

ج٢٤: لا يصح هذا الاستدلال، بل هو من النوع الثالث من أنواع التوسل المشروع، وهو التوسل بدعاء الرجل الصالح.

س٢٥: ما مدى صحة حديث: «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم»؟

ج٢٥: هذا الحديث موضوع، بل ليس له أصل في شيء من كتب السنة.

س٢٦: ما حكم الاستدلال بالأحاديث الضعيفة في أبواب التوسل وغيره من أبواب العقيدة؟ واذكر مثالين لذلك موضحاً علة الضعف؟

ج٢٦: لا يجوز الاستدلال بالأحاديث الضعيفة مطلقاً في أبواب التوسل وغيرها من أبواب العقيدة.

ومثال ذلك:

١- حديث أبي سعيد ﷺ: «من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك»[١].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، ك: المساجد والجماعات، ب: المشي إلى الصلاة، برقم: (٧٧٨)، والإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢١)، والطبراني في الدعاء برقم: (٤٢١)، والبيهقي في الدعوات الكبير برقم: (٦٥)، وغيرهم من طريق فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عنه به مرفوعا.

وفي إسناده: ١- فضيل بن مرزوق، و قد اختلف فيه قول ابن معين كما قال ابن شاهين في ثقاته. تاريخ أسماء الثقات (رقم ١١٢٢)، وانظر: ذكر من اختلف العلماء ونقاد الحديث فيه لابن شاهين (رقم ٣٤)، الكامل لابن عدي (٦/ ١٩).

وقال أبو حاتم: صدوق صالح الحديث، يهم كثيرا، يكتب حديثه، ولا يحتج به. الجرح والتعديل (٧/ ٧٥).

وقال ابن حبان: منكر الحديث جداً، كان ممن يخطئ على الثقات ويروي عن عطية الموضوعات. المجروحين (٣/ ٢٠٩).

وقال ابن حجر: صدوق يهم، ورمي بالتشيع. تقريب التهذيب (٥٤٣٧).

٢- عطية بن سعد بن جنادة الكوفي: والأكثرون على تضعيفه، وقد اجتمع في عطية من وجوه الضعف ثلاثة أمور: التدليس القبيح، وعدم الضبط، وكثرة الخطأ، كما قال ابن القيم وابن حجر. انظر: زاد المعاد (٥/ ٦٢٧)، تقريب التهذيب (٤٦١٦)، تعريف أهل التقديس (ص ١٣٠).

وممن ضعفه من أهل العلم: الإمام أحمد، ويحيى بن معين، وأبو داود، والنسائي، وابن عدي، وابن تيمية، والذهبي، وابن القيم، وابن حجر، وغيرهم.

انظر: كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي (٥٠٥)، قاعدة جليلة (ص ٢١٥)، تهذيب الكمال للمزي (٢٠/ ١٤٧)، الكاشف للذهبي (٣٨٢٠)، زاد المعاد (٥/ ٦٢٧)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٧/ ٢٢٦)، تقريب التهذيب (٤٦١٦).

وعلة ضعفه: عطية العوفي.

٢- حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً: **«لما اقترف آدم الخطيئة، قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال: يا آدم، كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، ورفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك»**(١).

وهو حديث موضوع نص عليه الذهبي وغيره.

س٢٧: هل يجوز أن يقول الإنسان في دعائه: «اللهم إني أسألك بحق نبيك»؟

ج٢٧: هذا غير جائز لثلاثة محاذير:

أ- أنه جعل ما ليس سببا شرعياً سبباً لإجابةِ دعائه.

ب- إن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة، ولا عن أحد من سلف الأمة، وإنما ذلك من التعدي في الدعاء. والله يقول: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

س٢٨: ما حكم قول الداعي: «اللهم إني أسألك بحق فلان»؟

ج٢٨: لا يجوز لما تقدم من المحاذير من قوله: «اللهم إني أسألك بحق نبيك»،

= وعلى هذا فالحديث ضعيف لا يصح.

انظر للتوسع في تخريج هذا الحديث: الأذكار للنووي (٨٣)، قاعدة جليلة (ص٢١٤-٢١٥)، التوسل (ص٩٩)، السلسلة الضعيفة (رقم: ٢٤) كلاهما للألباني.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٨٢-٨٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٤٨٩)، من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال البيهقي بعد روايته : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه وهو ضعيف.

وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا قال عنه الحاكم في المدخل (ص١٥٤): «روى عن أبيه أحاديث موضوعة، لا يخفى على من تأملها من أهل الصناعة أن الحمل فيها عليه». وانظر: الكامل لابن عدي (٢/ ٢٦٩)، تهذيب التهذيب (٦/ ١٦١).

والحديث ضعفه البيهقي، وحكم بوضعه وبطلانه: ابن تيمية، وابن عبد الهادي، والذهبي وابن حجر، والألباني.

انظر: منهاج السنة (٧/ ١٣١)، مجموع الفتاوى (١/ ٢٥٤)، الصارم المنكي (ص٣٦)، لسان الميزان (٣/ ٣٥٩)، السلسلة الضعيفة (١/ ٣٨ برقم: ٢٥)، هذه مفاهيمنا (ص٢٠، فما بعدها).

وزيادة محذور آخر، وهو أنه ليس لأحد حق على الله حتى يسأله بحق فلان إلا ما أحقه الله على نفسه كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقوله عليه السلام لمعاذ: «**أتدري ما حق الله على العباد، قال: الله ورسوله أعلم، قال: حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقهم عليه ألا يعذبهم**»(١).

س٢٩: هل هناك فرق بين قول القائل: «اللهم إني أسألك بحق فلان»، وبين ما جاء في الحديث: «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك»(٢)؟ وكيف يمكن الجمع بين هذا وذاك؟

ج٢٩: يمكن أن نتخلص من هذا الإشكال بوجهين:

الأول: أن يقال: الحديث ضعيف؛ لأنه من رواية عطية العوفي، فلا حاجة لنا إلى الجمع بين هذا وهذا.

الثاني: أنه إذا فرض صحة هذا الحديث، فإن قول السائل: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، كأنه يرى أن يقول: إنك وعدت السائلين بالإجابة، والمثوبة، وأنا من جملة السائلين، فأجب دعائي بخلاف قول: بحق فلان، فإنه وإن كان له حق على الله بوعده الصادق فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل، كأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي، وأي مناسبة في هذا؟ وأي ملازمة؟ وإنما ذلك من الاعتداء في الدعاء، والله يقول: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، بل إن مثل ذلك لم ينقل عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة والتابعين، والدعاء من أفضل العبادات.

س٣٠: قول عمر رضي الله عنه: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا بنبينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»(٣)، لماذا عدل عمر عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بالعباس؟

ج٣٠: الجواب عن هذا أن يقال:

إن عمر وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتوسلون بدعاء النبي ﷺ في حياته، لا يتوسلون بذاته، ولا بالإقسام على الله بمخلوق؛ لأنه لو كان هذا هو المقصود لكان ممكناً

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الجهاد، ب: اسم الفرس والحمار، برقم: (٢٨٥٦)، ومسلم، ك: الإيمان، الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، برقم: (٣٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري، ك: الاستسقاء، ب: سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، برقم: (١٠١٠).

حتى بعد موته ﷺ، ولما عدلوا إلى العباس؛ لأن ذات الرسول ﷺ أفضل من ذات العباس.

س٣١: أجاز بعضهم التوسل الممنوع بالنبي ﷺ فما أدلتهم على ذلك؟ وما موقفك منها؟

ج٣١: من أدلة من توسل بالنبي ﷺ التوسل الممنوع ما يأتي ذكره:

١- فعل عمر المتقدم وتقدمت الإجابة عليه.

٢- حديث: «اللهم إنا نسألك بحق السائلين عليك».

٣- حديث الأعمى[1] الذي طلب من الرسول ﷺ أن يدعو له بأن يرد عليه بصره، فقال الرسول ﷺ: «**إن شئت دعوت الله لك**، فقال: بل ادعه، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين، ويقول **اللهم إني أسألك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه أن يقضيها، اللهم فشفِّعه فيَّ**».

وفي رواية: «**شفعني فيه**».

وأجيب عن هذا التوسل هنا بأنه إنما كان بدعائه ﷺ بدليل: «**إن شئت صبرت، وإن شئت دعوت الله لك**»، وكذلك قوله: «**فشفعه في**» هذا أدل على أنه توسل بدعائه ﷺ لا بذاته.

س٣٢: هل هناك فرق بين السؤال بالشيء وبين الإقسام به؟

ج٣٢: هذا أمر مجمل يحتمل أمرين:

الأول: السؤال لكونه سبباً في حصول المطلوب، فهذا جائز، ومن ذلك: قصة الثلاثة الذين أووا إلى الغار، فهؤلاء دعوا الله بصالح الأعمال، وهي أعظم ما يتوسل به العبد.

الثاني: الإقسام بهذا الشيء فهذا ممنوع، والفرق بين الإقسام بالشيء والسؤال بالشيء كما يلي:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٣٨)، والترمذي، ك: الدعوات، ب: ١٣٥، برقم: (٣٥٧٨)، وابن ماجه، ك: إقامة الصلاة والسنة فيها، ب: ما جاء في صلاة الحاجة، برقم: (١٣٨٥)، وابن خزيمة في صحيحه برقم: (١٢١٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣١٣)، وغيرهم من طريق أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة به.
وأبو جعفر في الإسناد ليس هو الرازي، بل هو عمير بن يزيد الأنصاري الخطمي، وقد وثقه ابن معين والنسائي وابن حبان وغيرهم. انظر: تهذيب الكمال للمزي (٢٢/ ٣٩٢)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٨/ ١٥١).
ولهذا صحح هذا الحديث الحاكم ووافقه عليه الذهبي، والألباني. انظر: التوسل (ص٧٤).

أ - أن المقسم طالب مؤكد طلبه بالقسم، ويقسم على من يبر قسمه.

ب - أما السؤال فهو خاضع لمن سأله.

س٣٣: اذكر ما أنواع التوسل؟ وما الحكمة من الشفاعة؟

ج٣٣: أنواع التوسل:

١- التوسل لحصول الثواب به.

٢- التوسل لإجابة الدعاء.

والحكمة من الشفاعة إكرام الشفيع، وفي الحديث: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء**»(١).

س٣٤: ما هي أبرز الفروق بين الشفاعة عند الله والشفاعة عند البشر؟

ج٣٤: الفرق هو أن الشفيع عند البشر كما أنه شافع للطالب شفاعته في الطلب، بمعنى: أنه صار مشفعاً فيه بعد أن كان وتراً، وهو أيضاً شافعٌ للمشفوعِ إليه فهو بشفاعته صار شافعاً للطالب.

والمطلوب منه بخلافِ الله ﷻ، فإنه وترٌ لا يشفعه أحد، ولا يشفع عنده إلا بإذنه بالأمر كله إليه، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ**﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقوله: ﴿**أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٤]، والشفاعة عند البشر يريدون إذن الشفيع، وقد يجيبه المشفوع عنده، وإن لم يرض عن المشفوع له، بخلاف المولى سبحانه وتعالى حينما يقبل دعاء الشفيع، فليس هذا هو المؤثر فيه كما يؤثر المخلوق، وإنما فعل ذلك بإرادته ومشيئته، فإنه الذي جعل هذا يدعو ويشفع وهو الذي وفق العبد للتوبة، ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل، ثم أثابه عليه.

س٣٥: عرف الشفاعة؟

ج٣٥: الشفاعة مأخوذة من الشفع، وهو الزوج ضد الفرد، ومعناه: طلب الخير للغير.

س٣٦: الشفاعة ملك لله تعالى وحده، وضِّح ذلك بدليل؟

ج٣٦: قال الله تعالى: ﴿**قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا**﴾ [الزمر: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا يَمْلِكُ**

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الزكاة، ب: التخريص على الصدقة والشفاعة فيها، برقم: (١٤٣٢)، ومسلم، ك: البر والصلة والآداب، ب: استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام، برقم: (٢٦٢٧).

﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

س٣٧: ما أقسام الشفاعة؟ مع التعريف لكل نوع؟

ج٣٧: الشفاعة نوعان:

١- شفاعة مثبتة: وهي التي تطلب من الله وحده.

٢- شفاعة منفية: وهي التي تطلب من غير الله.

الميثاق حق

قال الطحاوي: «والميثاقُ[1] الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته، حقٌّ».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[دليل الميثاق:]

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ[2] رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ

---

(١) أصل الميثاق: الموثاق، مفعال، ثم صارت الواو ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها، والميثاق: حبل أو قيد يشد به الأسير والدابة.
وفي الشرع: عقد مؤكد بيمين وعهد. انظر: مفردات القرآن للراغب، النهاية لابن الأثير (٥/ ١٥١).

(٢) اعلم أن الناس في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، على قولين:
الأول: أن المراد أن الله أخرج جميع ذرية آدم من ظهور الآباء في صورة الذر، وأشهدهم على أنفسهم بلسان المقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، ثم أرسل بعد ذلك رسله مذكرة بهذا الميثاق السابق الذي قد نسيه الكل، فعلى هذا يكون كل من خرج من ظهور بني آدم فيما لا يزال إلى يوم القيامة هم الذين أخرجهم الله تعالى في الأزل من صلب آدم وأخذ منهم الميثاق الأزلي.
وهذا مذهب أهل الحديث وكبراء أهل العلم، وهو قول جمهور المفسرين من أهل الأثر.
قال الشوكاني في تفسيره المسمى فتح القدير (٢/ ٢٧٦) - دار الوفاء-: «وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه، ولا المصير إلى غيره لثبوته مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وموقوفاً على غيره من الصحابة، ولا ملجأ للمصير إلى المجاز، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل». اهـ
وإلى هذا القول مال جماعة من المتأخرين منهم: ملا علي القاري، ومحمد الأمين الشنقيطي، والحافظ الحكمي، والألباني وغيرهم.
الثاني: أن معنى الآية هو إيجاد قرن منهم بعد قرن وإنشاء قوم بعد آخرين، فيكون معنى قوله تعالى: ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾، أي: بما نصبه لهم من الأدلة القاطعة بأن ربهم المستحق منهم بأن يعبدوه وحده، =

بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

[شهادة الأرواح على الميثاق:]

أخبر سبحانه أنه استخرج ذريّة بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربُّهم ومليكُهم، وأنه لا إله إلا هو.

[الأحاديث الواردة في الميثاق:]

وقد وردت أحاديث في أخذ العهد والميثاق من الذريّة من صلب آدم عليه السلام، فمنها:

ما رواه الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **يُقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيتَ لو كان لك ما على الأرض من شيءٍ أكنتَ مفتدياً به، قال: فيقول: نعم، قال: فيقول: قد أردتُ أهونَ من ذلك، قد أخذتُ عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيتَ إلا أن تشرك بي شيئاً** ». وأخرجاه في الصحيحين أيضاً[(١)].

[ما ذكره المفسرون في الميثاق:]

هذا، واعلم أن من المفسرين من لم يذكر سوى القول بأن الله استخرج ذرية آدم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم ثم أعادهم.

ومنهم من لم يذكره، بل ذكر أنه عز وجل نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته ما شهدت بها عقولهم وبصائرهم، من أنه عز وجل واحد أحد، فصاروا بذلك موحدين بهذه الفطرة التي فطروا عليها بسبب هذا الميثاق.

= وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾، أي: قالوا ذلك بلسان حالهم، وبهذا قالت المعتزلة، وأبو منصور الماتريدي، وبه قال ابن القيم وابن كثير، قال الألباني رحمه الله: »وقد عز علي كثيراً أن يتبعهم - يعني المعتزلة - في ذلك ابن القيم، وابن كثير خلافاً للمعهود منهم من الرد على المعتزلة ما هو دون ذلك التأويل، والعصمة لله وحده«. السلسلة الصحيحة (٤/ ١٦٢).

انظر: شرح الطحاوية بتعليق العدني (ص ٢٩٩)، الروح (ص ٢٥٣ - وما بعده)، مرقاة المفاتيح (١/ ٢٩٢)، أضواء البيان (٢/ ٣٣٥)، معارج القبول (١/ ٨٤ - ٩٣)، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ١٨٣، ٢١٢، ٢١٤)، السلسلة الصحيحة (٤/ ١٥٨ - ١٩٣).

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٢٧)، وأخرجه البخاري، ك: أحاديث الأنبياء، ب: خلق آدم وذريته، برقم: (٣٣٣٤)، ومسلم، ك: صفات المنافقين، وأحكامهم، ب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبا، برقم: (٢٨٠٥).

ومنهم من ذكر القولين - معاً -.

[قول المؤلف في حقيقة آية الميثاق:]

ولا ريب أن الآية لا تدل على القول الأول، أعني: أن الأخذ كان من ظهر آدم، وإنما فيها أنَّ الأخذ من ظهور بني آدم، وإنما ذكر الأخذ من ظهر آدم... في بعض الأحاديث - كحديث أنس السابق - قريباً.

[دليل القول بحقيقة الميثاق:]

وأقوى ما يشهد لصحة القول الأول: حديث أنس المخرج في الصحيحين[1] الذي فيه: «**قد أردت منك ما هو أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي**».

ولكن قد روي من طريق أخرى: «**قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيرد إلى النار**»، وليس فيه في ظهر آدم وليس في الرواية الأولى إخراجهم من ظهر آدم على الصفة التي ذكرها أصحاب القول الأول.

[الإقرار بالربوبية أمر فطري:]

هذا، ولا شك أن الإقرار بالربوبية أمر فطري، والشرك حادث طارئ، والأبناء تقلدوه عن الآباء، فإذا احتجوا يوم القيامة بأن الآباء أشركوا ونحن جرينا على عادتهم كما يجري الناس على عادة آبائهم في المطاعم والملابس والمساكن يقال لهم: أنتم كنتم معترفين بالصانع مقرين بأن الله ربكم لا شريك له وقد شهدتم بذلك على أنفسكم، فإن شهادة المرء على نفسه هي إقراره بالشيء ليس إلا، فلم عدلتم عن هذه المعرفة والإقرار الذي شهدتم به على أنفسكم إلى الشرك؟

بل عدلتم عن المعلوم المتيقن به إلى ما لا يعلم له حقيقة تقليدا لمن لا حجة معه، بخلاف اتباعهم في العادات الدنيوية، فإن تلك لم يكن عندكم ما يعلم به فسادها، وفيه مصلحة لكم، بخلاف الشرك، فإنه كان عندكم من المعرفة والشهادة على أنفسكم ما يبين فساده، وعدولكم فيه عن الصواب.

---

(١) صحيح البخاري، برقم: (٣٣٣٤)، صحيح مسلم، برقم: (٢٨٠٥).

الأسئلة والأجوبة على: أن الميثاق حق

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق» لمسائل عديدة يمكن إجمالها فيما يلي:

١- دليل الميثاق.

٢- شهادة الأرواح على الميثاق.

٣- الأحاديث الواردة في الميثاق.

٤- ما ذكره المفسرون في الميثاق.

٥- قول المؤلف في حقيقة آية الميثاق.

٦- دليل القول بحقيقة الميثاق.

٧- الإقرار بالربوبية أمر فطري.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق»؟

ج٢: إن الميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم عليه السلام وذريته كان حين مسح ظهره بيده، فخرجت منها كل نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة، فأخذ عليهم العهد أنه ربهم وأشهدهم على أنفسهم فشهدوا، وهذا هو الميثاق الأول، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

س٣: ما وجه إدخال الميثاق ضمن مسائل الاعتقاد؟

ج٣: الميثاق ثابت، وإن الله تعالى مضت حكمته في استخراج ذرية آدم من ظهره كأمثال الذر، ووجه إدخال الميثاق ضمن مسائل العقيدة:

١- لأنه غيب من الغيوب التي جاء ذكرها في الكتاب والسنة.

٢- لأن مسألة الميثاق متصلة بمباحث القدر.

س٤: وضِّح المقصود بالميثاق لغة وشرعا؟ مع بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]؟

ج٤: الميثاق لغة: مطلق العهد، وشرعاً: العهد الذي أخذه الله على ذرية بني آدم.

شرح الآية:

أخبر الله سبحانه بهذه الآية أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على

أنفسهم بأن الله هو ربهم وخالقهم ومليكهم، وأنه لا إله يستحق العبادة سواه جل وعلا.

س٥: بم عرف العلماء الميثاق المذكور في الآية؟ اذكر الأقوال في ذلك مع ترجيح ما تختاره؟

ج٥: للعلماء في ذلك قولان:

القول الأول: إن هذا الميثاق أخذه الله على بني آدم في عالم الذر، حيث إن الله استخرج ذرية آدم من ظهره كالذر، وأكد عليهم بلسان المقال لا بلسان الحال.

واستندوا لقولهم:

أ - بحديث: **«إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه، ثم كلمهم قائلًا: ألست بربكم قالوا: بلى شهدنا إلى قوله: المبطلون»**(١).

ب - وبحديث عمر، وفيه: «أن الرسول ﷺ سئل عن هذه الآية فقال: **إن الله خلق آدم فمسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء إلى الجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، قال: خلق هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون**»(٢).

ج - وبحديث: **«قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي»**(٣).

القول الثاني: إن الله استخرج ذرية بني آدم بعضهم من بعض.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٧٢)، والحاكم (٢/ ٥٤٤)، وغيرهما، وصححه ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٨٨-١٨٩)، فقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح». وقد صححه الشيخ الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة برقم: (١٦٢٣).

(٢) أخرجه الإمام مالك في موطئه، ك: القدر، ب: النهي عن القول في القدر، (٢/ ٨٩٨)، وعنه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٤٤)، والترمذي، أبواب التفسير، ب: ومن سور الأعراف، برقم: (٣٠٧٥)، والنسائي في السنن الكبرى برقم: (١١١٩٠)، وغيرهم عن عمر مرفوعا، وإسناده ضعيف، لكن الحديث حسنه جمع من أهل العلم لكثرة شواهده، منهم الترمذي وابن عبد البر، وابن القيم، والألباني، واستثنى رَحِمَهُ اللَّهُ: مسح الظهر فلم يجد له شاهدا.

انظر: التمهيد (٦/ ٦)، شفاء العليل (١/ ٧٠ - ٧٨)، السلسلة الصحيحة (رقم: ١٦٢٣)، تعليقاته على شرح العقيدة الطحاوية (٢٤٠).

(٣) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: صفة الجنة والنار، برقم: ٦٥٥٧، ومسلم برقم: ٢٨٠٥.

والإشهاد هو: ما فطرهم عليه من التوحيد بأن نصب لهم الأدلة على ربوبيته، ووحدانيته، فشهدت بها عقولهم وبصائرهم؛ لأن كل بالغ يعلم أن له رباً واحداً جل شأنه، وقام ذلك مقام الإشهاد بلسان الحال لا بلسان المقال، وهذا هو ما رجحه شارح الطحاوية ابن أبي العز لما يأتي:

١- حديث: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه» الحديث[(١)].

٢- حديث: «خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين»[(٢)].

ومما يضعف القول الأول:

١- كون الناس يتكلمون حينئذ، وقد أقروا بالإيمان، وأنه بهذا تقوم عليهم الحجة يوم القيامة، وذلك لم يتم.

ب - كون الآية دلت على ذلك، وهي لم تدل عليه لأمور يأتي ذكرها.

س٦: هناك عشرة أوجه ترد بها على من حمل الآية على أخذ العهد في عالم الذر، اذكر هذه الأوجه؟

ج٦: ١- أنه قال من بني آدم ولم يقل من آدم.

٢- أنه قال: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾، ولم يقل من ظهره.

٣- أنه قال: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، ولم يقل ذريته.

٤- أنه قال: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾، ولا بد أن يكون الشاهد ذاكراً لما شهد به، وهو إنما يذكر شهادته بعد خروجه إلى هذه الدار، ولا يذكر شهادته قبله.

٥- إن الله تعالى أخبر عن حكمته لهذا الإشهاد، وهي إقامة الحجة عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، والحجة إنما قامت عليهم بالرسل والفطرة، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

٦- تذكيرهم بذلك لئلا يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

٧- قال تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، فذكر حكمتين للإشهاد:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم، ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم: (٢٨٦٥).

أ - لأجل عدم الغفلة. ب - أو ادعاء التقليد.

ولا يترتبان إلا على من قامت عليه الحجة بالرسل والفطرة.

٨- قوله: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، أي: توعده بجحودهم وشركهم لما قالوا ذلك.

٩- إنه سبحانه أشهد كل واحد أنه ربه ومليكه، وهذه هي الحكمة التي أشهدهم بمضمونها وذكرتهم بها الرسل، قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

١٠- إنه جعل هذه الآية وهي الدلالة الواضحة المستلزمة لمدلولها، وكل آيات الله كذلك، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٤]، وإنما ذلك بالفطر التي فطر الناس عليها.

س٧: وردت أثار تدل على أن الله استخرج ذرية آدم من ظهره كالذر وأخذ عليهم العهد وأنطقهم بذلك، فهل تدل هذه الآثار على أن الأرواح قبل الأجساد أم لا؟ اشرح ذلك؟

ج٧: الموقف أن يقال: إن هذه الآثار لا تدل على سبق الأرواح على الأجسام سبقاً مستمراً ثابتاً، وإنما تدل على أن الله صور الناس، وقدر خلقها وأجلها وعملها، واستخرج هذه الصور عن مادتها، ثم أعادها إليها، وقدر خروج كل فرد من أفرادها في وقته المقدر له، فالله يخلق منها جملة بعد جملة على الوجه الذي سيعيد به التقدير، أو لا يحيى الخلق الخارج مطابقا للتقدير السابق، فهذه الآثار إنما تدل على التقدير السابق، وبعضها يدل على أنه سبحانه استخرج أمثالهم وصورهم، وميز أهل السعادة من أهل الشقاوة، أما الاستشهاد عليهم هناك فلا تدل عليه ولا يرد إلا في حديثين موقوفين[1] على ابن عباس وعمر رضي الله عنهما.

س٨: ما الحكمة من الإشهاد في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣]؟ اشرح ذلك مع بيان القائل وتوضيح الضمير في قوله: شهدنا؟

ج٨: الحكمة من الإشهاد في قوله: ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾، إقامة الحجة عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾، وكذلك لئلا يدعوا التقليد، قال تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟

(١) راجع تفسير ابن كثير، سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

﴿إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾، والحجة إنما كانت بإرسال الرسل والفطرة التي فطروا عليها.

أما القائل فقد:

١- قيل: هو قول بني آدم، ويكون معناه ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا بأنك ربنا، فالضمير يرجع إلى بني آدم، هذا قول كعب وابن عباس.

٢- وقيل: أشهد بعضهم بعضاً، وهو لابن عباس.

٣- وقيل: قوله: شهدنا من قول الملائكة، فشهدنا عليكم بإقراركم بأن تقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾، والوقف على قوله: ﴿بَلَىٰ﴾، وهذا قول الضحاك والسدي.

٤- وقيل: هذا هو من قول الله تعالى يخبر عن نفسه، وعن ملائكته، أنهم شهدوا على إقرار بني آدم، والراجح الأول؛ لأن ظاهر الآية يشهد له، وبقية الأقوال احتمالات لا دليل عليها.

س٩: ما الفرق بين دين التربية والعادة وبين دين العلم والعقل؟ وأيهما يجوز فيه تقليد الآباء؟

ج٩: دين التربية والعادة هو ما يأخذه الصبي عن أبويه، لأجل مصلحة الدنيا، فإن الطفل لا بد له من كافل، وأحق الناس به أبواه.

أما دين العلم والعقل فهو ما جاءت به الرسل فإن كان أبواه على حق تبعهم كيوسف حيث قال: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨]، وإن كان الآباء مخالفين للرسل كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآ﴾ [العنكبوت: ٨] خالفهم، والذي يجوز فيه تقاليد الآباء هو دين العلم والعقل.

س١٠: وضِّح المقصود بقول المؤلف: «مسلمة الدار ومسلمة الاختيار»؟ مع بيان الفرق بين النوعين؟

ج١٠: المراد بمسلمة الدار من يتبع آباءه سواء كانوا على حق أو على ضلال، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَا﴾ [لقمان: ١٥].

س١١: ما هي الأحكام التي تجري على الصبي في الدنيا والآخرة؟

ج١١: يعامل في الدنيا معاملة والديه بأحكام الدنيا الظاهرة، وأما في الآخرة

فالصحيح أنه لا يعاقب على هذا الدين حتى يبلغ ويعقل.

س١٢: بماذا تجيب على من احتج لتقليد الآباء في الشرك بالتقليد لهم في العادات من لبس ومطعم؟

ج١٢: يرد عليهم بأن يقال لهم: إنكم كنتم مقرين بالصانع معترفين به، فأنتم بذلك شهدتم على أنفسكم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥]، فجعل مجرد الإقرار شهادة، وليس أن يقول الإنسان شهدت على نفسي بكذا.

فلما عدلتم عن هذه المعرفة، وهذا الإقرار الذي شهدتم به على أنفسكم إلى الشرك، بل عدلتم عن المعلوم المتيقن إلى ما لا يعلم له حقيقة تقليداً لما لا حجة معه، بخلاف اتباعهم في العادات الدنيوية، فإنه ليس عندكم ما يعلم به فسادها، وفيه مصلحة لكم.

أما الشرك فإن عندكم من المعرفة والإقرار ما يدل على فساده، وعدلكم فيه عن الصواب.

س١٣: كيف يمكن أن نجعل من مراحل خلق الإنسان من نطفة فما بعدها دليلًا على توحيد الربوبية؟

ج١٣: وجه ذلك هو أن الإنسان كان نطفة خارجة من بين الصلب والترائب، فصارت إلى قرار مكين في ظلمات ثلاث، هي: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة.

وانقطع عنها تدبير الأبوين، وسائر الخلائق، ولو كانت موضوعة على طبق أو لوح، واجتمع عليها حكماء العالم على أن يصوروا منها شيئاً، لم يقدروا على ذلك، وكذلك يستحيل أن تعمل الطبائع فيها؛ لأنها أموات عاجزة لا توصف بحياة، ولا يأتي من الموات فعل ولا تدبير، فإذا تفكر الإنسان بذلك، وتفكر بانتقال النطفة من حال إلى حال علم بذلك توحيد الربوبية، وإن الله صانع ذلك كله.

س١٤: كيف يمكن الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية؟

ج١٤: كيفية ذلك أن الإنسان إذا علم أن له رباً أوجده من العدم، كيف يليق به أن يعبد غيره، فانتقل بذلك من توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية، وكلما تدبر وتفكر زاد توحيده يقيناً.

القضاء والقدر

قال الطحاوي: «وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار، جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد، ولا ينقص منه، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه، وكل ميَسَّرٌ لما خلق له، والأعمال بالخواتيم، والسعيد مَنْ سَعِد بقضاء الله، والشقي مَنْ شقي بقضاء الله، وأصلُ القدرِ سرُّ الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك مَلَكٌ مقرب، ولا نبيٌّ مرسَل، والتعمُّقُ والنظر في ذلك ذريعةُ الخذلان، وسُلَّمُ الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذَرَ كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسةً، فإن الله تعالى طوى علمَ القدَر عن أنامه، ونهاهم عن حرامه كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فمَنْ سأَل: لِمَ فعل؟ فقد ردَّ حكم الكتاب، ومن ردَّ حكم الكتاب كان من الكافرين، فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منوّرٌ قلبُه من أولياء الله تعالى، وهي درجةُ الراسخين في العلم؛ لأن العلم علمان: علمٌ في الخلق موجودٌ، وعلمٌ في الخلق مفقودٌ، فإنكارُ العلم الموجود كفرٌ، وادِّعاءُ العلم المفقود كفرٌ، ولا يثبت الإيمانُ إلا بقبول العلم الموجود، وترك طلب العلم المفقود».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[علم الله بالحوادث سابق ولا يترك شيئاً:]

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فالله تعالى موصوفٌ بأنه بكل شيء عليم أزلًا وأبداً، لم يتقدم علمَهُ بالأشياء جهالةٌ، وما كان ربك نسياً.

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس رأسه فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «ما من نفس منفوسةٍ إلا وقد كتب اللهُ مكانَها من الجنةِ والنارِ، وإلا قد كُتبت شقيَّةً أو سعيدةً، فقال رجلٌ: يا رسول الله أفلا نمكثُ على كتابنا وندعُ العملَ؟ فقال: من كان من أهل السعادة فسيصيرُ إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوةِ فسيصير لعمل أهل الشقاوة، ثم قال: اعملوا فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِق له، أما أهل السعادة فييسَّرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسَّرون لعملِ أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ

وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ١٠]». خرجاه في الصحيحين[(١)].

وقوله: «وكل ميَسَّرٌ لما خلق له، والأعمال بالخواتيم، والسعيد مَنْ سَعِد بقضاء الله، والشقي مَنْ شقي بقضاء الله».

[الأعمال مقدرة:]

تقدم قريباً حديث علي رضي الله عنه، وقوله ﷺ - فيه-: «اعملوا فكلٌّ ميسرٌ لما خلق له».

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة».

خرجاه في الصحيحين، وزاد البخاري: «وإنما الأعمال بالخواتيم».

وفي الصحيحين أيضا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[(٢)].

[موقف السلف ومخالفيهم من أدلة المسألة:]

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وكذلك الآثار عن السلف قال أبو عمر بن عبد البر في التمهيد[(٣)]: «قد أكثر الناس من تخريج الآثار في هذا الباب، وأكثر المتكلمون من الكلام فيه، وأهل السنة مجتمعون على الإيمان بهذه الآثار واعتقادها، وترك المجادلة فيها، وبالله العصمة والتوفيق».

---

(١) صحيح البخاري، ك: الجنائز، ب:موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله، برقم: (١٣٦٢)، صحيح مسلم، ك: القدر، ب: كيفية الخلق الآدمي...، برقم: (٢٦٤٧).

(٢) أخرجه البخاري، ك: التفسير، ب: قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل: ٥]، برقم: (٤٩٤٥)، ومسلم، ك: القدر، ب: كيفية الخلق الآدمي...، برقم: (٢٦٤٧).

(٣) التمهيد (٦/ ١٢).

وقوله: «وأصلُ القدرِ سرُّ الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك مَلَكٌ مقرب، ولا نبيٌّ مرسَل، والتعمُّقُ والنظر في ذلك ذريعةُ الخذلان، وسُلَّمُ الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذرَ كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسةً، فإن الله تعالى طوى علمَ القدَر عن أنامه، ونهاهم عن حرامه كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فمَنْ سأل: لِمَ فعل؟ فقد ردَّ حكم الكتاب، ومن ردَّ حكم الكتاب كان من الكافرين».

[قدر الله فوق كل فهم:]

أصل القدر سرُّ الله في خلقه، وهو كونه أوجدَ وأفنى، وأفقر وأغنى، وأمات وأحيا، وأضلَّ وهدى، قال علي رضي الله عنه: «القدر سرُّ الله فلا تكشفه»(١).

[التنازع في القدر:]

والنزاع بين الناس في مسألة القدر مشهور.

[موقف أهل السنة من القدر:]

والذي عليه أهل السنة والجماعة: أن كلَّ شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى خالق أفعال العباد، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وأن الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه؛ فيشاؤه كوناً، ولا يرضاه ديناً.

[قول القدرية والمعتزلة:]

وخالف في ذلك القدرية والمعتزلة، وزعموا أن الله شاء الإيمان من الكافر، ولكنَّ الكافر شاء الكفر، فردوا إلى هذا لئلا يقولوا شاء الكفر من الكافر وعذبه عليه، ولكن صاروا كالمستجير من الرمضاء بالنار، فإنهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شر منه، فإنه يلزم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى، فإن الله قد شاء الإيمان منه على قولهم والكافر شاء الكفر، فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى، وهذا من أقبح الاعتقاد، وهو قول لا دليل عليه، بل هو مخالف للدليل.

[حجاج القدري والمجوسي:]

وروى عمرو بن الهيثم قال: خرجنا في سفينة وصحبنا فيها قدري ومجوسي، فقال

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (ص٢٠٢)، واللالكائي (٤/ ٦٢٩).

القدري: للمجوسي أسلم، قال المجوسي: حتى يريد الله، فقال القدري: إن الله يريد ولكن الشيطان لا يريد، قال المجوسي: أراد الله وأراد الشيطان، فكان ما أراد الشيطان، هذا شيطان قوي.

وفي رواية أنه قال: فأنا مع أقواهما!!

[موقف الأعرابي مع عمرو بن عبيد:]

ووقف أعرابي على حَلْقة فيها عمرو بن عبيد فقال: يا هؤلاء إن ناقتي سرقت فادعوا الله أن يردها علي، فقال عمرو بن عبيد: اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقته فسرقت، فارددها عليه، فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك، قال: ولِـمَ؟ قال: أخاف كما أراد أن لا تسرق فسرقت أن يريد ردها فلا ترد.

[حِجاج قدري وسني:]

وقال رجل لأبي عصام القسطلاني: أرأيت إن منعني الهدى وأوردني الضلال ثم عذبني أيكون منصفاً، فقال له أبو عصام: إن يكن الهدى شيئا هو له فله أن يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء.

[أدلة القدر من القرآن:]

وأما الأدلة من الكتاب فقد قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

[سبب الضلال في هذا الباب:]

هذا، ومنشأ الضلال[1] من التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضى، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره فيكون محبوبا مرضيا.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٢٥١).

وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية، له فليست مقدرة ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه.

وقد دل على الفرق بين المشيئة والمحبة الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة.

أما نصوص المشيئة والإرادة من الكتاب فقد تقدم ذكر بعضها.

وأما نصوص المحبة والرضى فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقال تعالى عقيب ما نهى عنه من الشرك والظلم والفواحش والكبر: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إن الله كره لكم ثلاثا، قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»(١).

[شبهة حول المشيئة والرضا والجواب عنها:]

فإن قيل(٢): كيف يريد الله أمرا ولا يرضاه ولا يحبه، وكيف يشاؤه ويكونه؟ وكيف يجمع إرادته له وبغضه وكراهته؟

قيل: هذا السؤال هو الذي افترق الناس لأجله فرقا، وتباينت طرقهم وأقوالهم، فاعلم أن المراد نوعان: مراد لنفسه، ومراد لغيره، فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد، والمراد لغيره قد لا يكون مقصودا لما يريد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، مراد له من حيث قضاؤه، وإيصاله إلى مراده، فيجتمع فيه الأمران: بغضه وإرادته، ولا يتنافيان لاختلاف متعلقهما، وهذا كالدواء الكريه إذا علم المتناول له أن فيه شفاءه، وقطع العضو المتآكل إذا علم أن في قطعه بقاء جسده، وكقطع المسافة الشاقة إذا علم أنها توصل إلى مراده ومحبوبه، بل العاقل يكتفي في إيثار هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب وإن خفيت عنه عاقبته، فكيف ممن لا يخفى عليه خافية!!

[لا تنافي بين الإرادة والكراهية:]

فهو سبحانه يكره الشيء، ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره، وكونه سببا إلى أمر هو

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الزكاة، ب: قول الله ﷻ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، برقم: (١٤٧٧)، ومسلم، ك: الأقضية، ب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، برقم: (١٧١٥).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٩٣).

أحب إليه من فوقه، ومن ذلك:

أنه خلق إبليس الذي هو مادة لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات، وهو سبب لشقاوة كثير من العباد وعملهم بما يغضب الرب سبحانه ﷻ، وهو الساعي في وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه، ومع هذا فهو وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه، ووجودها أحب إليه من عدمها.

[عظيم قدرة الله في خلقه:]

منها: أنه يظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات فخلق هذه الذات التي هي أخبث الذوات وشرها، وهي سبب كل شر في مقابلة ذات جبرائيل التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها، وهي مادة كل خير، فتبارك خالق هذا وهذا، كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار والدواء والداء والحياة والموت والحسن والقبيح والخير والشر، وذلك من أدل دليل على كمال قدرته وعزته وملكه وسلطانه، فإنه خلق هذه المتضادات وقابلها بعضها ببعض، وجعلها محال تصرفه وتدبيره، فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبير ملكه.

[آثار أسماء الله القهرية:]

ومنها: ظهور آثار أسمائه القهرية، مثل القهار والمنتقم والعدل والضار والشديد العقاب والسريع العقاب وذي البطش الشديد والخافض والمذل، فإن هذه الأسماء والأفعال كمال لا بد من وجود متعلقها، ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء.

[آثار أسماء الجمال:]

ومنها: ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه وعتقه لمن شاء من عبيده، فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا بقوله: «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم، ك: التوبة، ب: سقوط الذنوب بالاستغفار، برقم: (٢٧٤٩).

[آثار الحكمة والخبرة الإلهية:]

ومنها: ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة، فإنه الحكيم الخبير الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه، ولا ينزله في غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته، وأعلم بمن يصلح لقبولها، ويشكره على انتهائها إليه، وأعلم بمن لا يصلح لذلك، فلو قدر عدم الأسباب المكروهة لتعطلت حكم كثيرة، ولفاتت مصالح عديدة، ولو عطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب، وهذا كالشمس والمطر والرياح التي فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر.

[أنواع العبودية الحاصلة بخلق الشيطان:]

ومنها: حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت، فإن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة لله سبحانه وتعالى، والمعاداة فيه، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبودية الصبر ومخالفة الهوى، وإيثار محاب الله تعالى، وعبودية التوبة والاستغفار، وعبودية الاستعاذة بالله أن يجيره من عدوه ويعصمه من كيده وأذاه، إلى غير ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن إدراكها.

[فساد افتراض الملزوم دون لازمه:]

فإن قيل: فهل كان يمكن وجود تلك الحكم بدون هذه الأسباب؟

فهذا سؤال فاسد، وهو فرض وجود الملزوم بدون لازمه، كفرض وجود الابن بدون الأب، والحركة بدون المتحرك، والتوبة بدون التائب.

[شبهة والرد عليها:]

فإن قيل: كيف يتأتى الندم والتوبة مع شهود الحكمة في التقدير، ومع شهود القيومية والمشيئة النافذة؟

قيل: هذا هو الذي أوقع من عميت بصيرته في شهود الأمر على غير ما هو عليه، فرأى تلك الأفعال طاعات لموافقته فيها المشيئة والقدر، وقال: إن عصيت أمره فقد أطعت إرادته.

و في ذلك قيل:

أصبحتُ منفعلًا لما يختاره ... منِّي ففعلي كلُّه طاعات

[جهل من لم يفرق بين الإرادة الشرعية والكونية:]

وهؤلاء أعمى الخلق بصائر، وأجهلهم بالله وأحكامه الدينية والكونية، فإن الطاعة هي موافقة الأمر الديني الشرعي لا موافقة القدر والمشيئة، ولو كان موافقة القدر طاعة لكان إبليس من أعظم المطيعين له، ولكان قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وقوم فرعون كلهم مطيعين، وهذا غاية الجهل، لكن إذا شهد العبد عجز نفسه، ونفوذ الأقدار فيه، وكمال فقره إلى ربه، وعدم استغنائه عن عصمته وحفظه طرفة عين، كان بالله في هذه الحال لا بنفسه، فوقوع الذنب منه لا يتأتى في هذه الحال البتة، فإن عليه حصنا حصينا، فلا يتصور منه الذنب في هذه الحالة، فإذا حجب عن هذا المشهد، وبقي بنفسه، استولى عليه حكم النفس، فهناك نصبت عليه الشباك والأشراك، وأرسلت عليه الصيادون، فإذا انقشع عنه ضباب ذلك الوجود الطبعي، فهنالك يحضره الندم والتوبة والإنابة؛ لأنه كان في المعصية محجوبا بنفسه عن ربه، فلما فارق ذلك الوجود صار في وجود آخر، فبقي بربه لا بنفسه.

[شبهة وجوابها:]

فإن قيل: إذا كان الكفر بقضاء الله وقدره، ونحن مأمورون أن نرضى بقضاء الله، فكيف ننكره ونكرهه؟

فالجواب: أن يقال: أولًا: نحن غير مأمورين بالرضى بكل ما يقضيه الله ويقدره، ولم يرد بذلك كتاب ولا سنة بل من المقضي ما يرضى به، ومنه ما يسخط، ويمقت، كما لا يرضى به القاضي لأقضيته سبحانه، بل من القضاء ما يُسخط كما أن من الأعيان المقضية ما يغضب عليه ويمقت ويلعن ويذم.

[التفرقة بين القضاء والمقضي:]

ويقال: ثانياً: هنا أمران: قضاء الله، وهو فعل قائم بذات الله تعالى، ومقضي وهو المفعول المنفصل عنه، فالقضاء كله خير وعدل وحكمة نرضى به كله، والمقضي قسمان: منه ما يرضى به، ومنه ما لا يرضى به.

[تعلق القضاء بالرب وبالعبد:]

ويقال ثالثاً: القضاء له وجهان: أحدهما: تعلقه بالرب تعالى ونسبته إليه فمن هذا الوجه يرضى به.

والوجه الثاني: تعلقه بالعبد ونسبته إليه، فمن هذا الوجه ينقسم إلى ما يرضى به، وإلى ما لا يرضى به.

مثال ذلك: قتل النفس له اعتباران: فمن حيث قدر الله وقضاه وكتبه ومشيئته وجعله أجلا للمقتول ونهاية لعمره يرضى به.

ومن حيث صدر من القاتل وباشره وكسبه وأقدم عليه باختياره وعصى الله بفعله نسخطه ولا نرضى به.

[خطورة التعمق في مسألة القدر:]

وقوله: «والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان» إلى آخره.

التعمق: هو المبالغة في طلب الشيء، والمعنى أن المبالغة في طلب القدر والغوص في الكلام فيه ذريعة الخذلان.

الذريعة: الوسيلة. والذريعة والدرجة والسلم متقاربة المعنى، وكذلك الخذلان والحرمان والطغيان متقاربة المعنى أيضا، لكن الخذلان في مقابلة النصر، والحرمان في مقابلة الظفر، والطغيان في مقابلة الاستقامة.

[وجوب الحذر من التعمق في القدر:]

وقوله: «فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة»: عن أبي هريرة ﷺ قال: «جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ إلى رسول الله ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: **وقد وجدتموه**، قالوا: نعم، قال: **ذلك صريح الإيمان**» رواه مسلم[(١)].

الإشارة بقوله: «**ذلك صريح الإيمان**» إلى تعاظم أن يتكلموا به.

ولمسلم[(٢)] أيضا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة، فقال: **تلك محض الإيمان**».

وهو بمعنى حديث أبي هريرة السابق، فإن وسوسة النفس أو مدافعة وسواسها بمنزلة المحادثة الكائنة بين اثنين، فمدافعة الوسوسة الشيطانية واستعظامها صريحُ الإيمان ومحضُ الإيمان.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، برقم: (١٣٢).

(٢) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، برقم: (١٣٣).

[ظهور القدرية:]

هذه طريقة الصحابة ﵃ والتابعين لهم بإحسان، ثم خلف من بعدهم خلف سودوا الأوراق بتلك الوساوس التي هي شكوك وشبه، بل وسودوا القلوب، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق.

[ذم الخوض في القدر:]

ولذلك أطنب الشيخ ﵀ في ذم الخوض في الكلام في القدر والفحص عنه، وعن عائشة ﵂ أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»(١).

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩]، الخلاق: النصيب، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، أي: استمتعتم بنصيبكم كما استمتع الذين من قبلكم بنصيبهم وخضتم كالذي خاضوا، أي: كالخوض الذي خاضوه، أو كالفوج أو الصنف أو الجيل الذي خاضوا، وجمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض؛ لأن فساد الدين إما في العمل وإما في الاعتقاد، فالأول من جهة الشهوات، والثاني من جهة الشبهات.

[شدة الاختلاف في القدر:]

هذان وأكبر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الأمة: مسألة القدر، وقد اتسع الكلام فيها غاية الاتساع.

[تحريم الاعتراض على الحكمة الإلهية:]

وقوله: «فمن سأل: لِمَ فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين»: اعلم أن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم، وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع، ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة نبي صدقت بنبيها وآمنت بما جاء به أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به ونهاها عنه، وبلغها عن ربها، ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها، بل انقادت وسلمت وأذعنت، وما عرفت من الحكمة عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وتسليمها على معرفته، ولا

---

(١) أخرجه البخاري، ك: المظالم، ب: قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، برقم: (٢٧٥٤)، ومسلم، ك: العلم، ب: في الألد الخصم، برقم: (٢٦٦٨).

جعلت ذلك من شأنها، وكان رسولها أعظم عندها من أن تسأله عن ذلك، كما في الإنجيل: «يا بني إسرائيل لا تقولوا: لم أمر ربنا؟ ولكن قولوا: بِمَ أمر ربُّنا».

[تسليم السلف للنصوص:]

ولهذا كان سلف هذه الأمة التي هي أكمل الأمم عقولا ومعارف وعلوما لا تسأل نبيها: لِمَ أمر الله بكذا؟ و لِمَ نهى عن كذا؟ و لِمَ قدر كذا؟ و لِمَ فعل كذا؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام، وأن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم.

[الاستفهام تعلماً أو تعنتاً:]

وقال القرطبي ناقلا عن ابن عبد البر: «فمن سأل مستفهما راغبا في العلم ونفي الجهل عن نفسه باحثاً عن معنى يجب الوقوف في الديانة عليه فلا بأس به، فشفاء العي السؤال، ومن سأل متعنِّتاً غير متفقِّه ولا متعلِّم فهو الذي لا يحل قليل سؤاله ولا كثيره».

[وجوب السكوت عما لا يخص المرء:]

وقال ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، رواه الترمذي وغيره[1].

[كفر من رد حكم القرآن:]

هذا، ولا شك في تكفير من رد حكم الكتاب، ولكن من تأول حكم الكتاب لشبهة عرضت له، بُيِّن له الصواب ليرجع إليه، فالله ﷻ لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته ورحمته وعدله، لا لمجرد قهره وقدرته كما يقول الجهم وأتباعه، وسيأتي لذلك زيادة بيان عند قول الشيخ: «ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله».

وقوله: **«فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منوّرٌ قلبُه من أولياء الله تعالى، وهي درجةُ الراسخين في العلم؛ لأن العلم علمان: علمٌ في الخلق موجودٌ، وعلمٌ في الخلق مفقودٌ، فإنكارُ العلم الموجود كفرٌ، وادِّعاءُ العلم المفقود كفرٌ، ولا يثبت الإيمانُ إلا بقبول العلم الموجود، وترك طلب العلم المفقود»**.

الإشارة بقوله: «فهذا» إلى ما تقدم ذكره، مما يجب اعتقاده والعمل به مما جاءت به الشريعة.

---

(١) أخرجه الترمذي، أبواب الزهد، ب: فيمن تكلم بكلمة ليضحك بها الناس، برقم: (٢٣١٨)، وابن حبان برقم: (٢٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٥٩١١).

[درجة الراسخين في العلم:]

وقوله: «وهي درجة الراسخين في العلم»، أي: علم ما جاء به الرسول جملة وتفصيلًا، نفياً وإثباتاً.

[المقصود بالعلم المفقود:]

ويعني بالعلم المفقود: علمَ القدر الذي طواه الله عن أنامِه، ونهاهم عن مرامِه.

[المراد بالعلم الموجود:]

ويعني بالعلم الموجود علمَ الشريعة، أصولِها وفروعِها، فمن أنكر شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ كان من الكافرين، ومن ادَّعى علم الغيب كان من الكافرين، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

[جهلنا بالحكمة الإلهية لا يعني عدمها:]

ولا يلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمُها، ولا من جهلنا انتفاءُ حكمته.

ألا ترى أن خفاء حكمة الله علينا في خلقِ الحيّات والعقارب والفأر والحشرات التي لا يُعلم منها إلا المضرة؛ لم ينفِ أن يكون الله تعالى خالقاً لها، ولا يلزم ألَّا يكون فيها حكمةٌ خفيت علينا؛ لأن عدم العلم لا يكون علماً بالمعدوم.

توضيح كلام الطحاوي وابن أبي العز، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: المسائل العقدية التي ذكرها ابن أبي العز في شرحه.

تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «وأصل القدر سرُّ الله تعالى في خلقه،... فإن الله تعالى طوى علمَ القدَر عن أنامه، ونهاهم عن حرامه...» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١ علم الله بالحوادث سابق.
٢- الأعمال مقدرة.
٣- موقف السلف ومخالفيهم من أدلة المسألة.
٤- قدر الله فوق كل فهم.
٥- التنازع في القدر.
٦- موقف أهل السنة من القدر.
٧- قول القدرية والمعتزلة.
٨- حجاج القدري والمجوسي.
٩- موقف الأعرابي مع عمرو بن عبيد.

١٠- حجاج قدري وسني. ١١- أدلة القدر من القرآن.

١٢- سبب الضلال في هذا الباب.

١٣- شبهة حول المشيئة والرضا والجواب عنها.

١٤- لا تنافي بين الإرادة والكراهية. ٥١- عظيم قدرة الله في خلقه.

١٦- آثار أسماء الله القهرية. ٧١- آثار أسماء الجمال.

١٨- آثار الحكمة والخبرة الإلهية. ٩١- أنواع العبودية الحاصلة بخلق الشيطان.

٢٠- فساد افتراض الملزوم دون لازمه. ١٢- شبهة والرد عليها.

٢٢- جهل من لم يفرق بين الإرادة الشرعية والكونية.

٢٣- شبهة وجوابها. ٤٢- التفرقة بين القضاء والمقضي.

٢٥- تعلق القضاء بالرب وبالعبد. ٦٢- خطورة التعمق في مسألة القدر.

٢٧- وجوب الحذر من التعمق في القدر. ٨٢- ظهور القدرية.

٢٩- ذم الخوض في القدر. ٠٣- شدة الاختلاف في القدر.

٣١- تحريم الاعتراض على الحكمة الإلهية.

٣٢- تسليم السلف للنصوص. ٣٣- الاستفهام تعلماً أو تعنتاً.

٣٤- وجوب السكوت عما لا يخص المرء.

٣٥- كفر من رد حكم القرآن. ٦٣- درجة الراسخين في العلم.

٣٧- المقصود بالعلم المفقود. ٨٣- المراد بالعلم الموجود.

٣٩- جهلنا بالحكمة الإلهية لا يعني عدمها.

المطلب الثاني: شرح كلام الطحاوي.

بدعة إنكار القدر من أول الفتن التي ظهرت في هذه الأمة، وذلك في أواخر أيام الصحابة الكرام ﷺ، وكان بدء ظهورها على يد المبتدع الضال معبد الجهني، وقد وقف الصحابة ﷺ موقفاً حازماً من هذه البدعة، فشددوا في إنكارها، وهجروا من قال بها، وحذروا منهم، وقد تكلم السلف في توضيح المذهب الحق في القدر، وهو أن الله تعالى كتب المقادير وقدرها أزلًا. وجعل للإنسان إرادة واختياراً، وإرادته مخلوقة لله، تابعة لإرادة الله، ولا يخرج إنسان عما قدر الله له، وأن كل شيء مقدر قبل الخلق.

قال الإمام أحمد: «والقدر خيره وشره، وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، وحلوه ومره،

ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره من الله قضاءً قضاه، وقدراً قدره عليهم، لا يعدو أحد منهم مشيئة الله ﷻ، ولا يجاوز قضاءه بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له، واقعون فيما قدر عليهم لأفعاله، وهو عدل منه عز ربنا وجل، والزنا والسرقة وشرب الخمر وقتل النفس، وأكل المال الحرام، والشرك بالله والمعاصي كلها بقضاء وقدر، من غير أن يكون لأحد من الخلق على الله حجة، بل لله الحجة البالغة على خلقه، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وعلم الله ﷻ ماض في خلقه بمشيئة منه، قد علم من إبليس ومن غيره ممن عصاه - من لدن أن عصى ﵎ إلى أن تقوم الساعة - المعصية وخلقهم لها، وعلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها وكل يعمل لما خلق له، وصائر لما قضى عليه، وعلم منه لا يعدو واحد منهم قدر الله ومشيئته، والله الفاعل لما يريد الفعال لما يشاء»[(١)].

وقال الحسن البصري: «من كذب بالقدر فقد كذب بالحق، إن الله ﷻ قدر خلقاً، وقدر أجلًا، وقدر بلاء، وقدر مصيبة، وقدر معافاة، من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن»[(٢)].

وقال ابن قتيبة: «وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدل لا يجور كيف خلق، وكيف قدر، وكيف أعطى، وكيف منع، وأنه لا يخرج من قدرته شيء، ولا يكون في ملكوته من السماوات والأرض إلا ما أراد، وأنه لا دين لأحد عليه، ولا حق لأحد قبله، فإن أعطى فبفضل، وإن منع فبعدل، وأن العباد يستطيعون ويعملون، ويجزون بما يكسبون، وأن لله لطيفة يبتدي بها من أراد، ويتفضل بها على من أحب، ويوقعها في القلوب فيعود بها إلى طاعته، ويمنعها من حقت عليه كلمته»[(٣)].

ويقول ابن بطة في الإبانة الصغرى: «ثم من بعد ذلك الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، قليله وكثيره، مقدور واقع من الله ﷻ على العباد في الوقت الذي أراد أن يقع، لا يتقدم الوقت ولا يتأخر على ما سبق بذلك علم الله، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن يصيبه، وما تقدم لم يكن ليتأخر، وما تأخر لم يكن ليتقدم.

وفي هذا من صحة الدلائل وثبوت الحجة في جميع القرآن وإخبار المصطفى ﷺ ما لا يمكن دفعه ولا يقدر على رده إلا بالافتراء على الله ﷻ ومنازعته في قدره، وإلى ما

---

(١) السنة (ص ٦٩)، وأصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص ٦٧٥-٦٩٣).
(٢) الشريعة (ص ٢١٨). (٣) الاختلاف في اللفظ (ص ٢٣٢).

وصفناه دعت الرسل، وأنزلت الكتب، وعليه اتفاق أهل التوحيد ممن أقر لله بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية، من ملك مقرب، ونبي مرسل، منذ كان الخلق إلى انقضائه، مجمعون على أنه ليس شيء كان، ولا شيء يكون في السماوات ولا في الأرض إلا ما أراده الله ﷻ، وشاءه وقضاه، والخلق كلهم أضعف في قوتهم وأعجز في أنفسهم من أن يحدثوا في سلطان الله ﷻ شيئاً يخالفون فيه مراده، ويغلبون مشيئته ويردون قضاءه، فالإيمان بهذا حق لازم، فريضة من الله ﷻ على خلقه»[(١)].

وقال الصابوني: «ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره، لا مرد لهما ولا محيص ولا محيد عنهما، ولا يصيب المرء إلا ما كتبه له ربه، ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله له لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله لم يقدروا.

وقال أيضاً: ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم مع قولهم بأن. الخير والشر من الله وبقضائه، لا يضاف إلى الله تعالى ما يتوهم منه نقص على الانفراد، فلا يقال: يا خالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان، وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه، وفي ذلك ورد قول الرسول ﷺ في دعاء الاستفتاح: «**تباركت وتعاليت والخير في يديك، والشر ليس إليك**»، ومعناه - والله أعلم - والشر ليس مما يضاف إليك إفراداً وقصداً، حتى يقال لك في المناداة: يا خالق الشر، أو يا مقدر الشر، وإن كان هو الخالق والمقدر لها جميعاً.

ثم قال: ومن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله ﷻ مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها، لم يؤمن أحد إلا بمشيئته، ولم يكفر أحد إلا بمشيئته، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولو شاء أن لا يعصى ما خلق إبليس، فكفر الكافرين وإيمان المؤمنين بقضائه سبحانه وتعالى، وقدره وإرادته ومشيئته، أراد كل ذلك وشاءه وقضاه، ويرضى الإيمان والطاعة، ويسخط الكفر والمعصية»[(٢)].

وقال ابن قدامة: «ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا

---

(١) الإبانة الصغرى (ص ٥٢ - ٥٣).
(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (١/ ١٢٧) (الرسائل المنيرية).

عن تدبيره، ولا محيد عن القدر والمقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه، خلق الخلق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته»(١).

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية مذهب أهل السنة في قضاء الله وقدره وفصل ذلك فقال: «وتؤمن الفرقة الناجية - أهل السنة والجماعة - بالقدر خيره وشره.

والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين: فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى عليم بما الخلق وهم عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبدا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال.

ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، فأول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام، وطويت الصحف كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وهذا التقدير - التابع لعلمه سبحانه - يكون في مواضع جملة وتفصيلا، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل خلق الروح فيه بعث إليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات، فيقال له: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ونحو ذلك. فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية قديما، ومنكروه اليوم قليل.

وأما الدرجة الثانية: فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن وأنه ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه ما لا يريد، وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه، لا خالق غيره ولا رب سواه.

ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات،

---

(١) لمعة الاعتقاد (ص ٢٤).

لا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد.

والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم. وللعباد القدرة على أعمالهم ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال الله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ -٢٩].

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها»[1].

وقد ذكر الآجري أنه لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر؛ لأن القدر سر من أسرار الله ﷻ، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طرق الحق، قال النبي ﷺ: «**ما هلكت أمة قط إلا بالشرك بالله ﷻ، وما أشركت أمة حتى يكون بدو شركها التكذيب بالقدر**»[2].

ومراتب القدر عند السلف أربع مراتب، هي كالتالي:

١- العلم الإلهي الأزلي بالأشياء قبل كونها.

٢- الكتابة الأزلية قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

٣- المشيئة الإلهية الشاملة لجميع الكائنات.

٤- خلقه لها وإيجاده طبقاً لما علمه وكتبه وشاءه، فالله خالق كل شيء، وما سواه مخلوق.

فأهل السنة يؤمنون بقضاء الله وقدره، فيفعلون المأمور، ويتركون المحظور، ويصبرون على المقدور، ويرون أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم.

وأن الله تعالى خلق قدرة العبد وإرادته وفعله، فالعبد وإن كان فاعلًا لفعله حقيقة إلا

---

(١) العقيدة الواسطية (ص٦٣) - المجموعة العلمية السعودية-.

(٢) انظر: الشريعة (ص١٤٩).

أن الله تعالى هو الذي جعله فاعلًا له، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، فأثبت مشيئة العبد، وأخبر أنها لا تكون إلا بمشيئة الله، فالله خالق العبد وأفعاله.

وأما المخالفون لمذهب أهل الحق، فالطرف الأول هم القدرية - نفاة القدر - الذين قالوا: إن الله ﷻ لم يكن يعلم الأشياء قبل وجودها، ولم يقدرها قبل وقوعها، وإنما علمها حال وقوعها، ويقولون: إنما الأمر أنف، أي مستأنف، مبتدأ بقدرة الإنسان نفسه، فأنكروا علم الله ﷻ السابق للأشياء، وقالوا: إن الإنسان هو الذي يوجد فعل نفسه من غير إرادة الله أو علمه به.

فهذه الفرقة شر الفرقتين، وأكثر كلام السلف في ذم هذه الفرقة.

قال ابن القيم: «أراد القدرية المنكرة للعلم بالأشياء قبل كونها وهم غلاتها، الذين كفرهم السلف، وإلا فلا تعرض فيها لمسألة خلق أفعال العباد»[(١)].

ولكن هذه الطائفة - غلاة القدرية - قد اندثرت كما ذكره النووي والقرطبي والسفاريني[(٢)].

ثم جاء بعدهم قرن أثبتوا العلم لله، لكنهم أنكروا خلقه لأفعال العباد، وزعموا أن العباد هم الخالقون لأفعالهم، وهذا هو مذهب المعتزلة المتأخرين.

قال ابن حجر: «والقدرية اليوم مطبقون على أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها، وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم، وواقعة منهم على جهة الاستقلال، وهو مع كونه مذهبا باطلا أخف من المذهب الأول، وأما المتأخرون منهم فأنكروا تعلق الإرادة بأفعال العباد فرارا من تعلق القديم بالمحدث»[(٣)].

فالإنسان عند المعتزلة هو خالق فعل نفسه، وهو المختار لأفعاله استقلالا عن مشيئة الله تعالى، ولا تعلق لإرادة الله بأفعال العباد.

فالعبد عندهم خالق لأفعاله، وأنه ما يناله من نعيم أو عذاب في الآخرة فهو بسبب عمله الحسن أو السيء؛ لأن العبد لو لم يكن خالقاً لأفعاله، وأن الله هو الذي خلقها وأضافها إلى الإنسان، ثم عذبه عليها مع أنه لم يفعلها لكان ظالماً له، والظلم نقصان لا

---

(١) بدائع الفوائد (١/١٦٨).
(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١/١٥٤)، لوامع الأنوار (١/٣٠١).
(٣) فتح الباري (١/١١٩).

يليق بالله الموصوف بكل كمال، وكيف يفعل الله شيئاً، ثم يلوم غيره على فعله، فالله عادل، وعدله يقتضي أن يحاسب العبد على ما فعل.

وقد وصف البغدادي مذهب المعتزلة، فقال: «المذهب الثالث: قول القدرية، الذين زعموا أن العباد خالقون لأكسابهم، وكل حيوان محدث لأعماله، وليس لله في شيء من أعمال الحيوانات صنع.

ثم ذكر قول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال: فأثبت في هذه الآية للعباد أعمالًا خلاف قول الجهمية أن العبد ليس له عمل وأخبر عن نفسه بأنه خالق أعمال العباد، خلاف قول القدرية بأن العباد خالقون لأعمالهم»(١).

فالمعتزلة أثبتوا لأنفسهم خلق أفعالهم وأنكروا أن يكون الله هو الخالق لأفعالهم تنزيهاً له سبحانه عن الظلم والجور، كما أنهم اتفقوا على ذلك، ولا يخالف فيه منهم طائفة.

ونقل الشهرستاني اتفاق المعتزلة على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة، والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً، كما لو خلق العدل لكان عادلًا(٢).

وأما المخالفون لمذهب السلف المقابلون للمعتزلة في باب القدر فهم: الجبرية، وهؤلاء يزعمون أن لا إرادة للعبد أصلًا، وأنه مسيَّر مجبور في أفعاله كالريشة في مهب الريح، وأن نسبة الأعمال إلى العباد إنما هي على وجه المجاز، لا إرادة ولا مشيئة للعبد على الإطلاق.

ومن جهة أخرى فإنهم ينفون الحكمة والتعليل في التكاليف الشرعية، لمحض المشيئة والإرادة فقط، وليس هناك حكمة تعود إلى الخالق تبارك وتعالى.

وهؤلاء كما يقول ابن القيم لا يجدون حلاوة العبادة ولا لذتها ولا ينعمون بها، وليست العبادة قرة أعينهم، وليست الأوامر مسرور قلوبهم وغذاء أرواحهم، ولهذا يسمونها تكاليف(٣).

فالجبرية لا يرون للعبد إرادة مطلقاً ويقولون: إن أفعال الإنسان اضطرارية، وأن ما يفعله ليس له إرادة فيه، وإنما هو أشبه بآلة تعمل بلا وعي ولا عقل، وأن المأمورات

---

(١) انظر: أصول الدين (ص ١٣٥).
(٢) انظر: الملل والنحل (١/ ٤٥).
(٣) انظر: التفسير القيم لابن القيم (ص ٨١- ٨٢).

والمنهيات ليست موصوفة بالحسن والقبح، وإنما هي أوامر ونواه صادرة من جهة عليا، وعلى الإنسان أن يمتثل من غير أن يفكر في حسن المأمور به أو قبح المنهي عنه، فالإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له، ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه كما يخلقها في سائر الجمادات، والثواب والعقاب جبر، كما أن الأفعال جبر.

قال ابن القيم: «ثم نبغت طائفة أخرى من القدرية فنفت فعل العبد وقدرته واختياره، وزعمت أن حركته الاختيارية - ولا اختيار - كحركة الأشجار عند هبوب الرياح، وكحركات الأمواج، وأنه على الطاعة والمعصية مجبور، وأنه غير ميسر لما خلق له، بل هو مقسور ومجبور»[1].

ويوضح مذهبهم فيقول: «أصحاب الجبر وهم الذين يشهدون أنهم مجبورون على أفعالهم وأنها واقعة بغير قدرتهم بل لا يشهدون أنها أفعالهم البتة.

ويقولون: إن أحدهم غير فاعل في الحقيقة ولا قادر، وأن الفاعل فيه غيره، والمحرك له سواه، وأنه آلة محضة، وحركاته بمنزلة هبوب الرياح وحركات الأشجار.

وهؤلاء إذا أنكرت عليهم أفعالهم احتجوا بالقدر، وحملوا ذنوبهم عليه، وقد يغلون في ذلك حتى يروا أفعالهم كلها طاعات خيرها وشرها، لموافقتها للمشيئة والقدر.

ويقولون: كما أن موافقة الأمر طاعة، فموافقة المشيئة طاعة كما حكى الله تعالى عن المشركين إخوانهم أنهم جعلوا مشيئة الله تعالى لأفعالهم دليلا على أمره بها ورضاه، وهؤلاء شر من القدرية النفاة، وأشد منهم عداوة لله ومناقضة لكتبه ورسله ودينه»[2].

وهذا هو مذهب الجهمية.

وذكر البغدادي مذهبهم في القضاء والقدر فقال: «هؤلاء أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالجبر، وزعم أن العباد مضطرون إلى أنواع تصرفهم كما يضطر الريح إلى حركتها، ولم يثبتوا للعبد كسباً ولا استطاعة»[3].

وقال أيضاً: «والمذهب الثاني قول الجهمية: إن العباد مضطرون إلى الأفعال

(١) شفاء العليل (ص٣).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٠٤).

(٣) أصول الدين (ص ٣٣).

المنسوبة إليهم، وليس لهم فيها اكتساب ولا لهم عليها استطاعة، وأن حركاتهم الاختيارية بمنزلة حركة العروق النوابض في اضطرارهم إليها»[١].

ونجد أن بعض العلماء يقسم الجبرية إلى قسمين:

١- الجبرية الخالصة: وهي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلًا.

٢- الجبرية المتوسطة: وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلًا[٢].

ويعتبر الجهم من الجبرية التي لا تثبت للعبد فعلًا ولا قدرة على الفعل أصلًا، وهي الجبرية الخالصة؛ لأن الناس اختلفوا في الفاعل والمفعول والفعل.

فقالت القدرية: الأفاعيل التي من الشر ليست من الله.

وقالت الجبرية: الأفاعيل كلها من الله.

وقال الجهمية: الفعل والمفعول واحد، لذلك قالوا: الكل مخلوق.

وقال أهل العلم: التخليق فعل الله، وأفاعيلها مخلوقة[٣].

قال الشهرستاني: «أما الطرف الثاني فهم الجبرية، والجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد، وإضافته إلى الرب تعالى، قال جهم: إن الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له، ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازا، كما تنسب إلى الجمادات، كما يقال: أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وتحرك الحجر، وطلعت الشمس، وغربت، وتغيمت السماء، وأمطرت، واهتزت الأرض، وأنبتت، إلى غير ذلك، والثواب والعقاب جبر، كما أن الأفعال كلها جبر، قال: وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضاً كان جبراً»[٤].

وذكر ابن القيم مذهب القدرية ثم قال: «وقابلهم الجبرية، فجاءت على إثبات القدرة والعلم، وأنكرت الحكمة والرحمة، ولهذا كان مصدر الخلق والأمر والقضاء والشرع من

---

(١) أصول الدين (ص ١٣٤).

(٢) انظر: المواقف (ص٤٢٨)، لوامع الأنوار (١ / ٩٠).

(٣) انظر: خلق أفعال العباد (ص ٢١٢) - عقائد السلف -.

(٤) الملل والنحل (١ / ٨٧).

علم الرب وعزته وحكمته»[١].

ومن أسباب ذهاب الجهمية هذا المذهب اعتقادهم أن التوحيد الصرف يعني: أن الله هو المنفرد بخلق أفعال العباد دون مشيئة لهم، ولا إرادة ولا اختيار، وعلى ذلك فإن الله عندهم هو وحده الفاعل الحقيقي حتى لأعمال العباد[٢].

ويوضح هذا ما ذكره ابن القيم أنه جرت مناظرة بين جبري وسني، فقال الجبري: القول بالجبر لازم لصحة التوحيد، ولا يستقيم التوحيد إلا به؛ لأنا إن لم نقل بالجبر أثبتنا فاعلًا للحوادث مع الله، إن شاء فعل، وإن يشأ لم يفعل، وهذا شرك ظاهر لا يخلص منه إلا القول بالجبر[٣].

والحقيقة أن الجبرية أفرطوا وغلوا في إثبات القدر حتى نفوا عن العبد الفعل والاختيار والمشيئة أصلا، فضلوا عن سبيل الحق وانحرفوا عن الصراط المستقيم.

وهناك قول رابع في القدر، وهو قول الأشعري الذي قال: إن العبد كاسب وليس بفاعل، وأنه لا تأثير لقدرة العبد في إيجاد المقدور.

والحقيقة أن هذا الكسب الذي أثبته الأشعري غير معقول.

وقد حاول بعض الأشاعرة توضيح هذا الكسب فقالوا: وهو أن يقع الشيء بقدرة محدثة فيكون كسباً لمن وقع بقدرته، وهو أن صرف العبد قدرته وإرادته إلى الفعل كسب، وإيجاد الله الفعل عقب ذلك خلق، فالفعل الواحد مقدور الله بجهة الإيجاد، ومقدور العبد بجهة الكسب[٤].

وقد عد كثير من العلماء قول الأشعري بالكسب لغزاً، لا يعرف له حل، أو الأمور التي لا يستبين لها وجه، حتى قال:

مما يقال ولا حقيقة عنده ... معقولة تدنو إلى الأفهام
فالكسب عند الأشعري والحال عِنْـ ... ـد البهشمي وطفرة النظام

وقال ابن القيم: «ولم يثبت هؤلاء من الكسب أمراً معقولًا، ولهذا يقال: محالات

---

(١) طريق الهجرتين (ص ١١٤).
(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣١٢)، أصول الدين للبزدوي (ص ١١١)، الفصل (٣/ ٥٤)، التبصير في الدين (ص ٦٣).
(٣) انظر: شفاء العليل (ص ١٣٩).
(٤) انظر: القضاء والقدر (ص ٢١٦).

الكلام ثلاثة: كسب الأشعري، وأحوال أبي هاشم، وطفرة النظام»[(١)].

وسبب ذلك أن كثيرا من الناس لم يروا فارقاً واضحاً بين القول الذي تقول به الجهمية وبين الكسب الذي يقول به الأشعري، بل يرون أنهما يرجعان إلى أصل واحد، وهو أن العبد لا قدرة له أصلًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكثير من المتأخرين من المثبتين للقدر من أهل الكلام ومن وافقهم سلكوا مسلك جهم في كثير من مسائل هذا الباب، وإن خالفوه في بعض ذلك إما نزاعاً لفظيا، وإما نزاعا لا يعقل، وإما نزاعا معنويا، وذلك كقول من زعم أن العبد كاسب، وليس بفاعل حقيقة، وجعل الكسب مقدوراً للعبد، وأثبت له قدرة لا تأثير لها في المقدور، ولهذا قال جمهور العقلاء: إن هذا الكلام متناقض غير معقول، فإن القدرة إذا لم يكن لها تأثير أصلًا في الفعل كان وجودها كعدمها ولم تكن قدرة، بل كان اقترانها بالفعل كاقتران سائر صفات الفاعل في طوله وعرضه ولونه»[(٢)].

ويقول أيضاً في تفنيد نظرية الكسب: «ولا يقول الأشعري: إن العبد فاعل في الحقيقة، بل كاسب، ولم يذكر بين الكسب والفعل فرقاً معقولًا، بل حقيقة قولهم - أي الأشعرية - قول الجهم بأن العبد لا قدرة له ولا فعل ولا كسب»[(٣)].

فالأشاعرة جبرية متوسطة كما ذكر ابن حزم والإيجي والسفاريني[(٤)].

ويدل عليه ما قاله العلامة المقبلي بأن كثيراً من الأشاعرة اتفقوا مع الجبرية في مسألة القدر، كما أنهم اعترفوا بأن كسبهم لا يعقل[(٥)].

فهذه مذاهب الناس في شأن القدر، وكما يتضح منها فإن السلف رضي الله عنهم قد وقفوا موقفاً وسطاً عدلًا يوفق بين النصوص، فلم يفرطوا في نفي قدرة العبد كما فعل الجبرية، ولم يفرطوا في إثباتها كما فعلت القدرية، بل أثبتوا وجود إرادة العبد، لكنها مخلوقة لله، ولا خروج عن إرادة الله. ولا شك أن قولهم هو المتفق مع ظواهر النصوص الشرعية.

---

(١) شفاء العليل (ص ١٢٢). (٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٦٧).
(٣) النبوات (ص ٩٧).
(٤) انظر: الفصل (٣/ ٢٢، ١/ ٧٩)، المواقف (ص ٤٢٨)، لوامع الأنوار (١/ ٩٠).
(٥) العلم الشامخ (ص ٦٧٦، ٦٧٧).

الأسئلة والأجوبة على: القضاء والقدر

س١: ما معنى قول الطحاوي: «وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار، جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد، ولا ينقص منه»؟

ج١: لقد علم الله تعالى في الأزل عدد من يدخل الجنة من بني آدم، وعدد من يدخل النار منهم، علم كل ذلك على سبيل الإجمال والتفصيل علماً تامًّاً، فلا يزداد في عددهم ولا ينقص، وكل إنسان قد كتب له في بطن أمه: شقي أو سعيد، وكذلك كتب في اللوح المحفوظ، ولا يتبدل علم الله تعالى بذلك أبداً.

س٢: وضِّح حكم منكر صفة العلم مع بيان تعلق علم الله سبحانه بكل شيء؟

ج٢: من الصفات الذاتية لله تعالى: صفة العلم، فعلم الله جل وعلا علم أزلي أبدي، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

وكلمة: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾، فيها شمول للأشياء وجميع الخلق، فالله سبحانه وتعالى علم أحوال الأشياء على التفصيل وعلى الإجمال، لما أراد خلقها وإيجادها ﷻ.

وعلم الله الشامل للأشياء لم تسبقه جهالة في الأزل؛ لأنه لا يكون شيء إلا إذا توجهت الإرادة إليه بأن يكون أو لا يكون، فإذا توجهت الإرادة إليه فإن علم الله تعالى سابق لكل شيء.

وأما حكم منكر صفة العلم، فهو كافر، قال الشافعي: «ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروه كفروا».

س٣: من هم المنكرون لعلم الله السابق؟

ج٣: المنكرون لعلم الله السابق هم القدرية، وهم أصناف:

١- الغلاة الأوائل الذين ينفون مرتبة العلم.

٢- ومن أصناف القدرية من ينفي مرتبة عموم الخلق كالمعتزلة.

والحاصل أن المنكرين للعلم السابق لله جل وعلا خرجوا في أواخر عهد الصحابة، وفي زمن عبد الله بن عمر، فقال فيهم: «أعلمهم أني منهم بريء»[(١)]، وذكر حديث جبريل

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٨.

المشهور[١].

س٤: من أصول مذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بالقضاء والقدر، وضِّح ذلك على وجه التفصيل؟

ج٤: الإيمان بالقدر من أصول أهل السنة والجماعة، ومن أصول الإيمان الستة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقال ﷻ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

فكل شيء كائن في هذا الكون إنما قدره الله وقضاه، خيره وشره حلوه ومره، كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، فالخير والشر مقدران، وكل ذلك قدره الله ربنا، ومقادير الأمور بيده، ومصدرها عن قضائه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يمكن أن يحدث شيء في هذا الكون إلا إذا أراده الله تعالى، وكون الشيء أو وجوده في حد ذاته دليل على أن الله قدره وقضاه.

ثم إن الإيمان بالقدر على أربع مراتب:

الأولى: الإيمان بأن الله علم كل شيء، وذلك قبل أن يخلق السماوات والأرض.

الثانية: الكتابة، وهي الإيمان بأن الله تعالى كتب كل ما هو كائن من خير أو شر، حقير أو كبير، كتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما ثبت في الحديث: «**أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب، قال: يا رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»[٢].

الثالثة: الإيمان بالإرادة المقتضية لكون الشيء، فالله تعالى أراد أن توجد الأشياء فوجدت كما أراد، لا خروج لأحد عن إرادته ومشيئته، فالخير بقضائه والشر بقضائه، ولا يكون شيء إلا بإذنه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال ﷻ: ﴿مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٦]، والآيات في هذا المقام كثيرة لا تحصى.

الرابعة: الإيمان بأن الله خلق كل شيء، وأوجده طبق ما سبق علم وكتب، وأراد،

---

(١) انظر: المسار (ص٨٢).

(٢) أخرجه أبو داود، ك: السنة، ب: في القدر، برقم: (٤٧٠٠)، والترمذي، ك: القدر، ب: ١٧، برقم: (٢١٥٥)، وقد صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٢٠١٧).

وهي رتبة التنفيذ، فإذا حصل خير فالله تعالى هو الذي خلقه وأوجده طبق ما سبق علم وكتب وأراد، وإذا وُجد شر فالله تعالى هو الذي خلقه وأوجده لحكمة بالغة، لكن لا يكون شيء بغير إذنه وخلقه، وقد نفت الطوائف من المنحرفين أن يكون الله تعالى قد أراد الشر أو خلقه، وقالوا: الإنسان هو الموجد للشر، فجعلوا الإنسان خالقاً مع الله تعالى في نهاية الأمر، ومنهم المعتزلة وغيرهم.

فهذه أربع مراتب للإيمان بالقدر، من كفر بواحدة منها كان كافراً بالقدر، ومن كفر بالقدر كان كافراً بالله العظيم، وهذا من كمال الاعتقاد الحسن في الله العظيم أن يعتقد الإنسان بأنه ليس هناك شيء خارج عن إرادة الله تعالى ومشيئته، من اهتدى فالله هداه بفضله، ومن ضل فالله أضله بعدله، وكل شيء جار على ما أراد الله تعالى وقدر: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وفي الإيمان بالقدر الرضى بكل ما قدر وفعل من خير وشر بدون الاعتراض على الله تعالى.

س٥: ما معنى قول الطحاوي: «وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه، وكل ميسر لما خلق، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله»؟

ج٥: وكذلك أفعال العباد فيما علم الله منهم أن يفعلوه، فقد علم ﷻ أفعال خلقه قبل أن يفعلوها، علمها في الأزل، وكتب ذلك، وقضاه، وكل إنسان ميسر لما خلق له، أما أهل الجنة فييسرون لعمل أهل الجنة، وأما أهل النار فييسرون لعمل أهل النار، والأعمال بالخواتيم، فقد يختم للرجل بعمل صالح بعد إساءة فيدخل الجنة، وقد يختم للرجل بعمل خبيث بعد أعمال صالحة فيدخل النار، والعبرة بالخواتيم، ولا سعيد إلا من قضى الله له السعادة وقدرها له وكتبها، وجعله من أهلها، ولا شقي إلا من قضى الله له الشقاوة، وقدرها له وكتبها، وجعله من أهلها ﷻ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

س٦: قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدته: «وأصل القدر سرُّ الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك مَلَكٌ مقرب، ولا نبيٌّ مرسَل، والتعمُّقُ والنظر في ذلك ذريعةُ الخذلان، وسُلَّمُ الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذرَ كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسةً، فإن الله تعالى طوى علمَ القدَر عن أنامه، ونهاهم عن حرامه...».

عرف القدر لغة وشرعاً؟ مع بيان منزلته بين أركان الإيمان؟ ثم بيِّن حكم منكر القدر؟

ج٦: القدر في اللغة: مصدر قدرت الشيء، أقدره إذا أحطت بمقداره.

والقدر شرعاً: هو ما قدره الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه بناء على علمه السابق بذلك.

منزلة الإيمان بالقدر: هو أصل من أصول الدين، وهو الأصل السادس من أصول الإيمان.

وأصل القدر: سر الله في خلقه، والدليل عليه حديث جبريل عليه السلام: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره**»[(١)].

حكم من أنكر القدر: إن من أنكر القدر فقد جحد أصلًا من أصول الشريعة، فيدخل في قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، ومن أنكر العلم فقد كفر، وقال ابن القيم: «من لم يؤمن بالقدر فقد انسلخ من التوحيد».

س٧: اذكر متى ظهر الكلام في القدر؟ ومن الذي أظهره؟ ومن أدرك ذلك من الصحابة مع بيان موقفه من هذه المقالة؟

ج٧: حدث القول بالقدر بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين بعد إمارة معاوية بن أبي سفيان في الفتنة التي كانت بين عبد الله بن الزبير، وبين بني أمية.

وأول من أظهر هذه المقالة معبد الجهني في البصرة، وأدركها من الصحابة عبد الله بن عمر، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وواثلة بن الأسقع، وغيرهم من الصحابة.

وموقفم في القدرية أنهم أنكروا على القدرية، وردوا مقالتهم حتى قال عبد الله بن عمر لمن سأله عن القدرية: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء، وأنهم مني براء.

وقد حكم أئمة الإسلام كمالك والشافعي وأحمد على أن من أنكر علم الله المتقدم بالحوادث قبل وجودها فهو كافر، حتى قال الشافعي رضي الله عنه: «ناظروا القدرية بالعلم فإن جحدوه كفروا، وإن أقروا به خصموا».

س٨: ما الفرق بين القضاء والقدر؟

ج٨: قبل بيان الفرق بينهما أوضح معنى القضاء.

القضاء في اللغة: الحكم والفصل.

وشرعاً: هو ما قضى به تبارك وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: سؤال جبريل، برقم: (٥٠)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان...، برقم: (٩، ١٠)، من حديث أبي هريرة، وتفرد مسلم بروايته من حديث عمر بن الخطاب.

وقد ذكر العلماء في التفريق بين القضاء والقدر أمورا عدة:

١- أن القدر هو تقدير الشيء قبل قضائه، والقضاء هو الفراغ من الشيء.

ومن الشواهد التي ذكرها أبو حاتم للتفريق بين القضاء والقدر: أن القدر بمنزلة تقدير الخياط للثوب، فهو قبل أن يفصله يقدره، فيزيد وينقص، فإذا فصله فقد قضاه، وفرغ منه، وفاته التقدير، وعلى هذا يكون القدر سابقاً للقضاء.

قال ابن الأثير: «فالقضاء والقدر أمران متلازمان، ولا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس، وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء، وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما، فقد رام هدم البناء ونقضه».

والقضاء، والقدر إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى، فأصبح لكل منهما معنى يخصه، وإذا افترقا في الذكر دخل أحدهما في معنى الآخر، ذكر ذلك بعض أهل العلم[1].

س٩: اذكر كم عدد مراتب القدر مع بيانها؟

ج٩: مراتب القدر أربع هي:

١- العلم: علمه سبحانه وتعالى بكل شيء. ٢- الكتابة: كتابته مقادير كل شيء.

٣- الإرادة والمشيئة. ٤- الخلق: خلقه وإيجاده.

س١٠: قال الطحاوي: «وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار، جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد، ولا ينقص منه، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه».

اذكر الدليل على أن الله علم من يدخل الجنة ومن يدخل النار علما أزليا، وعلم أفعالهم كذلك؟

ج١٠: إن الله ﷻ موصوف بأنه بكل شيء عليم أزلًا وأبداً، ولم يتقدم عليه بالأشياء جهالة، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ويدل على ذلك ما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نفس منفوسة إلا

(١) انظر: أصول الإيمان (ص ٢٤٤)، طبع: مجمع الملك فهد.

قد كتب الله مكانتها في الجنة أو النار، وإلا قد كتب شقية أو سعيدة»[(١)].

س١١: من الذي أنكر المرتبة الأولى من مراتب القدر؟ وفي عهد مَنْ من الصحابة؟

ج١١: نعم، أنكر هذه المرتبة القدرية المتقدمون، الذين وُجدوا في عصر ابن عباس، وهم يقولون: إن هذا الأمر ننفيه، وإن الله لا يعلم بالأشياء إلا بعد وجودها، وقد أجمع العلماء على تكفير هذا النوع من القدرية، وقد انقرضوا ولله الحمد.

س١٢: قال الطحاوي: «وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله».

بِمَ ترد على من يقول: إن الله قدر السعادة والشقاوة على الإنسان، ولذا فلا حاجة إلى العمل؟

ج١٢: نقول له: لا ينبغي أن نحتج بالقدر؛ لأنه ليس لديك علم متيقن أنك من أصحاب الجنة أو النار، ولو كان عندك علم لما أمرناك، ولا نهيناك، ولكن اعمل وعسى الله أن يوفقك أن تكون من أصحاب الجنة، فإن أصحاب الرسول ﷺ قالوا له: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فعاب عليهم وقال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**».

س١٣: ما معنى قول الطحاوي: «القدر سر الله في خلقه»؟

ج١٣: معنى ذلك أن الله قد أخفى علمه عن خلقه فلا يطلع عليه أحد، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، بل هو سبحانه أوجد وأفنى، وأفقر وأغنى، وأمات وأحيا، وأضل وهدى، قال علي رضي الله عنه: «القدر سر الله فلا تكشفه».

س١٤: وضح مذاهب الناس في القدر مع ذكر دليل لكل قول وترجيح ما تراه صواباً؟

ج١٤: للناس في القدر ثلاثة أقوال:

القول الأول: قول القدرية والمعتزلة، حيث قالوا: إن الله لم يخلق أفعال العباد بل هم خلقوا أفعالهم أنفسهم، وأنه لا يعلم بها إلا بعد وقوعها، فالله شاء الإيمان من الكافر، ولكن الكافر شاء الكفر.

وحجتهم في ذلك أن الله لم يقدر المعاصي ولم يرضها قضاءً أو قدراً؛ لأنا لو قلنا أنه

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الجنائز، ب: موعظة المحدث عند القبر، برقم: (١٣٦٢)، ومسلم، ك: القدر، ب: كيفية الخلق الآدمي...، برقم: (٢٦٤٧).

شاءها وعذب عليها كان في ذلك نسبة الظلم إلى الله، والله منزه عن ذلك.

ويرد عليهم بما يأتي:

أ - إن هذا القول مخالف للأدلة المثبتة لمشيئة الله سبحانه، ومنها:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: ١٣].

وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الإنسان: ٣٠].

وقوله: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ب - أنكم فررتم من شيء ووقعتم في أقبح منه، فإنه يلزم من قولكم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله، وهذا من أقبح الاعتقاد.

ج - أن الله قدر الخير والشر، وحذر من الشر، وحث على الخير، وجعل للبشر عقولا يميزون بها الخير من الشر، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس: ٧، ٨]، وأرسل الرسل وقامت عليهم الحجة، فلا يكون بعد ذلك ظالماً لهم.

القول الثاني: قول الجبرية، وهم الذين غلوا في إثبات القدر، والإرادة لله، وقالوا: كل ما يفعله الإنسان مجبور عليه، وليس في نفسه صرفه، بل كالريشة في الهواء، وإنما تنسب إليه الأفعال مجازاً، كقولهم سار النهر.

وقالوا: إن كل ما يفعل العبد فهو طاعة محضة، سواء كان كفراً أو إيماناً، طاعة أو معصية.

وحجتهم كتابة الله كل ما هو كائن في اللوح المحفوظ، فعلى ذلك فهو مجبور عليه، ولا يمكن أن يخرج عنه، وهذا مذهب ظاهر الفساد لأمور:

أ - أن هناك فرقاً بين حركة البطش، وحركة الارتعاش، فإن الارتعاش بدون اختيار، وحركة البطش باختيار.

ب - أن العبد لو لم يكن له فعل لما صح أن تنسب الأفعال إليه، ولما صح إن نسبت إليه مجازاً أنه يجازى بالثواب عند الطاعة والعقاب عند المعصية.

وقد وردت نصوص كثيرة تدل على نسبة أفعال العبد إليه، قال تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٤]، وقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩].

ج - أنه يلزم على قولكم تعطيل الشرائع والكتب والرسل؛ لأن العبد لا صرفة له حتى يهتدي بما جاء به.

القول الثالث: وهو قول أهل السنة والجماعة.

فإنهم يقولون: إن الله له إرادة، ومشيئة، والعبد له إرادة ومشيئة.

وإرادة العبد متوقفة على إرادة الله ومشيئته، فالله ﷻ أراد الخير والشر بمشيئته الكونية، ولم يرض من العبد الكفر والمعاصي شرعاً وديناً، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

وقال النبي ﷺ: «**إن الله كره القيل، والقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»(١).

وهذا القول هو المختار لتوسطه بين القولين.

س١٥: لماذا قال ابن عباس حين أخبر عن مذهب القدرية: «هذا أول شرك في الإسلام»؟ ولماذا يعد التكذيب بالقدر شركاً؟

ج١٥: معنى ذلك أن الذي قاله القدرية شرك، حيث إنهم أشركوا مع الله غيره، وهو المخلوق؛ لأنهم زعموا أن المخلوق هو الذي يخلق أفعال نفسه، فإن من وحد الله، وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده، ووجه كون التكذيب بالقدر شركاً ما يلزم عنه من كون العبد شريكاً لله في خلقه.

س١٦: هل ترى فرقاً بين قول ابن عباس في مقالة القدرية: «هذا أول شرك في الإسلام»(٢)، وبين قوله: «القدر نظام التوحيد»(٣)؟

ج١٦: لا فرق بينهما، وذلك أن مراده أن إيمان المرء لا ينتظم ويوجد إلا بتوحيد الله

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الزكاة، ب: قول الله ﷻ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، برقم: (١٤٧٧)، ومسلم، ك: الأقضية، ب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، برقم: (١٧١٥).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٣٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، برقم: (١١١٦)، وإسناده ضعيف، راجع: حاشية الشيخ الألباني على شرح الطحاوية (ح: ٢٤٤).

(٣) أما الموقوف، فقد أخرجه ابن بطة في الإبانة (كتاب القدر)، برقم: (١٦١٨، ١٦١٩، ١٦٢٤)، واللالكائي برقم: (١١١٢، و١٢٢٤)، وغيرهما، وإسناده ضعيف.
وأما المرفوع، فقد أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم: (٣٥٩٧)، وفيه هانئ بن المتوكل وهو ضعيف كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٧).
وراجع: حاشية الشيخ الألباني على شرح الطحاوية (ح: ٢٤٥).

بكل شيء، ومن جملة توحيد الله: إيمانه بأن الله خالق الخلق، وخالق أفعالهم، ومن زعم أن الله لم يخلق أفعال العباد فقد اختل نظام التوحيد عنده، وأشرك مع الله غيره.

س١٧: ما المراد بالقدر؟ وما حكم الإيمان به؟

ج١٧: القدر: هو تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته، ويجب الإيمان بالقدر، وهو ركن من أركان الإيمان.

س١٨: ما هي مراتب القدر؟

ج١٨: مراتب القدر أربعة، وهي:

١- العلم، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

٢- الكتابة، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

٣- المشيئة، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

٤- الخلق، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

س١٩: هل للعبد مشيئة واختيار؟ اذكر الدليل على ذلك؟

ج١٩: نعم، للعبد مشيئة واختيار كما دل عليه الشرع والواقع، أما دليل الشرع فقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨].

وأما الواقع فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بهما يفعل، وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي والأكل وما يقع بغير إرادته كالارتعاش من الحمى وكنبضات القلب، إلا أنَّ مشيئة العبد وقدرته واقعتين بمشيئة الله تعالى وقدرته، والعبد لا يشاء إلا ما يشاء الله تعالى.

س٢٠: كيف ترد على المحتجين بالقدر على المعاصي؟

ج٢٠: يرد عليهم بما يلي:

١- أن هذا المحتج لو اعتدى عليه أحد بضربه أو أخذ ماله، ثم احتج بالقدر لما قبل حجته، ولما عذره بذلك، فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في تقصيره في حق الله تعالى.

٢- لو صح الاحتجاج بالقدر لما قامت الحجة بإرسال الرسل، وللزم على ذلك تعطيل الشرائع، وأن يكون إبليس وفرعون وجميع الكفار معذورين؛ لأن مخالفتهم

ومعصيتهم إنما وقعت بقدر الله.

٣- أن هذا المحتج بالقدر على المعاصي لا نراه يحتج بالقدر ويتكل عليه في حصول أموره الخاصة، بل نراه يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه، حتى يدركه ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه، ثم يحتج بالقدر حينما يحرص على ما ينفعه في أمور دنياه، أليس شأن الأمرين واحداً؟

٤- أن الله تعالى أمر بالعمل، ونهى عن الاتكال على القدر، ولم يكلف العبد ما لا يستطيع، بل خلقه وهو متمكن من الإيمان قادر عليه كما في الحديث: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»[1].

س٢١: هل الأخذ بالأسباب ينافي الإيمان بالقدر والتوكل على الله؟

ج٢١: الأخذ بالأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر والتوكل على الله، بل هو من الإيمان بالقدر، فمن ترك الأخذ بالأسباب معتمداً على القدر ففي إيمانه خلل بحسب ما فرط فيه من الأسباب.

س٢٢: ما حكم الخوض في القدر مع الاستدلال على ما تقول؟

ج٢٢: قد نهى الإسلام عن التعمق في بحث مسائل القدر، والسؤال عن أسراره الغائبة عن مدارك البشر؛ لأن الخوض في ذلك لا يوصل إلى نتيجة، بل يوقع في الحيرة والشك والضلال، ويفتح باب العناد والإلحاد.

وقد ثبت في الحديث أن النبي ﷺ خرج ذات يوم، والناس يتكلمون في القدر، فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: «**ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم**»[2].

س٢٣: ما ثمرات الإيمان بالقدر؟

ج٢٣: للإيمان بالقدر ثمرات عظيمة منها:

١- الحث على العمل والجد والسعي والإقدام بعزم ويقين؛ لإيمانه بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

٢- الاعتماد على الله والاستعانة به عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٨).

٣- القضاء على الحقد والحسد والكبر والعجب وذلك لعلمه أن كل شيء من الله فهو المعطي المانع المعز المذل.

٤- تنمية خلق العفو والتسامح والصبر، والراحة النفسية تجاه ما يحصل عليه من أقدار الله تعالى،فلا يقلق لفوات محبوب أوحصول مكروه؛ لأن ذلك بقدر الله.

س٢٤: ما السبب في ضلال كل من الجبرية والقدرية؟ وكيف تجيب عليهم؟

ج٢٤: منشأ الضلال في القدر يرجع إلى عدة أسباب هي:

١- قياس أفعال الله ﷻ بأفعال الخلق، فيجعلون ما كان محموداً في الخلق محموداً في فعل الله تعالى.

٢- عدم التفريق بين الإرادة الشرعية، والإرادة الكونية، فيجعلون الإرادة والمشيئة شيئاً واحداً، فما نفي مما يرده الله تعالى شرعاً جعلوه منفياً قدراً.

٣- دخول العقل في التحسين والتقبيح، فما حسنه العقل في أفعال الله صار حسناً، وما قبحه العقل في أفعال الله تعالى وجب نفيه.

٤- الخوض في أفعال الله تعالى، وعدم التسليم لمراده، فإذا خاض العبد في القدر بعلمه القاصر، فلا شك أنه سيعجز عن إدراك حكم الله تعالى وعلمه(١).

كما يمكن القول بأن منشأ ضلال الجبرية والقدرية إجمالًا: التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضا والإرادة، فقد سوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا:

فقالت القدرية: إن الله لم يرد المعاصي، ولم يرضها، وليست مقدرة ولا مقتضية، وهي خارجة عن مشيئة الله وخلقه.

وقال الجبرية: الكون كله بإرادة الله وقدره، أحبه ورضيه.

وكلا المذهبين خطأ؛ لأن هناك فرقاً بين المشيئة والمحبة، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة فقال في المشيئة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وقال: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال في المحبة والرضا: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقال: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [الزمر: ٧].

---

(١) انظر: المسار (ص٨٦-٨٧).

وقال الرسول ﷺ: «إن الله كره القيل والقال...» الحديث[(١)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معاصيه**»[(٢)].

س٢٥: من هم القدرية الغلاة والمتوسطة؟

ج٢٥: القدرية الغلاة: هم الذين ينكرون علم الله السابق، وهؤلاء الذين كفرهم السلف؛ لأنهم أنكروا مرتبة العلم، وقد اندثرت هذه الفرقة، ولا أحد يقول بما قالت به.

أما القدرية المتوسطة، فهم المعتزلة والرافضة والزيدية، ومن نحا نخوهم، فهؤلاء لا ينكرون جميع المراتب لكن ينكرون بعض الأشياء في بعض المراتب، فيقولون: إن المشيئة ثابتة لكن ليست عامة، ويقولون: إن الخلق ثابت ولكن ليس عاماً.

س٢٥: من هم الجبرية الغلاة والمتوسطة؟

ج٢٥: الجبرية الغلاة: الذين يقولون: إن الإنسان مجبور على كل شيء، وحركاته كحركة الريشة في مهب الريح، وهؤلاء هم الجهمية، وطوائف من غلاة الصوفية.

أما الجبرية المتوسطة، وهم الأشاعرة ومن نحا نحوهم ممن غلوا في إثبات مشيئة الله تعالى وخلقه، وقالوا: إن الإنسان ليس مجبوراً على كل حال، ولكنه مجبور باطناً لا ظاهراً، يعني في الباطن مجبور لا يتحرك بإرادته، ولكن في الظاهر تصرفاته بإرادته، فيحاسب على تصرفاته الظاهرة، وأما الذي دفعه فهو أمر باطني مجبر عليه من الله تعالى[(٣)].

س٢٦: ما السبب الذي دعا القدرية إلى القول بأن العبد يخلق أفعال نفسه؟

ج٢٦: حامل القدرية على ذلك هو تنزيه الله عن الظلم في زعمهم، فإنهم قالوا: لو كان الله خالقاً لفعل العبد لما صح أن يعذب الكافر والعاصي؛ لأن الله قد قدره عليهما، فيكون تعذيبه على شيء قدره لهما، وهو ظلم، والله منزه عن الظلم، فيبطل تقديره عليهما.

س٢٧: ما معنى قول الله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]؟

ج٢٧: يخبر الله تعالى أن لكل نفس ما كسبت من الخير، وعليها ما اكتسبت من

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٠٨)، وابن حبان برقم: (٢٧٤٢)، وغيرهما، وإسناده صحيح. انظر: إرواء الغليل (٣/ ٩) برقم: ٥٦٤.

(٣) انظر: المسار (ص ٨٧).

الشر، وكسب المرء هو عمله، فالكسب هو العلم، والفعل، هذا هو مذهب أهل السنة.

وأما القدرية فقالوا: إن معنى الكسب هو إيجاد للفعل، وذلك بناءً على مذهبهم في خلق أفعال العباد.

والجبرية فسروا الكسب بعبارات متنوعة، قال الأشعري: الكسب عبارة عن تعلق القدرة بالحال.

س٢٨: ما معنى خلق الله تعالى لعمل العبد؟

ج٢٨: عمل الإنسان من خير أو شر يضاف إليه حقيقة، فهو الذي عمل الشر حقيقة، وهو الذي عمل الخير حقيقة، ومع ذلك لا يقال: إنه خلق فعله، بل عمله يضاف إليه؛ لأنه كسبه وعمله، وأما الخلق، فالله خالق العبد وخالق فعله.

وبيان ذلك: أن أي عمل أو فعل لا يمكن أن يحدث إلا بوجود صفتين:

١- القدرة التامة.

٢- والإرادة الجازمة.

فإذا كان عند العبد قدرة تامة وإرادة تامة حصل له الفعل، وقدرته وإرادته باتفاق الناس هما من خلق الله تعالى[١].

س٢٩: كيف يمكن الجمع بين الإقرار بأن الله تعالى قدر على العباد كل شيء وبين تكليفه لهم؟

ج٢٩: الجمع بين ذلك أن يقال:

١- إن الله قدر على عباده ما قدر من خير أو شر من باب ربط الأسباب بالمسببات، فإذا قدر على عبد أن يموت على الإسلام فلا بد من أن يهيء له أسباباً تجعله يبقى على ذلك حتى يموت، وإذا أراد من عبده أن يموت على الكفر فلا بد أن يهيء له من الأسباب ما تجعله يبقى على ذلك حتى يموت.

٢- ثم إن تكليفه وإنزال الكتب والشرائع لنزول الحجة؛ لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل.

---

(١) انظر: المسار (ص ٨٨).

س٣٠: ما الفرق بين الاستعاذة برضا الله من سخطه وبمعافاته عن عقوبته، وبين قول النبي ﷺ: «**وبك منك**»[١]، باعتبار شمول ذلك اللفظ لما قبله؟

ج٣٠: الفرق واضح وبيِّن:

فالأولى: هي الصفة التي يتصف بها ربنا.

والثانية: آثار الرضا المعافاة، وآثار السخط العقوبة، فالرسول استعاذ بفعل المعافاة من فعل العقوبة.

ووجه شمول قول الرسول ﷺ: «**وبك منك**» لهما هو أن الرسول ﷺ قال: إن ما أستعيذ به فهو حاصل بإرادتك، ومشيئتك، وما أستعيذ منه فهو حاصلٌ أيضاً بقدرتك، ومشيئتك، فأنا عبدك على كل حال، فإن شئت عافيتني، وإن شئت عاقبتني، فعياذي بك أن يحل بي شيء أكرهه منك.

س٣١: كيف تجمع بين الإرادة الكونية القدرية، وبين الكراهية والبغض للشيء؟

ج٣١: الجمع بينهما أن يقال: إن الشيء الذي قدره الله له جهتان:

الأولى: أن يكون مراداً لغيره كالمعاصي والفسوق، وجميع قوى الشر التي قدرها الله وأرادها، فالله لم يردها لذاتها، وإنما أرادها لأنها توصله إلى غايات وحكم لا يعلمها إلا الله، فهذا سرُّ إيجاد قوى الشر، وتقديرها أولا.

الثانية: أنه يريد لنفسه، فهذا يكون مطلوباً محبوباً لذاته مراداً فيه الخير، فهو مراد إرادة الغاية.

س٣٢: ما هي الحكم التي بيَّن بها الشارع حكمته في خلق إبليس وغيره من قوى الشر؟ ثم بيِّن كيف ترد على من قال: هل يكون وجود تلك الحكم بدون هذه الأسباب؟

ج٣٢: من تلك الحكم:

١- ظهور قدرته على خلقه المتضادات والمتقابلات، فخلق ذات جبريل ذات الخير، والبركة، وخلق ذات إبليس ذات الشر، وخلق الليل والنهار، والموت والحياة، والخير والشر، وذلك من أكبر الأدلة على كمال قدرته وملكه وسلطانه، فخلوالكون من بعض هذه

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الصلاة، ب: ما يقال في الركوع والسجود، برقم: (٤٨٥)، ولفظه: «**اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**».

المتضادات تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبيره.

ثانيا: ظهور بعض آثار أسمائه وصفاته القهرية مثل المنتقم والجبار والقهار، فإن هذه الأسماء والصفات كمال، ولا بد من وجود متعلقها، ولو كان الإنس والجن على طبيعة الملائكة لم تظهر آثار هذه الأسماء.

ثالثا: ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحفظه، وعهده، ومغفرته، وعتقه لمن شاء من عباده، ولولا خلق ما يكره من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد، وقد أشار النبي ﷺ بقوله: «**ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم**»[1].

رابعاً: ظهور آثار أسمائه الدالة على حكمته وخبرته مثل: حكيم وخبير، فهو حكيم لا يضع الأشياء في غير موضعها، وخبير لا ينزلها إلا في منازلها اللائقة بها، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته، وأعلم بمن يصلح لقبولها ممن لا يصلح لذلك، فلو قدر تعطيل هذه الأسباب المكروهة لما فيها من الشر لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب، وهذا مثل المطر والسماء والرياح، ونحوها، التي فيها من المصالح للبشر أضعاف ما فيها من الفساد.

خامساً: تقرب عباده إليه بأنواع الطاعات والقرب، فلو كان إبليس لم يُخلق لكان الناس كلهم مطيعين، ولما كان هناك عبادة اسمها الجهاد، وما يترتب عليها من الموالاة في الله والمعاداة فيه، ولما كان هناك عبادة اسمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك.

س٣٣: هل يجب على الإنسان أن يرضى بقوى الشر أم لا؟

ج٣٣: في هذا تفصيل:

١- فمن حيث إنها واقعة بتقدير الله ومشيئته ورضاه فيجب التسليم والرضا بما كتب الله وقدره.

٢- أما من جهة أنها صادرة من العبد وهي من فعله واختياره فعليه أن يكره ويسخط لفعله ويحاول التخلص منها، حيث إن الخير إليه والمكروه إلى عباده.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: التوبة، ب: سقوط الذنوب بالاستغفار، برقم: (٢٧٤٩).

س٣٤: كيف نوفق بين تقدير الله لقوى الشر، وبين قوله ﷺ: «**والشر ليس إليك**»[(١)]؟ ثم بيِّن أسباب الخير الثلاثة؟ ولماذا لم يسو الله بين عباده فيها؟

ج٣٤: التوفيق هو أن يقال: بأنه ليس إليك إمداده وإعداده.

أما من ناحية الإيجاد فهو إليك؛ لأن الله حينما خلق عباده فمنهم من أمده وأعده، ومنهم من لم يعد ولم يمده.

وأسباب الخير ثلاثة:

١- إيجاد. ٢- إعداد. ٣- إمداد.

والإيجاد خير، وإنما التفاوت بالإعداد، فقد يرى أن الخير يقتضي أن هذا الشخص يحصل له إمداد وإعداد، فإذا لم يحصل ذلك جاءه الشر.

فإن قيل: ولماذا لم يمده إذ أوجده؟

قلنا: ما اقتضت الحكمة إمداده، إنما اقتضت الإيجاد وترك الإمداد، فإيجاده خير، والشر في إمداده.

أما القول في أن الله لِمَ لم يسوِّ بينهما في أسباب الخير، فنقول: إن الله خلق النفوس الشريرية، فالشر لم يأتها من حيث إنها ذات، فهي متحركة قابلة للخير والشر، ولم يسو بين عباده؛ لأن هذا يرجع لحكمة عامة، وهي أن الله علم من هذا الخير والصلاح، فأعده، وأمده، والآخر علم فيه الشر فلم يمده، ولم يعده، فإن الله سبحانه هدى من هدى لحكمته، وأضل من أضل لحكمته، فإن استعصى عليك هذا فدعه، وراجع قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

س٣٥: هل يمكن أن يرضى الله لعبده شيئاً ثم لا يعينه عليه؟ وضح ذلك؟

ج٣٥: قد يرضى الله لعبده الخير ولا يعينه عليه؛ لأنه قد يكون واقع الطاعة من ذلك العبد يتضمن مفسدةً هي أكره إليه ﷻ من محبته لتلك الطاعة، مثال ذلك: أن الله كره من المنافق الغزو مع الرسول ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]، والغزو محبوب إليه سبحانه، وإنما كرهه لما يترتب عليه من المفاسد التي هي أعظم كراهة عند الله من محبته لهذه الطاعة، وقد أشارت الآية هذه إلى

(١) أخرجه مسلم، ك: صلاة المسافرين، ب: الدعاء في صلاة الليل، وقيامه، برقم: (٧٧١).

المفاسد بقوله: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٧]، فاقتضت حكمة الله ورحمته أن أقعدهم عن الجهاد.

س٣٦: يزعم بعضهم أن مشاهدة العبد تقدير الله للمعاصي تحول دون التوبة والمشاهدة، فكيف تجيب عليهم؟

ج٣٦: هذه الشبهة هي التي أوقعت كثيراً ممن عميت بصائرهم في الخطأ، فظنوا أن طاعة العبد إنما هي في مطابقة العبد قدر الله له في الأزل.

وقالوا: إذا عصينا أمر الله فقد أطعنا إرادته، قال بعضهم:

أصبحت منفعلا لما يختار مني ففعلي كله طاعات

ولكن الأمر ليس كذلك، وإنما الطاعة في الحقيقة هي موافقة العبد لأمر الله الشرعي الديني، فإنه يلزم من قولهم أن لا فائدة من الرسل والشرائع والكتب، ويلزم من ذلك أن يكون إبليس من أعظم المطيعين، وكذلك قوم نوح وغيرهم؛ لأن هؤلاء لم يكفروا إلا بقضاء الله وقدره.

س٣٧: كيف يتم الجمع بين رضا العبد بما قدر الله عليه؟ وبين بغضه للمعاصي ووجوب بعده عنها؟

ج٣٧: الجواب أن يقال: العبد ليس مطالباً أن يرضى بكل ما قدره الله عليه، فالمقضي منه ما يرضي، ومنه ما يسخط، وبيان ذلك أن القدر له وجهان:

١- قضاء الله وهو الفعل المتعلق بذاته، وهذا يجب على العبد الرضا عن خيره وشره فإنه كله عدل وخير.

٢- أما ما قضى الله وهو المنفصل عن ذاته ففيه تفصيل:

أ- ما يرضى به، وهو أن العبد إذا أصابته مصيبة، صبر ورضي بقضاء الله وقدره؛ لأنه يعلم أن الله هو الذي قدرها عليه، وأنه ما أصابه إلا ما كتبه عليه.

ب - ومنه ما هو من جهة العبد من حيث تعلقه به،ووقوعه منه،فله حالتان: ما يرضى به كالبر والطاعة،وما لا يرضى به كالسرقة والزنا ونحوه، بل عليه أن يسخطه، وينفر عنه، ويحاول التخلص من هذه المعصية، ومثال ذلك: قتل النفس، فإن له وجهين:

١- من حيث إن الله قدره عليه وجعله نهاية أجله يرضى به.

٢- من حيث فعل القاتل وتعديه على غيره باختياره وعصيانه ربه، فذلك يسخطه ولا يرضى به.

س٣٨: ما معنى قول الطحاوي: «وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق في ذلك ذريعة الخذلان»؟

ج٣٨: أصل القدر سر الله تعالى لم يطلع عليه أحد من الخلق، ولا يصح التعمق فيه، ومحاولة الوصول إلى حقيقته، قال النبي ﷺ: «**وإذا ذكر القدر فأمسكوا**»(١).

فمن رام الوصول إلى حقيقته، فقد سلك طريق الخذلان والحرمان من التوفيق، وصعد سلم الحرمان من الهداية، وبلغ درجة الطغيان ومجاوزة الحد، إذ لا يعلم حقيقة القدر إلا الله ﷻ، ومهما فكر الناس فلن يصلوا إلى حقيقته، غير أننا نؤمن بأن الله تعالى علم كل شيء، وكتبه، وأراده، وخلقه وأوجده، فهذه هي مراتب القدر، لا بد من استيفائها، وإلا لم يكن الإنسان مؤمناً بالقدر، والواجب على المسلم الحذر من إعمال الفكر تعمقاً في أمر القدر، أو استسلاماً للوساوس، وليعلم أن الله تعالى قد حجب علم القدر عن الخلق، ونهاهم عن محاولة الوصول إلى حقيقته، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

ولا يجوز للعبد أن يسأل: لماذا فعل الله كذا؟ فإن هذا رد على حكم القرآن وهو كفر مبين، أما أن يحاول الإنسان معرفة الحِكَم الإلهية من وراء تشريع كذا وكذا فلا بأس بذلك إن شاء الله تعالى.

س٣٩: وضِّح ما معنى التعمق بالقدر؟ ولماذا كان ذريعة للخذلان؟

ج٣٩: التعمق في الشيء هو المبالغة فيه، أما التعمق في القدر فهو المبالغة في طلب أسراره، وحكمه، والخوض بالبحر المتلاطم.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/٢٤٣ - ٢٤٤)، وأبو نعيم في الحلية (٤/١٠٨)، كلاهما من طريق أبي وائل عن ابن مسعود، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/١٢٦، ٧/١٢٥٠)، وابن عدي في الكامل (٧/٢٤٩٠)، من طريق أبي قلابة عن ابن مسعود.
وأخرجه ابن عدي في الكامل (٦/٢١٧٢)، والسهمي في تاريخ جرجان (ص٣٥٧ - ٣٥٨)، من طريق عطاء عن ابن عمر، وكذا الطبراني في المعجم الكبير (٢/٩٢)، من طريق الأشعث عن ثوبان، ولا تخلو طريق من ضعف.
وقال الألباني: حسن لغيره. انظر: السلسلة الصحيحة (١/٤٢ - ٤٦).

وبيان «كيف كان ذريعة للخذلان» هو: أن الإنسان متى تعمق في القدر وبالغ فيه فلا شك أنه سيكون ذريعة للخذلان؛ لأنه يجد أمامه عدة شبهات قد يكون لها جواب، وقد لا يكون لها جواب، فينقله إلى الإلحاد والفسوق.

س٤٠: هات دليلاً من الكتاب والسنة على منع الخوض في القدر؟ ثم وضِّح مرجع الإشارة في قول الرسول ﷺ: «**ذلك صريح الإيمان**»(١) لمن سأله عما يتعاظم الكلام به من الوساوس الشيطانية؟

ج٤٠: الدليل من الكتاب، قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩].

والدليل من السنة: «أن النبي ﷺ غضب غضبا شديدا عندما خرج على أصحابه يوما وهم يتنازعون في القدر حتى احمر وجهه، حتى كأنما فقئ في وجنتيه حب الرمان، فقال: «**أبهذا أمرتم، أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه**»(٢).

أما مرجع الإشارة في حديث أبي هريرة وهو أنه قال: جاء أناس من أصحاب الرسول ﷺ فقالوا: إنا نجد من أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: **وقد وجدتموه؟** قالوا: نعم، قال: «**ذلك صريح الإيمان**».

فمرجع الإشارة إلى تعاظم الصحابة وعدم استطاعتهم النطق به، فهذا يدل على قوة إيمانهم.

س٤١: ما المقصود من قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٩]، الآية؟ وما وجه الاستدلال على المنع من الخوض في القدر؟

ج٤١: يخبر الله ﷻ أنكم أيها المخاطبون من أمة محمد ﷺ قد تمتعتم بنصيبكم كالخوض الذي خاضوه في معرفة كثير من أسرار الله ﷻ، ووجه الدلالة هو أن هؤلاء هلكوا بسببين: الشهوات، والشبهات، ومن أعظم الشبهات الخوض في القدر وأسراره، فذم الله هؤلاء الذين خاضوا وأنكر عليهم ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، برقم: (١٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي، ك: القدر، ب: ما جاء من التشديد في الخوض في القدر، برقم: (٢١٣٣)، وأحمد في مسنده (٢/١٩٦)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم: (٢١٣٣).

س٤٢: لِمَ جيء بالموصول مفرداً وبصلته جمعاً في قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوٓا﴾ [التوبة: ٦٩]؟ ولم جمع الله بين الاستمتاع بالخلاق والخوض؟

ج٤٢: الجواب عن الأول أن الذي في هذه الآية بمعنى الذين، فقد يقع الموصول مفرداً، ويراد به الجمع، أو الذي صفة لمحذوف وهو الخوض، أو الفوج أو الجيل أو النصيب، والتقدير كالخوض الذي خاضوه أو نحوه.

والجواب عن الثاني: أن الله جمع بين الاستمتاع بالخلاق والخوض لأن فساد الدين إما في العمل من جهة الشهوات، وإما في الاعتقاد من جهة الشبهات.

س٤٣: ما أسباب ظهور البدع وانتشارها وتفرق الأمة؟

ج٤٣: سبب ذلك إثارة الشكوك والشبهة والمجادلة بالباطل، والخوض في القدر.

س٤٤: متى يكون اعتبار قول القائل: «لم فعل الله كذا؟» رداً لحكم الكتاب؟ ثم أوضح الفرق بينه وبين قول القائل: «بِمَ أمر الله»؟

ج٤٤: يكون قول القائل:لِمَ فعل كذا؟ رداً لحكم الكتاب إذا قال ذلك متعنِّتا غير متفقِّه، ولا متعلِّم، أما من سأل مستفهِماً: لِمَ فعل الله؟ فكأنه يسأله عن الحكمة والسر في الأوامر والنواهي، فإن صلحت له أخذ بها وإلا تركها.

أما قوله: بمَ أمر الله، فإن السائل يسأل عما أمر ربنا حتى يعمل ويجتهد ويطيع الله فيما أمره به، وهذا جائز، وقد قيل: إنه ورد في التوراة والإنجيل: «يا بني إسرائيل لا تقولوا: لَمَ أمر ربنا، ولكن قولوا: بمَ أمر ربُّنا».

س٤٥: لتعظيم أمر الله مراتب، اذكرها؟

ج٤٥: هي خمس مراتب:

١- التصديق بالأمر.

٢- العزم الجازم على امتثاله.

٣- بذل الجهد والنصح في الإتيان بالأمر على الوجه الأكمل.

٤- المسارعة إلى الأمر والمبادرة به، والحذر من القواطع والموانع.

٥- فعل الأمر بكونه مأموراً به، بحيث لا يتوقف الإتيان به على معرفة حكمته، فإن ظهرت فعله، وإلا عطله؛ فإن هذا ينافي الانقياد ويقدح في الامتثال.

س٤٦: متى يكون رد حكم الكتاب كفراً؟ ومتى لا يكون كذلك؟ وما معنى قوله: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]؟

ج٤٦: يكون رد حكم الكتاب كفراً إذا كان من غير تأويل، وإنما القصد التعنت والعناد، ولا يكون كفراً إذا كان مؤولًا لحكم الكتاب لشبهة عرضت له، فإنه يبين له الحق والصواب ليرجع إليه.

ومعنى الآية: إن الله سبحانه لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته، وعدله، فإنه سبحانه لا يعمل بمجرد قهره وقدرته، كما قال الجهم بن صفوان وأتباعه، بل يجازي كلًّا بعمله، وقوله: ﴿وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ أي: أن الله يسأل عباده عما عملوه في الحياة الدنيا.

س٤٧: ما معنى قول الطحاوي: «فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه؛ لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود...»

ج٤٧: إن ما سبق ذكره هو جملة يحتاج إلى معرفته والإيمان به من نور الله قلبه من أوليائه تعالى، وهي درجة الراسخين في العلم، المتلقين عن الله خبره بالقبول والاستسلام.

والعلم نوعان:

١- علم في الخلق موجود، وهو علم الشريعة: أصولها، وفروعها.

٢- والثاني: علم في الخلق مفقود، وهو علم القدر الذي حجبه الله تعالى عن خلقه، فمن أنكر العلم الموجود كفر؛ لجحده بالنصوص الموجودة، ومن ادعى علم القدر والغيب لنفسه كفر؛ لأنه مما استأثر الله بعلمه، وهو كذلك جحد للنصوص الواردة في نسبة ذلك العلم إلى الله تعالى، ولا يثبت الإيمان للعبد فيحكم له به، أو يبقى معه إلا إذا قبل العلم الموجود، ولم يحاول الوصول إلى حقيقة العلم المفقود.

س٤٨: وضِّح مرجع الإشارة في قول المؤلف: «فهذا جملة»؟ وما معنى قول الطحاوي: «علم في الخلق موجود»؟ وما حكمه قبولا وردا؟ وما معنى قوله: «وعلم في الخلق مفقود»؟ وما حكمه تفويضاً وادعاء؟

ج٤٨: الإشارة ترجع إلى ما تقدم ذكره فيما يجب اعتقاده والعمل به مما جاءت به الشريعة.

ومعنى قوله: «علم في الخلق موجود»، العلم الموجود في الخلق وهو علم الشريعة: أصولها وفروعها.

وحكمه: أن تصدق به، وتؤمن، ومن أنكر شيئاً مما جاء به الرسول كان كافراً.

ومعنى قوله: «وعلم في الخلق مفقود»، أي: علم القدر الذي طواه عن أنامه، ونهاهم عن مرامه.

وحكمه: يجب أن تفوض علمه إلى الله ﷻ، ولا تخوض فيه، ومن ادعى علم الغيب كان من الكافرين، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٥، ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

س٤٩: هل يلزم من الجهل بالحكمة عدمها؟ وضِّح ذلك؟

ج٤٩: لا يلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمها، ولا من جهلنا انتفاء حكمته، ألا ترى أن خفاء حكمة الله علينا في خلق الحيات والعقارب والفأر والحشرات التي لا يعلم منها إلا المضرة، لم ينف أن يكون الله خالقاً لها، ولا يلزم أن يكون فيها حكمة خفيت علينا؛ لأن عدم العلم لا يكون علماً بالمعدوم.

الإيمان باللوح والقلم

قال الطحاوي: « ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رُقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وما أخطأ العبدَ لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئَه، وعلى العبد أن يعلم أن اللهَ قد سبَق علمُه في كلِّ كائنٍ من خلقِه، فقدَّر ذلك تقديراً محكماً مبرماً، ليس فيه ناقضٌ، ولا معقِّبٌ، ولا مزيلٌ، ولا مغيِّرٌ، ولا ناقصٌ، ولا زائدٌ من خَلْقِه في سماواتِه وأرضِه، وذلك من عَقْدِ الإيمان وأصولِ المعرفة، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيتِه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، فويلٌ لمَنْ صار لله تعالى في القدَرِ خصيماً، وأحضر للنظر فيه قلباً سقيماً، لقد التمس بوهمِه في فحص الغيب سرّاً كتيماً، وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[اللوح المحفوظ:]

قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]، واللوح المذكور هو الذي كتب الله فيه مقاديرَ الخلائق.

[القلم:]

والقلم المذكور هو الذي خلقه الله، وكتب به المقاديرَ في اللوح المذكور، كما في سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»(١).

وقوله «**فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة**».

[وصايا نبوية لابن عباس:]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال: **يا غلام ألا أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف**»(٢).

رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وفي رواية: «**احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسر**».

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ب: ٥٩، برقم: (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣، ٣٠٣)، والآجري في الشريعة (ص١٩٨)، وغيرهم من طرق لا تخلو من ضعف، وقد قواه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٧٩٥٧).

[ثمرة الإيمان بالقدر:]

فإذا علم العبد أن كلا من عند الله، فالواجب إفراده سبحانه بالخشية والتقوى، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال سبحانه أيضاً: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١].

وقوله: «**وما أخطأ العبدَ لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئَه، وعلى العبد أن يعلم أن اللهَ قد سبَق علمُه في كلِّ كائنٍ من خلقِه، فقدَّر ذلك تقديراً محكماً مبرماً، ليس فيه ناقضٌ، ولا معقِّبٌ، ولا مزيلٌ، ولا مغيِّرٌ، ولا ناقصٌ، ولا زائدٌ من خَلْقِه في سماواتِه وأرضِه، وذلك من عَقْدِ الإيمان وأصولِ المعرفة، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيتِه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]**».

[المقدور كائن لا محالة:]

هذا بناء على ما تقدم من أن المقدور كائن لا محالة، ولقد أحسن القائل حيث يقول:

ما قضى الله كائن لا محالة ... والشقي الجهول من لام حاله

[إثبات العلم الأزلي:]

وقوله: «**وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كائن خلقه...**»، هذا بناء على ما تقدم من أن الله تعالى قد سبق علمه بالكائنات، وأنه قدر مقاديرها قبل خلقها، كما قال ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنةٍ، قال: وعرشه على الماء**»[(١)].

فيُعلم ﷺ أن الله قد علم أن الأشياء تصير موجودة لأوقاتها على ما اقتضته حكمته البالغة، فكانت كما عَلِمَ، فإن حصول المخلوقات على ما فيها من غرائب الحكم لا يتصور إيجادها إلا من عالم قد سبق علمه على إيجادها، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[(٢)] [الملك: ١٤].

---

(١) أخرجه مسلم، ك: القدر، ب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام، برقم: (٢٦٥٣).

(٢) قال ابن القيم: «وهذا من أبلغ التقرير، فإن الخالق لا بد أن يعلم مخلوقه، والصانع يعلم مصنوعه، وإذا كنتم مقرين بأنه خالقكم وخالق صدوركم، وما تضمنته، فكيف تخفى عليه وهي خلقه؟ وهذا التقرير مما يصعب على القدرية فهمه، فإنه لم يخلق عندهم ما في الصدور، فلم يكن في الآية على أصولهم =

[منزلة القدر من أركان الإيمان:]

وقوله: «وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة...» إشارة إلى ما تقدم من الإيمان بالقدر وسبق علمه بالكائنات قبل خلقها، قال ﷺ في جواب السائل عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره». وقال ﷺ في آخر الحديث: «يا عمر أتدري من السائل؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: إنه جبرائيل أتاكم يعلمكم دينكم».

[الإيمان بصفات الله من توحيد الله:]

وقوله: «والإقرار بتوحيد الله وربوبيته»، أي: لا يتم التوحيد والإقرار بالربوبية إلا بالإيمان بصفاته تعالى.

[الإيمان بالقدر إثبات للعلم الإلهي:]

وهذا لأن الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بعلم الله القديم، وما أظهر من علمه الذي لا يحاط به، وكتابة مقادير الخلائق.

[أنواع منكري القدر:]

وقد ضل في هذا الموضع خلائق من المشركين والصابئين والفلاسفة وغيرهم ممن ينكر علمه بالجزئيات أو بغير ذلك، فإن ذلك كله مما يدخل في التكذيب بالقدر.

[قول القدرية في أفعال العباد:]

وأما قدرة الله على كل شيء فهو الذي يكذب به القدرية جملة، حيث جعلوه لم يخلق أفعال العباد، فأخرجوها عن قدرته وخلقه.

[أفعال العباد من قدر الله:]

هذا، والقدر الذي لا ريب في دلالة الكتاب والسنة والإجماع عليه، وأن الذين جحدوه هم القدرية المحضة بلا نزاع، هو ما قدره الله من مقادير العباد، وعامة ما يوجد من كلام الصحابة والأئمة في ذم القدرية يُقصَد به هؤلاء، كقول ابن عمر رضي الله عنهما لما قيل له: يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف: «أخبرهم أني منهم بريء، وأنهم مني برآء»، أخرجه مسلم[1].

= دليل على علمه بها، ولهذا طرد غلاة القوم ذلك، ونفوا علمه، فأكفرهم السلف قاطبة». الصواعق المرسلة (٢/ ٤٩١ - ٤٩٢).

(١) صحيح مسلم، ك: الإيمان، ب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان...، برقم: (٨).

وقوله: «**فويلٌ لمَنْ صار لله تعالى في القدَرِ خصيماً، وأحضر للنظر فيه قلباً سقيماً، لقد التمس بوهمِه في فحص الغيب سرّاً كتيماً، وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً**».

[القلب له حياة وموت:]

اعلم أن القلب له حياة وموت، ومرض وشفاء، وذلك أعظم مما للبدن، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، أي: كان ميتا بالكفر فأحييناه بالإيمان.

[حقيقة حياة القلب وموته:]

فالقلبُ[١] الصحيح الحيُّ إذا عُرض عليه الباطلُ والقبائحُ نفر منها بطبعِه، وأبغضها، ولم يلتفِت إليها، بخلافِ القلبِ الميِّتِ، فإنه لا يفرِّقُ بين الحسنِ والقبيحِ.

وكذلك القلب المريض بالشهوة فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك بحسب قوة المرض وضعفه.

[أنواع أمراض القلوب:]

ومرض القلب نوعان: مرض شهوة، ومرض شبهة، وأردؤُها مرضُ الشبهةِ، وأردأُ الشبهِ ما كان من أَمْرِ القدَرِ.

وقد يمرض القلب ويشتدُّ مرضه، ولا يشعرُ به صاحبه، لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموتِه، وعلامةُ ذلك أنه لا تُؤلمه جراحاتُ القبائحِ، ولا يُوجعه جهْلُهُ بالحقِّ، وعقائدُهُ الباطلة.

[علامة حياة القلب:]

فإن القلبَ إذا كان فيه حياة تألَّم بورودِ القبيح عليه، وتألَّم بجهله بالحق بحسب حياته، و:

ما لجرح بميت إيلام

[مخالفة الهوى هي حياة القلب:]

وقد يشعر بمرضه، ولكن يشتد عليه تحمل مرارة الدواء والصبر عليها، فيؤثر بقاء ألمه على مشقة الدواء، فإن دواءه في مخالفة الهوى، وذلك أصعب شيء على النفس، وليس له أنفع منه، وتارة يوطن نفسه على الصبر، ثم ينفسخ عزمه ولا يستمر معه، لضعف

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٨١- ٨٤).

علمه وبصيرته وصبره.

[علامة مرض القلب:]

وعلامةُ مرضِ القلب عدُوله عن الأغذيةِ النافعةِ الموافقةِ إلى الأغذية الضارَّةِ، وعدوله عن دوائه النافع إلى دوائِه الضار، فههنا أربعة أشياء: غذاء نافع، ودواء شاف، وغذاء ضار، ودواء مهلك، فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي على الضارِّ المؤذي، والقلب المريض بضد ذلك.

[الإيمان غذاء، والقرآن شفاء:]

وأنفع الأغذية غذاءُ الإيمان، وأنفعُ الأدوية دواءُ القرآن، وكلٌّ منهما فيه الغذاءُ والدواءُ، فمن طلب الشفاء في غير الكتاب والسنَّة فهو من أجهلِ الجاهلين، وأضلِّ الضالين، فإن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

و﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ لبيان الجنس، لا للتبعيض، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

فالقرآن هو الشفاءُ التام من جميعِ الأدواءِ القلبيةِ والبدنيةِ، وأدواءِ الدنيا والآخرةِ، وما كل أحد يؤهل للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه لم يقاوم الداءُ أبدا، وكيف تقاوم الأدواء كلامَ ربِّ الأرض والسماء، الذي لو نزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها.

[القرآن علاج لكافة أمراض القلوب:]

فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه لمن رزقه الله فهما في كتابه.

قوله: «لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سراً كتيماً»، أي: طلب بوهمِه في البحث عن الغيبِ سراً مكتوماً، إذِ القدرُ سرُّ الله في خلقِه، فهو يرُومُ ببحثِه الاطلاع على الغيب، وقد قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧].

وقوله: «وعاد بما قال فيه»، أي: في القدر «أفَّاكاً كذاباً أثيماً» أي: مأثُوماً.

توضيح كلام الطحاوي وابن أبي العز، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: المسائل العقدية التي ذكرها ابن أبي العز في شرحه.

تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم... وما أخطأ العبدَ لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئَه، وعلى العبد أن يعلم أن اللهَ قد سبَق علمُه في كلِّ كائنٍ من خلقِه، فقدَّر ذلك تقديراً محكماً مبرماً، ليس فيه ناقضٌ، ولا معقِّبٌ، ولا مزيلٌ، ولا مغيِّرٌ، ولا ناقصٌ، ولا زائدٌ من خَلْقِه في سماواتِه وأرضِه، وذلك من عَقْدِ الإيمان وأصولِ المعرفة، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيتِه،...فويلٌ لمَنْ صار لله تعالى في القدَرِ خصيماً، وأحضر للنظر فيه قلباً سقيماً، لقد التمس بوهمِه في فحص الغيب سرّاً كتيماً، وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً» لمسائل عديدة يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

١- بيان الإيمان باللوح المحفوظ والقلم.
٢- وصايا نبوية لابن عباس.
٣- ثمرة الإيمان بالقدر.
٤- المقدور كائن لا محالة.
٥- إثبات العلم الأزلي.
٦- منزلة القدر من أركان الإيمان.
٧- الإيمان بصفات الله من توحيد الله.
٨- الإيمان بالقدر إثبات للعلم الإلهي.
٩- أنواع منكري القدر.
١٠- قول القدرية في أفعال العباد.
١١- أفعال العباد من قدر الله.
١٢- القلب له حياة وموت.
١٣- حقيقة حياة القلب وموته.
١٤- أنواع أمراض القلوب.
١٥- علامة حياة القلب.
١٦- مخالفة الهوى هي حياة القلب.
١٧- علامة مرض القلب.
١٨- الإيمان غذاء، والقرآن شفاء.
١٩- القرآن علاج لكافة أمراض القلوب.

المطلب الثاني: شرح كلام الطحاوي.

معنى قول الطحاوي: «ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم...»، أننا نؤمن إيماناً جازماً، وتصديقاً لازماً بأن اللوح حق، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢٠ - ٢١]، وهذا اللوح المحفوظ هو الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق جميعاً، والقلم المذكور، هو الذي خلقه الله تعالى وكتب به المقادير في اللوح المحفوظ، كما قال النبي ﷺ: «أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب مقادير

كل شيء حتى تقوم الساعة»[١].

فكل شيءٍ مكتوبٌ في هذا اللوح، لو أراد الخلق جميعاً أن يجعلوا ما قدره الله كائناً، غير كائن ما استطاعوا، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، فلا يتغير منه شيء، وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهذا مقتضى حديث النبي ﷺ حين قال لابن عباس رضي الله عنهما: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[٢].

المقصود أن مما يؤمن به أهل السنة والجماعة اللوح المحفوظ والقلم الذي كتبت به مقادير الخلائق، ويرون أنهما من أعظم آيات الله ومخلوقاته، وهما غيب لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى.

والذي دلت عليه السنة أن الأقلام أربعة:

الأول: القلم الشامل لجميع المخلوقات.

الثاني: القلم الذي هو خبر خلق آدم: وهو قلم عام أيضاً لكل بني آدم، وقد وردت آثار تدل على أن الله قدر مقادير بني آدم بعد خلق أبيهم، منها حديث عمر رضي الله عنه: «إن الله خلق آدم عليه السلام، ثم مسح على ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذريته...»[٣] الحديث.

الثالث: القلم الذي مع الملك: ويؤمر بأربع كلمات حين يرسل إلى الجنين في بطن أمه، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: رزقه، وأجله، وشقي أو سعيد[٤].

الرابع: القلم الموضوع على العبد عند بلوغه: وهو الذي بأيدي الكرام الكاتبين الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم كما ورد ذلك في الكتاب والسنة.

ثم إن العلماء[٥] اختلفوا: هل القلم أول المخلوقات أو العرش؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن للسلف في العرش والقلم أيهما خلق قبل الآخر؟

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) أخرجه البخاري، ك: التفسير، ب: قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ [الليل: ٥]، برقم: (٤٩٤٥)، ومسلم، ك: القدر، ب: كيفية الخلق الآدمي...، برقم: (٢٦٤٧).
(٥) انظر: أصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص ٤١٢ - ٤١٥).

قولين كما ذكر الحافظ أبو العلاء الهمداني وغيره:

أحدهما: أن القلم خلق أولا كما أطلق ذلك غير واحد، وذلك هو الذي يفهم في الظاهر في كتب من صنف في الأوائل كالحافظ أبي عروبة بن أبي معشر الحراني، وأبي القاسم الطبراني؛ للحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن عبادة بن الصامت»[١].

وقال ابن كثير: «قال قائلون: خلق القلم أولًا، وهذا اختيار ابن جرير، وابن الجوزي، وغيرهما»[٢].

وقال الألباني تعليقاً على شارح الطحاوية في قوله: «أن العرش أقدم المخلوقات»: «لا يتم للمصنف الاستدلال بالرواية الأولى - رواية عبادة - على تقدم خلق العرش على القلم، حتى يثبت أرجحيتها على الأخرى...»، ثم قال: «... وإذا كان ولا بد من الترجيح بينهما فالأخرى أصح من الأولى لاتفاق أكثر الرواة عليها؛ لأن لها شاهداً عن أبي هريرة، ولأنها تتضمن زيادة في المعنى، وعليه فلا تعارض بين الحديث على هذه الرواية بين حديث عبد الله بن عمرو؛ لأن حديثه صريح في أن الكتابة تأخرت عن خلق العرش، والحديث على الرواية الراجحة صريح في أن القلم أول مخلوق، ثم أمر بأن يكتب كل شيء، يكون ومنه العرش، فالأرجح عندي أن القلم متقدم على العرش، والله أعلم»[٣].

فهذا القول الأول، وهو تقدم خلق القلم على العرش.

وأما القول الثاني: فقد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: «إن العرش خلق أولًا، واستدل عليه من حديث ابن عباس: «إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً، فكان أول ما خلق الله القلم، فأمره أن يكتب ما هو كائن، وأن ما يجري على الناس على أمر قد فرغ منه».

ومن حديث عمران بن حصين: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء».

ثم قال: فثبت في النصوص الصحيحة أن العرش خلق أولًا »[٤].

قال ابن القيم بعد ذكر حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: «فيه دليل على أن خلق العرش سابق على خلق القلم، وهذا أصح القولين لما روى أبو داود في سننه[٥] عن أبي

---

(١) بغية المرتاد (ص ٢٨٥).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص ٦٢٨).

(٣) حاشية شرح الطحاوية (ص ٢٩٥).

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص ٦٢٨).

(٥) تقدم تخريجه.

حفصة الشامي قال: قال عبادة بن الصامت لابنه... فذكر الحديث، ثم قال: وكتابة القلم للقدر كان في الساعة التي خلق فيها»[(١)].

وفي تحفة الأحوذي: «أول ما خلق الله القلم، يعني: بعد العرش، والماء والريح، لقوله ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»[(٢)]»[(٣)].

والذي عليه أكثر أهل العلم أن العرش مخلوق قبل القلم كما دل على ذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء».

قالوا: وهذا التقدير هو كتابته بالقلم المقادير، وقد دل الحديث أن ذلك بعد خلق العرش، فثبت تقدم العرش على القلم الذي كتب به المقادير، كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء، ويحمل حديث القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم[(٤)].

قال ابن القيم: «ولا يناقض هذا حديث: «**أول ما خلق الله القلم**» لوجهين:

أحدهما: أن الأولية راجعة إلى كتابته، لا إلى خلقه، فإن الحديث: «أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة».

والثاني: أن المراد أول ما خلقه الله من هذا العالم بعد خلق العرش، فإن العرش مخلوق قبله في أصح قولي السلف، حكاهما الحافظ عبد القادر الرهاوي.

ويدل على سبق خلق العرش قوله في الحديث الثابت: «**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء**»، وقد أخبر أنه حين خلق القلم قدر به المقادير كما في اللفظ الآخر: «**قال: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر**» فهذا هو التقدير المؤقت قبل خلق العالم بخمسين ألف سنة، فثبت أن العرش سابق على القلم، والعرش كان على الماء قبل خلق السموات والأرض»[(٥)].

فالصحيح أن العرش خلق قبل القلم، لما سبق من الأدلة الصحيحة.

---

(١) شفاء العليل (ص ٦).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تحفة الأحوذي (٦/ ٣٧٠). - الطبعة السلفية -.
(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص ٦٢٩).
(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٩٩ - ١٠٠).

الأسئلة والأجوبة على: الإيمان باللوح والقلم

س١: ما المراد باللوح والقلم في قول المصنف: «ونؤمن باللوح والقلم»؟ وما حكم الإيمان بهما؟

ج١: المراد باللوح: هو الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق، والمراد بالقلم: هو آلة من نور خلقها الله، وكتب بها مقادير الخلق في اللوح المتقدم.

وحكم الإيمان بهما واجب، فمن أنكره فهو كافر.

س٢: اختلف الناس في أول المخلوقات على قولين، اذكرهما مع الترجيح والتدليل لما تختار؟

ج٢: للعلماء في ذلك قولان:

الأول: قيل: إن العرش مخلوق قبل القلم، والدليل على ذلك حديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**».

الثاني: قيل: إن القلم قبل العرش، واستدل من قال به بحديث عبادة بن الصامت: «**أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب**».

والراجح القول الأول لما يأتي:

١- إن حديث عبد الله بن عمر صريح في أسبقية العرش.

٢- إن حديث عبادة يمكن الجمع بينه وبين حديث عبد الله بن عمر بأن يقال: الأولية مقيدة بالكتابة، أي: عند أول خلقه للقلم قال له: اكتب، وهذا على رواية نصب: «أولَ»، على أنه ظرف، ونصب القلم على أنه مفعول، والكلام جملة واحدة، وهذا هو الصحيح.

ويؤيده رواية: «لما خلق الله القلم»، فهذه مقيدة بالكتابة، والتقدير مقارن للخلق، فيدفع معنى الحديث مع حديث ابن عمر.

وعلى رواية رفع: «أول»، و «القلم» على أنهما جملة، و: «قال له: اكتب» جملة أخرى، والكلام يكون من جملتين، فيكون معنى الحديث: إن أول المخلوقات في العالم المشاهد القلم، قال له: اكتب مقادير الخلائق، فيتفق معنى الحديثين بذلك، إذ حديث ابن عمر صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم.

س٣: هل كتبت جميع المقادير بقلم واحد؟ وضِّح ذلك مع بيان أنواع الأقلام؟

ج٣: أنواع الأقلام:

الأول: القلم الشامل لجميع المخلوقات المتقدم ذكره.

الثاني: القلم الذي هو خبر خلق آدم: وهو قلم عام أيضاً لكل بني آدم، وقد وردت آثار تدل على أن الله قدر مقادير بني آدم بعد خلق أبيهم، منها: حديث عمر رضي الله عنه: «إن الله خلق آدم عليه السلام، ثم مسح على ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذريته...»[(١)] الحديث.

الثالث: القلم الذي مع الملك: ويؤمر بأربع كلمات حين يرسل إلى الجنين في بطن أمه، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: رزقه، وأجله، وشقي أو سعيد[(٢)].

الرابع: قلم التكليف الموضوع على العبد عند بلوغه بأيدي الكرام الكاتبين الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم.

س٤: ما مقصود الرسول ﷺ بقوله: «**رفعت الأقلام، وجفت الصحف**»[(٣)]؟

ج٤: معنى ذلك أن هذا الأمر قد فرغ منه فلا تغيير فيه ولا تبديل، فكلٌّ يجري عليه ما كتب له: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، «اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون إلى عمل أهل السعادة، وأمَّا أهل الشقاوة فييسرون إلى عمل أهل الشقاوة»[(٤)].

س٥: ما معنى قول الطحاوي: «وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة.. وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه..»؟

ج٥: يجب على العبد أن يؤمن بأن الله تعالى قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فعلم كل شيء قبل أن يخلقه، وذلك على وجه الإجمال والتفصيل، وقدر ذلك تقديراً محكماً ليس فيه ما ينقضه أو يؤخره، أو يزيله أو يغيره، أو ينقص فيه أو يزيد، لا في خلق السموات ولا في خلق الأرض، ولا ما بينهما، بل كل شيء علمه الله تعالى وقدره وكتبه، وهذا العلم من ضروريات ولوازم الإيمان، ومن أصول المعرفة بالله تعالى، ومن لوازم الإقرار بربوبيته سبحانه وتعالى، ولهذا قال تعالى في كتابه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال:

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري، ك: الجنائز، ب: موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله، برقم: (١٣٦٢)، ومسلم، ك: القدر، ب: كيفية الخلق الآدمي...، برقم: (٢٦٤٧).

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، فكل شيء علمه الله تعالى كما يكون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأراده وخلقه فعلًا، وكل من خاصم الله تعالى في قدره وكذب بشيء من ذلك، فالويل له إذ أنكر علم الرب تعالى وقدرته، وويل لمن نظر في القدر بقلب مريض، فضلَّ عن معرفةِ الحق والصواب، إذ اعتمد على الأوهام المريضة في فحص الغيب والتماس السر المكتوم الذي ستره الله تعالى عن جميع خلقه، ومهما قال في القدر فسوف يعود من ذلك القول، ويصبح كذاباً، إذ إنه لن يصل إلى حقيقة القدر أبداً، وقد باء بالإثمِ حيث التمس علم ما حظر عنه علمه، وأمر بالكف عن فحصه ومحاولة كشفه.

س٦: وضِّح ما موقف أهل السنة والجماعة ومخالفيهم من سبق علم الله للمخلوقات قبل إيجادها؟ ثم وضِّح كيف ترد على المخالف؟

ج٦: أولًا: إن أهل السنة والجماعة يقولون: إن الله قد سبق علمه بالكائنات، وقد قدر مقاديرها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ووضع كل شيء على ما علم وقدره، ورضي به.

ثانيا: أنكر غلاة القدرية والمعتزلة أن الله كان عالماً بالأزل، وقالوا: إن الله لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوها، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

ويرد عليهم بما يأتي:

١- من الكتاب: قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

٢- ومن السنة: قول النبي ﷺ: «**قدر الله مقادير الخلائق...**»(١) الحديث.

٣- دليل عقلي: وهو أننا نرى في هذه المخلوقات من الغرائب والحكم ما لا يتصور إيجاده إلا من قبل إله عالم سبق علمُه إيجادَه.

س٧: ما معنى قول الشافعي: «ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا وإن أنكروا كفروا»؟

ج٧: معنى ذلك أن يقال للقدرية: هل أنتم تثبتون لله علماً؟

فإن أقروا، قلنا لهم: لِمَ تثبتون له علماً في بعض وتنفونه في البعض الآخر؟ إنكم كما قال الله سبحانه: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

---

(١) تقدم تخريجه.

وإن نفوا العلم، وقالوا: لا نقر أن لله علماً فهم كفار؛ لأنهم أنكروا صفة من صفات الله، وبهذا يُخصمون وتقوم عليهم الحجة.

س٨: ما تقول فيما تراه المعتزلة من قولهم: «يلزم أن يكون العبد قادراً على تغيير علم الله؟ فإذا قدر على الفعل قدر على تغيير علم الله»؟

ج٨: القول بأن قدرته على الفعل لا تستلزم تغيير العلم، إنما ظننتم أنه يتغير العلم إذا وقع الفعل، ولو وقع الفعل لكان هو المعلوم لعدم الوقوع؛ لأنه يستحيل وقوع الفعل مع علم الله بعدم وقوعه، ولكن إن وقع كان الله قد علم أنه يقع، وإن لم يقع كان الله قد علم أنه لا يقع، وعلم الله لا نعلمه إلا ما ظهرلنا.

س٩: وضِّح كيف يشتمل الإيمان بالقدر على الاعتراف بالله وربوبيته؟

ج٩: بيان ذلك أنه لا يتم الاعتراف بالله وربوبيته إلا بالإيمان بصفاته، ومن صفاته العلم ولارادة والمشيئة فوجب الإيمان به.

س١٠: ما حكم مَن زعم أن العباد يخلقون أفعال أنفسهم؟ ولمَ؟

ج١٠: حكمه أنه مشرك؛ لأنه زعم أن لله شريكاً في خلقه.

س١١: اذكر بعض ما ورد من النصوص في شأن القدرية؟

ج١١: من تلك النصوص:

١- قوله ﷺ: «**القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعدهم، وإن ماتوا فلا تشهدهم**»[١].

٢- ومنها ما رواه عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تجالسوا أهل القدر، ولا تفاتحوهم**»[٢].

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبُه توحيدَه».

---

(١) أخرجه أبو داود، ك: السنة، ب: في القدر، برقم: (٤٦٩١)، وابن ماجه، المقدمة، برقم: (٩٢)، وأحمد (٢/ ٨٦)، وابن أبي عاصم في السنة برقم: (٣٣٨- ٣٤٢)، والحاكم (١/ ٨٥)، والطبراني في المعجم الأوسط برقم: (٢٥١٥)، وابن بطة في الإبانة (كتاب القدر)، برقم: (١٥٠٩)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم: (١١٥٠)، وغيرهم، وهو حسن لغيره، راجع: تعليق الألباني على المشكاة (١/ ٣٨)، وظلال الجنة للألباني برقم: (٣٣٨-٣٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود، ك: السنة، ب: في القدر، برقم: (٤٧١٠)، وأحمد (١/ ٣٠)، والحاكم (١/ ٨٥)، وإسناده ضعيف. انظر: تعليق الألباني على المشكاة (١/ ٣٨).

س١٢: ما وجه اعتبار القدرية مجوس هذه الأمة؟

ج١٢: وجهه أن المجوس يدعون أن للكون خالقين هما: النور إله الخير، والظلمة إله الشر.

والقدرية زعموا أن للكون خالقين غير الله، فالناس عندهم إنما يخلقون أفعال أنفسهم، فهم شاركوهم من حيث تعدد الإله.

س١٣: فسر معنى قول ابن عباس: «القدر نظام التوحيد»؟

ج١٣: إن الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بعلم الله، والعلم صفة من صفاته، وهو من توحيد الأسماء والصفات، فيجب الإيمان بعلم الله القديم، وما أظهره من علمه الذي لا يحاط به، وكتابته مقادير الخلائق.

س١٤: ما هي أصول التقدير المطابق للعلم؟ وما لازم كل أصل؟

ج١٤: الأصول خمسة:

الأول: أنه عالم بالأمور المقدرة قبل كونها، ولازمه إثبات علم الله القديم، وفيه رد على من نفى علم الله القديم.

الثاني: التقدير يتضمن مقادير المخلوقات، فالله جعل لكل شيء قدراً، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، فهو عالم بالكليات والجزئيات.

الثالث: أنه يتضمن أنه أخبر بذلك، وأظهره قبل وجود المخلوقات إخباراً مفصلًا، فيقتضي أنه يمكن أن يعلم العباد الأمور قبل وجودها علماً مفصلًا.

الرابع: أنه يتضمن أنه مختار في كل ما يفعله، محدثٌ له بمشيئته وإرادته، ليس لازماً لذاته، ولازمه إثبات علم الله القديم.

الخامس: أنه يدل على حديث هذا المقدور، أنه كان بعد أن لم يكن، فإنه يقدره ثم يخلقه، ولازمه إثبات علم الله القديم.

س١٥: ما الدليل على أن للقلب حياة وموتاً وشفاء؟

ج١٥: الدليل قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأنفال: ٤٩].

س١٦: ما علامة القلب الصحيح الحي والقلب الميت؟

ج١٦: القلب الحي: هو الذي يفرق بين الطبائع، ولا تضره الفتن، ولا يلتفت إليها.

والقلب الميت هو: الذي لا يفرق بين الحسن والقبيح، والطاعة والمعصية، ولا غيرها. قال ابن مسعود: «هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر».

س١٧: ما أنواع مرض القلب؟ وما علامة مرض كل منها؟ وأي الأنواع أخطر؟ وضِّح ذلك؟

ج١٧: مرض القلب نوعان، هما:

الأول: مرض شبهة، وعلامته: أن يميل إلى كل شبهة تعرض له، وهذا النوع أخطرها؛ لأنه خاص بالعقيدة، فيؤدي بالإنسان إلى الكفر، أما الشهوة فيفعلها الإنسان وهو معتقد في الغالب أنها حرام.

الثاني: مرض شهوة، وعلامته: أن يميل إلى الشهوات المخالفة لشرع الله.

س١٨: اذكر الدواء النافع لهذين النوعين؟

ج١٨: دواء ذلك اتباع ما جاء في الكتاب والسنة، فإن أنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن، والصبر على الإيمان، ومخالفة الهوى. قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤].

س١٩: ما هي شروط الاستفادة من التداوي بالقرآن؟ اذكرها مع بيان موانع تأثير الدعاء؟

ج١٩: الشروط هي:

الأول: أن يحسن العليل التداوي به.

الثاني: أن يضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام.

والموانع هي:

١- ضعف الدعاء.

٢- ضعف القلب، وخاصة وقت الدعاء.

٣- وجود موانع عن قبوله كأكل الحرام.

العرش والكرسيّ حق

قال الطحاوي: «والعرش والكرسيُّ حقٌّ، وهو مستغنٍ عن العرشِ وما دونَه، محيطٌ بكل شيءٍ وفوقَه، وقد أعجز عن الإحاطةِ خلقه».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[أدلة ثبوت العرش:]

كما بيَّن تعالى في كتابه، قال تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٥-١٦]، ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦]، ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧]، ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥].

وفي دعاء الكرب المروي في الصحيحين: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا هو رب العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السموات وربُّ الأرض رب العرش الكريم**»[(١)].

والعرش في اللغة: عبارة عن السرير للملك، كما قال تعالى عن بلقيس: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣].

[الكرسيُّ المقدس:]

وأما الكرسي فقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقد قيل: هو العرش، والصحيح أنه غيره، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أنه قال: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدِّر قدره إلا الله تعالى.

وقيل: كرسيه علمه، ومن قال غير ذلك فليس له دليل إلا مجرد الظن.

وقوله: «**وهو مستغنٍ عن العرشِ وما دونَه، محيطٌ بكل شيءٍ وفوقَه، وقد أعجز عن الإحاطةِ خلقه**».

[استغناء الله عن خلقه:]

أما قوله: «وهو مستغن عن العرش وما دونه»، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وإنما قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الكلامَ هنا؛ لأنه لما ذكر العرشَ والكرسيَّ ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرشِ، وما دون العرشِ، ليبيِّن أن خلقَه العرش لاستوائه عليه، ليس لحاجته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الدعوات، ب: الدعاء عند الكرب، برقم: (٦٣٤٥)، ومسلم، ك: الذكر والدعاء والتوبة والاسستغفار، ب: دعاء الكرب، برقم: (٢٧٣٠).

وكون العالي فوق السافل لا يلزم أن يكون السافل حاوياً للعالي محيطا به حاملا له، ولا أن يكون الأعلى مفتقراً إليه، فانظر إلى السماء كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها، فالرب تعالى أعظم شأنا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه، وهي حمله بقدرته للسافل، وفقر السافل وغناه هو سبحانه عن السافل وإحاطته ﷻ به، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش وعدم حصر العرش له وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق.

[ضلال المعطلة لمخالفتهم الأدلة:]

ونُفاة العلو أهل التعطيل لو فصلوا بهذا التفصيل لهدوا الى سواء السبيل، وعلموا مطابقة العقل للتنزيل، ولسلكوا خلف الدليل، ولكن فارقوا الدليل فضلوا عن سواء السبيل. والأمر في ذلك كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وغيرها كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول.

[إحاطة الله بخلقه:]

وأما قوله: «محيط بكل شيء وفوقه»، فمعناه: أنه تعالى محيط بكل شيءٍ، وفوق كل شيءٍ.

أما كونه محيطاً بكل شيء فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج: ٢٠]، ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٤]، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦].

[حقيقة إحاطة الله بخلقه:]

وليس المراد من إحاطتِه بخلقِه أنه كالفلكِ، وأن المخلوقات داخل ذاته المقدَّسة، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، وإنما المراد: إحاطةُ عظمتِه، وسعةُ علمِه وقدرتِه، وأنها بالنسبة إلى عظمته كخردلة.

[عظمة الله فوق خلقه:]

ومن المعلوم - ولله المثل الأعلى - أن الواحد منا إذا كان عنده خردلة، إن شاء قبضها وأحاط قبضته بها، وإن شاء جعلها تحته، وهو في الحالين مباين لها عال عليها، فوقها من جميع الوجوه، فكيف بالعظيم الذي لا يحيط بعظمته وصف واصف، فلو شاء لقبض السموات والأرض اليوم وفعل بها كما يفعل بها يوم القيامة، فإنه لا يتجدد به إذ ذاك قدرة

ليس عليها الآن، فكيف يستبعد العقل مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم وهو على عرشه فوق سمواته؟ أو يدني إليه من يشاء من خلقه؟ فمن نفى ذلك لم يقدره حق قدره.

[علو الله على خلقه:]

وأما كونه فوق المخلوقات، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «لما قضى الله الخلق كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي». وفي رواية: «تغلب غضبي»، رواه البخاري(١).

وروى مسلم(٢) عن النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»، والمراد بالظهور هنا: العلو، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧]، أي: يعلوه، فهذه الأسماء الأربعة متقابلة، اسمان منها لأزلية الرب ﷻ وأبديته، واسمان لعلوه وقربه.

[إثبات الفوقية:]

هذا، ومن سمع أحاديث الرسول ﷺ وكلام السلف وجد منه في إثبات الفوقية ما لا ينحصر، ولا ريب أن الله سبحانه لما خلق الخلق لم يخلقهم في ذاته المقدسة تعالى الله عن ذلك، فإنه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، فتعين أنه خلقهم خارجا عن ذلك، ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات، مع أنه قائم بنفسه غير مخالط للعالم لكان متصفا بضد ذلك؛ لأن القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده، وضد الفوقية السفول، وهو مذموم على الإطلاق.

وإذا كان صفة العلو والفوقية صفة كمال لا نقص فيه، ولا يستلزم نقصا ولا يوجب محذورا، ولا يخالف كتابا ولا سنة ولا إجماعا، فنفي حقيقته يكون عين الباطل والمحال الذي لا تأتي به شريعة أصلا، فكيف إذا كان لا يمكن الإقرار بوجوده، وتصديق رسله،

---

(١) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، برقم: (٧٤٢٢)، ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[آل عمران: ٢٨، ٣٠]، برقم: (٧٤٠٤)، ومسلم، ك: التوبة، ب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، برقم: (٢٧٥١).

(٢) أخرجه مسلم، ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب: ما يقول عند النوم، وأخذ المضجع، برقم: (٢٧١٣).

والإيمان بكتابه، وبما جاء به رسوله إلا بذلك.

[أدلة العلو والفوقية كثيرة:]

هذا، وهذه الأنواع من الأدلة الدالة على صفة العلو والفوقية من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ لو بُسطت أفرادُها لبلغت نحو ألف دليل.

[تحدي المتأول:]

فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كلِّه، وهيهات له بجواب صحيح عن بعض ذلك.

[عجز الخلق عن الإحاطة بالله:]

وقوله: «وقد أعجز عن الإحاطة خلقَه»، أي: لا يحيطون به علماً ولا رؤيةً ولا غيرَ ذلك من وجوهِ الإحاطةِ، بل هو سبحانه محيطٌ بكلِّ شيءٍ، ولا يحيط به شيءٌ.

توضيح كلام الطحاوي وابن أبي العز، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: المسائل العقدية التي ذكرها ابن أبي العز في شرحه.

تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والعرش والكرسي حق، وهو مستغنٍ عن العرشِ وما دونَه، محيطٌ بكل شيءٍ وفوقَه، وقد أعجز عن الإحاطةِ خلقه» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- أدلة ثبوت العرش. ٢- الكرسيُّ المقدس.

٣- استغناء الله عن خلقه. ٤- ضلال المعطلة لمخالفتهم الأدلة.

٥- حقيقة إحاطة الله بخلقه. ٦- عظمة الله فوق خلقه.

٧- علو الله على خلقه. ٨- إثبات الفوقية.

١٠ - أدلة العلو والفوقية كثيرة. ١١- تحدي المتأول.

١٢- عجز الخلق عن الإحاطة بالله.

المطلب الثاني: شرح كلام الطحاوي.

معنى قول الطحاوي: «والعرش والكرسي حق»: أن عرش الرحمن تعالى حق لا ريب فيه، قد ذكره الله تعالى في آيات كثيرة من كتابه، منها قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]، وهو خلق عظيم هائل لا يحيط به إلا الله ﷻ، ويحمله عدد من الملائكة العظام، وهو سقف جنة الفردوس، كل ذلك قد صح عن النبي ﷺ، وصح أن له قوائم، وذلك يبطل تأويله بالملك.

والكرسيُّ حقٌّ كذلك، ولا يحيط به إلا الله تعالى، وقد وسع السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وذلك يبطل تأويله بالعلم كذلك.

والحاصل أن معنى كلام الطحاوي على وجه التفصيل كما يأتي:

أولًا: العرش:

العرش في اللغة: عبارة عن سرير الملك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣].

وعرش البيت سقفه، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، أي: على سقوفها.

ويأتي لمعنى الملك، يقال: ثل عرشه، على ما لم يسم فاعله، أي: زال ملكه، وذهب عزه[١].

والمراد بالعرش في الآيات والأحاديث المعنى الأول، وهو السرير، وهذا المعنى معروف عند العرب.

قال الأزهري: «العرش في كلام العرب سرير الملك، يدلك على ذلك سرير ملكة سبأ، سماه الله جل وعز عرشاً، فقال: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]»[٢].

وفي القاموس المحيط: «العرش: عرش الله، لا يحد»[٣].

ولعل قصده بقوله: لا يحد، أنه لا يوصف بغير ما وصف به في الكتاب والسنة.

والعرش في الاصطلاح:

سرير ذو قوائم خلقه الله واستوى عليه، وأمر الملائكة بحمله، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات، ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

مَجِّدوا اللهَ فهو للمجد أهلٌ ربُّنا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذي سبق النا سَ وسوى فوق السماء سريرا
شَرْجَعاً لا يناله بصر العيـ ـنِ ترى دونه الملائك صورا[٤]

---

(١) انظر: الصحاح (٣/ ١٠١٠)، لسان العرب (٦/ ٣١٣)، القاموس المحيط (٢/ ٢٨٨)، المصباح المنير (ص ٤٠٣)، و أصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص٢٧٣-٢٨٠).

(٢) تهذيب اللغة (١/ ٤١٤). (٣) القاموس المحيط (٢/ ٢٨٨).

(٤) ديوانه (ص ٧٠-٧١)، وانظر: الاختلاف في اللفظ (ص ٢٤٠).

وهو المقصود في قول عبد الله بن رواحة:

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء حق وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة الإله ملائكة الإله مسوّمينا[(١)]

قال عثمان بن سعيد الدارمي: «باب الإيمان بالعرش، وهو أحد ما أنكرته المعطلة.

ثم قال: وما ظننا أنا نضطر إلى الاحتجاج على أحد ممن يدعي الإسلام في إثبات العرش والإيمان به حتى ابتلينا بهذه العصابة الملحدة في آيات الله فشغلونا بالاحتجاج لما لم تختلف فيه الأمم قبلنا»[(٢)].

وقال البيهقي بعد أن ذكر آيات العرش: «اتفقت أقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير، وأنه جسم مجسم، خلقه الله تعالى وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به، كما خلق في الأرض بيتا وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة. وفي أكثر هذه الآيات دلالة على صحة ما ذهبوا إليه، وفي الأخبار والآثار الواردة في معناه دليل على صحة ذلك»[(٣)].

والنصوص الدالة على إثبات العرش من الآيات والأحاديث كثيرة جداً، فقد أخبر الله سبحانه عن استوائه على عرشه في سبعة مواضع من القرآن.

وأيضا عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة مئة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»[(٤)].

وقال عثمان بن سعيد الدارمي بعد أن سرد الآيات والأحاديث الدالة على إثبات العرش: «ففي ما ذكرنا من كتاب الله ﷻ وفي هذه الأحاديث بيان بين أن العرش كان مخلوقاً قبل ما سواه من الخلق، وأن ما ادعى هؤلاء المعطلة فيه تكذيب بالعرش وتخرص بالباطل»[(٥)].

---

(١) انظر: الاستيعاب (٣/ ٩٠١).
(٢) الرد على الجهمية (ص ١٢).
(٣) الأسماء والصفات (ص ٣٩٢).
(٤) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: «وكان عرشه على الماء»، برقم: (٧٤٢٣)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٣٥).
(٥) الرد على الجهمية (ص ١٦).

وقال الذهبي: «فالقرآن مشحون بذكر العرش - وكذلك الآثار - ما يمنع أن يكون المراد به الملك، فدع المكابرة والمراء، فإن المراء في القرآن كفر، وما أنا قلت، بل المصطفى ﷺ قاله»[(١)].

وأنكرت الجهمية والمعتزلة وقوم من الخوارج وبعض الأشاعرة العرش، وقالوا: إن العرش في الآيات والأحاديث هو عبارة عن الملك وسعة السلطان، وليس العرش الذي هو سرير الملك.

قال بعضهم: إن عرشه سماواته وأرضه وجميع خلقه، وهكذا أولوا الآيات والأحاديث وحرفوا النصوص[(٢)].

وذكر عثمان بن أبي شيبة مذهب الجهمية في العرش فقال: «ذكروا أن الجهمية يقولون: أن ليس بين الله ﷻ وبين خلقه حجاب، وأنكروا العرش، وأن يكون هو فوقه، وفوق السماوات، وقالوا: إن الله في كل مكان، وأنه لا يتخلف من خلقه شيء ولا يتخلص الخلق منه إلا أن يفنيهم أجمع، فلا يبقى من خلقه شيء، تبارك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا»[(٣)].

وقال القاضي عبد الجبار بعد أن ذكر آيات الاستواء على العرش: إن العرش ههنا بمعنى الملك، وذلك ظاهر في اللغة يقال: ثل عرش بني فلان، أي: إذا زال ملكهم، ثم استدل على هذا بقول الشاعر:

إذا ما بنو مروان ثلت عروشهم ... وأودت كما أودت إياد وحمير[(٤)]

وذكر البغدادي مذهب الأشاعرة في العرش فقال: «والصحيح عندنا تأويل العرش في هذه الآية - آية الاستواء - على معنى الملك كأنه أراد أن الملك ما استوى لأحد غيره، وهذا التأويل مأخوذ من قول العرب: ثل عرش بني فلان، إذا ذهب ملكه.

وقال متمم بن نويرة هذا المعنى:

عروش تفانوا بعد عِزّ وأمة ... هووا بعدما نالوا السلامة والبقا

---

(١) العلو (ص ٥٨).

(٢) انظر: التنبيه والرد (ص ٩٥)، التوحيد للمعتزلة (ص ٥٩٩)، الاختلاف في اللفظ (ص ٢٤٢)، الرد على الجهمية للدارمي (ص ١٣)، أصول الدين للبزدوي (ص ٢٧)، والاعتقاد للراغب الأصبهاني (١/ ١٠)، العلو للذهبي (ص ٥٨)، مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٤٠)، شرح العقيدة الطحاوية (ص٣١٢).

(٣) العرش (ق ٥١).

(٤) شرح الأصول الخمسة (ص ٢٢٧).

وأراد بالعروش ملوكاً انقرضوا.

وقال سعيد بن زائدة الخزاعي في النعمان بن المنذر:

فقد نال عرشاً لم ينله خائل   جن ولا إنس ولا ديار

وأراد بالعرش الملك والسلطان.

وقال النابغة:

بعد ابن جفنة وابن هاتك عرشه   والحارثين يؤملون فلاحا

ثم قال البغدادي: «...فصح بهذا تأويل العرش على الملك في آية الاستواء على ما بيناه...»(١).

وذكر عثمان بن سعيد الدارمي قول أحد زعماء المعطلة أنه قال في العرش: لما خلق الله الخلق يعني السموات والأرض وما فيهن سمى ذلك كله عرشاً له واستوى على جميع ذلك.

ثم قال الدارمي: «قلت لم تدعوا من إنكار العرش والتكذيب به غاية، وقد أحاطت بكم الحجج من حيث لا تدرون، وهو تصديق ما قلنا: إن إيمانكم به كإيمان الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، فقد كذبكم الله تعالى به في كتابه، وكذبكم به الرسول، أرأيتم قولكم إن عرشه سماواته وأرضه وجميع خلقه، فما تفسير قوله عندكم: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [غافر: ٧]، أحملة عرش الله؟ أم حملة خلقه؟ وقوله: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٧]، أيحملون السموات والأرض ومن فيهن؟ أم عرش الرحمن؟ فإنكم إن قلتم قولكم هذا يلزمكم أن تقولوا: عرش ربك خلق ربك أجمع، وتبطلون العرش الذي هو العرش، وهذا تفسير لا يشك أحد في بطلانه واستحالته، وأنه تكذيب بعرش الرحمن تبارك وتعالى...».

ثم قال: «.. ففي قول الله تعالى وحديث رسول الله دلالة ظاهرة أن العرش كان مخلوقا على الماء إذ لا أرض ولا سماء، فلم تغالطون الناس بما أنتم له منكرون»(٢).

هذا مذهب أهل الكلام وتأويلهم بالنصوص، وكل ذلك فرارا من إثبات صفة العلو

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص ١١٣ - ١١٤)، التوحيد للماتريدي (ص ١٧٢).
(٢) الرد على الجهمية (ص ١٣).

والاستواء والفوقية.

وقد رد ابن قتيبة على هؤلاء الجهمية والمعتزلة القائلين بأن العرش معناه: الملك أو غير ذلك مما أولوه، فقال: وطلبوا العرش معنى غير السرير، والعلماء بالله لا يعرفون معنى إلا السرير، وما عرش من السقوف وأشباهها.

واستدل عليه بقول أمية بن الصلت، إلى أن قال: فهذا مذهب القوم في تأويل الكتاب بآرائهم وعلى ما أصلوا من قولهم، وأما حديث رسول الله ﷺ فإنهم اعترضوه بالنظر مما كان له وجه في النظر من هذه الجهة صدقوا به، وما لم يكن له مخرج ردوه واستشنعوه وكذبوا ناقليه، ولم يلتفتوا إلى صحيح من الحديث ولا سقيم[١].

وقال ابن القيم: «فمن أنكر عرشه وأنكر استواءه أو أنكر تدبيره فقد قدح في ملكه»[٢].

ثم إن طائفة من الفلاسفة والمتكلمين ذهبت إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة، وهو عندهم الفلك الأطلس الذي هو عين الفلك التاسع.

وعندهم أن الفلك التاسع هو المحيط بهذه الأفلاك الثانية، وهو العرش العظيم الذي يحمله فوقهم يومئذ ثمانية كما قال الله ﷻ[٣].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قولهم هذا في الرسالة العرشية ثم قال راداً عليهم: «لم يثبت بدليل يعتمد عليه أن العرش فلك من الأفلاك المستديرة الكرية الشكل، لا بدليل شرعي ولا بدليل عقلي، وإنما ذكر هذا طائفة من المتأخرين، الذين نظروا في علم الهيئة وغيرها من الفلسفة، فرأوا أن الأفلاك تسعة، وأن التاسع هو الأطلس محيط بها مستدير كاستدراتها، وهو الذي تحركها الحركة الشرقية، وإن كان لكل فلك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة، ثم سمعوا في أخبار الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ذكر عرش الله، وذكر كرسيه، وذكر السماوات السبع، فقالوا بطريق الظن أن العرش هو الفلك التاسع؛ لاعتقاد أنه ليس وراء التاسع شيء، إما مطلقاً، وإما أنه ليس وراءه مخلوق...».

ثم قال: «... والمقصود هنا أن ما ذكروه من أن العرش هو الفلك التاسع قد يقال: إنه ليس لهم دليل لا عقلي ولا شرعي.

---

(١) الاختلاف في اللفظ (ص ٢٤٢). (٢) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٤٠).

(٣) انظر: رسائل إخوان الصفا (٢/ ٢٦)، تفسير روح المعاني (١١/ ٥٣).

أما العقلي: فإن الفلاسفة مصرحون بأنه لم يقم عندهم دليل على أن الأفلاك هي تسعة فقط، بل يجوز أن تكون أكثر من ذلك، ولكن دلتهم الحركات المختلفة والكسوفات، ونحو ذلك على ما ذكروه، وما لم يكن لهم دليل على ثبوته فهو لا يعلمون ثبوته ولا انتفاءه..».

إلى أن قال: «... وإذا كان هؤلاء ليس عندهم ما ينفي وجود شيء آخر فوق الأفلاك التسعة كان الجزم بأن ما أخبرت به الرسل من أن العرش هو الفلك التاسع رجماً بالغيب وقولًا بلا علم»[١].

وأما النصوص الشرعية من الآيات والأحاديث فإنها ترد على هؤلاء القائلين بأن العرش هو الفلك، كما أنها تثبت مباينته لغيره من المخلوقات، وأنه ليس نسبته إلى بعضها كنسبة بعضها إلى بعض، وقد ثبت أن له قوائم تحمله الملائكة، وأن حملته ومن حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين، قال سبحانه: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧].

وجاء في الحديث المتفق على صحته أن رسول الله ﷺ قال: «**فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور**»[٢].

وقد ورد أن العرش هو أول مخلوقاته، خلقه الله قبل خلق السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، وقال ﷺ: «**إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»[٣].

فكل هذا يدل على بطلان قولهم، ويثبت بأن العرش ليس الفلك، بل هو من أعظم مخلوقاته سبحانه وأجلها، خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض، واختصه بالعلو والارتفاع على جميع خلقه، ثم استوى عليه وأحاط بكل شيء علماً[٤].

---

(١) الرسالة العرشية (٢ - ٥) - بتصرف-.

(٢) أخرجه البخاري، ك: الخصومات، ب: ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، برقم: (٢٤١١)، ومسلم، ك: الفضائل، ب: من فضائل موسى عليه السلام، برقم: (٢٣٧٤).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: أصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص ٢٧٣ - ٢٨٢).

ثانياً: الكرسي.

الكرسي عند أهل اللغة: هو الشيء المعروف الذي يوضع تحت العرش يعتمد ويجلس عليه، ويضع الملوك عليه أقدامهم[(١)].

وقال أبو إسحاق الزجاج: «الذي نعرفه من الكرسي في اللغة: الشيء الذي يعتمد ويجلس عليه»[(٢)].

وروى أبو عمرو عن ثعلب أنه قال: «الكرسي ما تعرفه العرب من كراسي الملوك»[(٣)].

وقال الرازي: «والكرسي هو هذا الشيء المعروف لتركب خشباتها بعضها فوق بعض»[(٤)].

فالكرسي الوارد في الآية والآثار هو جسم عظيم عند العرش، وهو موضع قدمي الرب ﷻ، وسع السموات والأرض، والسموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة.

ويدل على ذلك ما ورد عن أبي ذر أنه سأل النبي ﷺ عن الكرسي، فقال: «**ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة**»[(٥)].

وقد صح عن ابن عباس أنه قال: «الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله»[(٦)].

---

(١) انظر: الصحاح (٢/ ٩٦٧)، لسان العرب (٦/ ١٩٤)، القاموس المحيط (٢/ ٢٥٥)، و أصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص٣٤٢).

(٢) تهذيب اللغة (١١/ ٥٣).

(٣) لسان العرب (٦/ ١٩٤).

(٤) التفسير الكبير (٧/ ١٢).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش برقم: (٥٨)، وابن حبان برقم: (٣٦١)، وأبو الشيخ في العظمة برقم: (١٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٠٥)، والطبري في تفسيره (٣/ ١٠)، وابن بطة في الإبانة برقم: (١٣٦)، وذكره ابن كثير في تفسيره وعزاه أيضاً لابن مردويه (٢/ ١٣).
وقال الشيخ الألباني بعد أن ذكر بعض طرق هذا الحديث: «وجملة القول أن الحديث بهذه الطرق صحيح، والحديث خرج مخرج التفسير لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وهو صريح في كون الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش، وأنه جرم قائم بنفسه، وليس شيئاً معنوياً، ففيه رد على من يتأوله بمعنى الملك، وسعة السلطان، كما جاء في بعض التفاسير، وما روي عن ابن عباس أنه العلم، فلا يصح إسناده إليه». السلسلة الصحيحة برقم: (١٠٩).

(٦) أخرجه أحمد في السنة - رواية عبد الله - برقم: (٥٨٦)، وابن أبي شيبة في العرش برقم: (٦١)، وابن =

وقال ابن الجوزي: «كان ابن عباس يفسر معنى الكرسي أنه موضع قدمي الجالس ليخرجه عن قول من يقول: إن الكرسي بمعنى العلم»[(١)].

وكذلك فسر الضحاك الكرسي فقال: الكرسي الذي يوضع تحت العرش الذي يجعل الملوك عليه أقدامهم[(٢)].

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: ما أخذت السموات والأرض من الكرسي إلا كما تأخذ الحلقة من أرض الفلاة[(٣)].

وذكر الطبري عن السدي أنه قال: «﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، فإن السموات والأرض في جوف الكرسي، والكرسي بين يدي العرش، وهو موضع قدميه[(٤)].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قول الحافظ أبي نعيم حيث قال: «وكرسيه جسم، والأرضون السبع والسموات السبع عند الكرسي كحلقة في أرض فلاة»[(٥)].

وأنكرت الجهمية والمعتزلة الكرسي وقالوا: إن كرسيه هو علمه، وسمى العلم كرسياً، تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم[(٦)].

قال عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على بشر المريسي: «ثم انتدبت أيها المريسي مكذباً بعرش الله، وكرسيه مطنبا في التكذيب بجهلك، متأولا في تكذيبه بخلاف ما تعقله العلماء، فرويت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: علمه، قلت: فمعنى الكرسي العلم فمن ذهب إلى غير العلم أكذبه كتاب الله تعالى.

فيقال لهذا المريسي: أما ما رويت عن ابن عباس فإنه من رواية جعفر الأحمر، وليس جعفر ممن يعتمد على روايته إذ قد خالفته الرواة الثقات المتقنون، وقد روى مسلم البطين

= خزيمة في التوحيد برقم: (١٥٤ - ١٥٦)، والدارمي في الرد على بشر المريسي (١/ ٣٩٩)، وابن منده في الرد على الجهمية برقم: (١٥)، والدارقطني في الصفات برقم: (٣٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٥٩)، وأبو الشيخ في العظمة برقم: (٢١٧)، والهروي في الأربعين في دلائل التوحيد برقم: (١٤)، وصححه الألباني في مختصر العلو (ص ١٠٢).

(١) العلل المتناهية (١/ ٧).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ١٠).

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٠٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣/ ١٠).

(٥) الحموية (ص ٣٥).

(٦) انظر: الرد على بشر المريسي (ص ٤٢٨ - ٤٢٩)، التنبيه والرد (ص ٩٥)، تفسير الكشاف (١/ ٣٨٥ - ٣٨٦).

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الكرسي خلاف ما ادعيت على ابن عباس»[١].

وقال الألوسي: «وقيل: مجاز عن العلم من تسمية الشيء بمكان؛ لأن الكرسي مكان العالم الذي فيه العلم، فيكون مكاناً للعلم بتعينه؛ لأن العرض يتبع المحل في التحيز حتى ذهبوا إلى أنه معنى قيام العرض بالمحل»[٢].

وقال الحافظ أبو نعيم: وكرسيه جسم، والأرضون السبع والسموات السبع عند الكرسي كحلقة في أرض فلاة، وليس كرسيه علمه، كما قالت الجهمية[٣].

ثم إن المعطلة استدلوا على ما قالوا بما نسب إلى ابن عباس أنه قال: الكرسي هو العلم[٤].

فثبت أنه لا يصح نسبته إلى ابن عباس والمحفوظ عنه ما جاء في الكرسي أنه موضع القدمين.

قال الأزهري: والصحيح عن ابن عباس في الكرسي ما رواه الثوري وغيره عن عمار الدهني عن مسلم... وهذه الرواية اتفق أهل العلم على صحتها، والذي روى عن ابن عباس في الكرسي أنه العلم فليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار[٥].

ومن هنا يتضح تحريف الجهمية والمعتزلة، وانحرافهم عن الحق، وتأويلهم للكرسي فراراً من إثبات الفوقية والعلو لله سبحانه[٦].

ومعنى قول الطحاوي: «وهو مستغن عن العرش وما دونه...»، أن الله تعالى مستغن عن العرش والكرسي، لم يستو على العرش لاحتياجه إليه، بل لحكمة بالغة قضاها، وهو متنزه عن أن يحتاج إلى العرش أو ما دونه، فشأن الله تعالى أعظم من ذلك، بل العرش والكرسي محمولان بقدرته وسلطانه ﷻ.

وحاصل كلام الإمام الطحاوي على وجه التفصيل أن يقال:

إن السلف وأئمة أهل السنة يثبتون العلو والفوقية والاستواء، ونفتها المعتزلة،

---

(١) الرد على بشر المريسي (ص ٤٢٨ - ٤٢٩).

(٢) تفسير روح المعاني (٣/ ١٠).

(٣) الحموية (ص ٣٥).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٩)، وفي سنده: جعفر بن أبي المغيرة، قال عنه الدارمي: إنه ليس ممن يعتمد في روايته، وقال ابن منده: ليس بالقوي في ابن جبير، وهو من روايته عنه في هذا الأثر. انظر: تهذيب التهذيب (٢/ ١٠٨).

(٥) تهذيب اللغة (٨/ ٥٤).

(٦) انظر: أصول السنة بتعليق محمد هارون (ص ٢٩٨).

ثم تبعها على نفيها متأخرو الأشعرية، كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله، وظواهر الشرع كلها تقتضي إثباتها لله تعالى، مثل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ [السجدة: ٥]، وقوله: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، إلى غير ذلك من الآيات التي إن سلط التأويل عليها عاد الشرع كله متأولًا، فإن قيل فيها: إنها من المتشابهات، عاد الشرع كله متشابها؛ لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء، وأن منها تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأن من السماء نزلت الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي ﷺ، حتى قرب من سدرة المنتهى، وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء، كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك[1].

قال أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين: «وكذلك فوقية معلومة ثابتة غير مكيفة كما يليق به، واستوائه على عرشه معلوم غير مكيف بحركة أو انتقال يليق بالمخلوق، بل كما يليق بعظمته وجلاله، وصفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت، غير معقولة من حيث التكييف والتحديد، فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه، أعمى من وجه، مبصراً من حيث الإثبات والوجود، أعمى من حيث التكييف والتحديد، وبهذا يحصل الجمع بين إثبات لما وصف الله به نفسه، وبين نفي التحريف والتشبيه والوقوف، وذلك هو مراد الرب تعالى منا في إبراز صفاته لنا لنعرفه بها، ونؤمن بحقائقها، وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل، لا فرق بين الاستواء والسمع، وبين النزول والبصر، الكل ورد في النص»[2].

وقال ابن عبد البر: «ومن الحجة أيضا في أنه ﷻ على العرش فوق السموات السبع، أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة، رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم ﵎، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم، وقد

(١) انظر: مناهج الأدلة (ص١٧٦ - ١٧٧).
(٢) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية للجويني (١/ ١٨٢).

قال ﷺ للأمة التي أراد مولاها عتقها إن كانت مؤمنة مختبراً إياها: **أين الله؟** فأشارت إلى السماء، ثم قال لها: **من أنا**، قالت: رسول الله قال: **أعتقها فإنها مؤمنة**»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله وكلام الصحابة والتابعين، وكلام سائر الأئمة مملوء مما هو نص أو ظاهر في أن الله ﷻ فوق كل شيء وأنه فوق العرش فوق السموات مستو على عرشه»(٢). ثم ذكر الأدلة على ذلك من الآيات والأحاديث.

ويقول ابن القيم رداً على هؤلاء المعطلة: «وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ يتضمن إبطال قول المعطلة والجهمية الذين يقولون ليس على العرش شيء سوى العدم، وإن الله ليس مستويا على عرشه، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا يصعد إليه الكلم الطيب، ولا رفع المسيح عليه الصلاة والسلام إليه، ولا عرج برسوله محمد، ولا تعرج الملائكة والروح إليه، ولا ينزل من عنده جبريل عليه الصلاة و السلام ولا غيره، ولا ينزل هو كل ليلة إلى السماء الدنيا، ولا يخافه عباده من الملائكة وغيرهم من فوقهم، ولا يراه المؤمنون في الدار الآخرة عيانا بأبصارهم من فوقهم، ولا تجوز الإشارة إليه بالأصابع إلى فوق كما أشار إليه النبي ﷺ في أعظم مجامعه في حجة الوداع، وجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكبها إلى الناس، ويقول: **اللهم اشهد**»(٣).

والنصوص الدالة على إثبات العلو والاستواء والفوقية من الكتاب والسنة كثيرة جدا، فقد أخبر الله سبحانه عن استوائه على عرشه في سبعة مواضع من القرآن، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]، وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤].

وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

---

(١) التمهيد (٧/ ١٣٤).
(٢) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢٨).
(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢٨).

كما ورد العلو والفوقية في مواضع أخرى من القرآن الكريم.

. قال أبو القاسم اللالكائي بعد أن ذكر بعض هذه الآيات: «فدلت هذه الآية أنه تعالى في السماء، وعلمه محيط بكل مكان من أرضه وسمائه»(١).

وأما الأحاديث والآثار فأكثر من أن تحصى وتعد، منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم في صلاة الفجر، وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وآتيناهم وهم يصلون»**(٢).

ومنها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **«من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يصعد إلى الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فوله، حتى تكون مثل الجبل»**(٣).

وفي حديث أنس رضي الله عنه: «أن زينب رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات»(٤).

ومنها: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مطولا ومرفوعا: **«ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء»**(٥).

ومنها: حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً: **«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»**(٦).

---

(١) السنة للالكائي (١/ ٩٠/ ٢).

(٢) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، برقم: (٧٤٢٩)، ومسلم، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، برقم: (٦٣٢).

(٣) أخرجه البخاري، ك: الزكاة، ب: لا تقبل صدقة من غلول، ولا يقبل إلا من كسب طيب، برقم: (١٤١٠).

(٤) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، برقم: (٧٤٢٠).

(٥) أخرجه البخاري، ك: المغازي، ب: بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن، برقم: (٤٣٥١)، ومسلم، ك: الزكاة، ب: ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم: (١٠٦٤).

(٦) أخرجه الترمذي، ك: البر والصلة، ب: ما جاء في رحمة الناس، برقم: (١٩٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: (١١٠٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٣٥٢٢).

قال عثمان بن سعيد الدارمي: «والأحاديث عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين ومن بعدهم في هذا أكثر من أن يحصيها كتابنا هذا، غير أنا قد اختصرنا من ذلك ما يستدل به أولو الألباب أن الأمة كلها والأمم السالفة قبلها لم يكونوا يشكون في معرفة الله تعالى أنه فوق السماء، بائن من خلقه، غير هذه العصابة الزائفة عن الحق، المخالفة للكتاب وأثارات العلم كلها»(١).

ومن أوضح الأدلة على علو الله سبحانه وفوقيته، حديث الجارية(٢)، فهذا الحديث صحيح أخرجه جماعة من أعلام المحدثين بأسانيد صحيحة، وطرق متوافرة.

ولكن استشكل هذا الحديث بعض ضعاف العقول والحجا من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم الذين من دأبهم تحكيم العقول في الشرع، فلا يقيمون للكتاب وزناً ولا للسنة قدراً.

فما رأوه مخالفاً لبدعتهم واعتقاداتهم الباطلة، وخواطرهم الفاسدة من الأحاديث الصحيحة الثابتة، فإن كان قابلًا للتأويل في زعمهم أولوه وحرفوه، وإن لم يكن قابلًا ردوه وأنكروه واستشنعوه، ورموه وراء ظهورهم، وبناء على أصولهم الفاسدة قد أوردوا عدة شبهات حول هذا الحديث، وأولوه بتأويلات لم تحتمل معناه.

فقالوا: إن معنى الاستواء هو الاستيلاء والملك والقهر والقدرة، كما ادعوا أن الله في كل مكان، ليس على عرشه فوق سمواته وفوق جميع مخلوقاته.

حتى تجرأ بعض من فروخ هؤلاء الجهمية، فقال في حديث الجارية: إن هذا كلام المرأة الساذجة، وليس فيه ما يستدل به على العلو والارتفاع والفوقية.

وهذا مذهب القوم في تأويل النصوص بآرائهم، وعلى ما أصلوا من قولهم، فأولوا الآيات والأحاديث، وحرفوا النصوص، وأنكروا العلو والاستواء(٣).

---

(١) الرد على الجهمية (ص ٣١).

(٢) أخرجه مسلم، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: تحريم الكلام في الصلاة، برقم: (٥٣٧)، عن معاوية بن الحكم، ولفظه: «قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: ائتني بها، فأتيته بها، فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة».

(٣) انظر: الرد على زنادقة والجهمية (ص ٣٧)، الرد على الجهمية للدارمي (ص ١٣)، الاختلاف في اللفظ (ص٢٤١)، شرح الأصول الخمسة (ص ٢٢٧)، كتاب التوحيد للماتريدي (ص ٧٢، ٧٣)، التوحيد للمعتزلي النيسابوري (ص ٥٩٩)، أصول الدين للبغدادي (ص ١١٣)، تحفة المريد على الجوهرة (ص٤٨).

فكلام المعطلة هذا كلام ساقط وتأويل باطل، ولم يرد منه إلا تعطيل الرب سبحانه وتعالى عن صفة العلو والاستواء.

أما علم هؤلاء أن رسول الله ﷺ جعل أمارة إيمانها وسبب عتقها معرفتها أن الله في السماء فإن سؤال الرسول ﷺ إياها: **أين الله؟** يكذب هؤلاء المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم القائلين بأن الله في كل مكان، وأنه لا يجوز أن يسأل عنه سبحانه بأين؟ فإنه لا يخلو منه مكان، ولو كان الأمر كذلك كما يدعون لأنكر عليها رسول ﷺ قولها وعلمها بأن الله في كل مكان، فإنها لو كانت امرأة ساذجة وكلامها كانت في غاية السذاجة والسفاهة كما يتفوه هؤلاء المعطلة، لما سكت عنه الرسول ﷺ الذي كان وظيفته الأول تبليغ الرسالة وأداء الأمانة ونصح الأمة، فإن تأخير البيان عن وقت الحاجة ليس من شأن الأنبياء.

ولكن صدقها الرسول ﷺ، وشهد لها بالإيمان بذلك، وأمر بعتقها، ولو كان هو سبحانه في كل مكان، لم يصدقها الرسول ﷺ حتى تقر بأنه في الأرض كما أقرت بأنه في السماء.

قال عثمان بن سعيد الدارمي: « فالله تبارك وتعالى فوق عرشه، فوق سمواته، بائن من خلقه، فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلهه الذي يعبد، وعلمه من فوق العرش بأقصى خلقه، وأدناهم واحد، ولا يبعد عنه شيء، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]، سبحانه وتعالى عما يصفه المعطلون علوا كبيرا»[١].

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي: «ومن أجهل جهلا وأسخف عقلا وأضل سبيلا ممن يقول: إنه لا يجوز أن يقال: أين الله؟ بعد تصريح صاحب الشريعة بقوله: **أين الله؟**»[٢].

وهذه المسألة - مسألة العلو والاستواء - بسطها علماء السلف في كتبهم ومؤلفاتهم، وردوا على المعطلة القائلين بأن الله في كل مكان، حتى أفرد بعض منهم كابن قدامة، والذهبي، وابن القيم كتباً خاصة في إثبات العلو لله سبحانه، وفوقيته على خلقه، واستوائه على عرشه[٣].

---

(١) الرد على الجهمية (ص ٢٣).

(٢) عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (ص٢٦) - المجموعة العلمية السعودية-.

(٣) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية (ص ٣٧)، الرد على الجهمية للدارمي (ص ١٧)، الاختلاف في اللفظ (ص ٢٤٢)، رسالة في الاستواء والفوقية للجويني (ص ١٧٧ - ١٨٢)، الحموية (ص ١٧)، شرح حديث =

الأسئلة والأجوبة على: أن العرش والكرسي حق

س١: وضِّح ما هو العرش لغة واصطلاحاً مع بيان الأدلة على ثبوته؟

ج١: العرش لغة: سرير المَلِك، قال تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣].

وشرعاً: هو سرير ذو قوائم[1]، تحمله الملائكة، خلقه الله واستوى عليه.

وهو سقف هذا العالم، وهو كالقبة فوق المخلوقات.

الأدلة على ثبوته:

١- من الكتاب: قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]، ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]، ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، إلى غير ذلك.

٢- ومن السنة حديث دعاء الكرب: «**لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله رب العرش الكريم**»[2].

وقال النبي ﷺ: «**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن**»[3].

وقول ابن رواحة:

وأن العرش فوق الماء طافا وفوق العرش رب العالمينا

س٢: ما المقصود بالعرش عند الفلاسفة والمتكلمين، وعند أهل السنة والجماعة مع الرد على الفرق المخالفة لأهل السنة؟

ج٢: العرش عند أهل السنة هو السرير ذو القوائم، تحمله الملائكة، خلقه الله واستوى عليه.

= النزول (ص ٥٩)، العلو للمقدسي (ص ١٠)، العلو للذهبي (ص ٥٨)، مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٤٠)، اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٣١)، لوامع الأنوار البهية (١/ ١٩٠)، وراجع: أصول السنة بتعليق محمد هارون (ص٣٤٢- ٣٥١).

(١) جاء التصريح بذكر القوائم في قوله ﷺ: «**لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش...**» الحديث. أخرجه البخاري، ك: الخصومات، ب: ما يذكر من الإشخاص والخصومة، برقم: (٢٤١٢)، ومسلم، ك: الفضائل، ب: فضائل موسى عليه السلام، برقم: (٢٣٧٣).

(٢) أخرجه البخاري، ك: الدعوات، ب: الدعاء عند الكرب، برقم: (٦٣٤٥)، ومسلم، ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب: دعاء الكرب، برقم: (٢٧٣٠).

(٣) أخرجه البخاري، ك: الجهاد، ب: درجات المجاهدين، برقم: (٢٧٩٠).

وهو سقف هذا العالم، وهو كالقبة فوق المخلوقات.

روى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى»[١].

أما الفلاسفة فقالوا: إن العرش عبارة عن الملك.

وقال بعض المتكلمين: إن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه، محيط بالعالم من كل وجه، وربما سموه الفلك الأطلس، والفلك التاسع.

ويرد على الفلاسفة والمتكلمين بما يأتي:

أولا: إن قولهم مخالف للغة العرش، فإن العرش عندهم عبارة عن العهد الذي للملك، قال تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]، وليس ملكاً ولا فلكاً، ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغتهم.

ثانيا: ويرد عليهم بقوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، فهل يقال: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية.

وقد ثبت أن له قوائم خلافاً لمن قال هو فلك مستدير لا منافذ له، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، فهل يقال: كان ملكه على الماء.

ثالثاً: يقول الرسول ﷺ: «**فإن الناس يصعقون، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، ولا أدري أفاق قبلي، أم جوزي بصعقة الطور**»[٢]، فلا يعقل أن يقال: إن موسى آخذ بقائمة من قوائم الملك، فالأدلة أثبتت القوائم.

س٣: ما مقصود من فسر العرش بالملك أو الفلك؟

ج٣: غرضهم من ذلك نفي العلو والاستواء، إذ يقولون: استوى بمعنى استولى، وأن الله ليس له جهة لئلا يقال بالتحيز، فيدعو إلى التجسيم، والتشبيه بالمخلوقات، تعالى الله عن قولهم علوا كبيراً.

س٤: عرف الكرسي لغة وشرعاً، مع بيان الفارق بينه وبين العرش؟

ج٤: الكرسيُّ لغة: يطلق على السرير، وقيل: العلم.

وشرعاً: هو مخلوق عظيم، وهو موضع قدمي الرب جل وعلا.

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) تقدم تخريجه.

والفرق بين الكرسي والعرش هو أن العرش سرير الملك، والكرسي هو موضع القدمين.

أدلة ثبوت الكرسي:

والأدلة على ثبوت الكرسي كثيرة، منها:

١- من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢- ومن السنة: قول أبي ذر ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد، ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**»[(١)].

س٥: ما المراد بالكرسي؟ واذكر خلاف العلماء فيه؟

ج٥: ١- إن أهل السنة والجماعة يقولون: إن الكرسي موضع القدمين لله، وهو الصحيح لثبوت ذلك عن ابن عباس ﷺ، حيث قال: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى»[(٢)]، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢- قال بعض الناس: إن الكرسي هو العرش، وهذا ليس صحيحاً؛ لأنه قد وردت آثار تدل على أن الكرسي بين يدي العرش، كما قال النبي ﷺ: «**ما الكرسي بين يدي العرش إلا كحلقة من حديد**»[(٣)].

٣- وقيل: كرسيه علمه، وهو قول للمتكلمين، وغرضهم من عدم إثبات الكرسي هو نفي العلو.

س٦: قال الطحاوي: «وهو سبحانه مستغن عن العرش»، وذلك بعد ذكره للعرش والكرسي، فما غرضه بذلك؟

ج٦: غرضه بذلك بيان أن الله مستغن عن العرش مع أنه مستوٍ عليه، فليس هو محتاجاً إليه، بل له بذلك حكمة اقتضت كون العالي فوق السافل،لا يلزم منه أن يكون السافل حاوياً للعالي، محيطاً به حاملًا له.

ولا يلزم منه أن الأعلى مفتقر إليه، فالله أعظم من أن يلزم من علوه ذلك.

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه قريباً.

س٧: هات مثالا من المخلوقات يبين استغناء الله تعالى عن العرش مع استوائه عليه؟

ج٧: مثال ذلك السماء والأرض، فانظر إلى السماء وهي فوق الأرض، وليست مفتقرة إليها، فالرب ﷻ أعظم من أن يلزم من علو ذلك افتقار.

س٨: دلل على استغناء الله تعالى عن خلقه؟

ج٨: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]، وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

س٩: اذكر شيئاً من لوازم علو الخالق على المخلوق، ثم بيِّن هل يمكن أن تتحقق هذه اللوازم في حق المخلوق؟

ج٩: لوازم علو الخالق على المخلوق:

١- حمله بقدرته للسافل.

٢- فقر السافل إليه.

٣- غناه سبحانه عن السافل.

٤- إحاطته سبحانه به، فهو سبحانه فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته. وغناه عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش، وعدم حصر العرش له، وهذه لوازم منتفية عن المخلوق.

س١٠: ما أثر الإيمان بالعرش والكرسي على المؤمن؟

ج١٠: المؤمن إذا آمن بأن عرش الله ﷻ حق، وأنه عظيم ومجيد وكريم، وأن النبي ﷺ حدث عن أحد حملة العرش بأن مسيرة ما بين عاتقه إلى شحمة أذنه خمسمئة عام، وأن السموات والأرض بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة، والكرسي بالنسبة إلى العرش كذلك، فلا شك أن هذا يؤول بالمؤمن إلى تعظيم الله جل جلاله، وإجلاله، وإلى الخضوع والذل لله الملك الجبار، واحتقار النفس ومعرفة قدرها الوضيع، وكذلك يورث الوجل والخوف وحب الله جلا وعلا، والإنابة إليه، وهذا كله من المقاصد الشرعية.

س١١: ما معنى قول الطحاوي: «محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة به خلقَه»؟

ج١١: إن الله ﷻ محيط بكل شيء من المخلوقات، العرش وما دونه، وليس فوق العرش إلا الله تعالى، وقد أحاط بكل خلقه، إحاطة علم وإدراك، وإحاطة غلبة وقهر، ولا

يحيط به أحد من خلقه، كما قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠]، فسبحان ذي العزة والجلال والملكوت.

س١٢: بيِّن لماذا اختار الشارح إثبات الواو في قول الطحاوي: «محيط بكل شيء وفوقه»؟ وبيِّن وجه ما جاء في بعض النسخ من حذفها؟ وبيِّن ما أبدته بإثباتها؟

ج١٢: اختار الشارح إثبات الواو حتى لا يتوهم أن هناك شيئاً فوقه سبحانه؛ لأن معنى العبارة بإثباتها أنه محيط سبحانه بكل شيء، وفوق كل شيء.

ومعنى العبارة بحذفها: أنه محيط بكل شيء فوق العرش، فلزم منه أن يكون هناك شيء فوق العرش، تعالى الله عن ذلك.

وسبب حذف الواو:

١- إما أن بعض النساخ نسيها فأسقطها، ثم استنسخ بعض الناس من هذه النسخة.

٢- أو أن إسقاطها من المحرفين قصداً للفساد، وإنكار صفة العلو.

وأيد المصنف إثباتها بأن الدليل ثابت على أن العرش هو أعلى المخلوقات، وأن الله فوقه، فلا يبقى من قوله: «محيط» بمعنى: محيط بكل شيء فوق العرش - والحالة هذه - معنى: إذ ليس فوقه من المخلوقات مايحاط به، فتعين ثبوت الواو.

س١٣: ما الدليل على إحاطة الله تعالى بخلقه؟

ج١٣: الدليل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج: ٢٠]، وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٤]، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦].

والمراد بالإحاطة: إحاطة عظمته وسعة علمه وقدرته، وأن المخلوقات في يده كخردلة في يد أحدنا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما السموات والأرض السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم»[١].

وليس المراد من الإحاطة أنه كالفلك، وأن المخلوقات داخلة في ذاته المقدسة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره برقم: (٣٠٢١٢)، تفسير سورة الزمر: الآية: ٦٧، وفي إسناده: عمرو بن مالك النكري، وهو صدوق له أوهام، وبقية رجاله ثقات.

س١٤: قال الطحاوي: «محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه»، وضِّح ما هي أنواع الأدلة على علو الله على خلقه؟ مع إيراد شيء من الأدلة النقلية؟

ج١٤: أنواع الأدلة ثلاثة:

١- نقلية. ٢- عقلية. ٣- فطرية.

١- ومن الأدلة النقلية: قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال النبي ﷺ لسعد: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات»(١).

وفي حديث الجارية، يقول النبي ﷺ: «أين الله؟ قالت: في السماء»(٢).

٢- وأما الدليل العقلي فهو من ثلاثة أوجه:

أ- الأول: العلم البديهي القاطع أن كل موجودين إمَّا أن يكون أحدهما سارياً في الآخر سريان الصفة في الموصوف، وإما أن يكون كل واحد قائماً بذاته منفصلًا عن الآخر.

فالأول باطل باتفاق؛ لأنه يقتضي كون العالم واقعاً خارج ذاته، فيكون منفصلًا، فاقتضت المباينة؛ لأن القول بأنه غير منفصل عن العالم وغير متصل به غير معقول.

ب - الثاني: أن الله لما خلق العالم، فإما أن يكون خلقه داخل ذاته أو خارجها، فالأول باطل؛ لأنه يلزم أن يكون الله محلًا للخسائس والعيوب تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، والثاني: يقتضي أن يكون العالم واقعاً خارج ذاته، فيكون منفصلًا، فثبتت المباينة؛ لأن القول بأنه غير منفصل عن العالم وغير متصل به غير معقول.

ج - الثالث: أن كونه سبحانه لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية؛ لأنه غير معقول، فيكون موجوداً إما داخله أو خارجه، الأول: باطل، والثاني: متعين، فلزمت المباينة.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الجهاد، ب: إذ نزل الضرر على حكم رجل، برقم: (٣٠٤٣)، ومسلم، ك: الجهاد والسير، ب: جواز قتال من نقض العهد...، برقم: (١٧٦٨)، ولفظه عندهما: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك»، دون قوله: «فوق سبع سماوات»، وهي زيادة ضعيفة كما حقق ذلك الألباني. انظر: حاشيته على شرح الطحاوية (ح: ٣١٢).

(٢) تقدم تخريجه.

٣- وأما الدليل الفطري على علو الله تعالى؛ فإن الخلق جميعهم بطبائعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى،وقصة أبي المعالي وإعجاز الهمداني له مشهورة.

س١٥: اذكر الأدلة النقلية على علو الله على خلقه؟

ج١٥: تنوعت أدلة العلو من الكتاب والسنة، وأوصلها العلامة ابن القيم إلى عشرين نوعاً، منها:

١- التصريح بالفوقية مقروناً بأداة «مِنْ» المعيِّنة للفوقية بالذات كما في قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠].

٢- ذكرها مجرداً عن الأداة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

٣- التصريح بعروج بعض المخلوقات، كقوله تعالى:
﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

٤- التصريح بالصعود إليه برفع بعض المخلوقات، كقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وكقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

٥- التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتاً وقدراً وقهراً، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الشورى: ٤].

٦- التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢].

٧- التصريح بأنه تعالى في السماء كقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦].

٨- التصريح بالاستواء مقروناً بأداة «على»، مختصاً بالعرش الذي هو أعلى المخلوقات، كقوله: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

٩- الإشارة إليه إلى جهة العلو حساً كما أشار إليه النبي ﷺ - وهو أعلم بربه-، حيث قال: «أنتم مسئولون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فرفع أصبعه الكريم إلى السماء قائلًا: اللهم اشهد»[١].

١٠- التصريح بلفظ الأين، كقول أعلم الخلق به وأنصحهم لأمته ﷺ: «أين الله؟»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الحج، ب: صحبة النبي ﷺ، برقم: (١٢١٨)، من حديث جابر.
(٢) تقدم تخريجه، وقد أورده الذهبي في العلو (ص١٦)، وقال: «هذا حديث صحيح متواتر، رواه جماعة من الثقات عن معاوية السلمي».

س١٦: اذكر بعض أقوال أهل العلم في إثبات صفة العلو لله تعالى؟

ج١٦: قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: «من قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فقد كفر، وكذا من قال: إنه على العرش، ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض»(١).

وقال عبد الله بن المبارك: «نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماواته، على العرش استوى، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية»(٢).

وقال الأوزاعي: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة الصحيحة من صفاته»(٣).

س١٧: ما المقصود من قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]؟

ج١٧: إما أن تكون: ﴿فِي﴾ بمعنى على، وإما أن يراد بالسماء العلو.

س١٨: كيف يتم الاستدلال بقوله تعالى: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾ [غافر: ٣٦]، الآية على إثبات صفة العلو؟

ج١٨: وجهه أن موسى قد أخبر فرعون أن الله في السماء، فأنكر فرعون ذلك وقال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر: ٣٧].

س١٩: بيِّن حكم أبي حنيفة على من أنكر أن يكون الله فوق العرش، أو أقر بذلك ولكن لم يؤمن أن العرش فوق العالم؟ وما دليله على كلا الحكمين؟

ج١٩: حكمه على من أنكر أن الله فوق العرش أنه كافر، مستدلًا بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وعرشه فوق سمواته، وحكمه على من لا يؤمن بأن العرش فوق العالم، أنه كافر؛ لأنه أنكر أن العرش في السماء، ومن أنكر أنه في السماء، فقد كفر، وزاد غيره؛ لأن الله أعلى عليين، وهو يدعى من أعلى لا من أسفل.

---

(١) انظر: الفقه الأبسط (ص ٥٧)، ونقل نحو هذا اللفظ شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٤٨)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٣٩)، والذهبي في العلو (ص١٠١ - ١٠٢)، وابن قدامة في العلو (ص١١٦)، وابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص٤٢٩).

(٢) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (ص١٣)، والرد على الجهمية للدارمي (ص٦٧)، والأسماء والصفات (ص ٤٢٧).

(٣) انظر: الأسماء والصفات (ص٤٠٨)، فتح الباري (١٣/ ٤٠٦).

س٢٠: ما معنى قول الشارح: «من نفى العلو فهو فرعوني، ومن أثبته فهو موسوي محمدي»؟

ج٢٠: أي: أن من نفى العلو فهو منسوب إلى إمامه بذلك فرعون حيث قد أنكر العلو، فهو إمام الجهمية، ومن أثبته فهو منسوب إلى موسى ومحمد فهما إمامان له بذلك، فقد ثبتت أخبار كثيرة عن الرسول ﷺ بإثبات العلو وصفته.

س٢١: ذهبت طوائف من المعطلة إلى تفسير فوقيته تعالى على عباده بالخيرية والفضل، فكيف ترد عليهم؟

ج٢١: يقال لهم: إن قولكم هذا مما تنفر منه العقول السليمة، وتشمئز منه القلوب الصحيحة فإن قول القائل عن الله: «خير من عباده»، ونحوه، مثل قول القائل: «محمد أفضل من اليهود»، فإنه ليس في ذلك مدح، ولا تعظيم، ولا توحيد، بل هو كلام من أقبح الكلام وأهجنه فكيف يليق هذا الفهم بكلام رب العالمين الذي لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

ولو قال إنسان: الجوهرة فوق البصل لضحك منه العقلاء للتفاوت فيما بينهما، ومثل قوله الشاعر:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل: إن السيف أمضى من العصا

والتفاوت الذي بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم.

س٢٢: كيف ترد على من استدل بقوله تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، على تفسير الفوقية بالخيرية؟ ومتى يصح أن يقال: إن الله خير من عباده؟

ج٢٢: نقول له هذا الكلام لا يجوز ابتداء، وإنما ذلك جائز إذا كان للاحتجاج والرد على باطل.

س٢٣: متى يقبل تفسير من فسر الفوقية بالخيرية بأنه صحيح؟

ج٢٣: يدخل ذلك ضمن ثبوت الفوقية المطلقة من كل وجه.

س٢٤: اذكر أنواع الفوقية والعلو مع بيان النوع الذي أنكرته الجهمية؟ ولماذا أنكروه وكيف ترد عليهم؟

ج٢٤: أنواع الفوقية ثلاثة:

١- علو الذات. ٢- علو القهر. ٣- علو القدر.

س٢٥: أورد أهل الأهواء اعتراضاً على الدليل الفطري لعلو الله تعالى، وضِّح هذا الاعتراض؟ وكيف ترد عليه؟

ج٢٥: اعترض عليه أن ذلك إنما كان لكون السماء قبلة الدعاء، كما أن الكعبة قبلة للصلاة، ثم هو منقوض بوضع الجبهة على الأرض في السجود مع أنه ليس في جهة الأرض.

ويرد عليهم قولهم: إن السماء قبلة للدعاء من أوجه:

الأول: إن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، وكان النبي ﷺ يستقبل القبلة في دعائه في كثير من المواطن، فمن زعم أن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة، أو أن له قبلتين إحداهما السماء، والأخرى الكعبة فهو مخالف لإجماع المسلمين.

الثاني: أن هذا القول لم يقل به أحد من السلف، ولا نزل به من الله سلطان، ثم إن هذه الأمور الشرعية الدينية لا يجوز أن تخفى على جميع علماء الأمة.

الثالث: إن القبلة هي ما يستقبله العابد بوجهه، كما يستقبل الكعبة بالصلاة والذبح، ونحوهما، فأما ما حاذاه المرء برأسه أو بيده أو جبهته، فلا يسمى قبلة لا حقيقة، ولا مجازاً، ثم إن الرسل لم تأمر الداعي أن يستقبل السماء بوجهه، بل نهوه عن ذلك، ثم أمر القبلة مما يقبل النسخ كما نسخت القبلة من الصخرة إلى الكعبة، وأمر التوجه بالدعاء إلى جهة العلو مركوز في الفطرة، والمستقبل للكعبة يعلم أن الله ليس هناك بخلاف الداعي، فإنه يتوجه بقلبه إلى العلو، فيرد ذلك بأنه فاسد؛ لأن واضع الجبهة إنما قصد الخضوع لمن فوقه بالذل، ولم يقصد أن الله في أسفل، بل إن هذا لا يخطر بقلب ساجد إلا ما سمع عن المريسي أنه كان يقول في سجوده: سبحان ربي الأسفل، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

س٢٦: ما مذهب السلف في صفة الاستواء؟ مع ذكر الأدلة؟

ج٢٦: السلف رحمهم الله تعالى يثبتون استواء الله على عرشه، وعلوه على خلقه على ما يليق بجلاله وعظمته.

قال ابن المبارك: «نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماوات على العرش استوى، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية»[1].

---

(١) انظر: السنة (ص١٣)، الرد على الجهمية للدارمي (ص٦٧، ١٦٢)، الرد على المريسي (ص١٠٣)، الأسماء والصفات (ص٤٢٧).

وقال الإمام أحمد: «نحن نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء، وكما شاء، بلا حد، ولا صفة يبلغها واصف»(١).

وقال أبو حنيفة: «ونقر بأن الله تعالى على العرش استوى، من غير أن يكون له حاجة»(٢).

وقال الشافعي: «... وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء...»(٣).

وقال الإمام مالك لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، كيف استوى؟ فقال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول...»(٤).

واستدلوا بالكتاب والسنة، ومن تلك الأدلة: قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقوله ﷺ: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتابه عند فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**»(٥).

س٢٧: اذكر مذهب أهل السنة والجماعة في صفة العلو؟

ج٢٧: يؤمن أهل السنة والجماعة بأن الله تعالى مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه كما وردت بذلك الآيات والأحاديث الصحيحة، وليس استواؤه كاستواء أحد من خلقه، وإنما هو استواء على الكيفية اللائقة بجلاله ﷻ، نؤمن له، ولا نكيف، بل نكل علم الكيفية إلى الله تعالى، لكنه علا وارتفع واستقر على عرشه من غير حاجة إليه.

وإليك البيان على الوجه التفصيل:

إن القول بأن الله تعالى فوق عباده، عال على خلقه، مستوٍ على عرشه، قد أجمعت عليها الشرائع السماوية، والكتب الإلهية والأنبياء والمرسلون(٦).

وأهل الأديان كلهم أجمعون مع المسلمين(٧)، حتى الفلسفة اليونانيين الكافرين(٨)،

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣٠). (٢) شرح الوصية (ص١٠).

(٣) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٦٥)، العلو للذهبي (ص١٢٠).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (ص٢٩٠ - ٢٩١).

(٥) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨، ٣٠]، برقم: (٧٤٠٤)، ومسلم، ك: التوبة، ب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، برقم: (٢٧٥١)، من حديث أبي هريرة.

(٦) انظر: الغنية للجيلاني (١/ ٦٣).

(٧) انظر: خلق أفعال العباد (ص١٥-١٦)، تأويل مختلف الحديث (٢٧٢).

(٨) انظر: مناهج الأدلة (١٧٦).

وحتى اليهود والنصارى[١]، بل العرب والعجم[٢]، والآدميون كلهم عربهم وعجمهم، مؤمنوهم وكافروهم[٣]، وكل عاقل من مسلم وكافر[٤]، وجميع بني آدم[٥]، وعلى ذلك إجماع الأولين والآخرين العالمين منهم والجاهلين، وكل من مضى وعبر، حتى فرعون ونمرود[٦].

س٢٨: من هم المخالفون لمذهب أهل السنة والجماعة في صفة العلو؟

ج٢٨: المخالفون لهذه العقيدة والخارقون لهذا الإجماع، والخارجون على هذه الفطرة، فرق شتى وكل معطلة زنادقة ومنها:

١- الجهمية الأولى: قالوا: إن الله في كل مكان، معاذ الله.

٢- الصوفية الحلولية: قالوا: الله في كل شيء، حتى في الكلب، والخنزير، والقرد، والفهد، معاذ الله.

وهذا القول يرجع إلى الأول، فقول الجهمية وهؤلاء الصوفية قول بالحلول المطلق، وهو أخبث من قول النصارى.

٣- الصوفية الاتحادية، قالوا: الله كل شيء حتى الخنزير، والفرج، والذكر، معاذ الله عن ذلك.

وهم أكفر من اليهود والنصارى، المجوس والهندوس، وغيرهم من الكفرة المشركين الوثنيين.

٤- المعتزلة وأفراخهم من الحنفية الماتريدية ومتأخرة الأشعرية الكلابيين، قالوا: إن الله لا فوق العالم ولا تحته، ولا يمين العالم ولا شماله، ولا أمام العالم ولا خلفه[٧].

وأنه ليس على العرش، ولا فوق العرش، ولا فوق العالم[٨].

---

(١) خلق أفعال العباد (ص ١٥- ١٦).
(٢) تأويل مختلف الحديث (١٧٢)، التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣٤).
(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢٠)، عن ابن كلاب إمام الكلابية.
(٤) رد الدارمي على المريسي (٢٥).
(٥) درء التعارض (٦/ ٢٠٨) عن أبي يعلى.
(٦) التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٥٤).
(٧) انظر: شرح العقائد (٤٠)، شرح المواقف (٨/ ١٨)، حاشية الكستيلي (٧٢)، بدء الأمالي مع شرح ضوء المعالي (٢٣ - ٢٥)، النبراس (١٨٠).
(٨) أصول الدين للبزدوي (٢٨، ٣١)، وانظر: ضوء المعالي للقاري (٢٥).

وأن من وصف الله بأنه في السماء أو بأنه فوق فهو كافر[(١)].

وهـؤلاء هـم أهـل الجحود والإنكـار، كما صرح بذلك شيخ الإسـلام ابـن تيمية رحمه الله تعالى.

س٢٩: اذكر نصوص أئمة الإسلام في علو الله على خلقه؟

ج٢٩: ١- قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ (١٥٠ هـ): «من قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر...»[(٢)].

٢- وقال إمام أهل الشام الأوزاعي (١٥٧ هـ): «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى فوق عرشه»[(٣)].

٣- وقال الإمام مالك (١٧٩ هـ): «الله في السماء، وعلمه في كل مكان»[(٤)].

٤- وقال الإمام عبد الرحمن بن مهدي (١٩٨ هـ): «إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله قد كلم موسى، وأن يكون على العرش، يستتابوا، فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم»[(٥)].

٥- وسئل الإمام علي بن عبد الله المديني (٢٣٤ هـ): «ما قول أهل السنة والجماعة... فقال: يؤمن بالرؤية، وبالكلام، وأن الله عَزَّوَجَلَّ فوق السماوات على عرشه استوى»[(٦)].

٦- وقال الإمام قتيبة بن سعيد (٢٤٠ هـ): «هذا قول الأئمة في الإسلام: نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه»[(٧)].

٧- وسئل إمام أهل السنة أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ): «الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرته وعلمه في كل مكان»، فأجاب: «نعم هو على عرشه، وعلمه لا يخلو منه مكان»[(٨)].

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ عمن يقول: إن الله تعالى ليس على العرش، فقال: كلامهم كله يدور على الكفر[(٩)].

---

(١) البحر الرائق (٥/ ١٢٠).
(٢) الفقه الأبسط (ص ٤٩ - ٥٢).
(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٤٠٨).
(٤) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣٨)، مسائل الإمام أحمد لأبي داود (٢٦٣).
(٥) انظر: مسائل أبي داود (٢٦٢).
(٦) انظر: الحموية (ص٥٣).
(٧) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣٨).
(٨) انظر: السنة لأحمد رواية الإصطخري (ص٧٥)، السنة للالكائي (٣/ ٤٤٥).
(٩) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢٠٠).

٨، ٩- وقال الإمامان الجليلان أبو زرعة (٢٦٤ هـ)، وأبو حاتم (٢٧٧ هـ) الرازيان: «أجمع أهل الإسلام على إثبات الصفات لله تعالى وأنه على عرشه، بائن من خلقه، وعلم الله في كل مكان، من قال غير هذا فعليه لعنة الله»[١].

١٠- وقال الإمام أبو بكر ابن خزيمة (٣١١ هـ): «من لم يقر بأن الله تعالى على عرشه قد استوى، فوق سماواته بائن من خلقه، فهو كافر، يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وألقي على بعض المزابل حيث لا يتأذى المسلمون والمعاهدون بنتن ريح جيفته، وكان ماله فيئاً لا يرثه أحد من الدين؛ إذ المسلم لا يرث الكافر»[٢].

١١- وقال الإمام الذهبي ناقد الرجال والفرق (٧٤٨ هـ): «مقالة السلف وأئمة السنة، بل الله ورسوله والمؤمنون: أن الله ﷻ في السماء وأن الله على العرش وأن الله فوق سماواته...

ومقالة الجهمية: أنه في جميع الأمكنة، ومقالة متأخري المتكلمين: أن الله تعالى ليس في السماء ولا على العرش، ولا على السماوات، ولا في الأرض، ولا في العالم، ولا هو بائن من خلقه، ولا هو متصل بهم.

قال لهم أهل السنة والأثر... فإن هذه السلوب نعوت المعدوم تعالى الله جل جلاله عن العدم، بل هو يخبر خلقه بما وصف فيه: أنه فوق العرش بلا كيف»[٣].

إثبات الخلة والمحبة

قال الطحاوي: «ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، وكلَّم اللهُ موسى تكليماً، إيماناً وتصديقاً وتسليماً».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[دليل الخلة:]

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ

(١) انظر: أصول السنة (ص٣٧-٤٣)، السنة للالكائي (١/١٩٨).
(٢) انظر: معرفة علوم الحديث للحاكم (ص٨٤).
(٣) العلو (ص١٠٧، ١٩٥)، مختصر العلو (ص١٤٦-١٤٧، ١٨٧).

مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

[معنى الخلة:]

الخُلَّةُ هي: المحبة المستغرقة للمحب، كما قيل:

قد تخللت مسلك الروح مني ولذا سُمّي الخليل خليلا

[الخلة على ما يليق بالله:]

ولكن محبته وخلته كما يليق به تعالى، كسائر صفاته، ويشهد لما دلت عليه الآية الكريمة ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو كنت متخذا خليلًا من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الله**»(١)، يعني: نفسه ﷺ.

[المستحق لخلة الرسول ﷺ:]

فبين ﷺ أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلا، وأنه لو أمكن ذلك لكان أحق الناس به أبو بكر الصديق، مع أنه ﷺ قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصا، كقوله في الصحيحين(٢) لما قال له عمرو بن العاص: «أي الناس أحب إليك؟ قال: **عائشة**، قال: فمن الرجال؟ قال: **أبوها**».

[الخلة أخص من المحبة:]

فعلم أن الخلة أخص من مطلق المحبة، والمحبوب بها لكمالها يكون محبا لذاته لا لشيء آخر، إذ المحبوب لغيره هو مؤخر في الحب عن ذلك الغير، ومن كمالها لا تقبل الشركة ولا المزاحمة؛ لتخللها المحبة، ففيها كمال التوحيد وكمال الحب.

[ثبوت الخلة والتكلم لمحمد ﷺ:]

هذا، وكما أن منزلة الخلة الثابتة لإبراهيم صلوات عليه قد شاركه فيها نبينا ﷺ عليه كما تقدم، كذلك منزلة التكليم الثابتة لموسى صلوات الله عليه قد شارك فيها نبينا ﷺ كما ثبت ذلك في حديث الإسراء.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم: (٢٣٨٣)، من حديث ابن مسعود.

(٢) صحيح البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب: قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذا خليلا**»، برقم: (٣٦٦٢)، صحيح مسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم: (٢٣٨٤).

الأسئلة والأجوبة على إثبات صفة الخلة والمحبة

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «إن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، وكلَّم اللهُ موسى تكليماً، إيماناً وتصديقاً وتسليماً»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «إن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، وكلَّم اللهُ موسى تكليماً، إيماناً وتصديقاً وتسليماً» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- دليل الخلة.
٢- معنى الخلة.
٣- الخلة على ما يليق بالله.
٤- المستحق لخلة الرسول ﷺ.
٥- الخلة أخص من المحبة.
٦- ثبوت الخلة والتكلم لمحمد ﷺ.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «إن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، وكلَّم اللهُ موسى تكليماً، إيماناً وتصديقاً وتسليماً»؟

ج٢: إن الله تعالى قد اتخذ نبيه إبراهيم خليلًا، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، فقربه واصطفاه، واجتباه وأدناه، وبلغه منزلة لم يبلغها سواه، إلا النبي محمد ﷺ، كما أنه ﷻ كلم موسى عليه السلام تكليما، كما قال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وأكد بالمصدر هنا ليوضح أن المقصود هو الكلام عن الله تعالى، بل هو كلام حق بحروف وصوت على الكيفية اللائقة به سبحانه وتعالى، نؤمن بذلك كله على ما وردت به النصوص، فلا ننفيه ولا نؤوله، إيماناً بالخير وتصديقاً، وتسليماً لمراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ.

س٣: قال الطحاوي: «ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلًا...»؟ وضِّح المراد بالخلة مع بيان الفرق بينهما وبين المحبة؟

ج٣: المراد بالخلة كمال المحبة وخالصها، وهي التي تخللت شعاب القلب فسلكها مسلك الروح من الجسد.

والفرق بين الخلة والمحبة:

أن الخلة أخص من المحبة، وكل خلة محبة، ولا عكس، أي: ليس كل محبة خلة، والمحبوب بالخلة لذاته لا ينسى أحدهما الآخر بخلاف المحبة.

س٤: من هم الذين أنكروا الخلة من الجانبين؟ وكيف تجيب على إنكارهم وشبهتهم؟

ج٤: الطائفة هي: الجهمية، قالوا: لو كانت من جانب الرسول لم تكن من جانب الله،

وشبهتهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحبوب والمحب، ولا مناسبة بين القديم والمحدث، وفسروا الخلة في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، أي: فقيرا ومحتاجاً.

ويرد عليهم: أن هذا التأويل باطل؛ لأن الفقر والاحتياج لازم لكل مخلوق، وليس خاصاً بإبراهيم، وعلى ذلك لا تكون الخلة بإبراهيم ذات معنى، وأيضاً كل مخلوق يتصف بالفقر والاحتياج.

س٥: قال الطحاوي: «إن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، وكلَّم اللهُ موسى تكليماً، إيماناً وتصديقاً وتسليماً» وضِّح الدليل على تكليم الله لموسى عليه السلام، وهل ذلك خاص بموسى؟ اشرح ذلك مبينا من أنكر تكليم الله لعباده، وحجتهم في ذلك؟

ج٥: الدليل قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وهو ليس خاصا بموسى، فقد ثبت أن النبي ﷺ: «كلمه الله ليلة أسري به»[١]، وكما ثبت: «أن أهل الموقف سيكلمهم الله ليس بينه وبينهم ترجمان»[٢].

والجهمية والمعتزلة أنكروا التكليم.

وشبهتهم في ذلك: لئلا يدعوا إلى التجسيم؛ لأننا لا نعرف التكلم إلا للجسم.

ويرد عليهم: أننا إذا أثبتنا صفة التكليم على ما يليق بعظمته، فإنه لا يلزم التشبيه، فإن الله أثبت للأيدي والجلود يوم القيامة كلاماً، مع أننا لا نعرف كيفيته، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: ٦٥]، الآية، فما دام أن للجلود كلاماً لا نعرف كيفيته، فالخالق أولى بذلك.

س٦: هات دليلًا على إثبات الخلة لمحمد وإبراهيم عليهما السلام؟

ج٦: جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا**»[٣].

وفي الحديث قال النبي ﷺ: «**لو كنت متخذاً خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، لكن**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، ك: الزكاة، ب: الصدقة قبل الرد، برقم: (١٤١٣)، ومسلم، ك: الزكاة، ب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة...، برقم: (١٠١٦).

(٣) تقدم تخريجه.

صاحبكم خليل الرحمن»[(١)]، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

س٧: كيف يتم الجمع بين تبرؤ الرسول ﷺ من أن يكون له خليل، وقول أبي هريرة: «أوصاني خليلي...»؟

ج٧: الجمع بينهما أن يقال: إن الرسول ﷺ تبرأ من أن يتخذ هو أحداً خليلًا غير الله، أما الصحابي فإنه هو نفسه اتخذ الرسول ﷺ خليلًا، وهذا واجب على كل مسلم، فالرسول ﷺ لم ينف أن يتخذه أحد خليلًا، وإنما نفى أن يتخذ هو أحداً خليلًا.

س٨: كيف تجمع بين براءة الرسول ﷺ من أن يكون له خليل وبين اتخاذه لبعض أصحابه حبيباً؟

ج٨: الجمع بين ذلك، وبين قوله لمعاذ: «**والله إني لأحبك**»[(٢)]، وكان زيد حب رسول الله ﷺ، هو أن يقال: الخلة أخص من مطلق المحبة، والمحبوب بها يكون محبوباً لذاته لا لشيء آخر بخلاف المحبة.

س٩: كيف تجمع بين طلب الصلاة لمحمد مثل إبراهيم وآل إبراهيم، مع أن المشبه فوق المشبه به؟

ج٩: لذلك جوابان:

الأول: أن آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثلهم، فإذا طلب للنبي ﷺ من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله - وفيهم الأنبياء - حصل لآل محمد ما يليق بهم؛ لأنهم لا يرتقون مراتب الأنبياء، وتبقى الزيادة التي للأنبياء، وفيهم إبراهيم لمحمد ﷺ، فيحصل به من المزية ما لم يحصل لغيره.

الثاني: أن النبي ﷺ من آل إبراهيم، بل هو أفضلهم، فيكون قولنا: كما صليت على آل إبراهيم متناولا الصلاة عليه، وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم، وهو متناول لإبراهيم أيضاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، فإبراهيم وعمران دخلا في آل إبراهيم وآل عمران.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم: (٢٣٨٣).

(٢) أخرجه أبو داود، ك: الصلاة، ب: في الاستغفار، برقم: (١٥٢٢)، والنسائي، ك: السهو، ب: نوع آخر من الدعاء، برقم: (١٣٠٢)، وابن حبان برقم: (٢٠٢٠)، وأحمد (٤/ ٢٤٥ - ٢٤٧)، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم: (٧٩٦٩).

الإيمان بالملائكة والكتب والرسل

قال الطحاوي: «ونؤمن بالملائكة والنبيِّين، والكتبِ المنزلةِ على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحقِّ المبين».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[من أركان الإيمان وأدلتها:]

هذه الأمور من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فجعل الله ﷻ الإيمانَ هو الإيمانُ بهذه الجملة، وسمَّى مَنْ آمن بهذه الجملةِ مؤمنين، كما جعلَ الكافرين من كفر بهذه الجملة بقولِه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال ﷺ في الحديث المتفق على صحته حديث جبرائيل، وسؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[(١)].

[أتباع الرسل:]

فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولم يؤمن بها حقيقةَ الإيمان إلا أتباع الرسل.

[أعداء الرسل جحدوا أصول الإيمان:]

وأما أعداؤهم ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البدع، فهم متفاوتون في جحدها وإنكارها.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: سؤال جبريل، برقم: (٥٠)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان...، برقم: (٩، ١٠)، من حديث أبي هريرة.

[الملائكة أعظم جنود الله:]

أما الملائكة فهم أعظم جنود الله:

ومنهم: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١]، ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ [المرسلات: ٣-٥].

ومنهم: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾ [النازعات: ١-٤].

ومنهم: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: ١-٣].

[الملائكة طوائف وأصناف:]

ومعنى جمع التأنيث في ذلك كله: الفرق والطوائف والجماعات التي مفردها: فرقة وطائفة وجماعة، ومنهم: ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السموات بالصلاة والتسبيح والتقديس، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله.

[الملائكة رسل لله تعالى:]

ولفظ المَلَك يشعر بأنه رسول منفِّذ لأمر مرسِله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله للواحد القهار، وهم ينفذون أمره: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

[الملائكة عباد مكرمون:]

فهم عباد مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم ولا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه، ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

[ذكر الملائكة في القرآن:]

والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارة يقرن الله تعالى اسمه باسمهم وصلاته بصلاتهم ويضيفهم إليه في مواضع التشريف.

وتارة يذكر حفهم بالعرش وحملهم له، ومراتبهم من الدنو.

وتارة يصفهم بالإكرام والكرم والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص قال

تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧]، ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥]، ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]، ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١١]، ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦]، ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢١]، ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الصافات: ٨].

[ذكر الملائكة في السنة:]

وكذلك الأحاديث النبوية طافحة بذكرهم.

[منزلة الإيمان بالملائكة:]

فلهذا كان الإيمان بالملائكة أحد الأصول الستة التي هي أركان الإيمان.

[الإيمان بالأنبياء والرسل:]

وأما الأنبياء والمرسلون، فعلينا الإيمان بمن سمَّى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلًا سواهم وأنبياءَ، لا يعلم أسماءَهم وعددَهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأتِ في عددهم نصٌّ، وقد قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر:٧٨].

وعلينا الإيمان بأنهم بلَّغوا جميع ما أُرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بيانا لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٨٢]، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٥].

[الإيمان بمحمد ﷺ:]

وأما الإيمان بمحمد ﷺ فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالًا وتفصيلًا.

[الإيمان بالكتب:]

وأما الإيمان بالكتب المنزَّلَةِ على المرسلين، فنؤمن بما سمَّى الله تعالى منها في

كتابِه، من التوراة، والإنجيل، والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى.

[الإيمان بالقرآن:]

وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرارُ به واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب.

فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله، وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء، قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ [البقرة: ١٣٦]، ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ [آل عمران: ١-٤].

الأسئلة والأجوبة على: الإيمان بالملائكة والكتب والرسل

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونؤمن بالملائكة، والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين» لمسائل عديدة أجملها في النقاط التالية:

١- من أركان الإيمان وأدلتها.
٢- أتباع الرسل.
٣- أعداء الرسل جحدوا أصول الإيمان.
٤- الملائكة أعظم جنود الله.
٥- الملائكة طوائف وأصناف.
٦- الملائكة رسل لله تعالى.
٧- الملائكة عباد مكرمون.
٨- ذكر الملائكة في القرآن.
٩- ذكر الملائكة في السنة.
١٠- منزلة الإيمان بالملائكة.
١١- الإيمان بالأنبياء والرسل.
١٢- الإيمان بمحمد ﷺ.
١٣- الإيمان بالكتب.
١٤- الإيمان بالقرآن.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ونؤمن بالملائكة، والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين»؟

ج٢: من أصول الإيمان: الإيمان بالملائكة، وهم مخلوقات نورانية عظيمة، ﴿لَّا

يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]، ولهم أجنحة كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [فاطر: ١].

نؤمن بهم على وجه الإجمال، ونؤمن بما ورد خبره مفصلًا، كجبريل وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، وخازن النار، وخازن الجنة، ومنكر ونكير، ورقيب وعتيد، والحفظة، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًا ﴾ [الرعد: ١١]، وقال تعالى ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١].

ونؤمن بالنبيين الذين اصطفاهم الله تعالى على الناس واختصهم بوحيه وشرائعه، وهم ذكور أحرار من أوساط أقوامهم، نؤمن بمن ورد خبره مفصلًا، ومن لم يرد، كما قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء: ١٦٤].

ونؤمن بالكتب التي أنزلها الله تعالى عليهم، ما عرفناه منها: كالتوراة والإنجيل، والزبور، والقرآن، وصحف إبراهيم، على ما ورد في الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٨ - ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران: ٣، ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣]، فنحن نؤمن بكل هذه الكتب، ونؤمن بما لم يرد في الأخبار على سبيل التفصيل، وإنما ورد بالإجمال، ونشهد أن جميع رسل الله كانوا على الحق المبين، والطريق القويم، والصراط المستقيم، وأنهم بلغوا رسالات الله تعالى على الوجه المطلوب منهم، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

س٣: ما هي أصول الإيمان عند أهل السنة والجماعة؟ مع بيان أدلتهم؟

ج٣: أصول الإيمان عند أهل السنة ستة:

١- الإيمان بالله.	٢- الإيمان بالملائكة.
٣- الإيمان بالرسل.	٤- الإيمان بالكتب.
٥- الإيمان باليوم الآخر.	٦- الإيمان بالقدر خيره وشره.

وزاد بعضهم أصلًا آخر، وهو: ٧- الإيمان بالجنة والنار.

ودليلهم في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

وجواب الرسول ﷺ لجبريل حين سأله عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته،**

وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

س٤: ما موقف الفلاسفة من هذه الأصول؟

ج٤: الفلاسفة ينكرون هذه الأصول، وأعظم الناس إنكارا لها الفلاسفة المسمون عند من يعظمهم بالحكماء، فإن من علم حقيقة قولهم علم أنهم لم يؤمنوا بالله، ورسله، وكتبه، ولا ملائكته، ولا باليوم الآخر، ولا بالجنة والنار.

١- إيمانهم بالله: يقولون هو موجود لا حقيقة له، ولا ماهية، ولا هو يعلم الجزئيات بأعيانها، ولا يفعل بقدرته ومشيئته، والعالم لازم له أزلًا وأبداً، وليس مفعولًا، ولا مخلوقاً، ولا مقدوراً عليه، وينفون عن الله جميع صفاته، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٢- إيمانهم بالكتاب: هم لا يصفون الله بالتكلم، فهو لا يكلم، ولا يتكلم، ولا قال، ولا يقول، والقرآن عندهم فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشر زاكي النفس طاهر متميز عن النوع الإنساني بثلاث خصائص:

أ- قوة الإدراك وسرعته. ب- قوة النفس. ج- قوة التخييل.

٣- إيمانهم بالملائكة: قالوا: إن الرسول خيل القوى الفعلية في أشكال محسوسة، وهي الملائكة عندهم، وليس لها في الخارج ذات منفصلة تصعد، وتنزل، وتجيء، وتذهب، وترى، وتخاطب الرسول، وإنما هي أمور ذهنية لا وجود لها في الخارج.

٤- إيمانهم باليوم الآخر: هم أشد الناس تكذيباً له في الأعيان، وعندهم أن كل ما ذكر عن يوم القيامة أمثال مضروبة لتفهم العوام، لا حقيقة لها في الخارج، كما يفهم منها أتباع الرسل عليهم السلام.

فهذا إيمان هذه الطائفة الذليلة الحقيرة بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

س٥: ما هي الأصول التي بنى عليها المعتزلة عقيدتهم؟ اذكرها مع بيان غرضهم منها؟

ج٥: المعتزلة بنوا عقيدتهم على الجسم والعرض الذي هو الموصوف، والصفات عندهم خمس:

---

(١) تقدم تخريجه.

١. العدل، ويريدون به نفي القدرة. ٢- التوحيد، ويريدون به نفي الصفات.

٣- المنزلة بين المنزلتين، وهي مسائل الأسماء والأحكام، أي: أن العاصي يخرج من الإسلام ولا يدخل في الكفر.

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويريدون به الخروج على الأئمة.

٥- إنفاذ الوعيد، ويريدون به نفي شفاعة الرسول ﷺ عن العصاة.

س٦: اذكر أصول اعتقاد الروافض؟ مع بيان ما وافقهم عليها المعتزلة؟

ج٦: الأصول عندهم أربعة:

١- التوحيد. ٢- العدل.

٣- النبوة. ٤- الإمامة.

ويوافقون المعتزلة في التوحيد والعدل، وهذا مذهب متأخريهم.

س٧: بيِّن لماذا كان للآيتين من آخر سورة البقرة شأن عظيم؟

ج٧: كان لهما هذا الشأن لاشتمالهما على أصول الإيمان، روى ابن مسعود عن الرسول ﷺ أنه قال: «**من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**»[(١)].

س٨: هل يمكن أن يتصرف أحد من الملائكة فيما أوكل إليه من الأعمال استقلالًا؟ دلِّل على ذلك؟

ج٨: ليس لهم ذلك، بل كل واحد منهم ينقاد لأمر مرسله، وليس له من الأمر شيء، والدليل قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

س٩: لماذا تكلم القرآن عن الملائكة بصيغة التأنيث في عدة مواضع من سوره؟

ج٩: وجه ذلك أن المراد به الفرق والطوائف والجماعات.

س١٠: ما المقصود بالإيمان بكل من الملائكة، والأنبياء، والكتب المنزلة عليهم والقرآن؟

ج١٠: ١- المراد بالإيمان بالملائكة: أن تؤمن أن لله ملائكة يعملون بأمره، وهم له يسبحون، ونؤمن بالتفصيل بمن ورد ذكرهم في القرآن كجبريل، وإسرافيل، وميكائيل، وغيرهم، وأن جبريل أشرفهم، وهو الروح الأمين، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء:

(١) أخرجه البخاري، ك: المغازي، ب: شهود الملائكة بدرا، برقم: (٤٠٠٨)، ومسلم، ك: صلاة المسافرين، وقصرها، ب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، برقم: (٨٠٨).

١٩٣]، ونؤمن بالملائكة غير ما ورد ذكرهم في القرآن إجمالًا، وأنه لا يعلم عددهم إلا الله.

٢- أما الإيمان بالأنبياء: فيجب علينا الإيمان بالأنبياء والمرسلين تفصيلًا بمن سمى الله في كتابه، وإجمالًا بمن لم يسم، ونعتقد أن هناك رسلًا غير من سمى الله في كتابه لا يعلم عددهم إلا الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٨٧]، أما محمد ﷺ فإن علينا الإيمان به، وتصديقه، واتباعه، فيما جاء به من الشرائع جملة وتفصيلًا.

٣- وأما الإيمان بالكتب: فنؤمن أن لله كتباً منزلة على رسله، ونؤمن بما سمى الله منها في القرآن، وهي: التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، ونؤمن أن لله كتباً غيرها لا يعلم عددها وأسماءها إلا الله، فنؤمن بها إجمالًا.

٤- أما الإيمان بالقرآن: فالإقرار به واتباع ما جاء فيه جملة وتفصيلًا واجب، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الآية، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران: ٤].

س١١: ما المراد بالملائكة؟ وما حكم الإيمان بهم؟

ج١١: الملائكة خلق من خلق الله من عالم الغيب، وهم عباد مكرمون لا يأكلون ولا يشربون، لهم قدرة على التمثل بصور مختلفة، خلقهم الله من نور، وهم ينقادون لأمره تعالى، ويجب الإيمان بهم جملة بمن لم نعلم اسمه وتفصيلًا بمن عرفنا اسمه أو وظيفته، والإيمان بهم ينتظم في معان:

١- التصديق بوجودهم.

٢- الإيمان بأنهم عباد الله، وأنهم مأمورون مكلفون لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه.

٣- الإيمان بوظائفهم وصفاتهم.

٤- حبهم وتقديرهم.

٥- الأنس بهم، حيث يعلم العبد أن هناك من يشاركه في العبادة، وأن الله قد ينزل النصر على أيديهم.

س١٢: وردت أسماء لبعض الملائكة في الكتاب والسنة، اذكر ثلاثة منها؟

ج١٢: ١- جبريل. ٢- ميكائيل. ٣- إسرافيل.

س١٣: اذكر بعض صفات الملائكة؟

ج١٣: ١- لهم أجنحة. ٢- لهم قدرة على التمثل بصورة البشر.

٣- يوصفون بالعروج. ٤- يوصفون بالنزول.

س١٤: ما أصناف الملائكة؟ وما وظائف كل صنف؟

ج١٤: الملائكة أصناف، وكل صنف له وظيفة معينة، فمن ذلك:

١- لله ملائكة سيارة، مهمتهم حضور مجالس الذكر.

٢- لله ملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم.

٣- الملك الموكل بالجنين في بطن أمه. ٤- ملك النفخ في الصور.

٥- ملكا القبر.

٦- لله ملائكة تطلب الرحمة والمغفرة لمن ينتظر الصلاة في المسجد.

٧- الموكلون بحفظ العبد. ٨- الموكلون بكتابة الأعمال.

٩- الموكلون بالجنة والنار. ١٠- الموكلون بالحساب.

١١- الموكلون بقبض أرواح العباد، وغير ذلك.

س١٥: من أصناف الملائكة: الكرام الكاتبين، وهم الحفظة، وهم على نوعين، اذكرهما؟

ج١٥: ١- حفظة للعبد في جميع أحواله، وهم المعقبات الذين قال الله فيهم: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، أي: يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء قدر الله تركوه وإياه.

٢- حفظة على العبد، وهم الكرام الكتبة، يكتبون عمل العبد من خير وشر، فالذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي عن شماله يكتب السيئات، وهما اللذان قال الله فيهم: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقال تبارك وتعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

س١٦: اذكر ثمرات الإيمان بالملائكة؟

ج١٦: للإيمان بالملائكة ثمرات جليلة منها:

١- العلم بعظمة الله تعالى وقوته وسلطانه، فإن عظمة المخلوق دليل على عظمة خالقه.

٢- شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

٣- محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

س١٧: من هم أولوا العزم من الرسل؟ ولماذا سماهم الله تعالى بذلك الاسم؟

ج١٧: أولوا العزم من الرسل هم: نوح، وإبراهيم، وعيسى، وموسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧] الآية.

وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورى: ١٣]، وسموا بذلك لأنهم أكثر الأنبياء ابتلاء، وصبروا وتحملوا أكثر من غيرهم.

س١٨: ما المراد بالكتب؟ وما حكم الإيمان بها؟

ج١٨: الكتب: هي التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله، وهي من كلامه حقيقة، وأنها نور وهدى، وأن ما تضمنته حق وصدق، ويجب الإيمان بها، قال تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥].

س١٩: كم عدد الكتب المذكورة في القرآن الكريم؟

ج١٩: ١- التوراة أنزلت على موسى عليه السلام. ٢- الإنجيل: أنزل على عيسى عليه السلام.

٣- الزبور: أنزل على داود عليه السلام. ٤- صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

٥- القرآن: أنزل على محمد ﷺ.

س٢٠: ما دلائل تحريف الكتب السماوية السابقة؟

ج٢٠: مما يدل على أن الكتب السابقة على القرآن الكريم قد حرفت وبدلت وأنه لا تصح نسبتها إلى الله تعالى أمور:

١- أن كل الكتب التي نزلت قبل القرآن قد ضاعت نسخها الأصلية، ولم يبق في أيدي الناس إلا تراجمها المحرفة.

٢- أن هذه الكتب قد اختلط فيها كلام الله بكلام الناس، من تفسير وتاريخ... الخ.

٣- أن هذه الكتب ليس لها سند تاريخي موثوق، فأسفار التوراة إنما دونت بعد موسى عليه السلام بقرون عديدة، والإنجيل إنما كتب بعد رفع عيسى عليه السلام بسنوات طويلة.

٤- أن هذه الكتب قد تعددت نسخاً، واختلفت فيما نقلته من الأقوال والآراء والقصص.

٥- أنها تضمنت عقائد فاسدة في حق الله سبحانه وتعالى، وحق رسله الكرام.

س٢١: ما موقف المسلم من الكتب السابقة؟

ج٢١: لا يجوز للمسلم القراءة في الكتب السابقة بقصد الانتفاع بها لما فيها من التحريف. وأخبار بني إسرائيل على ثلاثة أقسام:

١- ما علمنا صدقه فيصدق. ٢- ما علمنا كذبه فيكذب.

٣- ما لم يأت الشرع بتصديقه ولا بتكذيبه، فلا يصدّق ولا يكذّب.

س٢٢: للقرآن الكريم مزايا كثيرة، اذكر بعضاً منها؟

ج٢٢: ١- الحفظ من التغيير والتبديل، والتحريف، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

٢- أنه تضمن خلاصة الأحكام الإلهية، وجاء مؤيداً ومصدقاً لما جاء في الكتب السابقة.

٣- أنه ناسخ لشرائع الكتب السابقة المخالفة لما فيه، وهو خاتم الكتب.

٤- أنه معجز بلفظه وبنظمه، وأحكامه، وأخباره، فلا يستطيع أحد أن يأتي بمثله.

س٢٣: ما هي ثمرات الإيمان بالكتب المنزلة؟

ج٢٣: للإيمان بالكتب ثمرات منها:

١- العلم بعناية الله تعالى، حيث أنزل لكل قومٍ كتاباً يهديهم به.

٢- العلم بحكمة الله تعالى في شرعه، حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم.

حقيقة أهل القبلة

قال الطحاوي: «ونسمي أهلَ قبلتِنا مسلمين مؤمنين، ماداموا بما جاءَ به النبي ﷺ معترفين، وله بكلِّ ما قاله وأخبر مصدقين، ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله، ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلامُ رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيدَ المرسلين محمداً ﷺ، وهو كلام الله تعالى، لا يساويه شيءٌ من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقِه، ولا نخالف جماعة المسلمين».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[ما ينقض إسلام المسلم:]

يشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام إلى أن الإسلام والإيمان واحد، وأن المسلم لا يخرج

من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحلَّه.

والمراد بقوله: «أهل قبلتنا»: مَن يدعي الإسلام، ويستقبل الكعبة، وإن كان من أهل الأهواء، أو من أهل المعاصي، ما لم يكذِّب بشيءٍ مما جاء به الرسول ﷺ.

وسيأتي الكلام على هذين المعنيين عند قول الشيخ: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله»، وعند قوله: «والإسلام والإيمان واحدٌ، وأهلُه في أصله سواء».

وقوله: «**ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله**».

[تحريم متابعة أهل الكلام:]

يشير الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الكف عن كلام المتكلمين الباطل، وذم علمِهم، فإنهم يتكلمون في الإله بغير علمٍ وغير سلطان أتاهم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

وعن أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «لا ينبغي لأحد أن ينطقَ في ذات الله بشيءٍ، بل يصفه بما وصف به نفسه».

[عدم جواز مخاصمة أهل الحق:]

وقوله: «ولا نماري في دين الله»، معناه: لا نُخاصم أهلَ الحق بإلقاءِ شبهاتِ أهل الأهواء عليهم، التماساً لامترائهم وميلهم؛ لأنه في معنى الدعاء إلى الباطل، وتلبيس الحق، وإفسادِ دين الإسلام.

وقوله: «**ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلامُ رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيدَ المرسلين محمداً ﷺ، وهو كلام الله تعالى، لا يساويه شيءٌ من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقِه، ولا نخالف جماعة المسلمين**».

[تحريم الجدال في القرآن:]

فقوله: «ولا نجادل في القرآن»، يحتمل أنه أراد: أنا لا نقول فيه كما قال أهل الزيغ، واختلفوا وجادلوا بالباطل ليُدْحِضوا به الحق، بل نقول: إنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، إلى آخر كلامه، ويحتمل أنه أراد: أنا لا نجادل في القراءة الثابتة، بل نقرؤه بكل ما ثبت وصحَّ، وكلٌّ من المعنيين حقٌّ.

[حقيقة القرآن:]

وقوله: «ونشهد أنه كلام رب العالمين»، قد تقدم الكلام على هذا المعنى عند قوله:

«وأن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولًا».

[جبريل نزل بالقرآن:]

وقوله: «نزل به الروح الأمين»، هو جبريل عليه السلام، سُمِّيَ روحاً؛ لأنه حامل الوحي الذي به حياةُ القلوب إلى الرسل من البشر صلوات الله عليهم أجمعين، وهو أمين حقّ أمين صلوات الله عليه، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥]، ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:١٩ - ٢١]، وهذا وصف جبريل.

[جبريل علم محمداً ﷺ القرآن:]

وقوله: «فعلَّمه سيدَ المرسلين»، تصريح بتعليم جبريل إياه، إبطال لتوهُّمِ القرامطة وغيرهم أنه تصوره في نفسه إلهاماً.

[بطلان اعتقاد خلق القرآن:]

وقوله: «ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين»، تنبيه على أن من قال بخلق القرآن فقد خالف جماعة المسلمين، فإنَّ سلف الأمة كلهم متفقون على أنه كلام الله بالحقيقة غير مخلوق، وأنا لا نخالف جماعة المسلمين في جميع ما اتفقوا عليه، فإن خلافهم زيغٌ وضلالٌ وبدعةٌ.

الأسئلة والأجوبة على: حقيقة أهل القبلة

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونسمي أهلَ قبلتِنا مسلمين مؤمنين، ماداموا بما جاءَ به النبي ﷺ معترفين، وله بكلِّ ما قاله وأخبر مصدقين»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونسمي أهلَ قبلتِنا مسلمين مؤمنين، ماداموا بما جاءَ به النبي ﷺ معترفين، وله بكلِّ ما قاله وأخبر مصدقين...» إلى مسائل عديدة يمكن إجمالها في النقاط التالية:

١- بيان ما ينقض إسلام المرء.

٢- بيان تحريم متابعة أهل الكلام، و عدم جواز مخاصمة أهل الحق.

٣- تحريم الجدال في القرآن.   ٤- حقيقة القرآن.

٥- جبريل نزل بالقرآن. ٦- جبريل علم محمداً ﷺ القرآن.

٧- بطلان اعتقاد خلق القرآن.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ونسمي أهلَ قبلتِنا مسلمين مؤمنين، ماداموا بما جاءَ به النبي ﷺ معترفين، وله بكلِّ ما قاله وأخبر مصدقين»؟

ج٢: المقصود بذلك أن كل من يدعي الإسلام، ويستقبل الكعبة في الصلاة، ولم يستحل معلوماً من الإسلام تحريمه، وصدق بكل ما أخبر به الرسول ﷺ، واعترف بصدق ما أتى به من العقائد والشرائع والأحكام، فإننا نطلق عليه اسم الإسلام والإيمان، ولا نكفره بالذنب ما لم يستحله، وما لم يرتكب ناقضاً من نواقض الإسلام عامداً، وهو يعلم.

ويفهم من كلام الشيخ أن الإسلام والإيمان واحد، وقيل: إنهما متغايران، وهما إذا افترقا دل كل منهما على ما يدل عليه الآخر، وإن اجتمعا اختص الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأعمال الباطنة، والله أعلم.

س٣: قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في عقيدته: «ونسمي أهلَ قبلتِنا مسلمين مؤمنين، ماداموا بما جاءَ به النبي ﷺ معترفين» ما مراده بأهل القبلة؟ وما مقصده بـ «مسلمين مؤمنين»؟

ج٣: المراد بهم من يدعون الإسلام، ويستقبلون القبلة، وإن كانوا من أهل الأهواء، ومن أهل المعاصي ما لم يكذبوا بشيء مما جاء به الرسول ﷺ.

والمراد بـ «مسلمين مؤمنين»: يشير بذلك إلى أن الإسلام والإيمان واحد، وأن المؤمن لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحله.

س٤: ما معنى قول الطحاوي: «ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله»؟

ج٤: لا نخوض في ذات الله تعالى وشأنه، فهذا شيء غيبي لا يدركه مخلوق، بل نمسك عن الكلام في ذلك، وإنما فقط نكتفي بأن نسمي الله بما سمى به نفسه، ونصفه بما وصف به نفسه، ولا نتعدى حدود الأخبار الصحيحة في ذلك، كما أننا لا نماري ونجادل في دين الله تعالى، ولا نلقي الشبه على أهل الحق، فإن هذا من التلبيس والإفساد.

س٥: قال الطحاوي: «ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله» وضِّح متى يكون الكلام في الله خوضاً؟ ومتى يكون حقا؟

ج٥: يكون خوضاً إذا كان بمجرد الهوى والظن والأدلة العقلية، وهذا خوض مذموم، ويكون حقاً إذا كان مستنداً على الكتاب والسنة.

س٦: ما معنى قول الطحاوي: «ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام رب العالمين...»؟

ج٦: ولا نجادل في القرآن بآرائنا، ولا نجادل في شأنه، ولا نقول بكلام أهل الزيغ والضلال، بل نشهد أنه كلام رب العالمين، نزل به جبريل عليه السلام، فعلمه محمداً ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]، ونقول بأنه كلام الله تعالى على الحقيقة لا يساويه، ولا يشبهه، ولا يقاربه شيء من كلام المخلوقين، ولا نقول بقول الجهمية الضلال أن القرآن مخلوق، بل نقول: هو كلام الله تعالى ولا نجاوز ذلك، ونؤمن بما آمنت به جماعة المسلمين من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ومن خالفهم فهو في ضلال مبين.

س٧: قال الطحاوي: «ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام رب العالمين...» وضِّح المقصود بالجدال المذكور؟

ج٧: يحتمل ذلك معنيين:

الأول: أن لا نقول فيه كما قال أهل الزيغ، واختلفوا وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، بل نقول: إنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين.

الثاني: أو أنه أراد أنا لا نجادل في القراءات الثابتة، بل نقرؤه بكل ما ثبت وصح، وكلا المعنيين صحيح، ويشهد بصحة المعنى ما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: سمعت رجلًا قرأ آية سمعت رسول الله ﷺ يقرأ خلافها، فأخذت بيده، وانطلقت به إلى رسول الله، فذكرت ذلك فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: «**كلاهما محسن، لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»(١).

س٨: ما السبب الذي حدا بأبي بكر وعثمان إلى جمع القرآن؟

ج٨: الحامل لأبي بكر هو أنه قتل في موقعة اليمامة عددٌ كبيرٌ من القراء، وقد خاف عمر رضي الله عنه من ضياع شيء من القرآن، فطلب إلى أبي بكر جمع القرآن.

وقد تردد أبو بكر كثيرا في ذلك حتى شرح الله صدره، فأمره بجمعه.

وأما الحامل لعثمان فهو مخافة الفتنة باختلاف القراءة.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الخصومات، ب: ما يذكر من الأشخاص والملازمة، برقم: (٢٤١٠).

س٩: هل يجوز جمع الناس على القراءة بحرف واحد؟ دلل على ذلك؟

ج٩: نعم؛ لأن الصحابة أجمعوا على ذلك، فإجماعهم سائغ؛ لأنهم لا يجتمعون على ضلالة، ولم يكن في ذلك ترك لواجب، ولا فعل لمحظور، إذ كانت قراءة القرآن على سبعة أحرف جائزة لا واجبة رخصة من الله، وقد جعل الاختيار إليهم في أي حرف اختاروه.

س١٠: هل كان ترتيب السور والآيات اجتهادا أم توقيفياً؟ دلل على ما تختار؟

ج١٠: ترتيب الآيات في كل سورة أمر توقيفي، والدليل هو أن النبي ﷺ كان إذا نزلت آية قال: «ضعوا في مكان كذا من السورة، أي: من سورة كذا»[(١)]. فهو منصوص على مكانها.

وأما ترتيب السور في المصحف فهو أمر اجتهادي.

والدليل على ترتيب السور بالاجتهاد هو اختلاف ترتيب مصاحف الصحابة، فمثلًا مصحف ابن مسعود على غير ترتيب مصحف عثمان وغيره.

س١١: ذكر بعضهم أن القراءة بالأحرف السبعة كانت أول الأمر ثم نسخت، فما تقول في ذلك؟ مع بيان حقيقة ما نقل عن ابن مسعود من جواز قراءة القرآن بالمعنى؟

ج١١: ١- قيل: إن الترخيص في الأحرف السبعة كان في أول الإسلام لما في المحافظة على الحرف الواحد من المشقة عليهم أولا.

فلما تذللت ألسنتهم بالقراءة، وكان اتفاقهم على حرف واحد يسيراً، أجمعوا على الحرف الذي كان في العرضة الأخيرة.

٢- وقال جماعة من الفقهاء وأهل الكلام: إن المصحف العثماني مشتمل على الأحرف السبعة، وقد اتفق الجميع على نقل المصحف العثماني وترك ما سواه.

أما من قال إن ابن مسعود كان يجوِّز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه، فإنما قال: نظرت في القرَّاء فرأيت قراءاتهم متقاربة، إنما هو كقولكم: هلم، وأقبل، وتعال، فاقرؤوا كما علمتم.

---

(١) أخرجه أبو داود، ك: الصلاة، ب: من جهر بها، برقم: (٧٨٦)، والترمذي، أبواب تفسير القرآن، ب: ومن سورة التوبة، برقم: (٣٠٨٦)، وأحمد (١/ ٥٧، ٦٩)، وراجع تعليق الشيخ أحمد شاكر على الحديث في المسند برقم: (٣٩٩)، وضعيف سنن أبي داود للألباني برقم: (١٦٨).

س١٢: من الروح الأمين المذكور في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]؟ ولماذا سمي روحاً؟

ج١٢: المراد به جبريل عليه السلام، وسمي روحاً لأنه حامل الوحي الذي فيه حياة القلوب إلى محمد ﷺ.

س١٣: ما المراد بالرسول في سورة التكوير: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٩، ٣٠]، وقوله في سورة الحاقة: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤٠، ٤١] الآية؟

ج١٣: الرسول في سورة التكوير: جبريل عليه السلام، والرسول في سورة الحاقة: هو محمد ﷺ.

س١٤: ما حكم القول بخلق القرآن مع بيان مذهب السلف في هذا الباب؟

ج١٤: حكمه: أنه كافر مخالف لجماعة المسلمين، وإنما قال ذلك لينكر صفة الكلام، ومذهب السلف رضوان الله عليهم أن القرآن كلام الله، نزل به جبريل عليه السلام على قلب محمد ﷺ، وأنه متعبد بتلاوته، فهو منزل غير مخلوق.

التكفير و ضوابطه

قال الطحاوي: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلَّه[1]، ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفوَ عنهم، ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم،

---

(١) الاستحلال: هو جعل المحرم شرعاً حلالاً، وهو قسمان:

الأول: قلبي اعتقادي: وهو أن يعتقد أن ما حرم الله أو بعض ما حرم الله حلالًا، كأن يعتقد أن الزنا حلال، فهذا كفر بالإجماع، وإن لم يفعل الزنا.

الثاني: عملي: وهو الاسترسال في فعل المعاصي والمحرمات دون أ، يعتقد حلها، فصاحبه آثم معرض للعقوبة إن لم يتداركه الله بعفو.

انظر: الصارم المسلول (ص٥٢١)، فتح الباري (١٠/ ٧٠) - دار السلام -، تعليق الشيخ الألباني رحمه الله على متن الطحاوية (ص٤٠).

ولعل الشارح ابن أبي العز رحمه الله فسر هنا الاستحلال بالعملي؛ وذلك لقوله بعد: «إلا أن يضمن قوله: «يستحله» بمعنى: يعتقده»،انظر شرح العقيدة الطحاوية بتعليق العدني (ص٤١٥).

ولا نقنِّطهم، والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة، ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الرد على الخوارج:]

أراد بأهل القبلة الذين تقدم ذكرهم في قوله: «ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قال وأخبر مصدقين»، يشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام إلى الردِّ على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب[1].

[خطورة باب التكفير:]

واعلم رحمك الله وإيانا أن بابَ التكفيرِ وعدم التكفير بابٌ عظمت الفتنةُ والمحنةُ فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم.

[قول من منع التكفير مطلقاً:]

فطائفة تقول: لا نُكفِّر من أهل القبلة أحداً، فتنفي التكفير نفياً عاماً، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين، الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وفيهم مَنْ قد يُظهر بعض ذلك حيث يمكنهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين.

وأيضاً فلا خلاف بين المسلمين أنَّ الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة،

---

(١) لم تتفق أقوال العلماء في مسألة بماذا تكفر الخوارج؟ هل بصغار الذنوب؟ أم بكبارها أم بكليهما؟
قال أبو عبيد في كتاب الإيمان (ص٨): «فكفروا يعني الخوارج بصغار الذنوب وكبارها».
وقال ابن حزم في الفصل (٤/ ٧٩): «ومنهم من قال بأن كل ذنب صغير أو كبير فهو مخرج عن الإيمان والإسلام، فإن مات عليه فهو غير مسلم، مخلد في النار، وهذه مقالات الخوارج والمعتزلة».
وقال الرازي في اعتقاد فرق المسلمين (ص٤٦): «وسائر فرقهم - أي الخوارج - متفقون على أن العبد يصير كافراً بالذنب».
وقال الشهرستاني في الملل والنحل (١/ ١١٥) عندما ذكر الأمور التي تجمع فرق الخوارج: «ويكفرون أصحاب الكبائر».
وذكر هذا قبله أبو الحسن في المقالات (١/ ١٦٨)، ثم استثنى فرقة النجدات.
وذكر ابن طاهر البغدادي (ص٥٥) - دارالآفاق - عن الكعبي أنه ذكر إجماع الخوارج على تكفير مرتكب الذنوب، ولم يرتض ذلك، ثم أعقب بكلام أبي الحسن السابق، ثم ذكر أقوالًا أخرى (ص٥٥ - ٦٦).
فالذي يظهر أن الأمر المشهور عندهم أنهم يكفرون أصحاب الكبائر، لكن بعد ذلك منهم من يغلو، ومنهم من لديه قيود وشروط، والله أعلم، انظر شرح العقيدة الطحاوية بتعليق العدني (ص٤١٤).

والمحرمات الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك فإنه يُستتاب، فإن تاب، وإلا قتل كافراً مرتداً، ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنَّا لا نكفر أحداً بذنبٍ، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب، كما تفعله الخوارج، ولهذا - والله أعلم - قيده الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «ما لم يستحله».

[الرد على المرجئة:]

وقوله: «ولا نقول: لا يضرُّ مع الإيمان ذنب لمن عمله» إلى آخر كلامه؛ ردٌّ على المرجئة، فإنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

[اختلاف الخوارج والمرجئة والمعتزلة:]

فهؤلاء في طرف، والخوارج في طرف، فإنهم يقولون: نُكَفِّر المسلم بكل ذنب، أو بكل ذنب كبير، وكذلك المعتزلة الذين يقولون: يحبط إيمانه كله بالكبيرة، فلا يبقى معه شيءٌ من الإيمان.

[قول الخوارج والمعتزلة في مرتكب الكبيرة:]

لكن الخوارج يقولون: يخرج من الإيمان، ويدخل في الكفر، والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر، وهذه المنزلة بين المنزلتين، وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار.

[خطأ بعض المحدثين والمتفقهة وغيرهم:]

هذا، وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال، لكن في الاعتقادات البدعية، وإن كان صاحبها متأوِّلًا، فيقولون: يكفر كل من قال هذا القول، ولا يفرقون بين المجتهد المخطئ وغيره، أو يقولون: يكفر كل مبتدع، وهؤلاء يدخل عليهم في هذا الإثبات العام أمور عظيمة.

[القول الحق في شأن المبتدع والبدعة:]

والمقصود هنا أن البدع هي من هذا الجنس، فإن الرجل يكون مؤمنا باطنا وظاهرا، لكنه تأول تأويلا أخطأ فيه، إما مجتهدا وإما مفرطا مذنبا، فلا يقال: إن إيمانه حبط لمجرد ذلك، إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي، بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة، ولا نقول: لا يكفر، بل العدل هو الوسط، وهو أن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول، أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي عما أمر به، يقال فيها الحق، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص، ويبين أنها كفر، ويقال: من قالها فهو كافر، ونحو ذلك،

كما يذكر من الوعيد في الظلم في النفس والأموال، وكما قد قال كثير من أهل السنة المشاهير بتكفير من قال بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في الآخرة، ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها.

[القول في المعين:]

وأما الشخص المعيَّن إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد؟ وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له، ولا يرحمه بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت.

[موانع التكفير أو التفسيق:]

ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدا مخطئا مغفورا له، ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله، كما غفر للذي قال: «إذا مت فاسحقوني ثم اذروني» ثم غفر الله له لخشيته[1]، وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته، أو شكَّ في ذلك، وهو حديث صحيح أخرجه الشيخان.

[منع الحكم على المآل لا يمنع العقوبة في الحال:]

لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا لمنع بدعته، وأن نستتيبه، فإن تاب، وإلا قتلناه، ثم إذا كان القول في نفسه كفرا، قيل: إنه كفر، والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع، ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقا زنديقاً.

[خطورة التوسع في التكفير:]

هذا، ومن كفر كل من قال القول المبتدع في الظاهر، يلزمه أن يكفر أقواما ليسوا في الباطن منافقين، بل هم في الباطن يحبون الله ورسوله، ويؤمنون بالله ورسوله، وإن كانوا مذنبين، وهذا أمر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدين، وفيهم بعض مقالات الجهمية أو المرجئة أو القدرية أو الشيعة أو الخوارج.

ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة، بل بفرع منها، ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير، فمن عيوب أهل البدع تكفير

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: الخوف من الله ﷺ، برقم: (٦٤٨١)، ومسلم، ك: التوبة، ب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، برقم: (٢٧٥٧).

بعضهم بعضا، ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطِّئون ولا يكفِّرون.

[إشكال حول المكفرات:]

ولكن بقي هنا إشكال يرد على كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وهو أن الشارع قد سمى بعض الذنوب كفرا، كقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال ﷺ: «سبابُ المسلم فسوق، وقتاله كفر»، متفق عليه[(١)].

وقال ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض»، متفق عليه[(٢)].

وقال ﷺ: «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»، متفق عليه[(٣)].

وقال ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[(٤)] متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»[(٥)].

ونظائر ذلك كثيرة.

[الجواب عن هذا الإشكال:]

والجواب: أن أهل السنة كلُّهم متفقون على أنَّ مرتكبَ الكبيرة لا يكفرُ كفراً ينقل عن الملَّة بالكليّة، كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفراً ينقل عن الملة لكان مرتداً يقتل على كل حال، ولا يُقبل عفوُ وليِّ القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر.

---

(١) صحيح البخاري، ك: الإيمان، ك: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، برقم: (٤٨)، صحيح مسلم، ك: الإيمان، ب: بيان قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»، برقم: (٦٥).

(٢) صحيح البخاري، ك: العلم، ب: الإنصات للعلماء، برقم: (١٢١)، صحيح مسلم، ك: الإيمان، ب: بيان معنى قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارا»، برقم: (٦٥).

(٣) صحيح البخاري، ك: الأدب، ب: من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، برقم: (٦١٠٤)، صحيح مسلم، ك: الإيمان، ب: بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، برقم: (٦٠).

(٤) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: علامات المنافق، برقم: (٣٤)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: بيان خصال المنافق، برقم: (٥٨).

(٥) أخرجه البخاري، ك: الحدود، ب: فضل من ترك الفواحش، برقم: (٦٨١٠)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، برقم: (٥٧).

[إجماع أهل السنة على عدم تكفير مرتكب الكبيرة:]

وهذا القول معلومٌ بطلانُه وفسادُه بالضرورة من دين الإسلام، ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين، كما قالت المعتزلة، فإن قولهم باطلٌ أيضاً، إذ قد جعلَ الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾ إلى أن قال: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخاً لوليِّ القصاص، والمرادُ أُخُوَّة الدين بلا ريب.

وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ ﴾ إلى أن قال ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ ﴾ [الحجرات: ٩- ١٠].

ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يُقتل، بل يقام عليه الحد، فدلَّ على أنه ليس بمرتد.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «ما تعدون المفلس فيكم؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار، قال: المفلس من يأتي يوم القيامة وله حسنات أمثال الجبال، فيأتي وقد شتم هذا، وأخذ مال هذا، وسفك دم هذا، وقذف هذا، وضرب هذا، فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار»، رواه مسلم[1]، وهذا مبسوط في موضعه.

[اتفاق المعتزلة والخوارج واختلافهم:]

والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة، فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، لكن قالت الخوارج: نسميه كافرا، وقالت المعتزلة: نسميه فاسقا، فالخلاف بينهم لفظي فقط.

[إبطال قول المرجئة والخوارج:]

وأهل السنة أيضا متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب، كما وردت به النصوص، لا كما يقوله المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا ينفع مع

---

(١) صحيح مسلم، ك: البر والصلة والآداب، ب: تحريم الظلم، برقم: (٢٥٨١)، بنحو ذلك.

الكفر طاعة، وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة، ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة تبين لك فساد القولين، ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى.

[اختلافات لفظية عند أهل السنة:]

ثم بعد هذا الاتفاق تبين أن أهل السنة اختلفوا خلافا لفظيا لا يترتب عليه فساد، وهو أنه: هل يكون الكفر على مراتب كفراً دون كفر، كما اختلفوا هل يكون الإيمان على مراتب إيماناً دون إيمان، وهذا الاختلاف نشأ من اختلافهم في مسمى الإيمان: هل هو قول وعمل يزيد وينقص؟ أم لا؟ بعد اتفاقهم على أن من سماه الله تعالى ورسوله كافراً نسميه كافراً، إذ من الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً، ويسمي رسوله من تقدم ذكره كافراً، ولا نطلق عليهما اسم الكفر، ولكن من قال: إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، قال: هو كفر عملي لا اعتقادي، والكفر عنده على مراتب، كفر دون كفر، كالإيمان عنده.

[قول من يخرج الأعمال من الإيمان:]

ومن قال: إن الإيمان هو التصديق، ولا يدخل العمل في مسمى الإيمان، والكفر هو الجحود، ولا يزيدان ولا ينقصان، قال: هو كفر مجازي غير حقيقي، إذ الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن الملة.

وكذلك يقول في تسمية بعض الأعمال بالإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، إنها سميت إيمانا مجازا لتوقف صحتها على الإيمان، أو لدلالتها على الإيمان؛ إذ هي دالة على كون مؤديها مؤمنا.

[اتفاق فقهاء أهل السنة:]

والمقصود بيان أنه ليس بين فقهاء الأمة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرين باطنا وظاهرا بما جاء به الرسول، وما تواتر عنهم أنهم من أهل الوعيد، ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار كالخوارج والمعتزلة.

[القول في شأن الحكم بغير ما أنزل الله:]

وهنا أمر يجب أن يتفطن له: وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة، وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة، ويكون كفراً، إما مجازياً وإما كفراً أصغر، على القولين المذكورين.

وذلك بحسب حال الحاكم: فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر.

وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاص، ويسمى كافراً كفراً مجازياً، أو كفراً أصغرَ.

وإن جهل حكم الله فيها مع بَذْلِ جُهْدِه واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه، فهذا مخطئ له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور.

وأراد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «ولا نقول: لا يضرُّ مع الإيمان ذنب لمن عمله» مخالفةَ المرجئة.

وقوله: «**ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفوَ عنهم، ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقنِّطهم**».

[المؤمن يجمع بين الخوف والرجاء:]

على المؤمن أن يعتقد هذا الذي قاله الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حق نفسه، وفي حق غيره، قال تعالى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ومدح أهل الخوف فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُولَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

و قال الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «عملوا والله بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحساناً وخشيةً، والمنافق جمع إساءةً وأمناً» انتهى.

وقوله: «**والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة، ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله**».

[الخوف المحمود:]

يجب أن يكون العبد خائفاً راجياً فإن الخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط.

[الرجاء المحمود:]

والرجاء المحمود: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه، أو رجل أذنب ذنبا، ثم تاب منه إلى الله، فهو راج لمغفرته، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ

هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:٢١٨].

[حقيقة الخوف والرجاء:]

أما إذا كان الرجل متمادياً في التفريط والخطايا، ثم يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب.

قال أبو علي الروذباري رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير، وتمَّ طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حدِّ الموت».

وقد مدح الله أهلَ الخوف والرجاء بقوله: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩].

وقال: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦].

[ارتباط الخوف بالرجاء:]

فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً.

[من خاف الله فرَّ إليه:]

هذا، وكلُّ أحد إذا خفته هربت منه إلا الله تعالى، فإنك إذا خفته هربتَ إليه، فالخائفُ هاربٌ من ربه إلى ربه.

[شرف الخوف والرجاء:]

فالرجاء والخوف على الوجه المذكور من أشرف منازل المريد.

[تقرير القول بعدم كفر مرتكب الكبيرة:]

وقوله: «ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه»[1]، يشير الشيخ إلى

---

(١) قال الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على متن الطحاوية: «هذا الحصر فيه نظر...وقد يخرج من الإسلام بغير جحود لأسباب كثيرة بينها أهل العلم في باب حكم المرتد، من ذلك:
طعنُه في الإسلام، أو في النبي ﷺ، أو استهزاؤه بالله، أو برسوله، أو بكتابه، أو بشيء من شرعه سبحانه، ومن ذلك عبادته للأصنام، أو الأوثان، أو دعوته الأموات، أو الاستغاثة بهم، وهذه المسائل كلها تخرجه من الإسلام بإجماع أهل العلم، وهي ليست من مسائل الجحود».
وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله في تعليقه على متن الطحاوية (ص١٤٤): «هذا الكلام فيه مؤاخذة؛ لأن قصر الكفر على الجحود مذهب المرجئة... ثم قال: وبعض الكتاب المتعالمين اليوم يحاولون إظهار هذا المذهب من أجل أن يصير الناس في سعة من الدين، ما دام أنه لم يجحد، فهو عندهم مسلم =

الرد على الخوارج والمعتزلة في قولهم بالخروج من الإيمان بارتكاب الكبيرة، وفيه تقرير لما قال أولًا: «لا نُكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلّه»، وتقدَّم على هذا المعنى.

الأسئلة والأجوبة على التكفير و ضوابطه

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفوَ عنهم، ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقنِّطهم...»لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- الرد على الخوارج. ٢- خطورة باب التكفير.
٣- قول من منع التكفير مطلقاً. ٤- الرد على المرجئة.
٥- اختلاف الخوارج والمرجئة والمعتزلة.
٦- قول الخوارج والمعتزلة في مرتكب الكبيرة.
٧- خطأ بعض المحدثين والمتفقهة وغيرهم.
٨- القول الحق في البدعة والمبتدع. ٩- القول في المعين.
١٠- موانع التكفير أو التفسيق.
١١- منع الحكم على المآل لا يمنع العقوبة في الحال.
١٢- خطورة التوسع في التكفير. ٣١- إشكال حول المكفرات.
١٤- الجواب عن هذا الإشكال.
١٥- إجماع أهل السنة على عدم تكفير مرتكب الكبيرة.
١٦- اتفاق المعتزلة والخوارج واختلافهم.
١٧- إبطال قول المرجئة والخوارج.

= إذا سجد للصنم، وقال: أنا ما جحدت، وأنا معترف بالتوحيد، إنما هو ذنب من الذنوب، أو ذبح لغير الله، أو سب الله، أو سب رسول الله ﷺ، أو سب الدين، يقولون: هذا مسلم؛ لأنه لم يجحد، وهذا غلط كبير، وهذا يضيع الدين تماماً، فلا يبقى دين، فالواجب الحذر من هذا الخطر العظيم».

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله»؟

ج٢: إن أهل السنة والجماعة لا يكفرون المسلم بذنب عمله، صغيراً كان أم كبيراً، إلا إذا استحله استحلالًا قلبياً، بأن يعتقد أنه ليس بحرام، فحينئذ يكفر لاستحلاله ما حرم الله، وليس الاستحلال العملي، وذلك بخلاف قول الخوارج الذين كفروا المسلم بمعصية يعملها، وأخرجوه من الملة بذلك.

س٣: ما معنى قول الطحاوي: «ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله»؟

ج٣: إن أهل السنة والجماعة لا يقولون: إن الذنوب لا تضر مع وجود الإيمان، فإن هذا قول المرجئة، وهو يؤدي إلى التكذيب بآيات الوعيد الواردة في حق العصاة، بل المعصية تنقص الإيمان، ونخاف على صاحبها ذهاب إيمانه، ونخاف عليه عذاب الله تعالى في الآخرة.

س٤: هناك إشكال ورد على قول الطحاوي: «ولا نكفر أحداً بذنب ما لم يستحله» اذكره مع بيان الجواب عنه؟

ج٤: هناك إشكالان في قوله: «ما لم يستحله»:

الأول: أنه يظهر من كلامه النفي العام من الذنوب العملية والعلمية.

والإشكال هو أن الشارح لم يكتف من المكلف في العمليات بمجرد العمل دون العلم، ولا في العلميات بمجرد العلم دون العمل، وليس العمل مقصورا على عمل الجوارح، بل أعمال القلوب أصل لأعمال الجوارح، وأعمال الجوارح تبع، وأجاب الشارح بقوله: «إلا أن يضمن ما لم يستحله بمعنى: يعتقده، وهذا لم يزل الإشكال، بل لا زال باقياً».

الثاني: ويرد إشكال على قوله: «ولا نكفر أحداً بذنب ما لم يستحله»، وهو أن الشارع

سمى بعض الذنوب كفراً، كقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقول الرسول ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر»(١).

وقد أجاب الشارح بأن أهل السنة متفقون على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً مخرجاً عن الملة، ولا يخرج من الإيمان، خلافاً للخوارج الذين يقولون: إن مرتكب الكبيرة يكفر كفراً ينقل عن الملة، والمعتزلة الذين قالوا: يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر، فالله سبحانه قد سمى مرتكب الكبيرة مؤمنا، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠]، فهاهم إخوة لهم مع أنهم ارتكبوا ذنباً، ولم يخرجهم به عما سمى الإيمان.

وهذا الجواب من الشارح على مذهب الأحناف القائل: إن الكفر واحد، ولكن الأولى أن يقال: الكفر نوعان: عملي، واعتقادي، وأن هذه النصوص كفرت المرتكب للذنب.

س٥: عرف الكفر لغة وشرعاً؟

ج٥: الكفر لغة: التغطية والستر.

ويعرف الكفر شرعاً: أنه ضد الإيمان، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، أو شك وريب، أو إعراض، أو حسد، أو كبر، أو اتباع لبعض الأهواء الصادة عن اتباع الرسالة، وإن كان المكذب أعظم كفراً.

س٦: اذكر أنواع الكفر؟

ج٦: الكفر نوعان:

١- كفر أكبر يخرج من الملة، وهو موجب للخلود في النار.

٢- كفر أصغر، لا يخرج من الملة، وهو الذنوب التي وردت تسميتها في الشرع كفراً، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، كما في قوله ﷺ: «اثنتان في الناس هما بهم كفر:

---

(١) أخرجه أبو داود، ك: الأيمان والنذور، ب: في كراهية الحلف بالآباء، برقم: (٣٢٥١)، والترمذي، أبواب النذور، ب: ما جاء في أن من حلف بغير الله فقد أشرك، برقم: (١٥٣٥)، وأحمد (٢/ ٦٩، ٨٧، ١٢٥)، وابن حبان برقم: (٤٣٥٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢)، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٦٢٠٤).

الطعن في الأنساب، والنياحة على الميت»(١).

س٧: ما الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر؟

ج٧: ١- الكفر الأكبر يخرج صاحبه من الملة، ويحبط جميع أعماله، والكفر الأصغر لا يخرج صاحبه من الملة، ولا يحبط الأعمال، لكن ينقصها بحسبه، ويعرض صاحبها للوعيد، وقد يحبط العمل الذي يقع فيه، كالرياء لقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «من عمل عملًا أشرك فيه غيري تركته وشركه».

٢- الكفر الأكبر يخلد صاحبه في النار، والكفر الأصغر لا يخلد صاحبه في النار إن دخلها، وقد يعفو الله عنه فلا يدخل النار أصلًا.

٣- الكفر الأكبر يبيح الدم والمال، والكفر الأصغر لا يبيح الدم والمال.

٤- الكفر الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين، أما الكفر الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقاً، بل صاحبه يُحَبُّ ويوالى بقدر ما فيه من الإيمان، ويُبغض ويُعادى بقدر ما فيه من العصيان.

س٨: اذكر أقسام الكفر الأكبر؟

ج٨: الكفر الأكبر خمسة أقسام:

١- كفر التكذيب: وهو الإخبار عن الحق بخلاف الواقع، أو ادعاء أن الرسول جاء بخلاف الحق، ويدل عليه قوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

٢- كفر إباء واستكبار مع التصديق: وهو عدم اتباع الحق أشراً وبطراً واحتقاراً له ولأهله مع الإقرار به، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

٣- كفر الشك: وهو التردد في اتباع الحق، أو التردد في الجزم بأنه حق، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، برقم: (٦٧)، وأخرجه -بنحوه- البخاري، ك: مناقب الأنصار، ب: القسامة في الجاهلية، برقم: (٣٨٥٠).

ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٣٥ - ٣٨].

٤- كفر الإعراض: وهو ترك الحق، لا يتعلمه ولا يعمل به.

٥- كفر نفاق: وهو إظهار متابعة ما جاء به الرسول ﷺ مع رفضه وجحده بالقلب، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٣].

س٩: اذكر أقسام الكفر الأكبر المخرج من الملة مع ذكر دليل واحد لكل منها؟

ج٩: الكفر الأكبر خمسة أقسام:

١- كفر التكذيب: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

٢- كفر إباء واستكبار مع التصديق: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

٣- كفر شك: قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٣٥-٣٨].

٤- كفر الإعراض: قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣].

٥- كفر نفاق: قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٣].

س١٠: اذكر بعض الأمثلة على ألفاظ الكفر؟

ج١٠: ١- سب الله تعالى، أو سب دين الإسلام، أو سب الملائكة، أو أحدهم.

٢- سب النبي ﷺ، أو سب أحد من الرسل.

٣- الاستهزاء بالله، وملائكته، أو رسله، أو الدين.

٤- من قال: أنا لا أخاف الله، أو لا أحبه.

٥- من قال: اليهودية أو النصرانية خير من دين الإسلام.

٦- من قال: إن بعض الناس يمكنه التصرف في الكون كله أو بعضه.

٧- من قال: إن الزنا حلال، أو الخمر حلال، ونحو ذلك.

٨- من قال: ليتني لم أكن مسلماً ونحو ذلك.

٩- من قال: إن تعاليم الإسلام لا تناسب زماننا الحالي معتقداً ذلك.

١٠- من دعا غير الله، وطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله، كشفاء المريض، ورد الغائب، وقضاء الحاجات.

س١١: اذكر بعض الأمثلة على أفعال الكفر؟

ج١١: ١- السجود لغير الله تعالى.

٢- الذبح لغير الله تعالى.

٣- إلقاء المصحف وما فيه ذكر الله في أماكن القذارة عمداً وهو يعلم.

٤- الحكم بغير ما أنزل الله معتقدا جواز ذلك.

٥- عمل السحر، وتعلمه، وتعليمه، معتقداً جوازه.

٦- الطواف بالأضرحة وقبور الصالحين تعظيماً لها.

٧- لبس شيءٍ من شعار أهل الكفر، كالصليب ونحوه عالماً عامداً راضياً بذلك.

٨- مشاركة أهل الكفر في عباداتهم، كصلاتهم ونحوها، عامداً عالماً راضياً بذلك.

٩- هدم المساجد الإسلامية ونحو ذلك عامداً عالماً.

١٠- بناء دور العبادة للمشركين كمعابد اليهود، وكنائس النصارى، ونحو ذلك عامداً عالماً راضياً.

س١٢: عرف الردَّة لغة واصطلاحاً؟

ج١٢: الردَّة لغة: الرجوع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ [المائدة: ٢١].

والردة اصطلاحاً: الرجوع إلى الكفر بعد الدخول في الإسلام، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

س١٣: كم أقسام الردَّة؟ اذكرها؟

ج١٣: الردَّة أربعة أقسام، وهي:

١- ردة بالقول، كمن سب الله تعالى، أو رسوله ﷺ.

٢- ردة بالفعل، كالسجود لغير الله تعالى.

٣- الردة بالاعتقاد، كاعتقاد شريك مع الله تعالى.

٤- الردة بالشك، كمن شك في تحريم شيء من المحرمات المعلوم تحريمها.

س١٤: ما هي الأحكام المترتبة على الردة بعد ثبوتها؟

ج١٤: يترتب على الحكم بالردة إذا ثبتت في حق شخص عدة أحكام هي:

١- وجوب استتابته، وذلك مدة ثلاثة أيام، فإن تاب ورجع قُبل ذلك منه.

٢- قتله إذا أصر على الردَّة، لقوله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»(١).

٣- الحجر على ماله مدة الاستتابة، فلا يتصرف فيه، فإن تاب رجع إليه ماله، وإلا أصبح فيئاً لبيت مال المسلمين.

٤- التفريق بينه وبين زوجته المسلمة.

٥- انقطاع التوارث بينه وبين قرابته المسلمين؛ لقوله ﷺ: «**لا يرث الكافر المسلم، ولا المسلم الكافر**»(٢).

٦- من مات مرتدا لا يغسل بعد موته، ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين على الإطلاق.

٧- الخلود في النار: يحكم له بالخلود في النار إن مات على ردته، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

س١٥: اذكر خلاف الناس في تكفير أهل المقالات وأهل الكبائر العملية، والعقائد المخالفة للحق، مع بيان الحق في هذا الباب؟ وكيف ترد عليهم؟

ج١٥: اختلف الناس في ذلك على أربعة أقوال:

الأول: المرجئة.

قالوا: لا نكفر أحداً من أهل القبلة، فلا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، واستدلوا بنصوص الوعيد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقول الرسول ﷺ: «**إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الجهاد والسير، ب: لا يعذب بعذاب الله، برقم: (٣٠١٧).

(٢) أخرجه البخاري، ك: المغازي، ب: أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟، برقم: (٤٢٨٣)، ومسلم، ك: الفرائض، ب: ١، برقم: (١٦١٤).

(٣) أخرجه البخاري، ك: الصلاة، ب: المساجد في البيوت، برقم: (٤٢٥)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: الدليل =

وفي الحديث القدسي: «**يا ابن آدم لو لقيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي لأتيتك بقرابها مغفرة**»(١).

ويرد عليهم من وجوه:

١- أن أهل القبلة فيهم المنافقون الذين هم أشد كفراً من اليهود والنصارى، كما جاء في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، فكيف لا يكفر مثل هؤلاء.

٢- لا خلاف بين المسلمين أن الإنسان لو أنكر الواجبات الثابتة والمحرمات الثابتة ونحو ذلك، أنه يستتاب فإن تاب، وإلا قتل كافراً.

وكل من النفاق والردة باطنها البدع والفجور، كما ذكر الخلال في كتاب السنة بسنده إلى محمد بن سيرين أنه قال: إن أسرع الناس ردة أهل الأهواء، وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨].

الثاني: الخوارج والمعتزلة.

فإن المعتزلة قالت: يحبط إيمانه، ويكون في الدنيا بمنزلة بين منزلتين.

وقالت الخوارج: يحبط إيمانه، ويكون في الدنيا كافراً.

واتفق الجميع على أنه مخلد في النار، فعند المعتزلة الناس ثلاثة: مسلم أو كافر، وفاسق، وعند الخوارج الناس قسمان: مسلم أو كافر.

واستدلوا بأدلة الوعيد، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال الرسول ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...**» الحديث(٢).

= على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، برقم: (٣٣).

(١) أخرجه الترمذي، ك: الدعوات، ب: ١٠٩، برقم: (٣٥٤٠)، والطبراني في المعجم الأوسط برقم: (٤٣٠٧)، من حديث أنس مرفوعاً، ولفظه: «**يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيك بقرابها مغفرة**»، وهو حديث حسن. انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني برقم: (٤٣٣٨).

وفي صحيح مسلم برقم: (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً: «**ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً، لقيته بمثلها مغفرة**».

(٢) أخرجه البخاري، ك: الحدود، ب: فضل من ترك الفواحش، برقم: (٦٨١٠)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، برقم: (٥٧).

ويرد عليهم من وجوه:

١- إن الله جعل مرتكب الكبيرة من المؤمنين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فسمى القاتل مؤمناً، وجعله أخاً لولي القصاص، والمراد أخوه في الدين قطعاً.

٢- إن الرسول ﷺ نهى عن لعن شارب الخمر حين جيء به فجلده الرسول ﷺ، قال: **لا تلعنوه، فما علمت عليه شيئاً يوجب لعناً**، ثم قال: «**إنه يحب الله ورسوله**»[(١)]، فدل على أن مرتكب الكبيرة ليس كافراً، ولو كان كافراً لاستحق المعاداة الخالصة.

الثالث: بعض أهل الكلام والفقه والحديث.

قالوا: يكفر في البدع الاعتقادية مطلقاً سواء كان متأولا أو غيره، أما البدع العملية فلا يكفر بها، واستدلوا بنصوص الوعيد.

ويرد عليهم من وجوه:

١- أنه لا فرق بين الكبائر العملية والاعتقادية، بل هم من جنس واحد يكون الرجل مؤمناً ظاهراً وباطناً، لكنه تأول تأويلًا أخطأ فيه، فبهذا أو بشرط الذنب لا يقال: إنه خرج من الإسلام بمجرد ذلك، إلا إن دل عليه دليل شرعي، فهذا القول من جنس قول الخوارج والمعتزلة.

٢- إن النصوص المتواترة دلت على أنه: يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان[(٢)].

٣- أنه يلزم عليه أن يكفر أقواماً ليسوا في الباطن منافقين، بل هم في الباطن مؤمنون، ويحبون الله ورسوله، وإن كانوا مذنبين، كما جاء في قصة شارب الخمر.

الرابع: قول أهل السنة والجماعة:

قالوا: إنه مؤمن بإيمانه، فاسق بمعصيته، فهم لا يكفرون كل أحد يفعل الذنب؛ لاحتمال أن عنده شبهة، أما إن كان مكابراً فهم يحكمون بكفر من فعل مثل فعله، ولا يحكمون على مؤمن بالكفر.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الحدود، ب: ما يكره من لعن شارب الخمر، برقم: (٦٧٨٠).

(٢) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم: (٧٥١٠)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٣).

س١٦: تكلم عن اختلاف الناس في شأن البدع؟ مع بيان مذاهبهم في ذلك؟

ج١٦: للناس في البدع مذهبان:

الأول: قول بعض أهل الكلام، وقد تقدم في القول الثالث مع الرد عليهم.

الثاني: قول أهل السنة والجماعة، وهو أن الأقوال البدعية والمتضمنة نفي ما أثبت الرسول ﷺ، أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي عما أمر به، يقال فيها الحق، ويثبت فيها الوعيد الذي دلت عليه النصوص، وبينت أنها كفر، ويقال: من قالها فهو كافر، ونحو ذلك.

س١٧: هل يجوز تكفير المعين أم لا؟ وهل يستتبع ذلك الجزم بأنه من أهل الوعيد؟ وضِّح ذلك؟

ج١٧: لا يجوز الشهادة على شخص معين أنه من أهل الوعيد، ولا أنه كافر - إلا بشروط توافرت وموانع انتفت -؛ لأن هذا من البغي والتعالي على الله.

ويدل على ذلك ما ورد عن النبي ﷺ من قصة الرجلين من بني إسرائيل: **«وأنه كان أحدهما مجتهداً، والآخر مذنباً، وكان ينهاه عن الذنب حتى وجده يوماً على ذنب، فقال له: أقصر، قال: خلني وربي، أبعثت عليَّ رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، ولا يدخلك الجنة، فقبض الله أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا: أنت على ما في يدي قادر؟ قال: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار»**(١).

والأسباب هي:

١- لأن الشخص المعين إما أن يكون مجتهداً مخطئاً فهو مغفور له.

٢- أو يمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما ورد في ذلك من النصوص.

٣- ويمكن أن يكون له إيمان عظيم، وحسنات أوجبت له الرحمة من الله، كما غفر للذي قال: **إذا مت فاسحقوني ثم ذروني، ثم غفر الله له لخشيته**(٢)، وكان يظن أن الله لا

---

(١) أخرجه أبو داود، ك: الأدب، ب: في النهي عن البغي، برقم: (٤٩٠١)، وابن حبان برقم: (٥٧١٢)، والبيهقي في الشعب برقم: (٦٦٨٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٤٤٥٥).
وفي صحيح مسلم برقم: (٢٦٢١) من حديث عن جندب: «أن رسول الله ﷺ حدث: أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك».

(٢) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: الخوف من الله ﷻ، برقم: (٦٤٨١)، ومسلم، ك: التوبة، ب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، برقم: (٢٧٥٧).

يقدر على جمعه، وإعادته، أو شكَّ في ذلك.

س١٨: هل يكون عدم تكفير المعين عند من لم يكفره مانعاً من عقوبته في الدنيا؟

ج١٨: هذا التوقف في أمر الآخرة، ولا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا لمنع بدعته، وأن نستتيبه، فإن تاب وإلا قتلناه، ثم إن كان القول في نفسه كفراً، قيل: إنه كفر، والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع، ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقاً زنديقاً.

س١٩: ما هي أصناف الناس في كتاب الله؟

ج١٩: أصناف الناس في كتاب الله ثلاثة، وهي:

١- صنف مؤمن ظاهراً وباطناً.

٢- وصنف كافر من المشركين وأهل الكتاب، وهم الذين لا يقرون بالشهادة.

٣- صنف أقر به ظاهراً لا باطناً، وهذه الأصناف مذكورة في أول سورة البقرة.

س٢٠: قال الطحاوي: «والإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان» اختلف الحنفية مع جمهور أهل السنة في تعريف الإيمان، فما منشأ هذا الخلاف؟ وما ثمرته؟

ج٢٠: قال السلف: إن الإيمان إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وقالت الحنفية: إن الإيمان هو التصديق بالجنان، وإقرار باللسان، ويتبع التصديق عمل القلب فقط.

منشأ الخلاف هو أن جمهور أهل السنة قالوا: إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وأما الحنفية فإنهم قالوا: إن الإيمان التصديق، ولا يدخل العمل في مسمى الإيمان، وثمرة الخلاف تكون على أن من قال: الإيمان يزيد وينقص، قال: الكفر على مراتب، كفر دون كفر، فمن فعل كبيرة قلنا: إنه يكفر كفراً عملياً لا اعتقادياً، ومن قال: الإيمان هو التصديق، لا يزيد ولا ينقص، قال: الكفر مرتبة واحدة وهي الجحود، فمن ارتكب كبيرة سميناه كافراً مجازاً، إذ الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن الملة.

س٢١: ما موقف كل من الجمهور والحنفية مما جاء من النصوص في التكفير على بعض المعاصي؟

ج٢١: الجمهور قالوا: إن الكفر فيها كفر علمي لا اعتقادي.

وأما الحنفية فإنهم قالوا: الكفر فيها مجازي غير حقيقي؛ لأن الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن الملة، وهذا بناء على مذهبهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

س٢٢: ما جواب مرجئة الفقهاء عن قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]؟

ج٢٢: قالوا: هذه الآية نزلت فيمن مات قبل تحويل القبلة إلى الكعبة، فقال الحنفية: إن الله سبحانه سمى الصلاة إيماناً مجازاً؛ لتوقف صحتها على الإيمان، أو لدلالتها على الإيمان، إذ هي تدل على أن مؤديها مؤمن، ولهذا يحكم بإسلام الكافر إذا صلى صلاتنا.

س٢٣: إن الحكم بغير ما أنزل الله أحياناً يكون كفراً أكبر، وأحياناً يكون كفراً أصغر أو مجازياً، وأحياناً يكون خطأ يثاب عليه، اشرح هذا الكلام بالتفصيل؟

ج٢٣: هذا بحسب حال الحاكم:

١- فإن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر.

٢- وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه عاصٍ مستحقٌّ للعقوبة، فهو فاسق، ويسمى كفراً أصغر عند الجمهور، وكفراً مجازياً عند الحنفية.

٣- وإن جهل حكم الله في هذه الواقعة مع شدة حرصه في طلبه، واستغراق وسعه في معرفة الحكم، وأخطأ، فهذا مخطئ له أجره على اجتهاده، وخطؤه مغفور.

س٢٤: ما هي الأمور التي لا بد من تحقيقها لكي يرجو الإنسان الشيء، وإذا انتفى شيء منها فما الحكم؟

ج٢٤: الأمور هي:

١- محبة ما يرجوه.

٢- خوفه من فواته.

٣- سعيه في تحصيله بحسب الإمكان، والرجاء الذي لا يفارقه شيء منها فهو من باب الأماني، والأماني شيء، والرجاء شيء آخر.

س٢٥: ما هي الدواوين عند الله يوم القيامة؟

ج٢٥: هي - كما روي في الحديث المرفوع -[١] ثلاثة:

١- ديوان لا يغفر الله منه شيئاً، وهو الشرك بالله، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨].

٢- ديوان لا يترك الله منه شيئاً، وهو مظالم العباد بعضهم لبعض.

٣- ديوان لا يعبأ الله به، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه.

س٢٦: عرف الصغائر والكبائر من الذنوب؟ ومتى تصبح الصغيرة كبيرة، والكبيرة صغيرة؟

ج٢٦: تعريف الكبيرة: هي ما يترتب عليه حد أو لعنة أو وعيد أو غضب.

وأما تعريف الصغيرة، فهي: ما ليس فيه حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة.

وتكون الكبيرة صغيرة إذا اقترن بها حياء من الله وخوف واستعظام لها.

وتكون الصغيرة كبيرة إذا اقترن بها قلة حياء، وعدم مبالاة وترك الخوف والاستهانة بها، وهذا الشيء قدر زائد على مجرد الفعل مرجعه القلب.

س٢٧: ما معنى قول الطحاوي: «ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفوَ عنهم، ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقنِّطهم»؟

ج٢٧: يعتقد أهل السنة والجماعة أن المؤمن المحسن يرجى له دخول الجنة، ونستبشر له إن مات على ذلك، ولكن مع كل هذا لا نأمن عليه من مكر الله تعالى، ولا نجزم له بالجنة، وأما المسيء فإنهم يستغفرون له، ويخافون عليه، ولكن لا يجزمون له بالنار، فإن هذا قنوط ويأس من رحمة الله تعالى، ولا يجزم أهل السنة لأحد بالجنة إلا لمن عينه النص

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٤٠)، والحاكم (٤/ ٥٧٥ - ٥٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: (٧٤٧٣)، عن عائشة مرفوعاً، وإسناده ضعيف. انظر: ضعيف الجامع الصغير برقم: (٣٠٢٢)، تعليق الألباني على المشكاة برقم: (٥١٣٣).

وجاء عن أنس مرفوعاً: «**الظلم ثلاثة: فظلم لا يتركه الله، وظلم يغفر، وظلم لا يغفر، فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد، فيقتص الله بعضهم من بعض**».

أخرجه الطيالسي في مسنده برقم: (٢٢٢٣)، والبزار في مسنده برقم: (٦٤٩٣)، وقد حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (١٩٢٧)، وفي صحيح الجامع الصغير برقم: (٣٩٦١).

الصحيح من الكتاب والسنة أنه من أهل الجنة، ولا يجزمون لأحد بالنار كذلك إلا إذا عينه النص أنه من أهل النار، أما غير هذا فلا جزم ولا قطع للمسلم بشيء.

س٢٨: ما معنى قول الطحاوي: «والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة»؟

ج٢٨: إن الأمن من مكر الله واليأس من رحمة الله ينقلان عن ملة الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وسبيل أهل الحق وسط بينهما، فيجب على العبد أن يجمع بين الخوف من مكر الله، والرجاء في رحمته، لنفسه ولغيره.

س٢٩: ما معنى قول الطحاوي: «ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله»؟

ج٢٩: إن المؤمن لا يخرج من الإيمان إلا بناقض، بأن يجحد وينكر شيئاً من مسائل الإيمان، التي لا يتحقق إيمانه بدونها، فينقض بذلك إقراره الأول، وذلك رد على الخوارج الذين قالوا بتكفير مرتكب الكبيرة، وعلى المعتزلة الذين قالوا بانتقاله من الإيمان إلى منزلة بين المنزلتين، بل المسلم عاصٍ بذنبه حتى يتوب منه، ينقص من إيمانه بقدر معصيته، ولا يرتفع عنه اسم الإيمان بالكلية إلا بذهاب كله، وأصله، وليس بذهاب بعضه، فإن الإيمان يتبعض.

س٣٠: ما هي الأمور التي تسقط عن المرء عذاب جهنم؟

ج٣٠: الأمور التي تسقط عن المرء عذاب جهنم هي:

١- التوبة النصوح، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ [مريم: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [البقرة: ١٦٠].

٢- الاستغفار: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

٣- الحسنات: لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٥].

وقال ﷺ: «**الحسنة بعشر أمثالها**»(١).

وقال ﷺ أيضاً: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: حسن إسلام المرء، برقم: (٤١، ٤٢)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: إذا هم العبد بحسنة كتبت...، برقم: (١٢٨، ١٢٩)، من حديث أبي سعيد وأبي هريرة.

(٢) أخرجه الترمذي، ك: البر والصلة، ب: ما جاء في معاشرة الناس، برقم: (١٩٨٧)، والإمام أحمد (٥/ ١٥٣)، والدارمي برقم: (٢٧٩١)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: (٨٠٢٦)، وحسنه الشيخ =

٤- المصائب الدنيوية: قال ﷺ: «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا غم ولا هم ولا حزن حتى الشوكةُ يشاكها إلا كُفِّر بها من خطاياه»[(١)].

٥- عذاب القبر.

٦- دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات.

٧- ما يُهدى إليه بعد الموت من ثواب، وصدقة، ونحوهما.

٨- أهوال يوم القيامة وشدائده.

٩- ما ثبت في الصحيح: «أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وُقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيُقتَصُّ لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أُذن لهم في دخول الجنة»[(٢)].

١٠- شفاعة الشافعين.

١١- عفوه سبحانه من غير شفاعة، قال تعالى: ﴿وَيَغۡفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

س٣١: هل يشترط لصحة التوبة من الذنب عموم التوبة من جميع الذنوب؟

ج٣١: الصحيح أنه لا يشترط، أما لو أسلم وهو مصر على الذنب، كالزنا، والخمر مثلًا، فالصحيح أنه لا بد أن يتوب توبة عامة من كل ذنب مع إسلامه.

س٣٢: ما الفرق بين الاستغفار والتوبة؟

ج٣٢: إذا ذكرت التوبة وحدها شملت الاستغفار، فالتوبة تتضمن الاستغفار، وهو يتضمنها إذا ذكر وحده، هذا في حالة الافتراق.

وأما عند الاقتران، فالتوبة الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

والاستغفار: طلب وقاية ما مضى، ونظيره: الإسلام والإيمان، والفقير والمسكين، فيتحدان عند الافتراق، ويفترقان عند الجمع.

س٣٣: متى يكون العبد مثاباً على المصيبة؟ ومتى يأثم؟

ج٣٣: إذا صبر العبد على المصيبة أثابه الله، أما إذا سخطها فهو يأثم، فالصبر

= الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: (٢٦٥٥).

(١) أخرجه مسلم، ك: البر والصلة والآداب، ب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن...، برقم: (٢٥٧٣).

(٢) أخرجه البخاري، ك: المظالم، ب: قصاص المظالم، برقم: (٢٤٤٠).

والسخط غير المصيبة، فالمصيبة من فعل الله لا من فعل العبد، وهي جزاء من الله للعبد على فعل ذنبه؛ ليكفره بها، والصبر والسخط من فعل العبد، وإنما يثاب على فعله.

س٣٤: اذكر الدليل على أن الله يرزق من غير سبب؟

ج٣٤: الدليل قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

س٣٥: ما هو الرجاء المحمود والرجاء المذموم، وما هو الخوف المحمود والمذموم؟ واذكر بعض الأدلة على مدح الرجاء والخوف المحمودين؟

ج٣٥: الرجاء المحمود رجاء عبد عمل بطاعة الله، على نور من الله، فهو راجٍ لثوابه، أو رجل أذنب ذنباً ثم تاب إلى الله فهو راج لمغفرته.

والرجاء المذموم: رجاء إنسان تمادى في الخطايا والتفريط وانتهاك المحرمات من غير خوف الله.

الخوف المحمود: هو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله.

الخوف المذموم: هو الخوف الذي لا رجاء معهن، فهو يأس وقنوط.

ومن الأدلة على مدح الرجاء والخوف المحمودين قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩].

س٣٦: إن الرجاء يستلزم الخوف، والخوف يستلزم الرجاء، وضِّح ذلك؟

ج٣٦: الرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً، والخوف يستلزم الرجاء، ولولاه لكان قنوطاً.

حقيقة الإيمان ومسماه

قال الطحاوي: «والإيمان هو: الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كلُّه حقٌّ، والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية، والتقى، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى[1]».

---

(١) قال الشيخ محمد بن مانع رحمه الله في تعليقه على متن الطحاوية (ص ٥٠): «والحق الذي لا إشكال فيه، أن الإيمان متفاوت في أصله، فإيمان آحاد الناس ليس كإيمان جبريل، ولا إيمان رسول الله ﷺ، والقول بأن الناس في أصل الإيمان سواء ليس من عقائد السنة».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[قول أهل الحق في تعريف الإيمان:]

اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيراً:

فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة رحمهم الله وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين إلى: أن الإيمان تصديقٌ بالجنان، وإقرارٌ باللسان، وعملٌ بالأركان.

[قول كثير من الحنفية:]

وذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه: الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان.

[قول الماتريدي في الإيمان:]

ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي رَحِمَهُ اللَّهُ، ويروى عن أبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[قول الكرامية:]

وذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو: الإقرار باللسان فقط.

فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان، ولكنهم يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به، وقولهم ظاهر الفساد.

[قول الجهمية ومن وافقهم:]

وذهب الجهم بن صفوان وأبو الحسن الصالحي أحد رؤساء القدرية إلى: أن الإيمان هو المعرفة بالقلب.

وهذا القول أظهر فسادا مما قبله، فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، فإنهم عرفوا

= وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله في تعليقه على متن الطحاوية (ص١٤٩): «هذا غلط؛ لأن الإيمان ليس وحدا، وليس أهله سواء، بل الإيمان يتفاصل، ويزيد وينقص، إلا عند المرجئة، والتصديق بالقلب ليس الناس فيه سواء، فليس إيمان أبي بكر الصديق كإيمان الفاسق من المسلمين؛ لأن الفاسق من المسلمين إيمانه ضعيف جداً، وإيمان أبي بكر الصديق يعدل إيمان الأمة كلها، فليس الناس في أصله سواء، هذا من ناحية أصله، كذلك من ناحية العمل الناس يتفاضلون في العمل».

وأصل الإيمان هو الإقرار بما جاءت به الرسل عن الله تصديقاً به، وانقياداً له، فهذا الأصل من لم يأت به فليس بمؤمن. انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٧٤).

صدق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، ولم يؤمنوا بهما، ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل: ١٤].

وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ولم يكونوا مؤمنين به، بل كافرين به معادين له. بل إبليس يكون عند الجهم مؤمناً كامل الإيمان، فإنه لم يجهل ربه، بل هو عارف به، ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر: ٣٦]، ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢]، والكفر عند الجهم هو الجهل بالرب تعالى، ولا أحد أجهل منه بربه.

وبين هذه المذاهب مذاهبُ أخر بتفاصيل وقيود أعرضت عن ذكرها اختصاراً.

[الخلاف بين أبي حنيفة وباقي الأئمة صوري(١):]

هذا، والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة اختلاف صوري. فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب أو جزءا من الإيمان، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبير لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه نزاع لفظي، لا يترتب عليه فساد اعتقاد، وإلا فقد نفى النبي ﷺ الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر والمنتهب(٢)، ولم يوجب ذلك زوال اسم الإيمان عنهم بالكلية اتفاقا.

---

(١) وقال به الغزالي كما في روح المعاني (٩/ ١٦٧)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣)، وذهب الخلاف حقيقي الألوسي في روح المعاني (٩/ ١٧٦)، والمباركفوري والألباني و الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمهم الله.
قال أبو الحسن المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه مرعاة المفاتيح (١/ ٣٧): «وقد ظهر من هذا أن الاختلاف بين الحنفية وأصحاب الحديث اختلاف معنوي حقيقي لا لفظي كما توهم بعض الحنفية».
وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على متن الطحاوية (ص٤٨): «وليس الخلاف بينهم وبين أهل السنة فيه لفظياً، بل هو لفظي ومعنوي، ويترتب عليه أحكام كثيرة، يعلمها من تدبر كلام أهل السنة وكلام المرجئة، والله المستعان».
وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في تعليقه على متن الطحاوية (ص٤٢ - ٤٣): «وليس الخلاف بين المذهبين اختلافاً صورياً كما ذهب إليه الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ...»، ثم ذكر كلاماً نفيساً فليراجع.
وأما شيخ الإسلام ابن تيمية فذهب إلى أن الخلاف لفظي في بعض من المسائل المتنازع فيها حقيقي في بعضها وفي ذلك يقول: «إنه لم يكفر أحد من السلف أحدًا من مرجئة الفقهاء بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال، لا من بدع العقائد، فإن كثيرًا من النزاع فيها لفظي، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب» كتاب الايمان (ص٣٣٧) ط- المكتب الاسلامي.

(٢) تقدم تخريجه.

ولا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل، وأعني بالقول: التصديق بالقلب والإقرار باللسان، وهذا الذي يُعنى به عند إطلاق قولهم: الإيمان قول وعمل، لكن هذا المطلوب من العباد هل يشمله اسم الإيمان؟ أم الإيمان أحدهما؟ وهو القول وحده، والعمل مغاير له، لا يشمله اسم الإيمان عند إفراده بالذكر، وإن أطلق عليهما كان مجازا؟ هذا محل النِّزاع.

[الإجماع على استحقاق العاصي للوعيد:]

وقد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه أنه عاص لله ورسوله مستحق للوعيد.

[أحد الأقوال الفاسدة في شأن الإيمان:]

لكن فيمن يقول: إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، كمن قال: لما كان الإيمان شيئا واحدا، فإيماني كإيمان أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما، بل قال: كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبرائيل وميكائيل عليهم السلام.

[تفاوت الناس في الإيمان:]

وهذا غلو منه، فإن الكفر مع الإيمان كالعمى مع البصر، ولا شك أن البصراء يختلفون في قوة البصر وضعفه، فمنهم الأخفش والأعشى، و من يرى الخط الثخين دون الدقيق إلا بزجاجة ونحوها، ومن يرى عن قرب زائد على العادة وآخر بضده.

[التساوي في أصل الإيمان لا يلزم التساوي مطلقاً:]

ولهذا - والله أعلم - قال الشيخ رحمه الله: وأهله في أصله سواء.

يشير إلى أن التساوي إنما هو في أصله، ولا يلزم منه التساوي من كل وجه، بل تفاوت درجات نور لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يحصيها إلا الله تعالى، فمن الناس من نور لا إله إلا الله في قلبه كالشمس، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري، وآخر كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف.

[بركة شهادة أن لا إله إلا الله:]

وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته، بحيث إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف شهوة ولا شبهة ولا ذنبا إلا أحرقه، وهذه حال الصادق في توحيده، فسماء إيمانه قد حرس بالرجوم من كل سارق.

[توجيه أحاديث في شأن الموحدين:]

ومن عرف هذا عرف معنى قول النبي ﷺ: «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»(١)، وما جاء من هذا النوع من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم منسوخة، وظنها بعضهم قبل ورود الأوامر والنواهي، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود، ونحو ذلك.

[نصوص الوعد لا تنصرف لقول اللسان فقط:]

والشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان، وإن هذا من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم وهم تحت الجاحدين في الدرك الأسفل من النار، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب.

[زيادة الإيمان تفصيلًا:]

وأما زيادة الإيمان من جهة الإجمال والتفصيل، فمعلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن كله، ولا يجب على كل أحد من الإيمان المفصل مما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره كما في حق النجاشي وأمثاله.

وأما الزيادة بالعمل والتصديق المستلزم لعمل القلب والجوارح فهو أكمل من التصديق الذي لا يستلزمه، فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به، وأيضا فمن وجب عليه الحج والزكاة مثلا يجب عليه من الإيمان أن يعلم ما أمر به، ويؤمن بأن الله أوجب عليه ما لا يجب على غيره الإيمان به إلا مجملا، وهذا يجب عليه فيه الإيمان المفصل.

وكذلك الرجل أول ما يسلم إنما يجب عليه الإقرار المجمل، ثم إذا جاء وقت الصلاة كان عليه أن يؤمن بوجوبها ويؤديها، فلم يتساوَ الناس فيما أمروا به من الإيمان.

[تنازع أهل السنة في زيادة الإيمان:]

وإذا كان النزاع في هذه المسألة بين أهل السنة نزاعا لفظيا، فلا محذور فيه سوى ما

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الصلاة، ب: المساجد في البيوت، برقم: (٤٢٥)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، برقم: (٣٣).

يحصل من عدوان إحدى الطائفتين على الأخرى، والافتراق بسبب ذلك، وأن يصير ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام المذموم من أهل الإرجاء ونحوهم، وإلى ظهور الفسق والمعاصي، بأن يقول: أنا مؤمن مسلم حقا، كامل الإيمان والإسلام، ولي من أولياء الله، فلا يبالي بما يكون منه من المعاصي، وبهذا المعنى قالت المرجئة: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله.

وهذا باطل قطعا، فالإمام أبو حنيفة رضي الله عنه نظر إلى حقيقة الإيمان لغة مع أدلة من كلام الشارع، وبقية الأئمة رحمهم الله نظروا إلى حقيقته في عرف الشارع، فإن الشارع ضم إلى التصديق أوصافا وشرائط كما في الصلاة والصوم والحج ونحو ذلك.

[أدلة أصحاب أبي حنيفة على مذهبهم في الإيمان:]

فمن أدلة الأصحاب لأبي حنيفة رحمه الله أن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق، قال تعالى خبرا عن إخوة يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، أي: بمصدق لنا.

ومنهم من ادعى إجماع أهل اللغة على ذلك، ثم هذا المعنى اللغوي وهو التصديق بالقلب، هو الواجب على العبد حقا لله، وهو أن يصدق الرسول ﷺ فيما جاء به من عند الله، فمن صدق الرسول فيما جاء به من عند الله فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى، والإقرار شرط إجراء أحكام الإسلام في الدنيا، هذا على أحد القولين كما تقدم.

ولأنه ضد الكفر، وهو التكذيب والجحود، وهما يكونان بالقلب، فكذا ما يضادهما، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، يدل على أن القلب هو موضع الإيمان لا اللسان.

ولأنه لو كان مركبا من قول وعمل لزال كله بزوال جزئه.

ولأن العمل قد عطف على الإيمان، والعطف يقتضي المغايرة، قال تعالى: ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥] وغيرها، في مواضع من القرآن.

[الاعتراض على الحنفية:]

وقد اعترض على استدلالهم بأن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق يمنع الترادف بين التصديق والإيمان، وهب أن الأمر يصح في موضع، فلم قلتم إنه يوجب الترادف مطلقا.

[الإيمان يقابله الكفر لا التكذيب:]

هذا، وقد اعترضوا أيضاً بأنه لم يقابل لفظ الإيمان قط بالتكذيب كما يقابل لفظ التصديق، وإنما يقابل بالكفر، والكفر لا يختص بالتكذيب، بل لو قال: أنا أعلم أنك صادق

ولكن لا أتبعك بل أعاديك، وأبغضك وأخالفك لكان كفرا أعظم، فعلم أن الإيمان ليس التصديق فقط، ولا الكفر التكذيب فقط، بل إذا كان الكفر يكون تكذيباً، ويكون مخالفة ومعاداة بل تكذيباً، فكذلك الإيمان يكون تصديقاً، وموافقة وموالاة وانقياداً، ولا يكفي مجرد التصديق.

[التصديق يكون بالفعل كما يكون بالقلب:]

واعترضوا أيضاً بأن التصديق يكون بالأفعال أيضا كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**العينان تزنيان وزناهما النظر، والأذن تزني وزناها السمع**» إلى أن قال: «**والفرج يصدق ذلك ويكذبه**»[١].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس الإيمان بالتحلي، ولا بالتمني، ولكنه ما وقر في الصدور، وصدقته الأعمال.

[الله أمرنا بإيمان خاص:]

ولو كان تصديقا فهو تصديق مخصوص كما في الصلاة ونحوها كما قد تقدم، وليس هذا نقلا للفظ ولا تغييرا له، فإن الله لم يأمرنا بإيمان مطلق، بل بإيمان خاص وصفه وبينه، فالتصديق الذي هو الإيمان أدنى أحواله أن يكون نوعا من التصديق العام.

[الإيمان شعب كثيرة:]

واعترضوا أيضاً فقالوا: إن الرسول ﷺ قد وافقنا على معاني الإيمان حيث قال ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[٢].

فإذا كان الإيمان أصلا له شعب متعددة، وكل شعبة منها تسمى إيمانا، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة، والصوم، والحج، والأعمال الباطنة، كالحياء والتوكل، والخشية من الله والإنابة إليه، حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق، فإنه من شعب الإيمان.

وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعا، كشعبة الشهادتين، ومنها ما لا يزول بزوالها إجماعا كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتا عظيما، منها ما يقرب من شعبة الشهادة، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الاستئذان، ب: زنا الجوارح دون الفرج، برقم: (٦٢٤٣)، ومسلم، ك: القدر، ب: قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره، برقم: (٢٦٥٧).

(٢) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: أمور الإيمان، برقم: (٩)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، برقم: (٣٥).

[الكفر شعب أيضاً:]

وكما أن شعب الإيمان إيمان فكذا شعب الكفر كفر، فالحكم بما أنزل الله مثلا من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله كفر، وقد قال ﷺ: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» رواه مسلم(١).

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على قوة الإيمان وضعفه بحسب العمل.

[محبة الصحابة من الإيمان:]

وسيأتي في كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شأن الصحابة رضي الله عنهم، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، فسمى حب الصحابة إيمانا، وبغضهم كفرا.

[صلاح العمل من صلاح القلب:]

واعترضوا أيضاً: ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب، إذ لو أطاع القلب وانقاد لأطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، قال ﷺ: «**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب**».

فمن صلح قلبه صلح جسده قطعا بخلاف العكس.

[لا يلزم من زوال الجزء زوال الكل:]

وأما كونه يلزم من زوال جزئه زوال كله فإن أريد أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت فمسلم، ولكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء، وإنما يزول عنه الكمال.

[الأدلة الشرعية على زيادة الإيمان ونقصانه:]

والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جدا، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم: (٤٩)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥].

وقال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»(١).

والمراد: نفي الكمال، ونظائره كثيرة، وحديث شعب الإيمان السابق ذكره آنفاً يدل على ذلك أيضاً.

[استحالة تساوي الناس في الإيمان:]

فكيف يقال بعد هذا: إن إيمان أهل السموات والأرض سواء، وإنما التفاضل بينهم بمعان أخر غير الإيمان، وكلام الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى كثير أيضا.

[عطف العمل على الإيمان لا يقتضي المغايرة:]

واعترضوا أيضاً: وأما كون عطف العمل على الإيمان يقتضي المغايرة فلا يكون العمل داخلا في مسمى الإيمان، فلا شك أن الإيمان تارة يذكر مطلقا عن العمل وعن الإسلام، وتارة يقرن بالعمل الصالح، وتارة يقرن بالإسلام، فالمطلق مستلزم للأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥]، ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٨١].

وقال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» الحديث(٢)، وقال ﷺ: «**لا تؤمنوا حتى تحابوا**»(٣).

[عطف الشيء على الشيء أنواع:]

أما إذا عطف عليه العمل الصالح فاعلم أن عطف الشيء على الشيء يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشتراك في الحكم الذي ذكر لهما، والمغايرة على مراتب: أعلاها: أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر، ولا جزءا منه، ولا بينهما

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: حب الرسول ﷺ من الإيمان، برقم: (١٤)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، برقم: (٤٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، برقم: (٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

تلازم، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣]، وهذا هو الغالب.

ويليه: أن يكون بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢].

الثالث: عطف بعض الشيء عليه، كقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ﴾ [الأحزاب: ٧].

وفي مثل هذا وجهان: أحدهما أنه يكون داخلا في الأول فيكون مذكورا مرتين.

والثاني: أن عطفه عليه يقتضي أنه ليس داخلا فيه هنا، وإن كان داخلا فيه منفرداً، كما قيل مثل ذلك في لفظ الفقراء والمساكين ونحوهما، تتنوع دلالته بالإفراد والاقتران.

الرابع: عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين، كقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]، وقد جاء في الشعر العطف لاختلاف اللفظ فقط، كقوله:

.... فألفى قولها كذبا ومينا

ومن الناس من زعم أن في القرآن من ذلك قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، والكلام على ذلك معروف في موضعه.

[إطلاق الإيمان وقصد البر والتقوى:]

فإذا كان العطف في الكلام يكون على هذه الوجوه نظرنا في كلام الشارع، كيف ورد فيه الإيمان؟ فوجدناه إذا أطلق يراد به ما يراد بلفظ البر والتقوى والدين ودين الإسلام.

[الإيمان يشمل التصديق والعمل:]

وفي الصحيح قوله ﷺ لوفد عبد القيس: «**آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا الخمس من المغنم**»[(١)].

ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانا بالله بدون إيمان القلب لما قد أخبر

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: أداء الخمس من الإيمان، برقم: (٥٣)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين، برقم: (١٧).

في مواضع أنه لا بد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان. وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال، ولم يذكر التصديق للعلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود.

وفي حديث سؤالات جبريل في معنى الإسلام والإيمان، قال فيه النبي ﷺ: «**هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم دينكم**»، فجعل الدين هو الإسلام والإيمان، والإحسان، فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة، لكن هو درجات ثلاثة: مسلم، ثم مؤمن، ثم محسن.

والمراد بالإيمان ما ذكر مع الإسلام قطعا كما أنه أريد بالإحسان ما ذكر مع الإيمان، والإسلام، لا أن الإحسان يكون مجردا عن الإيمان هذا محال.

[الإسلام والإيمان اقتراناً وافتراقاً:]

فالحاصل أن حالة اقتران الإسلام بالإيمان غير حالة إفراد أحدهما عن الآخر، ونظائر ذلك في كلام الله ورسوله وفي كلام الناس كثيرة، أعني: في الإفراد، والاقتران منها: لفظ الكفر والنفاق، فالكفر إذا ذكر مفردا في وعيد الآخرة دخل فيه المنافقون كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]، ونظائره كثيرة.

وإذا قرن بينهما كان الكافر من أظهر كفره، والمنافق من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، وكذلك الإسلام والإيمان إذا قرن أحدهما بالآخر كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، كان المراد من أحدهما غير المراد من الآخر، وإذا انفرد أحدهما شمل معنى الآخر وحكمه، وكما في الفقير والمسكين ونظائره، فإن لفظي الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، فهل يقال في قوله تعالى: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ [المائدة: ٨٩]، أنه يعطى المقل دون المعدم؟ أو بالعكس؟ وكذا في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١].

[وجوب رد النزاع إلى الله ورسوله:]

والواجب رد موارد النزاع إلى الله ورسوله، وقد يتراءى في بعض النصوص معارضة ولا معارضة بحمد الله تعالى، ولكن الشأن في التوفيق، وبالله التوفيق.

[جميع النصوص الشرعية الصحيحة حق:]

قوله: «وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق»، يشير الشيخ رحمه الله بذلك إلى الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة، القائلين بأن

الأخبار قسمان: متواتر، وآحاد، فالمتواتر وإن كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين، ولهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات! قالوا: والآحاد لا تفيد العلم، ولا يحتج بها من جهة طريقها ولا من جهة متنها، فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول، وأحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية وبراهين يقينية، وهي في التحقيق: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٣٩ - ٤٠].

[أهل السنة لا يعدلون عن النص الصريح:]

وطريق أهل السنة: أن لا يعدلوا عن النص الصحيح، ولا يعارضوه بمعقول، ولا بقول فلان، كما أشار إليه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكما قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت الحميدي، يقول: كنا عند الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأتاه رجل فسأله عن مسألة، فقال: قضى فيها رسول الله ﷺ كذا وكذا، فقال رجل للشافعي: ما تقول أنت؟ فقال: سبحان الله: تراني في كنيسة؟ أتراني في بيعة؟ تراني على وسطي زنار؟ أقول لك: قضى رسول الله ﷺ، وأنت تقول: ما تقول أنت؟ ونظائر ذلك في كلام السلف كثير. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب: ٣٦].

توضيح كلام الطحاوي وابن أبي العز، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: المسائل العقدية التي ذكرها ابن أبي العز في شرحه.

تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- قول أهل الحق في تعريف الإيمان. ٢- قول كثير من الحنفية.

٣- قول الماتريدي في الإيمان. ٤- قول الكرامية.

٥- قول الجهمية ومن وافقهم.

٦- الخلاف بين أبي حنيفة وباقي الأئمة صوري.

٧- الإجماع على استحقاق العاصي للوعيد.

٨- أحد الأقوال الفاسدة في شأن الإيمان. ٩- تفاوت الناس في الإيمان.

١٠- التساوي في أصل الإيمان لا يلزم التساوي مطلقاً.
١١- بركة شهادة أن لا إله إلا الله. ١٢- توجيه أحاديث في شأن الموحدين.
١٣- نصوص الوعد لا تنصرف لقول اللسان فقط.
١٤- زيادة الإيمان تفصيلًا. ١٥- تنازع أهل السنة في زيادة الإيمان.
١٦- أدلة أبي حنيفة على مذهبهم في الإيمان.
١٧- الاعتراض على الحنفية. ١٨- الإيمان يقابله الكفر لا التكذيب.
١٩- التصديق يكون بالفعل كما يكون بالقلب.
٢٠- الله أمرنا بإيمان خاص. ٢١- الإيمان شعب كثيرة.
٢٢- الكفر شعب أيضاً. ٢٣- محبة الصحابة من الإيمان.
٢٤- صلاح العمل من صلاح القلب. ٢٥- لا يلزم من زوال الجزء زوال الكل.
٢٦- الأدلة الشرعية على زيادة الإيمان ونقصانه.
٢٧- استحالة تساوي الناس في الإيمان.
٢٨- عطف العمل على الإيمان لا يقتضي المغايرة.
٢٩- إطلاق الإيمان وقصد البر والتقوى. ٣٠- الإيمان يشمل التصديق والعمل.
٣١- الإسلام والإيمان اقتراناً وافتراقاً. ٣٢- وجوب رد النزاع إلى الله ورسوله.
٣٣- جميع النصوص الشرعية الصحيحة حق.
٣٤- أهل السنة لا يعدلون عن النص الصريح.

المطلب الثاني: شرح كلام الطحاوي.

معنى قول الطحاوي: «والإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان»، وذلك أن قوله: الإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان خطأ، والحق الذي عليه أهل السنة وجماهير العلماء أن الإيمان تصديق بالجنان، أي: القلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان - الجوارح -، وهذا من أصول أهل السنة والجماعة، والأدلة على أن العمل من الإيمان لا تحصى من الكتاب والسنة، وينبني على ذلك عند أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقال سبحانه: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، ولو كانت الأعمال غير داخلة في

مسمى الإيمان لاستوى جميع الناس في الإيمان: البر والفاجر، والمطيع والعاصي ما داموا قد أقروا بالخالق وألوهيته وأمور الإيمان الأخرى وصدقوا بها. غير أن هذا من الأصول الفاسدة، والحق هو ما ذكرناه مما ذهب إليه أهل السنة والجماعة.

وشرح كلام الطحاوي على وجه التفصيل يتضمن ما يلي:

أولا: مذهب أهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان.

لقد اتفق أهل السنة والجماعة، سلف الأمة، من الصحابة والتابعين، على أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وأن جميع أعمال الطاعات من الإيمان،و حكى اتفاق السلف على ذلك جماعة من أهل العلم كالشافعي(١) وأحمد والبخاري وبن عبدالبر(٢) والبغوي(٣) وغيرهم.

روى ابن الجوزي بسنده عن الإمام أحمد أنه قال: أجمع سبعون رجلا من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ...فذكر منها: والإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية(٤).

وقد روى البخاري بإسناد صحيح أنه قال: «لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»(٥).

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً ومصراً وشاماً ويمناً فكان من مذهبهم أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص(٦).

ومن القائلين أن الإيمان قول وعمل الأئمة الثلاثة: مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله(٧).

وبه صرح جماعة من علماء السلف في أقوالهم كالثوري، والأوزاعي، وابن جريج، ومعمر بن راشد، وإبراهيم النخعي، والحسن البصري، وإسحاق بن راهويه، وابن

---

(١) شرح أصول أعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٨٨٦ - ٨٨٧).

(٢) التمهد (٩/٢٣٨).

(٣) شرح السنة (١ / ٣٨ - ٣٩).

(٤) مناقب الإمام أحمد (ص٢٢٨).

(٥) انظر: فتح الباري (١ /٤٧).

(٦) أصول السنة (٩٧ ق)، و أصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص٧٢٧-٧٥٦).

(٧) انظر: الإيمان لأحمد بن حنبل (١ /٩٣، ٢ /٩٣)، الإيمان لأبي عبيد (ص٨٣)، الشريعة (ص ١١٧)، الحلية (٩/ ١١٥)، الإيمان لأبي يعلى (٢/ ٢٦)، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص ٢٠١)، اعتقاد الإمام أحمد (٢/ ٢١).

عيينة، وفضيل بن عياض، وابن المبارك، ووكيع بن الجراح، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وابن أبي شيبة، وغيرهم[(١)].

وذكر أيضا عبد الرزاق عن جماعة من السلف هذا القول.

قال أبو يعلى: قد ذكر النقاش في رسالته بإسناده عن عبد الرزاق قال: لقيت اثنين وسبعين شيخاً، ثم سرد أسماءهم وقال: كلهم يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص[(٢)].

وبه جزم أبو الحسن الأشعري في قوله الجديد بعد رجوعه إلى مذهب السلف، فقال في مقالاته عن مذهب السلف في الإيمان:

«ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص...».

ثم قال: «...فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب»[(٣)].

وقال في الإبانة: «الذي هي آخر مؤلفاته، ألفه بعد ما استقر أمره على عقيدة السلف، وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»[(٤)].

وهذا هو قول جميع المحدثين، وعلى رأسهم أبو عبد الله البخاري، فإنه عقد عدة أبواب في صحيحه ضمن كتاب الإيمان، وصرح بأنه قول وعمل، يزيد وينقص[(٥)].

وقال ابن حجر: وهو اللفظ الوارد عن السلف الذين أطلقوا ذلك[(٦)].

وقد عقد ابن أبي عاصم في كتاب السنة باباً مستقلا فقال: باب في الإرجاء والمرجئة، والإيمان قول وعمل، يزيد وينقص[(٧)].

فالسلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل، ولكن يرون أن الإيمان لا يستكمل إلا بالأعمال.

قال الأوزاعي: كان ممن مضى من السلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان[(٨)].

---

(١) انظر: الإيمان للإمام أحمد (١/ ٩٦، ٢/ ١١١)، الإيمان لأبي عبيد (ص ٨٣)، الإيمان لابن أبي شيبة (ص ٤٦)، الشريعة (ص ١١٧)، شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين (٣ ق)، السنة للالكائي (١/ ٢٠٣).

(٢) الإيمان لابن أبي يعلى (٢/ ٣٥). (٣) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٢٢- ٣٢٥).

(٤) الإبانة (ص ٢٤)، وبه قال في رسائل الثغر (ص ١٥٢). (٥) الجامع الصحيح للبخاري (١/ ٨-٩).

(٦) فتح الباري (١/ ٤٦). (٧) السنة (٢/ ٤٦١).

(٨) لوامع الأنوار (١/ ٤٠٥).

وقال ابن رجب: أنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديداً[١].

ثم إننا نجد أنه ورد عن بعض السلف أقوال قد توهم وجود اختلاف بين آرائهم في حقيقة الإيمان.

فقال جماعة: الإيمان المعرفة والإقرار والعمل.

وإليه ذهب مالك في أحد قوليه، وشريك، وأبو بكر بن عياش، وعبد العزيز بن أبي سلمة، وحماد بن زيد[٢].

وسئل فضيل بن عياض عن الإيمان، فقال: الإيمان عندنا داخلة وخارجة، الإقرار باللسان، والقول بالقلب، والعمل به[٣].

وأما عبيد بن عمير الليثي فإنه يرى أن الإيمان ليس بالتغني ولكن الإيمان قول يعقل، وعمل يعمل[٤].

وذكر عن سعيد بن جبير، والحسن البصري أنهما قالا في تفسير الإيمان: لا يستوي قول إلا بعمل، ولا يصلح قول وعمل إلا بنية، ولا يصلح قول وعمل ونية إلا بالسنة[٥].

وقال سفيان الثوري: الإيمان قول وعمل ونية، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة[٦].

وبه فسر الإيمان داود بن أبي هند إلا أنه زاد: إلا بنية موافقة السنة[٧].

قال ابن رجب: المشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ونية، وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان[٨].

وقد حصر شيخ الإسلام ابن تيمية أقوال السلف في أربعة: قول وعمل، قول وعمل ونية، قول وعمل واتباع السنة، قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح[٩].

---

(١) لوامع الأنوار (١/٤٠٥).
(٢) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (ص ٧٤)، السنة للالكائي (١/٢٠٣/٢).
(٣) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (ص ٧٥).
(٤) الإيمان للإمام أحمد (١/١١٨)، السنة لعبد الله (ص ٧٦).
(٥) الشريعة (ص ١٣١).
(٦) انظر: أصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون.
(٧) الشريعة (ص ١٣١).
(٨) لوامع الأنوار (١/٤٠٥).
(٩) انظر: الإيمان (ص ١٦٢)، الأمر بالمعروف (ص ٧٧).

ثم بين التوفيق بين هذه العبارات فقال: «المقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، وإنما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولًا فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم، كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولًا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولًا وعملًا بلا نية، فهو نفاق، وإذا كان قولًا وعملًا ونية بلا سنة فهو بدعة»[١].

ومن هنا يتبين أن أقوال السلف في تعريف الإيمان ليس بينها اختلاف، ولا تناقض، بل المضمون واحد، حتى إنهم لم يفرقوا بين القول والعمل، بل كلهم متفقون على أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

قال ابن منده: «إن الإيمان هو الطاعات كلها بالقلب واللسان وسائر الجوارح، غير أن له أصلا وفرعا، فأصله المعرفة بالله، والتصديق له وبه وبما جاء من عنده بالقلب واللسان، مع الخضوع له والحب له والخوف منه والتعظيم له، مع ترك التكبر والاستنكاف والمعاندة، فإذا أتى بهذا الأصل فقد دخل في الإيمان ولزمه اسمه وأحكامه، ولا يكون مستكملا له حتى يأتي بفرعه، وفرعه المفترض عليه أو الفرائض، واجتناب المحارم، وقد جاء الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإيمان بضع وسبعون أو ستون شعبة، أفضلها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»، فجعل الإيمان شعبا بعضها باللسان والشفتين، وبعضها بالقلب، وبعضها بسائر الجوارح، فشهادة أن لا إله إلا الله فعل اللسان تقول: شهدت أشهد شهادة، والشهادة فعله بالقلب، واللسان لا اختلاف بين المسلمين في ذلك، والحياء في القلب، وإماطة الأذى عن الطريق فعل سائر الجوارح»[٢].

كما أنهم فرقوا بين أجزاء الإيمان، فمنها ما يذهب الإيمان بذهابه مثل كلمة الشهادة،

---

(١) الإيمان (ص ١٦٣).

(٢) الإيمان (١/ ٣٣١ - ٣٣٢).

ومنها ما لا يذهب الإيمان بذهابه، كإماطة الأذى عن الطريق، فالأجزاء متفاوتة، ومثله كمثل أعضاء الإنسان، إذا ذهب الرأس هلك الإنسان، وإذا ذهب الأصابع أو الأيدي فالحياة باقية.

وهناك أقوال أخرى في حقيقة الإيمان نبينها بالتفصيل، ثم نذكر بعض الأدلة على مذهب السلف من الكتاب والسنة.

ثانياً: مذاهب المخالفين في مسمى الإيمان.

١- الخوارج:

يرى الخوارج أن الإيمان عبارة عن مجموع أمور ثلاثة: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

وهو كل عمل خير فرضاً كان أو نافلة مع اجتناب الكبائر، فالطاعات عندهم هي بجميع أنواعها إيماناً[1].

وقد ذكر ابن منده مذهبهم في الإيمان فقال: الإيمان في الطاعات المفترضة كلها بالقلب واللسان وسائر الجوارح[2].

والفرق بينهم وبين السلف أنهم يرون أن الإيمان كل لا يتجزأ ولا يتبعض، فبذهاب أي:من أموره ذهب كله، ولهذا فهو لا يزيد ولا ينقص.

وهذا هو أصلهم الذي بنوا عليه قولهم بأن مرتكب الكبيرة خالد مخلد في النار في الآخرة، وهو عين قول المعتزلة.

وأما في الدنيا فإنه كافر خارج عن الملة عند جمهور الخوارج.

وذهبت النجدات والإباضية إلى أن مرتكب ما فيه الوعيد معرفته بالله ﷻ، وبما جاء عنده كافر كفران النعمة، وليس بكافر كفر الشرك[3].

وأدلتهم في قولهم بأن الإيمان مركب من أشياء ثلاث هي بعينها الأدلة التي استدل بها السلف، وإنما الخلاف في الزيادة والنقصان حيث جعلوا الإيمان كلا لا يتجزأ.

٢- المعتزلة:

ذهبت المعتزلة إلى أن الإيمان يتركب من ثلاثة: إقرار باللسان، وتصديق بالجنان،

---

(١) الإيمان لأبي عبيد (ص ١٠١)، الفصل (٣/ ١٨٨). (٢) الإيمان لابن منده (١/ ٣٣١).

(٣) انظر: الإيمان لأبي عبيد (ص ١٠١، ١٠٢)، أصول الدين للبغدادي (ص ٢٤٩)، الفرق (ص ٥٥)، التبصير في الدين (ص ٢٦)، الملل والنحل (١/ ١٣٥).

وعمل بالأركان. وهو كل عمل خير فرضاً كان أو نافلة، مع ترك المقبحات، فهم يعتبرون الطاعات بجميع أنواعها إيماناً.

وهذا هو المذهب المختار عند جمهور المعتزلة، خلافاً لأبي علي الجبائي وأبي هاشم، فإن الإيمان عندهما عبارة عن أداء الطاعات الفرائض منها دون النوافل مع اجتناب المقبحات[١].

فالمعتزلة إذا يوافقون السلف في تعريف الإيمان من هذه الجهة، وإنما الخلاف بينهم وبين السلف هو أن المعتزلة يجعلون الإيمان كلا لا يتجزأ، فإذا ذهب البعض ذهب الكل، فالإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص أبداً، وهم متفقون في ذلك مع الخوارج.

ولذا فقد حكموا بخلود مرتكب الكبيرة في النار، وإن لم يكفروه، وإنما أخرجوه من الإيمان، وجعلوه في منزلة بين المنزلتين، فهو عندهم في الدنيا لا مؤمن ولا كافر.

وقد ذكر ابن حزم عن مذهب المعتزلة فقال: إن الإيمان هو المعرفة بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح، وأن كل طاعة عمل خير فرضاً كان أو نافلة فهي إيمان[٢].

وقال ابن تيمية: إن الإيمان عندهم جماع الطاعات[٣].

فهذا القول الذي ذكره ابن حزم وابن تيمية عن المعتزلة هو المذهب المختار الذي عليه جمهور المعتزلة.

وحكى البغدادي عنهم قولهم، برجوع الإيمان إلى جميع الفرائض مع ترك الكبائر[٤].

وهو مذهب أبي علي الجبائي، وأبي هاشم، وجماعة.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «قالت المعتزلة: الإيمان بالقلب، واللسان مع اجتناب الكبائر، فمن قارف شيئاً كبيراً زال عنه الإيمان، ولم يلحق بالكفر، فسمي فاسقاً ليس بمؤمن ولا كافر، إلا أن أحكام الإيمان جارية عليه»[٥].

قال الأشعري: واختلفت المعتزلة في الإيمان ما هو؟ على ستة أقاويل:

١- فقال قائلون: الإيمان هو جميع الطاعات فرضها ونفلها، وأن المعاصي على

---

(١) انظر: الإيمان لأبي عبيد (ص ١٠١)، شرح الأصول الخمسة (ص ٧٠٧)، التبصير في الدين (ص ٤٠)، الإيمان لأبي يعلى (٢/ ٢٦٠)، الإرشاد (ص ٣٧٩)، المواقف (ص ٣٨٥).

(٢) الفصل (٣/ ١٨٨).

(٣) الإيمان (ص ٢٨١).

(٤) أصول الدين (ص ٢٤٩).

(٥) الإيمان (ص ١٠١ - ١٠٢).

ضربين: منها صغائر ومنها كبائر، وأن الكبائر على ضربين: منها ما هو كفر، ومنها ما ليس بكفر، وأن الناس يكفرون من ثلاثة أوجه: رجل شبه الله سبحانه بخلقه، ورجل جوره في حكمه، أو كذبه في خبره، ورجل رد ما أجمع المسلمون عليه عن نبيهم ﷺ نصا وتوقيفا.

وزعموا أن الإيمان كله إيمان بالله منه ما تركه كفر، ومنه ما تركه فسق ليس بكفر، ومنه ما تركه صغير ليس بفسق ولا كفر، ومنه ما تركه ليس بكفر ولا بعصيان.

٢- الإيمان جميع الطاعات فرضها ونفلها، والإيمان على ضربين: إيمان بالله، وإيمان لله، ولا يقال: إنه إيمان بالله، فالإيمان بالله ما كان تركه كفرا بالله، والإيمان لله يكون تركه كفرا، ويكون تركه فسقا ليس بكفر.

٣- الإيمان هو جميع ما أمر الله سبحانه به من الفرض وما رغب فيه من النفل.

٤- الإيمان اجتناب الكبائر، والكبائر ما جاء فيه الوعيد.

٥- الإيمان اجتناب ما فيه الوعيد عندنا وعند الله.

٦- الإيمان هو جميع ما افترضه الله سبحانه على عباده، وأن النوافل ليس بإيمان»[١].

وهذه الأقوال التي ذكرها الأشعري كلها ترجع إلى القولين المذكورين فقط، والخلاف في ذلك خلاف لفظي لا غير، ولا وجود له في الحقيقة.

فالمعتزلة اتفقوا على أن الإيمان مركب من مجموع أمور ثلاثة السالفة الذكر، بل وقع عليه إجماعهم[٢].

وهذا هو بعينه مذهب بعض الشيعة، فهم يتفقون مع المعتزلة في هذا الباب[٣].

٣- المرجئة:

ذهب المرجئة إلى أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، وأنه لا يزيد ولا ينقص.

فمن صدق بالقلب وانقاد له بإدخال الأعمال فيه، بأن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وما يجب تصديقه من الدين بالضرورة فهو مؤمن كامل الإيمان، وإن لم ينطق بلسانه، ولم يعمل جوارحه[٤].

قال أبو بكر الباقلاني: فإن قالوا: خبرونا ما الإيمان عندكم؟ قيل: الإيمان هو

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٠٣). (٢) طبقات المعتزلة (ص ٨).

(٣) انظر: الإيمان لأبي عبيد (ص ١٠٢)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٤٠)، الفصل (٣/ ١٨٨).

(٤) انظر: الإيمان لابن منده (١/ ٣٣١)، الإيمان لأبي يعلى (١/ ٢٧)، الإيمان لابن تيمية (ص ١٨٤).

التصديق بالله، وهو العلم والتصديق يوجد بالقلب.

فإن قال: فما الدليل على ما قلتم؟

قيل: إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن وبعثة النبي ﷺ هو التصديق، لا يعرفون في اللغة إيماناً غير ذلك.

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، أي: بمصدق لنا، ومنه قولهم: فلان يؤمن بالشفاعة وفلان لا يؤمن بعذاب القبر، أي:لا يصدق بذلك، فوجب أن يكون الإيمان في الشريعة هو الإيمان المعروف في اللغة لأن الله ما غير اللسان العربي وقلبه، ولو فعل ذلك لتواترت الأخبار بفعله، وتوفرت دواعي الأمة على نقله، ولغلب إظهاره على كتمانه، وفي علمنا أنه لم يفعل ذلك، بل إقرار أسماء الأشياء والتخاطب بأسره على ما كان دليل على أن الإيمان في الشريعة هو الإيمان اللغوي(١).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن طوائف المرجئة ثلاث، فقال عن الطائفة الأولى أنهم يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب، وهم أكثر فرق المرجئة كما ذكره أبو الحسن الأشعري(٢).

فالمرجئة اتفقوا على أن العمل ليس ركنا من الإيمان ولا داخلًا فيه، كما أنهم أجمعوا على أنه لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة(٣).

وقد ذكر الآجري هذا القول عن المرجئة فقال: إنه من قال: لا إله إلا الله لم تضره الكبائر أن يعملها، ولا الفواحش أن يرتكبها، وأن البار المتقي الذي لا يباشر من ذلك شيئاً والفاجر يكون سواء(٤).

وقال سفيان الثوري: خالفنا المرجئة في ثلاث: نحن نقول: الإيمان قول وعمل، وهم يقولون: قول بلا عمل، ونحن نقول: يزيد وينقص، وهم يقولون: لا يزيد ولا ينقص، ونحن نقول نحن مؤمنون بالإقرار، وهم يقولون نحن مؤمنون عند الله(٥).

---

(١) التمهيد للباقلاني (ص٣٤٦-٣٤٧). (٢) الإيمان (ص ١٨٤).

(٣) الشريعة (ص ١٤٧)، أصول الدين (ص ١٥٣)، التبصير في الدين (ص ٦٠)، نهاية الإقدام (ص ٤٧١)، لباب العقول (ص ٣٩١)، والإيمان (ص ١٨٤)، فتح الباري (١/ ٤٧، ١١٠).

(٤) انظر: الشريعة (ص ١٤٧).

(٥) انظر: الاعتقاد (ص ٨٤)، شرح السنة للبغوي (١/ ٤١).

ويجدر بنا أن نذكر مَنْ مِنَ المرجئة الذين يقولون بهذا القول، نظراً لاختلاف الباحثين في أصنافهم.

وقد سبق أن ذكرنا قول شيخ الإسلام ابن تيمية في المرجئة بأنهم ثلاثة أصناف.

قال البغدادي والإسفراييني: إنهم خمس فرق، وهم: اليونسية، والغسانية، والثوبانية، والتومنية، والمريسية(١).

وإليه ذهب الرازي إلا أنه لم يذكر المريسية وذكر الخالدية(٢).

ويرى الشهرستاني أن المرجئة الخالصة ست طوائف، وذكر مقالاتهم في الإيمان وهم: اليونسية، والعبيدية، والغسانية، والثوبانية، والتومنية، والصالحية(٣).

وأما ابن حزم فإنه يعد الجهمية والكرامية والأشعرية وأبا حنيفة من المرجئة(٤).

وخالف الأشعري هؤلاء كلهم في تعداد الفرق التي توصف بالمرجئة، فذكر اثنتي عشرة فرقة، حيث عد أبا حنيفة وأصحابه من جملتهم، وسبب ذلك هو قولهم: إن الأعمال ليست من الإيمان(٥).

وعلى ذلك فإن الذين يقولون: إن الإيمان هو التصديق بإدخال أعمال القلب فيه فهم المرجئة الخالصة الذي نحن في صدد ذكر مذهبهم.

٤- الجهمية:

ذهب الجهمية إلى أن الإيمان هو مجرد معرفة الله لا غير، والإيمان عندهم واحد لا يتجزأ، وأهله فيه سواء، فهو لا يزيد ولا ينقص(٦).

وقال الأشعري: وزعمت الجهمية أن الإنسان إذ أتى بالمعرفة ثم جحد لسانه فإنه لا يكفر بجحده، وأن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه، وأن الإيمان والكفر لا يكونان إلا في القلب دون غيره من الجوارح(٧).

---

(١) انظر: الفرق (ص ١٩١)، التبصير في الدين (ص ٥٩).
(٢) اعتقادات فرق المسلمين (ص ١٠٧، ١٠٩). (٣) الملل والنحل (١/ ١٤٤- ١٤٥).
(٤) الفصل (٣/ ١٨٨، ١٩٢). (٥) مقالات الإسلاميين (١/ ١٩٧- ٢٠٥).
(٦) انظر: الإيمان لأبي عبيد (ص ٧٩)، السنة لعبد الله بن أحمد (ص ٧٢ - ٧٣)، الإيمان لأبي يعلى (١/ ٢٧)، أصول الدين للبغدادي (ص ٢٤٩).
(٧) مقالات الإسلاميين (١/ ١٩٨).

وبناء على هذا فإن كل من عرف الله ولم ينطق بالإيمان لم يكفر؛ لأن العلم لا يزول بالصمت، وهو مؤمن به عند الجهمية(١).

ونسب الذهبي إلى الجهم: أن الإيمان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية، وعبد الأوثان، أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام، وعبد الصليب، وأعلن التثليث في دار الإسلام، ومات على ذلك، فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله ﷻ من أهل الجنة(٢).

وهكذا فإن الجهمية ترى أن الإيمان عبارة عن شيء واحد وهو المعرفة، وأنه لا يزيد ولا ينقص، والناس فيه سواء.

وذكر هذا القول عن الجهمية أكثر كتب الفرق والمذاهب(٣).

ويرى البعض أن مذهب الجهمية في الإيمان أنه التصديق مجرداً من أعمال القلوب؛ لأن المعرفة والتصديق شيء واحد في القلب.

ومن هؤلاء ابن تيمية حيث قال عن مذهب الجهمية: إن الإيمان مجرد تصديق القلب، ولم يجعل أعمال القلوب من الإيمان(٤).

ولذلك عدهم أبو الحسن الأشعري في مقالاته وابن منده في كتاب الإيمان من فرق المرجئة(٥).

ويجدر بنا أن نبين الفرق الموجود بين التعبيرين - أعني - التصديق الذي هو قول المرجئة، والمعرفة التي هي قول الجهمية.

فالمعرفة مجرد العلم دون انقياد القلب، فمن عرف الله بقلبه صح إيمانه، ولا يشترط الإذعان ولا الخضوع والانقياد.

وأما التصديق، فهو تصديق القلب وانقياده بإدخال الأعمال فيه بأن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وحلوه ومره.

فالتصديق المستلزم لعمل القلب أكمل وأقوى من التصديق الذي لا يستلزم عمله،

---

(١) الخطط للمقريزي (٤/ ١٧٠). (٢) تاريخ الإسلام (٥/ ٣٦).

(٣) انظر: الفصل (٣/ ١٨٨)، أصول الدين للبزدوي (ص ١٥٣)، الفرق بين الفرق (ص ٢١١)، أصول الدين للبغدادي (ص ٢٤٩)، الإرشاد (ص ٣٨٥)، الملل والنحل (١/ ٨٨).

(٤) الإيمان (ص ١٨٤ - ١٩٠).

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٩٨)، الإيمان لابن منده (١/ ٣٣١).

وهو الشيء الزائد على المعرفة[١].

وعلى هذا فإن الجهم جعل الإيمان تصديقاً مجرداً عن أعمال القلوب.

٥- الحنفية:

وأما فيما يتعلق بالحنفية فإنهم قد اختلفوا في المراد بالإيمان على الحقيقة:

فذهب أبو حنيفة وبعض أصحابه إلى أن الإيمان عبارة عن أمرين فقط، وهما: إقرار باللسان، وتصديق بالجنان[٢].

قال أبو حنيفة: «الإيمان إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، والإقرار وحده لا يكون إيماناً؛ لأنه لو كان إيماناً لكان المنافقون كلهم مؤمنين، وكذلك المعرفة لا تكون إيماناً؛ لأنها لو كانت إيماناً لكان أهل الكتاب كلهم مؤمنين، وقال تعالى في حق المنافقين: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، وقال تعالى في أهل الكتاب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]»[٣].

وقال في الفقه الأكبر: «والإيمان هو الإقرار، والتصديق، وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به، ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق»[٤].

وقال أبو جعفر الطحاوي: الإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان[٥].

وهو رأي السرخسي، وشمس الأئمة الحلواني، وأبو حفص النسفي، والتفتازاني من الأحناف[٦].

ومعنى ذلك أنهم يجعلون الإيمان مركباً من جزئين، فالركن الأول لا يقبل السقوط أبداً وهو التصديق، والركن الثاني يكون سقوطه والتجاوز عنه لوجود ملابسات تمنع من الوفاء به وهو الإقرار.

إلا أن التصديق عندهم له مكانة ليست للإقرار، فإن الركن الأساسي لا يمكن زواله مع بقاء الإنسان مؤمنا، فلا بد له من التصديق بخلاف الإقرار فإنه تسقط في

---

(١) الإيمان (ص ٣٨١)، الحاوي للفتاوى (٢/ ١١٥).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٢١)، الفصل (٣/ ١٨٨)، المواقف (ص ٣٨٤)، تحفة المريد (ص ٤٦).

(٣) الوصية لأبي حنيفة (ص ١٧ - ١٨).

(٤) شرح الفقه الأكبر (ص ١٦٩).

(٥) العقيدة الطحاوية (ص ٤٢).

(٦) شرح الفقه الأكبر (ص ٦٩)، شرح العقائد النسفية للتفتازاني (ص ١٥٣).

حالة العذر والإكراه(١).

وقال الجمهور منهم: إن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، وأن الإقرار باللسان هو ركن زائد ليس بأصلي، وهو شرط لإجراء الأحكام في الدنيا، وليس داخلًا في الإيمان(٢).

قال ملا علي القاري: «إن جمهوراً من المحققين ذهبوا إلى أن الإيمان هو التصديق بالقلب، وإنما الإقرار شرط لإجراء الأحكام في الدنيا لما كان تصديق القلب أمراً باطناً لا بد له من علاقة، فمن صدق بقلبه ولم يقر لسانه فهو مؤمن عند الله، وإن لم يكن مؤمنا في أحكام الدنيا، ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فهو بالعكس»(٣).

وإليه ذهب أبو البركات النسفي، وملا علي القاري، وجمهور الأشاعرة(٤).

وهذا هو اختيار أبي منصور الماتريدي(٥).

٦- الكرامية:

وأما الكرامية فإن الإيمان عندهم هو مجرد الإقرار، ولو من غير معرفة ولا تصديق، فإن أقر بأمور الإيمان ظاهراً فهو مؤمن بإقراره، ولا يلزمه غير ذلك(٦).

وقد ذكر ابن حزم مذهبهم فقال: الإيمان هو إقرار باللسان بالله تعالى وإن اعتقد الكفر بقلبه، فإذا فعل ذلك فهو مؤمن من أهل الجنة(٧).

ويقول أبو يعلى البغدادي عن مذهب الكرامية: الإيمان هو التصديق باللسان، وهو الإقرار بالشهادتين دون طمأنينة القلب، ويفيد هذا أن الأفعال ليست من الإيمان، ولا من شرائعه، وأنه إذا أتى بالشهادتين فهو كامل الإيمان وإن لم يكن يأت بالأفعال(٨).

ويشرح البغدادي مذهبهم فيقول: زعمت الكرامية أن الإيمان إقرار فرد، وهو قول الخلائق «بلى» في الذر الأول، حين قال الله تعالى لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وزعموا أن ذلك القول باق في كل ما قاله مع سكوته وخرسه إلى القيامة، لا يبطل عنه إلا بالردة، فإذا ارتد

(١) انظر: شرح الفقه الأكبر (ص٦٩)، شرح العقائد النسفية للتفتازاني (ص ١٥٣).
(٢) انظر: شرح العقائد النسفية (ص ١٥٣ - ١٥٣).
(٣) شرح الفقه الأكبر (ص ٨٦ - ٨٧).
(٤) انظر: شرح العقائد النسفية (ص ١٥٤)، شرح الفقه الأكبر (ص ٨٦- ٨٧)، تحفة المريد (ص٤٦).
(٥) انظر: التوحيد للماتريدي (ص ٣٠٨)، وراجع: شرح العقائد النسفية (ص ١٥٤).
(٦) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٥)، التبصير في الدين (ص ٦٩)، الإرشاد (ص ٣٩٦)، المواقف (ص ٣٨٤).
(٧) الفصل (٣/ ١٨٨).
(٨) الإيمان لأبي يعلى (١/ ٢٧).

ثم أقر ثانياً كان إقراره الأول بعد الردة إيمانا، وزعموا أن تكرير الإقرار ليس بإيمان، وزعموا أيضاً أن المنافقين مؤمنون حقاً، وأجازوا أن يكون مؤمن حقاً مخلداً في النار، وأن يكون كافر حقاً في الجنة[١].

فهم يسمون المنافق مؤمنا باعتبار إقراره الظاهر، وأما في الآخرة فهو مستحق للوعيد لنفاقه، وهذا لا شك مذهب فاسد.

٧- الأشاعرة:

اختلفت أقوال الأشاعرة في حقيقة الإيمان:

فجمهورهم على أن الإيمان شيء واحد لا يتركب، وهو التصديق بالقلب دون غيره.

وإليه ذهب أبو الحسن الأشعري في قوله القديم، وابن الراوندي، والحسين بن الفضل البجلي[٢].

قال الباقلاني: «واعلم أن حقيقة الإيمان هو: التصديق.

ثم قال: وأن محل التصديق القلب، وهو: أن يصدق القلب بأن الله إله واحد، وأن الرسول حق، وأن جميع ما جاء به الرسول حق، وما يوجد من اللسان وهو الإقرار، وما يوجد من الجوارح وهو العمل، فإنما ذلك عبارة عما في القلب، ودليل عليه.

ويجوز أن يسمى إيماناً حقيقة على وجه، ومجازاً على وجه.

ومعنى ذلك: أن العبد إذا صدق قلبه بما قلنا وأقر بلسانه، وعملت جوارحه، فهو المؤمن الحقيقي عند الله وعندنا.

وأما من كذب بقلبه، وأقر بالوحدانية بلسانه، وعمل الطاعات بجوارحه، فهذا ليس بمؤمن حقيقة، وإنما هو مؤمن مجازاً؛ لأن ذلك يمنع دمه وماله في أحكام الدنيا؛ لأنه مؤمن من حيث الظاهر»[٣].

وقال الآخرون: إن الإيمان يتركب من أمرين: إقرار باللسان، وتصديق بالجنان.

وإليه ذهب إمام الحرمين الجويني، وعبد الله بن سعيد، وأبو العباس القلانسي،

---

(١) أصول الدين (ص ٢٥٠).

(٢) انظر: الفصل (٣/ ١٨٨)، أصول الدين للبغدادي (ص ٢٤٨)، الملل والنحل (١/ ١٠١)، تحفة المريد (ص ٤٦).

(٣) الإنصاف (ص ٥٥)، وبه فسر الإيمان الإيجي في المواقف (ص ٣٨٥).

وأبو علي الثقفي، وأبو عبد الله بن مجاهد، وغيرهم من الأشاعرة(١).

قال أبو المعالي الجويني: «المؤمن على التحقيق من انطوى عقدا على المعرفة بصدق من أخبر عن صانع العالم وصفاته وأنبيائه، فإن اعترف بلسانه بما عرف بجنانه فهو مؤمن ظاهراً وباطناً، وإن لم يعترف بلسانه معانداً لم ينفعه علم قلبه، وكان في حكم الله من الكافرين به، كفر جحود وعناد، وكذلك كان كفر فرعون وكل معاند جحود. وكذلك عرف أحبار اليهود نبوة محمد ﷺ، وصادفوا نعته في التوراة، فجحدوا بغيا وحسداً، فأصبحوا من الكافرين، ومن أضمر الكفر وأظهر كلمة الإيمان فهو المنافق الذي يتبوأ الدرك الأسفل من النار»(٢).

وهذا الرأي الذي ذهب إليه الآخرون يوافق تماماً الرأي الذي ذهب إليه أبو حنيفة، ومن تبعه، وهو أن الإيمان مركب من شيئين: إقرار باللسان، وتصديق بالجنان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، إلا في الحالة الشاذة، كالأخرس الذي لا يستطيع أن ينطق بلسانه فيكتفى بالتصديق فقط.

ثالثاً: بيان أدلة مذهب أهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان.

بعد سياق مذاهب الناس في الكلام عن حقيقة الإيمان ظهر جلياً لا ريب فيه أن قول السلف هو الحق في هذا الباب، وهو أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وهذا هو الموافق لنصوص الكتاب والسنة.

أما الكتاب:

فمنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ووجه الدلالة من الآية: تسميته سبحانه الصلاة إيماناً كما يدل عليه ما ورد في سبب نزولها.

فقد أخرج البخاري في صحيحه(٣) أن هذه الآية نزلت في الذين ماتوا من الصحابة قبل تحويل القبلة، وهم على الصلاة إلى بيت المقدس، فسئل الرسول ﷺ عنهم فنزلت هذه الآية.

ومنها قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ

---

(١) انظر: الإرشاد (ص ٣٩٧)، أصول الدين للبغدادي (ص ٢٤٩)، الإيمان لابن تيمية (ص ١١٤)، تحفة المريد (ص ٤٦).

(٢) العقيدة النظامية (ص ٨٥).

(٣) صحيح البخاري، ك: الإيمان، ب: الصلاة من الإيمان، برقم: (٤٠).

وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ووجه الدلالة من الآية أن لفظ «الإيمان» إذا ورد في كلام الشارع مطلقاً يراد به ما يراد بلفظ البر والتقوى والدين، كما ذكر في أسباب النزول أن الصحابة سألوا عن الإيمان فأنزل الله هذه الآية.

أورده ابن حجر وعزاه لعبد الرزاق وقال: رجاله ثقات(١).

وأخرج ابن أبي حاتم وصححه عن أبي ذر أنه سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان فتلا: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ﴾ الآية(٢).

وأخرج إسحاق بن راهويه في مسنده وعبد بن حميد وابن مردويه عن القاسم بن عبد الرحمن، قال: «جاء رجل إلى أبي ذر فقال: ما الإيمان؟ فتلا عليه هذه الآية: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ﴾ الآية، حتى فرغ منها، فقال الرجل: ليس عن البر سألتك، فقال أبو ذر: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عما سألتني فقرأ عليه هذه الآية، فأبى أن يرضى كما أبيت أن ترضى»(٣).

ومنها قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣]. إلى قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠].

فقد أورد أبو عبيد القاسم بن سلام هذه الآية دليلا على أن الأعمال من الإيمان، وقال: «أفلست تراه تبارك وتعالى قد امتحنهم بتصديق القول بالفعل، ولم يكتف منهم بالإقرار دون العمل، حتى جعل أحدهما من الآخر، فأي شيء يتبع بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهاج السلف بعده الذين هم موضع القدوة والأمانة»(٤).

وأما الأحاديث:

فمنها قوله ﷺ في حديث وفد عبد القيس، وفيه: «فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع: أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: **أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟** قالوا: الله ورسوله أعلم،

(١) انظر: فتح الباري (١/ ٥١).
(٢) الدر المنثور (١/ ١٦٩).
(٣) الدر المنثور (١/ ١٦٩).
(٤) الإيمان لأبي عبيد (ص ٦٦).

قال: **شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس، ونهاهم عن أربع: الحنتم، والدباء، والنقير، والمزفت، وقال: احفظوهن، وأخبروا بهن من وراءكم**»(١).

وقوله ﷺ في حديث شعب الإيمان: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»(٢).

وقوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: **إيمان بالله ورسوله**، قيل: ثم ماذا؟ قال: **الجهاد في سبيل الله**، قيل: ثم ماذا؟ قال: **حج مبرور**»(٣).

فكل ما سبق من النصوص - وغيرها كثيرة - يدل بوضوح على أن مذهب السلف هو الحق في الباب، وهو أن الإيمان قول وعمل، لا ينفع التصديق دون العمل، وأنه يزيد وينقص.

رابعاً: زيادة الإيمان ونقصانه:

أما زيادة الإيمان ونقصانه فقال السلف: إن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وذلك بعدما أجمعوا على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، نظراً إلى التفاوت الموجود في أعمال أفراد المكلفين.

فمنهم من أتى بما أمر الله، وانتهى عما نهى عنه على أكمل وجه، مصدقاً بقلبه تصديقاً جازماً.

ومنهم من أتى بالأوامر، واجتنب النواهي إلا أنه اكتفى بالإتيان بالواجبات، ولم يتطرق إلى ما سواها من النوافل والسنن.

وصدق آخر بكل ما جاء من الله ورسوله غير أنه كان متهاوناً ومقصرا في أداء الواجبات، كما قد صدرت منه المخالفات.

فلا يمكن التسوية فيما بينهم؛ لأن التفاوت بينهم موجود ودرجاتهم متباينة، وبناء على هذا الفرق الواضح، قال علماء السلف: إن الإيمان قابل للزيادة والنقصان.

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: من قال إن الإيمان هو العمل، برقم: (٢٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: مذهب أهل السنة والحديث على أن الإيمان يتفاضل، وجمهورهم يقولون: يزيد وينقص.

ثم قال: زيادة الإيمان الذي أمر الله به والذي يكون من عباده المؤمنين من وجوه، ثم ذكر عدة وجوه على أن زيادة الإيمان من جهة التصديق، وبالتالي من جهة الأعمال(١).

وهذا هو قول جميع السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الدين، وهو قول مالك، والشافعي، وأحمد، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهويه، والثوري، والأوزاعي، وابن عيينة، والحسن البصري، وابن المبارك، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ووكيع بن الجراح، وحماد بن سلمة، وغيرهم كثير من السلف الذين قالوا: إن الأعمال من الإيمان(٢).

وبه قال أبو الحسن الأشعري في قوله الجديد بعد رجوعه إلى مذهب السلف(٣).

وهذا رأي جماعة من المتكلمين كالبغدادي، والغزالي، والآمدي، والإيجي، وجمهور الأشاعرة الذين قالوا: إن الإيمان هو التصديق، يزيد وينقص، يعني: أن التصديق يزيد في بعض الأوقات، وينقص في بعضها(٤).

فهؤلاء يوافقون السلف في الزيادة والنقصان من هذه الجهة، وأما الخلاف بينهم وبين السلف فهو من جهة أخرى وهي الأعمال.

وذهب قوم إلى أن الإيمان يقبل الزيادة، ولا يقبل النقصان، وهو قول بعض الأشاعرة(٥).

وبه قال الحسين النجار من المتكلمين(٦).

وروي عن الإمام مالك في إحدى الروايات عنه أنه قال بزيادة الإيمان وأما النقصان

---

(١) الإيمان لابن تيمية (ص ٢١٩).

(٢) انظر: الإيمان للإمام أحمد (١/ ٩٦، ٩٨، ١١١/ ١ - ٢)، الإيمان لابن أبي شيبة (ص ٣٥)، الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص ٧٢)، الإيمان لأبي عمرو العدني، السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (ص ٧٦)، الشريعة للآجري (ص ١١٧)، السنة للالكائي (١/ ٢٠٤/ ١)، القرآن كلام الله لابن النجا (٧٦، ٨٧، ٩٦ ق)، الإيمان لأبي يعلى البغدادي (٣٥ ق).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٢٢)، الإبانة كلاهما للأشعري (ص ٢٤).

(٤) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص ٢٥٢)، الاقتصاد (ص ٢٠٨)، المواقف (ص ٣٨٨)، إتحاف المريد (ص ٤٩).

(٥) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص٢٥٢)، تحفة المريد (ص ٥١).

(٦) أصول الدين للبزدوي (ص ١٥٣).

فتوقف فيه، فلم يجزم بنفي ولا إثبات(١).

وذكر النووي سبب توقفه فقال: ولذلك توقف مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض الروايات عن القول بالنقصان؛ إذ لا يجوز نقصان التصديق؛ لأنه إذا نقص صار شكاً، وخرج عن اسم الإيمان.

وقيل: إنما توقف مالك لخشيته أن يتأول عليه موافقة الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصي من المؤمنين بالذنوب(٢).

والقائلون بهذا الرأي قليل جداً، ولعل السبب الذي دفع هؤلاء إلى هذا الرأي هو عدم ورود آية في القرآن تدل بالصراحة على نقصان الإيمان.

وقال المعتزلة والخوارج: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص أبداً؛ لأن الإيمان عندهم شيء واحد لا يتجزأ، إذ لا يمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه الآخر، فإذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيء، فيخلد في النار.

ولذا قالوا بعدم زيادة الإيمان ونقصانه، وأولوا الآيات والأحاديث التي وردت في الزيادة، وقالوا بأن الزيادة والنقصان في الإيمان تعتبر من ناحية التكاليف، وهو شيء نسبي بين المكلفين، فذاك الشخص إيمانه أكثر من إيمان هذا؛ لأن ذلك كلف بشيء زائد لم يكلف به الآخر، والآخر غير مؤاخذ على تركه؛ لأنه لم يكلف به لعدم قدرته عليه، فالغني عندهم أكثر إيماناً من فقير؛ لأنه مكلف بأمر زائد وهو الزكاة.

وعندهم أن المعصية لا تعلق لها بزيادة الإيمان ونقصانه؛ لأن الإيمان عندهم لا يتجزأ، فالزيادة والنقصان في الكم الذي يكون بطاعات الجوارح، وأما الكيف فلا زيادة فيه ولا نقصان؛ لاستواء المكلفين في وجوب التصديق القلبي(٣).

وبه قالت المرجئة والجهمية والكرامية بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه عبارة عن شيء واحد وهو التصديق والمعرفة أو الإقرار، إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء، فيكون شيئا واحداً يستوي فيه البر والفاجر، فالتصديق لا يقبل التفاوت عندهم؛ لأن التفاوت فيه إنما هو لاحتمال النقيض وهو الشك، وهو غير مفيد، وكذلك الإقرار غير قابل للتفاوت(٤).

---

(١) انظر: ترتيب المدارك (١/ ١٧٤)، الإيمان لابن تيمية (ص ٢١٩).
(٢) شرح صحيح مسلم (١/ ١٤٦).
(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص ٧٠٧)، متشابه القرآن (١/ ٣١٢-٣١٣)، الإيمان لابن تيمية (ص ٢١٠).
(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٩٨)، أصول الدين للبغدادي (ص ٢٥٢)، شرح السنة للبغوي (١/ ٤١)، =

وإليه ذهب أبو حنيفة وجمهور الأحناف، كالطحاوي، والنسفي، والتفتازاني، وملا علي القاري.

قال أبو حنيفة: فالإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه لا يتصور نقصانه إلا بزيادة الكفر، ولا يتصور زيادته إلا بنقصان الكفر، وكيف يجوز أن يكون الشخص الواحد في حالة واحدة مؤمنا وكافراً، والمؤمن مؤمن حقا، والكافر كافر حقاً، وليس في الإيمان شك، كما أنه ليس في الكفر شك(١).

وفي الفقه الأكبر: وإيمان أهل السماء لا يزيد ولا ينقص، والمؤمنون مستوون في الإيمان والتوحيد، متفاضلون في الأعمال(٢).

وقال ملا علي القاري: فالتحقيق أن الإيمان - كما قال الإمام الرازي - لا يقبل الزيادة والنقصان من حيثية أصل التصديق لا من جهة اليقين(٣).

وهو قول جماعة من المتكلمين.

قال الباقلاني: وإن كان الزيادة والنقصان فهو من حيث الحكم لا من حيث الصورة، ويكون المراد: زيادة في الثواب والجزاء والمدح والثناء دون نقص، وزيادة في تصديق من حيث الصورة(٤).

وخلاصة القول أن الخوارج والمعتزلة والمرجئة والجهمية والكرامية وجمهور الأحناف، وبعض الأشاعرة، وجماعة من المتكلمين ذهبوا إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، واستدلوا بأدلة مختلفة، ولكل منهم وجهة، ومقصودهم واحد، وهو: أن الإيمان غير قابل للزيادة والنقصان.

والحق في الباب ما ذهب إليه السلف، والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة كثيرة جداً، وقد سبق ذكر مجموعة لا بأس بها من هذه الأدلة، وسأذكر أدلة أخرى تدل على صحة ما ذهب إليه السلف.

= الملل والنحل (١/ ٨٨)، الإيمان لابن تيمية (ص ٢١٠)، لوامع الأنوار (١/ ٤٢٤).
وبه جزم الأشعري في قوله القديم. انظر: أصول الدين (ص ٢٤٨).

(١) الوصية (ص ١٨).

(٢) الفقه الأكبر مع شرحه (ص ٨٧).

(٣) شرح الفقه الأكبر (ص ٧٠).

(٤) الإنصاف (ص ٥٨). وبه قال الرازي في المحصل (ص ٢٣٩).

١- الأدلة من الكتاب:

منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال: ٢].

فهذه الزيادة عند تلاوة القرآن هي حصول رغبة ورهبة في قلب المؤمن، فزاد علمه بالله ومحبته لطاعته، وهذا زيادة الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

فهذه الزيادة حدثت عند تخويفهم بالعدو حيث ازدادوا يقينا وطمأنينة وتوكلا على الله، وثباتاً على الجهاد.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤].

فهذه الزيادة في الإيمان هي حسب مقتضى الآية التي أنزلت.

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤].

فالسكينة والطمأنينة جعلت موجبة لزيادة الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ [المدثر: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣].

فالمقصود من زيادة الهدى في الآيتين هو زيادة الإيمان كما يدل عليه قول ابن مسعود في تفسير الآية(١).

٢- الأدلة من السنة:

فمنها قوله ﷺ في حديث شعب الإيمان: «**الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»(٢).

وقوله ﷺ: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع**

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/٢٠٧).

(٢) متفق عليه وقد سبق تخريجه.

فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[١].

وقوله ﷺ في حديث الشفاعة: «**يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها**» الحديث[٢].

فهذه الأحاديث كلها تدل على تفاضل أهل الإيمان في الإيمان، وأنهم ليسوا في أصله سواء، بل بينهم تفاضل واضح، وأنه يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، وهو المقصود.

٣- ومن كلام الصحابة والسلف:

قال عمير بن حبيب الخطمي: الإيمان يزيد وينقص، قيل له: ما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله ﷻ وحمدناه وخشيناه فذلك زيادته، فإذا غفلنا وضيعنا فذلك نقصانه.

وكان عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه: هلموا نزدد إيماناً، فيذكرون الله[٣].

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول في دعائه: «اللهم زدنا إيمانا ويقينا وفقها»[٤].

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول لرجل: اجلس بنا نؤمن ساعة، فيجلسان فيذكران الله ويحمدانه[٥].

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «فالأمر الذي عليه السنة عندنا ما نص عليه علماؤنا مما اقتصصناه في كتابنا هذا: أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعاً، وأنه درجات بعضها فوق بعض إلا أن أولها وأعلاها الشهادة باللسان كما قال ﷺ في الحديث الذي جعله فيه بضعة وسبعين جزءاً، فإذا نطق بها القائل، وأقر بما جاء من عند الله، لزمه اسم الإيمان بالدخول فيه بالاستكمال عند الله، ولا على تزكية النفوس، وكلما ازداد الله طاعة وتقوى ازداد به إيماناً»[٦].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، برقم: (٢٢)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، برقم: (١٨٤).

(٣) انظر: الإيمان لابن أبي شيبة (ص٣٦)، الشريعة (ص١١٢).

(٤) انظر: الإيمان لأحمد (١/١١١).

(٥) انظر: الإيمان لأحمد (١/١١١)، الإيمان لابن أبي شيبة (ص٣٥)، الإيمان لأبي عبيد (ص٧٢)، وكذلك أورده البخاري في صحيحه معلقاً، ك: الإيمان، ب: الإيمان وقول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، (١/٩).

(٦) الإيمان لأبي عبيد (ص٦٦).

فهذه الآيات والأحاديث والآثار كلها تدل على زيادة الإيمان، وأنها تزيد في قلب المؤمن طمأنينة وطاعة، وتصديقاً، وخضوعاً، ويقيناً.

ومن المعلوم أن الزيادة تستلزم النقصان، فإذا ثبتت الزيادة فثبوتها يثبت المقابل وهو النقصان؛ لأن القابل للزيادة قابل للنقصان بالضرورة.

وقد ورد إثبات النقصان بالصراحة في الحديث الذي وصف فيه الرسول ﷺ النساء بأنهن ناقصات عقل ودين.

فهذه الأدلة كلها واضحة الدلالة منطوقا ومفهوماً على أن مذهب السلف هو الحق، وأن ما سواه باطل ومردود.

وجميع من أعرض عن مذهب السلف وأنكر زيادة الإيمان ونقصانه، فإنه يعد مرجئاً عند السلف(١).

ذكر الهروي بسنده إلى وكيع أنه سئل عن قوم يقولون: إن الإيمان لا يزداد، فقال هؤلاء المرجئة الخبث، قال أهل الإيمان: لا يجزئ قول إلا بعمل، وبعقد، وبإصابة السنة، ولو قد بقيتم لجاءكم شيء آخر(٢).

كما ذكر البيهقي بإسناده عن الثوري أنه قال: خالفنا المرجئة في ثلاث، نحن نقول: الإيمان قول وعمل، وهم يقولون قول بلا عمل، ونحن نقول: يزيد وينقص، وهم يقولون: لا يزيد ولا ينقص، ونحن نقول: أهل القبلة عندنا مؤمنون، أما عند الله فالله أعلم، وهم يقولون: نحن عند الله مؤمنون(٣).

الأسئلة والأجوبة على: حقيقة الإيمان والتفاضل بين المؤمنين

س١: اختلف الناس في تعريف الإيمان. اشرح هذا الكلام مبيناً مذهب كل فرقة؟

ج١: للناس في ذلك خمسة أقوال:

الأول: قول الجمهور: التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان، يزيد

(١) أصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص ٧٧٤ - ٧٧٥).
(٢) ذم الكلام وأهله (٣/ ٥٥/ ٢).
(٣) الاعتقاد (ص ٨٤)، وراجع: أصول السنة بتعليق محمد هارون (ص ٧٧٥).

بالطاعة وينقص بالمعصية.

الثاني: الحنفية يقولون: التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، ويتبع التصديق عمل القلب فقط، أما الجوارح فلا دخل لها في مسمى الإيمان.

الثالث: قول الماتريدية: تصديق بالجنان.

الرابع: الكرامية: الإقرار باللسان فقط.

الخامس: الجهمية: هو المعرفة بالقلب.

س٢: اشرح لازم تعريف الكرامية للإيمان وحصرهم له بأنه الإقرار باللسان فقط؟

ج٢: يلزم عليه أن يكون المنافقون مؤمنين كاملي الإيمان، ولكن قالوا: إنهم مستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به، وهو قول فاسد.

س٣: اشرح لازم تعريف الجهمية للإيمان بأنه معرفة القلب؟

ج٣: يلزم على تعريف الجهمية للإيمان بأنه معرفة القلب أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، فإنهم عرفوا صدق موسى، ولم يؤمنوا به، ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

ويلزم أن أهل الكتاب مؤمنون بمحمد ﷺ؛ فإنهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ولكنهم به كافرون.

ويلزم أن أبا طالب مؤمن؛ لأنه كان يعترف بالرسول، وإنما ترك الإيمان خشية العار، قال:

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

ويلزم عليه أن إبليس مؤمن كامل الإيمان؛ لأنه لم يجهل ربه، بل هو عارف به، قال الله تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦].

وخلاصة الكلام: أنه يلزم أن فرعون وقومه، وأهل الكتاب وأبا طالب، وإبليس كلهم مؤمنون؛ لأن كل أولئك معترفون بقلوبهم، ولكنهم مع ذلك لم يكونوا مؤمنين، بل كفروا وكانوا أشد عداوة لله.

س٤: بم أجاب العلماء عما ورد من نصوص الوعد مثل: «إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله»(١)، وحديث: «لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله»(٢)؟ وما القول الصحيح في شأنها مع التوجيه؟

ج٤: اختلف العلماء في ذلك على أقوال:

الأول: قيل: إنها منسوخة.

الثانية: وقيل: ذلك قبل ورود الأوامر والنواهي.

الثالث: حملها بعضهم على نار المشركين.

الرابع: أوَّل بعضهم الدخول بالخلود.

القول الصحيح: أن من قال هذه الكلمة وعمل بمقتضاها، لا مجرد صورة هذه الكلمة، فالرسول لم يجعل ذلك حاصلًا بمجرد النطق باللسان فقط، وهذا معروف من الدين بالضرورة، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم ومع ذلك هم في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

س٥: اشرح ما الذي تتفاوت به الأعمال؟ ووجه ذلك؟

ج٥: الأعمال لا تتفاضل بصورها، وعددها، إنما يتفاضل بما في القلوب، ويدل على ذلك حديث البطاقة(٣)، التي توضع فيه لا إله إلا الله في كفة، ويقابل ذلك تسعة وتسعون

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: صحيح البخاري، ك: العلم، ب: من خص بالعلم قوما دون قوم...، برقم: (١٢٨)، وصحيح مسلم، ك: الإيمان، ب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، برقم: (٢٣)، ب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، برقم: (٢٩).

(٣) أخرجه الترمذي، ك: الإيمان، ب: ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، برقم: ٢٦٣٩، وابن ماجه، ك: الزهد، ب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، برقم: (٤٣٠٠)، والإمام أحمد (٢/ ٢١٣،٢٢١ -٢٢٢)، وابن حبان برقم: (٢٢٥)، والحاكم (١/ ٦،٥٢٨ - ٥٢٩)، والطبراني في المعجم الأوسط برقم: (٤٧٢٥)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: (٢٨٣)، والبغوي في شرح السنة برقم: (٤٣٢١)، ولفظه: «إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت

سجلًا كل منها مد البصر، ومع ذلك ترجح بها البطاقة، وكثير منهم يدخل النار.

ويدل عليه ما وقع في قلب البغي من الإيمان حيث نزعت موقها، وسقت به الكلب من الركية فغفر لها[(١)]، وذلك مثل العقل أيضاً يقبل التفاضل وأهله في أصله سواء، حيث إنهم مستوون في أنهم عقلاء غير مجانين، وبعضهم مع ذلك أعقل من بعض، ونحو ذلك.

س٦: ما هي أدلة الحنفية على مذهبهم أن الإيمان هو التصديق والإقرار دون العمل؟

ج٦: استدلوا بخمسة أدلة:

١- أن الإيمان مرادف للتصديق في اللغة، فالإيمان هو التصديق.

٢- أنه ضد الكفر، والكفر هو التكذيب والجحود.

والتصديق هو الإيمان بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، أي: بمصدق لنا. والتصديق بتأويل الكذب، وهو الكفر والجحود، وهو ما في القلب، وكذلك ما يضادهما بدليل: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، ودلت على أن موضع الإيمان القلب لا اللسان.

٣- أنه لو كان يزيد وينقص للزم من ذهاب جزئه ذهاب كله.

٤- أن الله تعالى عطف العمل على الإيمان في آيات متعددة، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٧، ص: ٢٤، الانشقاق: ٢٥، البروج: ١١، التين: ٦، العصر: ٣]، والعطف يقتضي المغايرة.

٥- ما رواه أبو الليث السمرقندي عن أبي هريرة أن وفد ثقيف قال: يا رسول الله هل الإيمان يزيد وينقص؟ قال: «**لا، الإيمان أن تعمل في القلب، زيادته كفر، ونقصانه شرك**»[(٢)].

= **السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء**».
وصحح الحديث الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (١٣٥)، صحيح الجامع الصغير برقم: (١٧٧٦).

(١) أخرجه البخاري، ك: أحاديث الأنبياء، ب: حديث الغار، برقم: (٣٤٦٧)، ومسلم، ك: السلام، ب: فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، برقم: (٢٢٤٥).

(٢) حكم أهل العلم على الحديث بالوضع، انظر: الموضوعات لابن الجوزي (١/١٣١)، تلخيص الموضوعات للذهبي برقم: (٢٧)، اللآلئ المصنوعة للسيوطي (١/٤١)، تنزيه الشريعة (١/١٥٥)، وراجع: لسان الميزان (٢/٣٣٥).

س٧: بمَ يجاب على الحنفية في قولهم: إن الإيمان مرادف للتصديق؟

ج٧: يرد عليهم من وجهين:

الأول: منع الترادف وهو من عدة طرق:

١- يقال: هب أن الإيمان مرادف للتصديق في حال دون حال، لما قلتم: إنه مرادف له مطلقاً، فاستدلالكم بالجزء على الكل باطل، كمن استدل على كرم هزيل على كرم محمد مثلا.

٢- أن اللغة فرقت بين الإيمان والتصديق، فالتصديق يتعدى بلا وساطة، ومادة: آمن لا يتعدى إلا بوساطة، قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١].

٣- التصديق: يقال للغائب والشاهد، فمن أخبر عن شيء غائب قيل له: صدقت، ومن أخبر عن شيء مشاهد مثل من قال: الشمس طالعة، قيل: صدقت، ولا يصح أن يقال: آمنت لك، ومادة آمن لا تستعمل إلا لمن غاب.

٤- أن التصديق يقابل التكذيب والإيمان يقابل الكفر، فقد يوجد التصديق دون إيمان، فأبو طالب مصدق بمحمد ولم يؤمن به.

الثاني: وهو من طرق عدة أيضاً:

١- وهو أن نسلم أنه مرادف للإيمان جدلًا، ولكن نقول: إن التصديق كما أنه يكون بالقول يكون بالفعل، قال النبي ﷺ: «**العينان تزنيان وزناهما النظر، والأذنان تزنيان وزناهما السمع، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**»(١).

فسمي العمل تصديقاً، لذا سلمنا أن التصديق يكون بالأفعال، لكن الإيمان تصديق مخصوص، فإن الله لم يأمر بإيمان مطلق، بل بإيمان خاص وصفه وبينه.

٢- أن الإيمان وإن كان تصديقاً أو مرادفاً له، فهو تصديق خاص، أي: من شيء جزئي كما جاء ذلك في الصلاة ونحوها إيمانا، فالتصديق الشرعي مكون من عموم وخصوص، أما ما قلتموه فهو تصديق خاص.

٣- أن التصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح،

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الاستئذان، ب: زنا الجوارح دون الفرج، برقم: (٦٢٤٣)، ومسلم، ك: القدر، ب: قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره، برقم: (٢٦٥٧).

وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم الذي هو الإيمان.

٤- أن اللفظ باق على معناه في اللغة، ولكن الشارع زاد فيه أحكاماً.

٥- أن يكون الشارع قد استعمله في معناه المجازي، فهو حقيقة شرعية مجازي في اللغة، ويكون الإيمان هو التصديق بالأقوال والأفعال، لا التصديق فقط، فالتصديق داخل في مسمى الإيمان نفسه.

سلمنا أن الشارع يريد فيه أحكاماً، لكن الشارع استعمله في معناه المجازي، فهذا حقيقة شرعية مجازي في اللغة.

س٨: بمَ يجاب على الحنفية في قولهم: إن الإيمان ضد الكفر، والتكذيب وهو الجحود؟

ج٨: نرد على ذلك من وجهين:

الأول: أن يقال: إن الرسول ﷺ موافق لنا على معاني الإيمان مع علمنا من مراده علماً ضرورياً أن من صدق ولم يتكلم بلسانه بالإيمان مع قدرته على ذلك أنه ليس بمؤمن.

كما علمنا أنه رتب الفوز والفلاح على التكلم بالشهادتين مع إخلاص العمل بمقتضاها، فالإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، أما الإيمان أصلًا فله شعب متعددة، وكل منها تسمى إيماناً فالصلاة إيمان، كذلك الحج وغيره، والأعمال الباطنة تسمى إيماناً مثل الحياء والتوكل والخشية ونحوها، ومن الأدلة مثل قوله ﷺ: «**البذاذة من الإيمان**»[1] إلى غير ذلك من الأحاديث، مثل حديث: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[2].

والأحاديث الدالة على قوة الإيمان وضعفه بحسب العمل كثيرة.

الثاني: مقول القول قسمان:

---

(١) أخرجه أبو داود، ك: الترجل، ب: ١، برقم: (٤١٦١)، وابن ماجه، ك: الزهد، ب: من لا يؤبه به، برقم: (٤١١٨)، والطبراني في معجمه الكبير برقم: (٧٨٩ - ٧٩١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: (٦٤٧٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: (٢٠٧٤).
والبذاذة: هي التواضع في اللباس، وترك التبجح به.

(٢) تقدم تخريجه.

قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بالشهادة، والعمل قسمان: عمل القلب بنية وإخلاص، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب زال الباقي، فهو محل الخلاف، ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب، ويلزم من طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، قال ﷺ: «**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ألا وهي القلب...**»[1]، ومن صلح قلبه صلح جسده بلا عكس.

س٩: تقول الحنفية: إنه إذا ذهب بعض الإيمان ذهب كله، فكيف تجيب عليهم؟

ج٩: يقال: إن أريد بذلك أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت فسليم، ولكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء، فيزول عنه الكمال فقط، فإن شعب الإيمان البضع والسبعين منها ما يزول الإيمان بزواله إجماعاً كشعبة الشهادتين، ومنها ما لا يزول إجماعاً كإماطة الأذى عن الطريق، ومنها شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، ومنها ما يقرب من شعبة الشهادتين، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى عن الطريق.

س١٠: تستدل الحنفية على التغاير بين الإيمان والعمل بأن الله تعالى عطف العمل على الإيمان؟ فكيف ترد عليهم؟

ج١٠: يقال لهم: إن الإيمان يذكر تارة مطلقاً مجرداً عن العمل، وعن الإسلام، وتارة يقرن بالعمل الصالح، وتارة يقرن بالإسلام، فالمطلق مستلزم للأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٨١].

وقال ﷺ: «**لا تؤمنوا حتى تحابوا**»[2]، وقال: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»[3].

أما إذا عطف عليه العمل الصالح فإن عطف الشيء على الشيء يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، مع الاشتراك في الحكم الذي ذكر لهما.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: فضل من استبرأ لدينه، برقم: (٥٢)، ومسلم، ك: المساقاة، ب: أخذ الحلال وترك الشبهات، برقم: (١٥٩٩).

(٢) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، برقم: (٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري، ك: الديات، ب: قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المائدة: ٣٢]، برقم: (٦٨٧٤)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا»، برقم: (٩٨).

س١١: ما هي مراتب المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه؟

ج١١: له أربع مراتب، وهي:

١- أعلاها: أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر، ولا جزءاً منه، ولا بينهما تلازم، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣]، وهذا هو الغالب.

٢- أن يكون بينهما تلازم كقوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩].

٣- عطف بعض الشيء عليه، نحو قوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وهنا وجهان:

١- أن يكون داخلًا في الأول فيكون مذكوراً مرتين.

٢- أن عطفه عليه يقتضي أنه ليس فيه، وإن كان داخلًا فيه منفرداً.

٣- عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين، كقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣].

س١٢: استدلت الحنفية بحديث أبي الليث السمرقندي على أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فبم رد عليهم الجمهور؟

ج١٢: رد ذلك بأن الحديث ضعيف، فقد سئل ابن كثير عنه، فقال: إن الإسناد من أبي الليث إلى أبي مطيع مجهول، لا يعرفون منه شيئاً في كتب التاريخ المشهور.

س١٣: ما هو جواب النسفي عن حديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة»(١)؟ وما الموقف منه؟

ج١٣: أجاب عن استدلال الجمهور بحديث: «شعب الإيمان» هذا بجوابين:

الأول: إن الراوي شهد بغفلة نفسه حيث شك، فقال: بضع وسبعون، ولا يظن بالرسول الشك.

الثاني: إن الحديث مخالف للكتاب.

والموقف من هذا: أن طعنه بالحديث بغفلة الراوي لا يسلم له، فإن تردد الراوي بين الستين والسبعين لا يلزم عدم ضبطه مع أن البخاري رواه: «بضع وستون»، من غير شك.

(١) تقدم تخريجه.

وأما الطعن بمخالفة الكتاب، فيقال: إن الكتاب فيه ما يدل على وفاقه، وليس فيه ما يدل على خلافه، وإنما هذا الطعن من ثمرة شؤم التقليد والتعصب.

س١٤: بين أهمية مسألة الإيمان والإسلام؟

ج١٤: الإيمان والإسلام من المسائل العظيمة التي أخذت جل اهتمام أهل العلم من السلف الصالح وغيرهم، حيث إن الله تعالى علق بها السعادة والشقاوة واستحقاق الجنة والنار.

وفي مسمى الإسلام والإيمان أول خلاف وقع في هذه الأمة، وهو خلاف الخوارج؛ لأنهم أول من قال بكفر مرتكب الكبيرة، وإخراجه من حيز الإيمان والإسلام، وتخليده في عذاب النار.

س١٥: عرف الإيمان في اللغة؟

ج١٥: الإيمان في اللغة من آمن إيماناً وأمناً وأمانة وأَمَنة بفتحتين، بمعنى واحد، وأصل: آمن أأمن بهمزتين، بوزن أعلم، لينت الثانية.

وهو إما يتعدى بنفسه، فيقال: آمنته، فهو من الأمن ضد الخوف، وإما أن يتعدى بواسطة حرف الباء، كقولك: آمنت بالله، أو حرف اللام، كقوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

وهو بمعنى التصديق، وذلك أن الصدق يكون في مأمن من الكذب والمخالفة، وتعديه بالباء فيه معنى الاعتراف، وأما تعديه باللام ففيه معنى الإذعان.

س١٦: كيف ترد على من زعم أن الإيمان معناه في اللغة التصديق فقط لا غير؟

ج١٦: الإيمان في اللغة قدر زائد عن التصديق من الإقرار والإذعان، فالإقرار متضمن لقول القلب الذي هو التصديق، ولعمل القلب الذي هو الانقياد والإذعان، فقد يكون العبد مصدقاً، ولا يكون مقراً ولا مؤمناً.

إن الإيمان يقابله الكفر وليس هو التكذيب فقط، بل قدر زائد عليه، والذي يقابل الكذب هو التصديق.

- ثم إن التعريف لم يؤيد الشاهد من كلام العرب.

- أما استدلالهم بقولهم: فلان لا يؤمن بالشفاعة، وفلان لا يؤمن بعذاب القبر، أي: لا يصدق، فإن هذا قطعاً ليس من ألفاظ العرب قبل نزول القرآن.

- وأيضاً فإن التصديق بالشفاعة وعذاب القبر والرجاء للشفاعة ولو صدق بهما من غير خوف ولا رجاء ولا عمل بالأركان لم يكن مؤمناً، كما أن إبليس لا يسمى مؤمنا وإن

كان مصدقاً بوجود الله وربوبيته، وكما أن فرعون لا يسمى مؤمنا وإن كان عالماً بأن الله أرسل موسى... وهكذا.

- إن الإيمان مأخوذ من الأمن، وهو الطمأنينة، كما أن لفظ الإقرار مأخوذ من قرَّ يقرُّ وهو قريب من أمِنَ يأمنُ.

وأما الصدق فهو عدم الكذب، ولا يلزم أن يوافقه طمأنينة إلا إذا كان الصادق يطمئن إلى خبره وحاله.

- إن معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، ما أنت بمقر لنا، ولا تطمئن لقولنا، ولا تثق به، ولا تتأكد منه، ولو كنا صادقين، فإنهم لو كانوا كذلك صدقهم لما يطمئن إلى قولهم ويتأكد منه.

- إن لفظ الإيمان يتعدى إلى غيره باللام دائماً، نحو قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وقوله في فرعون: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [طه: ٧١]، وقوله في موسى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ [يونس: ٨٣]، وقوله: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧]، وقوله: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، وغيرها.

وأما لفظ التصديق وصدق يصدق، فإنه يتعدى بنفسه نحو: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٥]، وقوله: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧]، وقوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤]، فجعلها بمقابل الكذب، فتقول مثلا: صدقته، ولا تقول: آمنته، بل تقول: آمنت به، وأقررت به.

- لو فرض أن معنى الإيمان في اللغة هو التصديق لما وجب أن يختص بالقلب فقط، بل يشمل تصديق القلب، وتصديق اللسان، وتصديق الجوارح، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه**»(١).

س١٧: ما حقيقة الإيمان ومسماه عند أهل السنة والجماعة؟

ج١٧: حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة أنه مركب من: القول، والاعتقاد، والعمل.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الاستئذان، ب: زنا الجوارح دون الفرج، برقم: (٦٢٤٣)، ومسلم، ك: القدر، ب: قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره، برقم: (٢٦٥٧)، واللفظ له.

واختلفت عبارات السلف في التعبير عن حقيقة الإيمان:

فتارة يقولون: قول وعمل، وتارة يقولون: قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية، واتباع للسنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح.

فمن قال من أهل السنة: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، ومن زاد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خلاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب.

ومن قال: قول وعمل ونية، قال: الفعل يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية، فزاد ذلك.

ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة.

س١٨: اشرح قول السلف: الإيمان قول وعمل؟

ج١٨: مرادهم بالقول هو: قول القلب وقول اللسان.

وأما قول القلب: فهو الاعتقاد باليقين، والتصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبكل ما جاء به الرسول ﷺ.

- وأما قول اللسان: فهو النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والإقرار بلوازمها.

س١٩: اذكر الأدلة من الكتاب والسنة على أن الإيمان اعتقاد بالقلب، قول باللسان وعمل بالأركان؟

ج١٩: الأدلة على أن الإيمان: قول وعمل:

١- الأدلة على أن اعتقاد القلب من الإيمان:

أ- من الكتاب:

قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

وقال أيضاً: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

ب - ومن السنة:

قوله ﷺ كما في حديث جبريل عندما سأله عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن أعمال القلوب محبة الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجائه، ونحو ذلك، هي كلها من الإيمان بما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف...»(٢).

٢- الأدلة على أن قول اللسان من الإيمان.

أ - من الكتاب:

- قول الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ ﴾ [البقرة: ١٣٦- ١٣٧].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ ﴾ [آل عمران: ٨٤].

ب - من السنة:

قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله وأني رسول الله»(٣).

قال ابن أبي العز: «لا خلاف بين أهل السنة أن الله أراد من العباد القول والعمل، وأعني بالقول: التصديق بالقلب، والإقرار باللسان»(٤).

٣- الأدلة على أن الأعمال من الإيمان.

أ - من الكتاب:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) الإيمان (ص٢٢٢).

(٣) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾]التوبة: ٥[، برقم: (٢٥)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله...، برقم: (٢٢).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٣٣).

زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٤].

ب - من السنة:

ما جاء عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ: «سئل: أيُّ العمل أفضل؟ فقال: **إيماناً بالله ورسوله...**، قيل: ثم ماذا، قال: **حج مبرور**»[(١)].

وقال النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[(٢)].

وعن ابن عباس ﷺ: أن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع: «**أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على هذا الحديث: «ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بد من إيمان القلب، فعلم أن هذا مع إيمان القلب، هو الإيمان»[(٤)].

س٢٠: من هم المخالفون لأهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان؟

ج٢٠: المخالفون لأهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان طائفتان:

١- الوعيدية. ٢- والمرجئة.

س٢١: من هم الوعيدية؟ وما مذهبهم في الإيمان؟

ج٢١: الوعيدية هم الخوارج والمعتزلة.

وقيل عنهم: وعيدية لأنهم أخذوا بنصوص الوعيد وأهملوا نصوص الوعد.

ومذهبهم في الإيمان: أنه قول، وعمل، واعتقاد، وبهذا وافقوا أهل السنة، وخالفوهم بجعل الإيمان شيئاً واحداً لا يتجزأ، إذا ذهب بعضه ذهب كله، بحيث يخرج العبد من الإيمان بارتكابه الكبيرة أو فعله المعصية، ثم حكمت الخوارج بكفره، ويوم القيامة يكون مخلداً في النار.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: من قال إن الإيمان هو العمل، برقم: (٢٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٩).

أما أهل السنة فأجازوا أن يذهب بعض الإيمان مع بقاء بعضه، إذا لم يكن الذاهب ينافي أصل الإيمان كالشهادتين.

فالخوارج والمعتزلة وافقوا أهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان لفظاً وخالفوهم في حقيقته ومعناه.

س٢٢: من هم المرجئة؟ وما قولهم في الإيمان؟

ج٢٢: الإرجاء: هو تأخير العمل عن مسمى الإيمان، وسموا بالمرجئة لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، وأخذوا بنصوص الوعد، وأهملوا نصوص الوعيد، وهم فرق:

١- الفرقة الأولى: الجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان، وقوله في الإيمان: أنه مجرد معرفة بالله، وأما الكفر فهو الجهل.

٢- الفرقة الثانية: الكرامية، وهم أتباع محمد بن كرام.

قالوا: الإيمان هو قول اللسان فقط، ونفوا التصديق بالقلب، ونفوا أن يكون العمل من الإيمان، وتصور هذا القول كافٍ في فساده، ولا أدري كيف يدين بهذا الاعتقاد من يدين بالإسلام، بل من يتصف بالعقل فضلًا عن الدين والإيمان، فعلى قولهم: المنافقون مؤمنون كاملوا الإيمان، ولكن لم يخالفوا في حكمهم في الآخرة، فقد خالفوا في الاسم دون الحكم.

٣- الفرقة الثالثة: قول الأشاعرة والماتريدية.

الإيمان عندهم هو مجرد التصديق، فأخرجوا قول اللسان وعمل الجوارح من مسمى الإيمان.

قال اللقاني في جوهرته:

وفسر الإيمان بالتصديق ... والنطق فيه الخلف بالتحقيق

فقيل: شرط كالعمل وقيل: بل ... شطر الإسلام أشرحن بالعمل[1]

قال البيجوري: وفسر الإيمان - أي: حدّه - جمهور الأشاعرة والماتريدية وغيرهم بالتصديق المعهود شرعاً، وهو تصديق نبينا محمد ﷺ في كل ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة، أي: فيما اشتهر بين الإسلام وصار العلم به يشابه العلم الحاصل بالضرورة

(١) جوهرة التوحيد مع شرحها: تحفة المريد (ص٥٤٧).

بحيث يعلمه العامة من غير افتقار إلى نظر واستدلال(١).

الفرقة الرابعة: قول مرجئة الفقهاء: إن الإيمان هو اعتقاد القلب، وقول اللسان دون العمل.

س٢٣: على ماذا يقع مسمى الإيمان؟ هل هو على الروح أم هو على البدن؟

ج٢٣: اختلف في مسمى الإيمان على ماذا يقع؟

قال الألوسي: وسر هذا الاختلاف...الاختلاف في أن المكلف هو الروح فقط، أو مجموعهما، إذا قيل: إن التكليف على الروح فقط، فالإيمان لا علاقة له بعمل البدن.

وإن قيل: إنه على البدن فالإيمان ما في الجوارح والقلب، وهذه القسمة هي أقوال الفرق إجمالًا في محل الإيمان.

س٢٤: ما هو مفهوم الإيمان عند جمهور الحنفية؟

ج٢٤: الإيمان عند جمهور الحنفية هو تصديق القلب فقط أو مع الإقرار على خلاف بينهم في ذلك ربما بعضه صوري.

قال ابن نجيم: الإيمان الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان.

وقال الجرجاني: وفي الشرع: الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان.

وقال النسفي: والإيمان الصحيح أن يقر باللسان، ويصدق بالجنان، والعمل ليس داخلًا في الإيمان.

س٢٥: هل الإقرار شرط في مفهوم الإيمان عند الحنفية؟

ج٢٥: اختلف الحنفية فيها إلى قولين:

قال صاحب الدر المختار: الإيمان هو تصديق محمد ﷺ في جميع ما جاء به عن الله تعالى مما علم مجيئه ضرورة، وهل هو تصديق فقط؟ أو هو مع الإقرار؟ قولان: وأكثر الحنفية على الثاني، والمحققون على الأول، والإقرار شرط(٢).

س٢٦: ما هي أدلة الحنفية على مذهبهم أن الإيمان هو التصديق، والإقرار دون العمل؟

ج٢٦: أدلة الحنفية على مذهبهم، استدلوا بخمسة أدلة:

---

(١) تحفة المريد في شرح جوهرة التوحيد (ص ٥٤٧).

(٢) الدر المختار (٤/ ٢٢١)، وانظر: شرحه في حاشية ابن عابدين.

١- أن الإيمان مرادف للتصديق في اللغة فالإيمان هو التصديق.

٢- أنه ضد الكفر، والكفر هو التكذيب والجحود، والتصديق هو الإيمان بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، أي: بمصدق لنا، وأن التصديق بتأويل الكذب، وهو الكفر والجحود، وهو ما في القلب، وكذلك ما يضادهما بدليل: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، ودلت على أن موضع الإيمان القلب لا اللسان.

٣- أنه لو كان يزيد وينقص للزم من ذهاب جزئه ذهاب كله.

٤- أن الله تعالى عطف العمل على الإيمان في آيات متعددة، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٧، ص: ٢٤، الانشقاق: ٢٥، التين: ٦]، والعطف يقتضي المغايرة.

٥- ما رواه أبو الليث السمرقندي عن أبي هريرة ﷺ أن وفد ثقيف قالوا: يا رسول الله هل الإيمان يزيد وينقص؟ قال: «**لا، الإيمان أن تعمل في القلب، زيادته كفر، ونقصانه شرك**».

س٢٧: اذكر بعض الأدلة من الكتاب والسنة وكلام السلف تثبت زيادة الإيمان ونقصانه؟

ج٢٧: قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقال: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقال: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

ومن السنة قوله ﷺ: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين**»(١)، أي: النساء، وحديث شعب الإيمان(٢)، وحديث الشفاعة: «**أنه يخرج من في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان**»(٣) الحديث.

ومن كلام السلف أن عمر ﷺ يقول لأصحابه: «هلموا نزددْ إيماناً، فيذكرون الله»(٤).

وكان ابن مسعود يقول في دعائه: «اللهم زدنا إيمانا»(٥)، وكان معاذ يقول: «اجلس

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الحيض، ب: ترك الحائض الصوم، برقم: (٣٠٤)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات...، برقم: (٧٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان برقم: (١٠٨)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: (٣٧)، وفيه إسناده: ذر، وهو ابن عبد الله المرهبي لم يدرك عمر بن الخطاب ﷺ، ولذلك ضعفه الألباني في حاشية كتاب الإيمان لابن أبي شيبة (ص٣٦).

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٣٥٧)، بتحقيق: محمد شاهين، والآجري في الشريعة (١٠٨ - ١٠٩)، من طريق زر بن حبيش، والأثر صحيح.

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة برقم: ٩٧، والطبراني في المعجم الكبير برقم: ٨٥٤٩، والآجري في الشريعة برقم: ١٠٩، واللالكائي برقم: ١٧٠٤، وقال الهيثمي: إسناده جيد. مجمع الزوائد (١٠/ ١٨٥).

نؤمن ساعة»[(١)].

س٢٨: بم أجاب الحنفية عن الأدلة المصرحة بزيادة الإيمان ونقصانه مثل قوله: ﴿إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]؟

ج٢٨: قالوا: الزيادة في ذلك ونحو ذلك باعتبار زيادة المؤمن به، وفيه نظر.

س٢٩: اذكر قول أهل السنة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه؟

ج٢٩: الإيمان عند أهل السنة والجماعة يزيد وينقص، وأجمع السلف على أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان، بعد ما أجمعوا على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، نظراً إلى التفاوت الموجود في أعمال أفراد المكلفين.

فمنهم من أتى بما أمر الله به، وانتهى عما نهى عنه على أكمل وجه مصدقاً بقلبه تصديقاً جازماً.

ومنهم من قام بتنفيذ الأوامر واجتناب النواهي، إلا أنه اكتفى بالإتيان بالواجبات، ولم يتطرق إلى ما سواها من النوافل والسنن.

وصدق الآخر بكل ما جاء من الله ورسوله ﷺ غير أنه كان متهاوناً ومقصراً في أداء الواجبات، وقد تصدر منه المخالفات، فلا يمكن التسوية فيما بينهم؛ لأن التفاوت بينهم موجود، ودرجاتهم متباينة، وبناء على هذا الفرق الواضح قال علماء السلف: إن الإيمان قابل للزيادة والنقصان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «مذهب أهل السنة والحديث على: أن الإيمان يتفاضل، وجمهورهم يقول: يزيد وينقص، ثم قال: زيادة الإيمان الذي أمر الله به، والذي يكون من عباده المؤمنين من وجوه.

ثم ذكر عدة وجوه على زيادة الإيمان من جهة التصديق، وبالتالي من جهة الأعمال، وهذا هو قول جميع السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الدين، وإليه ذهب مالك،

---

(١) علقه البخاري في كتاب الإيمان ب: قوله النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، عند الحديث ذي الرقم: (٨)، ووصله عبد الله بن أحمد في السنة برقم: (٩٦، ١٠٢)، وابن أبي شيبة في الإيمان برقم: (١٠٥)، وابن بطة في الإبانة (الإيمان)، برقم: (١١٣٥)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة برقم: (١٧٠٧)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: (٤٤)، وقال الشيخ الألباني: إسناده صحيح. انظر: تعليقه على الإيمان لابن أبي شيبة برقم: (١٠٥).

والشافعي، وأحمد، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهويه، والثوري، والأوزاعي، وابن عيينة، والحسن البصري، وابن المبارك، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ووكيع بن الجراح، وحماد بن سلمة، وغيرهم كثير من السلف الذين قالوا بأن الأعمال من الإيمان[(١)]».

س٣٠: اذكر الأدلة على أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية؟

ج٣٠: الأدلة ما يلي:

١- من الكتاب:

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الأنفال: ٢].

وقال سبحانه: ﴿**ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾ [التوبة: ١٢٤].

وقال سبحانه: ﴿**وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ**﴾ [الفتح: ٤].

٢- من السنة:

قول النبي ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا**»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومعلوم أن هذا لا يكون أكمل حتى يكون غيره أنقص»[(٣)].

وقال النبي ﷺ: «**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير**»[(٤)].

---

(١) انظر: الإيمان لابن تيمية (ص٢١٩).

(٢) أخرجه أبو داود، ك: السنة، ب: الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، برقم: (٤٦٨٢)، والترمذي، أبواب الرضاع، ب: ما جاء في حق المرأة على زوجها، برقم: (١١٦٢)، وابن حبان برقم: (٤٧٩)، والإمام أحمد (٦/ ٤٧، ٩٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٢٨٤)، صحيح الجامع الصغير برقم: (١٢٣٠).

(٣) الإيمان (ص٣١٥).

(٤) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: زيادة الإيمان ونقصه، برقم: (٤٤)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٢).

وقال النبي ﷺ: «ما رأيت ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن، قالت امرأة: يا رسول الله ما نقصان العقل والدين؟ قال: أما نقصان العقل فشهادة امرأتين بشهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي لا تصلي، وتفطر في شهر رمضان، فهذا نقصان الدين»[١].

س٣١: ما مذهب المخالفين لمذهب أهل السنة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه؟

ج٣١: ١- قول الوعيدية: وهم المعتزلة والخوارج، حيث قالوا: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص أبداً؛ لأن الإيمان عندهم شيء واحد لا يتجزأ؛ إذ لا يمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه الآخر، فإذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيء، فيخلد في النار.

وبناء على هذا قالوا بعدم زيادة الإيمان ونقصانه، وأولوا تلك الآيات والأحاديث التي وردت في زيادة الإيمان، وقالوا: بأن الزيادة والنقصان في الإيمان تعتبر من ناحية التكاليف، وهو شيء نسبي بين المكلفين، فذاك الشخص إيمانه أكثر من إيمان هذا؛ لأن ذلك كلف بشيء لم يكلف به الآخر، والآخر غير مؤاخذ على تركه؛ لأنه لم يكلف به لعدم قدرته عليه، فالغني عندهم أكثر إيماناً من الفقير؛ لأنه مكلف بأمر زائد وهو الزكاة[٢].

٢- قول المرجئة.

ذهبت المرجئة كالجهمية والكرامية والأشاعرة والماتريدية إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه عبارة عن شيء واحد، وهو التصديق، والمعرفة، والإقرار، إذ لو ذهب شيء منه لم يبق شيء منه، فيكون شيئاً واحداً يستوي فيه البر والفاجر[٣].

فالتصديق لا يقبل التفاوت عنده؛ لأن التفاوت فيه إنما هو الاحتمال النقيضي، وهو الشك، وهو غير مفيد، وكذلك الإقرار غير قابل للتفاوت، وبه جزم الأشعري في قوله القديم[٤].

والحاصل أن قولهم إن التصديق لا يقبل الزيادة والنقص مردود بما قال النووي وابن حجر.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الحيض، ب: ترك الحائض الصوم، برقم: (٣٠٤)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات...، برقم: (٧٩).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص٧٠٧)، متشابه القرآن (١/ ٣١٢)، الإيمان لابن تيمية (ص٢١٠).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٩٨)، أصول الدين للبغدادي (ص٢٥٢)، شرح السنة للبغوي، (١/ ٤١)، الملل والنحل (١/ ٨٨)، لوامع الأنوار (١/ ٤٢٤).

(٤) انظر: أصول الدين (ص٣٤٨).

قال النووي: «الأظهر المختار: أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة، ولهذا كان إيمان الصديق أقوى من إيمان غيره بحيث لا تعتريه شبهة، وقال: يزيده بياناً أن كل واحد يعلم أن ما في قلبه يتفاضل حتى إنه يكون في بعض الأحيان أعظم إخلاصاً وتوكلًا منه في بعضها، وكذلك التصديق والمعرفة، بحسب ظهور البراهين وكثرتها»(١).

وقال ابن حجر: «والأظهر المختار: أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة، ولهذا كان إيمان الصديق أقوى من إيمان غيره، بحيث لا تعتريه الشبهة، ويؤيده أن كل أحد يعلم أن ما في قلبه يتفاضل حتى يكون في بعض الأحيان الإيمان أعظم يقيناً وإخلاصاً وتوكلا منه في بعضها، وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها»(٢).

س٣٢: ما أقوى وأصرح الأدلة على دخول الأعمال في مسمى الإيمان؟

ج٣٢: هو ما جاء في الصحيح من قول الرسول ﷺ لوفد عبد قيس: «**آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا الخمس من المغنم**»(٣)، فعلم أن هذه الأعمال مع إيمان القلب هي الإيمان.

س٣٣: ما المقصود بشهادة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله؟

ج٣٣: إذا افترقا كما في قول الرسول ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله الله**»(٤)، فمن قالها لا يستحق العصمة إلا إذا قالها وقام بحقها، ولا يتم له ذلك إلا لمن صدق بالرسالة، ومن شهد أن محمداً رسول الله، لا يكون قائماً لها حق القيام إلا إذا صدق فيما به متضمن التوحيد.

وأما إذا اجتمعا فالمراد من شهادة لا إله إلا الله إثبات التوحيد، ومن شهادة أن محمداً رسول الله إثبات الرسالة.

س٣٤: ما المراد بالاستثناء في الإيمان؟

ج٣٤: الاستثناء في الإيمان أن يقول العبد: «أنا مؤمن إن شاء الله».

---

(١) شرح صحيح مسلم (١/ ١٤٨).
(٢) فتح الباري (١/ ٤٦).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: ٥]، برقم: (٢٥)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله...، برقم: (٢٢).

وأما حكمه فاختلف الناس فيه على ثلاثة أقوال:

القول الأول: قول السلف وأهل الحديث، وهو القول بالجواز، وعدم جوازه باعتبار قول آخر.

القول الثاني: قول الكلابية: وهم يوجبون الاستثناء في الإيمان.

القول الثالث: قول الجهمية والمرجئة، حيث قالوا بالتحريم.

س٣٥: اختلف العلماء في حكم الاستثناء في الإيمان، وضح هذا؟

ج٣٥: للناس في ذلك ثلاثة أقوال:

١- قيل: يجب. ٢- وقيل: حرام.

٣- والراجح جوازه باعتبار، وعدم جوازه باعتبار.

س٣٦: ما دليل من أوجب الاستثناء في الإيمان وبم ترد عليه؟

ج٣٦: من أوجبه له مأخذان:

الأول: أن الإيمان هو ما مات عليه الإنسان، والإنسان إنما يكون مؤمناً أو كافراً باعتبار الوفاة، وما سبق في علمه أن يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة به، والإيمان الذي يعقبه الكفر، فيموت صاحبه كافراً، ليس بإيمان كالصلاة التي أفسدها صاحبها قبل الكمال.

والرد عليهم بما يلي:

١- يلزم على قولهم أن الله يحب في الأزل من كان كافراً إذا علم أنه يموت مؤمناً، فالصحابة كانوا محبوبين قبل إسلامهم، وإبليس والمرتد عن دينه لا يزال الله يبغضه وإن كان لم يكفر بعد.

٢- هذا ليس قول السلف، ولا كان يقول بهذا من يستثني من السلف في الإيمان، فهذا باطل.

٣- قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، فأخبر أنه يحبهم إن اتبعوا الرسول، فاتباع الرسول شرط في المحبة والمشروط يتأخر عن الشرط.

٤- وهو مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون في إيمانهم، وهو أن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله، وترك ما نهاه عنه الله، فإذا قال الرجل: أنا مؤمن، فقد شهد لنفسه أنه من أولياء الله المقربين القائمين بجميع الأوامر والتاركين، لكل النواهي، وهذا من تزكية الإنسان لنفسه، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لكان ينبغي أن يشهد له

بالجنة إن مات على هذه الحالة.

واحتجوا أيضاً بجواز الاستثناء فيما لا شك فيه، مثل قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقول النبي ﷺ: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»[(١)]، وذلك حين وقف على المقابر، والرسول ﷺ لم يكن شاكاً، ولكنه يعلم أنه واجب.

س٣٧: ما جواب من حرم الاستثناء عن الإيمان في قوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]؟ وما جواب العلماء عليهم؟ اشرح ذلك مع التدليل لما تختار؟

ج٣٧: كل من جعل الإيمان شيئاً واحداً، فيقول: أعلم أني مؤمن، كما أعلم أني تكلمت بالشهادة، فقولي: أنا مؤمن كقولي: أنا مسلم، فمن استثنى في إيمانه فهو شاك، وسموا المستثنين الشكاكة.

وجوابهم عن الاستثناء في الآية من وجهين:

١- إن الاستثناء في الآية يعود إلى الأمن والخوف، أما الدخول فلا شك فيه، وقيل: لتدخلن جميعكم أو بعضكم؛ لأنه علم أن بعضهم يموت.

والرد عليهم أن يقال لهم: إنهم وقعوا فيما فروا منه: فأما الأمن والخوف فقد أخبرهم أنهم يدخلون آمنين مع علمه بذلك، فلا شك في الدخول، لا في الأمن ولا في دخول الجميع أو البعض، فإن الله قد علم من يدخل.

وإنما يجاب عن الآية بما يأتي:

أ - هذا تحقيقاً للدخول كمن قال: «والله لأفعلن كذا إن شاء الله»، لا يقولها شكا.

ب - وإن قال ذلك تعليماً لنا كيف نستثني إذا أخبرنا عن المستقبل، وفي كون هذا مراداً من النص نظر؛ لأنه لم يسبق الكلام به، إلا أن يكون مراداً من إشارة النص.

وأجاب الزمخشري بجوابين ظاهري الفساد:

١- وهو أن الملك قد قال له فأثبت قرآناً.

٢- أو أن الرسول قاله، وهذا ما يلزم أن يكون القرآن غير كلام الله، فيدخل في وعيد من قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]، وقانا الله من ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الطهارة، ب: استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، برقم: (٢٤٩)، من حديث أبي هريرة.

س٣٨: اذكر القول الراجح في موضوع الاستثناء؟ ثم بين متى يجوز؟ ومتى يمتنع؟

ج٣٨: الصواب والأصح في المسألة الاستثناء جوازه،لأنه أقوى دليلًا من الفريقين -أعني بها القائلين بالوجوب و القائلين بالتحريم- كما أنه وسط بين القولين، ويمتنع الاستثناء إذا أراد المستثني الشك في أصل الإيمان، ويجوز في أحوال:

١- إذا أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

٢- من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة.

٣- من استثنى تعليقاً بمشيئة الله لا شاكاً في إيمانه.

س٣٩: ما دليل من قال بجواز الاستثناء في الإيمان؟

ج٣٩: هو أن الإيمان المطلق شامل لفعل جميع المأمورات، وترك جميع المحظورات، فإذا قال الرجل: أنا مؤمن بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه بأنه من الأبرار المتقين القائمين بفعل جميع ما أمروا به، وترك كل ما نهوا عنه.

فإذا قال الرجل: أنا مؤمن فكأنه زكى نفسه، وشهد لنفسه بأنه من الأبرار المتقين، وهذه الشهادة لنفسه بما لا يعلم، ولو ساغ له أن يشهد لنفسه لساغ له أن يشهد بالجنة لنفسه، ومعلوم تقصير الإنسان في بعض المأمورات، فيقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله، أي: إن شاء الله قبوله منه، وكان سليمان بن حرب يحمل هذا على التقبل، يقول: نحن نعمل، ولا ندري أيقبل منا أو لا؟

ومحل الجواز إذا لم يرد المستثني الشك، وإلا فلا، فالإمام أحمد وغيره من السلف كانوا يجزمون ولا يشكون في وجود ما في القلوب من الإيمان في هذا الحال، ويجعلون الاستثناء عائداً إلى الإيمان المطلق المتضمن فعل المأمور، ويحتجون أيضاً بجواز الاستثناء فيما يعلم وجوده كما قد جاءت به السنة لما فيه من الحكمة، قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقال النبي ﷺ لما وقف على المقابر: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**».

س٤٠: ما دليل من أوجب الاستثناء في الإيمان؟ وبمَ ترد عليه؟

ج٤٠: من أوجبه له مأخذان:

١- أن الإيمان هو ما مات الإنسان عليه، والإنسان إنما يكون مؤمنا أو كافراً باعتبار الوفاة، وما سبق في علمه أن يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة به، والإيمان الذي يعقبه الكفر فيموت صاحبه كافراً ليس بإيمان كالصلاة التي أفسدها صاحبها قبل الكمال.

والرد عليهم من وجوه:

١- يلزم على قولهم: أن الله يحب بالأزل من كان كافراً إذا علم أنه يموت مؤمناً، فالصحابة كانوا محبوبين قبل إسلامهم، وإبليس والمرتد عن دينه لا يزال يبغضه الله، وإن كان لم يكفر بعد.

٢- هذا ليس قول السلف، ولا كان يقول بهذا من يستثني من السلف في الإيمان، فهذا باطل.

٣- قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فأخبر أنه يحبهم وإن اتبعوا الرسول، فاتباع الرسول شرط في المحبة، والمشروط يتأخر عن الشرط.

٤- وهو مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون في إيمانهم وهو أن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله، وترك ما نهاه عنه الله، فإذا قال الرجل: أنا مؤمن، فقد شهد لنفسه أنه من أولياء الله المقربين القائمين بجميع الأوامر التاركين لكل النواهي، وهذا من تزكية الإنسان لنفسه، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لكان ينبغي أن يشهد له بالجنة إن مات على هذه الحالة، واحتجوا أيضاً بجواز الاستثناء فيما لا شك فيه، مثل قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧].

وقول النبي ﷺ: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»[1]، وذلك حين وقف على المقابر، والرسول ﷺ لم يكن شكاكاً، ولكنه يعلم أنه واجب.

س٤١: اذكر شبهة المحرمين للاستثناء؟

ج٤١: حيث إن الجهمية والمرجئة قالوا: إن الإيمان شيء واحد، يعلمه الإنسان من نفسه، كالتصديق بالرب، فعلمنا بإيماننا كعلمنا بتكلمنا بالشهادتين، وحبنا للرسول ﷺ كما نعلم بأننا قرأنا الفاتحة، ونحو ذلك من الأمور المقطوع بها، فلا معنى للاستثناء، ويأتي الاستثناء فيما يشك به، وإيماننا لا شك فيه، فمن استثنى في إيمانه فهو شاك فيه، وسموهم الشكاكة، وبناء على هذا الأصل الفاسد قال بعض غلاة الحنفية بعدم جواز نكاح المرأة

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.

الشافعية؛ لأنها تستثني في إيمانها، والاستثناء شك من القائل، فلم يصح إيمانها، وبالتالي لا يصح نكاحها، وكفى بهذا القول قبحاً وضلالًا وجهلًا.

وبعد عرض هذه الأقوال الثلاثة نجد أن القول بجواز الاستثناء هو الصواب، وهو الوسط بين الطرفين المتطرفين، وأعني بهما: القائلين بالوجوب، والقائلين بالتحريم(١).

س٤٢: ما معنى قول الطحاوي: «وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق»؟

ج٤٢: كل ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان لأمور الدين، فهذا كله حق، سواء ما ورد بالتواتر، أو ما ورد بطريق الآحاد، وهذا هو مذهب أهل الحق، وكل من كذب على رسول الله ﷺ في الحديث فإن الله قد فضحه.

س٤٣: قال الطحاوي: «وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق». اشرح مقصوده بذلك، ثم بين ما يقصده الجهمية والمعطلة من قولهم: إن التواتر وإن كان قطعي السند إلا أنه ليس قطعي الدلالة؟

ج٤٣: يشير بذلك إلى الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة القائلين بأن الأخبار قسمان: المتواتر والآحاد.

قالوا: المتواتر وإن كان قطعي السند غير أنه ليس قطعي الدلالة، فإن الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين، وقصدوا بذلك القدح في دلالة القرآن على الصفات.

س٤٤: اختلفت المعطلة والرافضة في دلالة المتواتر والآحاد هل يحتج بالآحاد أم لا؟ اشرح ذلك مع بيان موقف أهل السنة من ذلك؟

ج٤٤: موقفهم من المتواتر تقدم في السؤال المتقدم.

أما الآحاد فقالوا: لا يفيد العلم، ولا حتى يحتج بها من جهة طريقها، ولا من جهة متنها، وهذا باطل؛ لأنهم أفسدوا على القلوب معرفة الرب وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول ﷺ، وأحالوا الناس إلى قضايا وهمية ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية، وبراهين يقينية، وهي في التحقيق: ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩].

وأما أخبار الآحاد من جهة الاحتجاج فكل فريق من أرباب البدع يعرض النصوص

---

(١) انظر: العقائد السلفية لابن حجر أبو طامي (ص٤١٩).

على بدعته، فما ظنه معقولًا فيما وافقه، قال: إنه محكم، وقبله، واحتج به، وما خالفه قال: إنه متشابه، ثم ردَّه تفويضاً، أو حرفه، ويسمي تحريفه تأويلًا.

وموقف أهل السنة: أنهم لا يعدلون عن النصوص الصحيحة، ولا يعارضونها بالمعقول أو قول الإنسان.

قال الحميدي: «كنا عند الشافعي فأتاه رجل فسأله عن مسألة، فقال: قضى فيها رسول الله ﷺ بكذا، فقال الرجل للشافعي: ما تقول أنت؟ فقال: سبحان الله تراني في كنيسة؟ تراني في بيعة؟ تراني على وسطي زنار؟ أقول لك قضى رسول الله ﷺ، وأنت تقول: ما تقول أنت؟!»[١].

ونظائره من كلام السلف كثيرة، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

س٤٥: ما الذي يفيده خبر الآحاد عند أهل السنة؟ وجه ذلك؟ وأورد أمثلة عليه؟ مع ذكر أدلة المحتجين به؟

ج٤٥: عند الجمهور أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملًا به، وتصديقاً له، يفيد العلم اليقيني.

وهذا أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع، ومثاله حديث عمر: «**إنما الأعمال بالنيات**»[٢]، وخبر ابن عمر: «**نهي عن بيع الولاء وهبته**»[٣]، وخبر أبي هريرة: «**لا تنكح المرأة على عمتها، ولا على خالتها**»[٤]، وحديث: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»[٥].

---

(١) انظر: حلية الأولياء (٩/ ١٠٦)، مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٧٤).

(٢) أخرجه البخاري، ك: بدء الوحي، ب: كيف كان بدء الوحي، برقم: (١)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنية**»...، برقم: (١٩٠٧).

(٣) أخرجه البخاري، ك: العتق، ب: بيع الولاء وهبته، برقم: (٢٥٣٥)، ومسلم، العتق، ب: النهي عن بيع الولاء وهبته، برقم: (١٥٠٦).

(٤) أخرجه البخاري، ك: النكاح، ب: لا تنكح المرأة على عمتها، برقم: (٥١٠٩)، ومسلم، ك: النكاح، ب: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح، برقم: (١٤٠٨).

(٥) أخرجه البخاري ك: الشهادات، ب: الشهادة على الأنساب، برقم: (٢٦٤٥)، ومسلم، ك: الرضاع، تحريم ابنة الأخ من الرضاع، برقم: (١٤٤٧).

وحجة من استدل بالآحاد:

١- خبر: «إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانوا وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة»[1].

وكان الرسول ﷺ يرسل رسله آحاداً، ويرسل كتبه مع الآحاد ولم يكن المرسل إليهم يقولون: لا نقبله؛ لأنه خبر واحد.

٢- قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، فلا بد أن يحفظ الله حججه وبيناته على خلقه، لئلا يبطل حججه وبيناته على خلقه، ومن أجل ذلك فضح الله من كذب على الرسول ﷺ في حياته، وبعد وفاته، وبين حاله للناس، قال سفيان بن عيينة: «ما ستر الله أحداً يكذب في الحديث».

وقال عبد الله بن المبارك: «لو همَّ رجل في البحر أن يكذب في الحديث لأصبح والناس يقولون: كذاب».

ولكن من وقف على سيرة الرواة وقف على شدة حذرهم من الزلل، وكانوا بحيث لو قتلوا لم يسامحوا أحداً بكلمة ينقلونها عن الرسول ﷺ، ولا فعلوا بأنفسهم ذلك، وقد نقلوا هذا الدين إلينا كما نقل إليهم، فهم حماة الإسلام، وعصابة الإيمان، ونقاد الأخبار، فمن ظهر له ذلك ظهر له العلم فيما نقلوه ورووه.

س٤٦: إلام يستند النفاة في نفيهم لظاهر الأحاديث الصحيحة؟

ج٤٦: مستندهم في رد الأحاديث الصحيحة فهمهم لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فكل ما جاءهم حديث يخالف قواعدهم وآراءهم وما وضعته خواطرهم وأفكارهم ردوه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، تلبيساً منهم، وتدليساً على من هو أعمى قلباً منهم، وتحريفاً لمعنى الآي عن مواضعه، ففهموا من أخبار الصفات ما لم يرده الله ولا رسوله، ولا فهمه أحد من أئمة الإسلام أنه يقتضي إثباتها التمثيل بما للمخلوقين، ثم استدلوا على بطلان ذلك بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

س٤٧: هل يؤخذ بخبر الآحاد في العقيدة؟

ج٤٧: أهل السنة والجماعة يأخذون بما صح عن النبي ﷺ مما رواه الثقات العدول،

(١) أخرجه البخاري، ك: الصلاة، ب: ما جاء في القبلة، برقم: (٤٠٣)، ومسلم، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، برقم: (٥٢٦).

ولا يعارضونه بالمعقول.

أما أهل الكلام فيقولون: إن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم، ولا تثبت بها عقيدة.

وهذا كلام مرجوح، والرد عليه من الوجوه التالية:

١- الوجه الأول: إنه قول مبتدع محدث، لا أصل له في الشريعة الإسلامية الغراء، وهو غريب في هدي الكتاب والسنة، ولم يعرفه السلف الصالح، رضوان الله عليهم.

٢- الوجه الثاني: أن هذا القول يتضمن عقيدة تستلزم رد مئات الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ لمجرد كونها في العقيدة، وهذه العقيدة هي أن أحاديث الآحاد لا تثبت بها عقيدة، وإذ كان الأمر كذلك عند هؤلاء المتكلمين وأتباعهم فنحن نخاطبهم بما يعتقدون فنقول لهم: أين الدليل القاطع على صحة هذه العقيدة لديكم من آية أو حديث متواتر قطعي الثبوت، قطعي الدلالة أيضاً بحيث أنه لا يحتمل التأويل.

٣- الوجه الثالث: أن هذا القول مخالف لجميع أدلة الكتاب والسنة التي نحتج نحن وهم جميعاً بها على وجوب الأخذ بحديث الآحاد في الأحكام الشرعية، وذلك لعمومها وشمولها لما جاء به رسول الله ﷺ عن ربه سواء كن عقيدة أو حكماً.

فتخصيص هذه الأدلة بالأحكام دون العقائد تخصيصاً بدون مخصص، وذلك باطل.

٤- الوجه الرابع: أن هذا القول المذكور ليس فقط أنه لم يقل به الصحابة، بل هو مخالف لما كانوا عليه رضي الله عنهم، فإننا على يقين أنهم كانوا يجزمون لكل ما يحدث به أحدهم من حديث رسول الله ﷺ، ولم يقل أحد منهم لمن حدثه عن رسول الله ﷺ: خبرك هذا خبر واحد لا يفيد العلم حتى يتواتر، بل لم يكونوا يعرفون هذه الفلسفة التي تسربت إلى بعض المسلمين بعدهم من التفريق بين العقائد والأحكام في وجوب الأخذ فيها بحديث الآحاد(١).

س٤٨: اشرح ما لزم من قول النفاة ما وقعوا فيه من الضلال؟

ج٤٨: لقد وقع النفاة في مفاسد عدة، من أهمها:

١- أنهم حرفوا النصوص.
٢- وضعوا الكتب ونسبوها إلى الله.

٣- فسروا كثيرا من القرآن بمجرد تأويلات من غير تدبر لمعناه.

---

(١) انظر: تفصيل ذلك في رسالة وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

س٤٩: هناك وجه شبه بين النفاة وأهل الكتاب، وضحه مستنداً إلى القرآن في جوابك؟

ج٤٩: وجه الشبه:

١- أنهم حرفوا النصوص كما فعل ذلك أهل الكتاب، قال الله تعالى فيهم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

٢- أنهم لا يعلمون الكتاب إلا أماني - أي: مجرد تلاوته - ويفسرون معناه من غير تدبُّر له كما أخذ رسوله أنه المعنى الذي أراده الله كما أن حال أهل الكتاب كانت كذلك، قال الله سبحانه فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

٣- أنهم نسبوا إلى الله ما ليس من عنده وصنفوا الكتاب بذلك، وكذلك كان أهل الكتاب، قال الله فيهم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

س٥٠: إلى أي شيء يشير الطحاوي بقوله: «من الشرع والبيان»؟

ج٥٠: يشير بذلك إلى أن ما صح عن الرسول ﷺ نوعان:

١- شرعي ابتدائي. ٢- بيان لما شرعه الله في كتابه العزيز.

وجميع ذلك واجب الاتباع. وقيل: شرع تأييدي.

الإيمان والإسلام

س٥١: اختلف الناس في مسمى الإيمان والإسلام والمراد بهما، اذكر القول الصحيح مع التوجيه؟

ج٥١: اختلف في ذلك على ثلاثة أقوال:

١- قيل: الإسلام هو الكلمة. ٢- وقيل: الإسلام مرادف للإيمان.

٣- والذي عليه أهل السنة أنهما إذا اجتمعا فسروا الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأعمال الباطنة.

وأما إذا افترقا فإنه يتضمن كل منهما الآخر، فقد يكون مع الإسلام مؤمناً بلا نزاع، وهذا هو الواجب، وهو الراجح بدليل حديث جبريل، حيث فسر الرسول ﷺ الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأصول الخمسة.

وفي كلام الرسول ﷺ والعرب كثير من الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت

اجتمعت كالإسلام والإيمان، والكفر والنفاق، والتوبة والاستغفار، والفقير والمسكين.

ومن هذه النصوص قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

س٥٢: يرى بعضهم أن الإسلام والإيمان مترادفان، فما دليلهم؟ وكيف ترد عليهم؟

ج٥٢: استدلوا بما يلي:

١- أنه لو كان الإسلام هو الأمور الظاهرة والإيمان الأمور الباطنة لما قوبل الإيمان بالأمور الظاهرة في حديث وفد عبد القيس الذي قال فيه النبي ﷺ: «**آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله...**» الحديث[1].

فلو كان كذلك لقابله بالأمور الباطنة، لكنه قابل الإيمان بالأمور الظاهرة فدل على أنهما مترادفان.

ويرد هذا الدليل بأنهما إذا افترقا دخل أحدهما في الآخر، أما إذا اجتمعا فإنه يراد بكل واحد معنى، وليسا مترادفين مع تلازمهما.

٢- إذا آمن الإنسان ولم يسلم، أو بالعكس، فماذا يحكم عليه في الدنيا والآخرة، فمن أثبت لأحدهما حكماً ليس ثابتاً للآخر ظهر بطلان قوله.

ويرد ذلك بأن يقال: هذا على أن المسلم هو المؤمن، والله يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فجعلهما متغايرين.

وقيل للرسول: «ما لك عن فلان؟ والله إني لأراه مؤمنا. قال: **أو مسلماً**»[2] ثلاثاً.

فأثبت له الإسلام وتوقف في اسم الإيمان، فالإسلام فرق بينهما، فدل على أنهما إذا اجتمعا افترقا، ومن قال أنهما سواء فهو مجانب للصواب، والواجب رد النزاع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٣- واحتجوا بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦]، فقد دلت الآية على ترادفهما.

والجواب على ذلك بأنه لا حجة فيها؛ لأن أهل البيت كانوا متصفين بالإسلام

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة...، برقم: (٢٧)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه، برقم: (١٥٠).

والإيمان، ولا يلزم من الاتصاف بهما ترادفهما.

س٥٣: ما موقف الذين قالوا بترادف الإسلام والإيمان من حديث جبريل، وآية الحجرات: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾؟ وكيف ترد عليهم؟

ج٥٣: جعلوا قول الرسول ﷺ: «**الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة...**» شعائر الإسلام.

والردُّ عليهم بما يأتي:

١- أن الأصل عدم التقدير.

٢- ثم هم قالوا: الإيمان هو التصديق بالقلب، وقالوا: الإسلام والإيمان شيء واحد، فلزم أن يكون الإسلام هو التصديق على قولهم، وهذا ما لم يقله أحد من أهل اللغة، وإنما هو الانقياد والطاعة، قال رسول الله ﷺ: «**اللهم لك أسلمت، وبك آمنت**»(١)، فسمي الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأصول الخمسة، فليس لنا إذا جمعنا بينهما أن نجيب بغير ما أجاب به النبي ﷺ.

وأجابوا عن آية الحجرات، بأن قوله: أسلمنا، أي: انقدنا بظواهرنا، فهم منافقون حقيقة.

وأجيب بأنهم غير كاملي الإيمان، لأنهم أهل سباب، وفسوق، وعصيان، كما نفى الإيمان عن القاتل والزاني وغيرهما، ويؤيد هذا سياق الآية، فإن من أولها إلى هنا في النهي عن المعاصي وأحكام بعض العصاة وليس فيها ذكر المنافقين.

س٥٤: ما معنى قول الطحاوي: «والإيمان واحد وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية، والتقى، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى»؟

ج٥٤: هذا الكلام بناء على الأصل الذي ذكره أولًا في تعريف الإيمان، والحق أن الناس متفاوتون في أصل الإيمان أيضاً، وإلا أمكن أن نقول: إن إيماننا كإيمان النبي ﷺ، وكإيمان الملائكة، وهذا باطل ظاهر البطلان، وإن الأعمال داخلة في اسم الإيمان يتفاوت بها الناس، بل حتى التصديق يتفاوت فيه الناس، فليس تصديقنا كتصديق جبريل عليه السلام، والناس كذلك يتفاوت بالتقوى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، ويتفاوتون على حسب مخالفتهم للهوى الفاسد، وملازمتهم لفعل الأمر المحبوب عند الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: التهجد، ب: التهجد بالليل، برقم: (١١٢٠)، ومسلم، ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم: (٧٦٩).

س٥٥: قال الطحاوي في حقيقة الإيمان: «وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالحقيقة، ومخالفة الهوى، وبملازمة الأولى»، وفي بعض النسخ: «بالخشية والتقى» بدل: الحقيقة؟ فما الفرق بين اللفظين؟

ج٥٥: الفرق أنه أراد بالأولى أن الكل مشتركون في أصل التصديق به، ولكن يكون بعضه أقوى من بعض، ومثل ذلك البصر، فبعض الناس أقوى من بعض مع أنهم مشتركون في أصله، وفي اللفظ الثاني يشير إلى التفاوت بين المؤمنين بأعمال القلوب، وأما التصديق فلا تفاوت فيه، والمعنى الأول أظهر قوة، والله أعلم بالصواب.

الولاية والأولياء

قال الطحاوي: «والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعُهم وأتبعُهم للقرآن».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الأولياء حقاً:]

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

الوليُّ: مِنَ الولاية بفتح الواو، وهي ضدُّ العداوة.

[الله ولي المؤمنين:]

فالمؤمنون أولياء الله، والله تعالى وليهم، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] الآية، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد:١١]، فالله يتولى عبادَه المؤمنين، فيحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له ولياً فقد بارزه بالمحاربة، وهذه الولاية من رحمته وإحسانه.

[الولاية نظير الإيمان:]

والولاية أيضاً نظير الإيمان، وتكون كاملة وناقصة، فالكاملة تكون للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]، والتقوى هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّنَ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وهم قسمان: مقتصدون ومقربون، فالمقتصدون: الذين يتقربون إلى الله بالفرائض من أعمال القلوب والجوارح، ويجتنبون المحرمات.

والسابقون: الذين يتقربون إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، وبترك المكروهات بعد المحرمات.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضتُ عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببته كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموتَ، وأكره مساءته**»(١).

والولي: خلاف العدو، وهو مشتق من الولاء، وهو الدنو والتقرب، فولي الله: هو من والى الله بموافقة محبوباته، والتقرب إليه بمرضاته.

[حقيقة أكرم المؤمنين:]

وقوله: «**وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن**»، أراد: أكرم المؤمنين هو الأطوعُ لله، والأتبعُ للقرآن، وهو الأتقى، والأتقى هو الأكرم، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

الأسئلة والأجوبة على: الولاية والأولياء

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والمؤمنون كلهم أولياء

(١) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: التواضع، برقم: (٦٥٠٢).

الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- الأولياء حقاً. ٢- الله ولي المؤمنين.

٣- الولاية نظير الإيمان. ٤- حقيقة أكرم المؤمنين.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن»؟

ج٢: إن المؤمنين أولياء الرحمن كما قال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، فعلى حسب تفاوتهم في الإيمان والتقوى تتفاوت درجة ولايتهم عند الله تعالى، وأكرمهم عند الله هو أكثرهم طاعة لله ولرسوله ﷺ، وأكثرهم اتباعاً لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وليس أكثرهم اتباعاً لمذهب معين.

س٣: ما المراد بالولاية في اللغة والشرع؟ وما شرطها؟

ج٣: الولاية في اللغة بفتح الواو، ومنها: العداوة، وقد قرأ حمزة: [ما لكم من ولايتهم من شيء]، بالكسر، وقرأ الباقون بالفتح.

وقيل: هما لغتان: بالفتح: النصرة، وبالكسر: الإمارة.

قال الزجاج: وجاز الكسر لأن في تولي بعض القوم بعضاً جنساً من الصناعة والعمل، وكل ما كان كذلك كان مكسور الفاء مثل الخياطة.

وفي الشرع: هي عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابِّه ومساخطِه، وليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تملق ولا رياضة.

وشرط الولاية: الإيمان بالله والتقوى.

س٤: ما أقسام أولياء الله عند الجمهور، وأدلة ذلك؟ وعرِّف من هو الولي؟ وما الفرق بين ولاية المخلوق للمخلوق، وولاية الخالق للمخلوق؟

ج٤: أولياء الله قسمان:

١- مقتصدون: وهم الذين يتقربون إلى الله بالفرائض وترك المحرمات، ولا يفعلون المندوبات من أعمال القلوب والجوارح.

٢- مقربون: وهم السابقون الذين يتقربون إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، ويتركون المحرمات والمكروهات، ويفعلون المندوبات.

وأدلة ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢].

والولي: خلاف العدو، وهو مشتق من الولاء، وهو الدنو والتقرب، فولي الله هو من والى الله بموافقته في محبوباته، والتقرب إليه بمرضاته.

والفرق بين ولاية المخلوق للمخلوق، وولاية الخالق للمخلوق: أن ولاية الخالق للمخلوق ولاية تكون من رحمته وإحسانه ليست كولاية المخلوق للمخلوق، لحاجته إليه، قال الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء: ١١١]، فالله سبحانه ليس له ولي من الذل، بل لله العزة جميعاً.

خلاف المخلوق للمخلوق، فإن الملوك وغيرهم ممن يتولاه لذله وحاجته إلى ولي ينصره.

س٥: اذكر بعض الأدلة على الولاية؟ وهل يجتمع في المؤمن ولاية من وجه، وعداوة من وجه؟ وكيف تجيب عما يروى مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «ما من جماعة اجتمعت إلا وفيهم ولي الله، ولا هم يدرون به، ولا هو يدري بنفسه»[(٢)]؟

ج٥: الأدلة هي:

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، وقال

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) لا أصل له، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من الأكاذيب ليس في شيء من دواوين الإسلام، وكيف والجماعة قد يكونون كفاراً أو فساقاً يموتون على ذلك». مجموع الفتاوى (١١/ ٦٠).
وقال الملا علي القاري: «لا أصل له، وهو كلام باطل، فإن الجماعة قد يكونون فجاراً يموتون على الكفر أو الفجور». الأسرار المرفوعة (٤٢٠).
وحكم الشيخ الألباني ببطلانه في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٠٥).

تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١١].

ومن السنة قوله ﷺ في الحديث المتقدم: «**من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة**».

ويجتمع في المؤمن ولاية من وجه، وعداوة من وجه كما قد يكون فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان.

أما ما يروى مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: «ما من جماعة اجتمعت إلا وفيهم ولي لله...» فلا أصل له، وهذا كلام باطل، فإن الجماعة قد يكونون كفاراً، وقد يكونون فساقاً يموتون على الفسق.

س٦: ما أنواع الكرامات؟ ولمن تكون الكرامة؟

ج٦: الكرامات نوعان:

١- مكاشفات: أي اطلاع على بعض المغيبات الجزئية بالإلهام أو المنام، وليس هذا في علم الغيب إطلاقاً.

٢- تأثيرات: أي: إذا دعا الله تعالى لشفاء سقم وهلاك شخص فقد يستجاب له مثلًا، وليس هذا من التصرف في الكون من شيء.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، قال أبو ذر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية، قال النبي ﷺ: «**يا أبا ذر لو عمل الناس بهذه الآية لكفتهم**»(١).

فالمتقون يجعل الله لهم مخرجاً مما ضاق على الناس، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، فيدفع عنهم المضار، ويجلب لهم المنافع، ويعطيهم الله أشياء يطول شرحها من المكاشفات والتأثيرات، وتكون الكرامة لأولياء الله المتقين.

أصول الإيمان

قال الطحاوي: «والإيمان هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر،

---

(١) أخرجه ابن ماجه، ك: الزهد، ب: الورع والتقوى، برقم: ٤٢٢٠، وأحمد في المسند (٥/ ١٧٨)، والدارمي برقم: (٢٧٢٥)، والحاكم (٢/ ٤٩٢)، وإسناده ضعيف، انظر: ضعيف الترغيب والترهيب برقم: (١٠٥٦).

والقدر خيره وشرِّه، وحلوِه ومرِّه من الله تعالى، ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[أصول الإيمان هي أصول الدين:]

تقدم أن هذه الخصال هي أصول الدين، وبها أجاب النبي ﷺ في حديث جبرائيل المشهور المتفق على صحته، حين جاء إلى النبي ﷺ على صورة رجل أعرابي، وسأله عن الإسلام، فقال: **«أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**، وسأله عن الإيمان، فقال: **أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**(١).

[تفسير النبي ﷺ للإيمان:]

و فسر ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس المتفق على صحته، حيث قال لهم: **«آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم»**(٢).

ومعلوم أنه لم يُرِد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بدَّ من إيمان القلب، فعُلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وقد تقدم الكلام على هذا.

[حكم الإيمان لا يثبت إلا مع العمل:]

والكتاب والسنة مملوءان بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكمُ الإيمان إلا بالعمل مع التصديق، وهذا أكثر من معنى الصلاة، والزكاة، فإن تلك فسرتها السنة، والإيمان بين معناه في الكتاب والسنة.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥] الآية، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) تقدم تخريجه.

فنفي الإيمان حتى توجد هذه الغاية دلَّ على أن هذه الغاية فرضٌ على الناس، فمن تركها كان من أهل الوعيد، ولم يكن قد أتى بالإيمان الواجب الذي وُعِد أهله بدخول الجنة بلا عذاب.

[لا تعارض بين الأحاديث المفسِّرة للإيمان:]

ولا يقال: إن بين تفسير النبي ﷺ الإيمان في حديث جبرائيل، وتفسيره إياه في حديث وفد عبد القيس معارضة؛ لأنه فسر الإيمان في حديث جبرائيل بعد تفسير الإسلام، فكان المعنى أنه الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر مع الأعمال التي ذكرها في تفسير الإسلام، كما أن الإحسان متضمن للإيمان الذي قدم تفسيره قبل ذكره، بخلاف حديث وفد عبد القيس؛ فإنه فسره ابتداء لم يتقدم قبله تفسير الإسلام، ولكن هذا الجواب لا يتأتى على ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تفسير الإيمان، فحديث وفد عبد القيس مشكل عليه.

[من أدلة القدر:]

وقوله: «والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى» تقدم قوله ﷺ في حديث جبرائيل: «**وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[1]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وقال تعالى ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]، ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، الآية.

[النعم من الله، والمصائب بسبب الإنسان:]

وفرَّق سبحانه وتعالى بين الحسنات التي هي النعم، وبين السيئات التي هي المصائب، فجعل هذه من الله، وهذه من نفس الإنسان؛ لأن الحسنة مضافةٌ إلى الله، إذ هو أحسنَ بها من كل وجهٍ، فما من وجهٍ من أوجهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه، وأما السيئةُ فهو إنَّما يخلُقُها لحكمةٍ، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الرب لا يفعل سيئةً قط، بل فعله كله حسنٌ وخيرٌ.

[الله لا يخلق شراً محضاً:]

ولهذا كان النبي ﷺ يقول في الاستفتاح: «**والخير كله بيديك، والشر ليس**

---

(١) تقدم تخريجه.

إليك»[(١)]، أي: فإنك لا تخلق شرّاً محضاً، بل كل ما تخلقه ففيه حكمةٌ، هو باعتبارها خيرٌ، ولكن قد يكون فيه شرٌّ لبعض الناس، فهذا شرٌّ جزئيّ إضافيّ، فأمَّا شرٌّ كليٌّ أو شرٌّ مطلقٌ فالرب سبحانه وتعالى منزهٌ عنه.

وهذا هو الشر الذي ليس إليه، ولهذا لا يضاف الشرُّ إليه مفرداً قطُّ، بل إمَّا أن يدخل في عموم المخلوقات، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٨]، ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، وإما أن يضاف إلى السبب كقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢]، وإما يُحذف فاعله، كقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ [الجن: ١٠].

[الشر قد يكون وراءه حكمة:]

وليس إذا خلق ما يتأذى به بعض الحيوان لا يكون فيه حكمة، بل الله من الرحمة والحكمة لا يقدر قدره إلا الله تعالى، وليس إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة يكون شرا كليا عاما، بل الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيرا أو مصلحة للعباد، كالمطر العام، وكإرسال رسول عام.

[أصل الشر بسبب نفس الإنسان:]

وفي قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، من الفوائد: أن العبد لا يطمئن إلى نفسه، ولا يسكن إليها، فإن الشرَّ كامنٌ فيها لا يجيء إلا منها، ولا يشتغل بملام الناس ولا ذمهم إذا أساؤوا إليه، فإن ذلك من السيئات التي أصابته، وهي إنما أصابته بذنوبه، فيرجع إلى الذنوب ويستعيذ بالله من شر نفسه وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته، فبذلك يحصل له كل خير ويندفع عنه كل شر.

وقوله: **«ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به»**.

الإشارة بذلك إلى ما تقدم مما يجب الإيمان به تفصيلًا.

[الكفر ببعض الرسل كفر بالكل:]

وقوله: «لا نفرق بين أحد من رسله...» إلى آخر كلامه، أي: لا نفرق بينهم بأن نؤمن

---

(١) أخرجه مسلم، ك: صلاة المسافرين، ب: الدعاء في صلاة الليل، وقيامه، برقم: (٧٧١).

ببعض، ونكفر ببعض، بل نؤمن بهم، ونصدقهم كلهم، فإن من آمن ببعض، وكفر ببعض كافر بالكل، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١].

فإن المعنى الذي لأجله آمن بمن آمن به منهم موجود في الذي لم يؤمن به، وذلك الرسول الذي آمن به قد جاء بتصديق بقية المرسلين، فإذا لم يؤمن ببعض المرسلين كان كافراً بمن في زعمه أنه مؤمن به؛ لأن ذلك الرسول قد جاء بتصديق المرسلين كلهم، فكان كافراً حقاً، وهو يظن أنه مؤمن، فكان من الأخسرين أعمالا، الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحسنون صُنعاً.

الأسئلة والأجوبة على: أصول الإيمان

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- أصول الإيمان هي أصول الدين.
٢- تفسير النبي ﷺ للإيمان.
٣- حكم الإيمان لا يثبت إلا مع العمل.
٤- لا تعارض بين الأحاديث المفسرة للإيمان.
٥- من أدلة القدر.
٦- النعم من الله، والمصائب بسبب الإنسان.
٧- الله لا يخلق شراً محضاً.
٨- الشر قد يكون وراءه حكمة.
٩- أصل الشر بسبب نفس الإنسان.
١٠- الكفر ببعض الرسل كفر بالكل.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى»؟

ج٢: الإيمان عبارة عن الإيمان بالله تعالى ووحدانيته في ذاته وأفعاله وأسمائه

وصفاته، واستحقاقه للعبودية، وصرف جميع الأعمال بهم وبوجودهم إجمالًا وتفصيلًا، وما ورد من صفاتهم وأعيانهم، والإيمان بالرسل من عرفنا منهم، ومن لم نعرف إجمالًا وتفصيلًا على ما سبق، وأولهم نوح وآخرهم محمد ﷺ، وبأنهم بلغوا رسالات الله تعالى كاملة، وبأن هديهم أكمل هدي وأحسنه، والإيمان باليوم الآخر، وما فيه من البعث، والحساب، والجنة والنار، وغير ذلك، ثم الإيمان بالقدر وأنه من عند الله، وأن الخير والشر بقضائه، والحلو والمر بقدره وإرادته، كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، وهذه الأصول مجتمعة في آيات منها قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وهذه الأصول والأركان للإيمان إن فقد أحدها ارتفع اسم الإيمان بالأصل، وأطلق مكانه اسم الكفر، والعياذ بالله تعالى.

س٣: ما معنى قول الطحاوي: «ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به»؟

ج٣: ونحن نؤمن بكل ما سبق ونقربه، ونسلم له، ولا نفرق بين أحد من رسله، كما قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

فنحن لا نفرق بين الرسل، ولا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعض، بل نؤمن بهم جميعاً، ونصدقهم كلهم في كل ما جاءوا به من الوحي من عند الله تعالى.

س٤: عرِّف الإيمان لغة واصطلاحاً؟

ج٤: الإيمان لغة مصدر من باب الإفعال، يقال: آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن، وهو في أصل اللغة: إعطاء الأمن والأمان، وعدم تخويفه؛ لأن مادة الإيمان من الفعل الثلاثي المجرد: أمن يأمن أمناً وأماناً.

ثم وسع فيه فتضمن الإيمان التصديق، كأن المؤمِنَ أعطى المؤمَنَ أماناً من التكذيب فصدَّقه، كأن المصدِّق أمن المصدَّق من خوف التكذيب.

لذا يقال: إن الإيمان في اللغة التصديق مع أن الإيمان في أصل اللغة هو إعطاء الأمان، وليس التصديق المجرد كما تقدم الكلام فيه..

أما في الاصطلاح، فقد اختلف العلماء فيه على أقوال عدة نقتصر منها على أهمها:

١- يرى جمهور العلماء أن الإيمان تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح.

٢- نقل عن أبي حنيفة أن الإيمان تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، ولا دخل لعمل الجوارح فيه، وهو قول كثير من أصحابه.

منشأ الاختلاف:

إن أبا حنيفة ومن تبعه نظروا إلى معنى الإيمان اللغوي، وهو التصديق، ولما كان أمراً باطنياً لا نعلم له شرطنا إقرار اللسان؛ لأن الإقرار هو مناط الأحكام في الدنيا، بينما نظر جمهور العلماء إلى المعنى اللغوي، وإلى أدلة من كلام الشارع، فهم ضموا إلى اللغة أدلة كلام الشارع.

أدلة كل طائفة:

١- استدل أبو حنيفة بما يأتي:

أ- إن الإيمان في اللغة ورد بمعنى التصديق: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، أي: بمصدق.

٢- ولأن الإيمان ضد الكفر، وهو التكذيب والجحود، وهما يكونان بالقلب فكذا ما يضادهما.

٣- قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وهو يدل على أن القلب موضع الإيمان لا اللسان، ولأنه لو كان مركباً من قول وعمل لزال كله بزوال جزئه.

٤- ولأن العمل قد عطف على الإيمان، والعطف يقتضي المغايرة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥].

٥- ما رواه أبو الليث السمرقندي عن أبي هريرة أن وفد ثقيف قالوا: يا رسول الله هل الإيمان يزيد أو ينقص؟ قال: «**لا، الإيمان أن تعمل في القلب، زيادته كفر، ونقصانه شرك**»[1].

أدلة الجمهور:

١- من الكتاب: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الأنفال: ٢]، وجه الدلالة أن الآية حصرت المؤمنين في الذين توجل قلوبهم عند ذكر الله

(١) تقدم تخريجه.

مع الأعمال الأخرى المذكورة في الآية، وهي أعمال بدنية وقلبية.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النور: ٦٢]، الآية.

وجه الدلالة أن الآية ذكرت الإيمان القلبي ثم العلم بمقتضى ذلك من الجهاد ونحوه.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]، ووجه الدلالة: أن الله نفى عنهم الإيمان حتى توجد هذه الغاية، وهي تحكيم الرسول ﷺ في خصوماتهم، ثم الرضا بذلك ظاهراً وباطناً مع العمل به.

فدل على أن هذه الغاية فرض على جميع الناس، ومن تركها لم يكن قد أتى بالإيمان الواجب الذي وعد أهل الجنة به.

٢- ومن السنة:

أ - حديث وفد عبد القيس المتفق على صحته حين قال لهم: «**آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم**»(١).

وجه الدلالة: أنه جعل الإيمان هو الاعتقاد بوحدانية الله تعالى، وذلك من أعمال القلب، ولم يكتف بذلك، بل أضاف الصلاة، والزكاة، وتأدية الخمس من المغنم إليه.

قال ابن القيم: «فيه أن الإيمان مجموع الأمرين من القول والعمل، وهل هناك تعارض بين حديث وفد عبد القيس حيث فسر الإيمان بما ذكر، وحديث جبريل حيث فسر الإيمان بأن تؤمن بالله، وملائكته...؟»

يدعي بعضهم أن الحديثين متعارضان، وبيان ذلك أنه فسر الإيمان في حديث جبريل بالتصديق دون العمل، وفي حديث عبد القيس فسر الإيمان بالعمل دون التصديق، والصحيح أنه لا تعارض بين التفسيرين، فقد فسر حديث جبريل الإيمان بعد تفسيره للإسلام، فكان مقتضى كلامه أن تؤمن بالله أي: علاوة على ما سبق في تفسير الإسلام، كما أن الإحسان الذي سأل عنه أخيراً متضمن للإيمان، خلاف حديث وفد عبد القيس، فقد فسر الإيمان بالأعمال الظاهرة، وأغفل الأمور الباطنة استناداً إلى علم المخاطبين بأن الأعمال الظاهرة لا تنفع من دون إقرار القلب واعتقاده.

---

(١) تقدم تخريجه.

س٥: ما حكمة اقتصاره ﷺ في حديث جبريل على الأمور الخمسة الظاهرة مع أن ما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة أكثر من ذلك؟

ج٥: الحكمة في اقتصاره ﷺ على ذلك في تفسيره للإسلام أحد أمرين:

- أولهما: أن هذه الأمور الخمسة هي أظهر شعائر الدين وأعظمها، وإتيان المرء بها دليل على كمال انقياده واستسلامه لله في أوامره، وعدم إتيانه بها يشعر بانحلال قيد انقياده وتركه ما سواها.

- ثانيهما: أن الرسول ﷺ ذكر الأمور التي تجب على العباد عبادة خالصة لله سبحانه على الأعيان، وما سوى ذلك فإنما يجب بأسباب مصالح، فلا يعم وجوبها جميع الناس، فهي إنما تجب:

أ - إما بفروض الكفاية كالجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والفتيا.

ب - وإما بسبب حقوق الآدميين فيختص به من وجب له وعليه.

وقد يسقط بإسقاطه من قضاء الديون، ورد الأمانات، وحقوق الوالدين والأولاد، وصلة الأرحام، والإنصاف من المظالم، ونحو ذلك.

اعتراض متوقع:

إن الزكاة حق مالي، وليست عبادة محضة، ولهذا بينت مصارفها الثمانية، فلماذا ذكرها ﷺ؟

والجواب: أن بينها وبين حقوق العباد فروقاً، فهي عبادة محضة، ولهذا وجبت فيها النية، ولم يجز أن يفعلها الغير بلا إذنه.

ولم تطلب من الكفار بخلاف حقوق العباد، فلا يشترط لها النية، ولو أداها غيره عنه، بغير إذنه برئت ذمته، ويطالب بها الكفار.

وكون الأصناف الثمانية مصارف لها لا يدل على كونها حقاً للآدميين، وما يجب يكون حقاً لله تعالى محضاً غير الخمسة كالكفارات، فهو بسبب من العبد، وفيها معنى العقوبة.

س٦: قال الطحاوي: «والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله، وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه...» الخ. عرف القضاء لغة واصطلاحاً؟

ج٦: القضاء في اللغة بالمد مصدر قضى يقضي، وهو إتمام الشيء قولًا كان، أو فعلًا، أو إرادة، أو غير ذلك.

ومثال القضاء في القول قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٣٢]، أي: أتم نهيه عن عبادة غيره[١].

وفي الفعل: قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢]، أي: أتم خلقهن.

وفي الإرادة: قوله سبحانه: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، أي: إذا تمت إرادته بإيجاد شيء.

والقدر لغة: بفتح الدال، وقد تسكن، وهي تبيين كمية الشيء.

والقدر اصطلاحاً: إرادة الله سبحانه بإيجاد شيء على وجه مخصوص، ثم إيجاده على ذلك الوجه المخصوص.

س٧: اذكر بعض الأدلة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر؟

ج٧: لقد دل على وجوب الإيمان بهما الكتاب والسنة والإجماع.

١- أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وقوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨].

٢- وأما من السنة فحديث جبريل المتقدم حينما فسر النبي ﷺ الإيمان بأن نؤمن بالله، ونؤمن بالقدر خيره وشره، فقد جعله ركنا من أركان الإيمان.

٣- وأما الإجماع فقد أجمع أصحاب رسول الله ﷺ وسلف الأمة على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره، فمن أنكر القضاء والقدر فقد كفر بالله سبحانه؛ لأنه منكر لما علم من الدين بالضرورة.

س٨: ما هي مراتب القضاء والقدر؟ وما حكم الإيمان بها؟

ج٨: القضاء والقدر أربع مراتب يجب الإيمان بها، ولا يعتبر مؤمنا بالقضاء والقدر إلا إذا كان مؤمنا بها.

---

(١) الأولى أن يقال: القضاء لغة يأتي لعدة معانٍ:
١- فعل الشيء وأداؤه، نحو: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾، أي: أديت.
٢- الأمر والحكم: نحو: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، أي: حكم ربك وأمر، ومنه قضاء القاضي بين المتخاصمين.
٣- الخلق والإنشاء، ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ أي: خلقهن.
٤- إرادة الشيء: نحو: ﴿قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾، أي: إذا أراد أمراً.

١- علم الله سبحانه بالأشياء قبل كونها.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان: ٣٤].

٢- كتابته سبحانه للأشياء قبل كونها.

دليل ذلك: قوله سبحانه: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة: ٥١].

ومن السنة قوله ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»(١).

٣- المشيئة والإرادة.

ودليلها قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقوله: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

٤- الخلق والإيجاد.

ودليل ذلك: قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الرعد: ١٦].

س٩: قد يبدو أن هناك تعارضاً بين قوله تعالى: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [النساء: ٧٨]، وبين قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]؟

ج٩: لا تعارض بين هاتين الآيتين؛ فقد أضاف سبحانه وتعالى في الآية الأولى الحسنة والسيئة إليه، إضافة خلق وإيجاد وتقدير.

وأضافها في الآية الثانية إلى العبد إضافة تسبب، وكسب، ومباشرة.

وقوله: ﴿فَمِن نَّفۡسِكَ﴾ أي: من ذنب نفسك عقوبة لك، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [الشورى: ٣٠]، ويدل لذلك قراءة ابن عباس: [وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك].

س١٠: احتجت المعتزلة والقدرية بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩] على أن العبد يخلق فعل نفسه، فكيف ترد عليهم؟

ج١٠: لا دلالة للمعتزلة والقدرية بهذه الآية على ما زعموه لأمرين:

أولهما: أن الله فرق بين الحسنة والسيئة، فأضاف الحسنة إليه، والسيئة إلى العبد،

---

(١) تقدم تخريجه.

والمعتزلة لا يفرقون بينهما، بل يقولون: إن كلا منهما مخلوق للعبد.

ثانيهما: أن الله قال في الآية قبلها: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، فإضافتها إليه خلقاً، وإيجاداً، وتقديراً، فدل ذلك على أن إضافة السيئة إلى العبد إضافة تسبب ومباشرة، لا كما تزعم المعتزلة والقدرية.

س١١: قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[النساء: ٧٩]؟ اشرح معنى الحسنة والسيئة في الآية ثم بين الحكمة من إضافة الحسنة إلى الله، والسيئة إلى النفس؟

ج١١: أولًا: معنى الحسنة والسيئة.

اختلف العلماء فيه على أقوال:

١- الجمهور: المراد بالحسنة: النعمة، وبالسيئة: البلية.

٢- وقيل: الحسنة هي: الطاعة، والسيئة هي: المعصية.

٣- وقيل: الحسنة: ما أصابه يوم بدر، والسيئة: ما أصابه يوم أحد.

قال الشارح: «والقول الأول هو أصح الأقوال؛ لأنه شامل لمعنى القول الثالث، والمعنى الثاني ليس مراداً دون الأول قطعاً».

ثانياً: الحكمة من إضافة الحسنة إلى الله والسيئة إلى العبد في الآية:

١- إضافة الحسنة إليه سبحانه في صدر الآية لأنه خالقها، ومقدرها، وهي الحسنة من كل وجه، فما من وجه من وجوهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه.

٢- إضافة السيئة إلى العبد؛ لأن الله إنما خلقها لحكمة، وهو باعتبار ذلك الحكمة من إحسانه.

فإن الرب لا يفعل سيئة قط، بل فعله كله حسنة وخير.

وأما من جهة العبد فهي سيئة اقترفها، ولهذا أضيفت إليه إضافة تسبب ومباشرة.

قال الشارح: «ولكن لا منافاة بين أن تكون سيئة العمل، وسيئة الجزاء من نفسه، مع أن الجميع مقدر، فإن المعصية الثانية قد تكون عقوبة الأولى، فتكون من سيئات الجزاء مع أنها من سيئات العمل.

والحسنة الثانية قد تكون من ثواب الدنيا كما دل على ذلك الكتاب والسنة».

س١٢: اشرح الفوائد المستنبطة من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[النساء: ٧٩]؟

ج١٢: هناك فوائد كثيرة، ومن أهمها:

١- أن العبد لا يطمئن إلى نفسه، ولا يسكن إليها؛ لأن الشر كامن فيها، وقد ورد أن الرسول ﷺ قال: «**نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا**»(١).

٢- أن على العبد ألا يشتغل بكلام الناس وذمهم إذا أساؤوا إليه؛ فإن ذلك من السيئات التي أصابته بذنوبه، فعليه أن يستعيذ بالله من شر نفسه، وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته.

س١٣: كان النبي ﷺ يقول في استفتاح الصلاة: «والخير كله بيديك، والشر ليس إليك» فما المقصود بقوله: «والشر ليس إليك»(٢)؟

ج١٣: المعنى: أنك لا تخلق شراً محضاً، بل كل ما تخلقه فيه حكمة، وهي في حدِّ ذاتها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، فهذا شر جزئي إضافي، فأما الشر الكلي أو الشر المطلق فالرب سبحانه وتعالى منزه عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه.

س١٤: هل تجوز إضافة الشر مفرداً إلى الله تعالى؟ ولماذا؟ اشرح ذلك موضحاً أساليب القرآن الكريم في ذلك؟

ج١٤: الشر لا يضاف مفرداً إلى الله وذلك لأمرين:

أولهما: للتأدب معه سبحانه، فهو خالق كل شيء، ولهذا لما سئل بعض العلماء: وهل خلق الله الكلاب؟ قال: الله خالق كل شيء.

ثانيهما: لأن الله سبحانه لا يخلق شراً محضاً، وما كان من الأشياء فيه شر فهو شر جزئي إضافي بالنسبة لبعض المخلوقات، وقد يكون خيراً له فيما بعد، أو يكون خيراً لغيره من المخلوقات، ومصائب قوم عند قوم فوائد، ولذلك لم يرد في القرآن الكريم إضافة الشر مفرداً إلى الله، بل إما:

١- أن يضاف إلى عموم المخلوقات كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾

---

(١) أخرجه أبو داود، ك: النكاح، ب: في خطبة النكاح، برقم: (٢١١٨)، والنسائي، ك: الجمعة، ب: كيفية الخطبة، برقم: (١٤٠٣)، والترمذي، ك: النكاح، ب: ما جاء في خطبة النكاح، برقم: (١١٠٥)، وابن ماجه، ك: النكاح، ب: خطبة النكاح، برقم: (١٨٩٢)، والإمام أحمد (١/ ٣٩٢)، وأبو يعلى برقم: (٧٢٢١)، والطبراني في المعجم الكبير برقم: (١٠٠٧٩، ١٠٤٩٩)، وغيرهم، وصححه الشيخ الألباني في رسالته المسماة بخطبة الحاجة، وانظر: صحيح سنن أبي داود برقم: (١٨٤٤).

(٢) تقدم تخريجه.

[الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، يعني الخير والشر معاً.

٢- أو يضاف إلى سببه كما في قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢]، وقوله: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

٣- أوبحذفِ فاعله كما في قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

قال الشارح: «وليس إذا خلق ما يتأذى به بعض الحيوان لا يكون فيه حكمة، بل لله الرحمة والحكمة ما لا يقدر قدره إلا الله. وليس إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة يكون شراً كلياً عاماً، بل الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيراً أو مصلحة للعباد، كالمطر، وكإرسال رسول عام، وهذا مما يقتضي أنه لا يجوز أن يؤيد كذاباً عليه بالمعجزات التي أيد بها الصادقين.

فإن هذا شر عام للناس يضلهم فيفسد عليهم دينهم ودنياهم وأخراهم، وليس هذا كالملك الظالم، ولهذا يبقى الظلمة.

أما المتنبؤون الكاذبون فلا يطيل تمكينهم، بل لا بد أن يهلكهم؛ لأن فسادهم عام شامل، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦]».

س١٥: تأييد الله للملوك الظالمين ألا يعتبر شراً محضاً؟ ولماذا؟

ج١٥: لا يعتبر شراً محضاً لأمرين:

١- لأن الله سبحانه يدفع بالملوك الظلمة من الشر أكثر من ظلمهم. ولهذا قيل: ستون سنة بإمام جائر خير من ليلة واحدة بلا إمام.

٢- ولأنه لو قدر كثرة ظلمهم للناس فإن ذلك يكون خيراً للرعية حيث يكون تكفيراً للذنوب التي ارتكبوها، لعلهم أن يرجعوا.

س١٦: دعاء الفاتحة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ الآيات، لمَ كان أعظم الدعاء وأنفعه؟ ولمَ أمر الناس به في كل صلاة؟

ج١٦: أ- كان أعظم الدعاء وأنفعه؛ لأنه سؤال للهداية إلى الصراط المستقيم، فإذا هداهم إليه، فقد أعانهم على فعل الطاعة، واجتناب المعصية فلا يصيبهم شر في الدارين، لا في الدنيا، ولا في الآخرة.

ب - وأمر الناس به في كل صلاة، لمسيس حاجتهم إليه، فهي أشد من احتياجهم

إلى الطعام والشراب؛ لأن الذنوب هي لوازم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى في كل لحظة، ذلك لأن الهداية على أربعة أنواع:

١- هدايتهم للدخول في الإسلام.

٢- هدايتهم بأن يعلمهم الله ما يتعلق بتفاصيل أحوالهم.

٣- هدايتهم بأن يلهمهم العمل بما علموه، وإلا كان حجة عليهم.

٤- هدايتهم بأن يجعلهم قادرين على فعل ما طلب منهم.

فإذا هدوا إلى هذه الأمور، فالدعاء طلب منهم للثبات والمزيد، ثم هو لطلب هداية أخرى، وهي هدايتهم إلى الجنة في الدار الآخرة.

س١٧: فإن قيل: الذي يدعو بهذا هو المؤمن، وقد هداه الله لما ذكره، فكيف يطلبه؟

ج١٧: الجواب بأحد الأمرين:

١- أن المراد بالهداية حينئذ طلب التثبيت والمزيد.

٢- أن الهداية أنواع، فهو يطلب أصولها له كلها.

س١٨: كان رسول الله ﷺ يجمع في صلاته بين توحيد الله واستغفاره وتعظيمه، وشكره، بَيِّن ذلك؟

ج١٨: أما توحيد الله فهو في دعاء الاستفتاح[(١)]، وفي التشهد، وفي الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، وأما استغفاره فقد كان يستغفر بين السجدتين[(٢)]، وأما تعظيمه ففي حالات التكبير والتسبيح، وأما الشكر ففي قوله في الفاتحة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، وقوله ﷺ: «**ربنا ولك الحمد، لا مانع لما أعطيت...**» الحديث[(٣)].

س١٩: قوله ﷺ: «**ربنا ولك الحمد، لا مانع لما أعطيت...**» الحديث، متضمن لتحقيق التوحيد بنوعيه، بيِّن ذلك؟

ج١٩: أ- أما توحيد الربوبية، فهو الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه، ولا

---

(١) انظر: صحيح مسلم، ك: صلاة المسافرين، ب: الدعاء في صلاة الليل، وقيامه، برقم: (٧٧١).

(٢) أخرجه أبو داود، ك: الصلاة، ب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم: (٨٧٤)، وابن ماجه، ك: إقامة الصلاة والسنة فيها، ب: ما يقول بين السجدتين، برقم: (٨٩٧)، والإمام أحمد (٥/ ٣٩٥)، والدارمي برقم: (١٣٢٤)، وابن خزيمة برقم: (٦٨٤)، وهو حديث صحيح، انظر: إرواء الغليل (٢/ ٤١).

(٣) أخرجه مسلم، ك: الصلاة، ب: ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، برقم: (٤٧٧).

يقع في هذا الكون إلا ما يريده، ومتضمنه في: «**لا مانع لما أعطيت**».

ب - وأما توحيد الألوهية فهو إفراد الله سبحانه بالعبادة دون ما سواه شرعاً، وأمراً، ونهياً، ومتضمنه في: «**وكلنا لك عبد**»، وكذا في قوله: «**لا ينفع ذا الجد منك الجد**»، أي: لا يخلصه من عقابه إذا استحقه.

س ٢٠: اشرح المراد من قوله ﷺ: «**ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»؟ ولمَ قال: «**منك**»، ولم يقل: عندك؟

ج ٢٠: الجد: بمعنى الحظ والنصيب، والمعنى: لا يخلصه ولا ينجيه إذا استحق عقابك.

وقال: «**منك**»، ولم يقل: «عندك»؛ لأنه لو قال: «عندك»لأوهم أنه لا يتقرب بالجد إليك، لكن قد لا يضره، إذ لا يفهم من هذا اللفظ أنه لا يخلصه جده من عقابك.

قال الشارح: «فتضمن هذا الكلام تحقيق التوحيد، أو تحقيق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فإنه لو قدر أن شيئاً من الأسباب يكون مستقلًا بالمطلوب، وإنما يكون بمشيئة الله وتيسيره لكان الواجب أن لا يرجى إلا الله، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يسأل إلا هو، ولا يستغاث إلا به، ولا يستعان إلا هو، فله الحمد، وإليه المشتكى، وهو المستعان، وبه المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا به، فكيف وليس شيء من الأسباب مستقلًا بمطلوب، بل لا بد من انضمام أسباب أخر إليه، ولا بد أيضاً من صرف الموانع والمعارضات عنه، حتى يحصل المقصود، فكل سبب فله شريك وله ضد، فإن لم يعاونه شريكه، ولم ينصرف عنه ضده لم يحصل مسببه، والمطر وحده لا ينبت النبات إلا بما يضم إليه من الهواء والتراب وغير ذلك، ثم الزرع لا يتم حتى تصرف عنه الآفات المفسدة له، والطعام والشراب لا يغذي إلا بما جعل في البدن من الأعضاء والقوى، ومجموع ذلك لا يفيد إن لم تصرف عنه المفسدات، والمخلوق الذي يعطيك أو ينصرك فهو مع أن الله يجعل فيه الإرادة والقوة والفعل فلا يتم ما يفعله إلا بأسباب كثيرة خارجة عن قدرته تعاونه على مطلوبه، ولو كان ملكاً مطاعاً، ولا بد أن يصرف عن الأسباب المتعاونة ما يعارضها ويمانعها، فلا يتم المطلوب إلا بوجود المقتضي، وعدم المانع، وكل سبب معين فإنما هو جزء من المقتضى، فليس في الوجود شيء واحد هو مقتضى تام، وإن سمي مقتضياً، وسمي سائر ما يعينه شروطاً، فهذا نزاع لفظي، وأما أن يكون في المخلوقات علة

تامة تستلزم معلولها فهذا باطل»(١).

س٢١: وضح الواجب علينا من الإيمان الإجمالي والتفصيلي؟

ج٢١: ما ورد في الشرع مفصلًا نؤمن به مفصلًا، وما لم يفصل نؤمن به مجملًا، ومن أمثلة ذلك: الملائكة والكتب فنؤمن بهم إجمالًا وتفصيلًا، فمن ورد ذكرهم في الكتاب والسنة نؤمن بهم تفصيلًا، ومن لم يرد النص بذكرهم نؤمن بهم إجمالًا.

س٢٢: بعض الناس يؤمن ببعض الرسل، ويكفر بالبعض الآخر، فما حكمه؟ مع ذكر الدليل النقلي والعقلي؟

ج٢٢: من آمن ببعض الرسل فقط دون بعض يُعَدُّ كافراً، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

أ - فأما الكتاب فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١].

ب - ومن السنة: حديث جبريل، فقوله: «ورسله»، يدل على وجوب الإيمان بهم جميعاً، وأن الشخص لا يكون مؤمناً إلا بالإيمان بهم جميعاً.

ج - وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة استناداً إلى ما ذُكر على أن من فرق بين الرسل لا يعتبر من المؤمنين، بل يعتبر كافراً.

د - وأما الدليل العقلي، فقد ذكر الشارح دليلين:

أولهما: أن المعنى الذي من أجله آمن بمن آمن به من الرسل موجود في الذي لم يؤمن به منهم، فكان إيمانهم بالبعض، وكفره بالبعض الآخر، تفريقاً بين المتماثلين، والعقل يقتضي المساواة بينهم.

ثانيهما: أن الرسول الذي آمن به جاء بتصديق من لم يؤمن به من الرسل، فكان مقتضى إيمانه بذلك الرسول بأن يؤمن ببعض الرسل الذين جاء رسوله بتصديقهم، فلما آمن بالبعض وكفر بالبعض الآخر، كان كافراً بمن هو في زعمه مؤمن به، فكان من الأخسرين أعمالًا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - بتعليق العدني - (ص٤١٩).

أحكام أهل الكبائر

قال الطحاوي: «وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحِّدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر ﷻ في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته، الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته، اللهم يا وليَّ الإسلام وأهله مسِّكنا بالإسلام حتى نلقاك به».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الرد على المعتزلة والخوارج:]

فقوله: «وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون» ردٌّ على الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد أهل الكبائر في النار، كما تقدم عند الكلام على قول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله».

[أهل الكبائر مطلقاً لا يخلدون في النار:]

وقوله: «وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ»، تخصيصه أمة محمد ﷺ يفهم منه أن أهل الكبائر من غير أمة محمد ﷺ حكمهم مخالف، وفي ذاك نظر، فإن النبي ﷺ أخبر أنه: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»(١)، ولم يخص أمته بذلك، بل ذكر الإيمان مطلقاً، فتأمَّله.

هذا، وليس في بعض النسخ ذكر الأمة.

وقوله: «في النار» معمول لقوله لا يخلدون، وإنما قدمه لأجل السجعة، لا أن يكون في النار خبر لقوله وأهل الكبائر كما ظنه بعض الشارحين.

---

(١) أخرجه البخار ي، ك: الإيمان، ب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، برقم: (٢٢)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: تحريم الكبر وبيانه، برقم: (٩١).

[الاختلاف في تعريف الكبيرة وعددها:]

واختلف العلماء في الكبائر على أقوال: فقيل: سبع، وقيل: سبع عشرة، وقيل: ما اتفقت الشرائع على تحريمه، وقيل: ما يسد باب المعرفة بالله، وقيل: كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة، وقيل: إنها ما يترتب عليها حدٌّ، أو توعد عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، وهذا الأخير هو أمثل الأقوال.

[تعريف الصغائر:]

واختلفت عبارات السلف في تعريف الصغائر، فمنهم من قال: الصغيرة ما دون الحدين: حد الدنيا وحد الآخرة.

ومنهم من قال: كل ذنب لم يختم بلعنة، أو غضب، أو نار.

ومنهم من قال: الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا، ولا وعيد في الآخرة، والمراد بالوعيد: الوعيد الخاص بالنار أو اللعنة، أو الغضب، فإن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا، أعني: المقدرة، فالتعزير في الدنيا نظير الوعيد بغير النار، أو اللعنة، أو الغضب.

وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره، فإنه يدخل فيه كل ما ثبت بالنص أنه كبيرة، كالشرك، والقتل، والزنا، والسحر، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، ونحو ذلك كالفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وشهادة الزور، وأمثال ذلك.

[وجوه ترجيح هذا التعريف:]

هذا وترجيح هذا القول من وجوه:

أحدها: أنه هو المأثور عن السلف كابن عباس، وابن عيينة، وابن حنبل ﷺ وغيرهم.

الثاني: أن الله تعالى قال: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أوعد بغضب الله، ولعنته، وناره، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر.

الثالث: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب، فهو حد متلقى من خطاب الشارع.

الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر بخلاف تلك الأقوال.

وقوله: «وإن لم يكونوا تائبين» لأن التوبة لا خلاف أنها تمحو الذنوب، وإنما الخلاف في غير التائب.

[استدراك على المصنف:]

وقوله: «بعد أن لقوا الله تعالى عارفين» لو قال: مؤمنين بدل قوله: عارفين كان أولى؛ لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر وإنما اكتفى بالمعرفة وحدها الجهم وقوله مردود باطل، كما تقدم فإن إبليس عارف بربه: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر: ٣٦]، ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، وكذلك فرعون وأكثر الكافرين، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٥]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

هذا وكأن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أراد المعرفة الكاملة المستلزمة للإهتداء التي يشير إليها أهل الطريقة، وحاشا أولئك أن يكونوا من أهل الكبائر، بل هم سادة الناس وخاصتهم.

[أهل الكبائر تحت المشيئة:]

وقوله: «وهم في مشيئة الله وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله...» إلى آخر كلامه، فصل الله تعالى بين الشرك وغيره؛ لأن الشرك أكبر الكبائر كما قال ﷺ[(١)].

وأخبر الله تعالى أن الشرك غيرُ مغفور، وعلق غفران ما دونه بالمشيئة.

وغفران الكبائر والصغائر بعد التوبة مقطوع به غير معلق بالمشيئة كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، فوجب أن يكون الغفران المعلق بالمشيئة هو غفران الذنوب سوى الشرك بالله قبل التوبة.

وقوله: «ذلك أن الله مولى أهل معرفته» فيه مؤاخذة لطيفة كما تقدم.

---

(١) أخرج البخاري، ك: الديات، ب: (ومن أحياها)، برقم: (٦٨٧١)، ومسلم، : الإيمان، ب: بيان الكبائر وأكبرها، ولفظه: «أكبر الكبائر الإشراك بالله، وقتل النفس...».

[دعاء الله بالتثبيت على الإسلام:]

وقوله: «اللهم يا ولي الإسلام وأهله مَسِّكْنَا بالإسْلامِ حتى نلقاك به»، وفي نسخة: «ثبتنا على الإسلام»، روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه الفاروق بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ يقول: «**يا ولي الإسلام وأهله مسكني بالإسلام حتى ألقاك عليه**»(١).

ومناسبة ختم الكلام المتقدم بهذا الدعاء ظاهرة، وبمثل هذا الدعاء دعا يوسف الصديق صلوات الله عليه حيث قال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وبه دعا السحرة الذين كانوا أول من آمن بموسى صلوات الله على نبينا وعليه حيث قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٥].

الأسئلة والأجوبة على أحكام أهل الكبائر

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار، لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين... اللهم يا وليَّ الإسلام وأهله ثبِّتنا على الإسلام حتى نلقاك به»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار، لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين... اللهم يا وليَّ الإسلام وأهله ثبِّتنا على الإسلام حتى نلقاك به» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- الرد على المعتزلة والخوارج.
٢- أهل الكبائر مطلقاً لا يخلدون في النار.
٣- الاختلاف في تعريف الكبيرة وعددها.
٤- تعريف الصغائر.
٥- وجوه ترجيح هذا التعريف.
٦- استدراك على المصنف.
٧- أهل الكبائر تحت المشيئة.
٨- دعاء الله بالتثبيت على الإسلام.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط - كما في مجمع البحرين (٨/ ٤٣) - وأبو يعلى - كما في المطالب العالية برقم (٣٢٥٥) -، والخطيب البغدادي في تاريخه (١١/ ١٦٠)، من طريق عبد الحميد بن واصل عن أنس بن مالك، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط والكبير، ورجاله ثقات» مجمع الزوائد (١٠/ ١٧٦)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (١٤٧٦).

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار، لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر ﷻ في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته، الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته، اللهم يا وليَّ الإسلام وأهله ثبِّتنا على الإسلام حتى نلقاك به»؟

ج٢: إن مرتكب الكبيرة - وهي ما ورد فيه حدٌّ، أو لعنة، أو وعيد بالنار، أو وصف شديد في شأنها - لا يخلد في النار إن دخلها، إذا مات على التوحيد، حتى وإن مات من غير توبة، وما دام قد لقي الله ﷻ مؤمناً به عارفاً به، فإنه تحت المشيئة إن شاء عاقبه بعدله، وعذبه بالنار، لكن لا يخلد فيها، بل يخرج منها برحمة الله وبشفاعة الشافعين من أهل الطاعة، وأعظمهم محمد ﷺ، وإن شاء الله عفا عنه، وغفر له بفضله وكرمه، وكل ذنب سوى الشرك ترجى له المغفرة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وكما في حديث النبي ﷺ: «**ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه**»(١).

وهذا حتى لو مات مرتكب الكبيرة من غير توبة، وهذا هو الحق، خلافاً للمعتزلة والخوارج الذين قالوا بخلوده في النار، وذلك أن الله تعالى برحمته لم يجعل أهل معرفته والإقرار به كأهل إنكاره، سواء في الدنيا أو في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجاثية: ٢١]، وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥].

ونسأل الله ولي الإسلام وأهله أن يثبت قلوبنا على الإسلام حتى نلقاه مسلمين مؤمنين.. آمين.

س٣: وضِّح المقصود بالكبائر لغة؟

ج٣: الكبائر لغة: جمع كبيرة، من كبر الشيء إذا عظم، وأصلها في الاستعمال

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: علامة الإيمان حب الأنصار، برقم: (١٨)، ومسلم، ك: الحدود، ب: الحدود كفارات لأهلها، برقم: (١٧٠٩).

الوصف ثم انتقلت إلى الاسمية، وأطلقت على معانٍ مخصوصة.

س٤: اذكر اختلاف الناس في انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر؟

ج٤: ١- ذهب الجمهور من السلف والخلف إلى أن من الذنوب كبائر وصغائر(١).

٢- شذت طائفة فقالت: إن جميع الذنوب كبائر، ليس فيها صغائر(٢).

ونسب هذا القول إلى الخوارج القاضي عبد الجبار(٣)، ونسبه ابن بطال إلى الأشعرية(٤).

ونسبه النووي وابن حجر إلى أبي إسحاق الإسفراييني، ونسبه ابن حجر أيضاً إلى الباقلاني وأصحابه(٥).

س٥: بمَ استدل الجمهور على تفريقهم بين الكبائر والصغائر؟

ج٥: استدلوا بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ [النجم: ٣٢].

وبقوله ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»(٦).

س٦: ما هو حد الكبيرة والصغيرة عند القائلين بهذا التقسيم؟

ج٦: اختلفوا في حد الكبيرة والصغيرة على ضربين:

١- من حصر الكبيرة في عدد معين.

ثم اختلفوا: فقيل: هي ثلاث(٧).وقيل: هي أربع(٨). وقيل: هي سبع(٩).وقيل: هي تسع(١٠).وقيل: هي إحدى عشرة(١١).

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ٨٥)، فتح الباري (١٠/ ٤٠٩)، المرقاة في شرح المشكاة (١/ ١٢١).

(٢) انظر: فتح الباري (١٠/ ٤٠٩)، المرقاة (١/ ١٢١). (٣) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص٦٣٢).

(٤) انظر: فتح الباري (١٠/ ٤٠٩). (٥) انظر: فتح الباري (١٠/ ٤٠٩).

(٦) أخرجه مسلم، ك: الطهارة، ب: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة...، برقم: (٢٣٣)، عن أبي هريرة.

(٧) روى ذلك ابن جرير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٥/ ٤١).

(٨) رواه ابن جرير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٥/ ٤١). (٩) رواه الطبري عن علي رضي الله عنه (٥/ ٣٧).

(١٠) روى ذلك ابن جرير عن عمر رضي الله عنه (٥/ ٣٩). (١١) انظر: الجواب الكافي (ص ١٨٨).

وقيل: هي سبع عشرة[(١)]. وقيل: سبعون[(٢)].وقيل: سبعمائة.

ولا يخفى أن حصر الكبائر في عدد معين لا وجه له، ولا دليل عليه، وقد نص النبي ﷺ على بعض الذنوب بأنها من الكبائر، فقد قال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قول الزور**»[(٤)].

وقال أيضاً ﷺ: «**من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**»[(٥)].

٢- من عرف الكبيرة بضابط دون ذكر عدد معين، ثم اختلفوا فقيل: الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب[(٦)].

وقيل: الكبائر ما كان فيها من المظالم بينك وبين العباد، والصغائر ما كان بينك وبين الله[(٧)].

وقيل: كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف، وحذار ندم، كالتهاون بارتكابها، والتجرؤ عليها اعتيادا[(٨)].

وقيل: كل ذنب عظم عظماً يصح معه أن يطلق عليه اسم الكبيرة[(٩)].

وقيل: كل ما اتفقت الشرائع على تحريمه فهو من الكبائر[(١٠)].

---

(١) قال أبو طالب المكي: «أربع في القلب، وأربع في اللسان، وثلاث في البطن، واثنان في الفرج، واثنتان في اليدين، وواحدة في الرجلين، وواحدة في جميع اليدين». انظر: الجواب الكافي (ص ١٨٨).

(٢) روى ذلك ابن جرير عن عبد الله بن مسعود (٥/ ٤١).

(٣) أخرجه البخاري، ك: الوصايا، ب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا﴾ [النساء: ١٠]، برقم: (٢٧٦٦)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: برقم: (٨٩)، ولفظه: «**اجتنبوا السبع الموبقات** قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: **الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**».

(٤) أخرجه البخاري، ك: الأدب، ب: عقوق الوالدين من الكبائر، برقم: (٥٩٧٦)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: برقم: (٨٨).

(٥) أخرجه البخاري ك: الأدب، ب: لا يسب الرجل والديه، برقم: ٥٩٧٣)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: بيان الكبائر، برقم: (٩٠)، عن عبد الله بن عمرو.

(٦) روى ذلك ابن جرير عن عبد الله بن عباس (٥/ ٤١).

(٧) قاله سفيان الثوري، انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٤٩).

(٨) قاله أبو حامد الغزالي. وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ٨٥).

(٩) قاله ابن الصلاح. انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ٨٥).

(١٠) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤١٤).

والراجح هو: أن كل ذنب توعد عليه بالنار، أو اللعن، أو الغضب فهو كبيرة، وهذا أمثل الأقوال، قاله ابن أبي العز[(١)].

وقد اختير هذا الرأي لأمور عدة منها:

١- أن هذا الضابط هو المأثور عن السلف، كابن عباس، وابن عيينة، وأحمد بن حنبل، وغيرهم ﷺ.

٢- أن الله ﷻ قال: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ [النساء: ٣١]، ووجه الاستدلال أن الله وعد من اجتنب الكبائر لأمرين هامين: لا يستحق هذا الوعد الكريم، من انطبق عليه تعريف الكبيرة حيث توعده هذا الوعد بلعنة، وكذلك من استحق حداً في الدنيا بارتكاب جريمة فلا يكون اجتنابه الكبائر مكفرا لسيئاته ومسقطاً للحد عنه.

٣- أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله ﷺ، فهو حد ملتقى عن الشارع، فإن أصحاب هذا الضابط استقرؤوا هذه النصوص المتعلقة بالكبائر فوجدوا أنها أو غايتها لا تخرج عما ذكر.

٤- يمكن التفريق بهذا الضابط بين الصغائر والكبائر.

٥- أن هذا الضابط سالم من الاعتراضات والقوادح الداخلة على غيره:

أ - فإن من حددها بعدد معين يرد عليه أن هذا مجرد دعوى تحتاج إلى دليل.

وما ورد من الأحاديث كقوله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»[(٢)]، لا يدل على الحصر.

ب - ومن قال بأن الكبيرة هي ما اتفقت الشرائع على تحريمها، يرد عليه أن شرب الخمر، والتزويج من المحارم، والتولي يوم الزحف من الكبائر.

ولم يتفق عليها في جميع الشرائع، وأيضاً فإن سرقة الحبة الصغيرة، أو أكلها من مال اليتيم، والكذبة الخفيفة تكون من الكبائر؛ لأن هذا قد اتفقت الشرائع على تحريمه.

ج - وأما من قال بأنها ما سد باب المعرفة بالله، فإن هذا لكبائر في الذنوب الاعتقادية، وهذا يقتضي أن قذف المحصنات ونحوه من كل ما هو من الكبائر غير الاعتقادية لا يكون كبيرة.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤١٤).
(٢) تقدم تخريجه.

د - من قال: إنها ذهاب الأموال، والأبدان، فمقتضى هذا أن قذف المحصنات، وأكل الخنزير، والميتة، لا يكون كبيرة، وهذا فاسد.

هـ - من قال كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة، أو أن كل ذنب بالنسبة لما دونه، فيلزم عليه أن الذنوب غير منقسمة إلى صغائر وكبائر، وهذا ترده النصوص.

ز - من قال: إنها لا تعلم أصلًا، فإنه يرد عليه أن كونه لا يعلم بها لا يلزم منه عدم علم غيره بها، فإنها قد علمها أولو العلم، وبهذا يترجح القول المختار.

قال الشارح: «واختلفت عبارات السلف في تعريف الصغائر:

١- فمنهم من قال: الصغيرة ما دون الحدين: حد الدنيا وحد الآخرة.

٢- ومنهم من قال: كل ذنب لم يختم بلعنة، أو غضب، أو نار.

٣- ومنهم من قال: الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا، ولا وعيد في الآخرة، والمراد بالوعيد: الوعيد الخاص بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، فإن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا، أعني المقدرة في الدنيا، فالتعزير في الدنيا نظير للوعيد بغير النار، أو اللعنة، أو الغضب».

س٧: ما أقسام أصحاب الكبائر؟

ج٧: يقسم بعض العلماء أصحاب الكبائر إلى قسمين:

١- الكبائر الاعتقادية، كالجبر، والاعتزال، وكبائرهم ناشئة عن شبهة.

٢- الكبائر العملية كالزنا، والقذف، وشرب الخمر، وكبائرهم ناشئة عن شهوة.

والمقصد بها هنا هم أصحاب الكبائر العملية لا الاعتقادية.

س٨: اختلفت الأقوال في حكم أصحاب الكبائر العملية في الدنيا، اذكر دليل كل قول، وترجيح المختار؟

ج٨: اختلفت الأمة في حكم أصحاب الكبائر العملية في الدنيا، هل يحكم عليهم بالإيمان، أو بالكفر، أو لا يحكم عليهم بإيمان، ولا كفر.

١- فيرى الخوارج أنه كافر، يعامل معاملة الكفار.

٢- ويرى المعتزلة أنه خرج من الإيمان، ولم يدخل في الكفر، فهو في منزلة بين المنزلتين.

٣- ويرى المرجئة أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان.

٤- ويرى أهل السنة أنه مؤمن بإيمانه، فاسق بمعصيته، ناقص الإيمان، ومنهم من لا ينفون عنه مطلق الإيمان، كالخوارج والمعتزلة، ولا يثبتون له الإيمان المطلق كالمرجئة.

دليل كل طائفة:

دليل الخوارج: استدلوا بما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، فإن الله حكم على من لم يحكم بما أنزل الله بالكفر، وهو مرتكب الكبيرة.

٢- قوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[(١)]، وجه الدلالة: أنه نفى الإيمان عن كل من الزاني، والسارق، وشارب الخمر، وإذا انتفى عنهم الإيمان ثبت لهم الكفر.

٣- قوله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»[(٢)].

فقد أخبر بأن قتال المؤمن كفر، فدل ذلك على أن مرتكب الكبيرة خارج عن دائرة الإيمان.

دليل المعتزلة:

استدلوا بقوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»، فنفى الإيمان عنهم، ولم يثبت لهم الكفر، قالوا: فننفي عنه الإيمان، ولا نثبت له الكفر، بل نجعله في منزلة وسطى بين منزلتين.

دليل المرجئة:

استدلوا بالقياس العكسي، وقالوا: كما لا ينفع مع الكفر طاعة، كذلك لا يضر مع الإيمان معصية.

دليل أهل السنة:

استدلوا بما يأتي:

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فأثبت للقاتل أخوة الإيمان، وهو مرتكب الكبيرة، فيصدق عليه مسمى الإيمان.

٢- قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله، برقم: (٤٨)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: بيان قول النبي ﷺ: «**سباب المسلم فسوق...**»، برقم: (٦٤).

عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ٩ - ١٠]، فإن الله أطلق على الطائفتين المتقاتلتين الإيمان، وأثبت لهم أخوة الإيمان، فدل ذلك على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن مسمى الإيمان.

٣- لو قلنا بأن مرتكب الكبيرة كافر، للزم عليه أن يكون كافراً يقتل على كل حال. فلا يقبل عفو ولي الدم في القصاص، ولا يقام حد على الزاني، والسارق، وهذا باطل مصادر لنص الشارع.

قال أهل السنة: سميناه فاسقا، أخذا من الفسق، وهو الخروج؛ لأنه خرج من طاعة الله إلى معصيته.

الترجيح:

الراجح هو قول أهل السنة والجماعة لما يأتي:

أولًا: لقوة أدلتهم على إثبات مسمى الإيمان لمرتكب الكبيرة.

ثانياً: أما ما استدل به الخوارج والمعتزلة من قوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[(١)]، فيجاب عنه بأن المراد: نفي الإيمان الكامل لا نفي أصل الإيمان.

واستدلال الخوارج بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، يجاب عنه بأحد جوابين:

١- أن المراد بالكفر هنا: الكفر العملي، لا الاعتقادي، فهو كفر مجازي أو هو كفر دون كفر، لا يخرج عن الملة.

٢- وقد يقال: إن هذا في حق من ارتكب الكبيرة، مستحلًا لها، فيكون كفره لاستحلاله الكبيرة، لا لارتكابه لها.

وأما استدلال المرجئة فيجاب عنه بأنه قياس مع وجود النص، فلا يعتبر حجة في حالة وجود النص.

س٩: ما حكم أصحاب الكبائر العملية في الآخرة؟ حرر محل النزاع؟ واذكر خلاف العلماء في ذلك؟ ودليل كلٍّ؟ مع ترجيح المختار.

ج٩: تحرير محل النزاع: اتفقت الأمة على أن الكبيرة إذا كانت الإشراك بالله تعالى

---

(١) تقدم تخريجه.

ومات مرتكبها على ذلك فهو في النار.

كما اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة إذا كانت غير الإشراك وتاب مرتكبها توبة نصوحاً قبلت توبته، إذا توفرت شروطها.

أما إذا كانت الكبيرة غير الإشراك بالله سبحانه وتعالى ومات مرتكبها قبل أن يتوب، فهل يدخل النار أم لا؟ خلاف بين الفرق:

١- فعند الخوارج والمعتزلة: هو في نار جهنم خالداً مخلدا فيها.

٢- وعند المرجئة: لا يدخل النار أصلًا.

٣- وعند أهل السنة هو تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه، ثم يخرجه بعد التمحيص وشفاعة الشافعين.

دليل كل طائفة:

١- استدل الخوارج والمعتزلة على رأيهم بأدلة عدة منها:

أ - قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣].

ووجه الاستشهاد أن قاتل المؤمن عمداً مرتكب لكبيرة، وقد أخبر عنه أنه في النار.

ب - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

أخبر أن آكل مال اليتيم ظلماً سيصلى سعيراً، وهو مرتكب لكبيرة، فدل على أنه في النار في الآخرة.

ج - ومن السنة قوله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته بيده يجاء بها في نار جهنم خالداً مخلداً»[(١)].

ووجه الاستدلال أن قاتل نفسه مرتكب لكبيرة، وأنه في النار.

٢- دليل المرجئة:

استدلوا على زعمهم بدليلين هما:

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الطب، ب: شرب السم والدواء، برقم: (٥٧٧٨)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه...، برقم: (١٠٩).

أ - قوله ﷺ: «**من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة**»[(١)].

ب - قوله ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[(٢)].

٣- أدلة أهل السنة:

استدلوا بأدلة كثيرة، منها:

أ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، فقد علق غفران ما دون الشرك على المشيئة، والمعلق عليها جائز لا ممتنع، فدل على أنه تحت مشيئة الله.

ب - قوله ﷺ: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن عوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن ستر الله عليه فأمره إلى الله إذا ستر عليه**»[(٣)]، كما هو صريح في أن العقوبة مكفرة للذنب.

اعتراض: وقد يرد عليه أنه ﷺ ذكر الشرك مع الذنوب.

ويجاب عنه: بأنه خرج بدليل خاص، وهو أن الله لا يغفر أن يشرك به.

ترجيح المختار:

الرأي المختار هو ما ذهب إليه أهل السنة لما يأتي:

أولا: لصراحة الأدلة التي استدل بها أهل السنة على أن مرتكب الكبيرة في الآخر تحت مشيئة الله.

ثانياً: وأما ما قالت به الخوارج والمعتزلة من أنه في النار خالد مخلداً فيجاب عنه بعدة أجوبة:

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: من مات لا يشرك بالله شيئا...، برقم: (٩٣)، ورواه البخاري، ك: الجنائز، ب: ومن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، برقم: (١٢٣٨)، ولفظه قال ابن مسعود: «وقلت أنا: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة».

(٢) أخرجه أبو داود، ك: الجنائز، ب: في التلقين، برقم: ٣١١٦، والإمام أحمد (٥/ ٢٣٣، ٢٤٧)، والبزار برقم: (٢٦٢٦)، والحاكم (١/ ٤٩٩)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: (٩٢٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٦٤٧٩).

(٣) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: علامة الإيمان حب الأنصار، برقم: (١٨)، ومسلم، ك: الحدود، ب: الحدود كفارات لأهلها، برقم: (١٧٠٩).

١- أن هذا الوعيد وارد في حق المستحل للذنب فمن ارتكبه غير مستحل له لا يلحقه الوعيد بالخلود فيها، وإن لحقه وعيد الدخول فيها.

٢- أن هذا الوعيد على تقدير شيء مضمر تقديره: فجزاؤه جهنم خالداً فيها إن شاء الله إدخاله وتخليده فيها.

٣- أن هذا وعيد، وإخلاف الوعيد لا يذم بل يمدح؛ لأن عدم عقوبة الله لمن توعده يكون من باب عفوه وكرمه وتفضله، فالعرب تعد إخلاف الوعيد مدحاً، قال الشاعر:

فإني إذا أوعدته أو وعدته … لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

ثالثاً: أما استدلال المرجئة فغاية ما فيه الإخبار بأن الموحد سيدخل الجنة، وليس فيه ما يدل على أنه إذا ارتكب الكبيرة العملية لا يدخل النار.

س١٠: استدرك الشارح على صاحب المتن تخصيص أمة محمد ﷺ بالحكم في عدم خلود أهل الكبائر من النار، وضِّح ذلك؟

ج١٠: قال الطحاوي: «وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون»، ويفهم من هذا أن أصحاب الشرائع السابقة مخلدون قبل نسخ شرائعهم.

قال الشارح: «وفي ذلك نظر، فإن النبي ﷺ: أخبر أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ولم يخص أمته بذلك، بل ذكر الإيمان مطلقاً».

وقد اعتذر عنه بأنه لم يرد ذكر الأمة في بعض النسخ، فلعل ذكرها في البعض الآخر سبق قلم من بعض النساخ.

س١١: فهم بعض الشراح أن قول الطحاوي: «في النار» خبر لأهل الكبائر، فكيف ترد عليهم؟

ج١١: جعل بعض الشارحين الجار والمجرور: «في النار» خبراً لـ«أهل الكبائر»، فيكون محكوماً به، وينتج عن هذا أن أهل الكبائر في النار حتماً، وهذا غير صحيح.

والسليم أن جملة: «لا يخلدون» خبر لأهل الكبائر، وجملة: «في النار» متعلقة بـ «لا يخلدون»، وإنما قدم «في النار» على متعلقها لأجل السجعة والتحسين اللفظي.

س١٢: استدرك الشارح على الطحاوي تعبيره بالمعرفة في قوله: «بعد أن لقوا الله عارفين»، وقوله: «تولى معرفته» وضِّح ذلك؟

ج١٢: قال الشارح: لو قال: «مؤمنين» بدل «عارفين» لكان أولى؛ لأن من عرف الله

ولم يؤمن به، فهو كافر، وإنما اكتفى بالمعرفة وحدها الجهم، وقوله مردود باطل، فإن إبليس كان عارفاً بربه، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر: ٣٦]، وكذلك فرعون، وأكثر الكافرين، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقد اعتذر عنه بقوله: «ولعل الشيخ أراد أهل المعرفة الكاملة المستلزمة للاهتداء التي يشير إليها أهل الطريقة بقولهم: من كان بالله أعرف كان له أخوف».

وعُقِّبَ عليه بأنه اعتذار غير وجيه، فقال: وحاشا أن يكون أولئك من أهل الكبائر، فإنهم ملازمون لأهل الطاعة ملازمة تامة يبعد معها أن يكونوا من أهل الكبائر.

س١٣: يستدل بعض الناس بقوله تعالى حكاية عن يوسف: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾ [يوسف: ١٠١] على جواز تمني الموت، فكيف ترد عليهم؟

ج١٣: استدل بعضهم بقول يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقول السحرة الذين آمنوا بموسى: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، على جواز تمني الموت، وهذا غير صحيح؛ لأن في الآيات المتقدمة دعاء بالموت على الإسلام لا دعاء بالموت المطلق، وهناك فرق بينهما، فالأول: جائز، وقد دعا به ﷺ فقال: «يا ولي الإسلام وأهله مسكني بالإسلام حتى ألقاك عليه»(١).

وأما الثاني: فمكروه لما فيه من الجزع، وكراهية القضاء والقدر، ولهذا قال ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه، فإن كان ولا بد فليقل: اللهم أحيني ما دامت الحياة خيراً لي، وتوفني ما دام الموت خيراً لي»(٢).

الصلاة خلف البر والفاجر، وعلى عدم القطع للمعين بجنة أو نار، وعدم الشهادة على المسلم بكفر أو نفاق

قال الطحاوي: «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم، ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا ناراً، ولا نشهد عليهم بكفر، ولا بشرك، ولا بنفاق، ما لم

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، ك: المرضى، ب: تمني المريض الموت، برقم: (٥٦٧١)، ومسلم، ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب: تمني كراهة الموت...، برقم: (٢٦٨٠).

يظهر منهم شيء من ذلك، ونَذَرُ سرائرهم إلى الله تعالى».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الآثار الواردة في الصلاة خلف البر والفاجر:]

قال ﷺ: «**صلوا خلف كل بر وفاجر**»، أخرجه الدارقطني[(١)]. وفي صحيح البخاري أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف الثقفي[(٢)]، وكذا أنس بن مالك، وكان الحجاج فاسقاً ظالماً.

وفي صحيح البخاري أيضا أن النبي ﷺ قال: «**يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم**»[(٣)].

[عموم الصلاة خلف البر وغيره:]

واعلم رحمك الله وإيانا أنه يجوز للرجل أن يصلي خلف من لم يعلم منه بدعة، ولا فسقاً باتفاق الأئمة، وليس من شرط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه، ولا أن يمتحنه فيقول: ماذا تعتقد؟ بل يصلي خلف المستور الحال.

ولو صلى خلف مبتدع يدعو إلى بدعته، أو فاسق ظاهر الفسق، وهو الإمام الراتب الذي لا يمكنه الصلاة إلا خلفه، كإمام الجمعة، والعيدين، والإمام في صلاة الحج بعرفة، ونحو ذلك؛ فإن المأموم يصلي خلفه عند عامة السلف والخلف.

ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر فهو مبتدع عند أكثر العلماء.

والصحيح أنه يصليها ولا يعيدها.

[صلاة الفاجر والمبتدع صحيحة:]

والفاسق والمبتدع صلاتُه في نفسها صحيحة، فإذا صلى المأموم خلفه لم تبطل

---

(١) أخرجه الدارقطني في سننه (٢/ ١٠، برقم: ١٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩)، وغيرهما، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم: (٣٤٧٨).

(٢) روى البخاري، ك: الحج، ب: قصر الخطبة بعرفة، برقم: (١٦٦٣)، عن سالم بن عبد الله أن عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج أن يأتم بعبد الله بن عمر في الحج، فلما كان يوم عرفة جاء ابن عمر وأنا معه حين زاغت الشمس أو زالت فصاح عند فسطاطه أين هذا؟ فخرج إليه، فقال ابن عمر: الرواح! فقال: الآن؟ قال: نعم، قال: أنظرني أفيض علي ماء، فنزل ابن عمر رضي الله عنهما حتى خرج فسار بيني وبين أبي، فقلت: إن كنت تريد أن تصيب السنة اليوم فاقصر الخطبة، وعجل الوقوف، فقال ابن عمر: صدق.

(٣) أخرجه البخاري، ك: الأذان، ب: إذا لم يتم الإمام وأتم من خلفه، برقم: (٦٩٤).

صلاته، لكن إنما كره من كره الصلاة خلفه؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ.

[لا يرتب الفاجر إماماً في الصلاة:]

ومن ذلك أن من أظهر بدعة وفجورا لا يرتب إماما للمسلمين، فإنه يستحق التعزير حتى يتوب، فإن أمكن هجره حتى يتوب كان حسنا، وإذا كان بعض الناس إذا ترك الصلاة خلفه وصلى خلف غيره أثر ذلك في إنكار المنكر حتى يتوب أو يعزل أو ينتهي الناس عن مثل ذنبه، فمثل هذا إذا ترك الصلاة خلفه كان في ذلك مصلحة شرعية، ولم تفت المأموم جمعة ولا جماعة، وأما إذا كان ترك الصلاة خلفه يُفَوِّت المأموم الجمعة والجماعة فهنا لا يترك الصلاة خلفه إلا مبتدع مخالف للصحابة رضي الله عنهم.

وكذلك إذا كان الإمام قد رتبه ولاة الأمور ليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية فهنا لا يترك الصلاة خلفه بل الصلاة خلفه أفضل، فإذا أمكن الإنسان أن لا يقدم مظهرا للمنكر في الإمامة وجب عليه ذلك، لكن إذا ولاه غيره، ولم يمكنه صرفه عن الإمامة، أو كان لا يتمكن من صرفه عن الإمامة إلا بشر أعظم ضررا من ضرر ما أظهر من المنكر، فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضررين بحصول أعظمهما، فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان.

فتفويت الجمع والجماعات أعظم فسادا من الاقتداء فيهما بالإمام الفاجر، لا سيما إذا كان التخلف عنها لا يدفع فجورا، فيبقى تعطيل المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة.

[الأفضل الصلاة خلف البر:]

وأما إذا أمكن فعل الجمعة والجماعة خلف البر فهذا أولى من فعلها خلف الفاجر، وحينئذ فإذا صلى خلف الفاجر من غير عذر فهو موضع اجتهاد العلماء، منهم من قال: يعيد، ومنهم من قال: لا يعيد، وموضع بسط ذلك كتب الفروع.

[لا يعيد المأموم لخطأ الإمام أو نسيانه:]

وأما الإمام إذا نسي، أو أخطأ، ولم يعلم المأموم بحاله فلا إعادة على المأموم، للحديث المتقدم.

[إذا كان الإمام على غير طهارة:]

وأما لو علم بعد فراغ إمامه أنه كان على غير طهارة أعاد عند أبي حنيفة، خلافاً لمالك، والشافعي، وأحمد في المشهور عنه.

وكذلك لو فعل الإمام ما لا يسوغ عند المأموم.

وفيه تفاصيل، وموضعها كتب الفروع.

ولو علم أن إمامه يصلي على غير وضوء فليس له أن يصلي خلفه؛ لأنه لاعب، وليس بمصل.

[الصلاة على موتى المسلمين:]

وقوله: «وعلى من مات منهم»، أي: ونرى الصلاة على من مات من الأبرار والفجار، وإن كان يستثني من هذا العموم البغاة، وقطاع الطريق، وكذا قاتل نفسه، خلافاً لأبي يوسف، لا الشهيد، خلافاً لمالك، والشافعي رحمهما الله على ما عرف في موضعه.

[الصلاة على من لم يعلم نفاقه:]

لكن الشيخ إنما ساق هذا لبيان أنا لا نترك الصلاة على من مات من أهل البدع، والفجور لا للعموم الكلي.

ولكن المظهرون للإسلام قسمان: إما مؤمن، وإما منافق، فمن علم نفاقه لم تجز الصلاة عليه، والاستغفار له، ومن لم يعلم ذلك منه صلي عليه، فإذا علم شخص نفاق شخص لم يصل هو عليه، وصلى عليه من لم يعلم نفاقه.

وقوله: **«ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا ناراً، ولا نشهد عليهم بكفر، ولا بشرك، ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونَذَرُ سرائرهم إلى الله تعالى»**.

[لا يقطع لمسلم بجنة أو نار إلا بنص:]

يريد: إنا لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة: إنه من أهل الجنة، أو من أهل النار، إلا من أخبر الصادق ﷺ أنه من أهل الجنة كالعشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم، أو أخبر أنه من أهل النار.

[بعض أهل الكبائر يدخلون النار:]

وإن كنا نقول: إنه لا بد أن يدخل النار من أهل الكبائر مَن شاء اللهُ إدخالَه النارَ، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين.

[التوقف في المعين:]

ولكنا نقف في الشخص المعيّن، فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم؛ لأن الحقيقة باطنة، وما مات عليه لا نُحيط به، لكن نرجو للمحسنين، ونخاف على المسيئين.

[مذاهب السلف في الشهادة بالجنة:]

وللسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

أحدها: أن لا يشهد لأحد إلا للأنبياء، وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية، والأوزاعي.

والثاني: أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص، وهذا قول كثير من العلماء، وأهل الحديث.

والثالث: أنه يشهد بالجنة لهؤلاء، ولمن شهد له المؤمنون كما في الصحيحين(١): «أنه مر بجنازة فأثنوا عليها بخير، فقال النبي ﷺ: **وجبت**، ومر بأخرى فأثني عليها بشر، فقال: **وجبت**».

فقال عمر: «يا رسول الله ما وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: **هذا أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض**».

[وجوب الحكم بالظاهر:]

قوله: «ولا نشهد عليهم بكفر، ولا بشرك، ولا بنفاق»؛ لأننا قد أمرنا بالحكم بالظاهر، ونهينا عن الظن، واتباع ما ليس لنا به علم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحجرات: ١١] الآية، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦].

الأسئلة والأجوبة على: الصلاة خلف البر والفاجر، وعلى عدم القطع للمعين بجنة أو نار، وعدم الشهادة على المسلم بكفر أو نفاق

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم، ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا ناراً، ولا نشهد عليهم بكفر، ولا بشرك، ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونَذَرُ سرائرهم إلى الله تعالى»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم، ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا ناراً، ولا نشهد عليهم بكفر، ولا بشرك، ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونَذَرُ سرائرهم إلى الله تعالى» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الجنائز، ب: ثناء الناس على الميت، برقم: (١٣٦٧)، ومسلم، ك: الجنائز، ب: فيمن أثنى عليه خير أو شر من الموتى، برقم: (٩٤٩).

١- الآثار الواردة في الصلاة خلف البر والفاجر.
٢- عموم الصلاة خلف البر وغيره. ٣- صلاة الفاجر والمبتدع صحيحة.
٤- لا يرتب الفاجر إماماً في الصلاة. ٥- الأفضل الصلاة خلف البر.
٦- لا يعيد المأموم لخطأ الإمام أو نسيانه. ٧- إذا كان الإمام على غير طهارة.
٨- الصلاة على موتى المسلمين. ٩- الصلاة على من لم يعلم نفاقه.
١٠- لا يقطع لمسلم بجنة أو نار إلا بنص. ١١- بعض أهل الكبائر يدخلون النار.
١٢- التوقف في المعين. ١٣- مذاهب السلف في الشهادة بالجنة.
١٤- وجوب الحكم بالظاهر.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم»؟

ج٢: يرى أهل السنة والجماعة الصلاة خلف كل مسلم براً كان أو فاجراً مع تقدير البر، إلا أن يكون في الصلاة خلفه مشقة، أو يكون هناك فتنة إن تركت الصلاة خلف الفاجر، كما لو كان السلطان قد عينه، وذلك ما لم يكن صاحب بدعة مكفرة، وكذلك يرون الصلاة على المسلم الميت، براً أو فاجراً، إلا أن يكون قد مات على غير الملة.

س٣: قال الطحاوي: «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم» وضِّح ما هي أقسام الأئمة؟

ج٣: أقسامهم خمسة:

١- مستور الحال: وهو من لا يعلم منه فسوق ظاهر، ولا تعلم عدالته.
٢- الإمام المبتدع الداعي إلى بدعته. ٣- الإمام الفاسق ظاهر الفسق.
٤- الإمام المخطئ المعذور. ٥- الإمام العدل البر.

س٤: ما السبب الذي لأجله ذكر الطحاوي هذا المبحث في عقيدته؟

ج٤: ذكر الطحاوي هذا المبحث في موضعه المناسب بعد ذكره لحكم أصحاب الكبائر العملية في الدنيا والآخرة، بعد ذلك عقب ببيان بعض الأحكام المتعلقة بهم، وهي الصلاة خلفهم والصلاة عليهم.

س٥: ما المراد بالبر، والعدل، وما حكم الصلاة خلفه؟

ج٥: هو من توفرت فيه ثلاثة شروط:

١- اجتنابه لكبائر الذنوب. ٢- عدم إصراره على الصغائر.

٣- استعماله للمروءة، وتحليه بها، وهي تمسك الإنسان بما يجمله ويزينه، وابتعاده عما يدنسه ويشينه.

حكم الصلاة خلفه:

جائزة بالاتفاق، ودليل الجواز: ما سيأتي من الأدلة في جواز الصلاة خلف الفاسق، ولم يخالف في ذلك سوى فرقة من غلاة الرافضة القائلين بأنه لا تقام الجمع والأعياد والجماعات إلا إذا ظهر المنتظر - الإمام المعصوم -، ورأيهم شاذ مخالف للجماعة.

س٦: وضِّح المقصود بمستور الحال؟ ثم بين حكم الصلاة خلفه؟

ج٦: المراد به من لم يظهر منه بدعة ولا فجور، بأن كانت حالته الظاهرة العدالة، ولم يعلم بحالته الباطنة.

حكم الصلاة خلفه:

جائزة بالاتفاق أيضاً؛ لأن الأصل في المسلم العدالة، إلا إذا ظهر منه خلاف ذلك، وليس من شرطه أن تسأله ماذا تعتقد؟ ونحو ذلك.

وأدلة الجواز علاوة على الإجماع ما سيأتي من الأدلة عند الكلام على حكم الصلاة خلف الفاسق.

س٧: من هو الفاجر، والفاسق؟ وما حكم الصلاة خلفه؟

ج٧: المراد به من اقترف الكبائر، أو أصر على الصغائر، ولم يجعل فقدان المروءة شرطاً فيه؛ لأنها مكملة للمرء، ولا يوصله فقدانها إلى الفسق.

حكم الصلاة خلفه:

اختلف العلماء في حكمها على قولين:

١- ذهب الجمهور إلى جواز الصلاة خلفه، ولا ينبغي للمصلي أن يعيدها.

٢- ذهب بعضهم إلى عدم جواز الصلاة خلفه، وهو رواية عن الإمام أحمد، واستثنى من ذلك حالتين:

أ- إذا خشي فوات الجمعة أو الجماعة، فإن من ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر فهو مبتدع عند أكثر العلماء.

ب- إذا خشي الفتنة في ماله أو بدنه أو عرضه، فإن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

أدلة المجيزين:

استدلوا بأدلة عدة، منها:

١- ما روي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**صلوا خلف كل بر وفاجر**»(١).

قال المخالف: إن هذا الحديث منقطع، فإنه من رواية مكحول، ولم ير أبا هريرة.

قلنا: إن الحديث الثاني يعضده.

٢- ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الصلاة واجبة عليكم مع كل مسلم براً أو فاجراً، وإن عمل بالكبائر، والجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجراً، وإن عمل بالكبائر»(٢).

٣- ما رواه ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «صلوا خلف كل من قال: لا إله إلا الله، وصلوا على من مات من أهل لا إله إلا الله»(٣).

٤- قوله ﷺ في الأئمة الأشرار: «يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطؤوا فلكم وعليهم»(٤).

٥- فعل الصحابة:

أ - فقد ورد عن عبد الله بن عمر، وأنس بن مالك رضي الله عنهم أنهما كانا يصليان خلف الحجاج، وكان فاسقاً ظالماً، ولو لم يجيزا الصلاة خلفه لم يصليا خلفه.

ب - ما ورد أن عبد الله بن مسعود، وغيره كانوا يصلون خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان يشرب الخمر، حتى إنه صلى بهم الصبح مرة أربعاً ثم قال: أأزيدكم؟ فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم(٥).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود، ك: الجهاد، ب: في الغزو مع أئمة الجور، برقم: (٢٥٣٣)، والطبراني في مسند الشاميين برقم: (١٥١٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٢١)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم: (٢٦٧٣).

(٣) أخرجه الدارقطني (٢/ ٥٦، برقم: ٣)، وقد ضعفه ابن حجر في بلوغ المرام برقم: (٤٢٧)، والألباني في إرواء الغليل (٢/ ٣٠٥).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه مسلم، ك: الحدود، ب: حد الخمر، برقم: (١٧٠٧).

ج - ما ورد في الصحيح أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما حصر صلى بالناس شخص[(١)]، فدخل عبيد الله بن عدي، فقال لعثمان رضي الله عنه: «إنك إمام عامة، وهذا الذي صلى بالناس إمام فتنة، فقال: إذا أحسن الناس فأحسن معهم»[(٢)].

س٨: هل يجوز منع الفاسق من الإمامة بالناس؟

ج٨: إذا أمكن الإنسان أن يمنع الفاسق من الائتمام وجب ذلك عليه، وإن لم يتمكن من منعه، أو تمكن من ذلك، ولكن يترتب عليه شر كبير فلا يجوز؛ وذلك لما تقدم من أنه لا يجوز دفع أخف الضررين بارتكاب أعظمهما، ولا يدفع الفساد القليل بالكثير، فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان.

س٩: ما المقصود بالمخطئ والمعذور؟ وما حكم الصلاة خلفه؟

ج٩: المراد به: من ترك شرطاً من شروط الصلاة، أو واجباً من واجباتها ناسياً.

حكم الصلاة خلفه:

إذا لم يعلم المأموم بحاله، فإن صلاته صحيحة، ولا تلزمه الإعادة، وكذا إذا علم بعد الصلاة عند مالك، والشافعي، وأحمد في المشهور عنه، ويلزمه إعادة الصلاة عند أبي حنيفة.

ودليل الأولين ما روي أن عمر رضي الله عنه: «صلى بالناس وهو جنب، فأعاد صلاته، ولم يأمرهم بالإعادة»[(٣)].

ولما تقدم من حديثه ﷺ في الأئمة الشرار: «**يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم وإن أخطؤوا فلكم وعليهم**»[(٤)].

فهذان الدليلان على أنه لا تلزمه إعادة الصلاة، ولو علم المأموم بذلك.

قال الشارح: «وكذلك لو فعل الإمام ما لا يسوغ عند المأموم، وفيه تفاصيل موضعها كتب الفروع.

ولو علم أن إمامه يصلي على غير وضوء، فليس له أنه يصلي خلفه؛ لأنه لاعب، وليس بمصلٍّ، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن ولي الأمر وإمام

---

(١) قيل هو: عبد الله بن عديس، وقيل: كنانة بن بشر.
(٢) أخرجه البخاري، ك: الأذان، ب: إمامة المفتون والمبتدع، برقم: (٦٩٥).
(٣) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٦٩)، وعبد الرزاق في المصنف (٢/ ٣٤٧).
(٤) تقدم تخريجه.

الصلاة يطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد، بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم لرأيه فإن مصلحة الجماعة في الائتلاف، ومفسدتهم في الفرقة والاختلاف أعظم من أمر المسائل الجزئية، فإن الاجتماع والائتلاف مما يوجب رعايته، وترك الخلاف المفضي إلى الفساد»[1].

س١٠: هل تجوز الصلاة خلف المبتدع؟

ج١٠: لا يخلو الأمر من حالتين:

١- أن توصله بدعته إلى الكفر كغلاة المشبهة، وغلاة الشيعة القائلين بالحلول، وغلاة المعطلة من الجهمية والمعتزلة، ونحوهم المنكرين لعلو الله تعالى، والقائلين بخلق القرآن، وهؤلاء لا تصح الصلاة خلفهم؛ لأن بدعتهم تؤدي بهم إلى الكفر.

٢- ألا تبلغ به بدعته الكفر، وهنا خلاف بين الفقهاء، فمنهم من قال: يصلي خلفه، وهو الراجح، ومنهم من قال: لا يصلي خلفه، إلا إذا خشي فوات الجمعة أو الجماعة، أو خشي على ماله أو بدنه أو عرضه.

س١١: قال الطحاوي رحمه الله: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، نرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية». وضِّح من هو ولي الأمر؟ وما المراد به؟ ومن هم فروعه؟ وما حكم مخالفتهم في المسائل الاجتهادية؟

ج١١: المراد بولي الأمر هو الإمام الأعظم، أي: خليفة المسلمين.

والمراد بفروعه:

١- أمراء البلدان. ٢- أمير الحرب.

٣- عامل الصدقة، ونحو ذلك، ولا يجوز مخالفة ولي الأمر، ولا فروعه في المسائل الاجتهادية، التي لا يوجد فيها نص شرعي، وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على ذلك؛ ولأن مصلحة الجماعة في الاتحاد والاتفاق، ومفسدتهم في الفرقة والاختلاف أعظم من أمر المسائل الجزئية، ولهذا لم يجز للحكام أن ينقض بعضهم حكم بعض.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٢٤ - ٤٢٥).

الأسئلة والأجوبة على مذهب أهل السنة في الصلاة على موتى المسلمين

س١: هل تجب الصلاة على من مات برا، ولكنه لم يمت شهيداً؟

ج١: اتفق العلماء على أن صلاة الجنازة من فروض الكفاية، إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وإذا تركها الكل أثموا؛ وذلك لأمر الرسول ﷺ بها، ومحافظته عليها، وبناء عليه فإن من مات من الأبرار ولم يكن شهيداً تجب الصلاة عليه، وقد ورد في الحث على الصلاة على الجنازة آثار منها: قوله ﷺ: «**من تبع الجنازة، وصلى عليها فله قيراط، ومن تبعها حتى يفرغ منها فله قيراطان، أصغرهما مثل أحد**»[١].

س٢: من هو الشهيد؟ وما حكم الصلاة عليه؟

ج٢: المراد بالشهيد هنا: هو من قتل في المعركة بأيدي الكفار.

حكم الصلاة عليه:

اختلف العلماء في حكمها على أقوال ثلاثة:

١- فذهب الجمهور إلى أنه لا يصلى عليه. ٢- وذهب بعضهم إلى أنه يصلى عليه.

٣- وذهب ابن حزم إلى التخيير، فقال: إن صلي عليه فحسن، وإن تركت فحسن، وهذا القول رواية في المذهب الحنبلي استصوبها ابن القيم.

ومنشأ الخلاف بين العلماء في حكم الصلاة على الشهيد:

هو: اختلاف الآثار المنقولة عن الرسول ﷺ في شهداء أحد هل صلى عليهم الرسول ﷺ أم لا؟

فمن قال: يصلى عليهم فهو آخذ بالآثار التي ورد فيها أن الرسول ﷺ صلى على شهداء أحد، والعكس بالعكس، وقد اقتصرنا على شهداء أحد؛ لأنه لم ينقل عن الرسول ﷺ أنه صلى في شيء من المعارك على غير شهداء أحد، وهذا مما يجعلنا نرجح عدم جواز الصلاة عليه؛ لأنه يبعد أن يصلي الرسول ﷺ على غير شهداء أحد، ولم ينقل إلينا مع وجود الجمع الغفير، ولو كانت الصلاة على الشهداء مشروعة لصلى الرسول عليهم، ولو صلى عليهم لنقل إلينا.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الجنائز، ب: من انتظر حتى يدفن، برقم: (١٣٢٥)، ومسلم، ك: الجنائز، ب: فضل الصلاة على الجنازة واتباعها، برقم: (٩٤٥).

س٣: ما الحكمة من عدم وجوب الصلاة على الشهيد؟

ج٣: التمس بعضهم حكمة لذلك، فقال لسببين، هما:

١- لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، والصلاة إنما على الميت.

٢- لأن الصلاة على الميت إنما شرعت للشفاعة له، والدعاء له، والشهيد ليس في حاجة إلى الشفاعة؛ لأنه كما ورد: «يشفع في سبعين من أهله»[١].

س٤: هل تجوز الصلاة على الكفار، والمنافقين؟

ج٤: من مات من الكفار والمنافقين، فلا تجوز الصلاة عليه، بل تحرم بدليل:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٨٤]، فقد نهى الله نبيه عن الصلاة على المنافقين، والنهي يقتضي التحريم.

٢- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، فإن الله بين أنه لا ينبغي، ولا يجوز للنبي ﷺ والمؤمنين أن يستغفروا للمشركين، والصلاة على الميت استغفار له. فدلت الآية على عدم جواز الصلاة على المشركين.

٣- ومن أجل أنه لا يصلى على الكفار والمنافقين كان عمر لا يصلي على من لم يصل عليه حذيفة بن اليمان؛ لأن حذيفة قد علم المنافقين من النبي ﷺ في غزوة تبوك.

س٥: هل تجوز الصلاة على فساق المسلمين؟

ج٥: اختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال:

١- ذهب الجمهور إلى أنه يصلى عليهم. ٢- وذهب بعضهم إلى عدم الصلاة عليهم.

٣- وذهب أبو حنيفة إلى أنه يصلى عليهم باستثناء ثلاثة، وهم:

أ- البغاة. ب- وقطاع الطرق. ج- وقاتل نفسه.

---

(١) أخرجه الترمذي، ك: فضائل الجهاد، ب: في ثواب الشهيد، برقم: (١٦٦٣)، وابن ماجه، ك: الجهاد، فضل الشهادة في سبيل الله، برقم: (٢٧٩٩)، والإمام أحمد (٤/ ١٣١)، والطبراني في المعجم الكبير برقم: (٦٢٩) من حديث المقدام بن معدي كرب مرفوعاً، ولفظه: «للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة،... ويشفع في سبعين من أقاربه»، وقد صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٥١٨٢).
ورواه أبو داود، ك: الجهاد، ب: في الشهيد يشفع، برقم: (٢٥٢٢)، وابن حبان برقم: (٤٦٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٦٤)، من حديث أبي الدرداء مرفوعاً، ولفظه: «يشفعُ الشهيدُ في سبعينَ من أهلِ بيته»، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٣٧٤٧).

أدلة كل طائفة:

١- أدلة الجمهور: وقد استدلوا بما يأتي:

أ- قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾.

ووجه الدلالة منها: أن الله أمر نبيه ﷺ بعد التوحيد بالاستغفار له، وللمؤمنين، والمؤمنات، قالوا: والاستغفار للمؤمنين والمؤمنات على قسمين: عام وخاص، وهو إما واجب أو مستحب، فأما العام وهو المستحب، فهو دعاء المؤمنين للمؤمنين والمؤمنات في سائر الأوقات.

وأما الخاص: فهو الواجب في صلاة الجنازة، قالوا: فما من ميت يموت إلا وقد أمر المسلمون بالصلاة عليه، وهم مأمورون بالدعاء له، فقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ: «**إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء**»[١]، وبما أن الآية عامة في الأمر بالاستغفار فيدخل في مسمى المؤمنين الفاسق وغير الفاسق.

٢- ورد في الحديث أن الرسول ﷺ قال: «**صلوا خلف كل من قال لا إله إلا الله، وصلوا على من مات من أهل لا إله إلا الله**»[٢]، فهذا حديث عام يشمل الفساق وغيرهم ممن هو داخل في اسم الإيمان.

أدلة المانعين:

استدلوا بما ورد أن الرسول ﷺ لم يصل على قاتل نفسه[٣]، ولم يصل على الغال[٤].

قالوا: والغال، وقاتل نفسه فاسقان، فيقاس عليهما سائر الفساق.

أدلة أبي حنيفة:

١- استدل على المنع من الصلاة على قاتل نفسه بما ورد من أنه ﷺ لم يصل عليه.

---

(١) أخرجه أبو داود، ك: الجنائز، ب: الدعاء للميت، برقم: (٣١٩٩)، وابن ماجه، ك: الجنائز، ب: ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة، برقم: (١٤٩٧)، وابن حبان برقم: (٣٠٧٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٤٠)، وقد حسنه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ١٧٩)، وفي صحيح الجامع الصغير برقم: (٦٦٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم، الجنائز، ب: ترك الصلاة على القاتل نفسه، برقم: (٩٧٨).

(٤) أخرجه أبو داود، ك: الجهاد، ب: تعظيم الغلول، برقم: (٢٧١٠)، وابن ماجه، ك: الجهاد، ب: الغلول، برقم: (٢٨٤٨)، والإمام أحمد (٤/ ١١٤)، وابن حبان برقم: (٤٨٥٣)، والحاكم (٢/ ١٢٧)، والطبراني في الكبير برقم: (٥١٧٤)، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم: (٣٤٨١).

٢- أما دليله على منع الصلاة على قاطع الطريق والبغاة، فقال: لأنهم باينوا دار الإسلام، فأشبهوا أهل الحرب، وأهل الحرب لا يصلى عليهم.

الرأي المختار:

هو ما ذهب إليه الجمهور من أنه يصلى على الفساق لعموم الأدلة التي استدلوا بها، ولردهم على أدلة المخالفين:

١- أما استدلال من قال: لا يصلى عليهم بأنه ﷺ: لم يصل على الغال، وقاتل نفسه فيجاب عنه: بأن الرسول ﷺ لم يصل عليهما للزجر عن فعلهم، وليس لأن الصلاة عليهم لا تجوز، بدليل: أمره للصحابة بالصلاة على قاتل نفسه، حيث قال: صلوا على صاحبكم.

ب - وأما استدلال أبي حنيفة بأن البغاة وقطاع الطرق باينوا دار الإسلام، فأشبهوا أهل الحرب، فنقول: هذا الدليل لا يقوى على تخصيص عموم الأدلة الدالة على الصلاة على من مات من أهل القبلة.

س٦: ما معنى قول الطحاوي: «ولا ننزل أحداً منهم جنة وناراً، ولا نشهد عليهم بكفر، ولا بشرك، ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى»؟

ج٦: ولا يحكمون لأهل القبلة بجنة ولا نار على سبيل التعيين والقطع، بل من أحسن منهم رجونا له الجنة، ولم نأمن عليه مكر الله، ومن أساء أشفقنا عليه، ولم نقنطه من رحمة الله تعالى، ولا نشهد على مسلم بكفر، ولا بشرك، ولا بنفاق، مما يخرج من الملة الإسلامية، إلا أن يكون قد ظهر منهم شيء من ذلك مع تحقق الشروط وانتفاء الموانع، ويذرون السرائر إلى الله تعالى حيث إنه العليم بها، ويأخذون الناس بما ظهر منهم.

س٧: وضِّح ما حكم الجزم لمسلم معين بجنة أو بنار؟

ج٧: من أصول أهل السنة والجماعة أن لا يحكم لمعين بالجنة أو النار إلا من أخبر عنه الصادق المصدوق بذلك، كالعشرة المبشرين بالجنة، وذلك لأن الحقيقة باطنة لم نطلع عليها، وما مات عليه المرء لم يظهر لنا، وإن كنا نرجو للمحسنين الثواب، ونخشى على المسيئين العقاب.

س٨: اذكر آراء السلف في الشهادة للمعين بالجنة؟

ج٨: اختلف العلماء في ذلك على أقوال عدة:

أ- أنه لا يشهد إلا للأنبياء فقط. وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية، والأوزاعي.

ب - يشهد لمن ورد فيهم النص، وهذا قول كثير من العلماء، وأهل الحديث.

ج - يشهد لمن ورد فيهم النص، ولمن شهد له المسلمون بذلك.

دليل كل طائفة:

١- دليل الأولين: قالوا: إن الأنبياء وحدهم هم المعصومون ومن سواهم فغير معصومين، فيشهد للأنبياء دون من سواهم.

٢- دليل الرأي الثاني: أن الرسول ﷺ هو المخبر عن ربه، وهو الصادق الأمين، فإذا أخبر عن أحد وشهد له بالجنة، فقد وجبت له الشهادة بها.

٣- دليل الرأي الثالث: قالوا: دليلنا ما يأتي:

أولا: ما ورد في الصحيحين أنه مر بجنازة، فأثنوا عليها بخير، فقال النبي ﷺ: **وجبت**، ومرَّ بأخرى فأثنوا عليها بشر فقال: **وجبت**، وفي رواية: كرر: «**وجبت** - ثلاث مرات -، فقال عمر: يا رسول الله ما وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: **هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً حتى وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض**»[(١)].

ثانياً: قوله ﷺ: «**توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار**، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: **بالثناء الحسن، والثناء السيء**»[(٢)].

ثمرة الخلاف:

إن الرأي الأول يتوقف على الأنبياء.

وأما الثاني والثالث: فلا يتوقف على الأنبياء، بل يتعداهم إلى غيرهم على خلاف في مقدار ذلك التجاوز، وتظهر ثمرة الخلاف في مثل عمر بن عبد العزيز، والأئمة الأربعة، هل يشهد لهم بالجنة أم لا؟

فعلى الرأي الثالث يشهد لهم بالجنة، وعلى الرأيين الأوليين لا يشهد.

الرأي المختار: هو الرأي الثاني، وذلك لما يأتي:

أولًا: وجاهة ما استدلوا به وقوته.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه ابن ماجه، ك: الزهد، ب: الثناء الحسن، برقم: (٤٢٢١)، وأحمد (٣/ ٤١٦، ٦/ ٤٦٦)، والطبراني في المعجم الكبير برقم: (٣٨٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٢٣) وهو حديث حسن. انظر: صحيح سنن ابن ماجه برقم: (٤٢٢١)، تعليق الشيخ الألباني على الطحاوية (٤٨٩).

ثانياً: أما عن دليل الأولين، فإن عصمة الأنبياء تقتضي تصديقهم فيما أخبروا به.

فإذا أخبروا بالشهادة لأحد في الجنة، فيجب تصديقهم، وذلك بالشهادة لمن شهدوا.

ثالثاً: وأما عن دليل الآخرين:

فالأول: يجاب عنه بأن الشهادة لأحدى الجنازتين بالجنة، والأخرى بالنار إنما هي لإخبار النبي ﷺ.

وأما قوله: «**هذا أثنيتم**»، فليس هذا من ربط الأشياء بمسبباتها التي لا تتخلف عنها أبداً، وإنما هو من ربط الأشياء بالقرائن التي تتخلف في بعض الأمور.

ويدل على ذلك دليلهم الثاني حيث قال ﷺ: «**توشكون**»، ولم يقل تعلمون، وهناك فرق بينهما، وهذا دليل على رجحان الرأي الثاني.

س٩: ما حكم تكفير المسلم المعين، أو تفسيقه، أو الحكم عليه بالنفاق؟

ج٩: من أصول أهل السنة والجماعة: ألا يحكم على أحد من أهل القبلة بشيء من ذلك إلا إذا ظهر منه؛ وذلك لأننا قد نهينا عن اتباع الظن، وقد دلت على ذلك، آيات منها: ﴿**ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال تعالى: ﴿**لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ**﴾ [الحجرات: ١١]، والسخرية: قول بالظن، وكلام على الإنسان بما لا يعلم، وقال: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ**﴾ [الإسراء: ٣٦]، والنهي يقتضي التحريم.

س١٠: وضِّح الأحوال التي يباح فيها دم المسلم؟

ج١٠: يشير السؤال إلى قوله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»(١)، وفي هذا إشارة إلى الرد على الخوارج الذين يستحلون دم مرتكب الكبيرة.

س١١: وردت نصوص أخرى في حل دم أصناف من الناس غير الثلاثة المذكورين في الحديث، فكيف توفق بين هذه النصوص؟

ج١١: اختلف العلماء في هذا الحديث هل هو محكم أم منسوخ.

١- فجمهور العلماء على أنه محكم.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الديات، ب: إذا قتل بحجر أو بعصا، برقم: (٦٨٧٨)، ومسلم، ك: القسامة، ب: ما يباح به دم المسلم، برقم: (١٦٧٦).

وما ورد من الجرائم داخل فيه، فاللواط، وإتيان البهيمة داخل الزنا، والباغي، وقاطع الطريق داخل في الارتداد عن الدين، أو يقال: إن قاطع الطريق داخل في قتل النفس، وأما الباغي فهو داخل في الارتداد وإن لم يفارق دينه.

٢- وقال قوم: هذا الحديث منسوخ، والناسخ له آية الحرابة: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ [المائدة: ٣٣]، والمنسوخ هو حكم الحصر، لا الأحكام التي وردت فيها.

٣- ويقال: بأن الحديث عام مخصوص، فعموم النص خصص بأمور أخرى.

تحريم الخروج على الأئمة وولاة الأمر

قال الطحاوي: «ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف، ولا نرى الخروجَ على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعةِ الله ﷻ فريضةً ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[ما يحل به دم المسلم:]

في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يحل دم امرئٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»(١).

وقوله: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا».

[النصوص في تحريم الخروج على الأئمة:]

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصا الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، ك: الجهاد، ب: يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، برقم: (٢٩٥٧)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم: (١٨٣٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، فميتته جاهلية**»(١).

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**خيار أئمتكم الذين تُحبونهم، ويُحبونكم، وتُصلون عليهم، ويصلون عليكم، وشرارُ أئمتكم الذين تبغضونهم، ويبغضونكم، وتلعنونهم، ويلعنونكم، فقلنا: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعته**»(٢).

[طاعة ولاة الأمر مقيدة:]

فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمروا بمعصية: فتأمل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩]، كيف قال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، ولم يقل وأطيعوا أولي الأمر منكم؛ لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة الله ورسوله.

[تعليل طاعة الأئمة وإن جاروا:]

وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا؛ فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جَورهم، بل في الصبر على جَورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠]، ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [النساء: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]، فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم فليتركوا الظلم.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الفتن، ب: قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها»، برقم: (٧٠٥٤)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن...، برقم: (١٨٤٩).

(٢) أخرجه مسلم، ك: الإمارة، ب: خيار الأئمة وشرارهم، برقم: (١٨٥٥).

الأسئلة والأجوبة على تحريم الخروج على الأئمة وولاة الأمر

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف، ولا نرى الخروجَ على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعةِ الله ﷻ فريضةً ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف، ولا نرى الخروجَ على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعةِ الله ﷻ فريضةً ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- ما يحل به دم المسلم.
٢- النصوص في تحريم الخروج على الأئمة.
٣- طاعة ولاة الأمر مقيدة.
٤- تعليل طاعة الأئمة وإن جاروا.

س٢: ما معنى الطحاوي: «ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف، ولا نرى الخروجَ على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعةِ الله ﷻ فريضةً ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة»؟

ج٢: يرى أهل السنة والجماعة حرمة الخروج على الأئمة وولاة الأمور، حتى لو ظلموا الناس، وحتى إذا ظهر منهم فسوق في أنفسهم، ذلك لما للخروج من آثار سيئة: كإراقة الدماء، ونشر الفوضى، وذلك ما دام الأمراء باقين في حظيرة الإسلام، ولم يبدلوا دين الله، ولم يظهر منهم الكفر ولا يدعون عليهم، ولا يعصونهم، ويرون طاعتهم واجبة ما داموا يأمرون بمعروف، أما إذا أمروا بمعصية فلا يسمع لهم ولا يطاع في تلك المعصية، لقوله ﷺ: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية**»(١).

وقوله: «**إنما الطاعة في المعروف**»(٢)، وغير ذلك، ويدعون للأمراء بالصلاح في

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الأحكام، ب: السمع والطاعة للإمام، برقم: ٧١٤٤، ومسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، برقم: ١٨٣٩، عن ابن عمر.

(٢) أخرجه مسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، برقم: ١٨٤٠، من حديث علي رضي الله عنه.

دينهم والمعافاة، فإن صلاحهم صلاح للأمة، وفسادهم فساد وإفساد لها، والله أعلم.

س٣: وضِّح حكم الخروج على الأئمة مع ذكر الدليل لما تقول؟

ج٣: لا يجوز الخروج على الأئمة وإن جاروا، إلا إذا أتوا كفراً صريحاً لا شبهة فيه، أو عطلوا شعيرة من شعائر الدين الظاهرة، والدليل على عدم جواز الخروج عليهم، هو عموم الأدلة الدالة على وجوب طاعتهم، ومنها:

١- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

٢- ما روي عنه ﷺ أنه قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصي الأمير فقد عصاني**»(١).

٣- ما ورد عنه ﷺ أنه قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»(٢).

٤- ما روي عن أبي ذر قال: «أوصاني خليلي أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف»(٣).

وهذا كناية عن إيذائه وشره؛ لأن الرجل في الجاهلية إذا كان عبده شقيا شريراً قطع أطرافه ردعاً لشره.

٥- ما روي عن حذيفة بن اليمان، قال: «قلت يا رسول الله فبماذا ترى إذا أدركني ذلك، أي: الأئمة الأشرار؟ قال: **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**، فقلت: وإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: **فاعتزل الفرق كلها، ولو تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»(٤).

٦- ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رأى من أميره شيئاً**

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الأحكام، ب: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[النساء: ٥٦]، برقم: (٧١٣٧)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم: (١٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري، ك: الجهاد والسير، ب: السمع والطاعة للإمام، برقم: (٢٩٥٥)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم: (١٨٣٦، ١٨٣٩).

(٣) أخرجه مسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم: (١٨٣٧).

(٤) أخرجه البخاري، ك: المناقب، ب: علامات النبوة، برقم: (٣٦٠٦)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين...، برقم: (١٨٤٧).

يكرهه فليصبر، فإن من فارق الجماعة شبراً مات ميتة جاهلية»، وفي رواية: «فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»(١).

س٤: هل هناك حالات يجوز فيها الخروج على ولاة الأمور؟

ج٤: يباح الخروج عليهم - إذا لم يأت بمفسدة أعظم من مفسدة بقائه - وذلك يكون في حالتين:

أولاهما: إن أتوا كفراً صريحاً لا شبهة فيه.

وذلك أنهم يعتبرون - والحالة هذه - كفاراً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

الثانية: إذا عطلوا شعيرة من شعائر الدين الظاهرة، كأن لم يقيموا الصلاة جماعة، ونحو ذلك، ويدل لجواز الخروج عليهم في مثل هذه الحالة: ما روى عوف بن مالك الأشجعي، أن النبي ﷺ قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتقبلون عليهم، ويقبلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قال: فقلنا: أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعته»(٢).

وجه الدلالة مأخوذ من قوله ﷺ: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة»، فقد دل بمنطوقه على عدم جواز الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة، ودل بمفهومه على جواز الخروج عليهم إذا لم يقيموا الصلاة.

س٥: وضِّح الحِكَم التي ورد لأجلها النهي عن الخروج على ولاة الأمر؟

ج٥: دلت النصوص الشرعية على عدم جواز الخروج على الأئمة، وذلك لحِكَم متعددة منها:

١- منع الفساد والفوضى؛ فإنه يترتب على الخروج على الأئمة من المفاسد أضعاف ما يحصل من وجودهم؛ وذلك لأنه سبب من أسباب انتشار القتل، وكثرة الفواحش.

٢- لأن في الصبر على جورهم تكفيراً للسيئات ومضاعفة للأجور، وذلك أن الله إنما

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الفتن، ب: قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها»، برقم: (٧٠٥٤)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن...، برقم: (١٨٤٩).

(٢) أخرجه مسلم، ك: الإمارة، ب: خيار الأئمة وشرارهم، برقم: (١٨٥٥).

سلطهم بسبب ظلم الرعية، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا﴾ [الأنعام: ١٢٩].

س٦: اذكر نكتة إعادة الأمر بالطاعة مع الرسول ﷺ دون أولي الأمر، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩]؟

ج٦: النكتة هي: أن الرسول ﷺ طاعته واجبة على كل حال؛ لأنه لا يأمر إلا بما فيه طاعة الله، ولذلك أعاد الله الفعل معه، أما أولو الأمر فلما كانوا لا يقرون بالطاعة المطلقة، وإنما يطاعون في ما هو طاعة الله، ولا يطاعون فيما هو معصية لله، لم يعد الفعل معه؛ للدلالة على أنهم يطاعون فيما هو طاعة لله، ولا يطاعون فيما ليس بطاعة الله.

س٧: ما هي الوسيلة الشرعية للخلاص من جَور الأئمة؟

ج٧: السبيل الأمثل إلى ذلك كما قال شارح الطحاوية وهو: «ابتعاد الرعية عن الظلم والتظالم فيما بينهم، واجتهادهم في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل والنية، فقد روي في الحديث القدسي: «**أنا الله مالك الملك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك، ولكن توبوا أعطفهم عليكم**»(١)، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠]، على أن تسليط الملوك الظلمة إنما هو بسبب الذنوب التي اقترفوها، فعليهم اجتناب تلك المعاصي».

اتباع السنة وترك الخلاف والفرقة

قال الطحاوي: «ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[المقصود بالسنة والجماعة:]

السنة: طريقة الرسول ﷺ.

والجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين،

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم: (٨٩٦٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٨٩)، من حديث أبي الدرداء، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة برقم: (٦٠٢): ضعيف جداً.

فاتباعهم هدى، وخلافهم ضلال.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

[الأمر النبوي بلزوم السنة:]

وثبت في السنن في الحديث الذي صححه الترمذي عن العرباض بن سارية: «قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودِّع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: **أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»(١).

هذا، وسيأتي لهذا المعنى زيادة بيان إن شاء الله تعالى عند قول الشيخ: «ونرى الجماعة حقا وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً».

الأسئلة والأجوبة على اتباع السنة وترك الخلاف والفرقة

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونتبع السنة والجماعة: ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة» لمسائل عديدة أجملها فيما يأتي:

---

(١) أخرجه أبو داود، ك: السنة، ب: في لزوم السنة، برقم: (٤٦٠٧)، والترمذي، ك: العلم، ب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، برقم: (٢٦٧٦)، وابن ماجه، في المقدمة، برقم: (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، وابن حبان برقم: (٥)، والحاكم (١/ ٩٥-٩٧)، والطبراني في المعجم الكبير برقم: (٦١٧-٦٢٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٩٣٧)، وفي صحيح الجامع الصغير برقم: (٤٣٦٩).

١- المقصود بالسنة والجماعة. ٢- الأمر النبوي بلزوم السنة.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ونتبع السنة والجماعة، ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة»؟

ج٢: من منهج أهل السنة والجماعة أنهم يتجنبون الخروج عن جماعة المسلمين، بل يرون الهدى في اتباع سنة النبي ﷺ، وجماعة المسلمين، والضلالَ والغوايةَ في الشذوذ عن الجماعة، والخلاف والاختلاف على أمور الدين والإقامة، وغير ذلك.

والفرقة بما يترتب عليها من شق صفوف المسلمين، كل هذا ما دامت جماعة المسلمين قائمة على أمر الله، على الحق والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما إذا فسد الناس، وبدلت الشرائع، وصارت السنة بدعة، والبدعة سنة، والمنكر معروفاً، والمعروف منكراً، حينئذ حل الاعتزال والانفراد عن الناس، واعتزال فرق الهوى والضلالة كما في الحديث: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت**»[1].

س٣: وضِّح المقصود بالسنة؟ مع بيان المراد بالجماعة؟

ج٣: السنة في اللغة: هي الطريقة والسيرة، سواء كانت حسنة أو قبيحة، يقال لكل من ابتدأ عملًا وتبعه غيره فيه: «**أنه قد سنه**»، وروي عنه ﷺ أنه قال: «**من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها، وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء...**» الحديث[2].

والمراد بها هنا الطريقة التي سار عليها ﷺ سواء كانت من قبيل الواجب أو المستحب، وليس المراد بها ما يرادف المستحب كما اصطلح الفقهاء، وإنما المراد العموم.

وأما الجماعة: فهي في اللغة: الطائفة من الناس، والمراد بهم هنا: جماعة المسلمين من الصحابة ﷺ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وينطبق عليهم قوله ﷺ: «**هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، ك: المناقب، ب: علامات النبوة، برقم: (٣٦٠٦)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين، برقم: (١٨٤٧)، من حديث حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم، ك: الزكاة، ب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، برقم: (١٠١٧).

(٣) أخرجه الترمذي، ك: الإيمان، ب: ما جاء في افتراق هذه الأمة، برقم: (٢٦٤١)، وقد جاء حديث افتراق الأمة عن جمع من الصحابة، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم: (٢٦٤١)، وفي السلسلة الصحيحة برقم: (١٣٤٨)، وانظر رقم: (١٤٩٢).

س٤: ما المراد بالشذوذ، والخلاف والفرقة؟

ج٤: هي ألفاظ متقاربة، فالشذوذ في اللغة: الانفراد، أو الخروج على ما اتفق عليه.

والخلاف: ضد الوفاق.

والفرقة ضد الوحدة، فهي ألفاظ متقاربة.

ومراد الطحاوي من قوله: «ونتبع السنة والجماعة، ونتجنب الشذوذ»، بيان أن من أصول أهل السنة والجماعة: التمسك بسنة النبي ﷺ، والتمسك باتحاد المسلمين، وعدم إدخال الفرقة فيما بينهم.

س٥: ما الأدلة على وجوب اتباع السنة والجماعة؟

ج٥: لقد دل على وجوب الاتباع: الكتاب، والسنة، وآثار عن الصحابة.

١- أما الكتاب فقد دل على ذلك آيات كثيرة:

أ - قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١]، فقد جعل الله اتباع رسوله ﷺ شرطاً في محبته ومغفرته.

وهذا دليل على الاتباع، ويدل بطريق اللزوم على وجوب اتباع أهل السنة والجماعة.

ب - قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤]، فقد أمر الله سبحانه بطاعته، وطاعة رسوله ﷺ، وجعل طاعته شرطاً للاهتداء، وهذا يدل على وجوب السير على الطريقة التي سار عليها.

ج - قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ [النساء: ١١٥]، فقد رتب العذاب على الفرقة والاختلاف، فهو يدل على وجوب اتباع أهل السنة والجماعة؛ لأن الجماعة لا تطلق إلا على من اتبع سنة الرسول ﷺ.

د - قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والنهي يقتضي التحريم.

٢- أما من السنة فأحاديث كثيرة، منها:

أ - ما روى العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ وعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ثم قال ﷺ: **«أوصيكم بالسمع والطاعة؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيرا... فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي،**

تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»[١].

ب - ما روى ابن عباس أنه ﷺ قال: **«من رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليصبر، فإن فارق الجماعة شبراً فمات فقد مات ميتة جاهلية»**[٢]، فهذا يدل على التحذير من مفارقة الجماعة ولو مسافة قصيرة.

ج - ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن أهل الكتابين افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا واحدة، وهم من كان على مثل ما كان عليه ﷺ وأصحابي»**[٣].

٣- وأما الآثار فمنها:

أ- ما روى ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «من كان منكم مستناً فيستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا آثارهم، وتمسكوا بما ستطعتم من أخلاقهم، ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[٤].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، ك: الفتن، ب: قول النبي ﷺ: **«سترون بعدي أموراً تنكرونها»**، برقم: (٧٠٥٣)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين...، برقم: (١٨٤٩).

(٣) أخرجه الترمذي، ك: الإيمان، ب: ما جاء في افتراق هذه الأمة، برقم: (٢٦٤١)، والحاكم (١/ ١٢٩)، من حديث عبد الله بن عمرو، وفيه: **«ما أنا عليه وأصحابي»**.
وقد جاء الحديث من طرق أخرى:
١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه أبو داود، ك: السنة، ب: شرح السنة، برقم: (٤٥٩٦)، والترمذي ك: الإيمان، ب: ما جاء في افتراق هذه الأمة، برقم: (٢٦٤٠)، وابن ماجه، ك: السنة، ب: افتراق الأمم، برقم: (٣٩٩١)، وابن حبان برقم: (٦٢٤٧)، وأبو يعلى برقم: (٥٩١٠، ٥٩٧٨)، وأحمد (٢/ ٣٣٢)، والحاكم (١/ ٦، ١٢٨).
٢- حديث عوف بن مالك : أخرجه ابن ماجه، ك: السنة، ب: افتراق الأمم، برقم: (٣٩٩٢)، والطبراني في المعجم الكبير برقم: (٩١، ١٢٩)، وفيه: «قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: **الجماعة**».
٣- حديث معاوية بن أبي سفيان: أخرجه أبو داود، ك: السنة، ب: شرح السنة، برقم: (٤٥٩٧)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، والدارمي برقم: (٢٥١٨)، والحاكم (١/ ١٢٨)، ولفظه: **«وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»**.
والحديث قواه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٢٠٣، ٢٠٤، ١٣٤٨، ١٤٩٢).

(٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله برقم: (١٨١٠)، وإسناده ضعيف، ولكن معناه صحيح، ونحوه عن الحسن البصري في المصدر السابق برقم: (١٨٠٧)، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥-٣٠٦)، عن ابن عمر، وفي سنده ضعف.

حب أهل العدل والأمانة، وبغض أهل الجور والخيانة

قال الطحاوي: «ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[محبة الصالحين من كمال الإيمان:]

وهذا من كمال الإيمان وتمام العبودية، فإن العبادة تتضمن كمال المحبة ونهايتها، وكمال الذل ونهايته، فمحبة رسل الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره فغير الله يحب في الله لا مع الله، فإن المحب يُحبُّ ما يحب محبوبُه، ويبغض ما يبغض، ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضائه، ويغضب لغضبه، والله تعالى يحب المحسنين، ويحب المتقين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ونحن نحب من أحبه الله، والله لا يحب الخائنين، ولا يحب المفسدين، ولا يحب المستكبرين، ونحن لا نحبهم أيضاً، ونبغضهم موافقة له ﷻ.

فالمحبة التامة مستلزمة لموافقة المحبوب في محبوبه ومكروهه، وولايته وعداوته.

ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن يبغض أعداءه ولا بد أن يحب ما يحبه من جهادهم، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾ [الصف: ٤].

والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر، فإن العبد يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة، والحب والبغض، فيكون محبوبا من وجه، ومبغوضا من وجه، والحكم للغالب.

الأسئلة والأجوبة على حب أهل العدل والأمانة، وبغض أهل الجور والخيانة

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة» لبيان أن محبة الصالحين من كمال الإيمان.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة»؟

ج٢: من منهج أهل السنة والجماعة أنهم يحبون كل عادل، حاكماً أو محكوماً، فنحب كل أمين مع الله ومع الناس، ونبغض كل جائر ظالم، حاكماً أو محكوماً، وكل خائن لله ولرسوله ﷺ ولأماناته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، ونرى ذلك هو الحق، فإن المؤمن يحب المؤمنين المتقين، ويبغض العصاة الفاسقين، وفي الحديث: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله» الحديث**[1]، **وقوله ﷺ: «أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله»**[2]، فنحن نحب المرء على قدر ما فيه من الطاعة والصلاح، ونبغضه على قدر ما فيه من المعصية والفجور.

س٣: وضِّح المقصود بالحب والبغض في الله؟

ج٣: الحب في الله: مرادف للحب لله، فإذا قلت: أحب فلاناً في الله فكأنك قلت: أحبه لله، والحب في الله هو: محبة الشيء لأجل محبة الله له سواء كان شخصاً، أو فعلًا، أو غيره.

والبغض في الله: مرادف للبغض لله، وعلى هذا فهو أبغض الشيء لأجل بغض الله له،سواء كان شخصاً، أو فعلًا، أو غيره.

س٤: ما الفرق بين الحب في الله، والحب مع الله؟

ج٤: الحب في الله هو محبة الشيء لأجل محبة الله له، فهو حب مقيد بما يحبه الله ﷻ.

أما الحب مع الله، فهو محبة الشيء بغض النظر عن كون الله يحبه أو لا يحبه.

س٥: ما حكم الحب في الله؟ وما حكم الحب مع الله؟

ج٥: الحب في الله من كمال الدين، وغاية العبودية،ولا يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يحب في الله، ويبغض في الله.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: حلاوة الإيمان، برقم: (١٦)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم: (٤٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم: (٣١٠٨٣)، والطبراني في معجمه الكبير برقم: (١٠٥٣١)، من حديث ابن مسعود، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٢٥٣٩).
وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم: (٣١٠٥٩)، والطيالسي برقم: (٧٨٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٢٠٠٩)، وصحيح الترغيب والترهيب برقم: (٣٠٣٠).

فقد ورد في الصحيحين عن رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار**»[(١)]، فبدون الحب في الله والحب لله، وكراهيته الرجوع في الكفر الذي هو البغض في الله، لا يجد المرء حلاوة الإيمان.

أما الحب مع الله فلا يخلو من حالتين:

١- أن يقترن به كمال الذل والخضوع. وهو في هذه الحالة شرك؛ لأن المحبة التامة والخضوع الكامل من أنواع العبادة، ومن أشرك مع الله غيره فيها فقد كفر، ومثل ذلك محبة المشركين لأصنامهم.

٢- ألا يقترن بها ذل وخضوع، وهنا لا يخلو الأمر من حالتين:

أ- ألا يقدم المحب محبوبه على أوامر الله ونواهيه، وهي هنا مباحة كسائر المباحات، ومن ذلك قوله ﷺ: «**حُبِّب إلي من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[(٢)].

ب- أن يقدم المحب محبوبه على أوامر الله سبحانه ونواهيه، فهي هنا تكون محرمة.

س٦: اذكر بعض لوازم المحبة؟

ج٦: قال الشارح: «فإن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق لمحبوبه في كل حال، والله تعالى يحب المحسنين، ويحب المتقين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ونحن نحب من أحبه الله، والله لا يحب الخائنين، ولا يحب المفسدين، ولا يحب المستكبرين، ونحن لا نحبهم أيضاً، بل نبغضهم موافقة له ﷻ، ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن يبغض أعداءه، ولا بد أن يحب ما يحبه من جهادهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف:٤]».

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه النسائي، ك: عشرة النساء، ب: حب النساء، برقم: (٣٩٤٩)، والإمام أحمد (٣/١٢٨)، والحاكم (٢/١٦١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/٧٨)، والطبراني في معجمه الأوسط برقم: (٥٢٠٣)، وفي معجمه الصغير برقم: (٧٤١)، وهو حديث صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير برقم: (٣١٢٤).

س٧: ما معنى محبة الله لبعض عباده؟

ج٧: ورد أن الله يحب المحسنين والمتقين، والذين يقاتلون في سبيله، ومن أصول أهل السنة والجماعة إثباتها لله على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف، ولا تكييف، ولا تمثيل، ولا تعطيل، بخلاف بعض الفرق الضالة من المعتزلة والجهمية، فقد نفوا إثبات المحبة، وقالوا: إن المراد بها إرادة الإحسان.

س٨: هل يمكن أن يجتمع الحب في الله، والبغض في الله في حق شخص واحد؟

ج٨: نعم، قد يجتمع في الشخص الواحد ذلك، وذلك بحسب الخصال التي فيه، فيحبه في الله لما فيه من خصال الخير، ويبغضه في الله لما فيه من خصال الشر، والحكم للغالب منهما في النهاية.

فإن العبد يجتمع فيه سبب الولاية، وسبب العداوة، فيكون محبوباً من وجه، مبغضاً من وجه آخر، كما في المؤمن الفاسق ونحوه، هذا رأي الجمهور.

أما عند الأحناف فلا يمكن أن تجتمع؛ لأنه عندهم لا يجتمع عند الإنسان إيمان وكفر، وحب وبغض، فالإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، وكذلك حكم العبد عند الله، فإن الله قد يحب الشيء من وجه، ويكرهه من وجه آخر، كما قال النبي ﷺ فيما يرويه عنه ربه ﷻ: «**وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته، ولا بد له منه**»(١).

فبين أنه يتردد ترددا يليق بجلاله وعظمته؛ لأن التردد تعارض بين إرادتين، وهو سبحانه يحب ما يحب عبده المؤمن، ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت، فهو يكرهه، كما قال: «**وأنا أكره مساءته**»، وهو سبحانه قضى بالموت، فهو يريد موته، فسمى ذلك تردداً، ثم بين أنه لا بد من وقوع ذلك، إذ يفضي إلى ما هو أحب منه.

س٩: ما الغرض من ذكر هذه المسألة؟

ج٩: الحب والبغض من مسائل النفس التي يدخلها الهوى، فالقاعدة: أن العبد لا يكون حقيقة مستسلما حتى يتخلص من هواه، فمن أحب ما يحب الله ورسوله، وأبغض ما يبغض الله ورسوله، فقد تخلص من هواه، ومن أبغض ما يحبه الله ورسوله، فإنما هواه قاده إلى ذلك فأساس المحبة والبغض أن تكون تبعاً للنصوص.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: التواضع، برقم: (٦٥٠٢).

موقف المسلم من النصوص المتشابهة والمحكمة

قال الطحاوي: «ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[رد علم المشتبه إلى الله سبحانه هو سبيل السلامة:]

تقدم في كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنه ما سلم في دينه إلا من سلَّم لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله ﷺ، وردَّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه».

[الكلام بغير علم اتباع للهوى:]

ومن تكلَّم بغير علم فإنما يتبع هواه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣ - ٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يرد علم ما لم يعلم إليه، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٢٦]، و: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الكهف: ٢٢].

الأسئلة والأجوبة على موقف المسلم من النصوص المتشابهة والمحكمة

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- رد علم المشتبه إلى الله سبحانه هو سبيل السلامة.

٢- الكلام بغير علم اتباع للهوى.

س٢: قال الطحاوي: «ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه» وضِّح المقصود بالمحكم والمتشابه؟

ج٢: للعلماء آراء في تحديدهما، ويمكن أن يستنتج من مجموعها ما يأتي:

المحكم هو: ما كان واضحاً في دلالته على المقصود منه.

والمتشابه هو: ما خفيت دلالته على المقصود منه، وأنواعه كثيرة، ومنها:

١- نوع لا يعلمه أحد من البشر، بل قد استأثر الله بعلمه، وذلك كالعلم بكيفية صفاته، وكذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ [لقمان: ٣٤].

٢- نوع قد يتوصل إليه كل إنسان عن طرق البحث والدرس، وذلك كالأبِّ في قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٣١]، قالوا: الأبُّ: هو ما ترعاه البهائم.

٣- نوع قد يتوصل إليه بعض الناس عن طريق الفهم الذي يلقيه الله في قلبه، كقوله ﷺ في دعائه لابن عباس: «**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**»(١).

س٣: هل في القرآن محكم ومتشابه؟

ج٣: ١- قد ورد في القرآن ما يدل على أنه كله محكم، كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾ [هود: ١].

٢- وقد ورد في القرآن ما يدل على أنه متشابه، كقوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾ [الزمر: ٢٣].

٣- ورد ما يدل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧]، ولا تعارض بين الإطلاقات الثلاث، وذلك لما يأتي:

أ- لأن الإحكام في الآية الأولى المراد به الإتقان، الذي لا يتطرق إليه الخلل.

ب - والتشابه في الآية تشابه في الجودة والإتقان وكونه معجزاً.

ج - أما الثالث فالمراد به أن من القرآن ما هو واضح في الدلالة على المقصود منه، وهذا هو المحكم، ومنه ما هو غير واضح في الدلالة وهو المتشابه.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الوضوء، ب: وضع الماء عند الخلاء، برقم: (١٤٣)، ومسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، برقم: (٢٤٧٧).

س٤: ما الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الكريم؟

ج٤: ذكر العلماء عدة حِكَم، منها:

١- رحمة الله تعالى بهذا الإنسان الضعيف الذي لا يطيق معرفة كل شيء، فأخفى عنه موعد الساعة لكي لا يتكاسل عن الاستعداد لها، ولا يجزع إذا علم بقرب موعدها، وأخفى عنه موعد أجله لما تقدم، وأخفى عنه كنه ذاته سبحانه وصفاته من أنه لا يستطيع إدراك كنهه ولا يقدر على تحمله.

٢- إظهار عجز الإنسان وجهالته، وأنه مهما بلغ من الاستعداد والقوة لا يمكن أن يعلم ما حجب الله علمه عنه.

٣- ابتلاء الإنسان واختباره، أيؤمن بما أخبر به الصادقون عن الله.

س٥: ما معنى قول الطحاوي: «الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه»؟

ج٥: أهل السنة والجماعة دائماً يكلون علم ما اشتبه عليهم إلى الله تعالى ويقولون: الله أعلم، وذلك هو العدل، وهو المقصود من تحريم القول على الله تعالى بغير علم، وهو من أعظم الذنوب وشرها، وهكذا إذا سأل الإنسان عما لا يعلم فليقل: الله أعلم.

س٦: ما الذي يجب على المسلم فيما اشتبه عليه علمه؟ وما الدليل على ما تقول؟

ج: الواجب عليه: أن يوكل علمه ويفوضه إلى الله سبحانه، قائلًا: والله أعلم، وتاركاً الخوض فيما لا يعلم، والأدلة على ذلك:

١- من الكتاب:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ﴾ [الإسراء: ٣٦] الآية، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ [الكهف: ٢٦]، وقوله: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الكهف: ٢٢].

٢- ومن السنة:

قوله ﷺ: «إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، ولكن يصدق بعضه بعضاً، فما علمتم فاعملوا به، وما جهلتم فردوه إلى عالمه»[1]، فقد أمر برد ما لا نعلم علمه إلى عالمه،

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٨١، ١٨٥، ١٩٥، ١٩٦)، وعبد الرزاق في المصنف برقم: (٢٠٣٦٧)، والطبراني في الأوسط برقم: (٥١٥)، وصححه الألباني في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية (٢١٨).

والأمر يقتضي الوجوب.

وكذلك قوله ﷺ حين سئل عن أطفال المشركين: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»(١).

٣- ومن الآثار:

أ - ما ورد عن أبي بكر رضي الله عنه قال: «أي أرض تقلني؟ وأي سماء تظلني؟ إن قلت في كتاب الله بما لا أعلم»(٢)، وهذا يدل على عدم جواز الخوض.

ب - قال عمر رضي الله عنه: «السنة ما سنه الله عز وجل، وما سنه رسوله ﷺ، لا تجعلوا خطأ الرأي سنة»(٣).

ج - وقال أيضاً: «اتهموا الرأي على الدين، فلو رأيتني يوم أبي جندل، ولقد رأيتني وإني لأرد أمر رسول الله ﷺ برأي، فأجتهد ولا آلو، وذلك يوم أبي جندل، والكاتب يكتب بين رسول الله ﷺ وأهل مكة، وقال رسول الله ﷺ: «**اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم**، قال: فقالوا: ترانا قد صدقناك بما تقول؟ ولكنك تكتب باسمك اللهم، فرضي رسول الله ﷺ وأبيت، فقال: يا عمر تراني أرضى وتأبى أنت»(٤)؟!

وأبو جندل هو: ابن سهيل بن عمرو الذي كتب صلح الحديبية مع الرسول ﷺ، فحين الكتابة جاء أبو جندل مسلماً إلى رسول الله ﷺ فلم يقبل في صف المسلمين، ولكنه هل رد إلى المشركين؟ قولان للعلماء.

د - ما ورد عن ابن سيرين قال: «لم يكن أحد أهيب لما لا يعلم من أبي بكر، ولا بعد أبي بكر من عمر، وإن أبا بكر نزلت به قضية فلم يجدها في الكتاب والسنة فاجتهد برأيه، ثم

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الجنائز، ب: ما قيل في أولاد المشركين، برقم: (١٣٨٤)، ومسلم، ك: القدر، ب: معنى: «**كل مولود يولد على الفطرة**»...، برقم: (٢٦٥٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٠٩٨)، من طريق إبراهيم التيمي، عن أبي بكر، وهذا منقطع، ورواه الطبري في التفسير (٧٨، ٧٩)، وابن عبد البر في جامع البيان العلم برقم: (١٥٦١)، من طريق أبي معمر عبد الله بن سخبرة الأزدي، وروايته عن أبي بكر الصديق مرسلة. انظر: تهذيب الكمال (١٥/٦)، الجرح والتعديل (٥/٦٨).

(٣) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله برقم: (١٠٤٦).

(٤) أخرجه ابن المنذر في الأوسط برقم: (٦٦٨٤)، والطبراني في المعجم الكبير برقم: (٨٢)، والبزار في مسنده برقم: (١٤٨).

وروى البخاري، برقم: (٤١٨٩) عن سهل بن حنيف أنه قال: «اتهموا الرأي فلقد رأيتني يوم أبي جندل، ولو أستطيع أن أردَّ على رسول الله ﷺ أمره لرددت والله رسوله أعلم...» الحديث.

قال: هذا رأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني، وأستغفر الله»[١].

المسح على الخفين حضرا وسفرا

قال الطحاوي: «ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر، كما جاء في الأثر».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[تواتر السنة بالمسح على الخفين:]

تواترت السنة عن رسول الله ﷺ بالمسح على الخفين، وبغسل الرجلين، والرافضة[٢] تخالف هذه السنة المتواترة، والمسألة معروفة، والكلام عليها في كتب الفروع.

الأسئلة والأجوبة على أن المسح على الخفين ثابت حضرا وسفراً

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر»؟

ج١: المسائل التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر» لبيان تواتر السنة في المسح على الخفين.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر»؟

ج٢: يرى أهل السنة والجماعة المسح على الخفين بالشروط الواردة في كتب الفقه، ثلاثة أيام بلياليهن للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٧٧)، و ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله برقم: (٨٢١).

(٢) مذهب الرافضة في هذا: أنهم يمسحون ظهر القدمين، ولا يغسلون ظاهر القدمين، ولا العقب، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ [المائدة: ٦]، حيث إن الآية عندهم تنص على مسح الأرجل، وذلك أن: ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ بالجر معطوف على: ﴿بِرُءُوسِكُمۡ﴾، وأنكروا مع هذا المسح على الخفين، وزعموا أنه خلاف الآية.
انظر: الاستذكار لابن عبد البر (٢/ ٢٣٦)، - مؤسسة الرسالة -، مجموع الفتاوى (٢١/ ١٢٨)، منهاج السنة (٤/ ١٧٠ - ١٧٩)، فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٠).

وكذلك المسح على الجوربين والنعلين، وقد خالفت الرافضة في ذلك، غير أن المسح على الخفين متواتر عن رسول الله ﷺ.

س٣: ما مناسبة ذكر الطحاوي والشارح لهذا البحث في العقيدة؟

ج٣: لأن مذهب أهل السنة وجوب غسل الرجلين في الوضوء، وجواز المسح على الخفين، وقد خالفهم في ذلك بعض طوائف أهل البدع، فذكر الطحاوي والشارح هذا البحث لبيان مذهب أهل السنة كي يتميز عن غيره، ونوع الخلاف هنا: أصولي، وليس فرعياً فقهياً.

س٤: اذكر آراء العلماء في فرض غسل الرجلين في الوضوء مع إيضاح منشأ الخلاف، ودليل كلٍّ، وما الرأي المختار في نظرك مع الدليل؟

ج٤: اختلف العلماء في فرض غسل الرجلين في الوضوء، ومقداره على أقوال:

١- مذهب جمهور أهل السنة: إن فرضهما الغسل إلى الكعبين، وهما العظمتان الناتئتان في جانبي القدم.

٢- وذهب الشيعة والإمامية إلى أن الواجب فيهما: المسح إلى الكعب، وهو العظم الناتئ في ظهر القدم عند معقد الشراك.

٣- نقل عن بعض أهل الظاهر أنه يجب الجمع بين الغسل والمسح.

٤- نقل عن ابن جرير الطبري: أن المكلف مخير بين الغسل والمسح، وقد أنكر الألوسي هذه النسبة إلى ابن جرير، وقال: لعل القائل بذلك هو: محمد بن جرير بن رستم الشيعي صاحب الإيضاح للمسترقند، لا الطبري فإن المذكور في تفسيره إنما هو الغسل، لا المسح، ولا الجمع، ولا التخيير.

منشأ الخلاف في هذه المسألة:

هو اختلاف العلماء في توجيه القراءات الثلاث الواردة في قوله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، فإن الأرجل فيها ثلاث قراءات: قراءتان متواترتان، وهما: النصب والجر، وقراءة شاذة، وهي الرفع، وقد اختلف العلماء في توجيه هذه القراءات على ضوء ما فهموه من معنى المسح في اللغة، وعلى مقدار ما وردهم من الأحاديث عن رسول الله ﷺ.

١- فبينما يرى بعضهم أن المسح يطلق ويراد به الإسالة، ويطلق ويراد به الإسالة والغسل، ويرى آخرون أنه له معنى آخر مغاير لمعنى الغسل.

٢- وكذلك ما ثبت من الآثار عن النبي ﷺ، يرى بعضهم ثبوتها وصحتها، يرى الآخرون أن هذه الآثار منسوخة أو مطعون في صحتها.

دليل كل طائفة:

أقتصر هنا من أدلة الجميع على آية المائدة؛ لأنها المحور الذي دارت حوله الآراء الأربعة، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ [المائدة: ٦].

وجه الاستدلال عند كل فريق:

أولا: أهل السنة والجماعة: جعلوا قراءة النصب أصلًا، وحملوا عليها القراءتين الأخريين.

١ - فقراءة النصب تكون بعطف الأرجل على الوجوه، والوجوه مغسولة، فالمعطوف على المغسول مغسول مثله.

٢- وأما قراءة الجر فلهم آراء عدة في توجيهها، ومن ذلك:

أ - أن الأرجل معطوفة على الوجوه، وإنما جرت للمجاورة كما في قولهم: هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ، بجر خرب، مع أنها مرفوعة في الأصل؛ إذ هي صفة لجحر.

اعتراض:

قال بعضهم: إن الجر للمجاورة إنما يكون مع عدم حرف العطف، فإذا وجد حرف العطف كما في الآية فلا يجوز الجر للمجاورة.

الجواب: لا نسلم بما تقول فقد ورد الجر للمجاورة مع العطف، قال تعالى: ﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥]فقد قرئ: ونحاسٍ بالكسر لمجاورة نار مع وجود حرف العطف، ومن ذلك قول زهير:

لعب الزمان بها وغيرها بعدي سوا في المور والقطر

وقد جر القطر لمجاورته المور، مع أنه مرفوع في الأصل.

ب - وقيل: إن المراد بقراءة الجر: المسح على الخفين، وإنما علمنا ذلك من فعل النبي ﷺ فإنه لم يثبت أنه مسح الرجلين إلا مع وجود الخفين.

ج - وقيل: إن الأرجل معمولة لعامل محذوف: معطوف على العامل في الرؤوس، والتقدير: وامسحوا برؤوسكم وامسحوا بأرجلكم، وقد دلت السنة على أن المسح للرأس يراد به الإصابة، أما المسح للأرجل فيراد به الغسل والإسالة، ولا مانع لغة، فقد قال أبو زيد

الأنصاري: المسح يكون مسحاً، وهو إصابة - إصابة الماء -، ويكون غسلًا.

وقال الفارسي: والعرب تسمي خفيف الغسل مسحاً.

٣- أما قراءة الرفع فتكون على تقدير خبر محذوف: وأرجلكم مغسولة.

ثانياً: وأما الإمامية فقد جعلوا قراءة الجر أصلًا، وحملوا عليها قراءتي الرفع والنصب.

١- فقالوا في قراءة الجر: إن الأرجل معطوفة على الرؤوس، والرؤوس ممسوحة، فتكون الأرجل ممسوحة كذلك.

٢- وأما قراءة النصب فقالوا: إن الأرجل معطوفة على محل الرؤوس، ومحلها النصب.

٣- وأما قراءة الرفع: فقدروا خبراً محذوفاً، والتقدير: وأرجلكم ممسوحة.

ثالثاً: وأما من قال بالتخيير، فقد قال: إن القراءتين كالخبرين فيعمل بهما إذا لم يتناقضا، وهنا يمكن التخيير حيث لم يتناقضا.

الرأي المختار:

هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن الفرض هو غسل الرجلين إلى الكعبين، وذلك لما يأتي:

١- تواتر نقل صفة الوضوء عن النبي ﷺ قولًا وفعلًا، وفيها ما يدل على أن الواجب الغسل لا المسح، وقد تواترت السنة أيضاً بالمسح على الخفين، وبغسل الرجلين.

فالذين نقلوا عن النبي ﷺ الوضوء قولًا وفعلًا، والذين تعلموا الوضوء منه، وتوضئوا على عهده وهو يراهم ويقرهم، ونقلوه إلى من بعدهم أكثر عدداً من الذين نقلوا تفسير آية المائدة.

٢- لما في هذا القول من الجمع بين القراءتين على وجه لا مانع منه لغة ولا شرعاً.

٣- أما قول الشيعة الإمامية، فهو مردود بالكتاب، والسنة، والعقل.

أ - أما بالكتاب فلأن الله تعالى قال: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، فدل ذلك على أن في كل رجل كعبين لا كعباً واحدة؛ لأنه لو أراد ذلك لقال إلى الكعب، كما في قوله: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]، فالصيغة تدل على هذا؛ لأن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي قسمته آحاداً.

وتوجيههم إلى قراءة النصب غير مسلم لأن العطف على المحل: إنما يكون إذا كان المعنى واحداً، كما في قول الشاعر:

. . . . فلسنا بالجبال ولا الحديدا

بخلاف قولك: مسحت برأسي ورجلي.

ومن ناحية أخرى، فليس معنى: ومسحت برأسي ورجلي هو مثل معنى: مسحت رأسي ورجلي، بل ذكر الباء يفيد شيئاً زائداً على مجرد إلصاق شيء من الماء بالرأس، **فتعين الوقف على الوجه قوله: وأيديكم.**

ب - وأما السنة: فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يغسل رجليه في الوضوء، إذ تواتر ذلك عنه حيث روى عنه أنه قال: «**ويل للأعقاب من النار، وبطون الأقدام من النار**»(١).

ج - وأما دليل العقل: فقد تواتر عن السلف أن غسل الرجل إلى الكعبين هو الواجب، ولو كان الفرض هو مسح ظاهر القدم فقط لكان غسل الجميع كلفة، لا تدعو إليها الطباع، ولا تناقلتها الأمة، ولا تواترت عن السلف.

٤- وأما من قال بالتخيير والجمع فلا مجال لذلك طالما أن صفة الوضوء نقلت إلينا نقلًا يدل على أن الواجب الغسل لا المسح.

س٥: ما حكم المسح على الخفين؟

ج٥: للعلماء في جواز المسح على الخفين أقوال، منها:

١- ذهب جمهور أهل السنة إلى أن المسح على الخفين جائز في الحضر والسفر؛ لثبوت ذلك عن الرسول ﷺ في آثار عدة.

٢- وذهب الخوارج والشيعة إلى عدم جواز المسح على الخفين، وحجتهم في ذلك أن الآثار التي ورد فيها المسح منسوخة.

والرأي المختار: ما ذهب إليه الجمهور من أن المسح على الخفين جائز؛ لأن القول بالنسخ لا بد معه من معرفة تأخر الناسخ عن المنسوخ، وليس هناك ما يدل على أن آية المائدة متأخرة عن مسحه ﷺ على خفيه، **بل** قد ورد ما يدل على أنه ﷺ مسح على خفيه بعد نزول آية المائدة، ومن ذلك ما رواه جرير رضي الله عنه: «أنه بال ثم توضأ، ومسح على خفيه، فقيل له: أتفعل هكذا، قال: نعم، رأيت رسول الله ﷺ بال ثم توضأ، ومسح على خفيه»،

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٩١)، وابن خزيمة في صحيحه برقم: (٦٣)، واللفظ لهما، وأخرجه البخاري، ك: العلم، ب: من رفع صوته بالعلم، برقم: (٦٠)، ومسلم، ك: الطهارة، ب: وجوب غسل الرجلين بكمالهما، برقم: (٢٤١)، وغيرهما بلفظ: «**ويل للأعقاب من النار**».

وكان إسلام جرير بعد نزول آية المائدة[1].

ومن ذلك أيضاً: أن آية المائدة نزلت في غزوة المريسيع، وقد ثبت أنه ﷺ مسح في غزوة تبوك، وغزوة تبوك كانت بعد غزوة المريسيع بسنتين.

س٦: أيهما أفضل: المسح على الخفين؟ أم غسل الرجلين؟

ج٦: اختلف العلماء على آراء:

١- فقيل: إن غسل الرجلين أفضل بشرط ألا يفعل الغسل رغبة عن رخصة المسح، وهذا قول المالكية والشافعية.

ودليلهم: إن الغسل هو الأصل، وقد واظب عليه الرسول ﷺ وهو أكثر مشقة من المسح.

٢- وقيل: إن المسح هو الأفضل، وهو أصح الروايات عن أحمد.

ودليلهم ما روى المغيرة بن شعبة أنه قال: «توضأ رسول الله ﷺ، ومسح على خفيه، فقلت: أنسيت يا رسول الله؟ قال: **بل أنت نسيت، بهذا أمرني ربي**»[2].

ومنها ما رواه صفوان بن عسال قال: «**أمرنا رسول الله ﷺ أن نمسح على الخفين**»[3].

والأمر يقتضي الوجوب، إن لم يوجد ما يصرفه عن الندب، وهو ما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه كان يغسل رجليه.

٣- ما ذكره ابن القيم، ونسبه إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو أن الرسول ﷺ لم يكن ليتكلف ضد الحالة التي هو عليها، فإن كان لابساً للخفين مع استيفاء الشروط مسح عليهما، وإن لم يكن كذلك غسل رجليه، وكذلك المسلم، فالأفضل له ألا يتكلف ضد الحالة التي هو عليها.

التوجيه: وهذا هو أرجح الأقوال لجمعه بين فعلي الرسول ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الصلاة، ب: الصلاة في الخفاف، برقم: (٣٨٧)، ومسلم، ك: الطهارة، ب: المسح على الخفين، برقم: (٢٧٢).

(٢) أخرجه أبو داود، ك: الطهارة، ب: المسح على الخفين، برقم: (١٥٦)، أحمد (٤/٢٤٦)، والحاكم (١/ ١٧٠)، والطبراني في المعجم الكبير برقم: (٨٧٢، ١٠٠١، ١٠٠٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٢٧١)، وابن عبد البر في التمهيد (١١/ ١٤١)، وهو ضعيف. انظر: ضعيف سنن أبي داود برقم: (٢٠)، مشكاة المصابيح برقم: (٥٢٤).

(٣) أخرجه الترمذي برقم: ٩٦، والنسائي (١/ ٨٤)، وابن ماجه برقم: ١٧٦ . وهو حسن.

س٧: قال الله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ [المائدة: ٦]، وضِّح حكمة التيسير بالمسح بدل الغسل ها هنا؟

ج٧: قال الشارح: في ذكر المسح على الرجلين تنبيه على قلة الصب على الرجلين، فإن السرف يعتاد فيهما كثيرا، وذكر بعضهم نكتة ثانية: وهي اختصار الكلام؛ لأن الفعلين من جنس واحد، والمعطوف عليه إذا كان الفعلان من جنس واحد، يجوز الاستغناء عن أحدهما كما في قوله:

علفتها تبناً وماء بارداً ....

الحج والجهاد مع ولاة الأمر

قال الطحاوي: «والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين: برِّهم وفاجرِهم إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[بطلان قول الرافضة في ذلك:]

يشير الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الرد على الرافضة حيث قالوا: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضا من آل محمد، وينادي مناد من السماء: اتبعوه.

وبطلان هذا القول أظهر من أن يستدل عليه بدليل، وهم شرطوا في الإمام أن يكون معصوما اشتراطا من غير دليل.

[الرافضة أخسر الناس:]

هذا، والرافضة هؤلاء أخسر الناس صفقة في هذه المسألة؛ لأنهم جعلوا الإمام المعصوم هو الإمام المعدوم، الذي لم ينفعهم في دين ولا دنيا، فإنهم يدعون أنه الإمام المنتظر محمد بن الحسن العسكري، الذي دخل السرادب في زعمهم سنة ستين ومائتين أو قريبا من ذلك بسامراء، وقد يقيمون هناك دابة إما بغلة وإما فرسا، ليركبها إذا خرج، ويقيمون هناك في أوقات عينوها من ينادي عليه بالخروج، فيقول: يا مولانا اخرج، يا مولانا اخرج، ويشهرون السلاح، ولا أحد هناك يقاتلهم، إلى غير ذلك من الأمور التي يضحك عليهم منها العقلاء.

[توجيه الحج والجهاد مع البر والفاجر:]

وقوله: «مع أولي الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم»؛ لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلا بد من سائس يسوس الناس فيهما، ويقاوم العدوَّ، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر يحصل بالإمام الفاجر.

الأسئلة والأجوبة على أن الحج والجهاد مع ولاة الأمر

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين: برِّهم وفاجرِهم إلى قيام الساعة، لا يبطلها شيء ولا ينقضهما»؟

ج١: المسائل التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يبطلها شيء ولا ينقضهما» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- بطلان قول الرافضة في ذلك. ٢- الرافضة أخسر الناس.

٣- توجيه الحج والجهاد مع البر والفاجر.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين: برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يبطلها شيء ولا ينقضهما»؟

ج٢: يرى أهل السنة والجماعة الحج والجهاد باقيين مستمرين مع أمراء المسلمين البر والفاجر، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما، ولا يرفع حكم وجوبهما، وذلك إلى قيام الساعة، كل ذلك مع الأئمة العدول والجورة، فالجائر قوته للمسلمين، وجوره على نفسه، ما داموا باقين في حظيرة الإسلام، أما إن خرجوا من الإسلام فذلك شيء آخر.

س٣: وضِّح مناسبة ذكر الطحاوي لهذا المبحث في عقيدته؟

ج٣: ذكر الطحاوي ذلك لبيان مذهب أهل السنة، والرد على الروافض الذين حصروا وجوب الجهاد في أمور لا تتجاوز أصابع اليد، وأورد هذا البحث للرد عليهم، وألحق الحج والجهاد لما في كل منهما من السفر والمشقة.

س٤: تكلم عن مشروعية الحج مع ذكر الدليل؟

ج٤: الحج ركن من أركان الإسلام، أوجبه الله على المستطيع له مرة واحدة في

العمر، وقد دل على وجوبه الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

وأما السنة فأحاديث كثيرة منها: قوله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس:... وتحج البيت**»[1]، فقد دل على أنه ركن من أركان الإسلام.

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة على أن الحج ركن من أركان الإسلام، وعلى المستطيع أن يؤديه في العمر مرة واحدة.

س٥: وضح ما هو حكم الجهاد؟

ج٥: اختلف العلماء في حكمه:

فعند أهل السنة والجماعة أنه واجب مع كل أمير برا كان أو فاجراً، ووجوبه وجوب كفائي، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وقد يتعين أن يكون فرض عين على كل مكلف في بعض الحالات، والدليل على وجوبه:

١- قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فقد دلت الآية على أن القتال مما فرض عليهم، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، وقد أمر الله نبيه ﷺ بجهاد الكفار والأمر يقتضي الوجوب.

٢- من السنة ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**الصلاة المكتوبة واجبة خلف كل مسلم براً كان أو فاجراً، وإن عمل الكبائر**»[2].

وقوله ﷺ: «**الجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال**»[3].

أما دليل كونه واجباً كفائياً فرض كفاية، فهو فعل الرسول ﷺ، حيث لم يكن يصطحب معه كل أصحابه بل كان يتخلف بعضهم، ولو لم يكن وجوبه كفائيا لما تخلف عنه بعضهم، بل أمر بسير الجميع.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: دعاؤكم إيمانكم، برقم: ٨، ومسلم برقم: ٤٥.

(٢) أخرجه أبو داود برقم: (٥٩٤)، وقد ضعفه الألباني في إرواء الغليل برقم: (٥٢٧).
وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٥١٨٩)، وصحيح سنن الترمذي برقم: (٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود، ك: الجهاد، ب: في الغزو مع أئمة الجور، برقم: (٢٥٣٢)، وأبو يعلى في مسنده برقم: (٤٣١١، ٤٣١٢)، وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم: (٢٥٣٢)، وفي ضعيف سنن أبي داود برقم: (٤٣٧).

أما عند الرافضة فلا يجب إلا في حالات خمس:

١- مع الرسول ﷺ. ٢- مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٣- مع الحسن بن علي قبل صلحه مع معاوية رضي الله عنهما.

٤- مع الحسين بن علي رضي الله عنه. ٥- مع الإمام المعصوم المنتظر في زعمهم.

أما غير هؤلاء فلا يجب معهم الجهاد في زعمهم، وحجتهم في ذلك أن أمير الحرب لا بد أن يكون معصوماً، لكي لا تسفك دماء الأبرياء، وأما غيرهم فليس بمعصوم، فلا يجب الجهاد معهم.

والرد عليهم: هذا دليل مرفوض مردود بما يأتي:

١- عموم الأدلة الدالة على وجوب الجهاد، وليس فيها ما يدل على اشتراط العصمة.

وقولهم باشتراط العصمة غير وارد؛ لأنه يؤدي إلى استحالة الجهاد؛ إذ لا معصوم إلا الأنبياء عليهم السلام.

٣- مما يؤيد عدم الاشتراط قوله ﷺ: **«خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وشراركم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، قيل: ألا ننابذهم العداء يا رسول الله؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة»**[(١)]، فقد وصفهم الرسول ﷺ بأنهم شرار، ومع ذلك سماهم أئمة، ولو كانت العصمة مشترطة في الإمامة لما سماهم الرسول ﷺ أئمة.

س٦: يؤمن الشيعة بالإمام المنتظر، فمن هو؟ وماذا تعرف عنه؟

ج٦: هو الإمام محمد بن الحسن العسكري، وزعموا أنه دخل في سرداب في سامراء سنة مئتين وستين، (٢٦٠ هـ)، وأنه سيخرج في آخر الزمان فيملأ الدنيا عدلًا كما ملئت جورا، وذكروا أنهم يقيمون دابته بغلة أو فرساً ليركبها إذا خرج، ويقيمون هناك في أوقات عينوها فيها من ينادي عليه بالخروج، فيقول: يا مولانا اخرج، يا مولانا اخرج، ويشهرون السلاح، ولا أحد هناك يقاتلهم.

س٧: قال الطحاوي: «والحج والجهاد ماضيان» فما السر في أنه قرن بين الحج والجهاد؟

ج٧: لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلا بد من سائس يسوس الناس فيهما، ويقاومون العدو، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر فهو كذلك يحصل بالإمام الفاجر.

---

(١) تقدم تخريجه.

الإيمان بالكرام الكاتبين

قال الطحاوي: «ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين، ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الأدله من القرآن لإثبات الكاتبين:]

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]، وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧ - ١٨].

ثم إنه قد ثبت بالنصوص المذكورة أن الملائكة تكتب القول والفعل، وكذلك النية؛ لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٢].

[الدليل من السنة:]

ويشهد لذلك قوله ﷺ: «قال الله ﷻ: إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة، وإذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشراً»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «قالت الملائكة: ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة، وهو أبصر به، فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنةً؛ إنما تركها من جرَّائي»، خرّجاهما في الصحيحين، واللفظ لمسلم(٢).

وقوله: «ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين»

[إضافة التوفي إلى ملك الموت وغيره:]

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]،

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، برقم: (١٢٨)، من حديث أبي هريرة، ورواه البخاري بنحوه، ك: التوحيد، ب: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، برقم: (٧٥٠١).

(٢) تقدم تخريجه.

وهذه الآية لا تعارض قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]؛ لأنَّ ملك الموت يتولى قبضَها واستخراجَها، ثم يأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، ويتولَّونها بعدَه، كل ذلك بإذن اللهِ وقضائه وقدره، وحكمه وأمره، فصحَّت إضافة التوفِّي إلى كلٍّ بحسبه[1].

توضيح كلام الطحاوي وابن أبي العز، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: المسائل العقدية التي ذكرها ابن أبي العز في شرحه.

تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين، ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين» لمسائل عدة أجملها في المسائل الآتية:

١- الدليل من القرآن لإثبات الكرام الكاتبين.

٢- الدليل من السنة.

٣- إضافة التوفي إلى ملك الموت وغيره.

المطلب الثاني: شرح كلام الطحاوي.

معنى قول الطحاوي: «ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين» أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بوجود ملك الموت الذي كلفه الله تعالى بقبض أرواح العالمين من الثقلين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]، ونسبة التوفي إلى ملك الموت باعتبار أنه هو الذي يباشر قبض الروح بإذن الله تعالى، ولما كان ذلك بإذن الله تعالى وإرادته نسب التوفي إلى الله تعالى أيضاً إذ هو الفاعل في الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، ولا تعارض أبداً، فملك الموت يقبض الأرواح التي يأمره الله بها، وهو من أعظم الملائكة خلقاً، ولم يرد له اسم محدد في الكتاب والسنة، وما ورد في ذلك فلا يصح عن رسول الله ﷺ، وإنما هو من كلام أهل الكتاب.

وحاصل كلام الطحاوي على وجه التفصيل:

أن أهل السنة والجماعة يعتقدون بوجود ملك الموت، وأنه يقبض الأرواح بإذن

---

(١) انظر: التذكرة للقرطبي (١/ ٨٦).

الله، وقدره، فإذا جاء أجل أحد يأتي ملك الموت، ويجلس عند رأسه، فإن كان مؤمنا فيقول: أيتها النفس اخرجي إلى مغفرة الله ورضوانه، فتخرج الروح كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها منه ملائكة الرحمة، وإن كان كافراً فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط الله، وغضبه، فتتفرق، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها منه ملائكة العذاب.

فأهل السنة يصدقون بهذا كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

وقال: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

وقال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧].

وقد جاء في حديث البراء بن عازب الطويل مرفوعاً: «إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض...

ثم قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن

ريح جيفة وجدت على وجه الأرض»[١].

وكذلك جاء في حديث أم سلمة قالت: «دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة، وقد شق بصره فأغمضه، ثم قال: إن الروح إذا قبض تبعه البصر، فضج ناس من أهله، فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونور له فيه»[٢].

وفي حديث أبي هريرة مرفوعا: «أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه، وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غطت به يده، بكل شعرة سنة، قال: أي رب، ثم ماذا، قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر»[٣].

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «جاء ملك الموت إلى موسى، فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، قال: فرد الله إليه عينه»، وذكر الحديث بطوله.

قال ابن قتيبة: «لما تمثل ملك الموت لموسى عليه السلام، وهذا ملك الله، وهذا نبي الله وجاذبه، لطمه موسى لطمة أذهبت العين التي هي تخييل وتمثيل وليست حقيقة، وعاد ملك الموت عليه السلام إلى حقيقة خلقته الروحانية كما كان، لم ينتقص منه شيء»[٤].

وذكر في وصف ملك الموت أنه يأتي على كل إنسان في كل يوم عدة مرات، ويتصفح بيوتهم فمن وجد منهم قد استوفى رزقه وانقض أجله قبض روحه، فقد أورد القرطبي في التذكرة عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: «نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦)، وأبو داود الطيالسي برقم: (٧٤٣)، والحاكم (١ / ٣٧ - ٤٠)، وغيرهم، وصححه الحاكم، والذهبي، والألباني. انظر: صحيح الجامع الصغير برقم: (١٦٧٦).

(٢) أخرجه مسلم، ك: الجنائز، ب: في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر، برقم: (٩٢٠)، والإمام أحمد في مسنده (٦/ ٢٩٧).

(٣) أخرجه البخاري، ك: الجنائز، ب: من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها برقم: (١٣٣٩)، ومسلم، ك: الفضائل، ب: من فضائل موسى عليه السلام، برقم: (٢٣٧٢).

(٤) تأويل مختلف الحديث (ص ١٨٧).

عند رأس رجل من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: ارفق بصاحبي فإنه مؤمن، فقال ملك الموت: يا محمد طب نفساً وقر عيناً فإني بكل مؤمن رفيق، وأعلم أن ما من أهل بيت مدر ولا شفر في بر ولا بحر إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات؛ لأنا أعرف بصغيرهم، وكبيرهم منهم لأنفسهم، والله يا محمد لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله الآمر بقبضها»(١).

وروى أبو نعيم بسنده عن ثابت البناني قال: «الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، ليس فيها ساعة تأتي على ذي روح إلا وملك الموت قائم عليها، فإن أمر بقبضها قبضها، وإلا ذهب، وهذا عام في كل ذي روح»(٢).

ولكن هذه الأقوال ليس عليها دليل من قرآن ولا سنة، ونحن نصف ملك الموت كما جاء وصفه في الآيات والأحاديث، وننتهي في صفاته إلى حيث ما وصف الله بنا ورسوله ﷺ، ولا ينبغي لنا فيه القول بالآراء، فإن هذا من الأمور الغيبية التي لا يطلع عليها إلا الله.

ثم إن أهل السنة يقررون أن لملك الموت أعواناً من الملائكة يأخذون أرواح البشر من ملك الموت بعد قبضه إياها، ويصعدون بها إلى السماء، كما ورد ذلك عن ابن عباس، وقتادة، والحسن، وسفيان(٣).

فثبت أن ملك الموت هو الذي يتولى قبض الأنفس بأمر الله، وله أعوان يساعدونه، ويشاركونه في عمله(٤).

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، فلا تعارض بين هذه الآيات الثلاث؛ لأن التوفي في اللغة مأخوذ من توفيت الدين واستوفيته إذا قبضته، ولم يدع منه شيئاً، فتارة يضاف التوفي إلى ملك الموت؛ لأنه هو الذي يباشر قبض الأرواح، ويتولى قبضها واستخراجها، وتارة إلى أعوانه من الملائكة؛ لأنهم قد يتولون ذلك أيضاً، ويأخذون

(١) التذكرة (ص ٦٧). (٢) المرجع السابق (ص ٦٩).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٢١٦، ٨/ ١٦٨، ١٤/ ١٠١).
(٤) انظر: أصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص٤٧١ -٤٧٧).

منه الروح، ثم يرفعون بها إلى السماء، وتارة إلى الله تعالى؛ لأن كل ذلك بإذن الله وقضائه وقدره، وحكمه وأمره، وهو المتوفي على الحقيقة، كما قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الحج: ٦٦]، وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢]، فكل مأمور من الملائكة فإنما يفعل ما يفعل بأمره سبحانه[١].

وقد ورد ذكر ملك الموت في القرآن والحديث في عدة مواضع، ولكن لم يصرح باسمه، وقد ذكر بعض الناس كالقاضي عبد الرحيم في دقائق الأخبار، والسيوطي في الحبائك أن اسمه عزرائيل، ولكن لم يثبت ذلك بنص صحيح يؤيد ذلك[٢].

وأما ما ذكره القرطبي في التذكرة والسيوطي في الحبائك: «أنه لما أراد الله خلق الإنسان أرسل جبريل ليأتيه من تربة الأرض فأتاها ليأخذ منها، فاستعاذت بالله من ذلك، فأعاذها، فأرسل ميكائيل فاستعاذت منه، فأعاذها، فبعث عزرائيل فاستعاذت منه، فلم يعذها، فأخذ منها، فقال الرب ﵎: أما استعاذت بي منك، قال: نعم، قال: فهلا رحمتها كما رحمها صاحباك، قال: رب طاعتك أوجب علي من رحمتي إياها، قال الله: اذهب فأنت ملك الموت، سلطتك على قبض أرواحهم، فبكى، فقال: ما يبكيك، فقال: يا رب إنك تخلق من هذا الخلق أنبياء، وأصفياء، ومرسلين، وإنك لم تخلق خلقاً أكره إليهم من الموت، فإذا عرفوني أبغضوني وشتموني قال الله تعالى: إني سأجعل للموت عللا وأسباباً ينسبون الموت إليها، ولا يذكرونك معها، فخلق الله الأوجاع وسائر الحتوف»[٣].

وكل هذا شبيه بالإسرائيليات التي فيها التصريح بأسماء بعض الملائكة، لكن نكتفي بتسميته: ملك الموت.

مطلب في شرح كلام الطحاوي في الإيمان بالملائكة.

دلت نصوص الكتاب والسنة على أن من الملائكة الكاتبين الكريمين اللذين يكتبان أعمال العباد من الخير والشر، ليدون ذلك في كتب أعمالهم الخاصة، وتجزى كل نفس عما عملت وتكون الحجة لله عليهم يوم الحساب، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

---

(١) التذكرة (ص ٦٢).

(٢) انظر: دقائق الأخبار (ص ٥)، الحبائك (ص ٣٤). (٣) انظر: التذكرة (ص ٧٠)، الحبائك (ص ٣٤).
ورواه الطبري في تاريخه (١/ ٩٠)، كما أورده المسعودي في مروج الذهب (١/ ٣٠ - ٣١)، إلا أنهما لم يحددا اسمه عزرائيل، وسمياه ملك الموت.

فأهل السنة يؤمنون بالملائكة الكرام الكاتبين، ويصدقون بما جاء عنهم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقال: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨]، وقال: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١].

وجاء في الحديث عن عبد الله مرفوعاً: **«ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة، قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: وإياي، ولكن الله أعانني عليه، فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»**(١).

وعن أبي هريرة مرفوعاً: **«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر، وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وآتيناهم وهم يصلون»**(٢).

وذكر الحافظ ابن حجر أنهم الحفظة، كما نقل ذلك القاضي عياض وغيره عن الجمهور(٣).

فالحفظة يكتبون كل ما يصدر من الإنسان من قول أو فعل حتى النية، فإنها من عمل القلب، كما جاء في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله ﷻ: إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا هم بحسنة فلم يعملها، فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرا»**(٤).

وفي رواية: **«قالت الملائكة: ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به، فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جرّاي»**(٥).

وذكر ابن جرير في تفسير عن ابن عباس قال: جعل الله على ابن آدم حافظين في

---

(١) أخرجه مسلم، ك: صفات المنافقين، وأحكامهم، ب: تحريش الشيطان، برقم: (٢٨١٤)، وأحمد في المسند (١/ ٤٠١).

(٢) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه.

(٣) انظر: فتح الباري (٢/ ٣٥).

(٤) أخرجه البخاري، ك: الدعوات، ب: من هم بحسنة أو سيئة، برقم: (٦٤٩١)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب، برقم: (١٢٨).

(٥) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب، برقم: (١٢٩).

الليل، وحافظين في النهار يحفظان عليه أمره، ويكتبان أثره.

وذكر مجاهد أن الملك الذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات[(١)].

وقال الإمام أحمد: للعبد ملائكة يحفظونه بأمر الله تعالى، يشير إلى قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١][(٢)].

وروى الطبري بإسناد حسن عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ [الرعد: ١١]، قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدره خلوا عنه[(٣)].

وقال ابن حمدان: الرقيب والعتيد ملكان موكلان بالعبد، ويجب أن نؤمن بهما، ونصدق بأنهما يكتبان أفعاله، كما قال تعالى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ۝١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٧ - ١٨]، وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، ولا يفارقان العبد بحال، وقيل: بل عند الخلاء[(٤)].

هكذا ورد عن بعض السلف في الحفظة، ولكن الصحيح أنهما اثنان لكل واحد، وأنهما يكتبان كل شيء من الخير والشر، حتى يكتبان أنين المريض، كما ذهب إلى ذلك أكثر علماء أهل السنة[(٥)].

قال مجاهد: يكتبان عليه حتى أنينه في مرضه[(٦)].

وقال مالك: يكتبان على العبد كل شيء حتى أنينه في مرضه[(٧)].

وقد ورد عن الإمام أحمد أنه كان يئن في المرض الذي مات فيه، فبلغه عن طاوس أن الحفظة يكتبون كل شيء حتى أنينه، فلم يئن رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتى مات[(٨)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٦/ ١٥٩).
(٢) لوامع الأنوار (١/ ٤٤٨).
(٣) تفسير الطبري (١٣/ ١١٥).
(٤) لوامع الأنوار (١/ ٤٤٨).
(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٤).
(٦) أخرجه ابن المنذر - كما في الدر المنثور - للسيوطي (٦/ ١٠٤).
(٧) أخرجه الخطيب في رواة مالك وابن عساكر عن مالك كما في الدر المنثور للسيوطي (٦/ ١٠٤).
(٨) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٤).

الأسئلة والأجوبة على الإيمان بالكرام الكاتبين

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- الدليل القرآني لإثبات الكاتبين.

٢- الدليل من السنة:

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين»؟

ج٢: يؤمن أهل السنة والجماعة بالملائكة الكرام الكاتبين، الذين جعلهم الله تعالى حفظة علينا، يحصون علينا جميع أقوالنا وأفعالنا، ولا يفارقوننا إلا عند الخلاء والجماع، وهم المذكورون في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١١].

ومنهم: رقيب وعتيد الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

س٣: ما المراد بالكرام الكاتبين؟ وما سبب تسميتهم بذلك؟

ج٣: الكرام الكاتبون: هم صنف من ملائكة الله ﷻ، كلفهم الله سبحانه بكتابة أقوال العباد، وأفعالهم،ونياتهم.

وسموا كاتبين لقيامهم بكتابة تلك الأشياء، كما سموا كراماً لكرامتهم، وليستشعر الإنسان الحياء إذا أراد أن يواقع المعصية أو يسوفها أو يتبذلها، فهو يستحي من كرام الناس أن يفعل معصية أمامهم، فكيف من يحضر من كرام الملأ الأعلى.

س٤: ما حكم الإيمان بالكرام الكاتبين؟ وما دليل وجودهم؟

ج٤: الإيمان بهم واجب، بل هو ركن من أركان الإيمان، ذلك لأن الكرام الكاتبين صنف من الملائكة، ومن أركان الإيمان: الإيمان بالملائكة بجميع أصنافهم، فدل ذلك على وجوب الإيمان بهم، والأدلة على وجودهم كثيرة:

١- من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١١].

وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨].

وكذلك قوله جل وعلا: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقوله: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١].

٢- ومن السنة قوله ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح، وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين كانوا فيكم فيسألهم، والله أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وفارقناهم وهم يصلون**»(١).

وفي الحديث الآخر: «**إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع، فاستحيوا منهم، وأكرموهم**»(٢).

س٥: كم عدد الكرام الكاتبين؟

ج٥: جاء في بعض كتب التفسير أن عدد الكرام الكاتبين الموكلين بالشخص أربعة، اثنان بالليل، واثنان بالنهار، واحد منهم عن يمين الشخص، لكتابة حسناته، والآخر على يسار الشخص لكتابة سيئاته.

وقد ورد أن النبي ﷺ قال: «**فإذا عمل الشخص حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا، وإذا عمل سيئة، قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يستغفر أو يسبح**»(٣).

وقد ورد أيضاً أن لكل إنسان أربعة ملائكة موكلين به لحفظه، اثنان منهم أمامه، واثنان عن خلفه.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، برقم: (٧٤٢٩)، ومسلم، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، برقم: (٦٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب الأدب، ب: ما جاء في الاستتار عند الجماع، برقم: (٢٨٠٠)، ولفظه: «**إياكم والتعري فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط، وحين يفضي الرجل إلى أهله فاستحيوهم وأكرموهم**». وهو ضعيف. انظر: الإرواء برقم: (٦٤)، المشكاة برقم: (٣١١٥)، ضعيف الجامع الصغير برقم: (٢١٩٤).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم: (٧٧٨٧، ٧٩٧١)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: (٥١٨٩). وهو ضعيف جداً. انظر: ضعيف الجامع الصغير برقم: (٣٤٦٣).

رُوي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد: ١١]، أنه قال: يحفظونه من المصائب التي لم تقدر عليه.

فعلى هذا يكون عدد الموكلين بالشخص ثمانية، أربعة منهم: كتبة، وأربعة منهم حفظة، هذا هو المشهود، وإلا هناك أقوال أخرى.

س٦: وضِّح الأمور التي يكتبها الكرام الكاتبون؟

ج٦: ورد في النصوص أنهم يكتبون الأقوال، والأفعال، والنيات، أما دليل كتابة الأقوال: فقوله تعالى: ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٧ - ١٨].

وأما دليل كتابتهم للنيات فمفهوم من قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٢]، بنية فعل القلب.

وقد ورد أنه ﷺ قال حكاية عن ربه: **«إذا همَّ عبدي بحسنة ولم يعملها فاكتبوها حسنة، وإن عملها فاكتبوها عشراً، وإذا همَّ بسيئة ولم يعملها فلا تكتبوها، وإن عملها فاكتبوها سيئة»**[(١)].

وقد ورد: «أنه إذا ترك عمل السيئة كتبت له حسنة».

س٧: قال ﷺ في حق قرينه: «**ولكن الله أعانني عليه فأسلم**» فما المقصود بهذا الكلام؟

ج٧: روى مسلم بسنده أن رسول الله ﷺ قال: **«ما منكم من أحد إلا وقد وكل قرينه من الملائكة وقرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: وإياي، لكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»**[(٢)].

وقد ورد في قوله: «فأسلم» روايتان: بالضم:فأُسلم، وبالفتح فأَسلم.

وقد قال النووي: هما روايتان مشهورتان. وإن قال الشارح: ومن رواه بالضم فقد حرف لفظه.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، ك: الرقاق، ب: من هم بحسنة أو سيئة، برقم: (٦٤٩١)، وك: التوحيد، ب: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾]الفتح: ١٥ [، برقم: (٧٥٠١)، صحيح مسلم، ك: الإيمان، ب: إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، برقم: (١٢٨).

(٢) أخرجه مسلم، ك: صفات المنافقين، وأحكامهم، ب: تحريش الشيطان، برقم: (٢٨١٤)، وأحمد في المسند (١/ ٤٠١).

فأما على رواية الرفع فالضمير في الفعل يعود إلى الرسول ﷺ، أي: فأنا أسلم منه، والمعنى: فأسلم من تأثيره ووساوسه.

وأما رواية النصب فقد اختلف في توجيهها.

١- فقيل: المعنى: فاستسلم وانقاد لي، فلا يوسوس بشر، وقد رجحه الشارح.

٢- وقيل: المعنى: أسلم، أي: دخل في الإسلام.

ويدل على ذلك آخر الحديث، حيث قال ﷺ: «**فلا يأمرني إلا بخير**».

وهذا يدل على أن القرين قد أسلم، إذ الكافر لا يأمر بخير.

وقد اعترض الشارح على هذا المعنى بقوله: ومن قال إن الشيطان صار مؤمنا، فقد حرَّف معناه، فإن الشيطان لا يكون مؤمنا.

قال الشيخ أحمد شاكر: وادعاء الشارح هذا تحريف للمعنى نظراً لما يأتي:

أولا: اللفظ من الحديث: «**قرينه من الجن**»، ولم يقل: شيطانه.

ثانياً: إن الجن فيهم المؤمن والكافر، والشياطين هم كفارهم، فمن آمن منهم لم يسم شيطاناً.

س٨: ماذا تعرف عن ملك الموت؟

ج٨: هو ملك من ملائكة الله ﷻ، أسند الله إليه قبض أرواح العباد، وقد ورد في بعض الآثار أن اسمه عزرائيل، ولم يثبت ذلك في حديث صحيح مرفوع إلى النبي ﷺ.

س٩: ما حكم الإيمان بملك الموت؟ دلل لما تقول.

ج٩: الإيمان بملك الموت واجب؛ لأنه واحد من الملائكة، والتصديق بالملائكة ركن من أركان الإيمان، فيجب الإيمان بملك الموت، ومن لم يؤمن به لم يكن مؤمنا بملائكة الله جميعهم.

الدليل على وجوده:

قد دل على وجوده الكتاب والسنة:

١- أما الكتاب فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، فقد أسند الله التوفي إلى ملك الموت، والإسناد لا يكون إلا إلى موجود، فملك الموت موجود.

٢- ومن السنة قوله ﷺ: «**إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من**

الدنيا، نزلت ملائكة كأن وجوههم الشمس، ومعهم أكفان من الجنة، وحنوط من الجنة، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، فيجلس عند رأسه فيقول: يا أيتها النفس الطيبة: اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان من الله...» الحديث(١).

فقد أسند الرسول ﷺ قبض الأرواح إلى ملك الموت، والإسناد لا يكون إلا إلى موجود، فدل على أن ملك الموت موجود.

س١٠: لقد أضاف الله التوفي إلى نفسه وإلى الملائكة مرة، وإلى ملك الموت مرة، فكيف تجمع بين هذه النصوص؟

ج١٠: ورد إضافة توفي الأنفس إلى الله، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

وإلى ملك الموت، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

وإلى الملائكة في قوله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

الجمع بين هذه الإضافات الثلاث:

لا تعارض بين هذه الآيات؛ وذلك لأن الله أضاف توفي الأنفس له سبحانه؛ لأنه هو الآمر بذلك، فلا تتوفى الأنفس إلا بأمره.

وإضافته إلى ملك الموت؛ لأنه هو الذي يتولى قبض الروح واستخراجها.

وإضافة التوفي إلى الملائكة؛ لأن ملائكة الرحمة وملائكة العذاب لا يدعون الروح في يد ملك الموت بعد الوفاة طرفة عين، حتى يجعلونها في الكفن، والحنوط المعد لها من الجنة إذا كان مؤمنا، أو يضعونها في المسوح إذا كان المتوفى كافراً، فإضافة التوفي إلى كلٍّ بحسبه، ولذلك فلا تعارض بين هذه الآيات.

الإيمان بما يكون في القبر

قال الطحاوي: «وبعذاب القبر لمن كان له أهلًا، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه

---

(١) تقدم تخريجه.

ودينه ونبيِّه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الأدلة بما يكون في القبر:]

قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]، وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٥-٤٧]، وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ، وهو أظهر؛ لأن كثيراً منهم مات، ولم يعذب في الدنيا، أو المراد أعم من ذلك.

[الدليل من السنة على عذاب القبر:]

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقول له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما جميعا»[1].

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ: «مر بقبرين فقال: إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، فدعا بجريدة رطبة فشقها نصفين، وقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»[2].

وفي صحيح أبي حاتم ابن حبان عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «إذا قبر أحدكم أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير» وذكر الحديث[3].

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الجنائز، ب: ثناء الناس على الميت، برقم: (١٣٧٤)، ومسلم، ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار، برقم: (٢٨٧٠).

(٢) أخرجه البخاري، ك: الوضوء، ب: من الكبائر أن لا يستتر من بوله، برقم: (٢١٦)، ومسلم، ك: الطهارة، ب: الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، برقم: (٢٩٢).

(٣) أخرجه الترمذي، أبواب الجنائز، ب: ما جاء فيمن يقتل نفسه لم يصل عليه، برقم: (١٠٧١)، وابن حبان برقم: (٣١٠٧)، والبزار برقم: (٨٤٦٢)، وقد صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (١٣٩١)، وصحيح الجامع الصغير برقم: (٧٢٤).

[أخبار عذاب القبر ونعيمه متواترة:]

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته؛ إذ ليس للعقل وقوفٌ على كيفيته؛ لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تُحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول.

[سؤال القبر للروح والبدن جميعاً:]

وليس السؤال في القبر للروح وحدها، كما قال ابن حزم وغيره، وأفسد منه قول من قال: إنه للبدن بلا روح، والأحاديث الصحيحة ترد القولين، فالصحيح أنه للروح والجسد.

[عذاب القبر للروح والبدن جميعاً:]

وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً، باتفاق أهل السنة والجماعة، تُنَعَّم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به.

[عذاب القبر هو عذاب البرزخ:]

واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحقٌّ للعذاب، قُبر أو لم يُقبر، أكلته السباع، أو احترق حتى صار رمادا ونسف في الهواء، أو صلب، أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور.

[أنواع الدور ولكل دار أحكامها:]

فالحاصل أن الدور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار.

وقد جعل الله لكل دارٍ أحكاماً تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبعٌ لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبعٌ لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد، وقيام الناس من قبورهم صار الحكم النعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً.

فإذا تأملت هذا المعنى حقَّ التأمل ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار مطابقٌ للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم.

[نار القبر غير نار الدنيا:]

ويجب أن يعلم أن النار التي في القبر والنعيم، ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها.

[الخلاف في مسألة استمرار عذاب القبر:]

هذا، وقد اختلف في مسألة مهمة وهي: هل يدوم عذاب القبر أو ينقطع؟ جوابه: أنه نوعان: منه ما هو دائم كما قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

والنوع الثاني: أنه مدة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه.

توضيح كلام الطحاوي وابن أبي العز، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: المسائل العقدية التي ذكرها ابن أبي العز في شرحه.

تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «وبعذاب القبر لمن كان له أهلًا، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيِّه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- الأدلة بما يكون في القبر. ٢- الدليل من السنة على عذاب القبر.

٣- أخبار عذاب القبر ونعيمه متواترة. ٤- سؤال القبر للروح والبدن.

٥- عذاب القبر للروح والبدن معاً. ٦- عذاب القبر هو عذاب البرزخ.

٧- أنواع الدور ولكل دار أحكامها. ٨- نار القبر غير نار الدنيا.

٩- الخلاف في مسألة استمرار عذاب القبر.

المطلب الثاني: شرح كلام الطحاوي.

معنى قول الطحاوي: «وبعذاب القبر لمن كان له أهلًا، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيِّه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم» يتمثل في أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بأن في القبر عذاباً حقيقياً يقع على الكفار والمنافقين، وعلى من شاء الله من فسقة المسلمين، وليس المراد من القبر هذه الحفرة في الأرض، بل المراد عالم البرزخ، فالمسيء يعذب في البرزخ سواء كان في الحفرة في باطن الأرض، أو في البحر في بطون الحيتان، أو في حواصل الطيور، أو في بطون السباع، وغيرها، ويؤمنون بأن ذلك جزاء عادل لهم، وأنهم يستحقون لك، ويؤمنون بأن المنكر والنكير، وهما ملكان غليظان، يباشران سؤال كل إنسان في قبره، عن ربه ودينه ونبيه، وكل هذه الأخبار ثبتت عن رسول الله ﷺ بطريق التواتر، فوجب اعتقاد ما دلت عليه.

وحاصل كلام الطحاوي على وجه التفصيل يتمثل في الأمور التالية:

أولا: عذاب القبر ونعيمه[(١)].

من أمور الاعتقاد التي يثبتها أهل السنة والجماعة: الإيمان بعذاب القبر وفتنته، والتصديق به، كما أخبر عنه الله في كتابه العظيم، ورسوله ﷺ في سنته المطهرة.

فالله تعالى بقدرته يرد العبد المكلف إلى الحياة في قبره، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه، ليعقل ما يسأل عنه، وما يجيب به، ويفهم ما آتاه ربه، وما أعد له في قبره من نعيم أو عذاب.

وبهذا وردت الأخبار من الكتاب والسنة، وهو مذهب أهل السنة والسلف الصالح.

قال المروزي: قال أبو عبد الله: عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل.

وقال حنبل: قلت لأبي عبد الله في عذاب القبر، فقال: هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها، كلما جاء عن النبي ﷺ إسناد جيد أقررنا به، إذا لم نقر بما جاء به رسول الله ﷺ ودفعناه ورددناه، رددنا على الله أمره، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧].

قلت له: وعذاب القبر حق؟ قال: حق يعذبون في القبور، قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: نؤمن بعذاب القبر، وبمنكر ونكير، وأن العبد يسأل في قبره، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وفي الآخرة[(٢)].

وقال ابن أبي عاصم: «وصحت الأخبار عن رسول الله ﷺ في استعاذته من عذاب القبر وتعوذه منه، وثبت عنه ﷺ أن أمته ستبتلى في قبورها، وهي أخبار ثابتة توجب العلم، وتنفي الريب والشك»[(٣)].

قال البيهقي: وأن عذاب القبر حق، ومسألة أهل القبور حق، والبعث والحساب، والجنة والنار، وغير ذلك مما جاءت به السنن وظهرت على ألسنة العلماء وأتباعهم من بلاد المسلمين حق[(٤)].

وقد استدل أهل السنة على مذهبهم في إثبات عذاب القبر بنصوص من كتاب الله تعالى، وبما ثبت في السنة من الأحاديث التي بلغت حد التواتر.

---

(١) أصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص٤٩٧ - ٥٠٩).

(٢) الروح (ص ٥٧). (٣) السنة (٢/ ٤٢٥).

(٤) إثبات عذاب القبر (ص ١١١).

فقد رواها عن النبي ﷺ من الصحابة نيف وعشرون صحابياً، كما ذكر ذلك البيهقي في كتاب البعث والنشور، وفي إثبات عذاب القبر، فمن الآيات التي استدل بها أهل السنة على إثبات عذاب القبر:

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

فقد أخبر أنهم بعد موتهم يعذبون بكرة وأصيلًا يعرضون على النار، ثم قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾، فثبت أنهم يعذبون يوم القيامة أشد مما كان قبله في القبر.

ومنها قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

وقد ذكر المفسرون أن المراد بالعذاب مرتين: عذاب في الدنيا وعذاب في القبر، ثم يردون إلى عذاب عظيم، أي: عذاب في الآخرة[(١)].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٧٤].

فإن بعض المفسرين قالوا: إن المقصود من العذاب في هذه الآية هو عذاب القبر.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، فالمعيشة الضنك هي عذاب القبر كما ورد في ذلك أخبار مرفوعة وموقوفة.

وأما الأحاديث الدالة على إثبات عذاب القبر فكثيرة، ومتواترة، كما سبق أن ذكرنا، ومنها:

حديث ابن عباس، قال: «مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال: إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، فدعا بجريدة رطبة فشقها نصفين، وقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»[(٢)].

وعن أنس مرفوعاً: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر»[(٣)].

ومنها: حديث اليهودية، وفيه: أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن يتعوذوا بالله من عذاب القبر[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ١١ - ١٢). (٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم، ك: الجنة وصفة نعيمها، وأهلها، ب: عرض مقعد الميت عليه وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه، برقم: (٢٨٦٧).

(٤) أخرجه البخاري، ك: الكسوف، ب: التعوذ من عذاب القبر في الكسوف، برقم: (١٠٤٩)، ومسلم، ك: الكسوف، ب: ذكر عذاب القبر في صلاة الكسوف، برقم: (٩٠٣).

فهذه النصوص من الكتاب والسنة كلها تدل على أن الميت يسأل في قبره، فالكافر يفتن ويعذب بما يستحقه من ذلك، وأما العبد المؤمن فإن الله يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة كما أخبر سبحانه.

قال الآجري: ما أسوأ حال من كذب بهذه الأحاديث، لقد ضل ضلالا بعيدا، أو خسر خسرانا مبينا(١).

وهل يقع عذاب القبر ونعيمه على الروح فقط؟ أم على الروح والبدن معاً؟ أم على البدن فقط؟

اختلف الناس في ذلك، فذهب أهل السنة إلى أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة، أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً، ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين.

وذهب قوم إلى أن فتنة القبر وعذابه إنما هي للروح فقط دون البدن، فالله سبحانه وتعالى ينعم الأرواح ويؤلمها، وأما الأجسام فلا يصل إليها النعيم أو العذاب، سواء قبر أو لم يقبر، وبه قال ابن حزم(٢).

وذهب جماعة إلى أن العذاب في القبر يجري على الجسد من غير رد الأرواح، والميت يجوز أن يألم ويحس ويعلم بلا روح؛ لأن الروح تنعدم بالموت، ولا تتألم بعقاب، ولا تنعم بثواب، ما دام الجسد في القبر، إلى أن يعاد في وقت الحشر، وهو رأي ابن جرير، وعبد الله بن كرام.

وبه قال الصالحي من المعتزلة وجماعة من الكرامية(٣).

وهذا القول أفسد من الأول.

وقد أجاب عن هذين القولين شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ودحضا شبه الطائفتين بالأدلة القوية(٤).

---

(١) الشريعة (ص ٣٦٤).

(٢) الفصل (٤/ ٦٧)، الروح (ص ٤٢)، فتح الباري (٣/ ٤٧٧).

(٣) انظر: التذكرة (ص ١٢٨)، شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/ ٢٠١)، الروح (ص ٤٣)، فتح الباري (٣/ ٤٧٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٢-٢٨٥)، شرح حديث النزول (ص ٨٨)، الروح (ص ٤٣).

وأثبت الجبائي والبلخي عذاب القبر، ولكنهم نفوه عن المؤمنين، وأثبتوه للكفار وأصحاب الكبائر من المؤمنين الذين يخلدون في النار.

وقال قوم: إن العذاب يكون بين النفختين، وأن سؤال الملكين يقع في تلك الأوقات، وإليه ذهب أبو الهذيل من المعتزلة، وبشر من الجهمية، وجماعة(١).

وقد أنكرت جماعة عذاب القبر، وقالت: إنا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة يضربون الناس بمطارق من حديد، ولا نجد فيه حيات ولا ثعابين، ولا عقارب ولا نيران.

وقالوا: لو كشفنا القبر نجد لحده ضيقاً، ونجد مساحته على حد ما حفرناها، ولم يتغير، فكيف تسعه وتسع الملائكة له، وإنما ذلك كله إشارة إلى حالات ترد على الروح من العذاب الروحاني.

كما أننا نشاهد الميت على سريره وهو لا يجيب سائلا ولا يتحرك.

وأيضاً قالوا: من افترسته السباع، ونهشته الطيور، وتفرقت أجزاؤه في أجواف الطير، وبطون الحيتان في البحار، أو من احترق جسده؟ فكيف تجتمع أجزاؤه؟ أم كيف تتألف أعضاؤه؟ وكيف يتصور مسألة الملكين لمن هذا وصفه؟ ثم يصير القبر على من هذا حال روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار.

وهذا قول بعض الفلاسفة، وجماعة من الملاحدة(٢).

كما أنكرت الجهمية، وضرار بن عمرو، ويحيى بن كامل، وبشر المريسي عذاب القبر أصلا، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦].

ويعني ذلك عندهم: استحالة رجوع الروح قبل يوم القيامة، وبهذا تكون عقيدة عذاب القبر منتفية عندهم؛ لأنها تعني: أن روح الإنسان تعود إليه في القبر، وهذا منتف عندهم، ومن هنا فإنهم يتفقون مع الملاحدة في إنكارهم عذاب القبر(٣).

ولكن هذه الشبهات التي أثاروها حول عذاب القبر شبهات فاسدة؛ لأن أحوال المقابر وأهلها غير أحوال الدنيا وأهلها، وهو من الأمور الغيبية التي لا يطلع عليها إلا الله، فلا تقاس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا، وهذا مما لا خلاف فيه، ولو لم يخبرنا

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص ٧٣٢)، أصول الدين للبغدادي (ص ٢٤٥)، وراجع: التذكرة (ص ١٢٨).
(٢) انظر: التذكرة (ص ١٢٩)، الروح (ص ٥٨-٦٢).
(٣) التنبيه والرد (ص ١١٨)، التبصير في الدين (ص ٦٣)، الغنية (١/ ٩٠).

الرسول ﷺ عن هذه الأمور لما عرفنا.

فيجب التصديق والإيمان بما جاء به الكتاب والسنة.

وقد أجاب أهل العلم عن شبهات الملاحدة:

قال النووي: «أن ذلك غير ممتنع بل له نظير في العادة، وهو النائم، فإنه يجد لذة وآلاما لا نحس نحن شيئا منها، وكذا يجد اليقظان لذة وآلاما لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يشاهد ذلك جليسه منه، وكذا كان جبرائيل يأتي النبي ﷺ فيخبره بالوحي الكريم ولا يدركه الحاضرون، وكل هذا ظاهر جلي.

قال أصحابنا: وأما إقعاده المذكور في الحديث، فيحتمل أن يكون مختصا بالمقبور دون المنبوذ، ومن أكلته السباع والحيتان، وأما ضربه بالمطارق فلا يمتنع أن يوسع له في قبره فيقعد ويضرب»(١).

وقال الجويني رداً على هؤلاء المنكرين: «ليس ذلك من مستحيلات العقول، فإن القادر على الخلق والإعادة والإحياء والإماتة إذا أراد رد الأرواح إلى قوالبها ردها.

ثم الوجه عندي في ذلك أن يقال: الفاهم من الإنسان في حياته أجزاء لطيفة من قلبه أو من دماغه، وجوارح العمل مستخدمة لتلك الأجزاء الفاهمة المدبرة لليد، والرجل، واللحوم، والعضل، والعظام حظ من العلم، فلعل الله تعالى هو العالم بسر غيبه يرد الروح إلى تلك الأجزاء اللطيفة، وبميلها إلى صورة ما شاءها، سؤال الملكين يتوجه عليها، وهي التي كانت تفهم استمرار الحياة، وهذا يدرأ تمويه الملاحدة»(٢).

وأيضا أجاب عنها: الغزالي، والقرطبي، وابن القيم، وابن حجر(٣).

وقد نسب بعض أهل العلم إلى المعتزلة القول بإنكار عذاب القبر وفتنته، وقالوا: إن المعتزلة أنكروا عذاب القبر أصلا(٤).

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٧/ ١٠٢). (٢) العقيدة النظامية (ص ٧٩).

(٣) انظر: الأربعين (ص ١٨٢)، الإرشاد (ص ٣٧٦)، التذكرة (ص ١٢٩)، الروح (ص ٦٢)، فتح الباري (٣/ ٤٧٧).

(٤) انظر: السنة للإمام أحمد (ص ٨١)، مقالات الإسلاميين (٢/ ١١٦)، الإبانة (ص ٦٦) كلاهما للأشعري، التنبيه والرد (ص ٩٦)، شرح المواقف (٨/ ٣١٧)، فتح الباري (٣/ ٤٨٣)، شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/ ٢٠١).

ولكن ليس هناك ما يؤكد هذه الدعوى، بل الحقيقة على خلاف ذلك، إذ إن جمهور المعتزلة لم ينكروا عذاب القبر، بل قالوا بإثباته، وشنعوا على القائلين بإنكاره.

ففي كتب المعتزلة الإقرار بإثبات عذاب القبر، وسؤال الملكين، وإنما يشنعون في كتبهم على ضرار بن عمرو، وأمثاله، ويعدونهم من فروخ الجهمية لإنكارهم عذاب القبر.

وقد عقد القاضي عبد الجبار المعتزلي فصلًا في إثبات عذاب القبر، وقال: وجملة ذلك لا خلاف فيه بين الأمة إلا شيء روي عن ضرار بن عمرو، وكان من أصحاب المعتزلة، ثم التحق بالمجبرة، ولهذا ترى ابن الراوندي يشنع علينا، ويقول: إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر، ولا يقرون به(١).

فثبت من هذا أن المعتزلة لم ينكروا عذاب القبر، بل إنهم أثبتوه، وعلماؤهم الكبار يؤكدون إجماع الأمة على الاعتراف به، وأما ما نسب إليهم من القول بإنكاره فهو غير صحيح.

قال المقبلي رداً على الأشاعرة في نسبتهم إلى المعتزلة إنكار عذاب القبر: «ولكن صار كل من الفرق يحكي الشر عن مخالفه، ويكتم الخبر، بل يروي الكذب والبهت، وكما تذكر الأشاعرة أن المعتزلة تنكر عذاب القبر ترى ذلك فاشياً بينهم، حتى القشيري في التخيير شرح أسماء الله الحسنى، وكأنه استند في ذلك إلى الكشف، وأما النقل فباطل، وهو شبيه قذف الغافلات، فإن المعتزلة لا يكاد يظن قائلا منهم يقول هذا إلا شذوذا مثل المريسي، وضرار، وهما بيت الغرائب، مع أن ضراراً ليس من المعتزلة في روايتهم؛ لأنهم رووا عنه القول بالرؤية بحاسة سادسة، ورووا عنه القول بخلق الأفعال، وأنه رجع عن الاعتزال بسبب شبهة أن يكون فعل العبد أشرف من فعل الله تعالى، وعلى الجملة فليس الشذوذ عن الفريقين بغريب، وإنما المنكر إلزام المعتزلة قوله، وإنما هذه المسألة كسائر المسائل، بل لا بد فيها من شذوذ كشذوذات العنبري، والظاهرية، وهذا شيء كبير»(٢).

وقال أيضاً: فهذه كتب المعتزلة - والحمد لله - فليأتنا بشيء من كتب أبي الحسين وغيره من المعتزلة، أعني: كتبهم المعتمدة، ومن أخذ النقل عن المعتزلة من كتب الأشاعرة، وإن كان من أتباعهم كصاحب الفصول، بل كتبهم مشحونة بالتفصيل الذي

---

(١) شرح الأصول الخمسة (ص ٧٣٠).
(٢) العلم الشامخ (ص ٢٤١-٢٤٢).

أسلفناه، وهو شاهد صدق على خطأ هذا النقل[١].

ويقول الصنعاني بهذا الصدد: «ولكن الذي في كتب المعتزلة الإقرار بثبوت عذاب القبر وسؤال الملكين، ولا يخالف فيه أحد منهم، وإنما يذكر المعتزلة في كتبهم أنه لم يثبت عذاب القبر ضرار بن عمرو، وليس من المعتزلة، بل هو عندهم من فروخ الجهمية، يرون أنه يقول: إن الله تعالى يرى في الآخرة بحاسة سادسة، والمعتزلة كلها لا تقول بهذا، وتقول: بثبوت سؤال الملكين وعذاب القبر، فالعجب نسبة مذهب ضرار إليهم، وهو ليس منهم، وهذا من رمى الطائفة بمقالة من ليس منها، وهذا تقصير عن البحث، ورمي للخصم بكل حجر ومدر، ومثل هذا لا يحل لمسلم أن يفعله، ولقد نسب النووي في شرح مسلم نفى عذاب القبر إلى المعتزلة، كما فعل الناظم [السيوطي] هنا، ويا عجباه هذه كتب المعتزلة بين أظهرهم، هلا استثبتوا في الرواية وهم فرسان الإسناد وجهابذة النقاد؟ ويقصرون في معرفة مذهب خصمهم هذا التقصير، وينسبون إليهم ما لم يقله صغير منهم ولا كبير، ولقد عظمت جنايات هذه الطوائف بعضها على بعض، فكل طائفة تنسب إلى الأخرى كل بلية، والأخرى ترميها بأقوال هي عنها برية»[٢].

والظاهر أن بعض علماء أهل السنة إنما نسبوا إلى المعتزلة القول بإنكار عذاب القبر نظراً إلى إنكار بعض المعتزلة عذاب القبر، ومسائل الملكين كضرار، ويحيى وأمثالهم، وإن كان هؤلاء يرون رأي الجهمية، ويخالفون المعتزلة في الآراء الأصولية، لكنهم كانوا معتزلة في أول أمرهم، فالسلف يعدونهم من المعتزلة.

كما أنهم لا يفرقون بين الجهمية والمعتزلة لاتفاقهم في كثير من الأصول الاعتقادية، فيسمون الجهمية المعتزلة وبالعكس.

كما أنه من الممكن أنهم قالوا بهذا القول نظراً لما ثبت عن بعض كبار الجهمية والمعتزلة كالمريسي، وأبي الهذيل أن عذاب القبر ومسألة الملكين يكون بين النفختين، وهذا أشبه بالإنكار وإن لم يكن إنكارا كليا، فالعلماء حكموا على الكل بما قاله البعض.

---

(١) المصدر نفسه (ص ١٧٨).

(٢) جمع الشتيت في شرح أبيات التثبيت (ص ٣٣- ٣٤).

ثانيا: سؤال الملكين: منكر ونكير.

قد أجمع أهل[١] السنة والجماعة على إثبات سؤال الملكين في القبر، وقالوا: إن العبد إذا مات، ودفن في قبره، وتولى عنه أصحابه، جاءه ملكان أسودان أزرقان، فأقعداه، وسألاه عن ربه، ودينه، ونبيه، فإن كان مؤمنا قال: ربي الله، وديني الإسلام ونبيّي محمد ﷺ، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، وإن كان كافراً فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب، فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار.

فالإيمان بفتنة القبر وسؤال الملكين فيه واجب شرعاً؛ لثبوته في الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقد استدل بهذه الآية على إثبات فتنة القبر كل من البراء بن عازب وأبي سعيد، وأبي هريرة[٢].

وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس مرفوعاً: «**إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقول له: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما جميعا**»[٣].

وعن أبي هريرة مرفوعاً: «**إذا قبر الميت - أو قال: أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، والآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون، فقلت**

---

(١) أصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص٤٨٢-٤٩٠).

(٢) انظر: سنن أبي داود (٤/ ٣٢٩)، تفسير الطبري (١٣/ ٢١٣).

(٣) أخرجه البخاري، ك: الجنائز، ب: ما جاء في عذاب القبر، برقم: (١٣٧٤)، ومسلم، ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، برقم: (٢٨٦٦).

مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه فتلتئم عليه، فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»[(١)].

وفي حديث البراء بن عازب الطويل: «فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة.

وذكر عن الكافر فقال: ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادى مناد من السماء أن كذب، فأفرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار»[(٢)].

والملكان اسمهما: منكر ونكير كما جاء في حديث أبي هريرة السابق.

وفي حديث عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كيف يا عمر إذا دخلت قبرك، ودخل عليك فتانا القبر: منكر ونكير، فقال: وما منكر ونكير يا رسول الله؟ قال: ملكان أسودان أزرقان» الحديث[(٣)].

وقال أحمد بن القاسم: قلت: يا أبا عبد الله تقر بمنكر ونكير؟ وما يروى في عذاب القبر؟ فقال: سبحان الله! نعم، نقر بذلك ونقوله، قلت: هذه اللفظة تقول: منكر ونكير هذا، أو تقول ملكين؟ قال: منكر ونكير، قلت: يقولون: ليس في حديث منكر ونكير، قال: هو هكذا، يعني: أنهما منكر ونكير[(٤)].

وقال الحكيم الترمذي: «وإنما سميا فتاني القبر؛ لأن في سؤالهما، انتهارا وفي خلقهما صعوبة، قال: وسميا منكرا ونكيرا؛ لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين، ولا خلق الملائكة، ولا خلق الطير، ولا خلق البهائم، ولا خلق الهوام، بل هما خلق بديع، وليس

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده - كما في بغية الباحث - برقم: (٢٨١)، وقال عنه البوصيري: رواه الحارث بن أبي أسامة مرسلًا، ورجاله ثقات. إتحاف الخيرة المهرة (٢/ ٤٩٢).

(٤) انظر: الروح (ص ٥٧).

في خلقتهما أنس للناظرين إليها، جعلهما الله تكرمة للمؤمن ليتنبه، وتبصرة وهتكا لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يبعث»[١].

ومن هنا يتبين أن هذين الملكين يسمى أحدهما منكراً، والآخر نكيراً.

وذكر السيوطي عن الحليمي أن ملائكة السؤال جماعة، بعضهم منكراً، وبعضهم نكيراً، فيبعث إلى كل ميت اثنان منهم[٢].

وقد قال أكثر المعتزلة: لا يجوز تسمية ملائكة الله تعالى بمنكر ونكير، وإنما المنكر ما يبدو من تلجلجه إذا سئل، وتقريع الملكين له هو النكير[٣].

وظن قوم أن فتنة القبر، والسؤال فيها لا يكون إلا للمؤمن، وأن الكفار والمنافقين لا يسألون في قبورهم.

وإليه مال ابن عبد البر، ورجحه السيوطي[٤].

قال ابن عبد البر: «الآثار الثابتة في هذا الباب إنما تدل على أن الفتنة في القبر لا تكون إلا لمؤمن أو منافق، ممن كان في الدنيا منسوبا إلى أهل القبلة ودين الإسلام ممن حقن دمه بظاهر الشهادة، وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام، فيثبت الله الذين آمنوا ويرتاب المبطلون»[٥].

وجمهور علماء أهل السنة ينكرون هذا، ويقولون: إن السؤال في القبر يكون للمسلمين والكفار جميعاً، وليس فيه فرق بينهما، واستدلوا عليه بأدلة شرعية.

كما رد على القائلين بهذا القول القرطبي، وابن القيم، والسفاريني[٦].

وذهب جماعة إلى أن سؤال الملكين خاص بهذه الأمة، واستدلوا على ذلك بحديث زيد بن ثابت مرفوعا: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها»[٧].

---

(١) انظر: التذكرة (ص ١٣١)، لوامع الأنوار (٢/ ٨).
(٢) الحبائك في أخبار الملائك (ص ٢٢٥). (٣) انظر: التذكرة (ص ١٢٨ - ١٢٩).
(٤) انظر: التذكرة (ص ١٤٧)، الروح (ص ٨٣)، جمع الشتيت (ص ٣٦).
(٥) انظر: التذكرة (ص ١٤٧)، الروح (ص ٨٣).
(٦) انظر: التذكرة (ص ١٤٦)، الروح (ص ٨٤)، لوامع الأنوار (٢/ ١٠).
(٧) أخرجه مسلم، ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، برقم: (٢٨٦٧).

وبقوله ﷺ: «**أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم**»(١).

قالوا: هذا ظاهر الاختصاص بهذه الأمة.

ويدل عليه قول الملكين له: ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول المؤمن: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فهذا خاص بالنبي ﷺ، وقوله في الحديث الآخر: إنكم بي تمتحنون، وعني تسألون(٢).

قال أبو عبد الله الترمذي: «إنما سؤال الميت في هذه الأمة خاصة؛ لأن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة، فإذا أبوا كفت الرسل، واعتزلوا، وعوجلوا بالعذاب، فلما بعث الله محمداً ﷺ بالرحمة، وإماماً للخلق، فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، أمسك عنهم العذاب، وأعطى السيف حتى يدخل في دين الإسلام من دخل لمهابة السيف، ثم يرسخ في قلبه، فأمهلوا، فمن هاهنا ظهر أمر النفاق، فكانوا يسرون الكفر، ويعلنون الإيمان، فكانوا بين المسلمين ستر، فلما ماتوا قيض الله لهم فتاني القبر، يستخرج سترهم بالسؤال، ويميز الله الخبيث من الطيب، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء»(٣).

وأنكر ذلك الجمهور، وقالوا: إن هذا السؤال يكون لهذه الأمة ولغيرها من الأمم، وأجابوا عن الأدلة التي استدل بها المخالفون، وقالوا: لا يدل على اختصاص السؤال بهذه الأمة دون سائر الأمم، فإن قوله: «**إن هذه الأمة...**» إما أن يراد به أمة الناس، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]، وكل جنس من أجناس الحيوان يسمى أمة، وفي الحديث: «**لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها**»، وإن كان المراد به أمته ﷺ الذي بعث فيهم لم يكن فيه ما ينفي سؤال غيرهم من الأمم، بل قد يكون ذكرهم أخبارا بأنهم مسئولون في قبورهم، وأن ذلك لا يختص بهم دون من قبلهم لفضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم.

وكذلك قوله ﷺ: «**أوحي لي أنكم تفتنون في قبوركم**»، وكذلك إخباره عن قول

---

(١) أخرجه البخاري، ك: العلم، ب: من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، برقم: (٨٦)، ومسلم، ك: الكسوف، ب: ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، برقم: (٩٠٥).

(٢) انظر: الروح (ص ٨٧)، شرح الطحاوية (ص ٤٥٣).

(٣) انظر: التذكرة (ص ١٤٧)، الروح (ص ٨٦).

الملكين: «**ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟**» هو إخبار لأمته بما تمتحن به في قبورها، والظاهر أن كل نبي معه أمته كذلك، أنهم معذبون في قبورهم بعد السؤال لهم، وإقامة الحجة عليهم، كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة[١].

ثم إن السؤال في القبر يكون للروح والبدن كما قال جمهور أهل السنة، وعلى ذلك تدل النصوص، وأما ما قاله ابن حزم وغيره أن السؤال في القبر لا يكون إلا للروح فهو غير صحيح[٢].

وأما كيفية السؤال في القبر، فإننا لا نعرف عنه إلا ما جاء في الكتاب والسنة؛ لأنه من الغيب الذي لا يطلع عليه إلا الله.

وزعم قوم أن سؤال الملكين إنما يكون بين النفختين، وإليه ذهب أبو الهذيل من المعتزلة، وبشر من الجهمية وجماعته[٣].

كما أنكرت الجهمية سؤال الملكين في القبر أصلا، وقال بعضهم: كيف يتصور أن يكون معهما - أي:منكر ونكير - عمودان في مقدار أربعة أذرع من الأرض، وكيف يعذب في القبر من أكلته السباع، وأحرقته النار، وذري رماده في البحر[٤].

الأسئلة والأجوبة على: الإيمان بما يكون في القبر

س١: ما الذي تعرفه عن منكر ونكير؟

ج١: منكر ونكير: اسمان لملكين من ملائكة الله ﷻ، يسألان الميت عن بعض المعتقدات، وقد ورد تسميتهما بهذين الاسمين في الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا قبر الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: منكر، وللآخر: نكير**»[٥].

وأنكر بعض المعتزلة ذلك فقالوا: لا يجوز تسمية ملائكة الله بذلك، وإنما المنكر ما يبدو من تلجلجه عند السؤال، والنكير هو تقريع الملكين له، ولا عبرة بما ذكروه بعد ورود النص بذلك.

---

(١) انظر: الروح (ص ٨٧).
(٢) انظر: الفصل (٤/ ٦٧)، الروح (ص ٤٢).
(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص ٧٣٢)، أصول الدين للبغدادي (ص ٢٤٥)، التذكرة (ص ١٢٨).
(٤) الفرق المفترقة (ص ٩٠ - ٩١، ١٣٥).
(٥) تقدم تخريجه.

س٢: ما حكم التصديق بسؤالهما للميت؟

ج٢: التصديق بسؤالهما واجبٌ شرعاً، وذلك ورد الشرع به في الكتاب والسنة:

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فقد أخرج الشيخان(١) عنه ﷺ أنه قال: «نزلت في عذاب القبر».

وزاد مسلم: «فيسأل: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد ﷺ، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾».

أما من السنة فحديث أبي هريرة المتقدم: «إذا قبر الإنسان...».

وكذلك ما رواه البراء بن عازب في حديث جنازة بقيع الغرقد الطويل: أن الملكين يسألان العبد المؤمن والعبد الكافر أيضاً.

فيجب التصديق بذلك لوروده في القرآن والسنة، وأما من لم يصدق بهذه الأمور، فهل يكون كافرا؟

فيه قولان للعلماء: أصحهما أنه لا يكفر؛ لأنه لا يمكن التكفير بإنكار حكم إلا إذا كان دليله قطعي الثبوت والدلالة معاً.

س٣: ما الأمور التي يسأل عنها هذان الملكان الميِّتَ؟

ج٣: ورد أن الملكين يسألان الميت عن ربه ودينه ونبيه، ويدل على ذلك ما رواه البراء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في العبد المؤمن: «فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به، وصدقت به، فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فافرشوا له من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة...».

«... ويأتيان العبد الكافر فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من

---

(١) صحيح البخاري، ك: التفسير، ب: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، برقم: (٤٦٩٩)، ومسلم، ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم: (٢٨٧١).

السماء: أن كذب، فافرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار»[١].

س٤: هل سؤال الملكين خاص بهذه الأمة أم لا؟

ج٤: اختلف أهل العلم في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

١- قيل: إن سؤالهما خاص بهذه الأمة.

٢- وقيل: بل هو عام يشمل هذه الأمة وغيره من الأمم.

٣- وقيل بالتوقف.

أدلة كل طائفة:

١- استدل القائلون بأن سؤالهما خاص بهذه الأمة بما يأتي:

أ- قوله ﷺ: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها**»[٢]، وفي رواية: «**تسأل**» ومفهومه أن غيرها من الأمم لا تبتلى في قبرها ولا تُسأل فيه.

ب- ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**أوحي إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم**»، قالوا: والخطاب منه ﷺ، فدل ذلك على أنه خاص بهم.

٢- وقد استدل من قال: إن السؤال عام يشمل هذه الأمة وغيرها من الأمم بما يأتي:

أ- عموم قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وهو لفظ عام يشمل أمة محمد ﷺ وغيرها من الأمم.

ب- عموم قوله ﷺ: «**إن العبد المؤمن:... وإن العبد الكافر**».

وأما القائلون بالتوقف،فتوقفوا لعدم وجود دليل صريح صحيح في هذه المسألة التي لا تعرف إلا عن طريق الشرع.

الرأي المختار:

إن سؤال الملكين: عام يشمل أمة محمد ﷺ وغيرها من الأمم لعموم الآية والأثر.

وأما استدلال القائلين بأنه خاص بالحديثين، فهو استدلال بمفهوم المخالفة، ومفهوم المخالفة لا يقوى على تخصيص العموم.

س٥: من هم المستثنون من فتنة القبر؟

ج٥: بعض الآثار تدل على أن هناك أشخاصاً لا يسألون في القبر، ولا يأتيه الملكان:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

منكر ونكير، ومن أولئك:

١- الشهداء.

فقد سئل النبي ﷺ: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهداء؟ فقال ﷺ: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»[(١)]، فإجابته تدل على التقرير.

٢- من مات يوم الجمعة أو ليلتها وهو من المسلمين.

فقد ورد أنه لا يفتن في قبره؛ ولعل ذلك لفضل يوم الجمعة، يقول النبي ﷺ: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلتها إلا وقاه الله من فتنة القبر**»[(٢)].

٣- من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي مات فيه، فقد ورد أنه يسلم منه[(٣)].

٤- من داوم على قراءة سورة تبارك كل ليلة[(٤)].

٥- الأنبياء على رأي بضعهم، وقال آخرون: بأنهم يسألون، وهما وجهان في المذهب الحنبلي.

٦- الأطفال على رأي بعض أهل العلم؛ لأنهم غير مكلفين، وقد قال بعضهم: إنهم يسألون.

س٦: ما المراد بفتنة القبر؟ وما الدليل على ذلك؟

ج٦: فتنة القبر هي سؤال الملكين للإنسان بعد موته - سواء دفن أم لم يدفن - عن ربه ودينه ونبيه، ويدل عليه حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل - لمحمد ﷺ -، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال: فيراهما جميعا - يعني المقعدين -، وأما المنافق والكافر، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة**

---

(١) أخرجه النسائي برقم: (٢٠٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم: (٤٤٨٣).

(٢) أخرجه الترمذي، ك: الجنائز، ب: ما جاء فيمن مات يوم الجمعة، برقم: (١٠٧٤)، والإمام أحمد (٢/ ١٦٩)، وهو حديث حسن. انظر: صحيح الجامع الصغير برقم: (٥٧٧٣).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: (٥٧٨١)، وهو ضعيف. انظر: السلسلة الضعيفة (٣٠١).

(٤) أخرجه الحاكم (١/ ٥٦٥)، وصححه ووافقه الذهبي، وهو حسن.

يسمعه من يليه غير الثقلين»[١].

س٧: هل نعيم القبر وعذابه يقع على الروح فقط أم على الروح والبدن جميعاً؟ اذكر الدليل على ذلك؟

ج٧: عذاب القبر ونعيمه يقع على الروح والبدن جميعاً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقال تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

س٨: ما أسباب عذاب القبر الذي ورد ذكرها في الأحاديث؟

ج٨: ١- المشي بالنميمة. ٢- عدم التنزه من البول.

٣- أكل لحوم الناس (الغيبة). ٤- الزنا.

٥- أكل الربا.

س٩: ما أسباب النجاة من عذاب القبر؟

ج٩: النجاة من عذاب القبر يكون بتجنّب أسبابه، وبالجد في الطاعة، ودوام محاسبة النفس، والرباط في سبيل الله، وقراءة سورة تبارك وحفظها.

س١٠: اذكر الدليل على نعيم القبر للمؤمنين الصادقين؟

ج١٠: ورد في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره: «**ينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره**».

الأسئلة على: عذاب القبر ونعيمه

س١: ما معنى قول الطحاوي: «والقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار»؟

ج١: القبر إما روضة من رياض الجنة، وذلك على المؤمن الصالح الذي يثبته

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦)، وقد تقدم من وجه آخر.

الله، ويجيب على أسئلة الملائكة، وإما حفرة من حفر النيران على الكافر والمنافق، ومن أراد الله من ظلمة المسلمين وفساقهم، ولم يصح ذلك اللفظ: «القبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النيران» لم يصح عن رسوله ﷺ، ولكنه مضمون الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ في شأن القبر.

س٢: تكلم عن عقيدة أهل السنة والجماعة في عذاب القبر ونعيمه مع ذكر أدلتهم؟

ج٢: من أصول أهل السنة والجماعة: وجوب الإيمان والتصديق بهما، دون تعرض لكيفية ذلك؛ لأن الكيفية أمر لا يتلقى إلا من كلام الشارع، وليس في كلامه ما يدل على الكيفية.

الأدلة: وقد دل على ثبوتهما عدة أدلة من الكتاب والسنة:

١- من الكتاب ما يأتي:

أ - قوله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، فإن عرضهم على النار في هذه الآية: هو الحياة البرزخية بدليل: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾.

ب - قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٧].

يقول الشارح: وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ، وهو أظهر؛ لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا، أو المراد أعم من ذلك.

وقد ورد عن البراء في قوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، قال: هو عذاب القبر.

ج - قوله ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]، قال ابن مسعود في تفسير الآية: المعيشة الضنك: عذاب القبر.

٢- وأما من السنة فآثار عدة، منها:

ما رواه البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي ﷺ... الحديث.

وفيه: **إن العبد المؤمن يأتيه من روح الجنة وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، وأن العبد الكافر يأتيه من حر النار وسمومها، ويضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه**»[1]، فدل الحديث على عذاب القبر من ناحيتين:

(١) تقدم تخريجه.

أولاهما: استعاذة النبي ﷺ من عذاب القبر، ولا يستعاذ إلا من شيء موجود، وذلك حين قال في قصة بقيع الغرقد: «**أعوذ بالله من عذاب القبر**» ثلاث مرات.

الثانية: إخباره ﷺ بتنعم المؤمن، وتأذي الكافر في القبر.

س٣: علام اعتمد المنكرون لعذاب المؤمن، وتأذي الكافر في القبر؟ وكيف ترد عليهم؟

ج٣: أنكر الملاحدة والزنادقة عذاب القبر.

وشبهتهم في ذلك: أن عذاب القبر ونعيمه من الأمور التي لا تحس، وما لا يحس فليس بموجود، حيث قالوا: إنا نكشف القبر عن الميت فلا نجد ملائكة تسأل، فقالوا: لو وضعنا في يمين الميت الزئبق، وعلى صدره الخردلة، ثم كشفنا عنه، لوجدناها على حالتها تلك.

ولو كان الأمر كما ذكرتم لوجدنا أن الزئبق انتثر، وأن الخردلة قد سقطت، وقالوا: إنا نحن نحفر القبر، ثم نكشفه بعد وضع الميت فيه فنجده على حالته لم يتغير.

ولو كان الأمر ما ذكرتم من النعيم والعذاب صحيحاً لشُوهد،وخلاصة دليلهم: أن عذاب القبر لا يحس.

الرد عليهم:

إن هذه الشبهة فاسدة باطلة؛ وذلك لما فيها من قياس أحوال الحياة البرزخية على أصول الحياة في الدنيا، وذلك غير صحيح، وغير مستقيم؛ لأن الله ﷻ قد جعل الدور ثلاثاً: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار.

وجعل الإنسان مكوناً من نفس وبدن، وجعل الأحكام في الدنيا متعلقة بالبدن والروح تبع له.

وفي الحياة البرزخية جعل الأحكام متعلقة بالروح، والبدن تبع لها.

وأما في الحياة الأخرى، فإن الأحكام متعلقة بالروح والبدن معاً.

ثم إن عدم إحساسنا بالأشياء لا يدل على عدم وجودها.

فإننا لا نحس بالروح التي بها حياتنا، وهذا لا يدل على عدم وجودها، وكذلك الإنسان لا يرى بعينه المجردة ولا يحس بيده الجراثيم المسببة للأمراض، وعدم رؤيتنا لها وإحساسنا بها لا يدل على عدم وجودها، وكذلك فإن الله قد ضرب الأمثال، وجعل لنا في هذه الحياة الدنيا مثلًا فمن تدبره وتفكر فيه رأى أن عذاب القبر لا يستحيله العقل، فالنائم

يكون بين مجموعة من الناس، فيرى الرؤيا فيسر بها، ويتلذذ بها، ويرى الأخرى فيحزن لها، ويتألم، والناس من حوله لا يحسون شيئاً من تلذذه وتألمه، ومن تأمل هذا المثل المضروب جزم غاية الجزم بوجود عذاب القبر ونعيمه.

س٤: هل يقع عذاب القبر ونعيمه على الروح والبدن جميعا أم على أحدهما؟

ج٤: اختلف الناس في هذه المسألة على آراء ثلاثة:

١- قال بعضهم: إن العذاب والسؤال للروح فقط، وبه قال ابن حزم وغيره.

٢- قال آخرون: أنهما للبدن فقط.

قالوا: فإن الله ﷻ يجعل في البدن من الآلام ما لا يشعر به الموتى، فإذا حشروا أحسوا بتلك الآلام، ومثل السكران والمغمى عليه، يضرب أشد الضرب فلا يحس بذلك، فإذا عاد إليه عقله وإدراكه أحس تلك الضربات وتألم منها.

٣- وقال الجمهور: إن العذاب والسؤال للروح والبدن جميعاً، فالروح تنعم أو تعذب منفردة عن البدن، وتنعم أو تعذب وهي متصلة به.

وهذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والشارح.

قال الشارح: «فالحاصل أن الدور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار. وقد جعل الله لكل دار أحكاماً تخصها.

وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد، وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً.

واستدلوا بحديث البراء: «**فتعاد روحه إلى جسده**»[(١)]، وقوله ﷺ: «**نسمة المؤمن في حواصل طير في الجنة**»[(٢)]، وقوله ﷺ: «... **فيضرب بمطرقة من حديد**...»[(٣)].

س٥: هل يستمر عذاب القبر لمن عذب إلى يوم القيامة؟ أم ينقطع بعد مدة؟

ج٥: عذاب القبر على نوعين:

أولهما: عذاب دائم، وهو المشار إليه بقوله تعالى في شأن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري، ك: الجنائز، ب: الميت يسمع خفق النعال، برقم: (١٣٣٨).

يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦]، فبينت الآية عرضهم على النار دون أن تحدد نهاية هذه المدة مما يدل أنه مستمر مدة بقائهم في قبورهم، ومن ذلك ما ورد في بعض الروايات عنه ﷺ أنه قال: «**فيفتح له باب إلى النار، فينظر إلى مقعده منها حتى قيام الساعة**»(١).

ثانيهما: عذاب مستمر فترة، ثم ينقطع، وذلك كعذاب بعض العصاة الموحدين، فيعذبون بحسب جرمهم، ثم يخفف عنهم العذاب، وقد يخفف عنهم بدعاء بعض المسلمين واستغفارهم لهم، أو بغير ذلك من الأسباب.

س٦: اذكر الحكمة التي لأجلها غيب الله تعالى عن الثقلين عذاب القبر ونعيمه؟

ج٦: عذاب القبر من الأمور الغيبية التي شاءت إرادة الله ﷻ عدم اطلاع كثير من الثقلين عليها، وذلك لحِكَمٍ منها:

١- أنهم لو اطلعوا عليه لزالت حكمة التكليف والإيمان بالأمور الغيبية.

٢- ما أشار إليه ﷺ بقوله: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع**»(٢)، فالإنسان كائن ضعيف لو اطلع على عذاب القبر لأصابه الوجل والخوف، وقد يصعق مما يؤدي به إلى عدم دفنه لأخيه المسلم، ولذلك حجب عنه عقاب القبر.

ولما كانت البهائم منتفية في حكمها من عذاب القبر كانت تسمعه كما ورد في بعض الآثار.

س٧: قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ما هي الحياة المذكورة في الآيات؟ ولماذا خصص الله بها الشهداء؟

ج٧: أشار سبحانه إلى الحياة التي اختص بها الشهداء، وامتازوا بها عن غيرهم لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٤]، وهذه الحياة التي خصوا بها هي أن أرواحهم جعلت في أجواف طير خضر تسرح في الجنة كما ورد في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**لما أصيب إخوانكم - يعني: يوم أحد -: جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها،**

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٩٥-٢٩٦)، وهو صحيح. (٢) تقدم تخريجه.

وتأوي إلى قناديل من ذهب مظلة في ظل العرش»(١).

وسبب تخصيصهم في هذه الحياة:

هو أن الشهداء لما بذلوا أبدانهم وأتلفوها في سبيل الله؛ لأجل مرضاته، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تكريماً لهم، فقد عوَّضهم منها في البرزخ أبداناً خيراً من أبدانهم تكون فيها إلى يوم القيامة.

ولا شك أن تنعمهم بواسطة تلك الأبدان أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها.

والجزاء من جنس العمل.

س٨: هل تفنى أجساد الأنبياء والشهداء؟ دلل على ما تقول؟

ج٨: ورد في بعض الآثار ما يدل على أن أجساد الأنبياء لا تفنى، فقد ورد عنه ﷺ لما سأله بعض أصحابه: كيف تعرض صلاتنا عليك، وقد أرمت؟ فقال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»(٢).

ولعل عدم تأثر أجساد الأنبياء بالأرض وعدم تفتتها لخاصية جعلها الله في تلك الأجساد.

أما الشهداء فقد شوهد بعضهم بعد مدة من دفنه، وهو على حاله باق، ولم يتغير، فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم حشره.

ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة، وكأنه كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل، كان بقاء جسده في القبر أطول.

س٩: أشار القرآن إلى عذاب القبر من غير تصريح؟ فلماذا؟

ج٩: يجاب على هذا بجوابين:

١- بالتسليم؛ لأنه ذكر صراحة في السنة، وهي وحي ثان من الله.

٢- بالمنع، فإنه ذكر في القرآن.

ومن ذلك ما تقدم من الآيات: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر: ٤٥]، وقوله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤]، وقوله: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [الطور: ٤٦].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

الإيمان بما يكون في القيامة

قال الطحاوي: «ونؤمن بالبعث، وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض، والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب، والعقاب، والصراط، والميزان».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الإيمان بالمعاد:]

الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة.

فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على منكريه في غالب سور القرآن.

[الرد على منكري البعث:]

ومن هذا قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، إلى آخر السورة، فلو رام أعلمُ البشر[1] وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو بمثلها بألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز وصحة البرهان لما قدر.

فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحدٌ اقتضى جواباً، فكان في قوله: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ ما وفَّى بالجواب، وأقام الحجة، وأزال الشبهة.

فلما أراد سبحانه من تأكيد الحجة وزيادة تقريرها قال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس:٧٩]، فاحتج بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى.

إذ كل عاقل يعلم ضروريّاً أن من قَدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزا عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز، ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق، وعلمه بتفاصيل خلقه اتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾، فهو سبحانه عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياتِه وموادِّه وصورتِه فكذلك الثاني.

فإذا كان تامَّ العلم كامل القدرة، كيف يتعذَّر عليه أن يحيي العظام وهي رميم؟!

ثم أكَّد الأمر بحجَّة قاهرة وبرهان ظاهر، يتضمن جواباً عن سؤال ملحد آخر، يقول:

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٤٧٣ - ٤٧٧).

العظام إذا صارت رميما عادت طبيعتُها باردةً يابسة، والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارةً رطبةً؛ بما يدل على أمر البعث، ففيه الدليل والجواب معاً فقال: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ [يس:٨٠]، فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة، من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة، فالذي يخرج الشيء من ضدِّه، وتنقاد له موادُّ المخلوقات وعناصرها، ولا تستعصي عليه، هو الذي يفعل ما أنكره الملحدُ، ودفعه من إحياء العظام وهي رميم.

ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجلِّ الأعظم على الأيسر الأصغر، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل، فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر، فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية أشد اقتداراً، فقال: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾[يس: ٨١]، فأخبر أن الذي أبدع السموات والأرض على جلالتهما، وعظم شأنهما، وكبر أجسامها وسعتهما، وعجيب خلقهما، أقدر على أن يحيي عظاما قد صارت رميماً فيردها إلى حالتها الأولى، كما قال في موضع آخر: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر:٥٧].

ثم أكد سبحانه ذلك وبينه ببيان آخر، وهو أنه ليس فعله بمنزلة غيره، الذي يفعل بالآلات والكلفة والنصب والمشقة، ولا يمكنه الاستقلال بالفعل، بل لا بد معه من آله ومعين، بل يكفي في خلقه لما يريد أن يخلقه ويكوِّنه نفس إرادته وقوله للمكون: كُن، فإذا هو كائن، كما شاءه وأراده.

ثم ختم هذه الحجة بإخباره أن ملكوت كل شيء بيده، فيتصرف فيه بفعله وقوله، فقال: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٨٣].

[دليل آخر على المعاد:]

ومن هذا قوله سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠]، فاحتج سبحانه على أنه لا يتركه مهملًا عن الأمر والنهي، والثواب والعقاب، وأن حكمته وقدرته تأبى ذلك أشد الإباء، كما قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، إلى آخر السورة.

فإن من نقله من النطفة إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم شق سمعه وبصره، وركب

فيه الحواس والقوى والعظامَ، والمنافع والأعصاب والرباطات التي هي أشدّها، وأحكم خلقه غاية الإحكام، وأخرجه على هذا الشكل والصورة التي هي أتمُّ الصور وأحسن الأشكال، كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرَّةً ثانية؟! أم كيف تقتضي حكمته وعنايته أن يتركه سدى؟!

فلا يليق ذلك بحكمته، ولا تعجز عنه قدرته.

فانظر إلى هذا الاحتجاج العجيب بالقول الوجيز الذي لا يكون أوجز منه، والبيان الجليل الذي لا يتخيل أوضح منه، ومأخذه القريب الذي لا تقع الظنون على أقرب منه.

[الإيمان بجزاء الأعمال:]

وقوله: «وجزاء الأعمال»، قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]، والدين: الجزاء، يقال: كما تدين تدان، أي: كما تُجازي تُجازى، وقال تعالى: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦]، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٩ - ٩٠]، وأمثال ذلك.

[الدليل النبوي على الجزاء:]

وقال ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ، من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه**»(١).

[أدلة العرض والحساب:]

وقوله: «والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب، والعقاب»، قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٥ - ١٨] إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾

(١) أخرجه مسلم، ك: البر، ب: تحريم الظلم، برقم: (٢٥٧٧).

إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ٦ - ١٥].

﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ﴾ [الكهف: ٤٨]، ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩].

﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] إلى آخر السورة، ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ١٥] إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧]، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وروى البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «**ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**»، فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٨]، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب**»، يعني: أنه لو ناقش في حسابه لعبيده لعذبهم، وهو غير ظالم لهم، ولكنه تعالى يعفو ويصفح.

[شعر لابن المبارك في أحوال القيامة:]

وروى ابن أبي الدنيا عن ابن المبارك، أنه أنشد في ذلك شعرا:

وطارت الصحف في الأيدي منشَّرة ... فيها السرائر والأخبار تُطَّلع
فكيف سهوك والأنباء واقعة ... مـا قليلٍ ولا تدري بما تقع
أفي الجنان وفوزٍ لا انقطاع له ... أم الجحيم فلا تُبقي ولا تدع
تهوي ساكنها طوراً وترفعهم ... إذا رَجَوا فخرجاً مِنْ غَمِّها قُمعوا
طال البكاءُ فلم يُرحم تضرُّعُهم ... فيها لا رِقَّةٌ تغني ولا جزع
لِيَنْفَعِ العلمُ قبلَ المَوْتِ عالِمَه ... قد سال قوم بها الرُّجعى فما رجعوا

[الإيمان بالصراط:]

وقوله: «والصراط» أي: ونؤمن بالصراط، وهو جسرٌ على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، كما قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا: «إن رسول الله ﷺ سئل أين الناسُ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: **هم في**

الظلمة دون الجسر»(١).

وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين ويتخلفون عنهم ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم.

[الإيمان بالميزان:]

وقوله: «والميزان»، أي: ونؤمن بالميزان، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣].

[الميزان بعد الحساب:]

قال القرطبي: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها.

[هل الميزان واحد أم متعدد:]

وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، يحتمل أن يكون ثَمَّ موازين متعددة توزن فيها الأعمال.

ويحتمل أن يكون المراد الموزونات، فجُمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة، والله أعلم.

[دليل الميزان من السنة:]

والذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حِسِيَّتان مُشاهدتان.

روى الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله سيخلِّص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا، كلُّ سجلٍّ مدَّ البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا ربِّ، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيُبهت الرجلُ، فيقول: لا يا ربِّ، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنةً واحدةً، لا ظلم اليوم عليك، فتخرجُ له بطاقة فيها: أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً**

(١) أخرجه مسلم، ك: الحيض، ب: بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، برقم: (٣١٥).

عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا ربِّ، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات في كفَّةٍ، والبطاقة في كفَّةٍ، قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم»(١).

وفي رواية للترمذي والحاكم: «ولا يثقل مع اسم الله شيء».

[دليل آخر على أن الميزان له كفتان:]

وفي سياق آخر بلفظ: «توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة» الحديث(٢).

[يوزن العامل مع عمله:]

وفي هذا السياق فائدة جليلة، وهي أن العامل يوزن مع عمله.

ويشهد له ما روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]».

[وزن الأعمال:]

هذا، وقد وردت الأحاديث أيضا بوزن الأعمال أنفسها كما في صحيح مسلم عن أبي مالك الاشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان».

وفي الصحيح وهو خاتمة كتاب البخاري قوله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

[الرد على من ينكرون وزن الأعمال:]

فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام، فإن الله يقلب الأعراض أجساما، كما تقدم.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٢١- ٢٢٢)، وحسنه شعيب الأرناؤوط، وفي صحيح البخاري، ك: التفسير، ب: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [الكهف: ١٠٥]، برقم: (٤٧٢٩)، وصحيح مسلم، ك: صفة القيامة والجنة والنار، ب: ١، برقم: (٢٧٨٥)، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة اقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]».

[خلاصة ما ثبت في شأن الميزان:]

وبعد، فقد ثبت وزن الأعمال، والعامل، وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات.

[وجوب الإيمان بالغيب:]

فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق ﷺ من غير زيادة ولا نقصان. ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال.

وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنا!

[الحكمة من وزن الأعمال:]

ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده لكفاه، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه.

[موقف الملائكة من خلق آدم:]

فتأمل قول الملائكة لما قال الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

[الحوض قبل الميزان، والميزان قبل الصراط:]

هذا، وقد تقدم عند ذكر الحوض كلامُ القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الحوض قبل الميزان، والصراط بعد الميزان، ففي الصحيحين: «**أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة**».

[القنطرة تخص المؤمنين:]

وقد جعل القرطبي في التذكرة هذه القنطرة صراطا ثانيا للمؤمنين خاصة، ولا يسقط منه أحد في النار، والله تعالى أعلم.

توضيح كلام الطحاوي وابن أبي العز، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: المسائل العقدية التي ذكرها ابن أبي العز في شرحه.

تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونؤمن بالبعث، وجزاء الأعمال يوم

القيامة، والعرض، والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، والصراط، والميزان» لمسائل عديدة يمكن إجمالها فيما يلي:

١- الإيمان بالمعاد.	٢- الرد على منكري البعث.
٣- دليل آخر عل المعاد.	٤- الإيمان بجزاء الأعمال.
٥- الدليل النبوي على الجزاء.	٦- أدلة العرض والحساب.
٧- شعر لابن المبارك في أحوال القيامة.	٨- الإيمان بالصراط.
٩- الإيمان بالميزان.	١٠- الميزان بعد الحساب.
١١- هل الميزان واحد أم متعدد.	١٢- دليل الميزان من السنة.
١٣- دليل آخر على أن الميزان له كفتان.	١٤- يوزن العامل مع عمله.
١٥- وزن الأعمال.	١٦- الرد على من ينكرون الأعمال.
١٧- خلاصة ما ثبت في شأن الميزان.	١٨- وجوب الإيمان بالغيب.
١٩- الحكمة من وزن الأعمال.	٢٠- موقف الملائكة من خلق آدم.

٢١- الحوض قبل الميزان، والميزان قبل الصراط.

٢٢- القنطرة تخص المؤمنين.

المطلب الثاني: شرح كلام الطحاوي.

معنى قول الطحاوي: «ونؤمن بالبعث، وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض، والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب، والعقاب، والصراط، والميزان» أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الله تعالى يبعث الموتى يوم القيامة، فيجازيهم بأعمالهم كما قال تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، ويؤمنون بالعرض على الله كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]، وبالحساب حيث يحاسب الله كل إنسان بما عمل، وبقراءة الكتاب كما قال تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، وبالثواب، والعقاب لأهل الحسنات والسيئات، الحسنة بعشر أمثالها أو يزيد، والسيئة بمثلها أو يعفو، ويؤمنون بالصراط، وهو جسر على شفير جهنم، أدق من الشعرة وأحد من السيف، يعبره الصالحون إلى الجنة، ويتخطف من فوقه أهل العذاب، ويؤمنون بالميزان الذي توزن به أعمال العباد، وهو ميزان حقيقي توضع الحسنات في إحدى كفتيه، والسيئات في الكفة الثانية.

وحاصل كلام الطحاوي فيما يتعلق بالصراط والميزان ما يأتي:

أولا: الصراط.

الصراط هو الجسر الذي بين الجنة والنار، ينصب على ظهر جهنم، فيمر جميع الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كطرف العين، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطير، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يعدو عدوا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفاً، فينجو المسلم، ويزل عنه الكافر، فيسقط في نار جهنم.

قال الإمام أحمد: والصراط حق، يوضع على جهنم، ويمر الناس عليه، والجنة وراء ذلك، نسأل الله السلامة[١].

وقال ابن بطة: «ثم الإيمان بالبعث، والصراط، وشعار المؤمنين يومئذ: سلم، سلم، والصراط جاء في الحديث أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة»[٢].

ولم يرد في القرآن ذكر صفة للصراط، لكن جاءت آية فيها إشارة إلى إثبات الصراط، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن المراد بالورود في هذه الآية هو المرور على الصراط[٣].

روى الطبري والبيهقي عن جماعة من الصحابة والتابعين بأنهم فسروا الورود بالمرور على الصراط[٤].

وأخرج الحاكم عن ابن مسعود في تفسير هذه الآية أنه قال: «الصراط على جهنم مثل حد السيف، فتمر الطائفة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود الإبل، والبهائم، ثم يمرون، والملائكة تقول: رب سلم سلم»[٥].

وفي رواية عنه: «الصراط كحد السيف، دحض مزلة».

---

(١) انظر: السنة (ص ٧٣)،و أصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص٥٦١ - ٥٦٨).

(٢) الإبانة (ص ٥٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١١٠)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١١٠)، البعث والنشور (١/ ٤٥، ١/ ٤٦، ٢/ ٢).

(٥) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٣٧٥-٣٧٦)، وصححه، وأقره الذهبي.

وقد أورد القرطبي عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار أنهم فسروا الورود في الآية بالمرور على الصراط[١].

ولكن دلت الأحاديث الكثيرة على إثبات الصراط:

فقد جاء في حديث أبي هريرة الطويل يرفعه إلى النبي ﷺ: «**ويضرب جسر جهنم، فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم. وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **فإنها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل**»[٢].

وقد ورد عن عائشة أنها قالت: «سألت رسول الله ﷺ عن قول الله ﷻ ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، أين يكون الناس يومئذ؟ قال: على الصراط»[٣].

وعن عائشة ﵂، قالت: أيذكر الرجل يوم القيامة حميمه؟ فقال ﷺ: «**ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحد حميمه، عند الميزان، حتى ينظر أيثقل ميزانه أم يخف؟ وعند الصراط، حتى ينظر أيجوز أم لا يجوز؟ وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ صحيفته أم بشماله؟**»[٤].

وقد وردت بعض الآثار في وصف الصراط بأنه أحد من السيف، وأدق من الشعرة، فقد أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري أنه قال: «بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف»[٥].

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: «يوضع الصراط على جهنم مثل حد السيف المرهف، مدحضة مزلة، عليه كلاليب من نار يختطف بها، فممسك يهوي فيها، ومصروع، ومنهم من يمر كالبرق فلا ينشب ذاك أن ينجو، ثم كالريح ولا ينشب ذاك أن ينجو، ثم كجري الفرس، ثم كسعي الرجل، ثم كرمل الرجل، ثم كمشي الرجل»[٦].

---

(١) انظر: التذكرة (٢/ ٣٣٣).

(٢) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: الصراط جسر جهنم، برقم: (٦٥٧٣)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: معرفة طريق الرؤية، برقم: (١٨٢).

(٣) أخرجه مسلم، ك: صفة القيامة والجنة والنار، ب: في البعث والنشور، برقم: (٢٧٩١).

(٤) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده برقم: (١٣٤٩).

(٥) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: معرفة طريق الرؤية، برقم: (١٨٣).

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم: (٨٩٩٢)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، غير عاصم، وقد وثق. مجمع الزوائد (١٠/ ٣٦٠).

وعن عبد الله بن مسعود في حديث طويل وفيه: «**ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دحض مزلة، فيقال لهم: انجوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكواكب، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الرجل، ويرمل رملا، فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، قال: يجر يدا ويعلق يدا، ويجر رجلا ويعلق رجلا، وتصيب جوانبه النار، قال: فيخلصون، فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجانا منك بعد الذي أراناك، لقد أعطانا الله عز و جل ما لم يُعْطَ أحد**»(١).

وأنكر جماعة من أهل العلم كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف، وقالوا: هذا وإن ثبت حمل على غير ظاهره؛ لمنافاته للأحاديث الأخر من قيام الملائكة على جنبتيه، وكون الكلاليب والحسك فيه، وإعطاء كل من المارين عليه من النور قدر موضع قدميه.

وأولوا الأحاديث الواردة في هذا، وقالوا بأن أمره أدق من الشعر، فإن يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله.

وقد جرت العادة بضرب دقة الشعر مثلا للغامض الخفي، وضرب حد السيف لإسراع الملائكة في المضي، لامتثال أمر الله تعالى، وإجازة الناس عليه، وهو قول العز بن عبد السلام، والزركشي، والقرافي(٢).

لكن رد على أصحاب هذا القول القرطبي، وابن ناجي، والسفاريني.

قال القرطبي: «ما ذكره هذا القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار، و أن الإيمان يجب

وقد جاء في صحيح البخاري، ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] برقم: (٧٤٣٩)، وصحيح مسلم، ك: الإيمان، ب: معرفة طريق الرؤية، برقم: (١٨٣)، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، وفيه: «ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجِسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ، وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا».

(١) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة برقم: (١٢٠٣)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة برقم: (٢٧٨)، والطبراني في المعجم الكبير برقم: (٩٧٦٣)، والدارقطني في الرؤية برقم: (١٧٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٨٩)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم: (٦٥٦)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، والشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: (٣٥٩١)، وفي السلسلة الصحيحة برقم: (٩٤١)، وصحيح الجامع الصغير برقم: (١٢٩٨٧).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين، شرح المواقف (٨/ ٣٣١)، لوامع الأنوار (٢/ ١٩٣)، النشر الطيب (٢/ ٣٨١).

بذلك، و أن القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن فيجزيه أو يمشيه، و لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة، و لا استحالة في ذلك؛ للآثار الواردة في ذلك و ثبوتها بنقل الأئمة العدول، و من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور»(١).

فالصراط ثابت في الكتاب والسنة، وأهل السنة يؤمنون به، ويصفون كما جاء وصفه في النصوص الواردة في ذلك، ويجهلون كيفيته؛ إذ لم يرد في ذلك شيء في الكتاب والسنة، وهو من الأمور الغيبية التي يجب التصديق والإيمان بها.

وقد أنكرت الجهمية والمعتزلة وجماعة من الخوارج وطوائف من الشيعة الصراط، وقالوا: إنه لا يمكن العبور عليه، وإن أمكن فهو تعذيب للمؤمنين، وقد ثبت أن المؤمن لا يعذب يوم القيامة(٢).

ثم اختلفوا في تأويل النصوص التي ذكر فيها الصراط، فقال جمهور الجهمية وقوم من المعتزلة: إن الصراط الوارد في الأحاديث المراد به طريق إلى الجنة، وطريق إلى النار، المشار إليه في قوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٥]، وقوله: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢ - ٢٣](٣).

قال القاضي عبد الجبار: «الصراط هو طريق بين الجنة والنار، يتسع على أهل الجنة، ويضيق على أهل النار، إذا راموا عليه، وقد دل عليه القرآن، قال الله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فلسنا نقول في الصراط ما يقوله الحشوية من أن ذلك أدق من الشعر وأحد من السيف، وأن المكلفين يكلفون اجتيازه والمرور به، فمن اجتازه فهو من أهل الجنة، ومن لم يمكنه ذلك فهو من أهل النار، فإن الدار ليست هي بدار تكليف حتى يصح إيلام المؤمن وتكليفه المرور على ما هذا سبيله في الدقة والحدة»(٤).

وأجاب عنه الإيجي فقال: «القادر المختار يمكن من العبور عليه ويسهله على المؤمنين، كما جاء في الحديث في صفات الجائزين عليه، أن منهم من هو كالبرق الخاطف، ومنهم من هو كالريح الهابة، ومنهم من هو كالجواد، ومنهم من تجوز رجلاه، وتعلق يداه، ومنهم من يجر على وجهه»(٥).

---

(١) التذكرة (٢/ ٣٣٣). وذكره السفاريني في لوامع الأنوار البهية وصوبه (٢/ ١٩٣).

(٢) انظر: التنبيه والرد (ص ١٠٦)، المواقف (ص ٣٨٢)، أصول الدين للبغدادي (ص ٢٤٦).

(٣) انظر: أصول الدين (ص ٢٤٦)، لوامع الأنوار (٢/ ١٩٣).

(٤) شرح الأصول الخمسة (ص ٧٣٧). (٥) المواقف (ص ٣٨٤).

وقال قوم من المعتزلة بأن المراد بالصراط الوارد في الأحاديث هو الأدلة الواضحة، وليس طريق إلى الجنة والنار.

وقد حكى عنهم القاضي عبد الجبار هذا القول فقال: «إنهم يقولون: إن الصراط إنما هو الأدلة الدالة على هذه الطاعات التي من تمسك بها نجا، وأفضى إلى الجنة، والأدلة الدالة على المعاصي التي من ركبها هلك، واستحق من الله تعالى النار، وإليه ذهب عباد وغيره من المعتزلة»(١).

وقد رد عليهم السفاريني فقال: كل هذا باطل وخرافات لوجوب حمل النصوص على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء، والطيران في الهواء، أو الوقوف فيه، وقد أجاب ﷺ عن سؤال حشر الكافر على وجهه بأن القدرة صالحة لذلك(٢).

فالصراط ثابت لورود النصوص القطعية، والإيمان به واجب، وهو مذهب السلف وأهل السنة.

ثانياً: الميزان:

إن وجود الميزان حقيقة هو من عقائد أهل السنة والجماعة التي يؤمنون بها، ونصوا عليها في مصنفاتهم، فهم يؤمنون به ويصدقون بما جاء منه في كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ.

كما أنهم يؤمنون بأن له كفتين عظيمتين لو وضعت السموات والأرض فيهن لوسعتهن كما جاء في الحديث.

ويوزن به العامل وأعماله وصحيفته، وتوزن أعمال أهل السعادة وإن كانت راجحة؛ لبيان منزلتهم أمام الخلائق، والإشارة إلى سعادتهم ونجاتهم.

كما توزن فيه أعمال الكفار وإن لم يكن لهم حسنات تنفعهم، يقابل بها كفرهم؛ لإظهار شقاوتهم وفضيحتهم على رؤوس الأشهاد.

وبذلك يظهر للخلق عدل الله تبارك وتعالى.

قال علي بن المديني: «والإيمان بالميزان يوم القيامة، يوزن العبد، فلا يزن جناح بعوضة، يوزن أعمال العباد كما جاءت به الآثار، والإيمان به، والتصديق، والإعراض عمن

---

(١) شرح الأصول الخمسة (ص٧٣٨).

(٢) انظر: لوامع الأنوار (٢/١٩٣).

رد ذلك واجب»[١].

وقال الرازيان أبو حاتم وأبو زرعة: «والميزان الذي له كفتان يوزن فيه أعمال العباد حسنها وسيئها حق»[٢].

قال ابن بطة: «ثم الإيمان بالموازين كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال عبد الله بن مسعود: «يؤتى بالناس إلى الميزان فيتجادلون عنده أشد الجدال».

وقال النبي ﷺ: «**الميزان بيد الرحمن يخفضه ويرفعه**».

فمن شك في ذلك أو كذب فقد أعظم الإلحاد.

وقد اتفق أهل العلم بالأخبار والعلماء والزهاد والعباد في جميع الأمصار أن الإيمان بذلك واجب لازم»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وتنصب الموازين فتوزن فيها أعمال العباد، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣]»[٤].

وأما الأحاديث التي تدل على إثبات الميزان فهي كثيرة جداً، لا يكاد يخلو منها كتاب مصنف في العقيدة.

قال ابن أبي عاصم: «الأخبار التي في ذكر الميزان أخبار كثيرة صحاح، لا تذهب عن أهل المعرفة بالأخبار لكثرتها وصحتها وشهرتها، وهي من الأخبار التي توجب العلم على ما ذكرنا»[٥].

والميزان بعد الحساب.

قال القرطبي: «قال العلماء: و إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها. قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ

---

(١) السنة لأبي القاسم اللالكائي (١/ ٤٣)، وأصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص٥٤٠-٥٥٥).

(٢) أصول السنة (٩٨ ق).

(٣) الإبانة (ص ٥٤).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٦).

(٥) السنة (٢/ ٣٦٣-٣٦٤).

﴿فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الأنبياء: ٤٧]»[(١)].

والموزون هو: الأعمال.

قال البخاري: باب قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن.

ثم ذكر الحديث الذي هو خاتمة كتابه الجامع الصحيح: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[(٢)].

كما يدل عليه حديث أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها**»[(٣)].

وعن أبي الدرداء مرفوعاً: «**ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن**»[(٤)].

وهناك أحاديث أخرى تدل على أن الموزون هو صحائف الأعمال أيضاً، ففي حديث عبد الله بن عمرو قال: «**إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت**

---

(١) التذكرة (١/ ٣٠٩).

(٢) صحيح البخاري، ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، برقم: (٧٥٦٣)، ورواه مسلم، ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم: (٢٦٩٤).

(٣) أخرجه مسلم، ك: الطهارة، ب: فضل الوضوء، برقم: (٢٢٣)، والإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٤٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٤٤٢، ٤٤٦)، وأبو داود، ك: الأدب، ب: في حسن الخلق، برقم: (٤٧٩٩)، والترمذي، ك: البر والصلة، ب: ما جاء في حسن الخلق، برقم: (٢٠٠٢)، وابن حبان برقم: (٤٨١)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٦٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٥٣٩٠، ٥٧٢١)، وفي السلسلة الصحيحة برقم: (٨٧٦).

السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»[(١)].

وقد دلت النصوص أيضاً على أن الإنسان يوزن مع عمله، فقد جاء في حديث مرفوع: «**بأنه يؤتى بالرجل الطويل العظيم يوم القيامة، فيوضع بالميزان، فلا يزن عند الله جناح بعوضة**، وقرأ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»[(٢)].

فهذه الآثار تدل على أن العامل يوزن كما توزن أعماله وصحيفته، قال الإمام أحمد: «يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة، وتوزن أعمال العباد، والإيمان به والتصديق به والإعراض عمن رد ذلك وترك مجادلته واجب»[(٣)].

ثم اختلف العلماء: هل الميزان واحد؟ أو متعدد؟

فذهب الحسن البصري والرازي وغيرهما إلى تعدد الميزان، وقالوا: إن لكل واحد من المكلفين ميزان[(٤)].

وقال آخرون: لا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، وأفعال الجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان[(٥)].

وقال قوم: يجوز أن يكون للعامل الواحد موازين يوزن بكل منها صنف من عمله[(٦)].

قال القرطبي: «ذكر الله تعالى الميزان في كتابه بلفظ الجمع، و جاء السنة بلفظ الإفراد و الجمع، فقيل: يجوز أن يكون هنالك موازين للعمل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من الأعمال كما قال:

ملك تقوم الحادثات لعدله ... فلكل حادثة لها ميزان

و يمكن أن يكون ميزاناً واحداً عبر عنه بلفظ الجمع كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، و ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، و إنما هو رسول

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، ك: التفسير، ب: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [الكهف: ١٠٥]، برقم: (٤٧٢٩)، ومسلم، ك: صفة القيامة والجنة والنار، ب: ١، برقم: (٢٧٨٥).

(٣) انظر: السنة للالكائي (١/ ٤٢).

(٤) انظر: لوامع الأنوار (٢/ ١٨٦).

(٥) انظر: لوامع الأنوار (٢/ ١٨٦)، النشر الطيب (٢/ ٢٨٤).

(٦) انظر: تحفة المريد (ص١٧٨)، النشر الطيب (٢/ ٢٨٤).

واحد، وقيل: المراد بالموازين جمع موزون، أي: الأعمال الموزونة، لا جمع ميزان»[١].

قال ابن حجر: «والذي يترجح أنه ميزان واحد، ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله؛ لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا»[٢].

والصحيح أن الميزان واحد كما ذهب إليه الجمهور، والمراد بالجمع في الآية: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ﴾، هو باعتبار ما يوزن فيها، والله أعلم.

وأما كيفية الوزن فإننا نفوض علمه إلى الله تعالى لعدم ثبوت شيء من ذلك في الشرع، وهذا عام في جميع أمور الآخرة، فيقتصر على ما ورد؛ لأنها من الأمور الغيبية، والعقل قاصر عن إدراك الكيفية، فيجب التصديق والإيمان بها.

وأنكرت الجهمية وجمهور المعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والفلاسفة الميزان، وقالوا: إن الميزان في الآيات والأحاديث هو عبارة عن العدل؛ لأن الأعمال أعراض، وإن أمكن إعادتها لم يمكن وزنها، ولأنها معلومة لله تعالى فوزنها عبث[٣].

قال الملطي: «وأنكر الجهم الميزان، والله ﷻ يقول: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾.

وقال قبل في الجهمية: أنكروا أن يكون لله ميزان يزن فيه الخلق أعمالهم، ثم أورد بعض الأدلة من الكتاب والسنة في إثبات الميزان»[٤].

وقال ابن فورك: وقد أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها؛ إذ لا تقوم بأنفسها، ومن المتكلمين من يقول كذلك، وروي عن ابن عباس: إن الله تعالى يقلب الأعراض أجساماً، فيزنها يوم القيامة»[٥].

قال الإيجي: «وأما الميزان فأنكره المعتزلة؛ لأن الأعمال أعراض، وإن أمكن إعادتها فلا يمكن وزنها؛ إذ لا يوصف بالخفة والثقل، وأيضاً فالوزن للعامل بمقدارها، وهي معلومة لله تعالى، فلا فائدة فيه، فيكون قبيحاً، ننزه عنه الرب تعالى»[٦].

---

(١) التذكرة (١/ ٣٢٠).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٥٣٨).
(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ١٤٦)، التنبيه والرد (ص ٩٦، ١٠٦)، أصول الدين للبزدوي (ص ١٥٩)، الفصل (٤/ ٦٣)، الغنية (١/ ١٠)، الفرق المفترقة (ص ١٨٦)، أصول الدين للبغدادي (ص ٢٤٦).
(٤) التنبيه والرد (ص ٩٦، ١٠٦).
(٥) التذكرة (ص ٣١٣).
(٦) المواقف (ص ٣٨٤).

وأما الأسباب التي دعت إلى إنكار الميزان، فقد ذكرها أبو محمد في الفرق والتواريخ، فقال: «أما قولهم - يعني منكري الميزان -: فإنهم ينكرون أيضاً، وقالوا: ما لذلك أصل، وإنما ذكره الله تعالى في القرآن مجازاً لا حقيقة، وما هناك ميزان، ولا كفتان يوزن بها الحسنات والسيئات كما ذكروه يوم القيامة»(١).

ويفسر الغزالي مذهبهم في الميزان، فيقول: «قالوا: كيف توزن الأعمال وهي أعراض، وانعدمت، والمعدوم لا يوزن، وأن إعادتها وخلقها في جسم الإنسان، كان محالًا؛ لاستحالة إعادة الأعراض»(٢).

كما ذكر البغدادي أن هناك فرقة يقال لها الوزنية، يقولون بأن لا حساب، ولا ميزان(٣).

ويوضح العراقي مذهب الوزنية فيقول: إن وزن الأعمال بالميزان محال؛ لأنه تعالى عالم الغيب والشهادة، والميزان إنما يوضع لمعرفة المقدار وبيان المجهول، وأعمال العباد غير خافية على الله تعالى، فلا تحتاج إلى الميزان(٤).

وهؤلاء استدلوا على ما قالوا مما روي عن مجاهد، والضحاك، والأعمش، أن الميزان هنا بمعنى العدل والقضاء، وذكر الوزن والميزان ضرب مثل، كما يقال: هذا الكلام في وزن هذا، وفي وزانه، أي: يعادله ويساويه، وإن لم يكن هناك وزن(٥).

وأجاب عنه ابن كثير في النهاية فقال: «لعل هؤلاء إنما فسروا عند قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧ - ٩].

فالميزان في قوله: ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾، أي: العدل، أمر به عباده أن يتعاملوا به فيما بينهم، فأما الميزان المذكور يوم القيامة فقد تواترت الأحاديث كما رأيت، وهو ظاهر القرآن: فمن ثقلت موازينه، ومن خفت موازينه، وهذا إنما يكون للشيء المحسوس»(٦).

وذهب قوم من المعتزلة وبعض المتكلمين إلى إثبات الميزان حقيقة، إلا أنهم قالوا: إن الموزون صحائف الأعمال فقط، وأما وزن العامل، والأعمال فقد أنكروه.

---

(١) الفرق والتواريخ (ص ١٨٠)، نقلا عن كتاب جهم بن صفوان (ص ١٤٠).
(٢) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد (ص ٢١٨ - ٢١٩). (٣) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص ٢٤٦).
(٤) انظر: الفرق المفترقة (ص ٩١)، نقلاً عن كتاب جهم بن صفوان (ص ١٤٠).
(٥) التذكرة (ص ٣١٣). (٦) النهاية (٢/ ٦٧).

قال أبو المعالي الجويني رداً على منكري الميزان الذين قالوا: إن الأعمال أعراض ولا يمكن وزنها، فأجاب: «والموزون الصحف المشتملة على الأعمال، والله تعالى يزنها على أقدار أجور الأعمال، وما يتعلق بها من ثوابها وعقابها»(١).

وقال الباقلاني: «واعلم أن الموزون في الميزان هو صحائف الأعمال، وقيل في بعض الآثار: يشخص رجل يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيعرض عليه تسعة وتسعون سجلًا مملوءة سيئات، فيقال له: احضر وزنك، قيل: فيوضع في كفة، قال: فيحار العبد، فيقال له: هل تعلم لك خبيئة أو حسنة؟ قال: فيدهش، فيقول: يا رب لا أعلم شيئاً. فيقول تعالى: بل لك عندي خبيئة، فيخرج له بقدر الإصبع، فيقول: ما تغني هذه في جنب هذه السجلات، فإذا فيها لا إله إلا الله»(٢).

وقال المكلائي: «والاختيار أن الموزون الصحف المكتوبة بأعمال العباد التي يحاسب عليها الخلائق، وهذا يدرأ عنا جميع ما يشغب به الخصم»(٣).

وهذا رأي جماعة من العلماء.

قال القرطبي بعد أن ذكر قول ابن فورك بأن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخف، فقال: «وفي الصحيحين: «**فيعطى صحيفة حسناته**»، وقوله: «**فيخرج له بطاقة**»، وذلك يدل على الميزان الحقيقي وأن الموزون صحف الأعمال كما بينا»(٤).

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الميزان، هل هو عبارة عن العدل؟ أم له كفتان؟ فأجاب:

«الميزان هو ما يوزن به الأعمال، وهو غير العدل، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، كمثل قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [المؤمنون: ١٠٢- ١٠٣]، وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**».

وقال ﷺ عن ساقي عبد الله بن مسعود: «**لهما في الميزان أثقل من أحد**»، ثم قال: هذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين يبين بها رجحان الحسنات على السيئات،

---

(١) الإرشاد (ص ٣٨٠).
(٢) الإنصاف (ص ٥٢).
(٣) لباب العقول (ص ٣٨٥).
(٤) التذكرة (ص ٣١٤).

وبالعكس، فهو ما به يبين العدل، والمقصود بالوزن العدل كموازين الدنيا، وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة سائر ما أخبرنا به من الغيب»[(١)].

وقال السفاريني: «اختلف في الموزون، قيل: يوزن العبد مع عمله، وقيل: توزن نفس الأعمال».

ثم قال: والحق ما قدمناه، أن الموزون صحف الأعمال، وصححه ابن عبد البر، والقرطبي، وغيرهما، وصوبه الشيخ مرعي في بهجته، وذهب إليه جمهور من المفسرين، وقد «سئل رسول الله ﷺ عما يوزن يوم القيامة فقال: **الصحف**»، ذكره الفخر الرازي، وغيره، وحكاه ابن عطية عن أبي المعالي، ويؤيد ذلك حديث البطاقة والسجلات، رواه الترمذي وحسنه.

ثم قال: قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته: ثبت بهذا الحديث الصحيح أن الموزون صحائف الأعمال، وهو الحق.

ثم أورد النصوص الدالة على وزن العامل وأجاب عنها، وقال: إنها ضربة مثل، ولا يحمل على الحقيقة.

وقال قبله: قال علماؤنا كغيرهم: نؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، قالوا: وله لسان، وكفتان، توزن به صحائف الأعمال»[(٢)].

والصواب أن الموزون هو صحف الأعمال، والأعمال، وكذلك العامل كما ورد في الأحاديث الصحيحة الثابتة، وذهب إليه عامة السلف، وهو المذهب الحق.

وأدلة القائلين بأن الموزون هو صحف الأعمال حق، لكنها لا تنفي أن يوزن غيرها؛ إذ لا يدل على أن الموزون هو الصحائف وحدها، بل الموزون أيضا الأعمال، والعاملون؛ لدلالة الأحاديث الصحيحة على ذلك.

الأسئلة والأجوبة على الإيمان بما يكون في القيامة

س١: اذكر كيفية قيام الساعة الكبرى؟

ج١: إن الله ﷻ إذا أذن إنهاء الحياة الدنيا، وقيام القيامة الكبرى أمر إسرافيل أن ينفخ في الصور - وهو قرن عظيم كهيئة البوق - النفخة الأولى، وهي الراجفة، فيفزع

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٣٠٢).

(٢) لوامع الأنوار (٢/ ١٨٤، ١٨٧).

كل من في السموات ومن في الأرض، ثم يصعقون إلا من شاء الله، ولا يكون إلا شرار الناس، وتصبح الأرض صعيداً جرزاً، والجبال كثيباً مهيلًا، وتكور الشمس ويخسف القمر، ويلقيان في النار تبكيتاً لعبادهما، وتتناثر النجوم، وتوقد البحار، وتتفجر، وتكشط السماء، وتشقق وتطوى، إلى غير ذلك من الأمور الهائلة والأحداث العظيمة التي تكون في آخر الدنيا.

ثم يأمر الله السماء فتمطر مطراً كمني الرجال أربعين يوماً، فينبت منه الناس في قبورهم من عجب أذنابهم، حتى إذا تم خلقهم وتركيبهم أمر الله إسرافيل بأن ينفخ في الصور نفخة ثانية، وهو الرادفة، فيقوم الناس من الأجداث أحياء، وتعود أرواحهم إلى أجسادهم، ثم تحشرهم الملائكة إلى الموقف حفاة غير متنعلين، عراة غير مكتسين، غرلًا غير مختتنين، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وهناك في الموقف تدنو الشمس من رؤوس الخلائق بمقدار ميل، ويلجمهم العرق، فمنهم من يبلغ كعبيه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ حقويه، ومنهم من يبلغ ثدييه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، كل على قدر عمله، ويكون أناس في ظل الله ﷻ، فإذا اشتد الأمر بالخلق وعظم الكرب استشفعوا إلى الله ﷻ بالرسل والأنبياء أن ينقذونهم مما هم فيه، وكل رسول يحيلهم على من بعده حتى يأتوا نبينا ﷺ فيقول: «**أنا لها**» فيشفع فيهم، فينصرفون إلى فصل القضاء، وذلك هو المقام المحمود الذي وعد الله نبيه ﷺ.

ثم تنصب الموازين، ثم تنشر الدواوين، وهي صحائف الأعمال التي كتبها الكرام الكاتبون: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٩]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٠ - ١٢]، ويقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٦].

ثم يحاسب الله الخلائق: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

فأما المؤمن فيخلو به الله ﷻ، ويقرره بذنوبه حتى يقر ويعترف، ثم يقول له: «**سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم**» فينجو.

وأما الكافر فتحصى أعماله ويقرر بها، ثم ينادي على رؤوس الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ

ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ١٨][1].

س٢: إثبات البعث أتى في كتاب الله على خمسة أوجه اذكرها؟

ج٢: ١- التصريح بالبعث كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]، وقوله: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧].

٢- التنبيه بالنشأة الأولى كما في قوله ﷻ: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨- ٧٩].

٣- التنبيه بضرب الأمثال، ومنه التنبيه بإحياء الأرض بعد موتها كما في قوله ﷻ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، وقال: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الحج: ٥- ٦].

٤- التنبيه بخلق السموات والأرض كما في قوله ﷻ: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، وقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

٥- التنبيه بأسماء الله وصفاته، ومنها الحكمة كما في قوله تعالى تنزه وتقدس: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥- ١١٦][2].

س٣: ما المقصود بالبعث، والعرض؟ وما حكم الإيمان به؟ مع ذكر الدليل؟

ج٣: البعث في اللغة: بسكون العين، مصدر بعث يبعث من باب فتح، ويطلق على عدة معان:

١- فيطلق ويراد به: الإرسال، نحو: بعثت فلاناً إلى الأمير، أي: أرسلته.

٢- ويطلق ويراد به: الإثارة، والتهييج، نحو: بعثت البعير، أي: أثرته.

---

(١) انظر: الانتصار (٢٦٦).

(٢) انظر: الانتصار (٢٦٨).

والنشور: في اللغة: مصدر نشر الله الموتى نشراً ونشوراً، أي: أحياهم.

والمراد بهما في كتب العقيدة: إحياء الله الموتى، وإخراجهم للحساب والجزاء.

فعلى هذا هما لفظان مترادفان.

وأما دليل الإيمان به فقال الشارح: «مما دل عليه الكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة السليمة، فأخبر الله في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على منكريه في غالب سور القرآن».

س٤: اهتم القرآن بإثبات المعاد أكثر من الكلام عن إثبات ذات الرب، فما الحكمة في ذلك؟

ج٤: اهتم القرآن الكريم اهتماماً عظيماً بإثبات المعاد، والرد على منكريه في معظم سوره؛ وذلك لأن منكري المعاد كثيرون.

فاستدعى ذلك كثرة الكلام فيه؛ لإثباته، والرد على منكريه، بخلاف إثبات الربوبية، فإنه عام في بني آدم، فطري فيهم، إلا من عاند كفرعون، فإنه وإن كان جاحداً للربوبية في الظاهر إلا أنه مؤمن بها في الباطن، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

س٥: لقد قام النبي ﷺ ببيان أمور الآخرة تفصيلًا أكثر من غيره من الأنبياء؟ فلماذا؟

ج٥: بين ﷺ أحوال الآخرة بياناً لا يوجد في كثير من الكتب السماوية السابقة، فقد أوضح قضايا البعث، والنشور، والحساب، والجزاء، والنار، وذلك لأنه ﷺ خاتم الأنبياء، ويقتضي أن يبين، ويوضح ما لم يبينه غيره من الأنبياء، ويبين ويوضح ما ورد ذكره مجملًا في الكتب السماوية السابقة.

س٦: زعم بضعهم أن أمور المعاد قد تكلم فيها النبي ﷺ دون غيره من الأنبياء فكيف ترد عليهم؟

ج٦: هناك من الفلاسفة من يقول: إن أمر المعاد إنما جاء به محمد ﷺ عن طريق التخييل لكي يتقبله العامة ويتمثل أوامره ونواهيه، بدليل أن غيره من الأنبياء لم يأت به، وهذا القول كذب وبهتان ويمكن الرد عليه بأحد جوابين:

أولهما: مجمل، وهو أن الأمم السابقة قد أنذرت يوم البعث، وسيعاقب كفار جميع الأمم بهذا الإنذار، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

فقد دلت هذه الآية على أن كفار جميع الأمم سيعترفون بأن رسلًا أنذروهم لقاء يوم البعث، وبهذا يبطل ما زعموه.

الثاني: مفصل، وهو أن الله ﷻ أخبرنا في كتابه أن أنبياءه كانوا عارفين بيوم البعث، ومن مقتضى معرفتهم بهذا اليوم أنهم أنذروا قومهم ذلك اليوم، فما ورد في القرآن يدل على ذلك:

١- قوله تعالى في قصة آدم: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٤-٢٥]، فقد دلت الآية على أن الله سبحانه أخبر آدم - وهو أول الأنبياء - بأمر البعث في قوله: ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾.

٢- قول الله ﷻ حكاية عن نوح في خطابه لقومه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧ -١٨]، فقد دلت الآية أن نوحاً أنذر قومه يوم البعث في قوله: ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.

٣- وقد أخبرنا الله ﷻ أن إبراهيم دعا ربه، وكان من دعائه: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ [الشعراء: ٨٧ - ٨٨]، فقد دلت الآية على أنه عارف بيوم البعث، ولا شك أنه أخبر قومه به؛ لأن هذا من لوازم رسالته.

٤- قول الله ﷻ مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ١٥]، فقد أخبر الله سبحانه نبيه موسى بأن الساعة آتية حتماً، وبأن كل نفس ستجزى بما عملت، ولا شك أن موسى عليه السلام أنذر قومه بها.

٥- بل إن مؤمن آل فرعون كان عارفاً بيوم البعث بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ [غافر: ٣٢ - ٣٣]، وإذا كان مؤمن آل فرعون عارفاً، فهذا ناتج ولا شك عن التعاليم التي تلقاها موسى عليه السلام من الله سبحانه.

٦- بل إن إبليس كان عارفاً بيوم البعث بدليل طلبه من الله أن ينذره إلى يوم يبعثون: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر: ١٥]، فإذا كان كذلك فالأنبياء أولى بالعلم منه، وبهذه الأدلة جميعها يبطل قول من قال بأن أمر البعث إنما جاء به محمد ﷺ دون غيره من الأنبياء.

س٧: اختلف الناس في المعاد: هل هو جسماني؟ أم روحاني فقط؟ اذكر المذاهب في هذا الباب؟

ج٧: اختلف الناس في المعاد هل هو جسماني؟ أم روحاني؟ على خمسة أقوال:

١- فقالت طائفة من المتكلمين: إن المعاد جسماني.

٢- وقالت الفلاسفة: إن المعاد روحاني.

٣- وقال الغزالي وجمهور العلماء: إنه جسماني وروحاني معاً.

٤- وقال قوم بالتوقف، وهو رأي جالينوس، حيث قال: لم يتبين لي أن النفس هي المزاج، فتنعدم بالموت، وتستحيل إعادتها، أو أنها جوهر باقٍ، فيمكن بذلك إعادتها. فهو توقف لتوقفه في حقيقة الروح.

٥- وقال قدماء الفلاسفة الطبيعيين بإنكار المعاد الجسماني والروحاني معاً.

والقولان الأخيران خارجان عن أقوال أهل الإسلام.

أما الأقوال الثلاثة الأولى منها فهي أقوال أهل الإسلام.

ومن العلماء من كفر قائل الرأي الثاني، وهو أن المعاد روحاني فقط؛ لأنه أنكر ما ورد في القرآن من أنه معاد جسماني كقوله تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٨ - ٧٩]. فهذا دليل على أن البعث جسماني.

الرأي المختار:

إن المعاد جسماني وروحاني معاً، أما أنه جسماني فذلك بإعادة الله لهذا الجسم بعد أن يتفتت، ويبلى وتتفرق أجزاؤه، وأما أنه روحاني فبإعادة الروح إلى البدن بعد أن فارقته.

تنبيه: بعض الباحثين المعاصرين ينسب إلى ابن القيم القول بأن المعاد جسماني فقط، ولم أقف في كتبه على ما يدل على هذا، وعلى فرض أن هذا قوله، فالمراد عندي أن البدن هو الجسم الذي يتفتت ويبلى، ويحتاج إلى إعادة وبعث، أما الروح فهي باقية لا تحتاج إلى بعث، فيبعث الله الجسد ثم يرسل الروح إليه.

س٨: تنوعت أساليب القرآن في إثبات المعاد، اشرح ذلك؟

ج٨: لقد تنوعت أساليب القرآن الكريم في إثبات المعاد، ومن ذلك:

١- أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يقسم على المعاد، وأنه حق واقع، قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣].

٢- مجرد الإخبار عن اقتراب الساعة كما في قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وقوله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

٢- ذم المكذبين بالمعاد كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥]، وكما في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨].

٤- الاستدلال بالبدء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، كما في قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ [يس: ٧٨]، وقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]، فمن خلق الإنسان من العدم قادر - ولا شك - على إعادته بعد فنائه؛ إذ لو كان عاجزاً عن الإعادة لكان عن النشأة الأولى أعجز من باب أولى.

٥- الاستدلال بأن الله يخرج الشيء من ضده على إنكار المعاد: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٧٩ - ٨٠]، فمن انقادت له عناصر الكون لا يعجزه شيء فهو قادر على إعادة الإنسان بعد مماته، وبعد تفتت أجزائه.

٦- الاستدلال بخلق ما هو أكبر من الإنسان على إعادة الإنسان قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس: ٨١]، فمن يستطيع خلق الأكبر فهو قادر على خلق الأصغر.

٧- الإخبار بأن حكمة الله تأبى أشد الإباء أن يترك الإنسان مهملًا من الأوامر والنواهي، ومعفى من الثواب والعقاب كما في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦ - ٣٧]، هذه هي أهم الأساليب، وهناك أساليب قرآنية كثيرة غير ما قدمناه.

س٩: وردت في سورة يس آيات تتكلم عن المعاد، اذكرها؟ واذكر مناسبتها؟

ج٩: ورد في آخر السورة سبع آيات تتعلق بالمعاد، وهي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٧٧ - ٨٣].

وقد ورد في سبب نزولها أن العاص بن وائل أخذ عظماً مفتتا حائلًا فجاء به

إلى النبي ﷺ ففتته أمامه، وقال: يا محمد، أيحيي الله هذا بعد ما بلي وأرم؟ قال: «**نعم، يبعث الله هذا، ثم يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك جهنم**»(١).

ثم نزلت الآيات السبع، وفيها من الأدلة القاطعة على إثبات المعاد ما تعجز الألسن عن الإتيان بمثلها لبلاغتها، وتذعن العقول لإقناعها، فلا تلبث أن ترضى وتُسَلِّم:

١- فأول ما استهل به الجواب: الإشارة إلى بدء خلق الإنسان، وأنه خلق من نطفة: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [يس: ٧٧].

٢- ثم ذكر شبهة الملحد، وعقب عليها بجملة هي في غاية الروعة والإيجاز، وهي قوله: ﴿وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾ [يس: ٧٧]، إذ لو تفكر العاص بن وائل في خلقه لما أورد سؤاله هذا.

٣- زيادة في تأكيد الحجة وتقريرها، قال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ﴾ [يس: ٧٨]، فاحتج بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على الأخرى، إذ كل عاقل يعلم بالضرورة أن من قدر على هذه قدر على تلك، ومن عجز عن الثانية فهو عن الأولى أشد عجزا.

٤- لما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق، وعلمه بتفاصيل خلقه، اتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٨٠]، فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول، فكذلك الثاني، فإذا كان تام العلم، كامل الإرادة، فكيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم؟

٥- ثم أكد الأمر بحجة قاهرة، وبرهان ظاهر يتضمن جواباً عن سؤال ملحد آخر بقوله: العظام إذا بليت وصارت رميماً عادت طبيعتها باردة يابسة، والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعية حارة رطبة، فكيف يكون البعث؟ فأجاب بما يحمل الدليل والجواب معاً، فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠]، فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة - وهو النار - من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة، وهو المرخ والعفار، فالذي يخرج الشيء من ضده، وتنقاد له مواد المخلوقات، وعناصرها، ولا تستعصي عليه، هو الذي يفعل ما أنكر الملحد من إحياء العظام وهي رميم.

٦- ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر.

فمن قدر على حمل قنطار من الحديد فهو على حمل أوقية أشد اقتداراً، فقال:

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٢٩)، وصححه، ووافقه الذهبي، وانظر: صحيح ابن حبان برقم: (٥٠١٠).

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ [يس: ٨١]، كما قال في موضع آخر: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧]، فإن الذي أبدع السماوات والأرض مع عظم شأنهما لقادر بالأولى على إحياء العظام وهي رميم.

٧- ثم أكد سبحانه ذلك بأمر آخر، وهو: أن فعله ليس بمنزلة غيره الذي يفعل بواسطة الآلات، ويعاني الكلفة والنصب والمشقة، ولا يمكنه الاستقلال بالفعل، بل لا بد معه من آلة تعينه، بل يكفي في خلقه سبحانه لما يريد مجرد إرادته، وقوله للشيء، كن: فيكون، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

٨- وأخيراً ختم بالتسبيح لتنزيه ذاته عن كل ما يراد لتنقيصه سبحانه، والإخبار بأن بيده ملكوت كل شيء، فلا يعجزه شيء: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٨٣].

س ١٠: ورد في سورة الإسراء حديث عن المعاد، اذكر هذه الآيات؟

ج ١٠: مما ورد عن المعاد فيها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥١].

وفي هذه الآيات ذكر بعض ما يرد على ألسنة الملحدين وأجاب عنه:

١- فأخبر أولًا بأنهم يقولون مستبعدين للمعاد: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا ﴾، وأجاب عن ذلك بقوله: ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا ﴾، وهذا الجواب يحتمل معنيين:

أ- إن زعمتم أنه لا خالق لكم ولارب لكم، فهلا كنتم خلقاً لا يفنيه الموت، كالحجارة والحديد، وما هو أكبر في صدوركم منهما؟ رفات؟ قلتم: إننا كنا خلقاً على هذه الصفة التي تفعل الفناء؟ قلنا: فما الذي يحول بين خلقكم ومنشأكم، وبين إعادتكم من جديد مرة أخرى.

ب- أن المراد لو كنتم حجارة أو حديداً أو خلقاً أكبر من ذلك لكان الله ﷻ قادراً على إفنائكم، وإحالة أجساكم، ونقلها من حال إلى حال، والذي يقدر على التصرف في هذه الأشياء قادر على التصرف فيما دونها بطريق الأولى.

٢- ثم أخبر ﷻ ثانيا، أنهم يسألون قائلين: من يعيدنا؟ فكأنهم بهذا يستنكرون القدرة، فقال سبحانه رداً عليهم: ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾، فالذي أوجدهم من عدم قادر

- ولا شك - على إعادتهم بعد إفنائهم.

٣- ثم أخبر الله ثالثاً بأنه حينما لزمتهم الحجة أخذوا يتعللون، ويسألون سؤال المنقطع: متى هو؟ فأجيبوا بقوله: عسى أن يكون قريباً، ولما كان أمر الساعة من الأمور التي استأثر الله ﷻ بها رأفة بالعباد؛ لكي لا يصيبهم الجزع والخوف إن علموا بقربها، أو يتكاسلوا عن فعل الخيرات إن علموا بتأخرها، أجيبوا بذلك، والله أعلم.

س١١: هل إعادة الأجسام بعد فنائها إعادة عن عدم أو عن تفريق؟

ج١١: اختلف الناس في ذلك على قولين:

أولهما: إن إعادة الأجسام بعد فنائها، إعادة عن عدم، فبعد أن يعدمها ويفنيها يعيدها خلقاً آخر.

الثاني: إن الإعادة عن تفريق، فبعد أن يفرق الله أجزاء البدن يجمعها سبحانه، ثم يعيد خلقه.

أدلة كل طائفة:

١- استدل أصحاب الرأي الأول بما يأتي:

أ - قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، قالوا: والهلاك عبارة عن الفناء والعدم.

ب - قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، فأخبر سبحانه أن الإعادة كالخلق، فكما أن الخلق من العدم، فكذلك الإعادة.

٢- استدل أصحاب الرأي الثاني بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] الآية، فقد أخبر الله نبيه إبراهيم بصفة الإعادة، وقال له قولًا يفهم منه أن الإعادة تكون عن تفريق الأجزاء، وليس عن إعدامها بدليل أمره بتفريق الأجزاء على الجبال.

وقد ذكر صاحب لوامع الأنوار البهية أن القول الأول هو الصحيح، أما الثاني فقال: إنه هو المشهور، وينسب إلى ابن القيم أنه اختار الثاني.

س١٢: إن الجزاء من الله تعالى إنما هو مظهر من مظاهر عدله سبحانه وتعالى في خلقه، تحدث عن ذلك؟

ج١٢: خلق الله الإنسان، وميزه بالعقل الذي يميز به الخير من الشر، والحق من

الباطل، وقد كلفه في الحياة الدنيا بتكاليف إن امتثلها استحق الثواب، وإن خالفها استحق العقاب، وهذا كله أثر لصفة من صفات الله ﷻ، وهي صفة العدل، التي تأبى المساواة بين المسلم والكافر، وبين المحسن والمسيء، قال تعالى مقرراً لهذه الحقيقة: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦]، وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، وقد دلت الآية على أن عدل الله يأبى أن يسوي بين المحسن والمسيء، وبين المسلم والكافر، فالتسوية بينهما إجحاف وظلم يأباه العدل ومنطق العدالة.

س١٣: ما أنواع الجزاء الرباني؟ وضح ذلك؟

ج١٣: الجزاء الرباني على نوعين:

أولهما: جزاء معجل، وهو الذي يكون في هذه الحياة الدنيا، فقد يعجل الله الثواب أو جزءاً منه، فيتحقق في الحياة الدنيا، وكذلك العقاب.

ويشهد لتعجيل الثواب أو جزء منه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [يونس: ٣٠]، فلقد دلت الآية الأولى على أن أهل القرى لو آمنوا واتقوا لكان لهم الجزاء المعجل ببركاتٍ كثيرة، وكذلك الآية الثانية.

ويشهد لتعجيل العقاب أو جزء منه قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ [الزمر: ٢٥، ٢٦]، وكذلك قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، فقد دلت الآية على الجزاء المعجل سواء كان ثواباً أو عقاباً.

ثانيهما: الجزاء المؤجل، وهو الذي يكون في الحياة البرزخية، أو الحياة الآخرة، وهي بهذا على صنفين:

١- ما يكون في الحياة البرزخية، ونعني به: عذاب القبر، ونعيمه، ويشهد له قوله تعالى في شأن آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وكذلك ما ورد في حديث البراء: «إن العبد المؤمن يأتيه من روح الجنة وطيبها،

ويتسع له قبره مد بصره، وأن العبد الكافر يأتيه من حر النار وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه»[(١)].

٢- ما يكون في الحياة الآخرة، ويشهد له قوله ﷻ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا (٢٢) لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا (٢٣) لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَآءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا (٢٩) فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٢١ - ٣٤]، فقد دلت الآيات على الجزاء المؤجل للطاغين وللمتقين أيضاً.

س١٤: ما المراد باليوم الآخر؟ وما مقتضى الإيمان به؟

ج١٤: هو يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء.

ومقتضى الإيمان به التصديق الجازم بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذابه، ونعيمه، والبعث، والحشر، والحوض، والصحف، والحساب، والميزان، والصراط، والشفاعة، والجنة والنار، وما أعد الله لأهلهما جميعاً، وما يكون بين يدي الساعة من علامات صغرى وكبرى.

س١٥: ما حجة منكري البعث؟ وكيف ترد عليهم؟

ج١٥: حجتهم في إنكارهم للبعث هو استبعاد العودة إلى الحياة بعد تحويلهم إلى عظام وتراب.

ويرد عليهم بالشرع، والحس، والعقل:

١- أما الشرع: فقد قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

٢- وأما الحس: فقد أرى الله بعض عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، ومن ذلك إماتة قوم موسى، ثم إحياؤهم، والذي مر على قرية فاستبعد إحياءها، فأماته الله مئة عام، ثم بعثه وغير ذلك.

٣- وأما العقل فمن وجهين:

أ- أن الذي يقدر على الإيجاد قادر على الإعادة مرة أخرى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ

(١) تقدم تخريجه.

ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧].

ب - أن الأرض تكون ميتة هامدة فيحييها الله ﷻ بإنزال المطر، وإعادتها خضراء حية.

والقادر على إحيائها بعد موتها قادر على إحياء الموتى، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩].

س١٦: ما المراد بالبعث؟ واذكر الدليل على ذلك؟

ج١٦: البعث هو خروج الأموات من قبورهم بعد النفخة الثانية، ينبتون كما ينبت البقل، فتعود الأرواح في الأجساد كما كانت في الدنيا، فيخرجون من قبورهم سراعاً، فيقول الكفار: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ [يس: ٥٢].

س١٧: تكلم عن جزاء الحسنة والسيئة كما ورد في القرآن والسنة؟

ج١٧: تدل النصوص الشرعية على أن أوفى جزاء للحسنة هو عشر أمثالها، كما تدل النصوص على أن أعلى جزاء للسيئة هو مثلها، قال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقد ورد في السنة أن النبي ﷺ قال حكاية عن الله ﷻ: «**إذا هم عبدي بسيئة ولم يعملها فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة، وإذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشراً**»(١).

أما أعلى جزاء للحسنة فلا يعلم مقدارها إلا الله سبحانه، فإنه سبحانه قد يضاعف أجور الحسنات أضعافاً كثيرة، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

ولم نتعرض لأوفى جزاء للسيئة؛ لأن السيئة قد لا يعاقب عليها امتناناً منه سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى: ٢٥].

س١٨: ما المراد بالحشر؟

ج١٨: الحشر هو سوق الناس إلى الموقف للحساب، والجزاء، والفصل، والقضاء.

---

(١) تقدم تخريجه.

س١٩: ما أحوال الناس في المحشر؟

ج١٩: الناس في المحشر أنواع:

فالكفار يكونون في ذل وهوان وحسرة حابطة أعمالهم، متخاصمين فيما بينهم، يتبرأ كل واحد من الآخر، يقول الواحد منهم: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

وأما عصاة المؤمنين فيصيبهم بلاء ومشقة بقدر ذنوبهم.

وأما الأتقياء فإنهم لا يحزنهم الفزع الأكبر، وتتلقاهم الملائكة بالبشرى، ويظلهم الله في ظله.

س٢٠: ما المراد بالجزاء والحساب؟

ج٢٠: هو أن يقف العبد بين يدي الله تعالى، وتعرض عليه أعماله خيرها وشرها، ويحاسب ويجازى عليها، فالمؤمن يأخذ كتابه بيمينه، والكافر تلوى يديه، ويأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره.

س٢١: ما أول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله وحقوق الآدميين؟

ج٢١: أول ما يحاسب عليه من حقوق الله الصلاة، ومن حقوق الآدميين الدماء.

س٢٢: ما المقصود بالعرض؟ اشرح ذلك مع ذكر الدليل؟

ج٢٢: هو عرض الناس على الله ﷻ يوم القيامة للحساب، وهو أمر ثابت في الكتاب والسنة، فيجب الإيمان به والتصديق به لوروده فيهما.

١- فمن الكتاب دل عليه قوله سبحانه: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٨]، وقوله: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا﴾ [الكهف: ٤٨].

٢- ومن السنة ما روي عنه ﷺ أنه قال: «**يعرض الناس على ربهم ثلاث عرضات: فعرضتا جدال ومعاذير، وعرضة تطاير الصحف، فمن أوتي كتابه بيمينه، وحوسب حساباً يسيراً دخل الجنة، ومن أوتي كتابه بشماله دخل النار**»[١].

للعرض أنواع كثيرة:

---

(١) أخرجه الترمذي، ك: صفة القيامة، ب: ما جاء في العرض، برقم: (٢٤٢٥)، من حديث أبي هريرة، وابن ماجه، ك: الزهد، ب: ذكر البعث، برقم: (٤٢٧٧)، وأحمد (٤/ ٤١٤)، من حديث أبي موسى الأشعري، وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم: (٦٤٣٢)، وضعيف سنن ابن ماجه برقم: (٤٢٦٧).

١- فهناك عرض الصحف: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الحاقة: ١٩].

٢- وهناك عرض على الله تعالى، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

٣- وعرض أعمال، ودليله ما تقدم من عرض الصحف.

٤- وعرض الناس على جهنم، ويدل عليه: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ [غافر: ٤٦]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

س٢٣: ما هو الحساب؟ اشرح ذلك مع ذكر الدليل، وبيان حكم الإيمان بالحساب؟

ج٢٣: المراد بالحساب عند أهل السنة: توقيف الله ﷻ عباده، وتعريفهم أعمالهم يوم القيامة خيراً كانت أو شراً.

الأدلة:

١- من الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧].

٢- ومن السنة قوله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه حاسبه الله حساباً يسيراً، وأدخله الجنة برحمته**، قيل ما هي؟ قال: **أن تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك**»[(١)].

وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاث لا يحاسب بها العبد: ظل خصّ يستظل به، وكسرة يشد بها صلبه، وثوب يواري به عورته**»[(٢)].

فهذه الأدلة تدل على محاسبة الله لعباده، وتعريفهم أعمالهم، فيجب الإيمان به لوروده في الكتاب والسنة.

س٢٤: وضح الشيء الذي يحاسب عنه العبد أول ما يحاسب يوم القيامة؟

ج٢٤: ورد في السنة الصحيحة أن النبي ﷺ قال: «**أول ما يحاسب عليه العبد هو**

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٥١٨)، والطبراني في المعجم الأوسط برقم(٩١٣، ٥٠٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٨٩): «فيه سليمان بن داود اليماني وهو ضعيف». وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم: (١٥٣٥)، وضعيف الجامع الصغير برقم: (٢٥٥٠).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: (١٠٣٦٨)، وهو ضعيف. انظر: السلسلة الضعيفة برقم: (٢١٣٤)، وضعيف الجامع الصغير برقم: (٢٥٦٤).

الصلاة»[1]؛ وذلك لأنها عماد الدين، فمن حافظ عليها كان حرياً بأن يأتي ببقية الشعائر، ومن تركها كان لما سواها أضيع.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**أول ما يقضى فيه بين الناس في الدماء**»[2].

س٢٥: ما حكم الإيمان بنشر الصحف وقراءة الكتاب؟

ج٢٥: نشر الصحف وقراءة الكتاب، وأخذه باليمين أو الشمال من الأمور التي يجب الإيمان والتصديق بها؛ وذلك لورودها في الكتاب الكريم ولإجماع أهل الحق عليها:

١- فأما ورودها في الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤]، وقوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١ - ٧٢].

٢- وأما الإجماع فقد أجمع أهل الحق على ذلك كما نقله السفاريني في لوامع الأنوار البهية، فيجب الإيمان بكل ذلك لوروده في الكتاب والإجماع.

س٢٦: قد يتوهم البعض أن هناك تعارضا بين قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]، وبين قوله ﷺ: «**ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**»[3]، فكيف توفق بين الآية والحديث؟

ج٢٦: آية الانشقاق هي: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٨]، وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**»، فإنه يتوهم التعارض بين الآية والحديث.

---

(١) أخرجه الترمذي، ك: الصلاة، ب: ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، برقم: (٤١٣)، والنسائي، ك: الصلاة، ب: المحاسبة على الصلاة، برقم: (٤٦٤)، وابن ماجه، ك: إقامة الصلاة والسنة فيها، ب: ما جاء أول ما يحاسب به العبد الصلاة، برقم: (١٤٢٥)، والإمام أحمد (٢/ ٤٢٥)، وأبو يعلى برقم: (٦٢٢٥)، والحاكم (١/ ٢٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٣٧٨٣).

(٢) أخرجه البخاري، ك: الديات، ب: قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣] برقم: (٦٨٦٤)، ومسلم، ك: القسامة والمحاربين، ب: المجازاة بالدماء في الآخرة وأنها أول ما يقضي فيه بين الناس يوم القيامة، برقم: (١٦٧٨).

(٣) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: من نوقش الحساب عذب، برقم: (٦٥٣٦)، ومسلم، ك: الجنة وصفة نعيمها، ب: إثبات الحساب، برقم: (٢٨٧٦).

ولا تعارض بين ما ورد في الآية وما جاء في الحديث؛ لأن الحساب في الآية المراد به: العرض، أي عرض الأعمال.

أما الحساب في الحديث: فالمراد به المناقشة.

فقد جاء عن عائشة ﵂ أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**، قلت: يا رسول الله أليس الله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، قال ﷺ: **إن ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب**».

س٢٧٠: قال النبي ﷺ: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض**» استشكل بعض الناس حديث النبي ﷺ، فما هو هذا الإشكال؟ وما الجواب عنه؟

ج٢٧٠: يقول النبي ﷺ: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فأجد موسى باطشاً جنب العرش**»(١).

وجه الإشكال:

استشكل منه ما يفهم من أن انشقاق الأرض عن الخلائق يكون بعد تجلي الله لفصل القضاء، وهذا المفهوم معارض لقول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٨ - ٦٩]، فواضح من الآية أن مجيء الرب ﷻ يكون بعد النفخة الثانية.

وسبب هذا الإشكال: هو خلط الراوي بين حديث صعق التجلي، وحديث نفخة البعث، فقد أدخل حديثاً في حديث، فركب بين اللفظين، وجاء الحديث هكذا.

والإجابة عن هذا الإشكال تكون برد الحديث إلى أصله، فحديث صعق التجلي كما هو في الصحيحين: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا موسى آخذ بقائمة العرش، فلا أدري أجوزي بصعقة الطور؟ أم أفاق قبلي؟**»(٢).

وهذه إجابة بعض أهل العلم على هذا الإشكال، ومنهم المزي، وابن القيم، وابن كثير، فهذا صعق في يوم القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء، وأشرق الأرض بنوره.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الخصومات، ب: ما يذكر في الأشخاص، برقم: (٢٤١١)، ومسلم، ك: الفضائل، ب: فضائل موسى ﵇، برقم: (٢٣٧٣).

(٢) تقدم تخريجه.

وأما الحديث الثاني: «**أنا أول من تنشق عن الأرض يوم القيامة**»[1]، قال الشارح: «وكذلك اشتبه على بعض الرواة فقال: **فلا أدري أفاق قبلي؟ أم كان ممن استثنى الله** ﷻ؟ والمحفوظ الذي تواطأت عليه الروايات الصحيحة هو الأول»، وعليه فالمعنى صحيح.

وقد ذكر الشيخ الألباني أن الصعقة المرادة في الحديث إنما هي صعقة البعث المذكورة في الآية: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وليس صعقة تقع لفصل القضاء، كما قال الأولون، وقد ساق لذلك عدة روايات في الحديث جمعت بين انشقاق الأرض عنه ﷺ، ووجود موسى آخذاً بقائمة العرش.

ويرد على قوله أمران:

أولهما: أن المراد بالنفخ في الآية نفخة البعث، ولا تسمى صعقة.

الثاني: على فرض أنها تسمى صعقاً، فإن الصعق هو فقدان الوعي والإدراك، والميت فاقد الوعي أصلا، فكيف يفقد وعيه وإدراكه؟

س٢٨: عرف الرسول؟ وما حكم الإيمان به؟

ج٢٨: الرسول: هو إنسان ذكر اصطفاه الله، وأوحى إليه بشرع، وأرسله إلى قوم كفار ليبلغهم رسالة الله.

ويجب الإيمان بالرسل جملة وتفصيلًا، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

س٢٩: كم عدد الرسل؟ ومن أولو العزم منهم؟

ج٢٩: الرسل والأنبياء عددهم كثير، وقد قص الله علينا قصص بعضهم دون بعض، فيجب الإيمان بهم إجمالًا لمن لم نعرف اسمه وقصته، وتفصيلًا لمن عرفنا اسمه وقصته.

وأولو العزم من الرسل هم: محمد، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح عليهم الصلاة والسلام.

س٣٠: ما موضوع رسالة الرسل عليهم السلام؟

ج٣٠: يمكن تلخيص موضوع رسالتهم في ثلاثة أمور:

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الخصومات، ب: ما يذكر في الأشخاص، برقم: (٢٤١٢)، ومسلم، ك: الفضائل، ب: فضائل موسى عليه السلام، برقم: (٢٣٧٤).

١- الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك.

٢- تبشير المطيعين، وإنذار العاصين.

٣- تفصيل الشرائع.

س٣١: ما الواجب علينا نحو الرسل عليهم الصلاة والسلام؟

ج٣١: ١- التصديق بهم والإيمان بأن رسالتهم حق من الله، فمن كفر برسالة واحد منهم أو كذبه أو انتقصه فقد كفر.

٢- أنهم أدوا الأمانة، وبلغوا الرسالة على الوجه الأكمل الذي تقوم به الحجة.

٣- أنهم أكمل الخلق علماً وعملًا منزهون عن الكذب، والخيانة والكتمان، والتقصير في البلاغ.

٤- أنهم كانوا رجالًا، وكانوا من البشر لا يملكون شيئاً من الخصائص الإلهية.

٥- أن الله تعالى أيدهم بالمعجزات الباهرات، والآيات الظاهرات الدالة على صدقهم فيما جاءوا به.

٦- أنهم دعوا إلى التوحيد الخالص، وبينوا للناس الشرائع، وأن على كل أمة أن تعمل بشريعة رسولها.

س٣٢: وضِّح ما هو الصراط؟ وما صفته؟ وما حكم الإيمان به؟ مع ذكر الدليل على ذلك؟

ج٣٢: الصراط لغة: الطريق المستقيم.

ومنه قول جرير:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

وقد يقال له: سراط بالسين، وزراط على إبدال في حرف الزاي.

وأما في الاصطلاح: فهو جسر منصوب على متن جهنم، يمر عليه الأولون والآخرون.

صفته:

وقد ورد في صفته أنه: أدق من الشعر، وأحدُّ من السيف، وأن عليه كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله إيقاعه في جهنم.

يقول النبي ﷺ: «**إن لجهنم جسراً أدق من الشعر وأحد من السيف، عليه كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله، والناس يمرون عليه كالطرف، وكالبرق، وكأجاويد الخيل، والركاب، والملائكة تقول: رب سلم، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكردس على**

وجهه في نار جهنم»[1].

وقد ورد عن أبي سعيد الخدري أنه قال: «بلغني أنه أدقُّ من الشعر وأحدُّ من السيف»[2].

حكم الإيمان به:

١- الإيمان به واجب، وأهل الحق يؤمنون بما جاء في صفته.

٢- بعض المعتزلة يقرون بوجوده، وينكرون صفته، ويقولون: إنه طريق الجنة والنار، وممن قال بذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي.

وأما القرافي، والعز بن عبد السلام، وغيرهما فقد أقروا بوجوده، وأنكروا صفته، وأولوا ذلك بتأويلات فاسدة.

ودليل ذلك الآثار التي تقدمت.

الحكمة من الصراط:

هي زياد تنعيم المؤمن حيث يرى الشر الذي نجاه الله منه، وزيادة تأنيب الكافر حيث يرى الناجون يمرون بينما يسقط هو في النار، وكذلك فيه إظهار عدل الله بين عباده في صورة محسوسة.

وقد ذكر القرطبي أن هناك صراطين:

١- صراط عام: وهو منصوب على متن جهنم، والساقط فيه هالك في النار.

٢- صراط خاص: وهو قنطرة بين الجنة والنار بعد خروجهم من النار فيسيرون على هذه القنطرة الفاصلة.

س٣٣: قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، ما هو الورود المقصود في الآية؟

ج٣٣: اختلف المفسرون على قولين:

١- قال بعضهم: إن المراد به: المرور على الصراط.

٢- وقال آخرون: إن المراد به: دخول جهنم، وإذا دخلها المؤمنون كانت عليهم برداً وسلاماً، وقد رجح الشارح الرأي الأول، وممن سبقه إلى ذلك ابن كثير رحمه الله.

وقد ساعد للدلالة على الترجيح ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده لا**

---

(١) أخرجه البخاري، ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] برقم: (٧٤٣٩)، وصحيح مسلم، ك: الإيمان، ب: معرفة طريق الرؤية، برقم: (١٨٣).

(٢) تقدم تخريجه.

يلج النار أحد بايع تحت الشجرة، قالت حفصة: أو ليس الله يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، فقال عليه الصلاة والسلام ألم تسمعيه قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]»(١)، فيفهم من هذا الحديث أنه لا يلزم من الورود دخول النار؛ لأنه ﷺ أقسم ألا يلج أحد بايع تحت الشجرة، والحديث الصحيح لا يمكن أن يعارض صريح القرآن، كما يفهم أن النجاة من النار لا تستلزم دخول النار، فالنجاة من الشر لا تستلزم الوقوع، وإن كانت تستلزم انعقاد أسبابه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ [هود: ٥٨]، وكذلك في شعيب وصالح، ويدل عليه أنك تقول لمن طلبه أعداؤه ولم يدركوه نجاه الله من أعدائه.

س٣٤: تكلم عن صفة الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة؟ ثم اذكر حكم الإيمان به؟

ج٣٤: حكم الإيمان به: يجب الإيمان به، والتصديق بما ورد من صفاته لما ورد في الكتاب الكريم، والسنة المطهرة، وأجمع أهل الحق عليه.

فأما الكتاب: فقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦-٩]، وقوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣]، وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وأما من السنة: فأحاديث كثيرة، منها:

١- ما ورد عن النبي ﷺ قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(٢).

٢- وقال النبي ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان**»(٣).

٣- وقال النبي ﷺ في ابن مسعود حينما ضحك القوم من دقة ساقيه: «**والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل أصحاب الشجرة، برقم: (٢٤٩٦).

(٢) تقدم تخريجه. (٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠-٤٢١)، وابن حبان برقم: (٧٠٦٩)، وأبو يعلى برقم: (٥٩٥)، والطبراني في المعجم الكبير برقم: (٨٤٥٢، ٨٥١٧)، والحاكم (٣/ ٣١٧)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٢٧٥٠).

وكذلك ما روي عنه في حديث البطاقة أنه قال: «**فتوضع السجلات في كفة، وتوضع البطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم**»(١).

وأما الإجماع: فقد نقل السفاريني إجماع أهل الحق على الميزان.

صفته: وقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقي له كفتان، ولسان أيضاً، روي عن ابن عباس أنه قال: «للميزان كفتان ولسان»(٢).

س٣٥: اذكر الأشياء التي توضع في الميزان يوم القيامة؟

ج٣٥: يفهم من النصوص أن الأشياء التي توزن هي: العامل وعمله، والسجلات التي كتبت فيها الأعمال.

أما الدليل على وزن العاملين فما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنه ليأتي الرجل السمين العظيم لا يساوي عند الله جناح بعوضة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾**»(٣)، كما يدل عليه ما ورد عن النبي ﷺ في الحديث السابق: «**والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد**».

وأما الدليل على وزن العمل: فالحديثان الأولان، والسابقان في حكم الإيمان به.

وأما الدليل على وزن السجلات حديث البطاقة الآنف الذكر.

س٣٦: ما الحكمة من تقديم الحساب على الميزان؟

ج٣٦: الحساب يكون قبل الوزن؛ وذلك لأن الحساب هو كما ذكرنا تقرير الأعمال، والتعريف بها.

أما الوزن فهو وزن الأعمال، وبيان مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها، ولا يكون بيان مقدار الشيء إلا بعد التعريف به وتقريره.

س٣٧: هل توزن جميع أعمال العباد بميزان واحد أو أكثر؟

ج٣٧: اختلف في هذا على قولين:

١- قال بعضهم: إن هناك أكثر من ميزان.

والدليل على ذلك: ورودها مجموعاً في عدة آيات كما في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٣)، وغيره، وهو صحيح، وقد تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: (٢٧٧)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٣) تقدم تخريجه.

﴿ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، قوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦، ٧].

٢- وقيل: هو ميزان واحد، لا أكثر، وإنما جمعت في الآيات باعتبار الأشياء التي توزن فيه.

س٣٨: زعم البعض أن أعمال العباد أعراض لا يمكن وزنها، فكيف ترد على هؤلاء؟

ج٣٨: هناك من يفسر الميزان بالعدل، وشبهته في ذلك: أن الأعمال أعراض، والأعراض لا يمكن وزنها، ويرد عليه: بأن النصوص الشرعية جاءت بذكر الموازين، فيجب الإيمان كما جاءت به النصوص من غير تأويل، ولا صرف له عن ظاهره؛ إذ لا يقال بالمجاز إلا مع وجود قرينة تصرف اللفظ عن ظاهره، ولا قرينة هنا.

ويجاب عن شبهتهم بأن الله ﷻ يقلب الأعراض أجساماً، وقد ورد في الآثار ما يدل على قلب الأعراض أجساماً، فقد ورد في حديث عذاب القبر ونعيمه: «**إن العمل الصالح يأتي في صورة رجل حسن الوجه، حسن المنظر، يسر به صاحبه**»(١)، وقد ورد في النصوص: «**أنه يؤتى بالموت على شكل كبش، فينادى: يا أهل الجنة؛ فيشرئبون وينظرون، ويرون أنه قد جاء الفرج، فيذبح، ويقال: خلود بلا موت**»(٢).

قال الشارح: ولو لم يكن من وزن الأعمال من الحكمة إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده لكفاه، فلا أحد أحب إليه العذرُ من الله؛ من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم، ما لا اطلاع لنا عليه(٣). نه

س٣٩: ما ثمرات الإيمان باليوم الآخر؟

ج٣٩: للإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة، منها:

١- الرغبة في فعل الطاعة، والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.

٢- الرهبة من فعل المعصية، أو الرضى بها خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

٣- تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، ك: التفسير، ب: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩]، برقم: (٤٧٣٠)، ومسلم، ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، برقم: (٢٨٤٩).

(٣) انظر: شرح الطحاوية (ص٣٧٤).

وجود الجنة والنار وبقاؤهما

قال الطحاوي: «والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدا، ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلا، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلا منه، وكلٌّ يعمل لما قد فُرغ له، وصائرٌ إلى ما خلق له، والخير والشر مقدّران على العباد».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[مخالفة المعتزلة والقدرية في خلق الجنة والنار:]

أما قوله: «إن الجنة والنار مخلوقتان»؛ فاتفق أهل السنة[1] على أن الجنَّة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنَّة على ذلك.

فمن نصوص الكتاب الدالة على ذلك: قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١]، وعن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ [النبأ: ٢١ - ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣-١٥].

[دليل السنة على خلق الجنة والنار:]

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعَشِيّ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»**[2].

ونظائر ذلك في السنة كثيرة.

[بقاء الجنة والنار:]

وقوله: «لا تفنيان أبدا، ولا تبيدان»، هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف.

---

(١) انظر: حادي الأرواح (١٨)، وخالفهم أهل البدع.
قال ابن حزم في الفصل (٤/ ١٤١): «ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يخلقا بعد».

(٢) صحيح البخاري، ك: الجنائز، ب: الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، برقم: (١٣٧٩)، صحيح مسلم، ك: الجنة، ٦٥ب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، برقم: (٢٨٦٦).

[القول بفناء النار دون الجنة:]

وقال ببقاء الجنة، وبفناء النار جماعة[1] من السلف والخلف، والقولان مذكوران في كثير من كتب التفسير وغيرها.

[قول الجهم بن صفوان:]

وقال بفناء الجنة والنار: الجهم بن صفوان إمام المعطلة، وليس له سلف قط، لا من الصحابة، ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، ولا من أهل السنة، وأنكره عليه عامة أهل السنة، وكفروه به وصاحوا به، وبأتباعه من أقطار الأرض.

[أبدية الجنة بدلالة القرآن:]

فأما أبدية الجنة، وأنها لا تفنى ولا تبيد، فهذا مما يعلم بالضرورة أن رسول الله ﷺ أخبر به، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، أي: غير مقطوع.

وقوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] محكم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، قوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

وقد أكَّد الله خلود أهل الجنَّة بالتأبيد في عدَّة مواضع من القرآن.

[دلالة السنة على أبدية الجنة:]

والأدلة من السنة على أبدية الجنة ودوامها كثيرة، كقوله ﷺ: «**من يدخل الجنة ينعم، ولا يبأس، ويخلد ولا يموت**»[2].

وحديث ذبح الموت بين الجنة والنار، ويقال: «**يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل**

---

(١) انظر: حادي الأرواح (ص٢٤٩).

فائدة: قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ في تحقيقه على شرح الطحاوية (ص٤٢٤): «قلت:لم يثبت القول بفناء النار عن أحد من السلف، وإنما هي آثار واهية، لا تقوم بها حجة، وبعض أحاديثه موضوعة، ولو صحت لم تدل على الفناء المزعوم، وإنما على بقاء النار وخروج الموحدين منها، وقد كنت خرجت بعض ذلك في السلسلة الضعيفة برقم: ٦٠٦، ٧٠٧، ثم وقفت على رسالة مخطوطة في مكتبة المكتب الإسلامي للعلامة الأمير الصنعاني في هذه المسألة الخطيرة، رد فيها على ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، فعلقت عليها، وخرجت أحاديثها، وقدمت لها بمقدمة إضافية، وقد طبعت بعناية المكتب الإسلامي».

(٢) أخرجه مسلم، ك: الجنة، ب: دوام نعيم أهل الجنة...، برقم: (٢٨٣٦).

النار خلود فلا موت»[1].

[الأقوال في أبدية النار:]

وأما أبدية النار ودوامها[2]، فللناس في ذلك ثمانية أقوال، وهي:

أحدها: أن من دخلها لا يخرج منها أبد الآباد، وهذا قول الخوارج والمعتزلة.

والثاني: أن أهلها يعذبون فيها، ثم تنقلب طبيعتهم، وتبقى الطبيعة النارية، يتلذذون بها لموافقتها لطبعهم، وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي.

الثالث: أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود، ثم يخرجون منها، ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ، وأكذبهم فيه، وقد أكذبهم الله تعالى.

الرابع: يخرجون منها، وتبقى على حالها ليس فيها أحد.

الخامس: أنها تفنى بنفسها؛ لأنها حادثة، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه، وهذا قول الجهم وشيعته ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار كما تقدم.

السادس: تفنيى حركات أهلها، ويصيرون جماداً، لا يحسون بألم، وهذا قول أبي الهذيل العلاف.

السابع: أن الله يُخرج منها من يشاء، ثم يبقيها شيئاً، ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه.

الثامن: أن الله تعالى يخرج منها من شاء كما ورد في السنة الصحيحة، ويبقى فيها الكفار، بقاء لا انقضاء له، كما قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وما عدا هذين القولين الأخيرين ظاهر البطلان.

وهذان القولان لأهل السنة ينظر في أدلتهما:

[أدلة القائلين بفناء النار:]

فمن أدلة القول الأول - أي: القول بفناء النار - منهما قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، برقم: (٦٥٤٣)، ومسلم، ك: الجنة، ب: النار يدخلها الجبارون...، برقم: (٢٨٤٩).

(٢) انظر: حادي الأرواح (ص٢٥٢).

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٦ - ١٠٧]، ولم يأت بعد هذين الاستثناءين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة وهو قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

[أدلة القائلين ببقاء النار، وعدم فنائها:]

ومن أدلة بقائها، وعدم فنائها قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥]، ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]، أي: مقيماً لازما.

[خروج الموحدين من النار دون الكفار:]

وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

وأما بقاء الجنة والنار فليس لذاتهما، بل بإبقاء الله لهما.

[كل دار خلق الله لها أهلًا:]

وقوله: «وخلق لهما أهلا»، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق للجنة أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**»(١).

رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

[الجنة فضل من الله، والنار بعدله:]

وقوله: «فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلا منه» الخ، مما يجب أن يعلم أن الله تعالى لا يمنع الثواب إلا إذا منع سببه، وهو العمل الصالح، فإنه قال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]، وكذلك لا يعاقب أحدا إلا بعد حصول سبب العقاب، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وهو سبحانه المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، لكن إذا

---

(١) أخرجه مسلم، ك: القدر، ب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، برقم: (٢٦٦٢).

من على الإنسان بالإيمان والعمل الصالح، فلا يمنعه موجب ذلك أصلا، بل يعطيه من الثواب والقرب مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وحيث منعه ذلك فلانتفاء سببه، وهو العمل الصالح، ولا ريب أنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، فله الحمد في الحالين، وهو المحمود على كل حال، كل عطاءٍ منه فضلٌ، وكل عقوبة منه عدل، فإن الله تعالى حكيم، يضع الأشياء في مواضعها التي تصلح لها كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وكما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]، ونحو ذلك وسيأتي لذلك زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

توضيح كلام الطحاوي وابن أبي العز، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: المسائل العقدية التي ذكرها ابن أبي العز في شرحه.

تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدا، ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلا، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلا منه، وكلٌّ يعمل لما قد فُرغ له، وصائرٌ إلى ما خلق له» لمسائل عديدة يمكن إجمالها فيما يلي:

١- مخالفة المعتزلة والقدرية في خلق الجنة والنار.

٢- دليل السنة على خلق الجنة والنار. ٣- بقاء الجنة والنار.

٤- القول بفناء النار دون الجنة. ٥- قول الجهم بن صفوان.

٦- أبدية الجنة بدلالة القرآن. ٧- دلالة السنة على أبدية الجنة.

٨- الأقوال في أبدية النار. ١٠- أدلة القائلين ببقاء النار.

١١- خروج الموحدين من النار دون الكفار.

١٢- كل دار خلق الله لها أهلًا. ١٣- الجنة فضل من الله، والنار بعدله.

المطلب الثاني: شرح كلام الطحاوي.

معنى قول الطحاوي: «والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدا، ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلا، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلا منه، وكلٌّ يعمل لما قد فُرغ له، وصائرٌ إلى ما خلق له» أن أهل

السنة والجماعة يؤمنون بوجود الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان وموجودتان الآن، والجنة دار المتقين، والنار دار الكافرين، والمذنبين، فأما نار المذنبين فتفنى، وأما نار الكافرين فلا تفنى، وأما الجنة فإنها لا تفنى أبداً، وقد خلقهما الله قبل الخلق، وقد خلق الله لكل منهما أهلًا، أما أهل الجنة فييسرون لعمل أهل الجنة، وأما أهل النار فييسرون لعمل أهل النار، فأهل الجنة يدخلونها بفضل الله، وأهل النار يدخلونها بعدل الله، وكل واحد يعمل على حسب ما قدره الله له، وكل واحد يصير إلى ما قدره الله له.

وحاصل ما تقدم على وجه التفصيل مما يتعلق بخلق الجنة والنار وعدم فنائهما ما يلي:

أولا: خلق الجنة والنار.

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، فالجنة أعدت للمتقين، والنار أعدت للكافرين، كما جاء بذلك كتاب الله، وسنة رسوله الكريم ﷺ، وأجمع عليه أهل السنة والجماعة، كما أن أهل العلم التزموا بذكر خلق الجنة والنار ووجودهما الآن في عقائدهم، ومؤلفاتهم، رداً على ما شاع من الجهمية والمعتزلة بأنهما غير مخلوقتين.

قال الإمام أحمد: «قد خلقت الجنة وما فيها، والنار وما فيها، خلقهما الله ﷻ، وخلق الخلق لهما، لا تفنيان ولا يفنى ما فيهما أبدا»[(١)].

كما عقد البخاري في صحيحه باباً في صفة الجنة، وأنها مخلوقة، وباباً في صفة النار وأنها مخلوقة، وقال: باب صفة النار، وأنها مخلوقة، ثم ذكر أحاديث كثيرة على إثبات خلقهما، رادة على الجهمية والمعتزلة، دالة على ما ترجم به[(٢)].

وشرح ذلك ابن حجر فقال: «باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، أي: موجودة الآن، وأشار بذلك إلى الرد على من زعم من المعتزلة أنها لا توجد إلا يوم القيامة»[(٣)].

قال الآجري: «اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أن القرآن شاهد على أن الله ﷻ خلق الجنة والنار قبل أن يخلق آدم عليه الصلاة والسلام، وخلق للجنة أهلا، وللنار أهلا، قبل أن يخرجهم إلى الدنيا، لا يختلف في هذا من شمله الإسلام، وذاق حلاوة طعم الإيمان، دل

---

(١) السنة (ص ٧٤)، أصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص٤٢٥ - ٤٣١).
(٢) صحيح البخاري، ك: بدء الخلق، ب: صفة الجنة، وأنها مخلوقة، انظر: الحديث برقم: (٣٢٤٠) فما بعده.
(٣) فتح الباري (٦/ ٢٣٠).

على ذلك القرآن والسنة، فنعوذ بالله ممن يكذب بهذا»[(١)].

وقال البيهقي: «باب ما يستدل به على أن الجنة والنار قد خلقتا، وأعدتا لأهلهما فنسأل الله الجنة، ونعوذ به من النار، قال الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] الآية، فوصف عرضها، والعرض لا يكون إلا لمخلوق، فأما المعدوم فلا عرض له، وأخبر بأنها أعدت للمتقين، والمعدة لا تكون إلا مخلوقة، وقال في صفة النار: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، فأخبر أنها أعدت للكافرين، والمعدة لا تكون إلا موجودة، ثم ذكر الأدلة على ذلك»[(٢)].

وذكر البغدادي مذهب أهل السنة والجماعة في الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان، فقال: «وقالوا: بخلق الجنة والنار، خلاف قول من زعم أنهما غير مخلوقتين »[(٣)].

قال ابن كثير: «الجنة والنار موجودتان الآن، فالجنة معدة للمتقين، والنار معدة للكافرين، ثم قال: وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة، المستمسكين بالعروة الوثقى، وهي السنة المثلى إلى قيام الساعة، خلافاً لمن زعم أن الجنة والنار لم يخلقا بعد، وأنما يخلقان يوم القيامة، وهذا القول صدر ممن لم يطلع على الأحاديث المتفق على صحتها في الصحيحين وغيرهما من كتب الإسلام المعتمدة المشهورة بالأسانيد الصحيحة والحسنة، مما لا يمكن دفعه، ولا رده؛ لتواتره، واشتهاره»[(٤)].

وقال السفاريني:

واجزم بأن النار كالجنة في ... وجودها وأنها لم تتلف

ثم شرحه فقال: « «واجزم» جزم إيقاف وعرفان وتصديق وإذعان «بأن النار»وما فيها من أنواع العذاب والهوان والبوار والزبانية والأغلال والعقارب كالبغال ونحوها موجود الآن، ومن قبل الآن، «كما» أن «الجنة» وما فيها من الولدان والحور والنعيم والحبور والحلل والتيجان والفواكه والدور والفرش والقصور وجميع ما اشتملت عليه من أنواع الملاذ والسرور موجود الآن، وقبل الآن، فالنار «في وجودها» الآن كالجنة، فهما موجودتان»[(٥)].

---

(١) الشريعة (ص ٣٨٧).
(٢) البعث والنشور (١/ ٩٦، ٩٧).
(٣) الفرق بين الفرق (ص ٣٣٩).
(٤) النهاية (٢/ ٣١٥).
(٥) لوامع الأنوار (٢/ ٢٣٠).

وقد تكاثرت الأدلة على خلق الجنة والنار، منها:

قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١].

وقوله تعالى عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ [النبأ: ٢١ - ٢٢].

ومنها قوله ﷺ في حديث عمران بن حصين: «**اطلعت في الجنة، فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار، فرأيت أكثر أهلها النساء**»(١).

ومنها حديث ابن عمر مرفوعا: «**إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله عليه يوم القيامة**»(٢).

ومنها حديث أنس مرفوعا: «**بينما أنا أسير في الجنة، وإذا أنا بنهر في الجنة، حافتاه قباب الدر المجوف، قال: قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر**»(٣).

ومنها حديث أنس مرفوعاً: «**حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**»(٤).

ومنها حديث أبي هريرة مرفوعاً: «**اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير**»(٥).

فجميع هذه النصوص من الآيات والأحاديث تدل بصراحة على أن الجنة والنار مخلوقتان، والقول بغير هذا ليس عليه دليل من الكتاب والسنة.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: صفة الجنة والنار، برقم: (٣٢٤١)، وأخرجه مسلم، ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب: أكثر أهل الجنة الفقراء...، برقم: (٢٧٣٧).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: في الحوض، برقم: (٦٥٨١)، والإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٠٣، ١١٥، ١٩١).

(٤) أخرجه مسلم، ك: الجنة وصفة نعيمها، برقم: (٢٨٢٢).

(٥) أخرجه البخاري، ك:مواقيت الصلاة، ب: الإبراد بالظهر في شدة الحر، برقم: (٥٣٧)، ومسلم،ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة، برقم: (٦١٧).

قال الآجري: «هذه السنن وغيرها مما يطول ذكرها تدل العقلاء وغيرهم ممن لم يكتب العلم على أن الله ﷻ قد خلق الجنة والنار، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**دخلت الجنة**» في غير حديث، سنذكر منها ما ينبغي ذكره، كل ذلك ليعرف الناس أن الله ﷻ قد خلق الجنة والنار»(١).

وقال السفاريني بعد ذكر الأدلة من الكتاب والسنة على خلق الجنة والنار، ودخوله ﷺ في الجنة، ورؤيته نهر الكوثر، وحورها، وثمارها، ودورها ومهورها، وقصة آدم وخروجه منها: وأضعاف أضعاف ما ذكرناه من الأدلة القطعية التي يتعذر عدها، ويتعسر حدها، ليعلم المنصف أن العدول عن مضمونها مكابرة، ورد للأخبار المتواترة(٢).

وقالت الجهمية وبعض المعتزلة والخوارج: إن الجنة والنار غير موجودتين الآن، بل ينشئهما الله يوم القيامة، فإنهما لو خلقتا قبل القيامة والجزاء، تكون خلقهما عبثا، ويستحيل صدور العبث عن الرب ﷻ.

وقالوا: فإنهما لو كانتا مخلوقتين الآن لوجب أن تفنيا يوم القيامة، وأن يهلك كل من فيها، ويموت، لعموم قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

كما أنهم استدلوا بقوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، ومن قوله ﷺ أنه قال: «**من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة**»(٣).

قالوا: لو كانت الجنة مخلوقة لم يكن في الدعاء في استئناف البناء والغرس معنى(٤).

وأشار الأشعري إلى هذا الخلاف بين أهل السنة وأهل البدعة في خلق الجنة والنار، فقال: «اختلفوا في الجنة والنار، فقال أهل السنة والاستقامة: هما مخلوقتان، وقال كثير من

---

(١) الشريعة (ص ٣٩٥).
(٢) لوامع الأنوار (٢/ ٢٣٢).
(٣) أخرجه الترمذي، ك: الدعوات، ب: ٦٠، برقم: (٣٤٦٤)، وأبو يعلى برقم: (٢٢٣٣)، والطبراني في المعجم الصغير برقم: (٢٨٧)، والحاكم (١/ ٥٠٠)، وصححه أيضاً الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٦٤)، وفي صحيح الترغيب والترهيب برقم: (١٥٤٠).
(٤) انظر: الفصل (٤/ ٨٢)، أصول الدين للبغدادي (ص ٢٣٧)، التبصير في الدين (ص ٦٤)، المواقف (ص ٣٧٤ - ٣٧٥)، حادي الأرواح (ص ١٧)، لوامع الأنوار (٢/ ٢٣٠).

أهل البدع: لم تخلقا»(١).

وذكر البغدادي مذهب الجهمية والمعتزلة في خلق الجنة والنار فقال: وزعمت الضرارية والجهمية وطائفة من القدرية أنهما غير مخلوقتين، فإن آدم عليه السلام إنما كان في جنة من بساتين الدنيا(٢).

قال ابن القيم: «لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم، وأهل السنة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام، وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك، وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها، إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة، فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن، وقالت: بل الله ينشئها يوم القيامة.

ثم قال: وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث؛ فإنها تصير معطلة مددا متطاولة ليس فيها سكانها»(٣).

كما أنهم أجابوا عن استدلالهم بقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، وقوله ﷺ: «**من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة**»، بأنه إنما قلنا: إنهما مخلوقتان على الجملة كما أن الأرض مخلوقة، ثم يحدث الله فيها ما يشاء من البنيان(٤).

ثانيا: الجنة والنار لا تفنيان.

مسألة بقاء الجنة والنار وعدم فنائهما، هي من الأمور التي يثبتها جمهور أهل السنة والجماعة، وهو الصحيح، وذلك لما ورد في ذلك من أدلة الكتاب والسنة.

قال الإمام أحمد: «الجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء، ولا للهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا، والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة، ولا أبداً؛ لأن الله ﷻ خلقهن للبقاء لا للفناء، ولم يكتب عليهن الموت، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع، وقد ضل عن سواء السبيل»(٥).

وعقد الآجري في الشريعة باباً في إثبات خلود الجنة والنار، فقال: ذكر الإيمان بأن أهل الجنة خالدون فيها أبداً، وأن أهل النار من الكفار والمنافقين خالدون فيها أبداً، ثم ذكر

---

(١) مقالات الإسلاميين (٢/ ١٤٩).
(٢) أصول الدين (ص٢٣٧).
(٣) حادي الأرواح (ص١٧).
(٤) انظر: الفصل (٤/ ٨٢).
(٥) السنة (ص٧٤)، أصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص٤٤٢-٤٥٢).

على ذلك أدلة الكتاب والسنة[١].

وقال ابن بطة: «ثم الإيمان بأن الله ﷻ خلق الجنة والنار قبل خلق الخلق، ونعيم الجنة لا يزول، دائم أبداً في النضرة والنعيم والأزواج من الحور العين، ولا يمتن، ولا ينقصن، ولا يهرمن، ولا ينقطع ثمارها ونعيمها، كما قال ﷻ: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وأما عذاب النار فدائم أبدا بدوام الله، وأهلها فيها مخلدون خالدون، من خرج من الدنيا غير معتقد للتوحيد ولا متمسك بالسنة[٢].

وذكر البغدادي مذهب أهل السنة في خلود الجنة والنار ودوامها فقال: وقالوا بدوام نعيم الجنة على أهلها، ودوام عذاب النار على المشركين والمنافقين، خلاف قول من زعم أنهما تفنيان كما زعم الجهم»[٣].

ويقول عبد الوهاب بن عبد الواحد الحنبلي في رسالة التوحيد: «إن الجنة والنار مخلوقتان، خلقتا للبقاء لا للفناء، فالجنة ثوباً لأوليائه، والنار عقاباً لأهل معصيته، إلا من رحم الله ﷻ، وأن يؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، وينادي منادٍ: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت»[٤].

وذكر الصابوني مذهب أهل السنة فقال: «ويشهد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان، لا يفنيان أبداً، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبداً، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها، لا يخرجون أبداً، وأن المنادي ينادي يومئذ: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت، على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ»[٥].

وقال ابن قدامة المقدسي: «والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان، فالجنة مأوي أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون، ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤ - ٧٥]. ويؤتى بالموت على صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت »[٦].

وحكي عن بعض العلماء من السلف وغيرهم القول ببقاء الجنة، وفناء النار، قيل:

---

(١) الشريعة (ص ٣٩٨).
(٢) الإبانة (ص ٥٥).
(٣) الفرق بين الفرق (ص ٣٣٩).
(٤) رسالة التوحيد (٤٧/ ٢).
(٥) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ١٢٣) - الرسائل المنيرية -.
(٦) لمعة الاعتقاد (ص ٣٥).

وإليه مال شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم رحمهما الله، وإن لم يرد عنهما في ذلك نص صريح، بل جاء عنهما النص الصريح في القول ببقاء النار، وعدم فنائها.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية اتفاق السلف على خلود الجنة والنار فقال: «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها، وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم، ولا يفنى بالكلية، كالجنة والنار والعرش، وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان، ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل، يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإجماع سلف الأمة وأئمتها»(١).

وقال ابن القيم: «وأما النار فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب، ودار الخبيثين، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه كما يركم الشيء، لتراكب بعضه على بعض، ثم يجعله في جهنم مع أهله، فليس فيها إلا خبيث، ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب، لا يشينه خبيث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفنى، وهي دار العصاة، فإنه لا يبقي في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقي إلا دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض»(٢).

وقال القرطبي: «وأجمع أهل السنة على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها، كإبليس، و فرعون، و هامان، و قارون، و كل من كفر وتكبر و طغى، فإن له جهنم لا يموت فيها و لا يحيا. وقد وعدهم الله عذاباً أليماً، فقال ﷻ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]. و أجمع أهل السنة أيضاً على أنه لا يبقى فيها مؤمن، و لا يخلد إلا كافر جاحد »(٣).

وقال النووي: «إن الكفار الذين هم أهل النار والمستحقون للخلود لا يموتون فيها ولا يحيون حياة ينتفعون بها، ويستريحون معها، كما قال الله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، وكما قال: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣]، وهذا جار على مذهب أهل الحق أن نعيم الجنة دائم، وأن عذاب أهل الخلود في النار دائم»(٤).

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٠٧).
(٢) الوابل الصيب (ص ٢٦).
(٣) التذكرة (٢/ ٦٤).
(٤) شرح صحيح مسلم (٣/ ٣٨).

وقال القرطبي بعد ذكر الأحاديث الدالة على خلود النار وبقائها: «هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل النار فيها، لا إلى غاية و لا إلى أمد، مقيمين على الدوام و السرمد من غير موت و لا حياة و لا راحة ولا نجاة، بل كما قال في كتابه الكريم، وأوضح فيه عن عذاب الكافرين: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ إلى قوله: ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٦ - ٣٧]، وقال: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، وقال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ١٩ - ٢٢].

ثم قال: فمن قال: إنهم يخرجون منها، وأن النار تبقى خالية بجملتها، خاوية على عروشها، و أنها تفنى و تزول، فهو خارج عن مقتضى المعقول، ومخالف لما جاء به الرسول، و ما أجمع عليه أهل السنة و الأئمة العدول»(١).

ومما يدل على بطلان هذا القول أنه معارض لصريح نصوص الكتاب والسنة، وقد نقل ابن حزم في مراتب الإجماع اتفاق أهل السنة والجماعة على خلود الجنة والنار، وأقره شيخ الإسلام ابن تيمية في نقده هذا الكتاب(٢).

والأدلة على خلود الجنة والنار وعدم فناء ما فيها كثيرة جدا.

قال تعالى في صفة أهل الجنة: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [البينة: ٨]، وقال: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

وقال في بيان أهل النار: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٥]، وقال: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠].

قال الآجري: «ولهذا في القرآن نظائر كثيرة تخبر أن المتقين في الجنة خالدين فيها آمنين، لا يذوقون فيها الموت أبداً، ولا يخرجون من الجنة أبداً.

ثم قال: وقد ذكر الله ﷻ في كتابه أهل النار الذين هم أهلها يخلدون فيها أبدا»(٣).

وأما الأدلة من السنة النبوية فمنها:

ما أخرجه مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة: «**يناد مناد: إن لكم أن تصحوا فلا**

(١) التذكرة (ص ٤٣٦ - ٤٣٧).
(٢) مراتب الإجماع (ص ١٧٣).
(٣) الشريعة (ص ٣٩٩).

تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبداً، فذلك قوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]»(١).

وعن أبي سعيد الخدري مرفوعا: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة! فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم! هذا الموت، وكلهم قد رآه. ثم ينادي: يا أهل النار! فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم! هذا الموت، وكلهم قد رآه فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول مؤذن بينهم: يا أهل الجنة! لا موت، ويا أهل النار! لا موت، كل خالد فيما هو فيه»(٣).

قال السفاريني بعد ذكر الأدلة على خلود الجنة والنار، وبقاء ما فيهما: «فثبت بما ذكرنا من الآيات الصريحة، والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلودا مؤبداً، كل بما هو فيه من نعيم وعذاب أليم، وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة، فأجمعوا أن عذاب الكفار لا ينقطع، كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع، ودليل ذلك الكتاب والسنة»(٤).

وذهبت الجهمية وبعض المعتزلة ومن تبعهم من الخوارج إلى أن الجنة والنار تفنيان وتبيدان، ليس لهما بقاء ولا خلود، وقالوا: إن الجنة إذا دخلها أهلها ولبثوا فيها زمناً طويلًا، فتبيد الجنة وأهلها، ويبيد نعيمها، وأن أهل النار إذا دخلوا النار ومكثوا فيها زمنا طويلًا، تهلك النار ويبيد عذابها، ثم يبقي الله سبحانه آخراً لا شيء معه، كما كان أولا لا شيء معه، وهو قوله: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ [الحديد: ٣](٥).

ذكر الإمام أحمد مذهب الجهمية في الجنة والنار فقال: «فزعموا أن الله هو قبل الخلق، فصدقوا، وقالوا: يكون الآخر بعد الخلق فلا يبقى شيء، ولا أرض، ولا جنة، ولا نار، ولا ثواب، ولا عقاب، ولا عرش، ولا كرسي، وزعموا أن شيئاً مع الله لا يكون، هو

---

(١) أخرجه مسلم، ك: صفة الجنة، ب: في دوام نعيم أهل الجنة، برقم: (٢٨٣٧).
(٢) تقدم تخريجه. (٣) تقدم تخريجه.
(٤) لوامع الأنوار (٢/ ٢٣٤).
(٥) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ١٤٨)، الفصل (٢/ ٨٣)، أصول الدين للبزدوي (ص ١٦٦)، أصول الدين للبغدادي (ص ٢٣٨)، الفرق (ص ٣١٩)، التبصير في الدين (١/ ٨٧ - ٨٨).

الآخر كما كان، فأضلوا بهذا بشراً كثيراً»[(١)].

قال خارجة: «كفرت الجهمية في غير موضع من كتاب الله ﷻ قولهم: إن الجنة تفنى، وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، فمن قال: إنها تنفد فقد كفر، وقال ﷻ: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]. فمن قال لا يدوم فقد كفر، وقال ﷻ: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، فمن قال إنها تنقطع فقد كفر، وقال: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣] فمن قال إنها تنقطع فقد كفر»[(٢)].

قال الأشعري: «أجمع أهل الإسلام جميعاً إلا جهم أن نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع له، وكذلك عذاب الكفار في النار.

وقال جهم بن صفوان: إن الجنة والنار تفنيان وتبيدان، ويفنى من فيهما حتى لا يبقى إلا الله وحده كما كان وحده لا شيء معه»[(٣)].

وذكر البغدادي مذهب الجهمية في خلود الجنة والنار وقال: «الجهمية أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان»[(٤)].

كما ذكر الشهرستاني في الملل والنحل مذهبهم فقال: «ومنها قولهم: إن حركات أهل الخلد تنقطع، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما، وتلذذ أهل الجنة بنعيمها، وتألم أهل النار بجحيمها؛ إذ لا تتصور حركات لا تتناهي آخراً، كما لا تتصور حركات لا تتناهى أولًا، وحمل قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ على المبالغة والتأكيد، دون الحقيقة في التخليد»[(٥)].

وفي أصول الدين: «أجمع أهل السنة وكل من سلف من أحبار الأمة على دوام بقاء الجنة والنار، وعلى دوام نعيم أهل الجنة، ودوام عذاب الكفرة في النار، وزعم قوم من الجهمية أن الجنة والنار تفنيان»[(٦)].

وقال ابن القيم: «إن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع، لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أحد من أئمة المسلمين، والذين قالوه إنما تلقوه عن قياس فاسد، كما

---

(١) الرد على الجهمية (ص ٤٣).
(٢) السنة لعبد الله (ص ١٤). وروى البخاري هذا القول في خلق أفعال العباد (ص ١٢١) عن ابن مصعب أيضاً.
(٣) مقالات الإسلاميين (٢/ ١٤٨).
(٤) الفرق بين الفرق (ص ١٩٩).
(٥) الملل والنحل (١/ ٨٧ - ٨٨).
(٦) أصول الدين (ص٢٣٨).

اشتبه أصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقا»[١].

وقال أيضاً: «فأما القول بفنائهما فهو قول قاله جهم بن صفوان، إمام المعطلة الجهمية، وليس له فيه سلف قط من الصحابة، ولا من التابعين، ولا أحد من أئمة الإسلام، ولا قال به أحد من أهل السنة، وهذا القول مما أنكره عليه وعلى أتباعه أئمة الإسلام، وكفروهم به، وصاحوا بهم من أقطار الأرض»[٢].

وشبهة القائلين بفناء الجنة والنار أصلهم الذي أصلوه وجعلوه أساسا لرد النصوص الصحيحة، وهو امتناع وجود ما لا نهاية له من الحوادث، واستدلوا بها على حدوث الأجسام، وحدوث ما لم يخل من الحوادث.

فقالوا: إن الجنة والنار تفنيان؛ لأنهما كانتا معدومتين في الماضي، ويخلقهما الله يوم البعث والجزاء، فكل ما كان في الماضي معدوماً فهو حادث، وكل حادث لا بد له من الفناء، فالجنة والنار تفنيان، وليس لهما بقاء.

وهذه شبهة باطلة تعارض الأدلة القطعية والنصوص الشرعية، وقد اعترض عليها علماء أهل السنة، وبسطوا الكلام في الرد عليهم، وردوا شبهتهم الفاسدة بالأدلة الدامغة[٣].

فالسلف اتفقوا[٤] على خلود الجنة ودوام أهلها، وأيضاً قال الجمهور منهم بخلود نار الكفار والمشركين، وبقاؤهم فيها، كما أنهم أجمعوا على فناء نار أهل الكبائر، والعصاة المسلمين، وأنهم يخرجون من النار برحمة أرحم الراحمين، وبشفاعة الشافعين، وهو المذهب الصحيح الذي تدل عليه نصوص الكتاب والسنة.

الأسئلة والأجوبة على وجود الجنة والنار وبقائهما

س١: هل الجنة والنار موجودتان الآن؟ أم لا؟ اذكر الراجح مع التدليل، والرد على المخالفين.

ج١: اختلف في وجودهما الآن على قولين:

١- مذهب الجمهور أنهما مخلوقتان موجودتان الآن.

---

(١) حادي الأرواح (ص ٢٥٣). (٢) المصدر نفسه (ص ٢٥١).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٨/ ٣٠٧)، حادي الأرواح (ص ٢٥١).

(٤) انظر: أصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص ٤٥٢).

٢- وذهب بعض المعتزلة إلى إنكار وجودهما الآن، وقالوا: ينشئهما الله يوم القيامة.

أدلة كل قول:

١- استدل الجمهور على قولهم بعدة أدلة من الكتاب والسنة والإجماع.

أولا: من الكتاب:

أ - قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

ب - قوله تعالى في شأن النار: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

ج - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣ - ١٥]، فأخبر سبحانه أن جنة المأوى عند سدرة المنتهى، ولو كانت غير موجودة لما ساغ هذا التعبير.

د - قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا﴾ [النبأ: ٢١-٢٢]، فقد قال سبحانه: «كانت» ولم يقل: «ستكون».

ثانياً: من السنة:

أ - ما رواه أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيراً، قال: وما رأيت؟ قال: رأيت الجنة والنار»**(١).

ب - ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: **«انخسفت الشمس على عهد** رسول الله ﷺ، فذكر الحديث وفيه: قالوا: رأيناك يا رسول الله تناولت شيئاً في مقامك ثم تكعكعت، فقال: **رأيت الجنة، وتناولت عنقوداً لو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء**، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: **بكفرهن**، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: **يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان»** الحديث(٢).

ج - ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: **«لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: انظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب ينظر إليها، فرجع فقال: والذي نفسي بيده لا يسمع بها أحد إلا دخلها، ثم أمر بها فحفت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر، وما أعددت لأهلها**

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الصلاة، ب: تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما، برقم: (٤٢٦).

(٢) أخرجه البخاري، ك: الكسوف، ب: صلاة الكسوف جماعة، برقم: (١٠٥٢)، ومسلم، ك: الكسوف، ب: ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، برقم: (٩٠٧).

فيها، فرجع فنظر إليها، فقال: والذي نفسي بيده لخشيت ألا يدخلها أحد أبداً، ثم أرسله إلى النار، فقال: انظر إليها، وما أعددت لأهلها فيها، وذهب ونظر إليها، فرآها يركب بعضها بعضاً، فقال: وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها، ثم أمر بها فحفت بالشهوات»الحديث[1].

ثالثاً: الإجماع.

فقد اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبتت نابتة من المعتزلة فأنكرت ذلك.

شبهات المعتزلة القائلين بأنهما غير مخلوقتين الآن.

قالوا:

١- لو كانتا موجودتين الآن للزم عليه اضطراراً أن تفنى يوم القيامة، وأن يهلك كل ما فيها، ويموت لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

٢- لو كانتا موجودتين الآن لزم عليه العبث لبقائهما زمناً متطاولًا معطلتين، وأفعاله ﷻ منزهة عن العبث.

٣- قالوا: وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»[2].

وقال تعالى حكاية عن امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

قالوا: فلو كانت الجنة مفروغاً منها لما كانت قيعاناً، ولما كان لهذا الغراس معنى، ولما ساغ دعاء امرأة فرعون.

الرد على شبهتهم:

أولًا: أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، فيجاب

---

(١) أخرجه أبو داود، ك: السنة، ب: في خلق الجنة والنار، برقم: (٤٧٤٤)، والترمذي، ك: صفة الجنة، ب: ما جاء حفت الجنة بالمكاره...، برقم: (٢٥٦٠)، والنسائي، ك: الأيمان، ب: الحلف بعزة الله، برقم: (٣٧٧٢)، والإمام أحمد (٢/ ٣٣٣)، وابن حبان برقم: (٧٣٩٤)، وأبو يعلى برقم: (٥٩٤٠)، وقواه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٥٢١٠)، وفي صحيح الترغيب والترهيب برقم: (٣٦٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي، ك: الدعوات، ب: ٦٠، برقم: (٣٤٦٢)، والبزار في مسنده برقم: (١٩٩٢)، والطبراني في المعجم الكبير برقم: (١٠٣٦٣)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (١٠٥)، وصحيح الترغيب والترهيب برقم: (١٥٥٠).

عنه: بأن المراد كل شيء مما كتب الله عليه الهلاك والفناء، والجنة والنار خلقتا للبقاء.

وقيل: كل عمل هالك باطل إلا ما أريد به وجهه.

وقيل: إنه لما أنزل الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [طه: ٢٦] قال الملائكة: هلك أهل الأرض، وطمعوا في البقاء، فأنزل الله ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت.

ثانياً: أما الشبهة الثانية فهي شبهة باطلة نشأت من قياس أفعال الله على أفعال خلقه، وهو قياس مع الفارق؛ لأنه سبحانه لا يسأل عما يفعل، ثم إننا لا نسلم أنه يلزم من خلقهما الآن العبث لبقائهما معطلتين، بل نقول: إن الجنة والنار يحصل لهما آثار قبل يوم القيامة، فقد ورد أن العبد المؤمن يأتيه من روح الجنة وطيبها، ويفتح له باب إلى الجنة، وأن العبد الكافر يأتيه من حر النار وسمومها، كما ورد أن بعض أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكافرين في النار، وهذا ينفي ما زعموه.

ثالثاً: أما الشبهة الثالثة، فيجاب عنها: بأن ما ذكروه لا يدل على عدم خلق الجنة والنار، ووجودهما الآن.

غاية ما فيه: الإخبار بأن الله ﷻ لم يكمل خلق الجنة، وأنه لا يزال يحدث فيها شيئاً بعد شيء، حتى إذا دخلها المؤمنون أحدث فيها أشياء لم تكن فيها قبل هذا، وهذا أمر خارج عن محل النزاع.

س٢: هل الجنة والنار موجودتان الآن دائمتان، أم أنهما تفنيان؟ مع الاستدلال على ذلك.

ج٢: الجنة والنار موجودتان الآن، وهما دائمتان باقيتان بإبقاء الله لهما، فلا تفنيان أبداً ولا يفنى من فيهما، قال تعالى في حق أهل الجنة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى في النار وأهلها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٥].

س٣: اختلف الناس في شأن فناء الجنة والنار أو دوامهما، اشرح ذلك مع الترجيح، وذكر الدليل للقول المختار؟

ج٣: اختلف في ذلك على أقوال عدة، أهمها:

١- القول ببقائهما وعدم فنائهما، وبه قال جمهور الأمة من السلف.

٢- القول ببقاء الجنة، وفناء النار، ولو بعد حين. نقل عن بعض السلف.

٣- القول بأن الجنة والنار غير باقيتين. وهذا رأي الجهم بن صفوان.

٤- القول ببقاء الجنة، والتوقف في فناء النار. وهو منسوب إلى ابن القيم، على أنه قد صرح في بعض كتبه بما يوافق الجمهور.

الأدلة:

أولا: استدل الجمهور على بقاء الجنة بقول الله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، فقد أخبر ﷻ أن أكلها وظلها دائمين.

وهذا يقتضي بقاءها وعدم فنائها.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، فقد أخبر سبحانه عن أصحاب الجنة بأنهم لا يخرجون من الجنة، ولم يحدد ذلك بزمن، فدل ذلك على عدم فنائها.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، فقد دلت الآية على بقاء الجنة، ولا ينافي هذا الاستثناء: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٨]؛ لأن الله ﷻ عقب عليه بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، أي: غير مقطوع، أما الاستثناء فقد قيل:

١- المراد مدة مكثهم في النار، وهذا خاص لمن دخل منهم فيها، وليس عاماً.

٢- وقيل: المراد مدة مقامهم في الموقف، وفي قبورهم.

٣- وقيل: المراد إعلامهم بأنهم مع خلودهم في الجنة فهم داخلون تحت مشيئة الله.

أما أدلتهم من السنة:

فقد استدلوا بما ورد عنه ﷺ أنه قال: «**من يدخل الجنة ينعم فلا يبأس ويخلد فلا يموت**»(١)، وكذلك ما ورد عنه أنه ﷺ قال: «**فينادي منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً**»(٢).

أما أدلتهم على بقاء النار فما يأتي:

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الجنة، ب: دوام نعيم أهل الجنة...، برقم: (٢٨٣٦).

(٢) أخرجه مسلم، ك: الجنة، ب: دوام نعيم أهل الجنة...، برقم: (٢٨٣٧).

١- قوله تعالى في أصحاب النار: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

٢- قوله سبحانه: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦].

٣- قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

وأما من السنة:

- فقد قال النبي ﷺ: «**يؤتى بالموت على صورة كبش أقرن، فيذبح بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة: خلود بلا موت، ويا أهل النار: خلود بلا موت**»(١).

أدلة القائلين بفناء النار فقط:

١- قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ١٠٦]، والأحقاب جمع حقب، وهو مدة محدودة من الزمن.

٢- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٦]، ولم يأت بعد هذا الاستثناء ما يدل على استمرار بقائهم في النار، كما في الآيات التي وردت في أهل الجنة، فورود ما يدل على استمرار العطاء لأهل الجنة دون أهل النار يدل على أن الجنة باقية، وأن النار فانية.

٣- ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج، لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه»(٢).

ج - **شبهة القائلين بفناء الجنة والنار** - وهم جهم وأتباعه - هي: أن الجنة والنار حادثتان، وكل حادث يفنى، فالجنة والنار تفنيان، واستدل على ذلك أيضاً بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

والجواب عن الشبهة الأولى أن يقال لهم: إن بقاء الجنة والنار ليس بذاتهما، ولكن بإبقاء الله تعالى لهما.

أما عن الاستدلال بالآية: فيجاب عن الآية بما سبق، وأن ما ذكرناه من أن المراد كل شيء مما كتب الله عليه الفناء فهو هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء، وبهذا يبطل ما ذهب إليه جهم وأتباعه.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه عبد بن حميد، وإسناده ضعيف، كما بينه الألباني في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٨٤).

المختار من الرأيين الأولين:

قد نقل عن بعض السلف القول بفناء النار، لكن الجمهور على أن الجنة والنار باقيتان.

وابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ يفهم مما ذكره في شفاء العليل أنه يختار القول بفناء النار(١)، ويفهم مما ذكره في اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية أنه يرى القول ببقاء الجنة والنار.

أما في كتاب حادي الأرواح، فقد ذهب إلى التوقف في هذه المسألة حيث قال كلاما مفاده: «فإن قيل: إلى أين أقدامكم في هذه المسألة العظيمة الشأن؟ قلنا: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

قال: وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث ذكر دخول أهل الجنة وأهل النار، وما يلاقيه كل منهما، ثم قال بعد ذلك: ثم يفعل الله ما يشاء.

ولعل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ قال بهذه الآراء الثلاثة جميعاً من باب تغيير الاجتهاد.

والراجح - والله أعلم -، القول ببقاء النار، كما هو مذهب جمهور أهل السنة.

وأما الاستدلالات على صحة القول الثاني فليس فيها من الدلالة بما يقوى على معارضة أدلة القول الأول.

- أما قول عمر رَحِمَهُ اللَّهُ فيجاب عنه بما يأتي:

١- أنه أثر ضعيف لا يثبت.

٢- وعلى فرض صحته فقد روي غير هذا، وهو أنه مر على كثيب من الرمل فبكى، قالوا: وما يبكيك؟ قال: ذكرت النار وأهلها، ثم قال: «لو لبث أهل النار في النار مقدار رمل عالج لكان لهم وقت يخرجون منها، ولكنه الخلود أبدا».

فهذا يعطي خلاف ما استدل به عليه؛ لأن المعنى: لو قدر الله مكث أهل النار كقدر رمل عالج فكأنهم سيخرجون، لكنه الخلود أبداً؛ إذ إنه لا يقدر عدد معين، والله أعلم».

س٤: اذكر أقوال الناس في أبدية النار ودوامها بالتفصيل؟

ج٤: للناس في ذلك ثمانية أقوال:

---

(١) يحمل كلام ابن القيم رحمه الله تعالى على فناء نار الموحدين، وقد صرح بذلك في حادي الأرواح، والوابل الصيب (ص٣٤)، بتحقيق: محمد عوض.

١- أنه من دخلها لا يخرج منها أبد الآباد، هذا قول للخوارج والمعتزلة.

٢- أن أهلها يعذبون فيها، ثم تنقلب طبيعتهم، وتبقى طبيعة نارية يتلذذون بها لموافقتها لطبعهم، وهذا قول ابن عربي إمام الصوفية الاتحادية.

٣- أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود، ثم يخرجون منها، ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ، وكذبهم الله تعالى فقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

٤- قال قوم: يخرجون منها، وتبقى على حالها، ليس فيها أحد.

٥- إنها تفنى بنفسها؛ لأنها حادثة، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه، وهذا قول جهم وشيعته، ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار، كما تقدم.

٦- تفنى حركات أهلها ويصيرون جماداً لا يحسون بألم، وهذا قول أبي الهذيل العلاف.

٧- إن الله يخرج منها من يشاء ثم يبقيها زمناً، ثم يعفو، ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه.

٨- إن الله يخرج منها من شاء، ويبقى فيها الكفار بقاءً لا انقضاء له، والقولان الأخيران لأهل السنة، وما عداهما باطل لا محالة، وهذا القولان قد تقدم تقريرهما، وتقرير أدلة كلٍّ منهما في الخلاف حول ثبوت أبدية الجنة والنار.

فأما القول الأول وبه قال بعض الصحابة كعمر وابن مسعود فيما روي عنهم، واستدلوا على ذلك علاوة على ما تقدم بالنصوص الدالة على سعة عفو الله، وإن رحمته سبقت غضبه، قالوا: ولا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين فلو بقوا في العذاب لا إلى غاية لم تسعهم رحمته، وقد قال: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٠٦]، قالوا: وما ورد من النصوص بالخلود فيها والتأبيد وعدم الخروج كله حق مسلم، لكنه يقتضي الخلود ما دامت باقية، وإنما يخرج منها في حال بقائها أهل التوحيد.

وأما القول الثاني: وبه قال جمهور الصحابة والتابعين أن النار باقية لا تفنى، واستدلوا على ذلك علاوة على ما تقدم بقوله تعالى لأهل النار: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠].

كما استدلوا بالآية المتقدمة التي أنزلها الله رداً على اليهود.

فقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وأحاديث

الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان، وبقاء الجنة والنار ليس بذاتهما، ولكن بإبقاء الله لهما.

الترجيح:

والقول الأخير - وهو بقاء النار ودوامها - هو الذي تسكن إليه النفس، ويطمئن إليه القلب؛ لصراحة أدلته المتقدمة، والله أعلم.

س٥: كيف توجه الاستثناء الوارد في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٦ - ١٠٨]؟

ج٥: اختلف السلف في توجيه هذا الاستثناء على أقوال منها:

١- فقيل: معناه إلا مدة مكثهم في النار، وهذا يكون لمن أدخل منهم في النار ثم أخرج منها، لا لكلهم، فهو خاص وليس عامّاً.

٢- وقيل: إلا مدة مقامهم في الموقف.

٣- وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور، والموقف.

٤- وقيل: الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم داخلون تحت مشيئته، لا يخرجون عنها، ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء: ٨٦]، وقوله: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤].

٥- وقيل: إن: «ما» بمعنى: «مَنْ»، أي: إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه.

٦- وقيل: «إلا» بمعنى الواو، وهذا على قول بعض النحاة، وهو ضعيف.

وسيبويه يجعل: «إلا» بمعنى: «لكن»، فيكون الاستثناء منقطعاً، ورجحه ابن جرير.

وقال: إن الله لا يخلف وعده، وقد وصل الاستثناء بقوله: عطاء غير مجذوذ.

قالوا: ونظيره أن تقول: أسكنتك داري حولًا إلا ما شئت، أي: لكن ما شئت من الزيادة عليه.

٧- وقيل: هو استثناء الرب، ولا يفعله، كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت لا تراه بل تجزم بضربه.

س٦: أين يكون أطفال المسلمين في الآخرة؟ في الجنة، أم في النار؟

ج٦: روت عائشة رضي الله عنها قالت: دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: «يا رسول الله طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل سوءاً ولم يدركه، فقال: **أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلا لها، وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا لها، وهم في أصلاب آبائهم**...» رواه مسلم(١).

تنبيه:

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم(٢): أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة؛ لأنه ليس مكلفاً، وتوقف به من لا يعتد به لحديث عائشة هذا.

وأجاب العلماء عنه بأنه لعله ينهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل، ويحتمل أنه قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة، والله أعلم.

س٧: اذكر أنواع المخلوقات في الهداية والإرادة؟

ج٧: الموجودات نوعان:

أحدهما: مسخر بطبعه، هداه الله لما سخره له طبعه، كالشمس والقمر.

ثانيهما: متحرك بإرادته، وقد ركب الله فيه هداية إرادية شعورية تابعة لشعوره وعلمه بما ينفعه ويضره.

ثم قسم هذا النوع إلى ثلاثة أنواع:

١- نوع لا يريد إلا الخير، ولا يتأتى منه إرادة سواه، كالملائكة.

٢- نوع لا يريد إلا الشر، ولا يتأتى منه إرادة سواه، كالشياطين.

٣- نوع يتأتى منه إرادة القسمين كالإنسان.

ثم جعله ثلاثة أصناف:

أ - صنف يغلب إيمانُه ومعرفتُه وعقلُه هواه وشهوتَه، وهذا يلتحق بالملائكة.

ب - وصنف عكسه تماماً، فيلتحق بالشياطين.

---

(١) صحيح مسلم، ك: القدر، ب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، برقم: (٢٦٦٢).

(٢) شرح النووي (١٦/ ٢٠٧).

ج - وصنف تغلب شهوتُه البهيميةُ عقلَه، فليلتحق بالبهائم.

س٨: قد يمنع الله الثواب عن العبد، أو يوجب عليه العقاب، فهل يمكن أن يحدث ذلك من غير علة؟ اشرح ذلك؟

ج٨: مما يجب معرفته أن الله لا يمنع الثواب إلا إذا منع سببه، وهو العمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]، وكذلك لا يعاقب أحداً إلا بعد حصول سبب العقاب، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، فلا ريب أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولكن ذلك كله حكمة منه وعدل، فمنعه لانتفاء الأسباب - التي هي الأعمال الصالحة - من كمال حكمته وعدله سبحانه.

حقيقة الاستطاعة

قال الطحاوي: «والاستطاعةُ[1] التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوُسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]».

---

(١) الاستطاعة لغة: هي القدرة، أما في الاصطلاح فهي نوعان:
١- استطاعة قبل الفعل. ٢- استطاعة مع الفعل.
أما الأولى فهي: صحة الجوارح، وارتفاع الموانع، كالمرض ونحوه، ويقال لها: الاستطاعة الصحيحة، وضدها العجز.
ولا يلزم من وجودها وجود الفعل، فليس كل من كان سليماً صحيحاً قادراً يوجد الفعل المأمور به، وبها يتعلق خطاب الشارع، بمعنى أن صاحبها أهل للتكليف، وللأمر والنهي. وهي صفة تعود إلى العبد.
وأما الثانية: فهي التي بمعنى التوفيق في الطاعة، والخذلان في المعصية، والعون فيما عداهما، وتسمى بالاستطاعة الحقيقية، وضدها الخذلان، ويلزم من وجودها وجود الفعل، فمن وفقه الله لشيء فلا بد من ظهوره، ووجوده، وهي مناط القضاء والقدر، وهي صفة تعود إلى الله، فهو الموفق الخالق للأفعال.
فهذا ملخص مذهب أهل السنة والجماعة في الاستطاعة، والتفريق بين نوعيها، والحمد لله، أنظر: أصول السنة لابن أبي زمنين بتعليق محمد هارون (ص٥٩٣).

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الاستطاعة قسمان:]

الاستطاعة والطاقة[١] والقدرة والوسع ألفاظ متقاربة.

وتنقسم الاستطاعة إلى قسمين: كما ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو قول عامة أهل السنة[٢]. وهو الوسط.

وقالت القدرية والمعتزلة: لا تكون القدرة إلا قبل الفعل[٣].

وقابلهم طائفة من أهل السنة[٤]، فقالوا: لا تكون إلا مع الفعل.

[الاستطاعة المتعلق بها الأمر قبل الفعل:]

والذي قاله عامة أهل السنة: أن للعبد قدرةً هي مناط الأمر والنهي، وهذه قد تكون قبل الفعل، لا يجب أن تكون معه، والقدرة التي بها الفعل لا بد أن تكون مع الفعل، لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة.

[الاستطاعة من جهة التمكن:]

وأما القدرةُ التي من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات، فقد تتقدم الأفعال، وهذه القدرة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

فأوجب الحج على المستطيع، فلو لم يستطع إلا من حج لم يكن الحج قد وجب إلا على من حج، ولم يعاقب أحدا على ترك الحج، وهذا خلاف المعلوم بالضرورة من دين الإسلام.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فأوجب التقوى بحسب الاستطاعة، فلو كان من لم يتق الله لم يستطع التقوى، لم يكن قد أوجب التقوى إلا على من اتقى، ولم يعاقب من لم يتق، وهذا معلوم الفساد.

[الاستطاعة التي هي حقيقة القدرة:]

وأما ثبوت الاستطاعة التي هي حقيقة القدرة فقد ذكروا فيها قوله تعالى: ﴿مَا

---

(١) هذا المبحث أخذه الشارح من منهاج السنة (٣/ ٤١-٥٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ١٧٣).

(٣) لم يثبتوا إلا الاستطاعة التي هي سلامة الآلات والجوارح وارتفاع الموانع، انظر الفتاوى (١٨/ ١٧٣).

(٤) هم أهل الكلام من أصحاب الاشعري،انظر مجموع الفتاوى (٨/ ٣٧١، ٤٧٠).

كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴾، والمراد نفي حقيقة القدرة، لا نفي الأسباب والآلات؛ لأنها كانت ثابتة، وسيأتي لذلك زيادة بيان عند قوله: «ولا يطيقون إلا ما كلفهم» إن شاء الله تعالى.

[فساد قول القدرية في إقدار الله للعبد:]

وما قالته القدرية بناء على أصلهم الفاسد، وهو إقدار الله للمؤمن، والكافر، والبر، والفاجر سواء، فلا يقولون: إن الله خص المؤمن المطيع بإعانة حصل بها الإيمان، بل هذا بنفسه رجح الطاعة، وهذا بنفسه رجح المعصية، كالوالد الذي أعطى كل واحد من بنيه سيفا، فهذا جاهد به في سبيل الله، وهذا قطع به الطريق، وهذا القول فاسد باتفاق أهل السنة والجماعة المثبتين للقدر، فإنهم متفقون على أن لله على عبده المطيع نعمة دينية خصه بها دون الكافر، وأنه أعانه على الطاعة إعانة لم يعن بها الكافر كما قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧]، فالقدرية يقولون: إن هذا التحبيب والتزيين عام في كل الخلق، وهو بمعنى البيان وإظهار دلائل الحق، والآية تقتضي أن هذا خاص بالمؤمن؛ ولهذا قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾، والكفار ليسوا راشدين.

فلما كان أصل قول القدرية أن فاعل الطاعات وتاركها كلاهما في الإعانة والإقدار سواء، امتنع على أصلهم أن يكون مع الفعل قدرة تخصه، والصواب أن القدرة نوعان كما تقدم: نوع مصحح للفعل يمكن معه الفعل والترك، وهذه هي التي يتعلق بها الأمر والنهي، وهذه تحصل للمطيع والعاصي، وتكون قبل الفعل، وتبقى إلى حين الفعل، وهذه قد تصلح للضدين، وأمر الله مشروط بهذه الطاقة، فلا يكلف الله من ليس معه هذه الطاقة، وضد هذه العجز كما تقدم.

[الاستطاعة المشروطة في الشرع:]

وأيضا فالاستطاعة المشروطة في الشرع أخص من الاستطاعة التي يمتنع الفعل مع عدمها، فإن الاستطاعة الشرعية قد تكون ما يتصور الفعل مع عدمها، وإن لم يعجز عنه، فالشارع ييسر على عباده، ويريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر، وما جعل عليكم في الدين من حرج، والمريض قد يستطيع القيام مع زيادة المرض وتأخر برئه، فهذا في الشرع غير مستطيع؛ لأجل حصول الضرر عليه، وإن كان قد يسمى مستطيعا، فالشارع لا

ينظر في الاستطاعة الشرعية إلى مجرد إمكان الفعل، بل ينظر إلى لوازم ذلك، فإن كان الفعل ممكنا مع المفسدة الراجحة لم تكن هذه استطاعة شرعية، كالذي يقدر على الحج مع ضرر يلحقه في بدنه أو ماله، أو يصلي قائما مع زيادة مرضه، أو يصوم الشهرين مع انقطاعه عن معيشته ونحو ذلك.

فإذا كان الشارع قد اعتبر في الممكن عدم المفسدة الراجحة فكيف يكلف مع العجز؟

الأسئلة والأجوبة في حقيقة الاستطاعة

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والاستطاعةُ التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به تكون مع الفعل...»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والاستطاعةُ التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به تكون مع الفعل...» لمسائل عديدة يمكن إجمالها فيما يلي:

١- الاستطاعة قسمان.
٢- الاستطاعة المتعلق بها الأمر قبل الفعل.
٣- الاستطاعة من جهة التمكن.
٤- الاستطاعة التي هي حقيقة القدرة.
٥- فساد قول القدرية في إقدار الله للعبد.
٦- الاستطاعة المخصوصة في الشرع.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «والاستطاعةُ التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوُسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]»؟

ج٢: الاستطاعة نوعان:

١- استطاعة بمعنى وجود آلات الفعل والطاقة والقدرة اللازمة لفعله، والوسع المطلوب للفعل، فهذه قد تكون قبل الفعل، بل هي أصلًا تكون قبل الفعل، وعلى أساسها يكون الأمر والنهي، كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فالخطاب متعلق بها، والتكليف منوط بها.

٢- والاستطاعة الثانية: هي القدرة والإرادة بها الفعل، وهذه تكون مع الفعل، وهي

بمثابة التوفيق والهداية، الذي لا يوصف به إلا الله تعالى.

س٣: ما معنى الاستطاعة؟ واذكر أقسامها عند أهل السنة والجماعة؟

ج٣: الاستطاعة هي القدرة والطاقة، وتنقسم الاستطاعة عند أهل السنة والجماعة إلى قسمين:

١- استطاعة قبل الفعل. ٢- واستطاعة مع الفعل.

يعني قدرة وطاقة يوصف بها العبد قبل أن يفعل الفعل، وتستمر معه إلى أن يفعل.

وقدرة وطاقة تكون مع الفعل، ولا يجوز أن ينفك الفاعل عنها.

س٤: ما هي الاستطاعة التي يتعلق بها الخطاب؟

ج٤: الاستطاعة التي يتعلق بها الخطاب هي الاستطاعة قبل الفعل، وهي التي يتعلق بها الحساب والعقاب والخطاب والأمر والنهي.

س٥: ما هي أقسام الاستطاعة قبل الفعل؟

ج٥: تنقسم إلى قسمين:

١- استطاعة كونية. ٢- استطاعة شرعية.

وهي المرادة هنا؛ لأن التكليف والأمر والنهي متعلق بها.

والاستطاعة الكونية أخص من الاستطاعة الشرعية.

س٦: من هم المخالفون في مسألة الاستطاعة؟

ج٦: المخالفون لأهل السنة في مسألة الاستطاعة:

أولا: الجبرية: فقد أنكروا الاستطاعة.

ثانياً: القدرية والمعتزلة: يثبتون الاستطاعة مطلقاً.

والصواب ما عليه أهل السنة، فإنهم يقسمون الاستطاعة إلى قسمين:

الأولى: الاستطاعة التي بمعنى سلامة الآلات والتمكن من العمل الظاهر، وهذه هي مناط التكليف، فكل صحيح سليم الآلات، وليس هناك ما يمنعه من الفعل، فهو مخاطب بخطاب الشرع في الأمر والنهي، وهي التي بمعنى قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الثانية: الاستطاعة التي بمعنى التوفيق وحصول الفعل، فهذه استطاعة ليست في إمكان العبد كما قال تعالى عن الكفار: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾

[هود: ٢٠]، وبهذا يتبين خطأ القدرية الذين أثبتوا الاستطاعة مطلقاً، والجبرية الذين نفوا الاستطاعة مطلقاً، والحق وسط بينهما[١].

س٧: ما المقصود بالاستطاعة التي يجب بها التكليف؟ وما مذهب المخالفين من القدرية والمعتزلة في شأن الاستطاعة والقدرة والوسع؟

ج٧: أما الاستطاعة التي يجب بها التكليف هي قدرة العبد على الفعل، من حيث الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات، وذلك بما يتيح للعبد إمكانية فعل التكليف، والقدرة على القيام به، وهذه الاستطاعة تكون موجودة قبل فعل الإنسان للشيء، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، حيث صار الحج واجباً على كل مستطيع له، ولو لم يستطع إلا من كان مؤديا للحج فقط، ما وجب الحج إلا على من أداه، ولم يستحق أحد العقاب على ترك الحج، ومن المعلوم بالضرورة من الدين بطلان هذا القول.

وأما المخالفون من القدرية والمعتزلة فإنهم يقولون: لا تكون القدرة إلا قبل الفعل، ولا توجد قدرة مقارنة للفعل؛ وذلك لأن القدرة يتعلق بها الفعل والترك، وحال وجود الفعل يمتنع الترك، والمطيع وتارك الطاعة عندهم سواء من جهة أنهما قادران على الفعل، وهذا خطأ؛ لأنه لا بد من وجود القدرة أيضاً مع الفعل؛ لأنه لا يمكن أن يوجد شيء مع انعدام بعض شروطه الوجودية.

ومع ذلك فإن أفعال العباد كسب لهم، وناشئة عن إرادتهم؛ ولهذا نسب الله الأفعال إلى العباد أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، وقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٨]، فدل على فعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إليه، وهكذا فأهل السنة يثبتون للعبد إرادة، لكنها مخلوقة لله ﷻ، فهم وسط بين الفريقين في شأن أفعال العباد.

س٨: اذكر مذهب أهل السنة والجماعة في أفعال العباد؟

ج٨: اتفق أهل السنة والجماعة وأئمة السلف قبل ظهور أهل البدع على أن الخالق هو الله لا سواه، وأن الحوادث كلها حادثة بقدر الله، لا فرق بين فعل العبد وغيره، وأفعال العباد جميعها مخلوقة لله.

---

(١) انظر: التعليقات الجلية (ص ٨٣).

واستدلوا على ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة:

١- أما من الكتاب:

أ - قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٢]، فأتى بكلمة: ﴿كُلِّ﴾، الدالة على الإحاطة والعموم، وأفعالنا من جملة الأشياء المسورة بالسور الكلي.

ب - قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

ج - وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

د - وقال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣].

هـ - وصرح بخلق الشر كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١ - ٢].

٢- وأما من السنة ففي أحاديث كثيرة، منها:

أ - قوله ﷺ: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»(١).

ب - وقوله ﷺ: «**أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة**»(٢).

س٩: ما هو المترجح في أمر الاستطاعة؟

ج٩: المترجح في أمر الاستطاعة هو أن القدرة نوعان:

١- قدرة على أداء الفعل قبل وجوده، وتبقى إلى حين الفعل، وهي مناط التكليف، وتكون للمطيع والعاصي، وهي مصححة للفعل يمكن معها الفعل والترك، وضدها العجز.

٢- ما يجب به الفعل، أي: يوجد بها الفعل، وهذه لا تكون إلا مع الفعل، لا توجد قبله بحال.

قال الشيخ ناصر الدين الألباني: «قلت: والأولى قال بها الأشاعرة، والأخرى قال بها المعتزلة، والصواب القول بهما معاً على التفصيل الذي ذكره المؤلف رحمه الله».

---

(١) أخرجه مسلم، ك: القدر، ب: ب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، برقم: (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه أبو داود، ك: السنة، ب: في القدر، برقم: (٤٧٠٠)، والترمذي، ك: القدر، ب: ١٧، برقم: (٢١٥٥)، وقد صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٢٠١٧).

وقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بياناً شافياً لا بأس بنقله بتمامه لأهميته، قال[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد تكلم الناس من أصحابنا وغيرهم في استطاعة العبد، هل هي مع فعله؟ أم قبله؟ وجعلوها قولين متناقضين، فقوم جعلوا الاستطاعة مع الفعل فقط، وهذا هو الغالب على مثبتة القدر المتكلمين من أصحاب الأشعري، ومن وافقهم من أصحابنا وغيرهم.

وقوم جعلوا الاستطاعة قبل الفعل، وهو الغالب على النفاة من المعتزلة والشيعة.

وجعل الأولون القدرة لا تصلح إلا لفعل واحد؛ إذ هي مقارنة له لا تنفك عنه، وجعل الآخرون الاستطاعة لا تكون إلا صالحة للضدين، ولا تقارن الفعل أبدا.

والقدرية أكثر انحرافا؛ فإنهم يمنعون أن يكون مع الفعل قدرة بحال، فإن عندهم أن المؤثر لا بد أن يتقدم على الأثر، لا يقارنه بحال، سواء في ذلك القدرة، والإرادة، والأمر.

والصواب الذي دل عليه الكتاب والسنة أن الاستطاعة متقدمة على الفعل، ومقارنة له أيضاً، وتقارنه أيضا استطاعة أخرى لا تصلح لغيره.

فالاستطاعة نوعان:

١- متقدمة صالحة للضدين. ٢- ومقارنة لا تكون إلا مع الفعل.

فتلك هي المصححة للفعل، المجوزة له.

وهذه هي الموجبة للفعل المحققة له.

قال الله تعالى في الأولى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، ولو كانت هذه الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل لما وجب الحج إلا على من حج، ولما عصى أحد بترك الحج، ولا كان الحج واجبا على أحد قبل الإحرام به، بل قبل فراغه.

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فأمر بالتقوى بمقدار الاستطاعة، ولو أراد الاستطاعة المقارنة لما وجب على أحد من التقوى إلا ما فعل فقط؛ إذ هو الذي قارنته تلك الاستطاعة.

وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والوسع: الموسوع وهو الذي تسعه وتطيقه، فلو أريد به المقارنة لما كلف أحد إلا الفعل الذي أتى به فقط دون ما تركه من الواجبات.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٨/ ٣٧١-٣٧٦).

... ونظائر هذا متعددة، فإن كل أمر علق في الكتاب والسنة وجوبه بالاستطاعة وعدمه بعدمها لم يرد به المقارنة، وإلا لما كان الله قد أوجب الواجبات إلا على من فعلها، وقد أسقطها عمن لم يفعلها، فلا يأثم أحد بترك الواجب المذكور.

وأما الاستطاعة المقارنة الموجبة فمثل قوله تعالى: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]، فهذه الاستطاعة هي المقارنة الموجبة؛ إذ الأخرى لابد منها في التكليف.

فالأولى: هي الشرعية التي هي مناط الأمر والنهي والثواب والعقاب، وعليها يتكلم الفقهاء، وهي الغالبة في عرف الناس.

والثانية: هي الكونية التي هي مناط القضاء والقدر، وبها يتحقق وجود الفعل، فالأولى للكلمات الأمريات الشرعيات، والثانية للكلمات الخلقيات الكونيات، كما قال: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: ١٢].

وقد اختلف الناس في قدرة العبد على خلاف معلوم الحق أو مراده، والتحقيق أنه قد يكون قادراً بالقدرة الأولى الشرعية المتقدمة على الفعل، فإن الله قادر أيضاً على خلاف المعلوم والمراد، وإلا لم يكن قادرا إلا على ما فعله، وليس العبد قادراً على ذلك بالقدرة المقارنة للفعل، فإنه لا يكون إلا ما علم الله كونه وأراد كونه، فإنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وكذلك قول الحواريين: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٢]، إنما استفهموا عن هذه القدرة، وكذلك ظن يونس عليه السلام: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، أي: فسر بالقدرة، كما يقال للرجل: هل تقدر أن تفعل كذا؟ أي: هل تفعله، وهو مشهور في كلام الناس.

ولما اعتقدت القدرية أن الأولى كافية في حصول الفعل، وأن العبد يحدث مشيئته، جعله مستغنياً عن الله حين الفعل، كما أن الجبرية لما اعتقدت أن الثانية موجبة للفعل، وهي من غيره، رأوه مجبورا على الفعل وكلاهما خطأ قبيح».

س: بين كيف أن أهل السنة والجماعة وسط بين القدرية والجبرية في أفعال العباد؟

جـ: أهل السنة والجماعة في شأن أفعال العباد وسط بين الجبرية الذين ينفون إرادة العبد بالكلية، ويجعلون أفعال العباد الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش، وهبوب الرياح، وحركات الأشجار، وهم يريدون بذلك نسبة الأفعال كلها إلى الله تعالى، وبين القدرية

الذين ينفون إرادة الله في أفعال العباد، ويجعلون العبد هو خالق أفعال نفسه، فهم في الحقيقة بمنزلة المجوس، بل شر منهم.

وأهل السنة والجماعة وسط بين الفريقين، فهم يقولون إن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى؛ لعموم قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٢].

س١٠: بِمَ استدل الجبرية للقول بأن أفعال العباد اضطرارية، وأنها من تدبير الله، ولا تضاف للخلق إلا على وجه المجاز؟

ج١٠: من أدلة الجبرية على قولهم الباطل قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، ونظائره.

وكذلك قول النبي ﷺ: «لن يدخل أحد الجنة بعمله...»[1].

قالوا: ففي الأول نفى الرمي عن النبي ﷺ، فدل على أن الصنع لله لا للعبد، وفي الثاني أوضح أن الجزاء غير مترتب على الأعمال.

س١١: بِمَ أجاب أهل السنة على حجج الجبرية؟

ج١١: قال أهل السنة إن الرمي المنفي في الآية غير الرمي المثبت، فأول الرمي «وهو الحذف» أثبت للنبي ﷺ في قوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، وأما غاية الرمي وهي الإصابة، فهي المقصودة بالنفي، فيكون الله تعالى هو الذي أصاب المشركين، فلا يمنع أن أصل الفعل من المخلوق.

ولو صح كلامهم لقيل: وما صليت إذ صليت، وما صمت إذ صمت، وما سرقت إذ سرقت، وهو ظاهر الفساد والبطلان.

وأما الحديث فمراده أن العمل ليس ثمناً للجنة، أو عوضاً لها كما قالت المعتزلة: إنه يستحق الجنة بعمله.

وإنما هو سبب كما قال تعالى: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، فالباء المثبتة للسببية، والمنفية باء العوض.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: المرضى، ب: تمني المريض الموت، برقم: (٥٦٧٣)، ومسلم، ك:صفات المنافقين وأحكامهم، ب: لن يدخل أحد الجنة بعمله...، برقم: (٢٨١٦).

س١٢: بمَ استدل المعتزلة في قولهم: إن أفعال العباد اختيارية لا تتعلق بخلق الله؟

ج١٢: استدلوا بأدلة منها:

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، وغير ذلك.

س١٣: بمَ أجاب أهل السنة على استدلال المعتزلة؟

ج١٣: أجابوا على استدلال المعتزلة بالآية بمثل ما أجابوا الجبرية، فالباء للسببية، وليست للعوض.

وكذلك أجابوهم بعموم الآيات الدالة على الخلق، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، فإنها تثبت عموم الخلق لله تعالى، فيدخل فيه أفعال العباد.

س١٤: ما هي مذاهب الناس في شأن التكليف بما لا يطاق؟ وما هو مذهب أهل السنة في ذلك؟

ج١٤: ذهب أهل السنة إلى امتناع التكليف بما لا يطاق؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ونظائرها.

وأما قوله تعالى للمصورين: «أحيوا ما خلقتم»(١)، فهذا أمر تعجيز، وليس أمر تكليف.

وذهب أبو الحسن الأشعري إلى جواز التكليف بما لا يطاق عقلًا، واختلف أصحابه في وقوعه شرعاً.

وأما ما جاء من جنس قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]، فالمقصود بعدم استطاعتهم ثقله عليهم للهوى، أو الحسد، وليس عدم قدرتهم على السمع.

س١٥: ما المقصود بقول الطحاوي: «وكل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره»؟

ج١٥: المقصود بالمشيئة والقضاء هنا الإرادة الكونية والقضاء الكوني، والذي به تخلف الأشياء، كقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]، وأما القضاء الشرعي فهو كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

---

(١) أخرجه البخاري، ك: النكاح، ب: هل يرجع إذا رأى منكراً في الدعوة، برقم: (٥١٨١)، ومسلم، ك: اللباس والزينة، ب: تحريم تصوير صورة الحيوان...، برقم: (٢١٠٨).

أفعال العباد مخلوقة لله، وكسب لهم

قال الطحاوي: «وأفعال العباد هي خلق الله، وكسب من العباد».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[قول الجبرية:]

اختلف الناس في أفعال العباد الاختيارية:

١- فزعمت الجبرية ورئيسهم الجهم بن صفوان السمرقندي أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى، وهي كلها اضطرارية، كحركات المرتعش والعروق النابضة وحركات الأشجار، وإضافتها إلى الخلق مجاز.

[قول المعتزلة:]

٢- وقابلتهم المعتزلة، فقالوا: إن جميع الأفعال الاختيارية من جميع الحيوانات بخلقها، لا تعلق لها بخلق الله تعالى.

واختلفوا فيما بينهم: أن الله تعالى يقدر على أفعال العباد أم لا؟

[قول أهل الحق:]

قال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق ﷻ منفرد بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه.

[الجبرية غلوا في إثبات القدر:]

فالجبرية غلوا في إثبات القدر، فنفوا صنع العبد أصلا.

[خلاصة مذهب القدرية:]

والقدرية نفاة القدر، جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة.

[هداية الله للمؤمنين:]

وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

[أدلة الجبرية إثبات للخلق والمشيئة:]

فكل دليل صحيح يقيمه الجبري؛ فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه على

كل شيء قدير، وأن أفعال العباد من جملةِ مخلوقاته، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة، ولا مريد ولا مختار، وأنَّ حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار.

[أدلة القدرية لا تنفي قدر الله حقيقة:]

وكل دليل صحيح يقيمه القَدَريُّ؛ فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقةً، وأنه مريد له مختارٌ له حقيقةً، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى، وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته.

[الحق مستخلص من جمع أدلة الطائفتين:]

فإذا ضمَمْتَ ما مع كلِّ طائفة منهما من الحق إلى حقِّ الأخرى، فإنما يدل ذلك على ما دلَّ عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة، من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم.

[أدلة الحق لا تتعارض:]

وهذا هو الواقع في نفس الأمر، فإن أدلةَ الحق لا تتعارض، والحقُّ يصدق بعضه بعضاً، ويضيق هذا المختصر عن ذكر أدلة الفريقين(١)، ولكنها تتكافأ وتتساقط، ويستفاد من دليل كل فريق بطلان قول الآخر.

[تعليل تفضل الله على بعض الخلق دون البعض:]

وثَمَّ شبهة من شبه القوم التي فرقتهم، بل مزقتهم كل ممزق، وهي أنهم قالوا: كيف يستقيم الحكم على قولكم بأن الله يعذب المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم؟ فأين العدل في تعذيبهم على ما هو خالقه وفاعله فيهم؟

[تفرق الناس بسبب هذه الشبهة:]

وهذا السؤال لم يزل مطروقا في العالم على ألسنة الناس، وكل منهم يتكلم في جوابه بحسب علمه ومعرفته، وعنه تفرقت بهم الطرق، فطائفة أخرجت أفعالهم عن قدرة الله

---

(١) يستفاد من دليل كل فريق بطلان قول الآخر، فكل واحد منهما يعارض أدلة الآخر ولا يقر بها، وأما أهل السنة والجماعة فقد أخذوا بالحق جميعاً، ففهموا الأدلة الدالة على خلق الله تعالى لأفعال عباده، كما فهموا الأدلة الدالة على ثبوت الكسب للعباد.

تعالى، وطائفة التزمت الجبر، وأن الله يعذبهم على ما لا يقدرون عليه.

وهذا السؤال هو الذي أوجب التفرق والاختلاف.

[الجواب عن هذه الشبهة:]

والجواب الصحيح عنه أن يقال: إن ما يبتلى به العبد من الذنوب الوجودية، وإن كانت خلقا لله تعالى، فهي عقوبة له على ذنوب قبلها، فالذنب يكسب الذنب، ومن عقاب السيئة السيئة بعدها، فالذنوب كالأمراض التي يورث بعضها بعضا.

يبقى أن يقال: فالكلام في الذنب الأول الجالب لما بعده من الذنوب؟ يقال: هو عقوبة أيضا على عدم فعل ما خلق له، وفطر عليه، فإن الله سبحانه خلقه لعبادته وحده لا شريك له، وفطره على محبته وتأليهه والإنابة إليه كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠]، فلما لم يفعل ما خلق له، وفطر عليه من محبة الله وعبوديته والإنابة إليه عوقب على ذلك بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصي، فإنه صادف قلبا خاليا قابلا للخير والشر، ولو كان فيه الخير الذي يمنع ضده لم يتمكن منه الشر كما قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤]، وقال إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص:٨٢ - ٨٣]، والإخلاص: خلوص القلب من تأليه ما سوى الله تعالى وإرادته ومحبته، فخلص لله، فلم يتمكن منه الشيطان، وأما إذا صادفه فارغا من ذلك تمكن منه بحسب فراغه، فيكون جعله مذنبا مسيئا في هذه الحال عقوبةً له على عدم هذا الإخلاص، وهي محض العدل.

[عقوبة الذنوب والغفلة تسليط الشيطان:]

وقد أخبر الله تعالى أن تسليط الشيطان إنما هو على الذين يتولونه والذين هم بالله مشركون، فلما تولوه دون الله وأشركوا به عوقبوا على ذلك بتسليطه عليهم، وكانت هذه الولاية والإشراك عقوبة خلو القلب وفراغه من الإخلاص.

فإلهام البر والتقوى ثمرة هذا الإخلاص ونتيجته، وإلهام الفجور عقوبة على خلوه من الإخلاص.

وهذا البر وهذه التقوى والإخلاص والإنابة إليه هو محض منته وفضله، وهو من أعظم الخير الذي هو بيده، والخير كله في يديه، ولا يقدر أحد أن يأخذ من الخير إلا ما

أعطاه، ولا يتقي من الشر إلا ما وقاه.

[الله لا يمنع العبد ما هو مستحق له:]

هذا، ولا يكون سبحانه بمنعهم من ذلك ظالما، وإنما يكون المانع ظالما إذا منع غيره حقا لذلك الغير عليه، وهذا هو الذي حرمه الرب على نفسه، وأوجب على نفسه خلافه، وأما إذا منع غيره ما ليس بحق له، بل هو محض فضله ومنته عليه، لم يكن ظالما بمنعه، فمنع الحق ظلم، ومنع الفضل والإحسان عدل، وهو سبحانه العدل في منعه، كما هو المحسن المنان بعطائه.

[تعليل تفضل الله على بعض الخلق دون البعض:]

هذا، وثمَّ سؤال يرد هنا، وحاصله: لمَ تفضَّل على هذا؟ ولم يتفضل على الآخر؟

وقد تولى الله سبحانه الجواب عنه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]، وقوله: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩].

[الحكمة الإلهية لا يطلع عليها كل أحد:]

هذا، وليس في الحكمة إطلاع كل فرد من أفراد الناس على كمال حكمته في عطائه ومنعه، بل إذا كشف الله عن بصيرة العبد حتى أبصر طرفا يسيرا من حكمته في خلقه وأمره وثوابه وعقابه وتخصيصه وحرمانه، وتأمل أحوال مَحالِّ ذلك؟ استدل بما علمه على ما لم يعلمه.

[الرد على استشكال المشركين:]

ولما استشكل أعداؤه المشركون هذا التخصيص، وقالوا: أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا؟ قال تعالى مجيبا لهم: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

[الله تعالى أعلم بالمستحق للنعمة:]

فتأمل هذا الجواب تر في ضمنه أنه سبحانه أعلم بالمحل الذي يصلح لغرس شجرة النعمة، فتثمر بالشكر، من المحل الذي لا يصلح لغرسها، فلو غرست فيه لم تثمر، فكان غرسها هناك ضائعا لا يليق بالحكمة كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

[العبد له فعل وقدرة:]

وهنا فائدة لا بد من العلم بها: وهي أنّ العبد فاعل لفعله حقيقة، وله قدرة حقيقية، قال

تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦]، وأمثال ذلك.

[أفعال العبد نوعان:]

وإذا ثبت كون العبد فاعلا فأفعاله نوعان:

نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته فيكون صفة له، ولا يكون فعلا كحركات المرتعش.

ونوع يكون منه مقارنا لإيجاد قدرته واختياره، فيوصف بكونه صفة وفعلا وكسبا للعبد كالحركات الاختيارية، والله تعالى هو الذي جعل العبد فاعلا مختارا، وهو الذي يقر على ذلك وحده لا شريك له، ولهذا أنكر السلف الجبر، فإن الجبر لا يكون إلا من عاجز، فلا يكون إلا مع الإكراه، يقال: للأب ولاية إجبار البكر الصغيرة على النكاح، وليس له إجبار الثيب البالغ، أي: ليس له أن يزوجها مكرهة، والله تعالى لا يوصف بالإجبار بهذا الاعتبار.

والله تعالى إنما يعذب عبده على فعله الاختياري، والفرق بين العقاب على الفعل الاختياري وغير الاختياري مستقر في الفطر والعقول.

[أفعال العباد خلق الله تعالى:]

فالحاصل أن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله تعالى، ومفعول لله تعالى ليس هو نفس فعل الله، ففرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق.

وإلى هذا المعنى أشار الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «وأفعال العباد خلق الله، وكسب من العباد» أثبت للعباد فعلا وكسبا، وأضاف الخلق لله تعالى، والكسب: هو الفعل الذي يعود على فاعله منه نفع أو ضرر كما قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[البقرة: ٢٨٦].

الأسئلة والأجوبة على: أن أفعال العباد مخلوقة لله، وكسب لهم

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «وأفعال العباد هي خلق الله، وكسب من العباد»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «وأفعال العباد هي خلق الله وكسب من العباد» لمسائل عديدة يمكن إجمالها فيما يلي:

١- قول الجبرية والمعتزلة. ٢- قول أهل الحق.
٣- الجبرية غلوا في إثبات القدر. ٤- خلاصة مذهب القدرية.
٥- هداية الله للمؤمنين. ٦- أدلة الجبرية إثبات للخلق والمشيئة.
٧- أدلة القدرية لا تنفي قدر الله حقيقة. ٨- الحق مستخلص من جمع أدلة الطائفتين.
٩- أدلة الحق لا تتعارض.
١٠- تعليل تفضل الله على بعض الخلق دون البعض.
١١- تفرق الناس بسبب هذه الشبهة. ١٢- الجواب عن هذه الشبهة.
١٣- عقوبة الذنوب والغفلة تسليط الشيطان.
١٤- الله لا يمنع العبد ما هو مستحق له.
١٥- تعليل تفضل الله على بعض الخلق دون البعض.
١٦- الحكمة الإلهية لا يطلع عليها كل أحد.
١٧- الرد على استشكال المشركين. ١٨- الله تعالى أعلم بالمستحق للنعمة.
١٩- العبد له فعل وقدرة. ٢٠- أفعال العبد نوعان.
٢١- أفعال العباد خلق الله تعالى.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «وأفعال العباد هي خلق الله، وكسب من العباد»؟

ج٢: أفعال العباد كلها خلق الله تعالى كما قال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، لكنها كسب من العباد، وهذا هو قول أهل الحق، خلافاً للجبرية الذين نفوا أي إرادة للعبد، وخلافاً للمعتزلة الذين جعلوا العبد خالق أفعال الشر دون إرادة الله، فهم في طرفي النقيض الإفراط والتفريط، والوسط قول أهل السنة والجماعة.

والحاصل أن المصنف يرد عليه بهذه الجملة: «وأفعال العباد خلق الله، وكسب من العباد»، فالله تعالى هو الذي خلق العبد وقدرته وإرادته، وفعل العبد ينسب إليه، وهو كسب منه.

س٣: ما المراد بالكسب عند المعتزلة والأشاعرة؟

ج٣: الكسب هو نتيجة التكليف، وهو العمل.

أما القدرية فإنهم يفسرون الكسب على أنه خلق العبد لفعله.

وأما الأشاعرة فالكسب عندهم هو اقتران الفعل بفعل الله تعالى، أو اقتران ما يحدثه العبد بفعل الله تعالى، فعندهم أن الفعل حقيقة هو فعل العبد، حصل له العمل،

فالعبد عندهم في الظاهر مختار، ويعمل ويحصل ما يريد، لكنه في الباطن مفعول به[(١)].

التكليف بما يطاق، والمشيئة نافذة شاملة

قال الطحاوي: «ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم[(٢)]. وهو تفسير: لا حول ولا قوة إلا بالله، نقول: لا حيلة لأحد ولا تحول لأحد، ولا حركة لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله، والثبات عليها إلا بتوفيق الله. وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، وغلبت مشيئته المشيئات كلَّها، وعكست إرادته الإرادات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء، وهو غير ظالم أبدا ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[التكاليف الشرعية لا تكون إلا بما يطاق:]

قوله: «ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون»، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[البقرة: ٢٨٦]، ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[الأنعام: ١٥٢]، وكذا لا يلزم دعاء المؤمنين في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] أنَّ تحميل ما لا يطاق ليس تكليفا، بل يجوز أن يحمله جبلا لا يطيقه فيموت.

وقال ابن الأنباري: أي لا تحملنا ما يثقل علينا أداؤه وإن كنا مطيقين له على تجشم وتحمل مكروه. قال: فخاطب العرب على حسب ما تعقل، فإن الرجل منهم يقول للرجل يبغضه: ما أطيق النظر إليك، وهو مطيق لذلك، لكنه يثقل عليه، ولا يجوز في الحكمة أن يكلفه بحمل جبل بحيث لو فعل يثاب ولو امتنع يعاقب، كما أخبر سبحانه عن نفسه أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها.

---

(١) انظر: المسار (ص١٨٣).

(٢) قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقاً على هذه العبارة: «هذا غير صحيح، بل المكلفون يطيقون أكثر مما كلفهم به سبحانه، ولكن الله ﷻ لطيف بعباده ويسر عليهم، ولم يجعل عليهم في دينهم حرجاً فضلاً منه وإحساناً، والله ولي التوفيق».

[الطاقة التي يقصدها الشيخ:]

وقوله: «ولا يطيقون إلا ما كلفهم به» إلى آخر كلامه، أي: ولا يطيقون إلا ما أقدرهم عليه، وهذه الطاقة هي التي من نحو التوفيق، لا التي من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات.

[تفسير الحوقلة:]

قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بالله» دليل على إثبات القدر، وقد فسَّرها الشيخ بعدها بقوله: «نقول: لا حيلةَ لأحدٍ، ولا تحول لأحد، ولا حركة لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله، والثبات عليها إلا بتوفيق الله».

[إشكال حول كلام الشيخ عن التكليف والإطاقة:]

ولكن في كلام الشيخ إشكال؛ فإن التكليف لا يستعمل بمعنى الإقدار، وإنما يستعمل بمعنى الأمر والنهي، وهو قد قال: لا يكلفهم إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم.

وظاهره أنه يرجع إلى معنى واحد، ولا يصح ذلك؛ لأنهم يطيقون فوق ما كلفهم به، لكنه سبحانه يريد بعباده اليسر والتخفيف كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾[النساء: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحج: ٢٨].

فلو زاد فيما كُلِّفْنا به لأطقناه، ولكنه تفضل علينا ورحمنا وخفف عنا، ولم يجعل علينا في الدين من حرج.

[الجواب عن هذا الإشكال:]

ويجاب عن هذا الإشكال بما تقدم: أن المراد الطاقة التي من نحو التوفيق لا من جهة التمكن وسلامة الآلات، ففي العبارة قلق، فتأمله!

[مشيئة الله شاملة لكل شيء:]

قوله: «وكل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره»، يريد بقضائه القضاء الكوني لا الشرعي، فإن القضاء يكون كونيّاً وشرعيّاً، وكذلك الإرادة والأمر والإذن والكتاب والحكم والتحريم والكلمات ونحو ذلك.

[القضاء الكوني والشرعي:]

أما القضاء الكوني ففي قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢].

والقضاء الديني الشرعي في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

[الإرادة الكونية والدينية:]

وأما الإرادة الكونية والدينية فقد تقدم ذكرها عند قول الشيخ: «ولا يكون إلا ما يريد».

[الأمر الكوني والشرعي:]

وأما الأمر الكوني ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

والأمر الشرعي في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] الآية، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨].

[الإذن الكوني والشرعي:]

وأما الإذن الكوني ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

والإذن الشرعي في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٥].

[الكتاب الكوني والشرعي:]

وأما الكتاب الكوني ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

والكتاب الشرعي الديني في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣].

[الحكم الكوني والشرعي:]

وأما الحكم الكوني ففي قوله تعالى عن ابن يعقوب عليه السلام: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿قَـٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

والحكم الشرعي في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠].

[التحريم الكوني والشرعي:]

وأما التحريمُ الكوني ففي قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [المائدة: ٢٦]، ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٥].

والتحريم الشرعي في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣]، و﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، الآية.

[الكلمات الكونية والشرعية:]

وأما الكلمات الكونية ففي قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧].

والكلمات الشرعية الدينية في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤].

[الله تعالى متنزه عن الظلم:]

وقوله: «يفعل ما يشاء، وهو غير ظالم أبداً»، هذا الذي دل عليه القرآن من تنزيه الله نفسه عن ظلم العباد، وهو يقتضي قولا وسطا بين قولي القدرية والجبرية، فليس ما كان من بني آدم ظلما وقبيحا يكون منه ظلما وقبيحا، كما تقوله القدرية والمعتزلة ونحوهم، فإن ذلك تمثيل لله بخلقه، وقياس له عليهم، هو الرب الغني القادر، وهم العباد الفقراء المقهورون، وأهل السنة علموا من عظمة الله وجلاله قدر نعم الله على خلقه، وعدم قيام الخلق بحقوق نعمه عليهم، إما عجزا وإما جهلا وإما تفريطا وإضاعة، وإما تقصيرا في المقدور من الشكر، ولو من بعض الوجوه، فإن حقه على أهل السموات والأرض أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وتكون قوة الحب والإنابة والتوكل والخشية والمراقبة والخوف والرجاء جميعها متوجهة إليه، ومتعلقة به، بحيث يكون القلب عاكفا على محبته وتأليهه، بل على إفراده بذلك، واللسان محبوسا على ذكره، والجوارح وقفا على طاعته.

[نفوس الخلق شحيحة بحق الله تعالى:]

ولا ريب أن هذا مقدور في الجملة، ولكن النفوس تشح به، وهي في الشح على مراتب لا يحصيها إلا الله تعالى، وأكثر المطيعين تشح به نفسه من وجه، وإن أتى به من وجه آخر، فأين الذي لا تقع منه إرادة تزاحم مراد الله وما يحبه منه، ومن ذا الذي لم يصدر منه خلاف ما خلق له، ولو في وقت من الأوقات.

[لو عذب الله الخلق لكان غير ظالم لهم:]

فلو وضع الرب سبحانه عدله على أهل سماواته وأرضه لعذبهم بعدله ولم يكن ظالما لهم، وغاية ما يقدر توبة العبد من ذلك واعترافه، وقبول التوبة محض فضله وإحسانه، وإلا فلو عذب عبده على جنايته لم يكن ظالما ولو قدر أنه تاب منها.

لكن أوجب على نفسه بمقتضى فضله ورحمته أنه لا يعذب من تاب.

[النجاة بفضل الله ورحمته:]

وقد كتب على نفسه الرحمة، فلا يسع الخلائق إلا رحمته وعفوه، ولا يبلغ عمل أحد منهم أن ينجو به من النار، أو يدخل الجنة كما قال أطوع الناس لربه، وأفضلهم عملًا، وأشدهم تعظيما لربه وإجلالًا: «**لن ينجي أحداً منكم عملُه، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمةٍ منه وفضل**»(١).

[العبد لا يستغني عن فضل الله ورحمته:]

وسأله الصديق دعاء يدعو به في صلاته، فقال: «**قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»(٢).

فإذا كان هذا حال الصديق الذي هو أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين فما الظن بسواه؟!

بل إنما صار صديقا بتوفيته هذا المقام حقه الذي يتضمن معرفة ربه وحقه وعظمته، وما ينبغي له، وما يستحقه على عبده، ومعرفة تقصيره.

[اعتقاد استغناء العبد عن المغفرة حمق وجهل:]

فسحقا وبعدا لمن زعم أن المخلوق يستغني عن مغفرة ربه، ولا يكون به حاجة إليها، وليس وراء هذا الجهل بالله وحقه غاية.

[حق شكر النعم لا يقوم به الخلق على وجه الكمال:]

هذا، فإن لم يتسع فهمك لهذا فانزل إلى وطأة النعم، وما عليها من الحقوق، ووازن

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: القصد والمداومة على العمل، برقم: (٦٤٦٣)، ومسلم، ك: المنافقين، ب: لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، برقم: (٢٨١٦).

(٢) أخرجه البخاري، ك: الأذان، ب: الدعاء قبل السلام، برقم: (٨٣٤)، ومسلم، ك: الذكر، ب: استحباب خفض الصوت بالذكر، برقم: (٢٧٠٥).

من شكرها وكفرها، فحينئذ تعلم أنه سبحانه لو عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم.

الأسئلة والأجوبة على أن التكليف يكون بما يطاق، وأن مشيئة الله نافذة شاملة

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو تفسير: لا حول ولا قوة إلا بالله»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو تفسير: لا حول ولا قوة إلا بالله» لمسائل عديدة يمكن إجمالها فيما يلي:

١- التكاليف الشرعية لا تكون إلا بما يطاق. ٢- الطاقة التي يقصدها الشيخ.

٣- تفسير الحوقلة.

٤- إشكال حول كلام الشيخ عن التكليف والإطاقة.

٥- الجواب عن هذا الإشكال. ٦- مشيئة الله شاملة لكل شيء.

٧- القضاء الكوني والشرعي. ٨- الإرادة الكونية والدينية.

٩- الأمر الكوني والشرعي. ١٠- الإذن الكوني والشرعي.

١١- الكتاب الكوني والشرعي. ١٢- الحكم الكوني والشرعي.

١٣- التحريم الكوني والشرعي. ١٤- الكلمات الكونية والشرعية.

١٥- الله تعالى متنزه عن الظلم. ١٦- نفوس الخلق شحيحة بحق الله تعالى.

١٧- لو عذب الله الخلق لكان غير ظالم لهم.

١٨- النجاة بفضل الله ورحمته. ١٩- العبد لا يستغني عن فضل الله ورحمته.

٢٠- اعتقاد استغناء العبد عن المغفرة حمق وجهل.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو تفسير: لا حول ولا قوة إلا بالله»؟

ج٢: إن الله تعالى لم يكلف الناس إلا بما يطيقون كما قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ

نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فالتكليف بالشيء دليل على استطاعته، والعباد لا يطيقون إلا ما كلفهم الله به، فلو أنهم أطاقوا غيره لكلفهم الله به، فلما لم يكلفهم بأكثر مما كلفهم به دل على أنهم لا يطيقون غيره، ومعنى: لا حول ولا قوة إلا بالله، أي: لا تحول عن المعصية، ولا قدرة على الطاعة إلا بمعونة الله تعالى وتوفيقه.

س٣: ما معنى قول الطحاوي: «لا حيلة لأحد ولا حركة لأحد ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله»؟

ج٣: أي أنه لا تحول للإنسان من عمل المعصية إلى عمل الطاعة إلا بتوفيق الله، ومعنى: لا حول ولا قوة إلا بالله، أي: أعترف بالعجز والاحتياج إلى توفيق الله ﷻ ومعونته.

س٤: هل تنقسم الإرادة والقضاء والأمر والإذن والكتاب والحكم والتحريم والكلمات إلى قدري كوني، وشرعي ديني؟

ج٤: نعم، جميع ما سبق ينقسم إلى قدري كوني، وشرعي ديني:

- فالإرادة الكونية كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

والإرادة الشرعية كما في قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦].

- والقضاء الكوني كقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢].

والقضاء الديني الشرعي كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

والأمر الكوني كما في قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦].

والأمر الشرعي كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

والإذن الكوني كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

والإذن الشرعي كما في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٥].

والكتاب الكوني: كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

والكتاب الشرعي كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والحكم الكوني كما في قوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

والحكم الشرعي كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠].

والتحريمُ الكوني كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [المائدة: ٢٦].

والتحريم الشرعي كما في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة: ٣].

والكلمات الكونية كما في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الأعراف: ١٣٧].

والكلمات الشرعية كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤].

انتفاع الأموات بعمل الأحياء

قال الطحاوي: «وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[ما يصل الميت من عمل الحي:]

اتفق أهل السنة[(١)] على أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين:

أحدهما: ما تسبَّب إليه الميت في حياته.

والثاني: دعاء المسلمين واستغفارهم له، والصدقة[(٢)] والحج.

---

(١) هذا البحث أخذه الشارح من الروح لابن القيم (ص١٩٠)، ومثل هذا الاتفاق نقله النووي في شرح صحيح مسلم (١١/ ٩٤)، وشيخ الإسلام في جامع المسائل (٣/ ١٣٣)، ت: محمد عزير شمس، وانظر: الاستذكار (١٥/ ١٢).

(٢) قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على متن الطحاوية (ص٥٦): «قلت: نقل الشارح [يعني: ابن أبي العز] رَحِمَهُ اللَّهُ اتفاق أهل السنة على ذلك، ثم ساق الأدلة من الكتاب والسنة عليه، ولكنه فيما يتعلق بالصدقة لم يذكر إلا ما يدل على انتفاع الوالد بصدقة ولده، وهذا أخص من الدعوى كما لا يخفى.» اهـ.
وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في نيل الأوطار (٢/ ٧٨٤)، - دار الكلم الطيب - وأحاديث الباب تدل على أن الصدقة من الولد تلحق الوالدين بعد موتهما بدون وصية منهما، ويصل إليهما ثوابها، فيخصص بهذه الأحاديث عموم قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]، ولكن ليس في أحاديث الباب =

فعن محمد بن الحسن: أنه إنما يصل إلى الميت ثواب النفقة والحج للحاج.

وعند عامة العلماء ثواب الحج للمحجوج عنه، وهو الصحيح.

[الخلاف في العبادات البدنية:]

واختلف في العبادات البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر:

فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصولها.

والمشهور من مذهب الشافعي ومالك عدم وصولها.

[مذهب أهل البدع في ذلك:]

وذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام إلى عدم وصول شيء ألبتة لا الدعاء ولا غيره.

[الرد على شبههم:]

وقولهم مردود بالكتاب والسنة، لكنهم استدلوا بالمتشابه من قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]، وقوله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس: ٥٤].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده**»[1].

فأخبر ﷺ أنه إنما ينتفع بما كان تسبب فيه في حياته، وما لم يكن تسبب فيه في حياته فهو منقطع عنه.

[الدليل على انتفاع الميت بعمل الحي:]

وهذا مردود وغير صواب، وأما الدليل على انتفاع الميت بغير ما تسبب فيه، فالكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح:

١- أما الكتاب فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠]، فأثنى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء.

= إلا لحوق الصدقة من الولد، وقد ثبت أن ولد الإنسان من سعيه، فلا حاجة إلى دعوى التخصيص، وأما من غير الولد فالظاهر من العموميات القرآنية أنه لا يصل ثوابه إلى الميت، فيوقف عليها حتى يأتي دليل يقتضي تخصيصها.

(١) أخرجه مسلم، ك: الوصية، ب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم: (١٦٣١).

[انتفاع الميت بالدعاء:]

وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة.

والأدعية التي وردت بها السنة في صلاة الجنازة مستفيضة، وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم، كما في صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصيب قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: **السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**»[(١)].

[انتفاع الميت بصدقة الحي:]

وأما وصول ثواب الصدقة ففي صحيح البخاري أن سعد بن عبادة توفيت أمّه وهو غائب عنها، فأتى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقتُ عنها؟ قال: نعم، قال: **فإني أشهدك أن حائطي المخرافَ صدقةٌ عنها**»[(٢)].

وأمثال ذلك كثيرة في السنة.

[انتفاع الميت بالصوم عنه:]

وأما وصول ثواب الصيام؛ ففي الصحيحين عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليُّه**»[(٣)].

[انتفاع الميت بالحج عنه:]

وأما وصول ثواب الحج ففي صحيح البخاري عن ابن عباس ﵄: «**أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحجَّ، فلم تحجَّ حتى ماتت، أفأحجَّ عنها؟ قال: حجي عنها، أرأيتِ لو كان على أمكِ دينٌ، أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء**»[(٤)].

ونظائره أيضاً كثيرة.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الجنائز، ب: ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، برقم: (٩٧٥).

(٢) أخرجه البخاري، ك: الوصايا، ب: الإشهاد في الوقف والصَّدَقَة، برقم: (٢٧٦٢).

(٣) أخرجه البخاري، ك: الصوم، ك: من مات وعليه صوم، برقم: (١٩٥٢)، ومسلم، ك: الصيام، ب: قضاء الصيام عن الميت، برقم: (١١٤٧)،، ١٥٣.

(٤) أخرجه البخاري، ك: الاعتصام، ب: من شبه أصلا معلوما بأصل مبين قد بين الله حكمهما ليفهم السائل، برقم: (٧٣١٥).

[قضاء الدين عن الميت يسقطه:]

وقد أجمع المسلمون على أن قضاء الدَّين عن الميت يُسقطه من ذمة الميت، ولو كان من أجنبي، ومن غير تركته.

[قواعد الشرع والقياس يشهد لذلك:]

وكلُّ ذلك جار على قواعد الشرع، فإن الثواب حق العامل، فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يمنع من ذلك، كما لم يمنع من هبة ماله في حياته، وإبرائه له منه بعد وفاته.

[الجواب على دليل المانعين:]

هذا، وأما الجواب عما استدلوا به من قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]، فقد أجاب العلماءُ عنه بأجوبة، أصحها جوابان:

أحدهما: أن الإنسان بسعيه، وحُسْنِ عشرته اكتسب الأصدقاء، وأولدَ الأولاد، ونكح الأزواج، وأسدى الخير، وتودد إلى الناس، فترحموا عليه، ودعوا له، وأهدوا له ثواب الطاعات، فكان ذلك أثر سعيه، بل دخول المسلم مع جملة المسلمين في عقد الإسلام من أعظم الأسباب في وصول نفع كل من المسلمين إلى صاحبه في حياته وبعد مماته، ودعوة المسلمين تحيط من ورائهم.

يوضحه: أن الله تعالى جعل الإيمان سبباً لانتفاع صاحبه بدعاء إخوانه من المؤمنين وسعيهم، فإذا أتى به فقد سعى في السبب الذي يُوصل إليه ذلك.

الثاني: وهو أقوى منه، أن القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره، وإنما نفى ملكه لغير سعيه، وبين الأمرين فرق مالا يخفى، فأخبر تعالى أنه لا يملك إلا سعيه، وأما سعي غيره فهو ملك لساعيه، فإن شاء أن يبذله لغيره، وإن شاء أن يبقيه لنفسه.

وهذه الآية تقتضي أنه لا يفلح إلا بعمله؛ لينقطع طمعه من نجاته بعمل آبائه وسلفه ومشايخه، كما عليه أصحاب الطمع الكاذب، وهو سبحانه لم يقل: لا ينتفع إلا بما سعى.

[الرد على دليل آخر للمانعين:]

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس: ٥٤]، على أن سياق هذه الآية يدل على أن المنفي عقوبة العبد بعمل غيره؛ فإنه تعالى قال: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس: ٥٤].

وأما استدلالهم بقوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله» فاستدلال ساقط، فإنه

لم يقل انقطاع انتفاعه، وإنما أخبر عن انقطاع عمله، وأما عمل غيره فهو لعامله، فإن وهبه له وصل إليه ثواب عمل العامل لا ثواب عمله هو.

الأسئلة على انتفاع الأموات بعمل الأحياء

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات» لمسائل عديدة يمكن إجمالها في النقاط التالية:

١- ما يصل الميت من عمل الحي. ٢- الخلاف في العبادات البدنية.
٣- مذهب أهل البدع في ذلك. ٤- الرد على شبههم.
٥- الدليل على انتفاع الميت بعمل الحي. ٦- انتفاع الميت بالدعاء.
٧- انتفاع الميت بصدقة الحي. ٨- انتفاع الميت بالصوم عنه.
٩- انتفاع الميت بالحج عنه. ١٠- قضاء الدين عن الميت يسقطه.
١١- قواعد الشرع والقياس يشهد لذلك. ١٢- الجواب على دليل المانعين.
١٣- الرد على دليل آخر للمانعين.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات»؟

ج٢: بعد أن انتهى المصنف من ذكر مسائل الاعتقاد انتقل إلى مسألة أخرى تتعلق بالحسنات وبالأعمال الصالحة التي يعملها الأحياء، ويهدون ثوابها للأموات، فذكر أن الميت ينتفع بصدقات الأحياء، ودعائهم.

قال النووي: «إن الدعاء يصل ثوابه إلى الميت، وكذلك الصدقة، وهما مجمع عليهما»(١).

س٣: ما حكم استئجار من يقرأ القرآن، ويهدي ثوابه للميت؟

ج٣: حكم هذا أنه عمل غير جائز لم يفعله الصحابة، ولم يرشد إليه أحد من أئمة الدين، ولم يرخص فيه؛ ولهذا فلا يجوز استئجارهم مطلقاً، ولو حصل شيء من ذلك فإن الميت لا ينتفع بشيء من تلك القراءة؛ لأن القارئ قد أخذ أجره فلا ثواب له، فكيف يهدي

(١) شرح صحيح مسلم (٦/ ٩٦)، وانظر: التعليقات الجلية (ص٨٧).

ما لم يكن له ثواب؟ وفاقد الشيء لا يعطيه.

س٤: ما حكم أخذ الأجرة على تعلم القرآن؟

ج٤: اختلف في هذه المسألة:

١- فقيل: يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن.

والدليل عليه ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله**»[(١)].

وعن النبي ﷺ: «**أنه زوج رجلا بامرأة بما معه من القرآن**»[(٢)].

٢- وقيل: لا يجوز مطلقاً.

والدليل ما جاء عن عبادة أنه علَّم رجلًا شيئاً من كتاب الله، فأهدى إليه سوطاً، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال: «**إن أحببت أن تطوقه سوطاً من النار فخذه**»[(٣)]، فقد ذكر ﷺ ما ذكره عقاباً لذلك الفعل، ولا يعاقب إلا عن أمر محرم.

والرأي المختار:

جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن للأدلة التي ساقوها.

أما حديث عبادة، فهو ضعيف الإسناد عند بعض أهل العلم.

وعلى فرض صحته، فإن النبي ﷺ إنما أشار إلى أنه لا ينبغي لعبادة أن يأخذ ذلك السوط لكون من علمه القرآن فقيراً، أو لكون عبادة علمه القرآن متبرعاً، فكان في أخذه لذلك السوط إحباط لثواب عمله.

وأخيراً، فإن القول بجواز أخذ الأجرة فيه تشجيع على تعليم القرآن، ومساعدة على انتشاره، وحفظه، وقراءته بين الناس.

أما أخذ الأجرة على تعليم القرآن من بيت المال، فهو جائز بلا خلاف؛ لأنه يجب على الإمام أن يصرف رواتب للقضاة والأئمة ونحوهم، إبقاءً لشعائر الدين، وتشجيعاً لمن

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الطب، ب: الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب، برقم: (٥٧٣٧).

(٢) أخرجه البخاري، ك: النكاح، ب: التزويج على القرآن، برقم: (٥١٤٩)، ومسلم، ك: النكاح، ب: الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد...، برقم: (١٤٢٥).

(٣) أخرجه أبو داود، أبواب الإجارة، ب: في كسب المعلم، برقم: (٣٤١٦)، وابن ماجه، ك: التجارات، ب: الأجر على تعليم القرآن، برقم: (٢١٥٧)، والإمام أحمد (٥/ ٣١٥)، والحاكم (٢/ ٤١)، وهو صحيح، انظر: السلسلة الصحيحة برقم: (٢٥٦)، صحيح سنن ابن ماجه برقم: (١٧٥٠).

يعتنون بها، أما أخذ الأجرة من الأفراد ففيه الخلاف المتقدم.

س٥: بعض الناس يوصي بجزء من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره، فما حكم ذلك؟

ج٥: هذا العمل بدعة ومحرم، والوصية باطلة لا تنفذ، والحجة في هذا أن سلف الأمة لم يكونوا يعملون هذه الأعمال.

س٦: ما حكم التطوع بقراءة القرآن، وإهداء ثوابها للميت؟

ج٦: قراءة القرآن عبادة بدنية، وفيها يجري الخلاف السابق في وصول العبادات البدنية إلى الميت.

١- فجمهور السلف، قالوا: تصل العبادات إلى الميت، ومنها القراءة، وقاسوا القراءة على الصوم والحج؛ لأن كلا منها عبادة بدنية.

٢- وذهب بعض السلف إلى عدم وصول القراءة إلى الميت؛ لأن السلف لم يفعلوا ذلك، ولم يرشد إليه النبي ﷺ.

وأجيب عن هذا: بأن النفي العام لا دليل عليه، ثم ما الفرق بين وصول ثواب الصوم والحج والدعاء، وبين وصول ثواب القراءة، فإن قيل: إن النبي ﷺ أرشدهم إلى إهداء ثواب الصوم والحج دون قراءة القرآن.

فإن جوابي عن ذلك: أن النبي ﷺ لم يبتدئهم بهذا، ولكنه خرج منه مخرج الجواب، فهذا سأله عن الحج، فأذن له، وذلك سأله عن الصدقة فأذن له، ولم يمنعهم عما سوى ذلك.

س٧: ما حكم إهداء ثواب القراءة، أو أي عمل صالح إلى النبي ﷺ؟

ج٧: اختلف العلماء في ذلك:

١- فمنهم من استحبه؛ لأن النبي ﷺ قد أنقذ الله به الناس من الظلمات إلى النور، فكان في إهداء الثواب إليه اعتراف بالجميل.

٢- ومن أهل العلم من قال: إنه بدعة، وذلك لأمرين:

أ- إن الصحابة رضي الله عنهم لم يفعلوه، ولو كان مشروعاً لفعلوه.

ب- إن للنبي ﷺ مثل أجر كل من عمل خيراً من أمته؛ لأنه هو الذي دل على ذلك الخير، والدال على الخير كفاعله، فكان في إهداء ثواب الأعمال إليه تحصيل للحاصل، وحرمان النفس من ثوابه مع عدم إفادة الرسول ﷺ منه، ولعل هذا هو الراجح.

س٨: هل يجوز قراءة القرآن على القبور؟

ج٨: اختلف العلماء في هذه المسألة على آراء ثلاثة:

١- فمن العلماء من قال: هي جائزة مطلقاً عند الدفن وبعده.

٢- ومنهم من قال: هي مكروهة مطلقاً عند الدفن وبعده.

٣- ومنهم من قال: هي جائزة وقت الدفن، ومكروهة بعده.

الأدلة:

١- استدل الأولون بما ورد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه أوصى بأن يقرأ على قبره عند الدفن فواتح سورة البقرة وخواتمها، وبما جاء عن بعض المهاجرين أنه أوصى بقراءة سورة البقرة على قبره.

٢- استدل القائلون بالكراهة مطلقاً: أنه أمر محدث، ولم ينقل عن النبي ﷺ الإرشاد إليه، ولأن القراءة كالصلاة، والصلاة منهي عنها على القبر.

٣- واستدل القائلون بالجواز عند الدفن والمنع بعده، بأن الأثر المنقول عن عبد الله بن عمرو أنه أوصى بالقراءة عند الدفن، لا بعده، والشارح رحمه الله رجح هذا، لما فيه من التوفيق بين الأدلة.

س٩: ما الذي ينتفع به الميت مما تسبب فيه حال حياته؟

ج٩: لا ينفعه إلا ما صح به الحديث عن النبي ﷺ حيث قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١).

س١٠: هل يمكن أن ينتفع الميت بدعاء الآخرين واستغفارهم له؟

ج١٠: لا شك في انتفاع الميت بدعاء الآخرين واستغفارهم له، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، وكما قال النبي ﷺ: «**استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت؛ فإنه الآن يسأل**»(٢)، وغير ذلك من النصوص.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود، ك: الأجنائز، ب: الاستغفار عند القبر للميت...، برقم: (٣٢٢١)، والحاكم (١/ ٣٧٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٥٦) وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وكذا الألباني في أحكام الجنائز (ص ١٥٦)، وانظر: صحيح الجامع الصغير برقم: (٤٧٦٠).

الله مجيب الدعاء

قال الطحاوي: «والله تعالى يستجيب الدعوات، ويقضي الحاجات، ويملك كل شيء، ولا يملكه شيءٌ، ولا غنى عن الله تعالى طرفةَ عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر، وصار من أهل الحَيْنِ».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الدعاء سبب لجلب النفع ودفع الضر:]

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

والذي عليه أكثرُ الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار.

[إشكال حول إجابة الدعاء:]

وهنا سؤال معروفٌ(١)، وهو أن من الناس من قد يسأل الله فلا يُعطى شيئا، أو يعطى غير ما سأل؟

وقد أجيب عنه بأجوبة، فيها ثلاثة أجوبة محققة:

أحدها: أن الآية لم تتضمن عطية السؤال مطلقا، وإنما تضمنت إجابة الداعي، والداعي أعمُّ من السائل، وإجابة الداعي أعم من إعطاء السائل. ولهذا قال النبي ﷺ: **«ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له»**(٢).

ففرق بين الداعي والسائل، وبين الإجابة والإعطاء، وهو فرق بين العموم والخصوص، كما أتبع ذلك بالمستغفر، وهو نوع من السائل، فذكر العام ثم الخاص ثم الأخصَّ.

الجواب الثاني: أن إجابة دعاء السؤال أعمُّ من إعطاء عين السؤال، كما فسَّره النبي ﷺ فيما رواه أحمد والترمذي: أن النبي ﷺ، قال: **«ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثمٌ،**

---

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/ ١٨٩ - ١٩٠).

(٢) أخرجه البخاري، ك: التهجد، ب: الدعاء والصلاة من آخر الليل، برقم: (١١٤٥)، ومسلم، ك: المسافرين، ب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، برقم: (٧٥٨).

ولا قطيعةُ رحمٍ إلا أعطاه بها إحدى ثلاثِ خصالٍ: إما أن يعجِّل له دعوتَه، أو يدَّخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشرِّ مثلها، قالوا: يا رسول الله إذن نكثر؟! قال: الله أكثر»(١).

فقد أخبر الصادقُ المصدوق أنه لا بد في الدعوة الخالية عن العدوان من إعطاء السؤال معجلًا، أو مثله من الخير مؤجلًا، أو يصرف عنه من السوء مثله.

الجواب الثالث: أن الدعاء سبب مقتضٍ لنيل المطلوب، والسببُ له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه، وانتفت موانعه حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره، وهكذا سائر الكلمات الطيبات من الأذكار المأثورة المعلق عليها جلبُ منافع أو دفع مضار، فالأدعية والتعوذات والرقى بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحا تاما، والساعد ساعدا قويا، والمحل قابلا والمانع مفقودا؛ حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاث تخلف التأثير.

[من أسباب تأخر الإجابة:]

فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثَمَّ مانع من الإجابة لم يحصل الأثر.

وقوله: «**ويملك كل شيء، ولا يملكه شيءٌ، ولا غنى عن الله تعالى طرفةَ عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر، وصار من أهل الحَيْنِ**». كلام حق ظاهر لا خفاء فيه.

[معنى الحين:]

والحَيْنُ: بالفتح الهلاك.

الأسئلة والأجوبة على تقرير أن الله مجيب الدعاء

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «**والله تعالى** يستجيب الدعوات، ويقضي الحاجات، ويملك كل شيء، ولا يملكه شيءٌ، ولا غنى عن الله تعالى طرفةَ عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر...»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «**والله تعالى** يستجيب الدعوات،

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٨)، والترمذي، ك: الدعوات، ب: في انتظار الفرج وغير ذلك، برقم: (٣٥٧٣)، والطبراني في المعجم الكبير برقم: (٥٣٧٦)، والحاكم (١/ ٤٩٢)، وهو صحيح. انظر: صحيح الترغيب والترهيب برقم: (١٦٣١).

ويقضي الحاجات، ويملك كل شيء، ولا يملكه شيءٌ، ولا غنى عن الله تعالى طرفةَ عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر،...» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- الدعاء سبب لجلب النفع ودفع الضر.

٢- إشكال حول إجابة الدعاء.

٣- من أسباب تأخر الإجابة.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «والله تعالى يستجيب الدعوات، ويقضي الحاجات»؟

ج٢: يشير المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أهمية الدعاء، وأن الله ﷻ يجيب من دعاه، والإجابة ليست بمعنى إعطاء السائل ما سأل، وإنما تفسر بما جاء في الحديث الذي ورد فيه: «أنه ما من مسلم يدعو الله ﷻ بأمر ليس فيه إثم، ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعطيه ما سأل، وإما أن يدخر له من الأجر على قدر مسألته، وإما أن يرد عنه الشر مثلها»[(١)]، فهذا هو المراد بالإجابة، وأما قضاء الحاجة فهو إعطاء السائل ما طلب، والله ﷻ حكيم، قد يجيب السائل فيعطيه مسألته، وقد يعطيه غيرها بحسب حكمته ﷻ[(٢)].

س٣: ما مقصود الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالدعاء هنا؟

ج٣: يطلق الدعاء ويراد به عدة معان:

١- يطلق ويراد به النداء، تقول: دعوت فلاناً، أي: ناديته.

٢- يطلق ويراد به الحث على الشيء، تقول: دعوت القوم إلى الفضيلة: أي حثثتهم على فعلها.

٣- ويطلق ويراد به الابتهال إلى الله بالسؤال، والرغبة فيما عنده من الخير، وهذا هو المراد بالدعاء هنا.

س٤: تكلم عن مذاهب الناس في الانتفاع بالدعاء؟ وكيف ترد على شبهة المخالفين؟

ج٤: للناس آراء في الانتفاع بالدعاء:

١- ذهب الجمهور إلى أن الدعاء من أعظم الأسباب التي تجلب المصالح وتدفع المضار، وهو قول أكثر خلق الله من سائر الملل.

٢- وذهب بعض المتفلسفة وغلاة الصوفية إلى أن الدعاء لا فائدة فيه.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: التعليقات الجلية (ص ٨٨).

٣- خص بعضهم الدعاء بخواص العارفين، وقال: إن مقام الخواص أعلى في إجابة الدعاء.

والرأي المختار:

هو القول الأول؛ لأنه رأي أكثر الخلق، وقد دل عليه الكتاب والسنة:

١- أما الأدلة من الكتاب فمنها:

أ - قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، فقد أمر الله عباده بالدعاء، ووعدهم بالإجابة، فدل ذلك على شأن الدعاء.

ب - قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فقد أخبر الله سبحانه بذلك، فدل على مشروعية الدعاء.

٢- أما من السنة فعدة أدلة، منها:

أ - قوله ﷺ: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»[١]، فقد دل الخبر على مشروعية الدعاء، والالتجاء إليه، وإن ذلك سبب من أسباب مرضاة الله سبحانه لعبده.

قال الشاعر:

الرب يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسأل يغضب

ب - وقوله ﷺ: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**»[٢]، وكل هذه الثلاثة متضمنة لأنواع الأدعية من إجابة الداعي، وإعطاء السائل، والمغفرة للمستغفر، فدل ذلك على مشروعية الدعاء وعظيم فائدته.

ج - وقوله ﷺ: «**لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي، ك: الدعوات، ب: ما جاء في فضل الدعاء، برقم: (٣٣٧٣)، وابن ماجه، ك: الدعاء، ب: فضل الدعاء، برقم: (٣٨٢٧)، والإمام أحمد (٢/ ٤٤٢)، وأبو يعلى برقم (٦٦٥٥)، والبيهقي في الشعب برقم: (١٠٦٥)، وقد صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٢٤١٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٢)، وابن ماجه، في المقدمة برقم: (٩٠)، وابن حبان (١٠٩٠)، =

د - ومنها أيضاً قول النبي ﷺ: «ما من رجل يدعو الله بدعوى ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بدعوته تلك إحدى ثلاث خصال، إما أن يعجل له دعوته، أو يدخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها، قالوا: يا رسول الله إذن نكثر، قال: الله أكثر»[(١)].

فقد دل الحديث على مشروعية الدعاء، وأن الداعي إذا لم يتعد في دعوته أجيب دعوته بإحدى تلك الخصال الثلاث.

شبه المخالفين، والرد عليها:

من شبه المخالفين:

إن المشيئة الإلهية إن اقتضت حصول المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء وإن لم تقتضه فلا فائدة فيه.

الجواب عن هذه الشبهة:

أجيب عن هذه الشبهة بجوابين:

أولهما: منع الحصر الذي ذكروه، وهو: إما أن تقتضي حصول المطلوب، وإما أن لا تقتضيه.

فنقول: إن هناك قسماً ثالثاً، وهو: أن تكون المشيئة الإلهية قد اقتضت حصول المطلوب بشروط، قد يكون منها: دعاء الشخص وطلبه.

كما تقتضي حصول الثواب بوجود العمل بشروط، قد يكون منها: دعاء الشخص وطلبه.

كما تقتضي حصول الثواب بوجود العمل الصالح، وحينئذ فالدعاء مفيد؛ لأنه كان شرطاً من شروط حصول المطلوب، كما كان العمل الصالح شرطاً لحصول الثواب.

ثانيهما: لا نسلم أن المشيئة الإلهية إن اقتضت المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء، بل قد تكون إليه حاجة من تحصيل مصلحة أخرى عاجلة أو آجلة، وكذلك: لا نسلم لهم بأن المشيئة الإلهية إن لم تقتض المطلوب فلا فائدة فيه، بل فيه فوائد أيضاً من جلب مصالح أو دفع مضار أخر.

= والحاكم (١/ ٤٩٢)، والطبراني في المعجم الكبير برقم: (١٤٤٢)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: (١٠٢٣٣)، وقد حسنه الألباني دون قوله: «وإن الرجل ليحرم...». انظر: صحيح سنن ابن ماجه برقم: (٧٣)، صحيح الترغيب والترهيب، برقم: (١٦٣٨).

(١) تقدم تخريجه.

يدل على ذلك الحديث الذي قدمناه: «**ما من رجل يدعو بدعوة لا إثم فيها، ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بدعوته بإحدى ثلاث خصال...**».

الشبهة الثانية:

قالوا: إذا كان إعطاء الله ﷻ معللا بفعل العبد كما يعقل من إعطاء المسؤول للسائل، كان السائل قد أثر بدعائه في الرب، كما أثر السائل في المسؤول، وتأثير العبد في الرب ممنوع.

الجواب: إن الله ﷻ هو الذي حرك العبد لدعائه، وجعل دعاءه سبباً في حصول المطلوب، فمنه بدأ الأمر وإليه منتهاه، ولذلك قال عمر: إني لا أحمل هم الإجابة، ولكنني أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء حصلت منه الإجابة، والله سبحانه هو الذي يحرك العبد بدعائه، وهو سبحانه جعل الدعاء سببا للإجابة، كما جعل العمل الصالح سبباً للثواب، ووفقه للتوبة، وأثابه عليها.

س٥: نلاحظ أن بعض الناس يدعو ولا يستجاب له فيما يظهر لنا، فكيف نجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠]؟

ج٥: أجيب عن هذا بعدة أجوبة منها:

١- المراد بالدعاء في الآية: العبادة، فيكون المعنى: اعبدوني أثبكم وأجازكم جزاء حسناً، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وعلى هذا فالآية لم تتعرض لإجابة الداعي على دعائه.

٢- إن إجابة الداعي أعم من إعطاء السائل لسؤاله، فإجابته إما أن تكون بإعطائه عين سؤاله، أو ادخار مثل سؤاله من الخير له، أو يصرف عنه مثل سؤاله من الشر كما ورد في الحديث.

٣- إن الدعاء سبب لحصول المطلوب، ولا بد لترتيب المسببات على أسبابها من وجود الشرط وانتفاء الموانع، فإذا فقدت الشروط، أو بعضها أو وجد المانع لم يحصل المطلوب، قالوا: فالأدعية والأذكار بمنزلة السلاح وتأثير السلاح ليس بحده فقط، بل بضاربه أيضاً، فإذا كان السلاح تاماً، والساعد ساعداً قوياً، والمحل قابلًا، والمانع مفقوداً، يحصل بالسلاح النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير، وكذلك الأدعية والأذكار إذا كان الدعاء صادقاً، وانضم إليه أن توجه الشخص بقلبه مع لسانه، وانتفت الموانع حصل المطلوب، وإن لم يكن كذلك لم يحصل المطلوب.

س٦: إن الدعاء يقتضي إثبات بعض صفات الكمال للمدعو؟ اذكر هذه الصفات؟

ج٦: ذكر ابن عقيل أن الدعاء يستلزم ثمانية معان:

١- الوجود؛ فإن المعدوم لا يدعى. ٢- الحياة؛ فالميت لا يدعى.

٣- السمع؛ فالأصم لا يدعى. ٤- العلم؛ فالجاهل لا يدعى.

٥- القدرة؛ فالعاجز لا يدعى. ٦- الرحمة؛ فالقاسي لا يدعى.

٧- الكرم؛ فالبخيل لا يدعى. ٨ - الغني؛ فالفقير لا يدعى.

س٧: ما هي شروط إجابة الدعاء؟

ج٧: ذكر العلماء عدة شروط، وهي:

١- أن يكون الداعي عالماً بأنه لا يقدر على قضاء حاجاته إلا الله الذي بيده ملكوت كل شيء.

٢- أن يخلص النية حالة الدعاء بأن يكون حاضر القلب.

٣- أن يجتنب الحرام مطلقاً، فالوقوع في الحرام سبب لعدم إجابة الدعاء، ولهذا ذكر ﷺ: «**الرجل أشعث أغبر يطيل السفر، يرفع كفيه إلى السماء فيقول: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك**»[١]

٤- أن لا يدعو بإثم، ولا قطيعة رحم.

٥- أن لا يطلب أمراً مستحيلًا يخالف سنن الله في كونه بأن يطلب إحياء الميت، أو أن يرزق الأبناء بغير زواج، أو تغيير طبيعة الكائنات بأن يتحول الماء إلى زيت، أو النحاس إلى ذهب... الخ.

س٨: ما معنى قول الطحاوي: «ويملك كل شيء، ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر»؟

ج٨: إن الله تعالى هو مالك الملك، ومالك كل شيء، ولا تصرف في خلقه إلا بإذنه، ولا يمكن الاستغناء عن الله تعالى طرفة عين، فكل مخلوق محتاج إلى الله تعالى في خلقه، وإيجاده، ورزقه، وتدبير أموره، وهدايته وإرشاده، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وأيما مخلوق ظن لحظة أنه يستطيع الاستغناء

(١) أخرجه مسلم، ك: الزكاة، ب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، برقم: (١٠١٥).

عن الله تعالى فقد كفر بذلك، وأصبح من أهل الردى والهلاك.

صفة الغضب والرضى

قال الطحاوي: «والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[دليل إثبات الغضب والرضى:]

قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]، ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣]، ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١]، ونظائر ذلك كثيرة.

[مذهب السلف في ذلك:]

مذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضى، والعداوة والولاية، والحب والبغض، ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة.

ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات.

كما أشار إليه الشيخ فيما تقدم بقوله: «إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية بترك التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين».

[نفي المشابهة:]

فقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا كأحد من الورى»، نفي التشبيه، ولا يقال: إن الرضى إرادة الخير، والغضب إرادة الانتقام؛ فإن هذا نفي للصفة.

الأسئلة والأجوبة على: إثبات صفة الغضب والرضى

س١: ما هي المسائل التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى» لمسائل عديدة يمكن إجمالها فيما يلي:

١- دليل إثبات صفة الغضب والرضى لله ﷻ.

٢- مذهب السلف في ذلك. ٣- نفي المشابهة.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى»؟

ج٢: إن الله تعالى يغضب إذا انتهكت محارمه، ويرضى إذا أتيت مراضيه وأوامره، وغضبه ورضاه صفتان ثابتتان كما قال تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ [النساء: ٩٣]، وكما قال: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨]، وهما على المعنى اللائقة بالله تعالى دون تكييف، ولا تشبيه، فغضبه ورضاه ليستا كصفات الخلق بحال من الأحوال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١].

س٣: من الصفات الفعلية: صفتا الغضب والرضا، وضِّح ذلك؟

ج٣: صفتا الغضب والرضا من الصفات التي يتصف بها جل وعلا إذا شاء، فالغضب والرضا متعلقان بمشيئة الله وقدرته، والغضب يحل ثم يزول، فالغضب ليس دائماً، وكذلك الرضا ليس دائماً، وإنما هما مرتبطان بمشيئته، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]، فدل على أن الغضب يحل بعد أن لم يكن حالًا، وحلوله يدل على أنه بمشيئة الله تعالى.

وكذلك قوله ﷺ: «أحل عليكم رضواني فلن أسخط بعد أبدا»[(١)]، دل على أن أهل الجنة منَّ الله عليهم بأنه أحل عليهم رضاه، فلا يسخط بعده عليهم أبدا[(٢)].

س٤: ما موقف المخالفين من صفتي الغضب والرضا؟

ج٤: المعطلة: ينفون صفتي الغضب والرضا، كالجهمية، والمعتزلة، ويجعلون الآيات والأحاديث التي فيها ذكر الغضب والرضا اسماً للشيء الذي سُمِّي غضباً، يعني: العقوبة هي الغضب، والنعيم هو الرضا.

وأما الكلابية والأشعرية والماتريدية فذهبوا إلى أن غضب الله جل وعلا ورضاه صفات قديمة ذاتية لا تعلق لها بالمشيئة، لذا يؤولون الآيات والأحاديث التي فيها ذكر الغضب والرضا[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الرقاق، ب: صفة الجنة والنار، برقم: (٦٥٤٩)، ومسلم، ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب: إحلال الرضوان على أهل الجنة...، برقم: (٢٨٢٩).

(٢) انظر: المسار (ص ١٩٨). (٣) انظر: المسار (ص ١٩٩).

س٥: لماذا أول الأشاعرة صفتي الغضب والرضا بالإرادة؟

ج٥: أولوا صفتي الغضب والرضا بالإرادة؛ لأن صفة الإرادة ثابتة عندهم بالعقل، وهذا تحريف ونفي لصفتي الغضب والرضا، وهذا تعد على دلالة النصوص الشرعية.

س٦: اذكر الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات صفتي الرضا والغضب؟

ج٦: من الصفات التي جاء بها القرآن والسنة وأثبتها السلف، صفة الرضا لله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [البينة: ٨]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

كما ورد اتصافه بالغضب في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣].

س٧: من هم المخالفون لأهل السنة والجماعة في إثبات صفتي الرضا والغضب؟

ج٧: خالف أهل الكلام من الأشاعرة والماتريدية وغيرهم فهم لا يصفون الله بالرضا ولا بالغضب ولا يثبتون، وهذا كما ترى نفي لهاتين الصفتين، فيؤولون الرضا بإرادة الإحسان، والغضب بإرادة الانتقام.

ويقال لمن تأول الغضب والرضا: لم تأولت ذلك؟ فلا بد أن يقول: إن الغضب غليان دم القلب، والرضا الميل والشهوة، وذلك لا يليق بالله.

فيقال له: غليان دم القلب في الآدمي أمر ينشأ عن صفة الغضب، وكذلك الإرادة والمشيئة فينا هي ميل الحي إلى الشيء، أو إلى ما يلائمه أو يناسبه، فالمعنى الذي صرفت إليه اللفظ كالمعنى الذي صرفته عنه، فإن جاز هذا جاز ذاك.

وبالجملة فصفات الله على ما تليق به، وصفات المخلوق على ما تليق به.

القول في الصحابة

قال الطحاوي: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نُفْرِط في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرَّأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[منزلة الصحابة في القرآن:]

يشير الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الرد على الروافض والنواصب، وقد أثنى الله تعالى على الصحابة هو ورسوله ﷺ، ورضي عنهم ووعدهم الحسنى كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح: ١٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨ - ١٠].

[مضمون الآيات:]

وهذه الآيات تتضمن الثناءَ على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاؤوا من بعدهم، يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلًا لهم.

[منزلة الصحابة في السنة:]

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيءٌ، فسبَّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحدا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثلَ أُحُد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدِهم ولا نصيفه»[1].

(١) أخرجه البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب: قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذا خليلا»، برقم: (٣٦٧٣)، ومسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: تحريم سب الصحابة، برقم: (٢٥٤٠).

[معنى الحديث ومضمونه:]

فالنبي ﷺ يقول لخالد وأمثاله: «**لا تسبوا أصحابي**»، يعني: عبدالرحمن وأمثاله؛ لأن عبد الرحمن ونحوه هم السابقون الأولون، كالذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا، وهم أهل بيعة الرضوان، فهم أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية وبعد مصالحة النبي ﷺ أهل مكة، ومنهم خالد بن الوليد، وهؤلاء أسبق ممن تأخر إسلامهم إلى فتح مكة، وسموا الطلقاء كأبي سفيان وابناه يزيد ومعاوية.

[تفاضل الصحابة في الفضل:]

والمقصود أنه ﷺ نهى من له صحبةٌ آخراً أن يسب من له صحبةٌ أولًا؛ لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه، حتى لو أنفق أحدهم مثلَ أُحُد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَه.

[مكانة الصحابة:]

فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية وإن كان قبل فتح مكة، فكيف حال من ليس من الصحابة بحالٍ من الأحوال؟ رضي الله عنهم أجمعين.

[السابقون الأولون:]

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

[الصحابة خير القرون:]

وفي الصحيحين من حديث عمران بن حصين وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة» الحديث(١).

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ تَابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة: ١١٧]، الآيات.

[بغض الصحابة ضلال:]

فمن أضل ممن يكون في قلبه غلٌّ على خيار المؤمنين وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟!!

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الشهادات، ب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، برقم: (٢٦٥٢)، ومسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، برقم: (٢٥٣٣).

بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة؛ إذ إنه قد قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا أصحاب محمد، لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة.

[لا نفرط في حب الصحابة:]

وقوله: «ولا نفرط في حب أحد منهم»، أي: لا نتجاوز الحد في حب أحد منهم كما تفعل الشيعة فنكون من المعتدين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١].

[لا نتبرأ من الصحابة:]

وقوله: «ولا نتبرأ من أحد منهم» كما فعلت الرافضة، فعندهم لا ولاء إلا ببراء، أي: لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وأهل السنة يوالونهم كلهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب، فإن ذلك كله من البغي الذي هو مجاوزة الحد.

[حب الصحابة دين وإيمان وإحسان:]

قوله: «وحبهم دين وإيمان وإحسان»؛ لأنه امتثال لأمر الله فيما تقدم من النصوص.

[إشكال على الشيخ:]

هذا، وتسمية حب الصحابة إيمانا مشكل على الشيخ رحمه الله؛ لأن الحب عمل القلب، وليس هو التصديق، فيكون العمل داخلا في مسمى الإيمان، وقد تقدم في كلامه أن الإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، ولم يجعل العمل داخلا في مسمى الإيمان، وهو المعروف من مذهب أهل السنة، إلا أن تكون هذه التسمية مجازا عند الشيخ رحمه الله.

[بغض الصحابة كفر ونفاق وطغيان:]

وقوله: «وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»، تقدم الكلام في تكفير أهل البدع، وهذا الكفر نظير الكفر المذكور في قوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقد تقدم الكلام في ذلك.

الأسئلة والأجوبة على القول في الصحابة

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نُفْرِط في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرَّأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير...»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نُفْرِط في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرَّأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير...» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- منزلة الصحابة في القرآن.
٢- منزلة الصحابة في السنة.
٣- معنى الحديث ومضمونه.
٤- تفاضل الصحابة في فضل الصحابة.
٥- مكانة الصحابة.
٦- السابقون الأولون.
٧- الصحابة خير القرون.
٨- بغض الصحابة ضلال.
٩- لا نفرط في حب الصحابة.
١٠- لا نتبرأ من الصحابة.
١١- حب الصحابة دين وإيمان وإحسان.
١٢- إشكال على الشيخ.
١٣- بغض الصحابة كفر ونفاق وطغيان.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نُفْرِط في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرَّأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»؟

ج٢: من منهج أهل السنة والجماعة أنهم يحبون أصحاب رسول الله ﷺ بحب رسول الله وحبه لهم، وقالوا: ولا نفرط في حب أحد منهم كما فعلت الروافض بعلي رضي الله عنه، فرفعوه فوق منزلته حتى أوصلوه إلى درجة الألوهية، ولا نتبرأ من أحد منهم، فقد كانوا أكمل الناس إيماناً وإحساناً، وأعظمهم طاعة وجهاداً، ونبغض من يبغضهم، فإن ذلك علامة النفاق والخذلان، ونبغض من يذكرهم بغير الخير، ولا نذكرهم إلا بخير، فإن النبي ﷺ قد أحبهم وأوصى بهم، فحبهم علامة صحة الدين وعلامة الإيمان والإحسان، وبغضهم علامة الكفر والنفاق والخذلان والطغيان، نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى.

س٣: وضِّح ما المقصود بالصحابي؟ ثم بين كم عدد أصحاب النبي ﷺ؟

ج٣: المراد به هنا: من لقي النبي ﷺ مؤمنا، ولو لحظة، ومات على ذلك.

وقد ذكر أبو زرعة شيخ الإمام مسلم أن عدد الصحابة يزيد على مائة ألف، وذكر غيره أنه مائة وعشرون ألفاً، ممَّن رأى النبي ﷺ وسمع منه.

س٤: اذكر آراء الناس في وجوب محبة أصحاب النبي ﷺ؟

ج٤: أ - يرى أهل السنة والجماعة: وجوب محبة أصحاب النبي ﷺ جميعهم، وهم مع هذا لا يرفعونهم فوق منزلتهم التي يستحقونها، ولا يغالون في حبهم، مثل ما فعلت الرافضة في غلوهم في أهل البيت.

ب - أما الرافضة فذهبت إلى موالاة أهل البيت والغلو في حبهم، وبغض أكثر أصحاب النبي ﷺ؛ لأنهم في اعتقادهم ظلموا علياً وسلبوا الخلافة منه.

ج - رأي النواصب، وهو مناصبة أهل البيت بالعداء، والتكفير، كما فعلت الخوارج.

نرى أهل السنة وسطاً بين مذهب الروافض وبين مذهب النواصب، فإنهم لم يبغضوا أحداً من أصحابه ﷺ كما فعلت الرافضة، وكما فعلت النواصب، ولم يغلوا في حبهم كما فعلت الرافضة في أهل البيت، بل أنزلوهم المنزلة التي يستحقونها، باعتبارهم أصحاب النبي ﷺ وأعوانه على نشر الدعوة.

س٥: من أصول مذهب أهل السنة والجماعة محبة أصحاب النبي ﷺ وضِّح ذلك مع بيان من هو أفضلهم؟

ج٥: أهل السنة والجماعة يرون أن أفضل الصحابة هم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي - رضوان الله عليهم -، ويقدرونهم قدرهم، ويثنون عليهم بالثناء الجميل، وينزلون كل واحد منهم منزلته، فأبو بكر أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين؛ لقيام الأدلة: الصريحة على أفضليتهما وتقديمهما على غيرهما.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «خير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر، وعلي بعد عثمان. ووقف قوم على عثمان.

وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يجوز لأحد أن يطعن على أحد منهم

بعيب ولا بنقص، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته»[١].

وذكر الأشعري في مقالاته مذهب أهل السنة فقال: «ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله ﷻ بصحبة نبيه ﷺ، ويأخذون بفضائلهم، ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم، ويقدمون أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علياً رضوان الله عليهم أجمعين، ويقرون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون، أفضل الناس كلهم بعد النبي ﷺ»[٢].

وقال ابن بطة: «ثم الإيمان والمعرفة بأن خير الخلق وأفضلهم وأعظمهم منزلة عند الله ﷻ بعد النبيين والمرسلين وأحقهم بخلافة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان، وهو عتيق ابن أبي قحافة، ونعلم أنه يوم مات رسول الله ﷺ لم يكن على وجه الأرض أحد غيره بالوصف الذي قدمنا ذكره، ثم من بعده على هذا الترتيب والصفة أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الفاروق، ثم من بعدهما على الترتيب والنعت عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو أبو عبد الله أبو عمرو ذو النورين، ثم على هذا النعت والصفة من بعدهم أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه»[٣].

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي: «ونعتقد أن خير هذه الأمة وأفضلها بعد رسول الله ﷺ صاحبه الأخص وأخوه في الإسلام ورفيقه في الهجرة والغار أبو بكر الصديق - وزيره في حياته وخليفته بعد وفاته - عبد الله بن عثمان عتيق ابن أبي قحافة، ثم من بعده الفاروق أبو حفص عمر بن الخطاب، الذي أعز الله به الإسلام، وأظهر الدين، ثم من بعده ذو النورين أبو عبد الله عثمان بن عفان الذي جمع القرآن، وأظهر العدل والإحسان، ثم ابن عم رسول الله ﷺوختنه علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين، فهؤلاء الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون»[٤].

فالسلف اتفقوا على تقديم الشيخين أبي بكر وعمر على غيرهما من الصحابة، وسجلوا ذلك في كتبهم حتى جعلوه من أصولهم.

قال ابن تيمية: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، كما تواتر ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً، كما دل على ذلك الكتاب والسنة،

---

(١) السنة للإمام أحمد بن حنبل (ص٧٨).

(٢) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٢٣).

(٣) الإبانة الصغرى (ص٦١).

(٤) عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (ص٤٠).

واتفق عليه سلف الأمة وأئمة العلم»[(١)].

ثم إننا لم نجد أن أحداً من علماء السلف خالف في تقديم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إلا ما ذكره الأشعري في مقالاته حيث قال: وشذ قوم منهم، فقالوا: إن علياً أفضل من الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[(٢)].

وقال ابن حزم: ذهب بعض أهل السنة، وبعض المعتزلة، وبعض المرجئة، وجميع الشيعة إلى أن أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه[(٣)].

لكن هذا الشذوذ الذي ذكره الأشعري وابن حزم لا قيمة له نظراً إلى وجود نصوص صريحة كثيرة على تقديمهما.

ثم إن الأشعري لم يذكر أسماء القائلين بهذا القول، وكذا ابن حزم.

وأما ما قاله ابن عبد البر في الاستيعاب بأن السلف اختلفوا في تفضيل أبي بكر وعلي، فقد أجاب عنه ابن حجر الهيتمي فقال: أما ما حكاه أولًا أن السلف اختلفوا في تفضيلهما فهو شيء غريب انفرد عنه غيره ممن هو أجل منه حفظاً واطلاعاً فلا يعول عليه، فكيف والحاكي لإجماع الصحابة والتابعين على تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على سائر الصحابة جماعة من أكابر العلماء، ثم سرد الهيتمي أسماءهم[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي كما دلت عليه الآثار»[(٥)].

وأما الذي اختلف فيه أهل السنة وعلماء السلف فهو تقديم عثمان على علي في الفضل، فذهب الجمهور منهم إلى أن عثمان أفضل الأمَّة بعد الشيخين، فهو الثالث في الترتيب في الخلافة والفضيلة، واستدلوا على هذا بما حصل من إجماع الصحابة على تقديمه في الخلافة، وما ورد من الآثار الدالة على تفضيله.

وقال قوم من أهل السنة: إن عليا أفضل من عثمان، وهو مذهب أكثر أهل الكوفة، وإليه ذهب الثوري، وأبو حنيفة في روايته عنه.

---

(١) الرسائل والمسائل (ص ٣٧١).
(٢) مقالات الإسلاميين (٢/ ١٣١).
(٣) الفصل (٤/ ١١١).
(٤) الصواعق المحرقة (ص ٦٣).
(٥) العقيدة الواسطية (ص٦٤ - ٦٥).

وتوقف قوم في عثمان وعلي، ولم يفضل أحدهما على الآخر، وإليه ذهب يحيى القطان، وابن معين، وابن حزم، والإمام مالك في أحد قوليه[١].

قال ابن حجر الهيتمي: «إن الذي أطبق عليه عظماء الملة وعلماء الأمة أن أفضل هذه الأمة أبو بكر الصديق ثم عمر، ثم اختلفوا:

فالأكثرون، ومنهم الشافعي، وأحمد، وهو المشهور عن مالك أن الأفضل بعدهما عثمان، ثم علي رضي الله عنهم.

وجزم الكوفيون، ومنهم سفيان الثوريْ بتفضيل علي على عثمان.

وقيل بالوقف عن التفاضل بينهما، وهو رواية عن مالك، فقد حكى أبو عبد الله المازري عن المدونة أن مالكاً رحمه الله سئل: أي الناس أفضل بعد نبيهم؟ فقال: أبو بكر، ثم عمر، ثم قال: أو في ذلك شك؟ فقيل له: وعلي، وعثمان؟ فقال: ما أدركت أحدا ممن اقْتُدِيَ به يفضل أحدهما على الآخر.

ثم قال الهيتمي: وتوقفه هذا رجع عنه، فقد حكى القاضي عياض عنه أنه رجع عن التوقف إلى تفضيل عثمان»[٢].

وقال الخطابي: «وقد ثبت عن سفيان أنه قال في آخر قوليه: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم»[٣].

قال الحافظ ابن حجر: «ونقل البيهقي بسنده إلى ثور بن يزيد عن الشافعي أنه قال: أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي»[٤].

فأهل السنة اتفقوا على تعظيم هؤلاء الخلفاء الأربعة وتقديمهم على غيرهم بما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم، كما أنهم يرون أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، فأبو بكر أول الخلفاء وأفضلهم، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم.

قال شارح الطحاوية: «وترتيب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين في الفضل

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ١٣١)، الفصل (٤/ ١١١)، معالم السنن (٥/ ٢٥)، الإرشاد (ص٤٣١)، أصول الدين للبغدادي (ص٢٩٣)، فتح الباري (٧/ ١٦)، الصواعق المحرقة (ص٥٨)، شرح العقيدة الطحاوية (ص٥٤٨).

(٢) الصواعق المحرقة (ص٥٧).

(٣) معالم السنن (٥/ ٣٥).

(٤) فتح الباري (٧/ ١٧).

كترتيبهم في الخلافة ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما من المزية أن النبي ﷺ أمرنا باتباع سنة الخلفاء الراشدين، ولم يأمرنا بالاقتداء في الأفعال إلا بأبي بكر وعمر، فقال: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**» وفرق بين اتباع سنتهم، والاقتداء بهم، فحال أبي بكر وعمر فوق حال عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين»[١].

س٦: لأصحاب النبي ﷺ فضائل كثيرة، اذكر شيئاً منها؟

ج٦: وردت النصوص الكثيرة في فضلهم رضوان الله عليهم، لا سيما السابقين منهم:

أولا: من الكتاب:

١- قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

٢- قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

٣- قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ثانياً: من السنة:

١- ما روى أبو سعيد الخدري أنه قال: «كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال ﷺ: **لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم ملأ أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[٢].

٢- قوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة**»[٣].

٣- قوله ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[٤].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٥٤٨).

(٢) أخرجه البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب: قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذا خليلا»، برقم: (٣٦٧٣)، ومسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: تحريم سب الصحابة، برقم: (٢٥٤١).

(٣) أخرجه مسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل أصحاب الشجرة...، برقم: (٢٤٩٦).

(٤) تقدم تخريجه.

ثالثا: من الآثار:

١- قول ابن عباس رضي الله عنهما: «لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة - يعني: مع النبي ﷺ - خير من عمل أحدكم أربعين سنة»(١).

٢- قول ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيّه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئا فهو عند الله سيء»(٢).

٣- قول عائشة رضي الله عنها في أناس يتكلمون في أصحاب النبي ﷺ حتى في أبي بكر وعمر، فقالت: أو تعجبون من هذا؟ انقطع منهم العمل، فأراد الله ألا ينقطع عنهم الأجر.

هذا بعض ما ورد في فضل أصحاب رسول الله ﷺ مما يوجب محبتهم، وموالاتهم، وعدم الطعن فيهم.

س٧: تحدث عن حقوق الصحابة الواجبة على المسلم؟

ج٧: يجب علينا أن نتولى الصحابة ونحبهم، ونترضى عنهم، وننزلهم منازلهم، فإن محبتهم واجبة على كل مسلم، وحبهم دين وإيمان وقربى إلى الرحمن، وبغضهم كفر، وطغيان، فهم حملة هذا الدين، فالطعن فيهم طعن في الدين كله؛ لأنه وصل إلينا عن طريقهم.

ومن مقتضى محبتهم أمور:

١- قيام المودة في القلب لهم.

٢- الثناء عليهم في كل موضع يذكرون فيه.

٣- ألا يحمل أفعالهم إلا على الخير.

٤- أن يذب عنهم؛ لأن معنى المحبة والولاية هي النصرة.

س٨: تكلم عن فضل الصحابة مدعماً قولك بالأدلة من الكتاب والسنة؟

ج٨: لقد أثنى الله تعالى على الصحابة ورضي عنهم، ووعدهم الحسنى كما قال

---

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة برقم: (٢٠)، وقال الألباني: موقوف صحيح. شرح العقيدة الطحاوية (٥٣٠).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩)، والبزار برقم: (١٨١٦)، والطبراني في معجمه الكبير برقم: (٨٥٨٢، ٨٥٨٣)، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الضعيفة برقم: (٥٣٣)، وفي تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية (٥٣٠).

تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وقد أثنى عليهم رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة، منها:

قوله ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[(١)].

س٩: ما حكم سب الصحابة؟ وما قولك فيمن يعتقد ردتهم من الطوائف المنحرفة؟

ج٩: أصحاب رسول الله ﷺ هم الصفوة المختارة من هذه الأمة بعد نبينا عليه الصلاة والسلام، فهم السابقون إلى الإسلام، وهم أعلام العدى، ومصابيح الدجى، فمن تنقصهم، أو سبهم أو نال أحداً منهم فهو من شر الخليقة؛ لأن عمله هذا اعتداء على الدين كله، ومن كفرهم أو اعتقد ردتهم فهو أولى بالكفرة والردة، وإنه مهما عمل أحد بعدهم من عمل، فإنه لن يبلغ عشر معشارهم، ثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «**لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**».

فقد دل الحديث على تحريم سب أصحاب رسول الله ﷺ، والتأكيد على أنه لن يبلغ أحد مبلغهم مهما قدم من عمل.

س١٠: بين موقف أهل السنة والجماعة من الصحابة؟ وكيف كانوا وسطاً بين الغلاة والجفاة؟ واذكر قول الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز في شأنهم؟

ج١٠: أهل السنة والجماعة وسط في الصحابة بين الغلاة والجفاة، فلا يغلون فيهم، ولا يفرقون بينهم، ولا يجفونهم كما فعل أهل الإفراط والتفريط من الخوارج والرافضة.

ومن مذهب أهل السنة والجماعة: الكف عما شجر بينهم، وعدم الخوض فيما جرى بينهم من خلاف، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى، قال عمر بن عبد العزيز: «**أولئك قوم طهر الله أيدينا من دمائهم، فنطهر ألسنتنا من أعراضهم**».

س١١: من هم الخلفاء الراشدون؟

ج١١: الخلفاء الراشدون هم: أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان بن عفان ذو النورين، وعلي بن أبي طالب أبو السبطين رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

---

(١) تقدم تخريجه.

س١٢: تحدث عن مكانة الخلفاء الراشدين، وما جاء في فضلهم ووجوب اتباعهم؟

ج١٢: الخلفاء الراشدون هم أفضل الصحابة، وهم الخلفاء الراشدون المهديون الذين أمر الرسول ﷺ بهديهم كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وفيه: «**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»(١).

ومما جاء في فضل أبي بكر رضي الله عنه ما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال على منبره: «**لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلا، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سُدَّت إلا خوخة أبي بكر**»(٢).

ومما جاء في فضل عمر رضي الله عنه ما ثبت أن النبي ﷺ كان يقول: «**قد كان في الأمم محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد فإن عمر بن الخطاب منهم**»(٣).

ومعنى محدَّثون: ملهمون.

ومما جاء في فضل عثمان رضي الله عنه حديث عائشة الطويل الذي قالت فيه: «**فدخل أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، وعندما رآه الرسول ﷺ جلس وسوى ثيابه، فسألته عائشة، فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»(٤).

س١٣: كم مدة الخلافة الراشدة مع الدليل؟

ج١٣: مدة الخلافة الراشدة ثلاثون عاماً كما في الحديث الصحيح عن سفينة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء**»(٥).

---

(١) أخرجه أبو داود، ك: السنة، ب: في لزوم السنة، برقم: (٤٦٠٧)، والترمذي، ك: العلم، ب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، برقم: (٢٦٧٦)، وغفيرهما، وقد صححه كثير من أهل العلم، وقد تقدم تخريجه بالتفصيل.

(٢) أخرجه البخاري، ك: الصلاة، ب: الخوخة والممر في المسجد، برقم:٤٦٧، ومسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم: ٢٣٨٢.

(٣) أخرجه البخاري، ك: أحاديث الأنبياء، ب: ٥٤، برقم: (٣٤٦٩)، ومسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل عمر رضي الله عنه، برقم: (٢٣٩٨).

(٤) أخرجه مسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه، برقم: (٢٤٠١).

(٥) أخرجه أبو داود، ك: السنة، ب: في الخلفاء، برقم: (٤٦٤٦، ٤٦٤٧)، وأحمد (٥/ ٢٢٠)، وابن حبان برقم: (٦٦٥٧)، والحاكم (٣/ ١٤٥)، والطبراني في المعجم الكبير برقم: (٦٤٤٤)، وصححه أيضاً الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٤٥٩)، وفي صحيح الجامع الصغير برقم: (٣٢٥٧).

س١٤: رتب الخلفاء حسب أفضليتهم؟

ج١٤: أفضل الخلفاء، أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين.

س١٥: من العشرة المبشرون بالجنة مع ذكر الدليل؟

ج١٥: العشرة المبشرون بالجنة : أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير بن العوام - حواريّ رسول الله ﷺ -، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وأمين هذه الأمة: أبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد بن نفيل رضي الله عنهم أجمعين.

وقد جاءت في فضلهم أحاديث عامة، ومنهم من جاء فيه حديث بخصوصه، ومن الأحاديث العامة في فضلهم ما رواه أحمد وأصحاب السنن عن عبد الرحمن بن الأخنس: أنه كان في المسجد فذكر رجل علياً رضي الله عنه، فقام سعيد بن زيد، فقال:أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته وهو يقول: «**عشرة في الجنة: النبي ﷺ في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة**»، ولو شئت العاشر، قال: فقالوا: من هو؟ فسكت، قال: فقالوا: من هو؟ فقال: هو **سعيد بن زيد** رضي الله عنهم أجمعين»[(١)].

س١٦: هل نشهد لأحد لم يشهد له رسول الله ﷺ بالجنة؟

ج١٦: قد بشر النبي ﷺ آخرين غير هؤلاء العشرة بالجنة، فنحن نشهد لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، ومن عداهم نتوقف فيه، ونكل أمرهم إلى الله عز وجل.

س١٧: قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وضِّح من هم السابقون الأولون من الصحابة؟

ج١٧: اختلف في ذلك على أقوال:

١- قيل: المراد بهم: الذين أسلموا قبل الفتح، وعددهم يزيد على: ١٤٠٠ رجل.

٢- وقيل: المراد بهم: من صلى إلى القبلتين.

والأول أقوى، وهو المختار وذلك؛ لما يأتي:

أولًا: لأنهم ورد في فضلهم عدة نصوص، منها: قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ

---

(١) أخرجه أبو داود، ك: السنة، ب: في فضل أصحاب رسول الله ﷺ، برقم: (٤٦٤٩)، والترمذي، ك: المناقب، ب: مناقب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، برقم: (٣٧٤٨)، والنسائي في السنن الكبرى برقم: (٨١٣٩)، وابن حبان برقم: (٦٩٩٣)، والحاكم (٣/ ٤٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٤٠١٠).

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، وقول النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة**».

ثانياً: ولأن الصلاة إلى القبلتين بمجردها لا يعتبر؛ لأن نسخ القبلة الأولى ليس من فعلهم، ولم يرد دليل على أفضلية من صلى إلى القبلتين على من سواهم.

س١٨: هل يجوز الغلو في محبة أصحاب النبي ﷺ؟

ج١٨: لا يجوز تجاوز الحد في حب أحد من الصحابة كما فعلت الشيعة؛ لأنه حينئذ غلو واعتداء، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

س١٩: ما هي الخصلة التي فضل بها اليهود والنصارى على الرافضة؟

ج١٩: هذه الخصلة هي: أنه قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى.

وقيل للنصارى: من خير ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى.

وقيل للرافضة: من شر ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد ﷺ، ولم يستثنوا منهم إلا القليل: آل البيت، والمقداد بن الأسود، وأبا ذر.

س٢٠: ما معنى قول الرافضة: لا ولاء إلا ببراءة؟

ج٢٠: معنى هذا أنه لا تتم موالاة آل البيت إلا بالتبرئ من أبي بكر وعمر، وقالوا هذه المقالة لزعمهم أن أبا بكر وعمر قد سلبا علياً الخلافة، وأنه كان أولى منهما بها، وأهل السنة يوالونهم كلهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، لا بالأهواء والتعصب، فإن ذلك كله من الغي الذي هو مجاوزة الحد؟

س٢١: يقول بعض السلف: الشهادة بذعة، والبراءة بدعة، اشرح المقصود بهذا الكلام.

ج٢١: أما الشهادة فالمراد بها الشهادة على المعين بالنار، أو الكفر، مع أنه لم يظهر شيئاً يوجب ذلك، فهذه بدعة.

وأما البراءة فالمراد بها هنا: ما يقوله الرافضة من أنه لا ولاء إلا ببراءة، أي التبرئ من الشيخين، فهي بدعة أحدثها الروافض ظلماً وعدواناً من عند أنفسهم.

س٢٢: ما وجه كون حب الصحابة ديناً وإيماناً وإحساناً؟ وكيف يتفق هذا مع ما ذكره الطحاوي من أن الإيمان تصديق وإقرار فقط؟

ج٢٢: أما وجه كون حب الصحابة ديناً وإيماناً وإحساناً فهو أن محبتهم فيها امتثال

لأوامر الله ﷻ، ولرسوله ﷺ، وطاعة لهما، ولذلك قال النبي ﷺ: **«الله، الله، في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم، فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»**(١).

فمحبة أصحابه فيها طاعة له، فكانت ديناً وإيماناً وإحساناً.

ومن هذا الاعتبار قد ذكر الشارح: أن تسمية الطحاوي محبة أصحاب النبي ﷺ إيماناً لا يستقيم مع ما ذكره من أن الإيمان هو تصديق فقط، والمحبة عمل القلب، وهو غير التصديق، واعتذر عنه: بأنه لعله يكون إطلاقاً مجازياً.

وإنما اعتذر عنه بذلك لكي تستقيم نسبة محبة الأصحاب مع ما اختاره، أما على رأي الجمهور غير الأحناف فهو متماشٍ مع أصولهم.

س٢٣: لماذا اعتبر الطحاوي بغض الصحابة كفراً ونفاقاً وطغياناً؟

ج٢٣: وجه كون بغضهم كفراً ونفاقاً وطغياناً هو أن أصحاب النبي ﷺ لم يصدر منهم ما يوجب بغضهم؛ لذلك فمن أبغضهم فإنما أبغضهم لبغضه إمامهم محمد ﷺ، يقول النبي ﷺ: **«ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم»**.

ولهذا كان بغضهم كفراً ونفاقاً وطغياناً.

وقد ذكر الشارح أن إطلاق الكفر على هذا هو كفر دون كفر، وهو الكفر العملي لا الاعتقادي.

الخلفاء الأربعة الراشدون، وثبوت الخلافة للصديق، ثم لعمر، ثم لعثمان، ثم لعلي رضي الله عنهم أجمعين

قال الطحاوي: **«ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولًا لأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، تفضيلًا له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه، ثم لعلي رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون»**.

(١) أخرجه الترمذي، ك: المناقب، ب: ٥٩، برقم: (٣٨٦٢)، والإمام أحمد (٤/ ٨٧)، وابن حبان برقم: (٧٢٥٦)، وابن أبي عاصم في السنة برقم: (٩٩٢)، وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم: (١١٦٠)، وفي السلسلة الضعيفة، برقم: (٢٩٠١).

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الاختلاف في نوع خلافة الصديق رضي الله عنه:]

اختلف أهل السنة في خلافة الصديق رضي الله عنه، هل كانت بالنص أو بالاختيار؟

فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي، والإشارة.

ومنهم من قال: بالنص الجلي.

وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار.

[دليل خلافة الصديق بالنص:]

والدليل على إثباتها بالنص أخبار، من ذلك:

١- ما أسنده البخاري عن جبير بن مطعم، قال: «أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيتَ إن جئتُ فلم أجدك؟ كأنها تريد الموت، قال: **إن لم تجديني فأتي أبا بكر**»[(١)]. وذلك نص على إمامته.

٢- وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ في اليوم الذي بدئ فيه، فقال: «**ادعي لي أباك وأخاك، حتى أكتب لأبي بكر كتاباً، ثم قال: يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر**»[(٢)].

٣- وأحاديث تقديمه في الصلاة مشهورة معروفة وهو يقول: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**»[(٣)].

٤- وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلوٌ، فنزعتُ منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قُحافة، فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعفٌ، والله يغفر له، ثم استحالت غربا، فأخذها ابن الخطاب،**

---

(١) أخرجه البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب: قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذا خليلا**»، برقم: (٣٦٥٩)، ومسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم: (٢٣٨٦).

(٢) أخرجه مسلم ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم: (٢٣٨٧).

(٣) أخرجه البخاري، ك: أحاديث الأنبياء، ب: قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]، برقم: (٣٣٨٥)، ومسلم، ك: الصلاة، ب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس، برقم: (٤٢٠).

فلم أر عبقرياً من الناس يفري فَرِيَّه، حتى ضرب الناس بعَطَن»(١).

[حجة من نفى خلافة الصديق بالنص:]

واحتج من قال لم يستخلف بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني، يعني: أبا بكر، وإن لا أستخلف فلم يستخلف من هو خير منه، يعني: رسول الله ﷺ، قال عبد الله: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف»(٢).

وبما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت: «من كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلف، قالت: أبو بكر»(٣).

[الظاهر في المسألة:]

والظاهر - والله أعلم - أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهدا لكتبه لأبي بكر، بل قد أراد كتابته ثم تركه وقال: «**يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر**».

[حقيقة استخلاف أبي بكر رضي الله عنه:]

فكان هذا أبلغ من مجرد العهد، فإن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك، حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهدا، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتاب اكتفاء بذلك.

[علة ترك التعيين لخلافة الصديق نصاً:]

فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه بيانا قاطعا للعذر، لكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر هو المتعين، وفهموا ذلك حصل المقصود.

[الاتفاق على تقديم الصديق رضي الله عنه:]

ولهذا قال عمر رضي الله عنه في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: «أنت

---

(١) أخرجه البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب: قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذا خليلا**»، برقم: (٣٦٧٦)، ومسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل عمر رضي الله عنه، برقم: (٢٣٩٣).

(٢) أخرجه البخاري، ك: الأحكام، ب: الاستخلاف، برقم: (٧٢١٨)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: الاستخلاف وتركه، برقم: (١٨٢٣).

(٣) أخرجه مسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم: (٢٣٨٥).

خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ»[١]، ولم ينكر ذلك منهم أحد، ولا قال أحد من الصحابة إن غير أبي بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه، ولم ينازع أحد في خلافته إلا بعض الأنصار، طمعا في أن يكون من الأنصار أمير، ومن المهاجرين أمير.

ثم الأنصار كلهم بايعوا أبا بكر إلا سعد بن عبادة؛ لكونه هو الذي كان يطلب الولاية، ولم يقل أحد من الصحابة قط: إن النبي ﷺ نص على غير أبي بكر، لا علي، ولا العباس، ولا غيرهما كما قال أهل البدع.

[الإجماع على فضائل الصديق رضي الله عنه:]

وفي الجملة فجميع من نقل عنه أنه طلب تولية غير أبي بكر لم يذكر حجة دينية شرعية، ولا ذكر أن غير أبي بكر أفضل منه، أو أحق بها، وإنما نشأ من حب قبيلته وقومه فقط، وهم كانوا يعلمون فضل أبي بكر رضي الله عنه وحب رسول الله ﷺ له.

ففي الصحيحين عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ بعثني على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: «أي الناس أحب إليك؟ قال: **عائشة**، قلت: من الرجال؟ قال: **أبوها**، قلت: ثم مَنْ؟ قال: **عمر**، وعد رجالا»[٢].

[حديث بيعة السقيفة:]

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله مات وأبو بكر بالسُنَّحِ[٣]، فذكرتِ الحديث إلى أن قالت: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير، ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلَّم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت في نفسي كلاماً قد أعجبني، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء، وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله، لا نفعل منا أمير، ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب، وأعزهم

---

(١) أخرجه البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب: قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذا خليلا**»، برقم: (٣٦٦٨).

(٢) أخرجه البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب: قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذا خليلا**»، برقم: (٣٦٦٢)، ومسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم: (٢٣٨٤).

(٣) وهي حديقة بالمدينة معروفة بها، وكان بها منزل أبي بكر.

أحساباً، فبايِعوا عمر بن الخطاب، أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نُبايعك فأنت سيِّدُنا وخيْرُنا وأحبُّنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس»(١).

[صيرورة الخلافة لعمر رضي الله عنه استخلافاً:]

قوله: «ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه»، أي: ونثبت الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه، وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه.

وفضائله رضي الله عنه أشهر من أن تنكر، وأكثر من أن تذكر.

[من فضائل عمر رضي الله عنه:]

تقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه في رؤيا رسول الله ﷺ ونزعه من القليب، ثم نزع أبي بكر، ثم استحالت الدلو غرباً، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن.

وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص قال: «استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه عالية أصواتهن... الحديث، وفيه: فقال رسول الله ﷺ: **إيه يا ابن الخطاب! والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك**»(٢).

وفي الصحيحين أيضا عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**قد كان في الأمم قبلكم مُحَدَّثُون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم**»(٣).

وقال ابن وهب: تفسير محدَّثون: ملهمون.

[كيف صارت الخلافة لعثمان رضي الله عنه:]

قوله: «ثم لعثمان رضي الله عنه»، أي: ونثبت الخلافة بعد عمر لعثمان رضي الله عنهما، وقد ساق البخاري رحمه الله قصة قتل عمر رضي الله عنه، وأمر الشورى والمبايعة لعثمان في صحيحه(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب: قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذا خليلا**»، برقم: (٣٦٦٨). ولم يروه مسلم كما ذكره الشارح.

(٢) صحيح البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب: مناقب عمر بن الخطاب...، برقم: (٣٦٨٣)، صحيح مسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل عمر رضي الله عنه، برقم: (٢٣٩٦).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: صحيح البخاري، ك: الأحكام، ب: الاستخلاف، برقم: (٧٢١٨)، صحيح مسلم، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا...، برقم: (٥٦٧).

وفيها: «فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر، أي: الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى عليا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدا، وعبدالرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمارة سعدا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة...، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما يتبرأ من هذا الأمر؟ فنجعله إليه، والله عليه، والإسلام، لينظرن أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي؟ والله عليَّ أن لا آلو عن أفضلكم، قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ، والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن، وتطيعن، ثم خلا بالآخر، فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه»(١).

[**من فضائل عثمان رضي الله عنه**:]

ومن فضائل عثمان رضي الله عنه كونه ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه [أي: صهره].

وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ مضطجعا في بيته كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدَّث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدَّث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ، وسوَّى ثيابه، فدخل، فتحدث، فلمَّا خرج، قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتشَّ له، ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتشَّ له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلستَ وسوَّيتَ ثيابك، فقال: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»(٢).

وفي الصحيح: «لما كان يوم بيعة الرضوان، وأن عثمان رضي الله عنه كان قد بعثه النبي ﷺ إلى مكة، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: **هذه يد عثمان**، فضرب بها على يده فقال: **هذه لعثمان**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الأحكام، ب: كيف يبايع الإمام الناس، برقم: (٧٢٠٧).

(٢) صحيح مسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه، برقم: (٢٤٠١).

(٣) صحيح البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب: مناقب عثمان بن عفان...، برقم: (٣٦٩٩).

[خلافة علي بعد عثمان رضي الله عنهما:]

قوله: «ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه»، أي: ونثبت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنهما، لما قتل عثمان وبايع الناس عليا صار إماما حقا واجب الطاعة[(١)].

[كيف صارت الخلافة لعلي رضي الله عنه:]

فالخلافة ثبتت لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد عثمان رضي الله عنه بمبايعة الصحابة سوى معاوية مع أهل الشام، والحق مع علي رضي الله عنه.

ونقول في الجميع بالحسنى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، والفتن التي كانت في أيامه قد صان الله عنها أيدينا فنسأل الله أن يصون عنها ألسنتنا بمنه وكرمه.

[من فضائل علي رضي الله عنه:]

ومن فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**»[(٢)].

وقال ﷺ يوم خيبر: «**لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**، قال: فتطاولنا لها، فقال: **ادعوا لي عليا**، فأتي به أرمد، فبصق في عينيه، ودفع الراية إليه، **ففتح الله عليه**»[(٣)].

---

(١) قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٦٤): «وأما ما تدعيه الشيعة من النص على خلافة علي، والوصية إليه فباطل لا أصل له باتفاق المسلمين، والاتفاق على بطلان دعواهم من زمن علي، وأول من كذبهم علي رضي الله عنه بقوله: «ما عندنا إلا ما في هذه الصحيفة..» الحديث، ولو كان عنده نص لذكره، ولم ينقل أنه ذكره في يوم من الأيام، ولا أن أحدا ذكره له، والله أعلم».
قلت: وقد ذهبت جماعة من الراوندية إلى أن النبي ﷺ نص على العباس بعينه واسمه، والأمة جحدت هذا النص، وارتدت، ومنهم من يقول: إن النص على العباس وولده من بعده إلى أن تقوم الساعة. انظر: منهاج السنة (١/ ٥٠٠).

(٢) أخرجه البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب: مناقب علي بن أبي طالب...، برقم: (٣٧٠٦)، ومسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل علي رضي الله عنه، برقم: (٢٤٠٤).

(٣) أخرجه البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب: مناقب علي بن أبي طالب...، برقم: (٣٧٠١)، ومسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل علي رضي الله عنه، برقم: (٢٤٠٦).

[الوصية النبوية بسنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم:]

قوله: «وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون»، تقدم الحديث الثابت في السنن، وصححه الترمذي عن العرباض بن سارية قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودِّع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: **أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»[1].

[ترتيب الخلفاء الأربعة في الفضل:]

وترتيب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين في الفضل كترتيبهم في الخلافة، وعلى هذا عامة أهل السنة.

وقد روي عن أبي حنيفة تقديم علي على عثمان، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان على علي، وعلى هذا عامة أهل السنة.

وفي الصحيحين عن ابن عمر، قال: «كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان»[2].

الأسئلة والأجوبة على: ذكر الخلفاء الأربعة الراشدين، وثبوت الخلافة للصديق، ثم لعمر، ثم لعثمان، ثم لعلي رضي الله عنهم أجمعين

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولًا لأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، تفضيلًا له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه، ثم لعلي رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونثبت الخلافة بعد

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب: فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، برقم: (٣٦٥٥).

رسول الله ﷺ أولًا لأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، تفضيلًا له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه، ثم لعلي رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- الاختلاف في نوع خلافة الصديق.
٢- دليل خلافة الصديق بالنص.
٣- حجة من نفى خلافة الصديق بالنص.
٤- حقيقة استخلاف أبي بكر.
٥- علة ترك التعيين لخلافة الصديق نصاً.
٦- الاتفاق على تقديم الصديق.
٧- الإجماع على فضائل الصديق.
٨- حديث بيعة السقيفة.
٩- صيرورة الخلافة لعمر استخلافاً.
١٠- من فضائل عمر رضي الله عنه.
١١- كيف صارت الخلافة لعثمان.
١٢- من فضائل عثمان.
١٣- خلافة علي بعد عثمان.
١٤- كيف صارت الخلافة لعلي.
١٥- من فضائل علي.
١٦- الوصية النبوية بسنة الخلفاء الراشدين.
١٧- ترتيب الخلفاء الأربعة في الفضل.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولًا لأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، تفضيلًا له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه، ثم لعلي رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون»؟

ج٢: يثبت أهل السنة والجماعة الخلافة بعد رسول الله ﷺ لأبي بكر الصديق تفضيلًا له وتقديماً على سائر الأمة؛ إذ فضله الرسول ﷺ وقدمه، وألمح إلى خلافته في عدة أحاديث، وهو أولى الأمة بالفضل والتقديم، وقد اتفق المسلمون على بيعته يوم السقيفة، ومن بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث استخلفه أبو بكر على الناس، فبايعوه، وهما صاحبا رسول الله ﷺ، ومن بعده عثمان بن عفان ذو النورين رضي الله عنه، زوج ابنتي رسول الله ﷺ، ومن بعده علي بن أبي طالب رضي الله عنه، زوج فاطمة بنت الرسول ﷺ، وهؤلاء الأربعة هم أفضل الصحابة، وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهتدون، الذين أوصى رسول الله ﷺ باتباع سنتهم.

س٣: وضِّح ما المقصود بالخلافة؟

ج٣: الخلافة، والإمامة العظمى، وإمارة المسلمين، كلمات ثلاث ذات مدلول واحد، وتعرف بأنها إمارة عامة للمسلمين في مصالحهم الدينية والدنيوية، تثبت لشخص واحد منهم بعد رسول الله ﷺ.

س٤: لماذا ذكر الطحاوي هذا المبحث في العقيدة؟

ج٤: لما كان موضوع الخلافة من المواضيع التي خالفت فيها طوائف من أهل البدع القول الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة؛ أدخل هذا البحث في العقيدة؛ لبيان مذهب أهل السنة والجماعة المستقى من النصوص الشرعية، وفي هذا إشارة إلى الرد على المخالفين.

س٥: هل يجب على المسلمين تنصيب خليفة عليهم؟ وضِّح مع التدليل؟

ج٥: أجمع سلف هذه الأمة وجمهور أهل الطوائف الأخرى من المسلمين على أن تنصيب إمام للمسلمين واجب عقلًا وشرعاً، خلافاً لبعض المعتزلة القائلين بأنه لا يجب عقلًا وشرعاً.

أما وجوبه عقلًا: فلأنه لا يتم ما أمر الله به من إقامة الحدود، وفصل الخصومات، وسد الثغور، وما إلى ذلك مما يتعلق بالنظام إلا بتنصيب خليفة المسلمين، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، علاوة على أن في تنصيب خليفة للمسلمين جلبَ مصالحَ ودفعَ مضارَّ لا تحصى.

أما وجوبه شرعاً: فقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع:

أولًا: من الكتاب:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩]، فقد أشارت الآية إلى وجوب تنصيب خليفة للمسلمين حيث أمرت بطاعة ولاة الأمور، ولا تتصور طاعتهم إلا بوجودهم.

ثانياً: من السنة:

قوله ﷺ: «**من مات وليس في عنقه بيعة فميتته جاهلية**»(١).

وقوله ﷺ: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية**»(٢).

ثالثاً: من الإجماع:

أما الإجماع فقد أجمع سلف هذه الأمة على وجوب تنصيب خليفة للمسلمين حتى إن الصحابة قدموا اختيار إمام للمسلمين بعد دفن رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب لزوم جماعة المسلمين عند ظهور الفتن...، برقم: (١٨٥١).

(٢) أخرجه البخاري، ك: الجهاد والسير، ب: السمع والطاعة للإمام، برقم: (٢٩٥٥)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية...، برقم: (١٨٣٩).

س٦: من هو أولى الناس بالخلافة بعد الرسول ﷺ؟

ج٦: اختلف الناس في ذلك على ثلاثة أقوال:

١- مذهب أهل السنة والجماعة: أن أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ هو أبو بكر الصديق تفضيلًا له وتقديماً على سائر الأمة.

٢- مذهب الراوندية - نسبة إلى الراوندي -: وهي طائفة نشأت في المشرق لها بدع متعددة، ومن ضمنها رأيهم في الخليفة، حيث إنهم ذهبوا إلى أن أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ هو عمه العباس بن عبد المطلب، يقول شاعرهم:

يا أيها الناس لا تعذب قلوبكم ... ولا يضيعكم إلى أكنافها البدع
العم أولى من ابن العم فاستمعوا ... قولًا نصيحاً أن الحق يتبع

٣- وذهبت الشيعة إلى أن أحق الناس بالخلافة بعده ﷺ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقد اختلفت طوائف الشيعة في أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة، هل تثبت بالنص عليه من رسول الله ﷺ؟ أم لكونه أفضل من غيره من الصحابة؟ وقد توفرت فيه الشروط التي تشترط في إمام المسلمين.

الرأي المختار:

هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ، وذلك لما يأتي:

أولًا: إجماع الصحابة رضي الله عنهم على ذلك، ولم يتخلف عن هذا الإجماع إلا شخص واحد، وهو سعد بن عبادة، حتى إن أبا بكر رضي الله عنه توفي ولا يوجد أحد مانع في خلافته للمسلمين.

ثانياً: أن العباس بن عبد المطلب وعلي رضي الله عنهما قد بايعا أبا بكر بها، ولو كانا أحق منه لما بايعاه، ولا يمكن أن نقول: إنهما بايعاه تقية لما يلزم على ذلك من ضعف في الإيمان، أو ضعف في الحال، والأول باطل بالإجماع، والثاني: باطل؛ لما قد علم من شدة بأس علي، وكثرة ناصريه، ولو لم يكن ناصراً له إلا بنو هاشم لكفى بهم ناصراً.

ثالثاً: مما يمنع أن تكون المبايعة منهم تقية ما جاء عن أبي بكر رضي الله عنه أنه لما تمت له البيعة خير الناس سبع ليال، فلما كان اليوم السابع جاء علي رضي الله عنه وقال: «والله لا نقيلك، ولولا أننا رأيناك أهلًا لما بايعناك».

س٧: هل ثبتت خلافة أبي بكر الصديق بالنص؟ أم بالاختيار من الصحابة؟

ج٧: اختلف القائلون بأحقية أبي بكر بالخلافة على كيفية ثبوت الخلافة له:

١- قال الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث: إنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة.

٢- وقال آخرون: إنها ثبتت بالنص الجلي.

٣- قال بعض أهل الحديث والمعتزلة والأشاعرة: إنها ثبتت بالاختيار.

الأدلة:

١- استدل الأولون بما يأتي:

أ- قوله ﷺ: «**لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر**»(١).

قالوا: وفي هذا إشارة إلى أن أبا بكر أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ، وفيه تنبيه على إمامته بعد رسول الله ﷺ.

ب - قوله ﷺ: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس، وقد روجع في ذلك مرات، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس**»(٢).

فقد صلى أبو بكر بالناس عدة مرات، ففي تقديمه بالإمامة الصغرى إشارة إلى تقديمه في الإمامة الكبرى.

ج - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أُرِيَ الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ، ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر**».

قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: «أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ، وأما المنوط بعضهم ببعض فهم ولاة الأمر الذي بعث الله به نبيه ﷺ»(٣).

٢- استدل القائلون بأنها ثبتت بالنص الجلي بما يأتي:

أ- ما أسنده البخاري عن جبير بن مطعم، قال: «أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه،

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود، ك: السنة، ب: في الخلفاء، برقم: (٤٦٣٦)، والإمام أحمد (٣/ ٣٥٥)، وابن حبان برقم: (٦٩١٣)، والحاكم (٣/ ١٠٢)، وابن أبي عاصم في السنة برقم: (١١٣٤)، والطبراني في مسند الشاميين برقم: (١٨٠٢)، وقد ضعفه الألباني في ظلال الجنة برقم: (١١٣٤)، وفي ضعيف الجامع الصغير برقم: (٧٨٧).

قالت: أرأيتَ إن جئتُ فلم أجدك؟ كأنها تريد الموت، قال: إن لم تجديني فأتي أبا بكر»(١).

قالوا: الحديث صريح على أن أبا بكر سيكون خليفة لرسول الله ﷺ.

ب - قول عائشة ﵂: «دخلت على رسول الله في اليوم الذي توفي فيه، فقال: ادع لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً، ثم قال: يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»(٢)، وفي بعض الروايات: «لا يطمع في هذا الأمر طامع».

٣- واستدل القائلون بأنها ثبتت بالاختيار بما يأتي:

أ - ما رواه عبد الله بن عمر ﵄ أنه قال: قال عمر: «إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني أبا بكر -، وإن لم أستخلف فلم يستخلف من هو خير منه - يعني رسول الله ﷺ -، فقال عبد الله: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله لن يستخلف»(٣).

ب - ما ورد عن عائشة ﵂، أنها سئلت: «من كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلف؟ قالت: أبو بكر»(٤)، فهذا يدل على أن رسول الله ﷺ لم يستخلف.

ج - ما قاله ابن مسعود ﵁: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئا فهو سيء»(٥).

الرأي المختار:

الذي يفهم من كلام الشارح أنه يجعل أن خلافة الصديق ثبتت بالنص، والذي يظهر - والله أعلم - أنها ثبتت بالاختيار لما يأتي:

أولا: اختلاف الصحابة بعد وفاته ﵁ فيمن يتولى الأمر من بعده، ولو كان هناك نص ما اختلفوا.

ثانياً: قول أبي بكر ﵁ في سقيفة بني ساعدة: «بايعوا أحد هذين الرجلين: عمر بن الخطاب، أو أبا عبيدة»، ولو كان هناك نص على إمامته لم يقل ذلك.

ثالثاً: أما ما استدل به القائلون بأنها ثبتت بالنص، فغاية ما ذكروه هو إشارة الرسول ﷺ تدل على أحقيته بهذا الأمر، وأفضليته من بين الصحابة ﵃.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: فضائل أبي بكر الصديق ﵁، برقم: (٢٣٨٧).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

العشرة المبشرون بالجنة

قال الطحاوي: «وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة، نشهد لهم بالجنة، على ما شهد لهم رسول الله ﷺ، وقوله الحق، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وهو أمين هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[أبو عبيدة رضي الله عنه أمين هذه الأمة:]

أما كون أبي عبيدة رضي الله عنه أمين هذه الأمة فقد دل عليه ما في صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لكل أمة أمينا - وإن أميننا - أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح**».

[النص على الشهادة بالجنة للعشرة:]

وأما بالنسبة للشهادة بالجنة لجميع هؤلاء العشرة رضي الله عنهم فلما ورد عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: «أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته يقول: **عشرة في الجنة، النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وطلحة في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، ولو شئت لسميت العاشر، قال: فقالوا: من هو؟ قال: سعيد بن زيد.**

وقال: لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر منه وجهه خيرٌ من عمل أحدكم، ولو عُمِّرَ عمر نوح» رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي، وصححه[(١)].

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**».

رواه الإمام أحمد في مسنده[(٢)]، ورواه أبو بكر بن أبي خيثمة، وقدم فيه عثمان على علي رضي الله عنهما.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٩٣)، والترمذي، أبواب المناقب، ب: مناقب عبد الرحمن بن عوف...، برقم : (٣٧٤٧)، وغيرهما، من حديث عبد الرحمن بن عوف، وإسناده ضعيف، وأن الصحيح فيه أنه من مسند سعيد بن زيد. انظر: سنن الترمذي برقم (٣٧٤٧)، العلل لابن أبي حاتم (٢/ ٣٦٦).

[الاتفاق على منزلة العشرة:]

وقد اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة، وتقديمهم لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم.

[موقف الرافضة من العشرة وسائر الصحابة:]

هذا، والرافضة - قاتلهم الله ﷻ - يتبرءون من جمهور هؤلاء العشرة.

بل يتبرءون من سائر أصحاب رسول الله ﷺ إلا من نفر قليل، نحو بضعة عشر نفراً.

[الأئمة الاثنا عشر عند الروافض:]

والرافضة توالي بدل العشرة المبشرين بالجنة اثني عشر إماماً، أولهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويدعون أنه وصي النبي ﷺ دعوى مجردة عن الدليل، ثم الحسن رضي الله عنه، ثم الحسين رضي الله عنه، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضى، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم محمد بن الحسن، ويغالون في محبتهم ويتجاوزون الحد.

الأسئلة والأجوبة على العشرة المبشرين بالجنة

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة، نشهد لهم بالجنة، على ما شهد لهم رسول الله ﷺ، وقوله الحق، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح...»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة، نشهد لهم بالجنة، على ما شهد لهم رسول الله ﷺ، وقوله الحق، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح...» لمسائل عديدة يمكن إجمالها فيما يلي:

١- أبو عبيدة أمين هذه الأمة.

٢- النص على الشهادة بالجنة للعشرة.

٣- الاتفاق على منزلة العشرة.

٤- موقف الرافضة من العشرة، وسائر الصحابة.

٥- الأئمة الاثنا عشر عند الروافض.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة، نشهد لهم بالجنة، على ما شهد لهم رسول ﷺ، وقوله الحق، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وهو أمين هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين»؟

ج٢: نؤمن بأن النبي ﷺ قد بشر عشرة من أصحابه بالجنة صراحة، حيث قال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة**...»(١)، فذكر العشرة المذكورين آنفاً، فنحن نؤمن بذلك، ونؤمن أن الرسول ﷺ قد بشر غيرهم على ما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

س٣: لماذا قيل عن العشرة إنهم هم المبشرون بالجنة؟

ج٣: قيل عن هؤلاء أنهم العشرة المبشرون بالجنة لا لأجل اختصاصهم بهذه الشهادة والبشارة، فالنبي ﷺ بشر نفراً غيرهم بالجنة، وإنما خص هؤلاء لأنهم أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، ولأنهم بشروا بالجنة في حديث واحد.

س٤: ما موقف الرافضة من العشرة المبشرين بالجنة؟

ج٤: الرافضة يتبرؤون من أفضل هذه الأمة، وهم العشرة المبشرون ما عدا علي ﷺ.

إحسان القول في الصحابة، والآل، وأمهات المؤمنين

قال الطحاوي: «ومن أحسنَ القولَ في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد برىء من النفاق».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[أصل مذهب الرافضة من المنافقين الزنادقة:]

وإنما قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقد برىء من النفاق»؛ لأن أصل الرفض إنما أحدثه منافق زنديق قصده إبطال دين الإسلام، والقدح في الرسول ﷺ، كما ذكر ذلك العلماء، فإن عبد الله بن سبأ لما أظهر الإسلام أراد أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه، كما فعل بولس بدين النصرانية، فأظهر التنسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى سعى في

(١) تقدم تخريجه.

فتنة عثمان، وقتله، ثم لما قدم علي الكوفة أظهر الغلو في علي والنصر له؛ ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك عليا، فطلب قتله، فهرب منه إلى قرقيس، وخبره معروف في التاريخ، ولهذا كان الرفض باب الزندقة.

[منتهى مذهب من يسب الصحابة:]

ولا شك أنه يتطرق من سب الصحابة إلى سب أهل البيت، ثم إلى سب الرسول ﷺ ثم إلى إبطال دين الإسلام.

الأسئلة والأجوبة على إحسان القول في الصحابة، والآل، وأمهات المؤمنين

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ومن أحسنَ القولَ في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد برئ من النفاق»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ومن أحسنَ القولَ في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد برئ من النفاق» لمسألتين مهمتين أجملهما فيما يلي:

١- أصل مذهب الرافضة من المنافقين الزنادقة. ٢- منتهى مذهب من يسب الصحابة.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ومن أحسنَ القولَ في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد برئ من النفاق»؟

ج٢: كل من أحسن القول في حق أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يقع في أحد منهم، وأحسن القول في أزواجه رضي الله عنهن الطاهرات من كل دنس، المبرآت من كل إثم، وفي ذريته المتنزهين عن كل رجس وقذر، الذين أمر باتباعهم، وأوصى بهم، كل من أحسن قوله فيهم جميعاً فقد برئ من النفاق.

س٣: وضِّح ما الواجب على المسلم تجاه الصحابة رضي الله عنهم؟

ج٣: من أصول أهل السنة والجماعة:

أولًا: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله اتباعاً لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا

﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠]، وطاعةً للرسول ﷺ في قوله: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»(١).

ثانياً: أنهم يقبلون ما جاء في الكتاب والسنة من فضائلهم ومراتبهم، فيفضلون من أنفق من قبل الفتح وقاتل، على الذين أنفقوا من بعده وقاتلوا؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

ويؤمنون أيضاً بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، وأن الله تعالى قال: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

ثالثاً: ويمسكون عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم، ويقولون في تلك الآثار التي ذكر فيها مساوئ بعض الصحابة: إن من تلك الآثار ما هو كذب، ومنها ما زيد فيه، وأنقص، وغيِّر على وجهه.

رابعاً: وهم على هذا لا يدعون العصمة لأحد من أصحاب الرسول ﷺ، بل قد يقع بعضهم في بعض الذنوب، وإن كان لهم من السوابق الشيء الكثير.

س٤: ما الذي يجب على المسلم تجاه أهل بيته ﷺ؟

ج٤: من أصول أهل السنة والجماعة محبة أهل البيت، وموالاتهم، والحفاظ على وصيته ﷺ فيهم.

روى مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم، قال: «قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بماء يدعى: خُمّاً، ثم قال: يا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: ألا وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»(٢).

وأخرج البخاري عن أبي بكر أنه قال: «ارقبوا محمداً في أهل بيته»(٣)، أي: راعوهم.

وأزواج النبي ﷺ من آل بيته، فيوالون أيضاً أزواجه، ويعتقدون أنهن أزواجه في الآخرة، خاصة خديجة، وعائشة التي قال رسول الله ﷺ في بيان فضلها: «وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) صحيح مسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، برقم: (٢٤٠٨).
(٣) أخرج البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب: مناقب قرابة رسول الله ﷺ...، برقم: (٣٧١٣).

ويعتقدون أنهن أمهات المسلمين والمؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، أي: في الاحترام والتقدير، وحرمة النكاح.

ومعلوم أن هذه الأمومة لا توجب ميراثاً أو حرمة نكاح لبناتهن.

س٥: قال ابن حزم بتفضل أزواج النبي ﷺ على العشرة المبشرين بالجنة، فكيف ترد عليه؟

ج٥: يرى ابن حزم أن أزواج النبي ﷺ أفضل من العشرة، ووجهته في ذلك أن أزواجه معه في درجته في الجنة، ودرجة النبي ﷺ أعلى من درجة العشرة؛ ولذا قال: إن أزواجه أفضل من العشرة المبشرين.

الرد عليه: هذا القول شاذ مردود من وجوه عدة:

أولًا: أنه يلزم عليه أن تكون أزواجه ﷺ أفضل من غير محمد ﷺ من الأنبياء؛ لأن درجة الرسول محمد ﷺ أعلى من غيره، ولم يقل بهذا أحد.

ثانياً: أن النبي ﷺ قال: «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[1]، ومن المعلوم أن أكثر أزواجه ﷺ لسن من هذا العدد القليل الذي كمل قطعاً.

ثالثاً: قول النبي ﷺ في عائشة: «**فضل عائشة على النساء...**»، فهو إنما فضلها على النساء، ولم يفضلها على الرجال.

رابعاً: ورد عن علي ﷺ أنه قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، وعمر»[2]، وبهذا يبطل ما قال ابن حزم.

ومما يجدر ذكره أنه لم يقل بهذا غيره.

س٦: من هم أهل البيت؟

ج٦: أهل البيت هم: آل النبي ﷺ الذين حرمت عليهم الصدقة، وهم آل علي بن أبي

---

(١) أخرجه البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب: فضل عائشة ﷺ، برقم: (٣٧٦٩)، ومسلم، ك: فضائل الصحابة، ب: فضائل خديجة أم المؤمنين ﷺ، برقم: (٢٤٣١).

(٢) أخرج البخاري، ك: فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب: قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذا خليلا**»، برقم: (٣٦٧١)، عن محمد بن الحنفية، قال: «قلت أبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر..».

وانظر: مسند الإمام أحمد (١/ ١١٠، ١١٣ - ١١٥)، والسنة لابن أبي عاصم برقم: (١٢٠١).

طالب، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب، وأزواج النبي ﷺ.

س٧: تحدث عن فضل أهل البيت وحقوقهم مع ذكر الدليل؟

ج٧: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال ﷺ: «**أذكركم الله في أهل بيتي**»[1].

س٨: هل يدخل نساء النبي ﷺ في أهل البيت؟ وضِّح ذلك بالدليل؟

ج٨: نعم، نساء النبي ﷺ من أهل بيته، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن: أنَّ نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وإن تحل لهن الصدقة دون سائر أهل البيت، فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال بعد هذا كله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

س٩: ما معنى الوصية بأهل البيت؟

ج٩: معنى الوصية بأهل البيت: حبهم، وإكرامهم، وحفظ وصية رسول الله ﷺ فيهم؛ لأن ذلك من محبة النبي ﷺ وإكرامه، وذلك بشرط أن يكونوا متبعين للسنة مستقيمين على الملة.

س١٠: بين موقف أهل السنة من أهل البيت، وكيف كانوا وسطاً بين الغلاة والجفاة؟

ج١٠: موقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولون أهل الدين والاستقامة منهم، ويتبرؤون ممن خالف السنة، وانحرف عن الدين، ولو كان من أهل البيت، كما أنهم يتبرؤون من الذين يغلون في بعض أهل البيت، ويدعون لهم العصمة، ومن الذين ينصبون العداوة لأهل البيت المستقيمين، ويطعنون فيهم، ومن طريقة المبتدعة والخرافيين الذين يتوسلون بأهل البيت ويتخذونهم أرباباً من دون الله.

س١١: قال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة...**»[2] الخ، بيِّن معنى النصيحة لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين، وعامتهم؟

ج١١: معنى النصيحة لله: إفراده تعالى بالعبادة، ومحبته، وتعظيمه، وخوفه، ورجاؤه، وفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

والنصيحة لرسول الله ﷺ: تصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر به، واتباع سنته،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: بيان أن الدين النصيحة، برقم: (٥٥).

والاهتداء بهديه، ومحبته، وأن لا نعبد الله إلا وفق ما جاء به ﷺ.

والنصيحة لكتابه هي: الإيمان به، والعمل بأحكامه، وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضي الله تعالى.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين فهي: الدعاء لهم، ومحبتهم، وطاعتهم في حدود طاعة الله تعالى.

وأما النصيحة لعامة المسلمين فهي: أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وحب الخير لهم كما نحب لأنفسنا، وبذل الخير لهم، ومساعدتهم بقدر ما نستطيع.

س١٢: قال الطحاوي: «ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق» لماذا قال الطحاوي ذلك؟ مع بيان أول من أظهر مذهب الروافض؟

ج١٢: قال الطحاوي هذا القول مشيراً إلى أن القدح في أصحاب محمد ﷺ نفاق وطغيان، وإشارة إلى أن أصل الرفض الذي أظهره منافق زنديق ملحد أراد الطعن في الإسلام، وفي رسول الله ﷺ، وفي صحابته، فقد ذكر العلماء أن عبد الله بن سبأ لما أظهر الإسلام أظهر التنسك، ثم تظاهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى توصل بذلك إلى قتل عثمان رضي الله عنه، بأن أوغر قلوب الرجال عليه، متظاهراً أنه بذلك يأمر بالمعروف، وزين لهم قتل عثمان.

ثم لما قدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه الكوفة غلا فيه غلوا مفرطاً، فطلب عليٌّ قتله، فهرب إلى قرقيسيا.

ومن هنا ندرك أن أصل الرفض إنما ظهر من ذلك المنافق، ولهذا قال العلماء: «حب أبي بكر وعمر إيمان، وبغضهم نفاق، وحب آل البيت إيمان، وبغضهم نفاق».

س١٣: اتخذ كثير من الشيعة مذهب التشيع ستاراً للزندقة، اشرح ذلك؟

ج١٣: اتخذ الزنادقة التشيع ستاراً لهم، فأخذوا يبثون عن طريقه آراءهم الباطلة الفاسدة، وذكر الباقلاني عن الباطنية وكيفية إفسادهم للدين أنهم كانوا يقولون للداعي: إذا رأيت من تدعوه مسلماً فاجعل التشيع دينك وشعارك، واجعل المدخل من جهته ظلم السلف لعلي، وقتلهم الحسين بن علي، والتبرئ من تيم وعدي - قبيلتي أبي بكر وعمر -، وبني أمية، وبني العباس، فإذا وجدت فيمن تدعوه استجابة لما تقول فأوقفه على مثالب علي وآل البيت.

قال الشارح تعليقاً على هذا القول: «ولا شك أنه يتطرق من سب الصحابة إلى سب أهل

البيت، ثم إلى سب الرسول ﷺ؛ إذ أهل بيته وأصحابه مثل هؤلاء عند الفاعلين الضالين».

ذكر السلف بكل خير

قال الطحاوي: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[وجوب اتباع سبيل المؤمنين:]

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، فيجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله ﷺ موالاة المؤمنين، كما نطق به القرآن، خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر.

[الإجماع على فضل أهل العلم:]

وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم؛ إذ كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ علماؤها شرارها إلا المسلمين، فإن علماءَهم خيارُهم، فإنهم خلفاء الرسول من أمته، والمحيون لما مات من سنته، فبهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا، وكلهم متفقون اتفاقا يقينا على وجوب اتباع الرسول ﷺ.

فلهم الفضل علينا والمنة بالسبق، وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا، وإيضاح ما كان يخفى علينا، فرضي الله عنهم وأرضاهم، ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

الأسئلة والأجوبة على: وجوب ذكر السلف بكل خير

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «وعلماء السلف من السابقين

ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل» لمسألتين مهمتين أجملهما فيما يلي:

١- وجوب اتباع سبيل المؤمنين. ٢- الإجماع على فضل أهل العلم.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل»؟

ج٢: وكذلك العلماء السابقون من الصحابة والتابعين أهل الصلاح وأتباع السنن وأهل الفقه، لا نذكرهم إلا بالجميل والثناء، ومن ذكرهم بسوء فهو على سبيل الضلالة، فإن محبتهم واجبة، ولحومهم مسمومة لمن ذكرهم بسوء.

س٣: وضِّح المقصود بالسلف لغة واصطلاحاً؟

ج٣: السلف لغة: مصدر سلف يسلفُ سلفاً، من باب نصر إذا مضى، وتقدم، والسُّلاف وسلفٌ: المتقدمون.

والمراد بالسلف اصطلاحاً: صحابة رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان من العلماء والمتقدمين دون من رمي ببدعة.

وعلى هذا فعلماء السلف هم العلماء المتقدمون العالمون العاملون بسنة رسول الله ﷺ وهديه.

س٤: ما هي أصناف علماء السلف؟

ج٤: علماء السلف على أصناف متعددة، منها:

١- رواة الأحاديث الذين حفظوا أخبار رسول الله ﷺ ونقلوها إلى مَنْ بعدهم بكل دقة وأمانة، وميزوا بين صحيحها وضعيفها، وما ثبت منها، وما لم يثبت.

٢- علماء أصول الدين، الذين ردوا أقوال أهل البدع، وكانوا شجى في قلوب الدهريين والاتحاديين، وغيرهم من طوائف أهل البدع.

٣- الفقهاء الذين بينوا أصول العبادات، وقانون المعاملات، وميزوا الحلال والحرام، وبينوا عقوبات الجرائم والجنايات.

٤- أئمة القراء وحملة التفسير، سواء منهم من فسر بالأثر أو بالرأي.

٥- أئمة النحو واللغة والأدب، فإن كثيرا من المتقدمين منهم ردوا على أهل البدع،

ولم يشتهر عنهم أقوال مخالفة لأصحاب الرسول ﷺ.

٦- أئمة التاريخ وحفظة السيرة بما فيها من دروس وعبر.

س٥: وضِّح عقيدة أهل السنة والجماعة تجاه علماء السلف؟

ج٥: يرى أهل السنة والجماعة وجوب موالاة علماء السلف جميعاً وعدم ذكرهم بما يسيء إليهم، أو مخالفة طريقتهم؛ وذلك لعموم قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]، فقد توعد من خالف سبيل المؤمنين، ولا يتوعد بالنار إلا على أمر محرم.

ولعموم قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١]، وإذا كانت موالاة عامة المسلمين واجبة، فإن موالاة العلماء منهم خاصة متأكدة الوجوب.

وذلك لأن الله جعلهم كالنجوم يُهتدى بهم، ولأنهم ورثة الأنبياء، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، لأجل هذا تجب موالاة علماء السلف؛ لأنهم كما قال الطحاوي: «بهم نطق الكتاب، وبه نطقوا، وبهم قال الكتاب، وبه قالوا، فلا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بالسوء فهو على غير سبيل المؤمنين».

وقد اتفق علماء السلف عموماً على وجوب التمسك بما ورد عن الرسول ﷺ والأخذ به، وإذا وجد لأحدهم قول يخالف ما ورد عن الرسول ﷺ فلا بد له من عذر في ذلك.

س٦: قد يخالف بعض العلماء نصاً عن النبي ﷺ لعذر معين، اذكر هذه الأعذار؟

ج٦: جماع ذلك ثلاثة أمور:

أولها: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قائله.

والثاني: عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول.

والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

س٧: ما موقف المعتزلة والأشعرية من علماء السلف؟

ج٧: بعد أن ذكرنا أن أهل السنة يرون وجوب موالاة علماء السلف، فإن كثيراً من المعتزلة يطعنون في كثير من علماء السلف، بل ويفسقونهم، ويطعنون في كثير من الآثار التي وردت عن علماء السلف التي تخالف آراءهم ومعتقداتهم الباطلة.

أما الأشعرية فإنهم وإن كانوا لا يطعنون إلا أنهم تارة يقدمون رأي السلف، وتارة

يقدمون رأي الخلف، ويقولون: إن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

وهذه العبارة إذا دققنا النظر فيها وجدناها متناقضة إذ مقتضى السلامة وجود العلم والحكمة، وعلى هذا كان الواجب أن يقال: إن مذهب السلف أسلم، وأعلم، وأحكم؛ لما ذكرنا من أن السلامة تستلزم العلم والحكمة.

النبوة خير من الولاية

قال الطحاوي: «ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبيٌّ واحدٌ أفضلُ من جميعِ الأولياء».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الرد على الاتحادية والصوفية:]

يشير الشيخ رحمه الله إلى الردِّ على الاتحادية وجهلة المتصوفة.

وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياضته واجتهاده في العبادة وتصفية نفسه إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم.

ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء.

ومنهم من يقول : إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء، ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء.

هذا، ولما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره، قال: النبوة ختمت لكن الولاية لم تختم، وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة، وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها، كما قال:

مقام النبوة في برزخ ويق الرسول ودون الولي

[النبوة أخص من الولاية:]

وهذا قلب للشريعة، وإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]، والنبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة.

الأسئلة والأجوبة على أن النبوة خير من الولاية

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبيٌّ واحدٌ أفضلُ من جميعِ الأولياء»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبيٌّ واحدٌ أفضلُ من جميعِ الأولياء» لمسألتين مهمتين أجملهما فيما يلي:

١- الرد على الاتحادية والصوفية. ٢- النبوة أخص من الولاية.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبيٌّ واحدٌ أفضلُ من جميعِ الأولياء»؟

ج٢: لا نفضل الأولياء على الأنبياء، كما قال بعض أهل الضلالة كابن عربي وغيره، بل نقول: إن نبيّاً واحداً أفضل من جميع الأولياء من غير الأنبياء والمرسلين؛ وذلك لما اصطفاهم الله بالنبوة والحكمة، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

س٣: عرف النبوة لغة واصطلاحاً؟

ج٣: النبوة في اللغة: مأخوذة من النبأ، وهو الخبر، أو هي من النَّبْوة، وهي ما ارتفع من الأرض، يقال: نبا الشيء إذا ارتفع.

والنبوة في الاصطلاح: هي اصطفاء الله تعالى أحداً من عباده بالوحي إليه.

وسمي نبيا:

١- إما لأنه يتلقى الأخبار من الله تعالى.

٢- أو لأنه يرتفع في المنزلة على غيره بسبب الوحي الذي أوحاه الله إليه.

س٤: ما موقف أهل الحق من الأنبياء؟

ج٤: يرى أهل الاستقامة وجوب محبة أنبياء الله وموالاتهم وطاعتهم فيما يأمرون به؛ لأنهم هم المبلغون للأحكام عن الله، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، وقال أيضاً: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقد قال النبي ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله**»[(١)].

س٥: ما هي نظرة غلاة المتصوفة إلى الأنبياء؟

ج٥: غلاة المتصوفة على ثلاث طوائف:

الأولى: تظن أنها قد تصل برياضتها، واجتهادها في العبادة، وتصفيتها لنفسها إلى درجة الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم.

الثانية: تظن أن الأولياء أفضل من الأنبياء.

الثالثة: تقول إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم من مشكاة خاتم الأولياء، ويدعي بعضهم أنه هو خاتم الأولياء.

وهذه الطوائف الثلاث تنتقص الأنبياء والرسل حقهم مما جعل بعض العلماء يكفرهم.

س٦: ما مفهوم الولاية في اللغة وعند جمهور المسلمين؟

ج٦: مفهوم الولاية في اللغة: الولاية في اللغة ضد العداوة، وأصلها المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد.

والولي عند جمهور المسلمين اصطلاحاً: هو الموافق لله، والمحب له، والمتبع له فيما يحبه الله، وفيما يكرهه، وفيما يأمر به، وفيما ينهى عنه، فلا يحب إلا ما أحب الله، ولا ينهى إلا عما ينهى الله عنه، ولا يكره إلا ما كرهه الله ﷻ.

س٧: من هم أفضل أولياء الله؟

ج٧: أفضل أولياء الله هم: أنبياؤه، وأفضل أنبيائه المرسلون، وأفضل المرسلين أولوا العزم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهم الذين أشار الله ﷻ إليهم بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وأفضل أولي العزم من الرسل: هو محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمتقين، وعلى هذا: فأفضل أولياء الله على الإطلاق هو نبينا محمد ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الأحكام، ب: قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، برقم: (٧١٣٧)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم: (١٨٣٥).

س٨: عرف الولاية؟ ومن الولي؟

ج٨: الولاية هي: المحبة والنصرة.

والوَلاية بالفتح: المؤازرة والمناصرة، والولي: هو المؤمن.

س٩: ما الفرق بين الولاية والإيمان؟

ج٩: لا فرق بينهما.

س١٠: هل الولاية مختصة بأحد من البشر؟

ج١٠: لا تختص الولاية بأحد من المؤمنين.

س١١: ما صفة الأولياء وعلاماتهم؟

ج١١: قال تعالى مبينا صفات الأولياء: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢]، وقال تعالى حكاية عن يوسف: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

س١٢: هل الأولياء أفضل من الأنبياء؟

ج١٢: الأنبياء أفضل، لأنهم اجتمعت فيهم النبوة والولاية.

س١٣: من ولي المؤمنين؟ ومن أولياء الكفار؟

ج١٣: بين الله ذلك في القرآن الكريم فقال: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

س١٤: اذكر ما تعرفه عن ابن عربي، مع بيان قوله في مسألة ختم الولاية؟ وبم ترد عليها؟

ج١٤: ابن عربي: هو محمد بن علي الطائي يلقب بمحيي الدين، ويكنى: بابن عربي، ولد سنة ٦٣٨ هـ، ويطلق عليه بعضهم لقب الأكبر، له تآليف في التصوف منها: الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، قال عنه الذهبي: «ومن أردأ تواليفه كتاب الفصوص، فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر»(١).

مذهب ابن عربي في ختم الولاية:

١- إن النبوة ختمت، والولاية لم تختم، حتى جاء وختمها.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٤٨٩)، وانظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٦٥٩)، لسان الميزان (٥/ ٣١١).

٢- إن الولاية أفضل من النبوة؛ وذلك لأن الولي يأخذ العلم من الله تعالى مباشرة، فهو يتلقى العلم من المعدن الذي يتلقى منه الملك، أما الأنبياء وسائر الأولياء فإنما يأخذون العلم - العلم الباطن - من مشكاة خاتم الأولياء.

٣- إن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء.

٤- مثل خاتم الأولياء بلبنتين من حائط، إحداهما: فضة، ويرمز بها إلى علم الظاهر، والأخرى: ذهب، ويرمز بها إلى علم الباطن، فقد جعل ابن عربي نفسه في موضع اللبنة الذهبية، وجعل الرسول في موضع اللبنة الفضية.

الرد على هذا المذهب:

وهذا المذهب مذهب باطل، فيه تحريف للشريعة الإسلامية، ويرد عليه بما يأتي:

أولًا: المذهب باطل من أساسه لعدم وروده في الكتاب والسنة، فنقرأ الكتاب ونتبع السنة، فلا نجد فيهما ذكراً لختم الولاية.

وكذلك لم ينقل عن سلف هذه الأمة ما يشير إلى هذه الفكرة: ختم الولاية.

ثانياً: إنه معارض للقرآن والسنة وإجماع الأمة.

١- أما الكتاب، فإن ختم الولاية معارض للقرآن، حيث يقول سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]، فقد وصفت الآية أولياء الله تعالى بوصفين: بالإيمان والتقوى، فمن كان مؤمناً متقياً كان من أولياء الله، ويفهم من الآية أن الأنبياء أفضل من سائر الأولياء؛ لأن الأنبياء جمعوا الإيمان والتقوى.

وعلى ذلك كان اصطفاء الله لهم بوحيه.

وقال ابن عربي: إن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء، فكان بقوله هذا معارضاً لنص الآية.

٢- وهو معارض للسنة، فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر**»[1].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة برقم: (١٣٥)، وعبد بن حميد في المنتخب من المسند برقم: (٢١٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٤٣٨)، وقوام السنة الأصبهاني في الحجة برقم: (٣١٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ٢٨٠)، من طريق ابن جريج عن عطاء عن أبي الدرداء، وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، قال عنه الحافظ في التقريب: ثقة فاضل، وكان يدلس ويرسل، وراجع تعليق الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة برقم: (١٣٥٧).

وابن عربي يقول بأن خاتم الأولياء أفضل من أبي بكر، بل أفضل من سائر الأولياء، فكان بفكرته تلك معارضاً لنص الحديث.

٣- وهو معارض للإجماع، فقد أجمع سلف الأمة على خلاف ما روي أن الأنبياء أفضل الخلق وأشرفهم عند الله.

وباختصار: فمذهب ابن عربي باطل لا ينبغي الالتفات إليه، ولولا كثرة الذاكرين لابن عربي والمشيدين به لما كان مذهبه جديراً بالمذاكرة؛ لمعارضته الصريحة لنصوص الشريعة.

س١٥: ما هي آراء الناس في ابن عربي؟

ج١٥: اختلف الناس في ابن عربي على ثلاثة أقوال:

١- رأي يقول بتكفيره، وأنه منافق زنديق ملحد، وقد أظهر من الأقوال ما يوجب كفره، وممن قال بهذا الرأي شارح الطحاوية.

٢- رأي من يقول: إنه من الأولياء العارفين، والأئمة المجتهدين، وما ورد من كلمات مشكلة في تأليفه فظاهرها غير مراد، والمراد اصطلاحات اصطلح عليها الصوفية، وهي في حقيقتها خطرة، وإن كان قد يظهر منها - إذا أخذت بغض النظر عن تلك الاصطلاحات المراد بها - أقوال منكرة.

٣- رأي من يقول: إنه ولي، لكن يحرم النظر في كتبه على غير العارفين بطريقته؛ لما فيها من عبارات قد يتبادر إلى ذهن من يطلع عليها أشياء لا يريدها ابن عربي بتلك العبارات، ونسب هذا إلى السيوطي.

الإيمان بكرامات الأولياء

قال الطحاوي: «ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الفرق بين المعجزة والكرامة:]

المعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة، وكذلك الكرامة في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين، ولكن كثيراً من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما: الأمر الخارق للعادة.

[أنواع الخوارق:]

ثم الخارق إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين كان من الأعمال الصالحة المأمور بها دينا وشرعا، إما واجب أو مستحب، وإن حصل به أمر مباح كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكرا.

[المطلوب الاستقامة لا الكرامة:]

قال أبو علي الجُوزْجاني: كن طالباً للاستقامة لا طالبا للكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة.

[الحكمة من حدوث الكرامة:]

قال الشيخ السّهْرَوَرْدي في عوارفه: وهذا أصل كبير في الباب، فإن كثيرا من المجتهدين المتعبدين سمعوا السلف الصالحين المتقدمين، وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات، فنفوسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك، ويحبون أن يرزقوا شيئا منه، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب متهما لنفسه في صحة عمله حيث لم يحصل له خارق، ولو علموا بسر ذلك لهان عليهم الأمر، فيعلم أن الله يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك بابا، والحكمة فيه أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقينا، فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا، والخروج عن دواعي الهوى. فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة، فهي كل الكرامة.

[دفع إشكال حول الخوارق:]

هذا، واعلم أن عدم الخوارق لا تضر المسلم في دينه، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ولم يسخر له شيء من الكونيات، لا ينقص ذلك في مرتبته عند الله، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له، فإنه إن اقترن به الدين، وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة، فإن الخارق قد يكون مع الدين وقد يكون مع عدمه أو فساده أو نقصه، فالخوارق النافعة تابعة للدين خادمة له.

[الخوارق إكرام من الله للمتقين:]

ثم إن الدين إذا صح علما وعملا فلا بد أن يوجب خرق العادة إذا احتاج إلى ذلك صاحبه قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وقال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، وقال تعالى فيما يرويه

عنه رسول الله ﷺ: «من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه»، فظهر أن الاستقامة حظ الرب، وطلب الكرامة حظ النفس، وبالله التوفيق.

[الرد على المعتزلة منكري الكرامات:]

وأما قول المعتزلة في إنكار الكرامة فظاهر البطلان، فإنه بمنزلة إنكار المحسوسات، وقولهم: لو صحت لأشبهت المعجزة فيؤدي إلى التباس النبي ﷺ بالولي، وذلك لا يجوز.

وهذه الدعوى إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق ويدعي النبوة، وهذا لا يقع، ولو ادعى النبوة لم يكن وليا بل كان متنبئا كذابا.

الأسئلة والأجوبة على الإيمان بكرامات الأولياء

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم» لمسائل عديدة يمكن إجمالها فيما يلي:

١- الفرق بين المعجزة والكرامة.
٢- أنواع الخوارق.
٣- المطلوب الاستقامة لا الكرامة.
٤- الحكمة من حدوث الكرامة.
٥- دفع إشكال حول الخوارق.
٦- الخوارق إكرام من الله للمتقين.
٧- الرد على المعتزلة منكري الكرامات.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم»؟

ج٢: نؤمن بما ورد من كرامات الأولياء، وما أجراه الله لهم من خوارق العادات، نؤمن بما ثبت من ذلك، ونرد ما لم يثبت، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧].

س٣: عرف المعجزة لغة واصطلاحا؟

ج٣: المعجزة في اللغة: مأخوذة من العجز، وهو ضد القدرة، والمعجز هو فاعل العجز في غيره، أو مظهر عجز غيره، وإطلاقها على الأمر الخارق إطلاق مجازي؛ لأنه يسبب في إظهار المعجز، والهاء فيها للمبالغة كما زيدت في راوية ونسابة وعلامة.

أما في الاصطلاح فالمعجزة هي: أمر ممكن عقلًا، خارق للعادة، يجريه الله تعالى على يد نبي من أنبيائه، أو رسوله من رسله؛ لإظهار صدق نبوته وصحة رسالته.

ويلاحظ: أن المعجزة بمعناها اللغوي تطلق على أمر خارق للعادة، سواء كان لنبي أو لغيره، وعلى هذا جرى عرف أئمة العلم المتقدمين، أما المتأخرون منهم فقد جعلوا المعجزة للنبي، والكرامة للولي كما في التعريف الذي سبق ذكره.

محترزات التعريف:

قولنا: «أمر ممكن عقلا»، يخرج المستحيل عقلًا، إذ لا يمكن وجوده.

قولنا: «خارق للعادة»، يخرج الأمر المعتاد المألوف، فلا يعتبر معجزة.

قولنا: «يجريه الله تعالى على يد نبي»، يخرج الأمر الخارق للعادة الذي جرى على يد غير الأنبياء والرسل، كالكرامة، وكما يجري على أيدي السحرة والكهان.

س٤: اذكر شروط المعجزة؟

ج٤: للمعجزة عدة شروط، منها:

١- أن تكون أمراً خارقاً للعادة.

٢- أن تكون على يد نبي أو رسول يتحدى بها من وصلت إليهم دعوته وشملتهم رسالته.

٣- أن تعجز الأمة عن الإتيان بمثلها على الصورة التي كان التحدي بها.

٤- ألا يكون الأمر الخارق متضمنا تكذيب مدعي النبوة، كما يحكى أنه قيل لمسيلمة الكذاب: إن محمداً بصق في عين أرمد فشفيت، فأرنا مثل ذلك، فبصق في عين أرمد فعميت، فحصول الشفاء بمجرد البصق أمر غير معتاد، وكذلك حصول العمى.

س٥: عرف الكرامة لغة واصطلاحاً؟

ج٥: الكرامة في اللغة: اسم مصدر من كرَّم يكرِّم تكريماً وأكرم إكراماً: إذا أعطى بدون مقابل.

وفي الاصطلاح: أمر ممكن عقلًا، خارق للعادة: يجريه الله تعالى على يد ولي من أوليائه غير الأنبياء.

س٦: اذكر أقسام الأشياء الخارقة للعادة؟

ج٦: الأمر الخارق للعادة لا يكون إلا من أحد ثلاثة أمور:

١- إما أن يكون من باب العلم. ٢- أو من باب القدرة والتأثير.

٣- أو من باب الغنى.

فمثال ما كان من باب العلم: إخباره ﷺ عن أحوال الأمم الماضية، وما جرى لأنبيائهم معهم، دون أن يقرأ تواريخ الأمم السابقة، وكذلك إخباره عن الأمور الغيبية المستقبلية، فقوله في شأن الحسن بن علي بن أبي طالب: «**إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين مختصمتين من المسلمين**»(١)، وإخباره عن انتشار الدعوة الإسلامية، وانقراض دولتي الفرس والرومان.

ومثال ما كان من باب القدرة، والتأثير، ما كان لعيسى عليه السلام من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص.

وكذلك ما ورد أن النبي ﷺ وضع يده في إناء فنبع الماء من بين أصابعه الشريفة.

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «أتى النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء، فوضع يده في الإناء، فنبع الماء من بين أصابعه، فتوضأ القوم جميعاً.

قال الراوي: فقلت لأنس: كم كنتم يومئذ، قال: ثلاث مئة، أو زهاء الثلاثة مئة»(٢).

وما كان من باب الغنى يمكن التمثيل له بوصاله ﷺ في الصيام واستغنائه عن الطعام والشراب، فأي شيء خارق للعادة لا يخرج عن هذه الأمور الثلاثة.

س٧: أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يتبرأ من دعوى هذه الأمور الثلاثة، فما السبب؟

ج٧: أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يتبرأ من دعوى هذه الأمور الثلاثة بقوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وذلك لأمرين:

أولهما: أن هذه الصفات الثلاث لا تصلح على وجه الكمال إلا لله ﷻ، فهو العليم مطلقاً، والقادر قدرة كاملة، والغني غنى كاملًا عما سواه.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: المناقب، ب: علامات النبوة في الإسلام، برقم: (٣٦٢٩).

(٢) أخرجه البخاري، ك: المناقب، ب: علامات النبوة في الإسلام، برقم: (٣٥٧٢)، ومسلم، ك: الفضائل، ب: في معجزات النبي ﷺ، برقم: (٢٢٧٩).

ثانيهما: أن المشركين تارة يسألون رسول الله ﷺ أن يخبرهم عن بعض الأمور الغيبية كسؤالهم عن ميعاد الساعة: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وتارة يطلبون منه التأثير في الأشياء: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ [الإسراء: ٩٠].

وتارة يحتجون عليه بالأكل والشرب وفعل ما اعتاد عليه البشر، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٧]، فأمر الله نبيه محمداً أن يخبرهم بأنه لا يستطيع عمل شيء من تلك الأشياء إلا إذا أقدره الله عليه، فلا يعلم إلا ما أعلمه الله، لا يقدر إلا على ما أقدره الله عليه، ولا يستغني إلا ما أغناه الله عنه.

س٨: قارن بين المعجزة والكرامة؟

ج٨: المعجزة والكرامة متفقان في أوجه، منها:

١- متفقان في أن كلا منهما أمر خارق للعادة أجراه الله تعالى على يد بعض عباده.

٢- وتختلفان في أوجه عدة، منها:

أ- أن المعجزة تكون للرسول وللنبي، والكرامة تكون للولي من غير الرسل والأنبياء.

ب - أن الكرامة تنال بالتقوى، والمعجزة تنال بالنبوة.

ج - أن الكرامة أخف قدراً من المعجزة.

د - أن المعجزة مأمونة العاقبة، فيؤمن على صاحبها من المعاصي بعد فعل الطاعات، بخلاف الكرامة، فإنها غير مأمونة العاقبة؛ لأنه قد تكون من باب الاستدراج كما في قصة بلعام بن باعوراء.

هـ - إن صاحب المعجزة يظهرها ويتحدى بها بخلاف صاحب الكرامة.

س٩: ما الحكمة من إجراء الكرامة على يد بعض العباد؟

ج٩: يجري الله ﷻ الكرامة على يد بعض العباد لحِكَم متعددة، منها:

١- الامتنان على الإنسان بتلبية حاجته، كما حصل لأم أيمن ﵂، فقد ورد أنها كانت مهاجرة من مكة إلى المدينة، وكانت صائمة، فأصابها من العطش شيء كثير، فدعت الله ﷻ، والتفتت إلى السماء، فإذا دلو معلق، شربت منه حتى ارتوت.

٢- حاجة الإنسان إلى ما يقوي إيمانه، فقد يجري الله ﷻ الكرامة على يد بعض الناس فيزداد يقيناً، ويتقوى عزمه على فعل الطاعات، واجتناب المعاصي.

٣- نصر المؤمنين وإحداث الرعب في قلوب أعدائهم، كما حصل لخالد بن الوليد ﵁

حينما شرب السم بعد أن قال: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء»، فلم يتأثر من ذلك السم، فهابه الأعداء، وهابوا جيشه، وحصل الصلح بين الطرفين.

٤- إنقاذ المسلمين من شَرَك وقعوا فيه، أو معصية ابتلوا بها، كما حصل لسارية، كان على جيش من جيوش المسلمين، فأحاط بهم الأعداء، فسمع صوت عمر بن الخطاب يجلجل: «يا ساريةُ الجبلَ»، أي: الزم الجبل! فاعتصموا به، وكان في ذلك عصمة للمسلمين من ذلك الشَرَك الذي أحاط بهم.

٥- الاستدراج أو الابتلاء والاختبار، كما حصل لبلعام بن باعوراء، وقد كان ببني إسرائيل، وكان رجلًا صالحاً مستجاب الدعوة، أكرمه الله بها، فطلب منه قومه أن يدعو على موسى وقومه، فأبى ذلك أول الأمر، ثم وافقهم بعد ذلك، فكان كلما دعا عليهم بدعوة أصابت قومه، ثم اندلع لسانه على صدره، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦].

س١٠: هل يدل إجراء الكرامة على يد شيخ على كرامته عند الله تعالى؟

ج١٠: إجراء الله تعالى الكرامة على يد عبد من عباده أو إنعامه عليه بصحة أو غنى أو ما أشبه ذلك، وكذلك ابتلاؤه سبحانه للإنسان بالضراء، لا يدل الأول على الكرامة، ولا يدل الثاني على هوانه عند الله، ودليل ذلك قوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥ - ١٦] الآية، فقد نفت الآية أن يكون الإنعام دليلًا على كرامته، كما نفت أن يكون تضييق الرزق دليلًا على هوان الإنسان عند الله، فإن الإنسان إذا أطاع الله وشكره على نعمه فهو يثاب على ذلك، أما إن عصاه مع إنعامه عليه، وترك شكره فإن ذلك يكون مضرة عليه.

ولهذا كان أصحاب خوارق العادات ثلاثة أقسام:

١- قسم ترتفع درجته بسبب تلك الخوارق؛ لما يكون من طاعة الله وشكره على نعمه.

٢- قسم تنخفض درجته بسبب عدم شكره لله سبحانه على تلك النعم، واستعماله تلك الخوارق في معصية الخالق.

٣- وقسم لا تنخفض درجته ولا ترتفع، ويكون ذلك إنعاماً عليه كسائر المباحات.

س١١: ما الفرق بين براهين الأنبياء، وكرامات الأولياء، والأحوال الشيطانية؟

ج١١: ١- الأمر الخارق للعادة إذا أضيف لنبي فهو آية وبرهان ومعجزة.

وإذا أضيف لولي فهو كرامة، وإذا أضيف لشيطان أو عاص فهو حال شيطانية.

٢- أن خرق العادة للولي لا يكون مصحوباً بدعوى النبوة، فإذا ادعى مع تلك الحال النبوة صار حالًا شيطانية.

٣- خرق العادة للنبي أوسع بكثير وأعظم مما تخرق به العادة للولي، فالأنبياء يخرق الله جل وعلا لهم عادة الجن والإنس في زمانهم، حتى يكون ما يعطونه من آية وبرهان، فآيات الأنبياء لا تستطيعها الجن والإنس مطلقاً، وأما مخاريق السحرة والشياطين فهذه محدودة، وقد تكون تخييلًا أو تشكلًا.

٤- كرامة الولي لا تبلغ جنس آية النبي، وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة.

س١٢: ما شبهة منكري الكرامات؟ وكيف ترد عليهم؟

ج١٢: أنكر المعتزلة كرامات الأولياء، وشبهتهم في ذلك أنهم قالوا: لو سلمنا بوجود الكرامات، وهي مشبهة للمعجزات في أن كلا منهما خارق للعادة؛ لأدى ذلك إلى التباس النبي بالولي، ولذلك قالوا: إن الأمر الخارق للعادة لا يكون إلا للأنبياء.

الرد عليها:

هذه شبهة باطلة، ولا يسلم لهم ما ذكروه من أن القول بإثبات الكرامات يترتب عليه التباس النبي بالولي؛ وذلك لأن الولي لا يدعي النبوة مهما كانت كراماته، والالتباس إنما يكون فيما لو سلمنا بأن الولي يدعي النبوة، أما من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ، وكان معه أمر خارق فإن كذبه سيظهر لكل من تتبع أحواله، فلا بد أن يظهر عليه من الكذب والدجل واستحواذ الشياطين عليه ما يدل على كذبه.

س١٣: اذكر أدلة ثبوت الكرامات؟

ج١٣: أدلة ثبوت الكرامات كثيرة من الكتاب والسنة والآثار:

١- من الكتاب:

آيات عدة، منها:

أ- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

ب- ما ورد في قصة أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾، وكان في زمانهم

ملك ظالم، فهربوا منه، فأنامهم الله ٣٠٩ سنين، ثم أيقظهم بعد نومهم الطويل، وفيهم نزل قوله: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ﴾ [الكهف: ١٣]، إلى أن قال: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ [الكهف: ٢٥].

ج - ما ورد في قصة مريم حينما ذهبت إلى محراب بمعزل عن الإنس فكان يأتيها رزقها من غير أن يقدمه لها أي إنسان، ونزل قوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

٢- أما من السنة فأحاديث كثيرة، منها:

أ - قوله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥]»(١).

ب - وقوله ﷺ في الحديث القدسي: «من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به...»(٢).

ج - خبر الثلاثة الذين كانوا في سفر فأدركهم المبيت بالقرب من غار، فدخلوا، فتدحرجت الصخرة، فسدت عليهم الغار، فدعوا الله ﷻ بصالح أعمالهم، فارتفعت عنهم الصخرة(٣) من غير وجود أي سبب عادي.

٣- وأما من الآثار فكثيرة، منها:

أ - ما ورد أن عمر بن الخطاب ﵁: «قام يخطب الناس، وفي أثناء الخطبة قال: يا سارية الجبل، يا سارية، ثم أتم خطبته، فظن بعضهم أن عمر قد أصابه شيء، وكان عمر قد أرسل جيشاً تحت قيادة سارية بن زنبي، فأحاط بهم الأعداء، وكادوا يوقعون بهم، فكان لإكرام الله ﷻ له أنه رأى جيش المسلمين، والموقع الذي فيه مع بعد المسافة، فقال تلك

---

(١) أخرجه الترمذي، أبواب التفسير، ب: ومن سورة الحجر، برقم: (٣١٢٦)، والبخاري في التاريخ الكبير (٤/ ١/ ٣٥٤)، الطبراني في المعجم الأوسط برقم: (٧٨٤٣)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٨١)، والخطيب البغدادي في تاريخه (٧/ ٢٤٢)، وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم: (١٢٧)، وفي السلسلة الضعيفة برقم: (١٨٢١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري، ك: أحاديث الأنبياء، ب: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ﴾ [الكهف: ٩]، برقم: (٣٤٦٥)، ومسلم، ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب: قصة أصحاب الغار الثلاثة...، برقم: (٢٧٤٣).

الكلمات، التي سمعها سارية تجلجل في السماء بالجبل، وكان قرب أول الجيش وبذلك أنقذهم الله من عدوهم».

ب - ماورد عن اثنين من أصحاب رسول الله ﷺ، وكانا عنده ساعة من الليل، فخرجا من عنده، وكانت تلك الليلة مظلمة، فأضاءت عصا أحدهما لهما، فلما افترقا أضاءت عصا كل واحد منهما لصاحبها.

س١٤: يتنوع الكشف والتأثير باعتبار تنوع كلمات الله تعالى، بيِّن ذلك؟

ج١٤: كلمات الله تعالى على نوعين:

أولهما: كلمات كونية قدرية، والكون كله داخل تحت هذه الكلمات، وهي التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**»(١).

وإليه يشير قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

ثانيهما: كلمات دينية شرعية، وهي القرآن، وشرع الله ﷻ الذي أنزله على رسوله ﷺ، وهو أمره ونهيه وخبره، وحظ العبد منها: العلم بها والعمل بها، والأمر بما أمر الله به.

وأما الكشف الأول: فهو العلم بالكونيات وتدبرها.

وأما الكشف الثاني: فهو العلم بالمأمورات الشرعية، وتأثيرها بالأمور الشرعية، إما في نفس الإنسان متدبراً لها فيتمثلها، أو يعظ بها غيره فيمتثل ذلك الأمر.

س١٥: ما هي أنواع الفراسة؟

ج١٥: الفراسة في اللغة: مصدر فرس الرجل فلاناً بعينه، إذا دقق النظر لإدراك شيء من أموره الباطنة عن طريق النظر لظواهره، وهي على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: فراسة إيمانية، وسببها نور يقذفه الله ﷻ في قلب عبده المؤمن يعرف به الحق من الباطل، والصدق من الكذب.

وحقيقتها خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضله ويعارضه، والإيمان سبب لوجود هذه الفراسة، فهي تقوى بقوته، وتضعف مع ضعفه، وهذه خاصة بالمؤمنين.

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم: (٢٧٠٨).

النوع الثاني: فراسة رياضية، وتكون بالجوع والسهر والتخلي؛ وذلك لأن النفس إذا تجردت من بعض العوائق تكشفت لها بعض الأمور، وهذه الفراسة: مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدل على إيمانه ولا ولايته.

النوع الثالث: فراسة خلقية، وهي كاستدلالهم بصغر الرأس المعتاد على صغر العقل، وبكبره على كبر العقل، وبضيق الصدر على ضيق الخلق، وعلى سعته بسعة الخلق، وباستدلالهم بشدة بياض العين على الشجاعة، وبجمود العينين وكلال نظرهما على بلادة صاحبهما، ونحو ذلك.

س١٦: مالفرق بين الكرامة والفراسة؟

ج١٦: بينهما عموم وخصوص من وجه: فقد تكون الكرامة فراسة، وقد لا تكون، والفراسة قد تكون كرامة وقد لا تكون.

س١٧: هل عدم حصول الكرامة للمسلم يضرُّ به أم لا؟

ج١٧: عدم الخوارق علماً وقدرة لا يضر المسلم في دينه، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات، ولم يسخر له شيء من الكونيات، لا ينتقص ذلك في مرتبته عند الله، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له، فالخوارق النافعة تابعة للدين، خادمة له، كما أن الرئاسة النافعة هي التابعة للدين.

وكذلك المال النافع، كما كان السلطان والمال النافع بيد النبي ﷺ، وأبي بكر، وعمر، فمن جعلها هي المقصودة، وجعل الدين تابعاً لها ووسيلة إليها، لا لأجل الدين فهو شبيه بمن يأكل الدنيا بالدين، وليست حاله كحال من تديَّن خوفَ العذاب أو رجاءَ الجنة، فإن ذلك مأمور به، وهو على سبيل نجاة وشريعة صحيحة.

الإيمان بأشراط الساعة

قال الطحاوي: «ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[النص على العلامات الكبرى:]

وعن حذيفة بن أَسِيد قال: «اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال:

ما تذاكرون؟ قالوا: نذاكر الساعة، فقال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»، رواه مسلم(١).

وروى البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيرا من الدنيا وما فيها»(٢).

ثم يقول أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

[تكاثر الأحاديث في شأن العلامات الكبرى:]

هذا، وأحاديث الدجال، وبيان أن عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل من السماء ويقتله، وأنَّ يأجوج ومأجوج سيخرجون في أيامه بعد قتله الدجال، فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم؛ يضيق هذا المختصر عن بسطها.

[من النصوص الدالة على العلامات الكبرى:]

وأما خروج الدابة، وطلوع الشمس من المغرب فقال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٨٢]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وروى البخاري عند تفسير الآية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمنوا عليها، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل»(٣).

---

(١) صحيح مسلم، ك: الفتن، ب: في الآيات التي تكون قبل الساعة، برقم: (٢٩٠١).

(٢) صحيح البخاري، ك: المظالم، ب: كسر الصليب وقتل الخنزير، برقم: (٢٤٧٦)، صحيح مسلم، ك: الإيمان، ب: نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ، برقم: (١٥٥).

(٣) صحيح البخاري، ك: التفسير، ب: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، برقم: (٤٦٣٥)، صحيح مسلم، ك: الإيمان، ب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، برقم: (١٥٧).

هذا، وقد أفرد الناسُ في أحاديث أشراط الساعة مصنفات مشهورة يضيق على بسطها هذا المختصر(١).

الأسئلة والأجوبة على الإيمان بأشراط الساعة

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها» لمسائل عديدة يمكن إجمالها فيما يلي:

١- النص على العلامات الكبرى.

٢- تكاثر الأحاديث في شأن العلامات الكبرى.

٣- من النصوص الدالة على العلامات الكبرى.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها»؟

ج٢: يؤمن أهل السنة والجماعة بأن للساعةِ علاماتٍ تظهر فتدل على قرب قيام الساعة، وهذه العلامات قد ذكرها النبي ﷺ في حديثه حيث قال في حق الساعة: «**إنها لن تقوم حتى تروا عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم...**» الحديث(٢)، وهذه هي العلامات الكبرى للساعة، وهناك علامات صغرى غيرها.

س٣: ما معنى أشراط الساعة؟

ج٣: الأشراط في اللغة: جمع شرط، والشرط هو العلامة التي تفرق الشيء وتميزه عن غيره.

---

(١) وقد وضع الحافظ ابن كثير كتاباً في أشراط الساعة سماه: النهاية، وهو من أجمع الكتب في هذا الموضوع.

(٢) تقدم تخريجه.

وأشراط الساعة هي: الآيات والعلامات التي تدل على قرب قيام الساعة.

س٤: اذكر أقسام أشراط الساعة؟

ج٤: قسم أهل العلم أشراط الساعة إلى قسمين:

١- أشراط الساعة الكبرى.

وهي الدالة على دنو الساعة، وقربها، وسميت كبرى لأنها آيات عظيمة، وهي الآيات المذكورة في قول النبي ﷺ: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»(١).

٢- أشراط الساعة الصغرى:

وهي ما دل الدليل على أنه من علامات قرب الساعة، وليس من الآيات العشر التي جاءت في الحديث المذكور أعلاه.

ومن أهل العلم من قسم الأشراط إلى صغرى، ووسطى، وكبرى، ولكن ليس ثمة ما يدل على وجود الوسطى(٢).

س٥: ما وجه إدخال أشراط الساعة في العقيدة؟

ج٥: وجه إدخال أشراط الساعة في العقيدة:

١- أنها غيب، والإيمان بالغيب من أصول الاعتقاد.

٢- ولأن من أركان الإيمان باليوم الآخر الإيمان بأشراط الساعة، وهي المقدمات لليوم الآخر.

س٦: ما هي أول الآيات بالنسبة للساعة الكبرى خروجاً؟

ج٦: ذكر ابن حجر أن الذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل إخراج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب(٣).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: المسار (ص٢٢٣).

(٣) انظر: فتح الباري (١١/ ٣٥٣).

س٧: ما هي أشراط الساعة الكبرى؟

ج٧: هي التي وردت مجموعة في حديث حذيفة بن أسيد، قال: «اطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الساعة، فقال: **إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**».

س٨: اذكر بعضاً من علامات الساعة الصغرى؟

ج٨: علامات الساعة الصغرى كثيرة جداً، وقد وقع أكثرها، ومنها ما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال، فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه، لا أرب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه...**»(١).

وفي الحديث الآخر: «**إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا، ويشرب الخمر، ويكثر النساء، ويقل الرجال، وحتى ليكون لخمسين امرأة قيم واحد**»(٢).

س٩: قسم أهل العلم علامات الساعة إلى ثلاثة أقسام، اذكرها؟

ج٩: قسم أهل العلم علامات الساعة وأماراتها إلى ثلاثة أقسام:

١- القسم الأول: الأمارات التي ظهرت وانقضت، ومنها بعثة النبي ﷺ، وموته ﷺ، ومنها مقتل عثمان رضي الله عنه، ومنها فتح بيت المقدس، ووقعة الجمل وصفين، وظهور النار في الحجاز.

٢- القسم الثاني: الأمارات المتوسطة من العلامات الصغرى، وهي علامات كثيرة،

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الفتن، ب: لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور، برقم: (٧١١٥)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، برقم: (١٥٧).

(٢) أخرجه البخاري ك: الإيمان، ب: رفع العلم وظهور الجهل، برقم: (٨١)، ومسلم، ك: العلم، ب: رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، برقم: (٢٦٧١).

ومن تلك العلامات: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا**»(١).

ومن أشراط الساعة: أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد(٢).

وعن عبد الله بن مسعود وأبي موسى رضي الله عنهما، قالا: «قال رسول الله ﷺ: **إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر الهرج والمرج (القتل)**»(٣).

٣- القسم الثالث: العلامات الكبرى التي تعقبها الساعة، كخروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وكذا خسوف في المشرق والمغرب، وخسوف في جزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

س١٠: اذكر بعضاً من علامات الساعة الكبرى؟

ج١٠: جاء ذكر هذه العلامات في الحديث الذي رواه حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: «اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذاكر الساعة، فقال: **إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»(٤).

س١١: العلامات الكبرى متتابعة في وقوعها، ولا يكاد يفصل بينها فاصل زمني، اذكر الدليل على ذلك؟

ج١١: يقول النبي ﷺ: «**الأمارات خرزات منظومات في سلك، فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضاً**»(٥).

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه البخاري برقم: (٨١).
(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٦٥٦)، ومسلم برقم: (٢٩٤٩).
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٤٥)، من حديث أنس، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.
وأخرجه أحمد (٢/ ٢١٩)، والحاكم (٤/ ٤٧٣- ٤٧٤)، من حديث عبد الله بن عمرو، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (١٧٦٢)، وفي صحيح الجامع الصغير برقم: (٢٧٥٥).

حرمة تصديق مدعي علم الغيب

قال الطحاوي: «ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً، ولا من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[موقف الشرع من مدعي علم الغيب:]

روى مسلم، والإمام أحمد عن صفية بنت أبي عبيد، عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»(١).

[المنجم والعراف:]

والمنجم يدخل في اسم العراف عند بعض العلماء، وعند بعضهم هو في معناه، فإذا كانت هذه حال السائل فكيف المسؤول؟!

[ما جاء في الكهان:]

وفي الصحيحين ومسند الإمام أحمد عن عائشة قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الكهان، فقال: «ليسوا بشيء، فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً، فقال رسول الله ﷺ: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنيُّ فيقرها في أذن وليه، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»(٢).

[الواجب على ولاة الأمر تجاه مدعي علم الغيب:]

والواجب على وليِّ الأمر وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى، ومنعهم من الجلوس في الحوانيت والطرقات، أو أن يدخلوا على الناس في منازلهم لذلك.

ويكفي من يعلم تحريم ذلك، ولا يسعى في إزالته مع قدرته على ذلك قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]،

---

(١) صحيح مسلم، ك: السلام، ب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان، برقم: (٢٢٣٠)، ومسند أحمد (٥/ ٣٨٠).

(٢) صحيح البخاري، ك: الطب، ب: الكهانة، برقم: (٥٧٦٢)، صحيح مسلم، ك: السلام، ب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان، برقم: (٢٢٢٨)، مسند الإمام أحمد (٦/ ٨٧).

وهؤلاء الملاعين يقولون الإثم ويأكلون السحت بإجماع المسلمين.

[أنواع مدعي علم الغيب:]

وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة أنواع:

فنوع منهم: أهل تلبيس وكذب وخداع، فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس.

وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل، كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات، أو يطلب تغيير شيء من الشريعة، ونحو ذلك.

[خلط الكهانة بالسحر:]

ونوع يتكلم في هذه الأمور على سبيل الجد والحقيقة بأنواع السحر.

ونوع آخر منهم متلبس بالأحوال الشيطانية، والكشوف، ومخاطبته رجال الغيب، وأن لهم خوارق تقتضي أنهم أولياء الله.

والحق أن هؤلاء من أتباع الشياطين، وأن رجال الغيب هم الجن، ويسمون رجالا كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، وإلا فالإنس يؤنسون، أي: يشهدون، ويرون، وإنما يحتجب الإنسي أحيانا، لا يكون دائما محتجبا عن أبصار الإنس، ومن ظنهم أنهم من الإنس فمن غلطه وجهله.

[وجوب الأخذ بشريعة الرسول ﷺ وسنته:]

والمقصود بيان أن لا طريقة إلا طريقة الرسول ﷺ، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا عقيدة إلا عقيدته، ولا يصل أحد من الخلق بعده إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعته باطنا وظاهرا، ومن لم يكن له مصدقا فيما أخبر، ملتزما لطاعته فيما أمر في الأمور الباطنة التي في القلوب والأعمال الظاهرة التي على الأبدان لم يكن مؤمنا، فضلا عن أن يكون وليا لله تعالى، ولو طار في الهواء، ومشى على الماء، وأنفق من الغيب، وأخرج الذهب من الخشب، ولو حصل له من الخوارق ماذا عسى أن يحصل، فإنه لا يكون مع تركه الفعل المأمور وعزل المحظور إلا من أهل الأحوال الشيطانية المبعدة لصاحبها عن الله تعالى المقربة إلى سخطه وعذابه.

قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي: قلت للشافعي: إن صاحبنا الليث كان يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة، فقال

الشافعي: قصر الليث رحمه الله، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة.

الأسئلة والأجوبة على حرمة تصديق مدعي علم الغيب

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً، ولا من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً، ولا من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- موقف الشرع من مدعي علم الغيب. ٢- المنجم والعراف.

٣- ما جاء في الكهان.

٤- الواجب على ولاة الأمر تجاه مدعي علم الغيب.

٥- أنواع مدعي علم الغيب. ٦- خلط الكهانة بالسحر.

٧- وجوب الأخذ بشريعة الرسول ﷺ وسنته.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً»؟

ج٢: لا نصدق كاهناً ولا عرافاً، وهم الذين يدعون علم الغيب، والإخبار بالمغيبات؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، والنبي ﷺ يقول: «**من أتى عرافاً أو كاهناً، فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»[١]، وهكذا كل من ادعى شيئاً يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة، فإننا نرده عليه ولا نقبله، كائناً من كان.

س٣: ما سبب إيراد المصنف التصديق بالكاهن في مسائل العقيدة؟

ج٣: من أصول أهل السنة والجماعة أن المختص بعلم الغيب هو الله، فلا يعلم أحد الغيب إلا هو؛ لذا فإن أهل السنة لا يصدقون من يدعي شيئاً من علم الغيب.

---

(١) أخرجه أبو داود، ك: الطب، ب: في الكاهن، برقم: (٣٩٠٤)، والترمذي، ك: الطهارة، ب: ما جاء في كراهية إتيان الحائض، برقم: (١٣٥)، وابن ماجه، ك: الطهارة وسننها، ب: النهي عن إتيان الحائض، برقم: (٦٣٩)، والدارمي برقم: (١١٣٦)، والإمام أحمد (٢/ ٤٢٩)، والحاكم (١/ ٨)، وصححه الألباني في الإرواء (٧/ ٦٨)، وفي صحيح الجامع الصغير برقم: (٥٩٣٩).

س٤: ما المراد بالكاهن والعراف؟

ج٤: الكاهن: من يخبر بالمغيبات مستعينا بالشياطين.

والعراف: الذي يخبر عما خفي وغاب عن الناس مستعيناً بالشياطين.

س٥: ما حكم إتيان الكهان والعرافين؟

ج٥: دلت الأدلة من السنة على أن تصديق الكاهن أو العراف كفر، وأن إتيان الكهنة والعرافين فيه إثم كبير، يقول النبي ﷺ: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**».

ويقول النبي ﷺ: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**»(١).

س٦: ما حكم الاستعانة بالجن؟

ج٦: الاستعانة بالجن حرام، سواء كانوا مسلمين أم كفرة؛ وذلك لما يأتي:

١- أن استمتاع الإنسي بالجني محرم في نصوص الكتاب والسنة، ولم يرد دليل على الاستثناء.

٢- أن النبي ﷺ وأصحابه - والجن، قد أسلم منهم من أسلم - لم يستعينوا بالجن.

٣- أن فتح باب الاستعانة بالجن فتح لباب الشرك بالله تعالى، فيجب سده سداً للذرائع.

س٧: ما حكم إتيان الكهنة والعرافين؟ وما الدليل على أنهم ليسوا بشيء؟ وما حكم أجر الكاهن؟

ج٧: إتيان الكهنة والعرافين محرم أشد التحريم، قال ﷺ: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما**»، وتصديقهم في خبرهم كفر أكبر؛ لقوله ﷺ: «**من أتى عرافاً أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»، فهذا حال من يأتي العراف أو الكاهن، فكيف بحال العراف والكاهن أصلا!!

والدليل على أنهم ليسوا بشيء أن النبي ﷺ سئل عن الكهانة، فقال: «**ليسوا بشيء، فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثون أحياناً بالشيء فيكون حقاً؟ فقال: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني، فيقرها في أذن وليه، فيخلطون معها أكثر من مئة كذبة**».

وأما أجر الكاهن فهو خبيث، وقد قال ﷺ: «**ثمن الكلب خبيث، ومهر البغي خبيث،**

---

(١) تقدم تخريجه.

وحلوان الكاهن خبيث»[١].

س٨: ما حكم ادعاء تأثير النجوم في الحوادث الأرضية واعتقاده؟

ج٨: ادعاء أن للنجوم أثراً في الأحداث الأرضية هو اعتقاد باطل محرم شركي، وفي الحديث الصحيح أن الله تعالى قال: «ومن قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي، مؤمن بالكوكب».

س٩: ما حكم الإسلام فيمن يتعاطى السحر؟ ومن يستعين بغير الله؟

ج٩: تعاطي السحر كفر؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وأما الاستعانة والاستعاذة بغير الله، فإن كانت بالجن فهي باطلة محرمة؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وإن كانت بإنسي، فإن كان المستعان به والمستعاذ به حياً حاضراً (موجوداً) قادراً على الإعانة والإعاذة، مع علم المستيعن والمستعيذ أن كل شيء بيد الله فهي جائزة، وإن كانت بميت أو غائب أو حي حاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو كانت باعتقاد نفع المخلوق على وجه الاستقلال عن مشيئة الله فهي شرك أكبر.

لزوم الجماعة وعدم الفرقة

قال الطحاوي: «ونرى الجماعة حقّاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[الأمر بلزوم الجماعة:]

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ

(١) أخرجه مسلم، ك: المساقاة، ب:تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن ومهر البغي...، برقم: (١٥٦٨).

﴿يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[هود: ١١٨ - ١١٩]، فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف.

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦].

[ظهور الحق برد النزاع إلى الله والرسول:]

والأمور التي تتنازع فيها الأمة في الأصول والفروع إذا لم تردَّ إلى الله تعالى والرسول ﷺ؛ لم يتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من أمرهم، فإن رحمهم الله أقر بعضهم بعضا، ولم يبغ بعضهم على بعض، كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد، فيقر بعضهم بعضاً، ولا يَعْتَدي ولا يُعْتَدى عليه، وإن لم يُرْحموا وقعَ بينهم الاختلافُ المذموم، فبغى بعضهم على بعض، إما بالقول مثل تكفيره وتفسيقه، وإما بالفعل مثل حبسه وضربه وقتله.

[أقسام الناس عند خفاء الشريعة:]

فالناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول: إما عادلون، وإما ظالمون:

فالعادل فيهم: الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء، ولا يظلم غيره.

والظالم: الذي يعتدي على غيره.

وأكثرهم إنما يظلمون مع علمهم بأنهم يظلمون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾[آل عمران: ١٩].

[أنواع الاختلاف:]

ثم إن أنواع الافتراق[١] والاختلاف في الأصل قسمان: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد.

[أقسام اختلاف التنوع:]

واختلاف التنوع على وجوه:

منه: ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقا مشروعا، وإن كان بعض أنواعه أرجح أو أفضل.

ثم تجد لكثير من الأمة في ذلك الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٢٨).

الإقامة وإيتارها ونحو ذلك، وهذا عين المحرم.

ومنه: ما يكون كل من القولين هو في المعنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود، وصيغ الأدلة، والتعبير عن المسميات، ونحو ذلك.

ثم الجهل أو الظلم يحمل على حمد إحدى المقالتين وذم الأخرى، والاعتداء على قائلها ونحو ذلك.

[اختلاف التضاد:]

وأما اختلاف التضاد فهو القولان المتنافيان، إما في الأصول، وإما في الفروع، والخطب في هذا أشد؛ لأن القولين يتنافيان.

[في اختلاف التنوع يذم الباغي فقط:]

والاختلاف الأول الذي هو اختلاف التنوع الذم فيه واقع على من بغى على الآخر فيه.

[الاختلاف المذموم:]

هذا، وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة من القسم الأول، وكذلك يؤول إلى سفك الدماء، واستباحة الأموال، والعداوة والبغضاء؛ لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق، ولا تنصفها، بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل، والأخرى كذلك، ولذلك جعل الله مصدره البغي في قوله: ﴿**وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ**﴾ [البقرة: ٢١٣]؛ لأن البغي مجاوزة الحد وذكر هذا في غير موضع من القرآن ليكون عبرة لهذه الأمة.

وقريب من هذا الباب ما خرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»(١).

فأمرهم بالإمساك عما لم يؤمروا به، معللا بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال، ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الاعتصام بالكتاب والسنة، ب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، برقم: (٧٢٨٨)، ومسلم، ك: الحج، ب: فرض الحج مرة في العمر، برقم: (١٣٣٧).

الأسئلة والأجوبة على لزوم الجماعة وترك الفرقة

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونرى الجماعة حقّاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ونرى الجماعة حقّاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً» لمسائل عديدة أجملها فيما يلي:

١- الأمر بلزوم الجماعة. ٢- ظهور الحق برد النزاع إلى الله والرسول.

٣- أقسام الناس عند خفاء الشريعة. ٤- أنواع الاختلاف.

٥- أقسام اختلاف التنوع. ٦- اختلاف التضاد.

٧- في اختلاف التنوع يذم الباغي فقط. ٨- الاختلاف المذموم.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ونرى الجماعة حقّاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً»؟

ج٢: نرى أن الجماعة هي الحق والصواب، والطريق المستقيم، وهي الفرقة الناجية، وهي ما كان عليه رسول الله ﷺ، وما عداه من فرق الضلال فزيغ وضلال وميل عن الحق، وعذاب في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ودين الله واحد وهو الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فهو الدين الحق الذي بعث الله به جميع رسله، وهو أن لا يعبد إلا الله تعالى، وأن يعبد بما شرع، فما من رسول إلا وقد أرسل بالإسلام، قال أبناء يعقوب عليه السلام له: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وقال موسى: ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وقالت بلقيس: ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، وقال أصحاب عيسى: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

س٣: ما سبب إيراد الجماعة والفرقة في العقيدة؟

ج٣: ١- أن أعظم ما حصل به الزيغ والضلال والضعف في الأمة كان من جراء ترك الجماعة.

٢- أن الفرق الضالة رأت الفرقة خيراً وطلبتها، ورأت الجماعة ضعفاً فنبذتها.

س٤: ما المراد بالجماعة؟

ج٤: يراد بالجماعة أمران:

١- الجماعة في الدين: وهي الأساس، فإن الله جل وعلا أرسل الرسل لأجل أن يجتمع الناس في دينهم، وهو التوحيد.

٢- الجماعة في الأبدان: وهي تحصل بملازمة طاعة ولاة الأمر في غير معصية الله، وهذا النوع وسيلة إلى تحقيق النوع الأول، وهو الجماعة في الدين.

س٥: من عقيدة أهل السنة والجماعة: الجهاد والحج ماضيان مع ولاة الأمر براً كان أم فاجراً، وضِّح ذلك؟

ج٥: من مذهب أهل السنة والجماعة أن الجهاد والحج وصلاة الجمعة والعيدين تقام مع ولي الأمر براً كان أم فاجراً، مقسطاً كان أم جائراً، عادلًا كان أم ظالماً، وذلك لأمور:

١- أن هاتين العبادتين لا تقومان إلا بالاجتماع، فهي عبادات جماعية.

٢- أنهما يحتاجان إلى أمير يسير الناس ويسوسهم.

٣- أنهما تقامان بالإمام الفاجر كما تقامان بالإمام البر.

٤- أنهما من التعاون على البر والتقوى.

٥- أنهما من المعروف الذي حصر النبي ﷺ الطاعة فيه[١].

والمعروف: هو ما عرف بالشرع حسنه، وأعلى ذلك الطاعات التي يتقرب بها إلى الله، وفي مقدمتها أركان الإسلام الخمسة، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦- أن في ذلك - إن كان الولاة ظلمة - إعانة لهم على الخير، وترغيباً[٢] فيه قولاً وعملًا، يقول النبي ﷺ: «أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم»[٣].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «والغزو ماضٍ مع الأمراء إلى يوم القيامة، البر والفاجر، ولا يترك»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، برقم: (١٨٤٠).

(٢) انظر: الانتصار (ص٢٨١).

(٣) أخرجه البخاري، ك: الفتن، ب: قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها»، برقم: (٧٠٥٢)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، برقم: (١٨٤٣).

(٤) أخرجه اللالكائي (٣١٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصالحهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي ﷺ: **إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**»[١].

فأوجب تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر، تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد، والعدل، وإقامة الحج، والجمع، والأعياد، ونصر المظلوم، وإقامة الحدود، ولا تتم إلا بالقوة والإمارة[٢].

س٦: من هم المخالفون لأهل السنة والجماعة في مسألة الجهاد والحج مع ولاة الأمر؟

ج٦: خالفهم طائفتان:

١- الرافضة: قالوا: لا يطاع إلا الإمام المعصوم، ولا يحج ولا يجاهد إلا معه، وهذا الإمام المعصوم الذي هو في الحقيقة معدوم، هو المدعو محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر من أئمتهم دخل السرداب في سامراء سنة ستين ومئتين (٢٦٠ هـ)، وما زال حيا إلى الآن، وينتظرون خروجه، مع أن الحسن العسكري (٢٥٤ هـ) الإمام الحادي عشر عندهم لم يعقب.

٢- الخوارج: قالوا: لا طاعة للأمير إلا إذا كان براً صالحاً لا معصية عنده. وإلا فلا يحج معه ولا يجاهد، بل ينصبون لأنفسهم أميراً يحجون معه ويجاهدون، وتاريخهم شاهد على هذا الاعتقاد القاصد[٣].

س٧: من منهج أهل السنة والجماعة وجوب طاعة ولي الأمر في غير معصية الله تعالى، وضِّح ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة؟

ج٧: دل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على وجوب طاعة الإمام وإن جار

---

(١) أخرجه أبو داود، ك: الجهاد، ب: في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، برقم: (٢٦٠٨)، وابن حبان برقم: (٢١٣٢)، وأبو يعلى برقم: (١٠٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٨٩)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٥٠٠)، وفي السلسلة الصحيحة برقم: (١٣٢٢).

(٢) انظر: السياسة الشرعية (ص ١٣٦-١٣٧).

(٣) انظر: الانتصار (ص٢٤٣).

في حدود طاعة الله تعالى ما لم يأمر بمعصية، كما تجب الصلاة خلفه، والحج، والجهاد، ويطاع في مواضع الاجتهاد، كما تجب النصيحة لهم بالطرق المشروعة، وترك منازعتهم، وعدم الخروج عليهم.

يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩].

وقوله ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»(١).

س٨: كيف تكون النصيحة لولي الأمر؟ وضِّح ذلك بالدليل؟

ج٨: السنة أن تبذل النصيحة للإمام سراً بعيداً عن الإثارة والتهويل، يدل على ذلك ما رواه ابن أبي عاصم وغيره عن عياض بن غُنْم رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبدها علانية، وليأخذ بيده، فإن سمع منه فذاك، وإلا كان أدى الذي عليه**»(٢).

س٩: دلت النصوص الواردة في وجوب طاعة ولي الأمر على فوائد عديدة، اذكر خمساً منها؟

ج٩: ١- أن السمع والطاعة واجبة في كل الأحوال في غير معصية الله تعالى.

٢- عدم الخروج على ولاة الأمر إذا لم يقبلوا النصيحة.

٣- أن من نصح لولاة الأمر، وأنكر عليهم بالطريقة المشروعة، فقد برئت الذمة.

٤- النهي عن إثارة الفتن، وأسباب إثارتها من التهييج وتحميس العامة على الخروج، وقيام غير العلماء بالنصح والتوجيه، وتهويل الأمور، والمبالغة في وصف ما قد يوجد من مخالفات، وكلام العامة فيما لا يعنيهم، وإسناد الأمر إلى غير أهله، ودخول الجهال في ميدان الدعوة بغير علم، ونحو ذلك مما يسبب الفوضى في المجتمع المسلم.

٥- عدم الخروج على الولاة ما لم يظهر منهم الكفر البواح.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الأحكام، ب: قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩]، برقم: (٧١٣٧)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم: (١٨٣٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٠٣)، وابن أبي عاصم في السنة برقم: (١٠٩٦)، والطبراني في مسند الشاميين برقم: (٩٧٧)، وصححه الألباني في ظلال الجنة برقم: (١٠٩٦).

س١٠: أمر الله ﷻ باجتماع الكلمة، وحذر من الاختلاف، بيِّن ذلك مع الأدلة من الكتاب والسنة؟

ج١٠: أمر الله الأمة بالاجتماع واتحاد الكلمة وجمع الصف على أن يكون أساس هذا الاجتماع: الاعتصام بالكتاب والسنة، ونهى عن التفرق وبين خطورته على الأمة في الدارين.

فالطريق الصحيح إلى النجاة هو: التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فإنها حصن حصين وحرز متين لمن وفقه الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

س١١: تحدث عن خطورة التفرق مع ذكر الدليل؟

ج١١: ذم الله التفرق ونهى عن الطرق والأسباب المؤدية إليه، تلك الطرق التي جعلت المسلمين شيعاً وأحزاباً، وشتت شملهم، وجعلتهم لقمة سائغة لأعدائهم، لا لقلة عددهم وعدتهم، وإنما نتيجة لتمزق شملهم وتفرق كلمتهم كما قال رسول الله ﷺ: «توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها، قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم كثيرون، ولكنكم غثاء كغثاء السيل»[1].

س١٢: دل القرآن والسنة على النهي عن التفرق، اذكر دليلين في ذلك؟

ج١٢: لقد جاءت النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة تحذر من التفرق والاختلاف، وتبين سوء عاقبة ذلك من التفرق والاختلاف في الدنيا، والعذاب والخزي وسواد الوجوه في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

س١٣: الاختلاف سبب هلاك الأمم السابقة، تكلم عن ذلك موضحاً إياه بالدليل؟

ج١٣: إذا تأملنا القرآن والسنة وجدنا أن سبب هلاك الأمم السابقة هو التفرق وكثرة الاختلاف، ولا سيما الاختلاف في الكتاب.

قال حذيفة رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه: «أدرك هذه الأمة لا تختلف في الكتاب كما اختلفت

---

(١) أخرجه أبو داود، ك: الملاحم، ب: في تداعي الأمم على الإسلام، برقم: (٤٢٩٧)، والإمام أحمد (٥/ ٢٧٨)، والطبراني في مسند الشاميين برقم: (٦٠٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٨٢)، والبيهقي (٧/ ٢٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٨١٨٣)، وفي السلسلة الصحيحة برقم: (٩٥٨).

فيه الأمم قبلهم»، لما رأى أهل الشام وأهل العراق يختلفون في حروف القرآن الاختلاف الذي نهى عنه رسول الله ﷺ، فأفاد ذلك شيئين:

أحدهما: تحريم الاختلاف في مثل هذا.

والثاني: الاعتبار بمن كان قبلنا، والحذر من مشابهتهم.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦].

س١٤: يدعي بعض الناس أن الاختلاف رحمة، ما رأيك في هذا القول؟ مع ذكر الدليل؟

ج١٤: اعتمد هؤلاء على حديث موضوع: «اختلاف أمتي رحمة»، وهذا القول مردود بالكتاب والسنة والعقل.

فإن القرآن قد دل على أن الاختلاف لا يتفق مع الرحمة، بل هو ضدها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩].

بل لا يتصور عاقل أن يكون الاختلاف رحمة لما ينتج عنه من المفاسد الخطيرة من التباغض والتهاجر، بل ربما القتال والحروب.

وإنا نشبه من يرى الاختلاف رحمة بقول القائل:

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً　　وحسب المنايا أن يكن أمانيا

س١٥: ما طريقة السلامة من الاختلاف؟ بيِّن ذلك بالدليل؟

ج١٥: طريقة السلامة من الاختلاف هو: اتباع منهج أهل السنة والجماعة قولًا وعملًا واعتقاداً، وعدم مخالفتهم أو الشذوذ عنهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

س١٦: ما المراد بالفرقة؟

ج١٦: المراد بالفرقة أمران:

١- فرقة في الدين: وهي على مراتب، أعظمها مخالفة أصل الدين.

٢- الفرقة في الأبدان.

س١٧: ما مراتب الافتراق في الدين؟

ج١٧: مراتب الافتراق في الدين:

١- الافتراق في أصول الدين، كعبادة غير الله، ودعاء الأموات والاستغاثة بهم، وهو شرك.

٢- الافتراق البدعي: مثل بدع المرجئة، والقدرية وغيرهم.

٣- الافتراق في المسائل العلمية الفقهية: كأحكام البيوع.

وإذا اختلف العلماء في بعض المسائل الفقهية فالواجب ألا يكون معه افتراق أبدان ولا افتراق قلوب.

س١٨: ما معنى قول الشيخ: «ونرى الجماعة حقا وصواباً»؟

ج١٨: معناه: أننا نعتقد أن لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، وعدم الخروج عليهم، وعدم الافتراق في الدين حق وصواب من العمل؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وغير ذلك من الأدلة الواردة في هذا الباب.

س١٩: ما نتيجة عدم رد النزاع إلى الله ورسوله ﷺ؟

ج١٩: إذا أعرض الناس عن رد النزاع إلى الله ورسوله ﷺ وقع بينهم الاختلاف المذموم، والبغي، والتكفير، والتفسيق، والتبديع، ثم قد يصير الأمر إلى الاقتتال وغيره.

س٢٠: ما المقصود باختلاف التنوع الذي لا يوجب الشحناء والبغضاء؟

ج٢٠: اختلاف التنوع هو ما يكون فيه كل من القولين أو الفعلين حقاً، كاختلاف القراءات، ومنه تختلف أنواعه، كاختلاف صفة الأذان، ودعاء الاستفتاح، وصيغة التشهد، وغيره، ومنه ما يكون كل من القولين في معنى الآخر، ونحو ذلك.

س٢١: هل وجود اختلاف التضاد يمنع من إنصاف المخالف؟ وهل يمدح المختلفان أم أحدهما؟

ج٢١: اختلاف التضاد حين يحدث التنافي بين الأقوال في الأصول والفروع، فيكون أحد الأقوال صواباً وما عداه خطأ، وهذا لا ينبغي أن يمنع من إنصاف المخالف على قدر ما عنده من الحق، ولا يُمدح في هذا الخلاف إلا المصيب فقط.

س٢٢: تكلم عن خطورة التكفير في ضوء الكتاب والسنة؟

ج٢٢: لقد ورد النهي الشديد في الكتاب والسنة عن تكفير المسلم بدون دليل من الكتاب والسنة، إذ التكفير حكم لله ولرسوله، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [النساء: ٩٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

س٢٣: اذكر الأدلة التي تنهى عن تكفير المسلمين؟

ج٢٣: عن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر! فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**»[(١)].

وعن أبي ذر ﵁ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ما دعا رجل بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه**»[(٢)].

س٢٤: اذكر قولين من أقوال السلف في تحريم التكفير بغير علم؟

ج٢٤: قال الإمام أحمد: «إن الإيجاب والتحريم، والثواب والعقاب، والتكفير والتفسيق هو إلى الله ورسوله ﷺ، ليس لأحد في هذا حكم، وإنما على الناس إيجاب ما أوجبه الله ورسوله ﷺ، وتحريم ما حرمه الله ورسوله ﷺ، وتصديق ما أخبر الله به ورسوله ﷺ».

س٢٥: ما الشروط والموانع التي ذكرها أهل العلم في تكفير المعين؟

ج٢٥: شروط التكفير المعين هي:

١- أن يظهر هذا الإنسان الكفر بقول أو فعل، حتى وإن كان مدعياً للإسلام.

٢- أن تبلغه الحجة الموجبة لبيان الحق وزوال الشبهة، وأن تكون تلك الحجة ثابتة لديه إن كان من أهل العلم والنظر.

٣- أن يكون بالغاً عاقلًا يفهم.

٤- أن لا يكون معذوراً بقرب العهد بالإسلام.

٥- أن لا يكون مكرهاً.

٦- أن لا يكون جاهلًا، بأن ينشأ ببادية بعيدة عن العلم.

وأما الموانع فهي:

١- أن لا يظهر منه ما يوجب الكفر بقول أو فعل.

٢- أن لا تقوم عليه الحجة.

٣- الصغر، أو الجنون، أو كونه هرماً لا يعي ما يقال له.

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الأدب، ب: من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، برقم: (٦١٠٤)، ومسلم، ك: الإيمان، ب: حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، برقم: (٦٠).

(٢) أخرجه مسلم، ك: الإيمان، ب: بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، برقم: (٦١).

٤- جهله بما تقوم به الحجة.

٥- الإكراه على قول الكفر أو عمله إكراهاً ملجئاً.

س٢٦: ما المخرج الذي يجب سلوكه في البعد عن تكفير المسلمين؟

ج٢٦: المخرج من ذلك هو العودة إلى الكتاب والسنة، والاعتصام بحبل الله المتين، والاقتداء بمن سلف من العلماء الربانيين والهداة المصلحين.

س٢٧: من أصول مذهب أهل السنة والجماعة عدم الخروج على ولاة الأمر، اشرح ذلك؟

ج٢٧: من الأصول العظيمة التي عليها يقوم اعتقاد السلف أهل السنة والجماعة، ومن خالفها يكون مخالفاً للسنة والجماعة، النهي عن الخروج على الأئمة وولاة الأمور، ووجوب طاعتهم بالمعروف.

ويكون الرجل خارجياً بأحد صفتين(١).

١- إن اعتقد وجوب الخروج على الإمام وكفره، أو صحح هذا المذهب ولم يخرج فهو خارجي.

٢- إن خرج على الإمام بسيفه، وسعى في قتله وإزالته فهو خارجي، ولهذا كان السلف يظهرون البراءة من الخوارج بقولهم: ولا نرى الخروج، ويحكمون على الرجل بالخروج بقولهم: كان يرى السيف.

ويدخل في الخوارج: من شحن قلوب الناس على الإمام بإثارة الحماسة والعواطف التي لا تأتي إلا بالفتن العواصف، وكذا من دعا على الإمام على المنابر، وفي المحافل، فيأخذ حكمهم؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد.

فكما أن الخروج محرم وكبيرة، فكذا ما أوصل إليه أو دل عليه، وقد تواترت الأحاديث تواتراً معنوياً في ذم الخوارج، والخروج ليس هذا موضعه، مع ما في الخروج من إراقة للدماء، ونشر للفوضى، وغير ذلك مما هو معلوم.

ولا يسوغ الخروج على الإمام إلا إذا رأينا منه كفراً بواحاً عندنا من الله فيه برهان، كما قال ﷺ: «**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**»(٢).

---

(١) انظر: الانتصار (ص٢٨٥ - ٢٨٧).

(٢) أخرجه البخاري، ك: الفتن، ب: قول النبي ﷺ: «**سترون بعدي أموراً تنكرونها**»، برقم: (٧٠٥٦)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم: (١٧٠٩).

ففي هذه الحالة يجوز الخروج، ولا يجب إلا مع تقدير المصالح والمفاسد، وتوفر القدرة المتيقنة، فليس مجرد الجور والفسق والمعصية والظلم من الإمام يستوجب الخروج عليه.

وهذا خلافاً لما اعتقدته الخوارج والمعتزلة ومن شابههم بالخروج على الإمام إن ظهر منه فسق أو معصية أو ظلم.

وما خرجت طائفة على إمامها إلا كان في خروجها شر وفساد أعظم من الشر الذي سعته لإزالته.

وارتكاب أخف المفسدتين لدفع أعلاهما من قواعد الإسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما يقع من ظلمهم وجورهم بتأويل سائغ أو غير سائغ، فلا يجوز أن يزال لما فيه من ظلم وجور، كما هو عادة أكثر النفوس، تزيل الشر بما هو شر منه، وتزيل العدوان، بما هو أعدى منه، فالخروج عليهم يوجب من الظلم والفساد أكثر من ظلمهم، فيُصْبَر عليهم كما يُصْبَر عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ظلم المأمور والمنهي في مواضع كثيرة»[(١)].

وقال الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «هم يلون من أمورنا خمساً: الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن - والله - إن طاعتهم لغيظ، وإن فرقتهم لكفر»[(٢)].

وقال إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله: «ومن خرج على إمام المسلمين، وقد كان الناس اجتمعوا عليه، وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان: بالرضا أو بالغلبة، فقد شق وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ؛ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٧٩).
(٢) نقله الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ١١٧).
(٣) أخرجه اللالكائي (٣١٧).

قتال ولا فتنة، فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته»[١].

س٢٨: اذكر الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب طاعة ولي أمر المسلمين؟

ج٢٨: من المعلوم[٢] من الدين بالضرورة أنه لا دين بلا جماعة، ولا جماعة بلا أمير، ولا أمير بلا سمع لا طاعة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «طاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد، وطاعة ولاة الأمور واجبة لأمر الله بطاعتهم»[٣].

وفي هذه الآية إشارة إلى أن طاعة أولي الأمر تبع لطاعة الله ورسوله ﷺ، فلم يقل تعالى: وأطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، وأطيعوا أولي الأمر، فإذا أمر ولي الأمر بما فيه طاعة لله ﷻ أطيع، وإلا فلا.

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ومن طاعة الرسول ﷺ طاعة الأمير، كما قال ﷺ: **«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»**[٤].

وقال ﷺ: **«على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»**[٥].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: **«إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجدّع الأطراف»**[٦].

وفي رواية: **«ولو حبشي كأن رأسه زبيبة»**[٧].

وقال النبي ﷺ: **«من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر»**[٨].

---

(١) منهاج السنة (٣/ ٣٩١).
(٢) انظر: الانتصار (ص٢٨٩).
(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٦).
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) أخرجه البخاري، ك: الجهاد والسير، ب: السمع والطاعة للإمام، برقم: (٢٩٥٥)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية...، برقم: (١٨٣٩).
(٦) أخرجه مسلم، ك: المساجد، ومواضع الصلاة، ب: كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار...، برقم: (٦٤٨).
(٧) أخرجه البخاري، ك: الأذان، ب: إمامة العبد والمولى، برقم: (٦٩٣).
(٨) أخرجه البخاري، ك: الفتن، ب: قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها»، برقم: (٧٠٥٣)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين...، برقم: (١٨٤٩).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله»(١).

قال الإمام ابن رجب الحنبلي: «السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين فيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معايشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم»(٢).

وإن أمر ولي الأمر لا يخلو من ثلاثة أوجه:

١- أن يأمر بطاعة الله عز وجل، فتجب طاعته بالاتفاق امتثالًا لأمر الله وأمر رسوله ﷺ ولأمرهم، كما لو أمر بالصلاة والزكاة.

٢- أن يأمر بأمر ليس فيه أمر ولا نهي من الله أو رسوله ﷺ، فتجب طاعته كما في المسائل الاجتهادية التي لا نص فيها.

٣- أن يأمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا تتنافى الطاعة مع الظلم، بل طاعة وصبر، كما قال نبينا محمد ﷺ: «**تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع**»(٣).

وقال النبي ﷺ: «**إنها ستكون بعدي أثرة، وأمور تنكرونها، قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم**»(٤).

وقال أنس رضي الله عنه: «نهى كبراؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ: قالوا: لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تغضوهم، واتقوا الله، واصبروا، إن الأمر قريب»(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الصبر على جور الأئمة أصل من أصول أهل السنة والجماعة»(٦).

وقال العلامة عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله: «أكثر ولاة أهل الإسلام من عهد يزيد بن معاوية - حاشا عمر بن عبد العزيز ومن شاء الله من بني أمية - قد وقع منهم من الجراءة

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الفتن، ب: قول النبي ﷺ: «**سترون بعدي أموراً تنكرونها**»، برقم: (٧٠٥٥)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، برقم: (١٧٠٩).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١١٧).

(٣) أخرجه مسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن...، برقم: (١٨٤٧).

(٤) أخرجه البخاري، ك: المناقب، ب: علامات النبوة في الإسلام، برقم: (٣٦٠٣)، ومسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، برقم: (١٨٤٣).

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٠٤٩).

(٦) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٧٩).

والحوادث العظام والخروج والفساد في ولاية أهل الإسلام، ومع ذلك فسيرة الأئمة الأعلام والسادة العظام معهم معروفة مشهورة، ولا ينزعون يداً من طاعة فيما أمر الله به، ورسوله ﷺ من شرائع الإسلام، لا يعلم أن أحداً من الأئمة نزع يداً من طاعة، ولا رأى الخروج عليهم»[(١)].

س٢٩: ما المراد بقول المصنف: نتبع الجماعة؟

ج٢٩: الاتباع: قبول العلم بدليله من الكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة، تصديقاً للخبر وعملًا بالأمر، ومن جملة ذلك اتباع عقيدة الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة، وكل ما خالف اعتقادهم فهو شذوذ وخلاف وفرقة، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١][(٢)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[(٣)].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[(٤)].

وقال عبد الله بن مسعود: «إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر»[(٥)].

وقال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة»[(٦)].

وقال عبد الله بن عمر: «كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة»[(٧)].

وقال الإمام الشافعي: «لم أسمع أحداً نسبته عامة، أو نسب نفسه إلى علم يخالف في أنَّ فرض الله اتباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه، فإن الله لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم بكل حالٍ قال إلا بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، وأن ما سواهما تبع

---

(١) الدرر السنية (٧/ ١٧٧).
(٢) انظر: الانتصار (ص٢٩٨ - ٣٠٠).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) أخرجه البخاري، ك: الاعتصام بالكتاب والسنة، ب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، برقم: (٧٢٨٠).
(٥) أخرجه اللالكائي برقم: (١٠٤).
(٦) أخرجه الدارمي برقم: (٢١١).
(٧) أخرجه المروزي في السنة برقم: (٨٣).

لهما، وأن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لا يختلف فيه أنه الفرض»(١).

س٣٠: ما المراد بالجماعة؟ اذكر الأدلة الدالة على لزوم الجماعة؟

ج٣٠: هم أهل السنة والجماعة، أتباع السلف الصالح من الصحابة والتابعين، المجتمعون على العمل بالكتاب والسنة، وعلى طاعة أئمتهم وأمرائهم بالمعروف.

قال عبد الله بن مسعود: «الجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك»(٢).

والحق ما كانت عليه الجماعة الأولى(٣).

قال العلامة أبو شامة المقدسي: «وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلًا، والمخالف كثيراً؛ لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه، ولا تنظر إلى كثرة البدع»(٤).

وقد تكاثرت واشتهرت الأحاديث الآمرة بلزوم الجماعة، قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم**»(٥).

أي: من تمسك بهذه الخصال الثلاثة فقد طهر قلبه من الخيانة والشر والحقد والغش ومفسدات القلب.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية**»(٦).

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤٧٥).
(٢) انظر: الانتصار (٣٠٢-٣٠٤).
(٣) أخرجه اللالكائي (١٦٠).
(٤) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص١٩ - ٢٠).
(٥) أخرجه ابن ماجه، ك: المناسك، ب: الخطبة يوم النحر، برقم: (٣٠٥٦)، والحاكم (١/ ٨٧)، من حديث جبير بن مطعم.
وأخرجه الترمذي، ك: العلم، ب: الحث على تبليغ السماع، برقم: (٢٦٥٨)، والحميدي برقم: (٨٨)، من حديث ابن مسعود.
وأخرجه أحمد (٥/ ١٨٣)، وابن حبان برقم: (٦٧، ٦٨٠)، والطبراني في المعجم الكبير برقم: (٤٩٢٥)، والبيهقي في شعب الإيمان، من حديث زيد بن ثابت.
وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٤٠٤)، وفي ظلال الجنة برقم: (١٠٨٥).
(٦) أخرجه البخاري، ك: الفتن، ب: قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها»، برقم: (٧٠٥٣).

وعن ابن عمر قال: «خطبنا عمر بالجابية فقال: أيها الناس! إني قمت فيكم كمقام رسول الله فينا، فقال: عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد. من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة»(١).

وعن عرفجة بن شريح الأشجعي قال: رأيت النبي ﷺ على المنبر يخطب الناس، فقال: **إن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض**»(٢).

وقال: «**من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**»(٣).

أي: كان كالدابة إذا خلعت ربقتها، وهي الطوق الذي يمسكها، فلا يؤمن عليها عند ذلك من الهلاك والضياع.

وقال عليه السلام: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة**»(٤).

ويدخل في التارك لدينه المفارق للجماعة صنفان: المرتدون، ومن خرج على الجماعة ببدعة أو بغي كالخوارج إلا إذا تابوا وآبوا.

س ٣١: ما المراد بالشذوذ والخلاف والفرقة؟

ج ٣١: الشذوذ: هو الانفراد عن الجماعة(٥).

قال ابن حزم: «هو مخالفة الحق، فكل من خالف الصواب في مسألة ما فهو فيها شاذ»(٦).

وبمقدار مخالفة الرجل للسنة والجماعة يكون شاذاً، كل بحسبه، فكل من أتى بشيء لم يكن عليه النبي ﷺ ولا أصحابه من بعده فقد شذ وانفرد، وقد قال النبي ﷺ: «إنه لم

---

(١) أخرجه الترمذي، ك: الفتن، ب: ما جاء في لزوم الجماعة، برقم: (٢١٦٥)، والإمام أحمد (١/ ٢٦)، وأبو يعلى برقم: (١٤١)، وابن حبان برقم: (٤٥٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٢٥٤٦).

(٢) أخرجه النسائي، ك: التحريم، ب: قتل من فارق الجماعة، برقم: (٤٠٣٢)، والطبراني في المعجم الكبير برقم: (٤٦٨)، والبيهقي في الشعب برقم: (٧٥١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٣٦٢١).

(٣) أخرجه أبو داود، ك: السنة، ب: قتل الخوارج، برقم: (٤٧٥٨)، والإمام أحمد (٥/ ١٨٠)، والحاكم (١/ ١١٧)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٦٤١٠).

(٤) أخرجه البخاري، ك: الديات، ب: قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ [المائدة: ٤٥]، برقم: (٦٨٧٨)، ومسلم، ك: القسامة والمحاربين، ب: ما يباح به دم المسلم، برقم: (١٦٧٦).

(٥) انظر: الانتصار (ص٣٠٦). (٦) الإحكام (٥/ ٨٢).

يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم»[١].

ومن شذ عن اعتقاد أهل السنة والجماعة وانفرد فلا يخلو من حالين:

١- أن يكون شذوذه في أصل من أصول الاعتقاد، كالإيمان، والقدر، والصفات، فهذا خرج من مسمى أهل السنة والجماعة، ويدخل فيه جميع طوائف أهل البدع، والضلال، كالجهمية، والمرجئة، والقدرية، والمعتزلة، والخوارج، والأشعرية، والماتريدية، والكلابية، والكرامية، وغيرهم.

قال الإمام أحمد بن حنبل في أثناء سرده لأصول الاعتقاد: «فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق»[٢].

٢- أن يكون شذوذه في فرع لأصل من أصول اعتقاد أهل السنة عن تأويل واجتهاد، فلا يخرج عن مسمى أهل السنة والجماعة، بل يكون مخطئاً مخالفاً لهم في هذا الفرع، ولا يتبع على زلته.

والخلاف: هو الاختلاف والتجاذب المفضي إلى التنازع.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩]، فاستثنى الله أهل الرحمة من الاختلاف.

قال الخليفة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: «خلق الله أهل رحمته لئلا يختلفوا»[٣].

قلت: وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أهل الرحمة هم أتباع الأنبياء قولًا وفعلًا، وهم أهل القرآن والحديث من هذه الأمة، فمن خالفهم في شيء فاته من الرحمة بقدر ذلك»[٤].

الإسلام دين الحق والوسطية

قال الطحاوي: «ودين الله في الأرض والسماء واحدٌ، وهو دين الإسلام، قال الله

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الإمارة، ب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، برقم: (١٨٤٤).

(٢) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٢٤).

(٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ١٠٧٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٥).

تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس».

الشرح: قال ابن أبي العز:

[ملة الأنبياء واحدة:]

ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»(١)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، عامٌّ في كل زمان، ولكن الشرائع تتنوع كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[المائدة: ٤٨]، فدين الإسلام هو ما شرعه الله ﷻ لعباده على ألسنة رسله، وأصل هذا الدِّين وفروعه روايته عن الرسل، وهو ظاهر غاية الظهور، يمكن كل مميز من صغير وكبير، وفصيح وأعجم، وذكيٍّ وبليد، أن يدخل فيه بأقصر زمان، وإنه يقع الخروج منه بأسرع من ذلك، من إنكار كلمة، أو تكذيب، أو معارضة، أو كذب على الله، أو ارتياب في قول الله تعالى، أو ردٍّ لما أنزل، أو شك فيما نفى الله عنه الشك، أو غير ذلك مما في معناه.

[وسطية الشريعة في التكليف والعمل:]

وقوله: «بين الغلو والتقصير»، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة: ٨٧ - ٨٨].

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج رسول الله ﷺ عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: ما بال أقوام يقول أحدهم: كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن

---

(١) صحيح البخاري، ك: أحاديث الأنبياء، ب: قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ [مريم: ١٦]، برقم: (٣٤٤٣)، صحيح مسلم، ك: الفضائل، ب: فضائل عيسى عليه السلام، برقم: (٢٣٦٥).

رغب عن سنتي فليس مني»[(١)].

[الوسطية في الأسماء والصفات:]

وقوله: «وبين التشبيه والتعطيل»، تقدم أن الله ﷻ يحب أن يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تشبيه، فلا يقال: سمع كسمعنا، ولا بصر كبصرنا، ونحوه، ومن غير تعطيل، فلا يُنفى عنه ما وصف به نفسه، أو وصفه به أعرف الناس به رسوله ﷺ، فإن ذلك تعطيل، وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رَدٌّ على المشبهة، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رَدٌّ على المعطلة.

[الوسطية في القدر:]

وقوله: «وبين الجبر والقدر»، تقدم الكلام أيضا على هذا المعنى، وأن العبد غير مجبور على أفعاله وأقواله، وأنها ليست بمنزلة حركات المرتعش وحركات الأشجار بالرياح وغيرها، وليست مخلوقة للعباد، بل هي فعل العبد وكسبه، وخلق الله تعالى.

[الوسطية في الوعد والوعيد:]

وقوله: «وبين الأمن والإياس»، تقدم الكلام أيضا على هذا المعنى، وأنه يجب أن يكون العبد خائفاً من عذاب ربه راجياً رحمته، وأن الخوف والرجاء بمنزلة الجناحين للعبد في سيره إلى الله تعالى والدار الآخرة.

الأسئلة والأجوبة على أن الإسلام دين الحق والوسطية

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ودين الله في الأرض والسماء واحدٌ، وهو دين الإسلام...»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «ودين الله في الأرض والسماء واحدٌ، وهو دين الإسلام...» لمسائل عديدة يمكن إجمالها فيما يلي:

١- ملة الأنبياء واحدة.

٢- وسطية الشريعة في التكليف والعمل.

---

(١) صحيح البخاري، ك: النكاح، ب: الترغيب في النكاح، برقم: (٥٠٦٣)، صحيح مسلم، ك: النكاح، ب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه...، برقم: (١٤٠١).

٣- الوسطية في الأسماء والصفات. ٤- الوسطية في القدر.

٥- الوسطية في الوعد والوعيد.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «ودين الله في الأرض والسماء واحدٌ، وهو دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]»؟

ج٢: دين الله واحد، وهو الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فهو الدين الحق الذي بعث الله به جميع رسله، وهو أن لا يعبد إلا الله تعالى، وأن يعبد بما شرع، فما من رسول إلا وقد أرسل بالإسلام، قال أبناء يعقوب عليه السلام له: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وقال موسى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وقالت بلقيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، وقال أصحاب عيسى: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

س٣: ما معنى قول الطحاوي: «وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس»؟

ج٣: الإسلام هو دين وسط كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فهو وسط في العبادة بين الغلو والتقصير، ووسط في حق النبي ﷺ لا غلو ولا تقصير، وهو وسط في باب الصفات بين من شبهوا الله بخلقه وبين من عطلوا صفاته ونفوا معانيها، ووسط في القدر بين من نفوا إرادة الإنسان وهم الجبرية، وبين من جعلوا الإنسان خالقاً لأفعاله وهم القدرية، ووسط بين الأمن من مكر الله واليأس من رحمته.

س٤: إلى كم ينقسم الإسلام؟

ج٤: ينقسم الإسلام إلى قسمين:

١- الإسلام العام.

وهو الذي اجتمعت عليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

٢- الإسلام الخاص.

وهو شريعة محمد ﷺ الذي جاء تفسيره في قوله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام**».

س٥: ما مراتب الاستسلام لله؟

ج٥: إسلام الوجه، والعمل، والقلب لله وحده.

ومعنى إسلام الوجه: أن لا يتوجه إلى غير الله جل وعلا في العبادة.

ومعنى إسلام العمل: أن يكون العمل مستسلماً فيه، متخلصاً فيه من الهوى.

ومعنى إسلام القلب: أن يخلص في قوله، وعمله، وكل أعمال قلبه.

س٦: ما المراد بالإسلام في اللغة والاصطلاح؟

ج٦: الإسلام في اللغة يأتي بمعنى الاستسلام والانقياد، كما يأتي بمعنى الصلح، والأمان.

وشرعاً: هو الاستسلام لله، والانقياد له بالخضوع والإذعان بامتثال الأوامر وترك المنهيات.

س٧: الإسلام هو دين جميع الأنبياء، اشرح ذلك مع الاستدلال له؟

ج٧: الإسلام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين، كما أخبر الله تعالى عن نبيه نوح عليه الصلاة والسلام أنه قال: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وكما أخبر الله عن نبيه إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢].

- وقال تعالى عن يوسف مخاطبا ربه: ﴿أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

- وقال تعالى عن موسى حاكياً لقوله: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

س٨: ما معنى الغلو والتقصير؟

ج٨: لفظ الغلو جاء في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

وقال النبي ﷺ: «إياكم والغلو»(١).

ومعنى الغلو: الزيادة عما أذن به شرعاً في العبادة أو في الاعتقاد.

وأما معنى التقصير: فهو ترك ما أمر به العبد من الفرائض بأن يقصر، ويجفو، ويتبع الشهوات، فالخوارج غلوا وتشددوا في العبادات، وقابلهم فريق التقصير، وهم أهل الشهوات والكبائر والتساهل في العبادات.

س٩: كيف يكون الإسلام وسطاً بين الغلو والتقصير؟

ج٩: قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فالإسلام دين وسط بين الغلو والإفراط، ومجاوزة الحد في الاعتقادات والأقوال والأعمال، وبين التقصير والتفريط والتهاون والجفاء في الاعتقادات والأقوال والأعمال، وهذه الوسطية سمة لازمة لشرائع الإسلام، وأصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.

فمثلًا: أهل الإسلام الحق وسط في صفات الله بين أهل التشبيه وأهل التعطيل، وفي القدر وسط بين أهل الجبر والقدرية.

وكذلك هم وسط في باب الوعد والوعيد بين الأمن واليأس، وقِسْ على ذلك باقي مسائل الاعتقاد.

س١٠: ما هو سبب الضلال عن الصراط المستقيم؟

ج١٠: سبب ذلك اتباع الأهواء، والشبه الضالة، والإعراض عن وحي الله تعالى، واتباع الشياطين، كما قال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

س١١: ما هي مذاهب أهل الضلال في شأن الوحي؟

ج١١: منها: مذهب أهل التبديل، وأهل التجهيل.

١- أما أهل التبديل فهم نوعان:

أ- أهل التخييل: ويزعمون أن خبر الأنبياء عن المغيبات هو أوهام وتخيلات ليس لها حقيقة.

ب- والنوع الثاني: أهل التحريف والتأويل.

(١) أخرجه النسائي، ك: المناسك، ب: التقاط الحصى، برقم: (٣٠٥٧)، وابن ماجه، ك: المناسك، ب: قدر حصى الرمي، برقم: (٣٠٢٩)، والإمام أحمد (١/ ٢١٥، ٣٤٧)، وابن حبان برقم: (٣٨٧١)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (١٢٨٣)، وصحيح سنن ابن ماجه برقم: (٣٠٢٩).

وهم الذين يقولون: إن الحق ما عرفناه بعقولنا، ثم يتأولون نصوص الوحي بما يناسب عقولهم.

٢- أهل التجهيل:

فإنهم يقولون: إن الأنبياء يجوز أن يكونوا جاهلين ضالين، لا يعرفون ما أراد الله تعالى بوحيه، ويقولون: إن النبي ﷺ يقرأ آيات الصفات ولا يعرف معناها.

ويتفرع منهم أهل مذاهب شتى، وكل هؤلاء على ضلالة، وبعضهم شر من بعض، والذي يجمعهم القول بأن الرسل لم يأتوا بما يوافق عقولنا، وأنهم لا يعرفون العقليات ولا السمعيات، فالله المستعان.

س١٢: من هم أهل السنة والجماعة؟

ج١٢: هم الذين يقتدون بالنبي ﷺ في أقواله، وأفعاله، وتقريراته، قولًا وعملًا واعتقاداً، وهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، وهم الجماعة.

س١٣: ما أبرز خصائص أهل السنة والجماعة؟

ج١٣: ١- الاعتماد على الوحيين: الكتاب والسنة عند التنازع، وتقديم النقل على العقل.

٢- السير على منهج السلف الصالح في فهم الكتاب والسنة، فإن طريقتهم أسلم، وأعلم، وأحكم.

٣- التحري في قبول الأخبار، وذلك بعلم الإسناد.

٤- الاعتماد على الدليل والبعد عن الجدل.

٥- وسطية أهل السنة والجماعة.

س١٤: مثل على وسطية أهل السنة والجماعة في الربوبية، والألوهية، وفي الأسماء والصفات، وفي الإيمان، وفي القدر؟

ج١٤: ١- أهل السنة والجماعة وسط في الربوبية والألوهية بين الشيوعية الإلحادية القائلة: لا إله، والحياة مادة، وبين أصحاب وحدة الوجود الذين جعلوا الخالق عين المخلوق، والرب عين المربوب.

٢- أهل السنة والجماعة وسط في باب الأسماء والصفات بين المعطلة كالجهمية وما تفرع عنها، وبين المشبهة.

٣- وهم وسط في باب الإيمان بين الخوارج والمرجئة.

٤- وهم وسط في باب القدر بين القدرية النفاة وبين الجبرية.

س١٥: دل القرآن والسنة على يسر الشريعة ورفع الحرج عن الأمة، وضِّح ذلك بالدليل؟

ج١٥: قد وضع الله عن الأمة الأغلال والآصار التي كانت على الأمم السابقة باتباع أيسر الأمور وأوسطها وأعدلها وأقربها، على الرفق بالأمة ما لم تكن إثماً، فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «إن الدين يسر، ولا يشادُّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة»[1].

س١٦: أنعم الله على الإنسان بالعقل، تحدث عن هذه النعمة مع ذكر دليلين من الكتاب والسنة؟

ج١٦: العقل نعمة من الله، ميز الله به الإنسان وأكرمه به؛ ليتدبر في هذا الكون، وليتفكر ويعتبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ١٢٨]، أي: أصحاب العقول النيرة الواعية، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، فالعقل نعمة امتن الله بها على الإنسان ليميز الخبيث من الطيب، والضار من النافع، والغث من السمين، والحق من الباطل.

س١٧: للناس من العقل موقفان: موقف الإفراط، وموقف التفريط، بيِّن ذلك؟

ج١٧: للناس من العقل موقفان، هما:

١- موقف الجمود والتعطيل: حتى إنه لا يقيم لهذا العقل وزناً، ولا يستخدمه في تدبر ملكوت الله والنظر في آياته.

٢- موقف أهل الغلو والإفراط، وهو أنهم بالغوا في الاعتماد على العقل حتى جعلوه مصدر التشريع والتحسين والتقبيح، فكل ما استحسنته عقولهم فهو الحق وإن خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

س١٨: ما موقف أهل السنة والجماعة من العقل؟

ج١٨: إذا تأملنا منهج السلف الصالح وجدنا أنهم ينزلون العقل منزلته الصحيحة التي هي النظر في آيات الكون، والموازنة بين الأشياء، لكنهم لا يعتمدون عليه وحده، ولا يرفعونه فوق منزلته، ولا يقدمونه على نصوص الكتاب والسنة، بل إن من أعظم قواعد

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الإيمان، ب: الدين يسر، برقم: (٣٩)، ومسلم، ك: صفات المنافقين وأحكامهم، ب: لن يدخل أحد الجنة بعمله...، برقم: (٢٨١٨).

السلف: تقديم النقل على العقل، أي: أن النصوص الشرعية هي الأصل، والعقل تابع لها، ويعتقدون أن العقل السليم لا يعارض النقل الصحيح.

س١٩: الاعتماد على العقل أدى إلى إنكار بعض حقائق الدين الثابتة، وضِّح ذلك بالأمثلة؟

ج١٩: الاعتماد على العقل أدى إلى إنكار كثير من الحقائق الدينية، ولا سيما الغيبيات، ولو جاءت بها النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة.

فقد أنكر المبتدعة كثيراً من هذه الأمور، كالصراط، والحوض، والميزان، وحشر الأجساد، ونعيم القبر وعذابه، ورؤية الباري سبحانه وتعالى، وعطلوا صفات الحق ﷻ.

س٢٠: ما موقف المسلم من الموازنة بين العقل والنقل؟

ج٢٠: موقف المسلم من الموازنة بينهما أنه إذا جاء الخبر عن الله، وصح عن رسول الله ﷺ فليس للعقل مجال للأخذ أو الرد، بل يجب الإذعان والتسليم حتى وإن لم تدرك العقول كيفية تلك الأمور، أو حكمتها.

خلاصة الاعتقاد وطلب السداد

قال الطحاوي: «فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا، ونحن برآء إلى الله تعالى من كل مَنْ خالف الذي ذكرناه وبيناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية، مثل المشبهة، والمعتزلة، والجهمية، والجبرية، والقدرية، وغيرهم، من الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة، ونحن منهم برآء، وهم عندنا ضلال أردياء، وبالله العصمة والتوفيق».

الشرح: قال ابن أبي العز:

الإشارة بقوله: «فهذا ديننا واعتقادنا» كل ما تقدم من أول الكتاب إلى هنا.

[حقيقة المشبهة:]

والمشبهة: هم الذين شبهوا الله سبحانه بالخلق في صفاته، وقولهم عكس قول النصارى، حيث شبهوا المخلوق - وهو عيسى عليه السلام - بالخالق، وجعلوه إلها، وهؤلاء شبهوا الخالق بالمخلوق، كداود الجواربي وأشباهه.

[أصل المعتزلة:]

والمعتزلة: هم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال وأصحابهما، سموا بذلك لما

اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أوائل المائة الثانية، وكانوا يجلسون معتزلين، فيقول قتادة وغيره: أولئك المعتزلة.

وقد بنوا مذهبهم على الأصول الخمسة التي سموها: العدل والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولبسوا فيها الحق بالباطل، إذ شأن البدع هذا، اشتمالها على حق وباطل.

وهم مشبهةُ الأفعال؛ لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه، وما يقبح من العباد يقبح منه، وقالوا: يجب عليه أن يفعل كذا، ولا يجوز له أن يفعل كذا، بمقتضى ذلك القياس الفاسد.

وفي المعتزلة زنادقة كثيرة، وفيهم من ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

[أصل الجهمية:]

والجهمية: هم المنتسبون إلى جهم بن صفوان السمرقندي، وهو الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل، وهو أخذ ذلك عن الجعد بن درهم الذي ضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط، فإنه خطب الناس في يوم عيد الأضحى، وقال: أيها الناس! ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم؛ إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا! ولم يكلم موسى تكليما، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيراً، ثم نزل فذبحه، وكان ذلك بعد استفتاء علماء زمانه، وهم السلف الصالح رحمهم الله تعالى، وكان جهم بعده بخراسان، فأظهر مقالته هناك، وتبعه عليها ناس، فقتل جهم - قبحه الله - بخراسان، قتله سلم بن أحوز، ولكن كانت قد فشت مقالته في الناس، وتقلدها بعده المعتزلة، ولكن كان جهم أدخل في التعطيل منهم؛ لأنه ينكر الأسماء حقيقة، وهم لا ينكرون الأسماء، بل ينكرون الصفات.

[من عجائب مذهب جهم:]

ومما انفرد به جهم أن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، والكفر هو الجهل فقط، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز، كما يقال: تحركت الشجرة، ودار الفلك، وزالت الشمس، ولقد أحسن القائل:

عجبت لشيطان دعا الناس جهرة ... إلى النار واشتُق اسمه من جهنم

[أصل الجبرية:]

والجبرية أصل قولهم من جهم بن صفوان كما تقدم، وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه، وهم عكس نفاة القدرية نفاة القدرة، فإن القدرية إنما نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه، كما سميت المرجئة لنفيهم الإرجاء، وأنه لا أحد مُرْجَأٌ لأمر الله، إما يعذبهم وإما يتوب عليهم.

وقد تسمى الجبرية قدرية؛ لأنهم غلوا في إثبات القدر، كما يسمى الذين لا يجزمون بشيء من الوعد والوعيد، بل يغلون في إرجاء كل أمر حتى الأنواع، فلا يجزمون بثواب من تاب، كما لا يجزم بعقوبة من لم يتب، وكانت المرجئة الأولى يرجئون عثمان وعليا، ولا يشهدون بإيمان ولا كفر.

[سبب ضلال هذه الفرق:]

وسبب ضلال هذه الفرق وأمثالهم عدولهم عن الصراط المستقيم، الذي أمرنا الله باتباعه، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، فوحد لفظ: صراطه، وسبيله، وجمع: السبل المخالفة له.

[احتياج العبد إلى سؤال الله الهداية والاستقامة:]

ومن هنا يعلم أن اضطرار العبد إلى سؤال هداية الصراط المستقيم فوق كل ضرورة، ولهذا شرع الله تعالى في الصلاة قراءة أمِّ الكتاب في كل ركعة؛ لاحتياج العبد إلى هذا الدعاء العظيم القدر المشتمل على أشرف المطالب وأجلِّها، فقد أمرنا الله تعالى أن نقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

نسأل الله السلامة والعافية من هذه الأقوال الواهية، المفضية بقائلها إلى الهاوية.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الأسئلة والأجوبة على براءة أهل السنة من المذاهب المبتدعة

س١: ما هي المسائل العقدية التي تطرق إليها ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا، ونحن برآء إلى الله تعالى من كل مَنْ خالف الذي ذكرناه وبيناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من

الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية، مثل المشبهة، والمعتزلة، والجهمية، والجبرية، والقدرية، وغيرهم، من الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة، ونحن منهم برآء، وهم عندنا ضلال أردياء، وبالله العصمة والتوفيق»؟

ج١: تطرق ابن أبي العز في شرحه لقول الطحاوي: «فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا، ونحن برآء إلى الله تعالى من كل مَنْ خالف الذي ذكرناه وبيناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان،... وبالله العصمة والتوفيق» لمسائل عديدة يمكن إجمالها فيما يلي:

١- حقيقة المشبهة.
٢- أصل المعتزلة.
٣- أصل الجهمية.
٤- من عجائب مذهب جهم.
٥- أصل الجبرية.
٦- سبب ضلال هذه الفرق.
٧- احتياج العبد إلى سؤال الله الهداية والاستقامة.

س٢: ما معنى قول الطحاوي: «فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً، ونحن برآء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه...»؟

ج٢: نحن قد بينا ديننا وعقيدتنا، وهو كل ما سبق ذكره، فهذا اعتقادنا الظاهر والباطن، ولسنا ممن يظهرون غير ما يبطنون، ونتبرأ إلى الله تعالى من كل من خالف ما سبق ذكره من ديننا واعتقادنا، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، كما كان النبي ﷺ يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»(١)، وأن يعصمنا من الأهواء المختلفة، والأوهام الفاسدة، والآراء المتفرقة في مسائل الاعتقاد، والمذاهب الرديئة الفاسدة، كالمشبهة، والمعتزلة، والجهمية، والجبرية، والقدرية، وغيرهم، الذين وافقوا الضلالة وحالفوها وقالوا بها، فنحن نتبرأ منهم، إذ يلزم المسلم أن يتبرأ من أهل الكفر والابتداع، ونحكم عليهم بأنهم ضلال أردياء، فاسدو المذاهب والعقول والآراء، والله هو العاصم والموفق.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢)، وابن ماجه، المقدمة، ب: فيما أنكرت الجهمية، برقم: (١٩٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٥)، والآجري في الشريعة (ص٣١٧)، وغيرهم، وصححه الحاكم، وكذا الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٧٩٨٨).

الفهرس